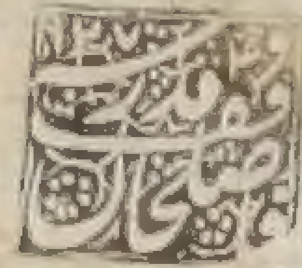
ومعناه سنن الله هذه السنه فى الامم الماضيه كلها ان لا ينفعهم ايمانهم اذا رأوا العذاب
والمراد بالسنه هنا الطريقه المستمره من فعله باعدائه الجاحدين وخسر هنالك الكافرون
بدخول النار واستحقاق النقمه وفوات الثواب والجنه

تم الجزء الثامن بعون الله وتوفيقه وصلى الله على سيدنا
محمد النبى الهادى المصطفى وآله وعترته الازكيا وسلم
تسليماً كثيراً كثيراً دايماً طيباً لا انقطاع
له آمين رب العالمين













سورة فصلت مكية عدد آيها اربع وخمسون آية كوفى ثلاث حجازى اثنان بصرى شامى اختلافها آيتان حم كوفى عاد وثمود حجازى كوفى فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله ومن قرأ حم السجدة اعطى بعدد كل حرف منها عشر حسنات وروى ذريح المحاربى عن ابى عبد الله عليه السلام قال من قرأ حم السجدة كانت له نورا يوم القيمة مد بصره وسرورا وعاش فى هذه الدنيا محمودا مغبوطا تفسيرها ختم الله سورة المؤمن بذكر المنكرين لآيات الله وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون خمس آيات الاعراب قال الزجاج تنزيل رفع بالابتداء وخبره كتاب فصلت هذا مذهب البصريين وقال الفراء يجوز ان يكون تنزيل يرتفع بحم ويجوز ان يرتفع باضمار هذا المعنى هذا تنزيل او هو تنزيل وقوله قرآنا عربيا نصب قرآنا على الحال بمعنى بينت آياته فى حال جمعه وبشيرا ونذيرا من صفته المعنى حم قد تقدم القول فيه وقيل فى وجه الاشتراك فى افتتاح هذه السور السبع بحم انه للمشاكلة التى بينها بما يختص به وليس لغيرها وذلك ان كل واحدة منها استفتحت بصفة الكتاب مع تقاربها فى الطول ومع شدة تشاكل الكلام فى النظم تنزيل من الرحمن الرحيم نزل به جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله كتاب فصلت آياته وصف الكتاب بالتفصيل دون الاجمال لان التفصيل يأتى على وجوه البيان اى بينت آياته بيانا تاما والتبيين فيه على وجوه منها تبيين الواجب مما ليس بواجب وتبيين الاولى فى الحكمة مما ليس باولى وتبيين الجائز مما ليس بجائز وتبيين الحق من الباطل وتبيين الدليل على الحق مما ليس بدليل وتبيين ما يرغب فيه مما لا يرغب فيه وتبيين ما يحذر منه مما لا يحذر منه الى غير ذلك من الوجوه وقيل فصلت آياته بالامر والنهى والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والحلال والحرام والمواعظ والامثال وقيل فصلت

اى نظمت آياته على احسن نظام واوضح بيان قرآنا عربيا وصفه بانه قرآن لانه جمع بعضه الى بعض وبانه عربى لانه يخالف جميع اللغات التى ليست بعربية وكذلك يدل على حدوث القرآن لقوم يعلمون اللسان العربى ويعجزون عن مثله فيعرفون اعجازه وقيل يعلمون ان القرآن من عند الله نزل على الفصحاء بشيرا ونذيرا يبشر المؤمن بما فيه من الوعيد فاعرض اكثرهم يعنى اهل مكة عدلوا عن الايمان بالله والتدبر فهم لا يسمعون اى سمع تفكر وقبول فكانه لا يسمعونه حقيقة وقالوا قلوبنا فى اكنة اى فى اغطية عن مجاهد والسدى مما تدعونا اليه فلا نفقه ما تقول وانما قالوا ذلك ليؤيسوا النبى صلى الله عليه وآله من قبولهم دينه فكانهم شبهوا قلوبهم بما يكون فى غطاء فلا يصل اليه شىء مما وراءه وفى آذاننا وقر اى ثقل عن استماع القرآن وصمم ومن بيننا وبينك حجاب اى بيننا وبينك فرقة فى الدين وحاجز فى النحلة فلا نوافقك على ما تقول عن الزجاج وقيل انه تمثيل بالحجاب ليؤيسوه من الاجابة عن على بن عيسى فاعمل اننا عاملون قيل ان ابا جهل رفع ثوبا بينه وبين النبى صلى الله عليه وآله فقال يا محمد انت من ذاك الجانب ونحن من هذا الجانب فاعمل انت على دينك ومذهبك اننا عاملون على ديننا ومذهبنا عن مقاتل وقيل معناه فاعمل فى هلاكنا اننا عاملون فى هلاكك عن الفراء وقيل فاعمل به فى ابطال امرنا اننا عاملون فى ابطال امرك وهذا غاية العناد قوله عز وجل قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين خمس آيات القراءة قرأ ابو جعفر سواء بالرفع وقرأ يعقوب سواء بالجر والباقون بالنصب الحجة من قرأ سواء بالرفع جعله خبر مبتدأ محذوف اى هى سواء ومن قرأ بالجر جعله صفة لايام التقدير فى اربعة ايام مستويات تامات واما النصب فعلى المصدر على معنى استوت سواء واستواء المعنى ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله قل يا محمد

لهؤلاء الكفار انما انا بشر مثلكم من ولد آدم لحم ودم وانما خصنى الله تعالى بنبوته و ميزنى
منكم بان اوحى الى ولولا الوحى ما دعوتكم وهو قوله يوحى الى انما الهكم اله واحد لا شريك
له فى العبادة فاستقيموا اليه اى لا تميلوا عن سبيله وتوجهوا اليه بالطاعة كما يقال
استقم الى منزلك اى لا تعدل عنه الى غيره واستغفروه من الشرك واطلبوا المغفرة
لذنوبكم من جهته ثم اوعدهم فقال وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة اى لا يعطون
الزكوة المفروضة وفيه دلالة على ان الكفار يخاطبون بالشرايع وهذا هو الظاهر وقيل
معناه لا يطهرون انفسهم من الشرك بقول لا اله الا الله فانها زكوة الانفس عن عطاعن ابن
عباس وهذا كما يقال اعطى فلان من نفسه الطاعة اى الزمها نفسه وقد وصف سبحانه
الفكر بالنجاسة بقوله انما المشركون نجس فذكر الزكوة بمعنى التطهير فى قوله خير منه زكوة
وقيل معناه لا يقرون بالزكوة ولا يرون ايتاها ولا يؤمنون بها عن الحسن وقتاده
وعن الكلبى عابهم الله بها وقد كانوا يحجون ويعتمرون وقيل لا ينفقون فى الطاعة
ولا يتصدقون عن الضحاك ومقاتل كان يقول الزكوة قنطرة الاسلام وقال الفراء
الزكوة فى هذا الموضع ان قريشا كان تطعم الحاج وتسقيهم فحرموا ذلك على من آمن بمحمد
صلى الله عليه وآله وهم بالاخرة هم كافرون وهم مع ذلك يجحدون بما اخبر الله تعالى
به من احوال الاخرة ثم عقب سبحانه من وعيد الكافرين بذكر الوعد للمؤمنين فقال
ان الذين آمنوا اى صدقوا بالامر الاخرة من الثواب والعقاب وعملوا الصالحات
اى الطاعات لهم اجر غير ممنون اى لهم جزاء على ذلك غير مقطوع بل هو متصل دائم ويجوز
ان يكون معناه انه لا اذى فيه من المن الذى يكدر الصنيعة ثم وبخهم سبحانه على كفرهم
فقال قل يا محمد لهم على وجه الانكار عليهم اينكم لتكفرون بالذى خلق الارض وهذا
استفهام تعجب اى كيف تستجيزون ان تكفروا وتجحدوا نعمة من خلق الارض فى يومين
اى فى مقدار يومين وتجعلون له اندادا اى امثالا واشباها تعبدونهم وفى هذا
دلالة على انه سبحانه انما يستدل على اثبات ذاته وصفاته بافعاله فهى داله على اثبات
صفاته اما بانفسها كما يدل على صحة الفعل على كونه قادرا واحكامه على كونه عالما واما بواسطة

كالية كونه قادرا عالما على كونه حيا موجودا سميعا بصيرا ذلك رب العالمين اى ذلك
الذى خلق الارض فى يومين خالق العالمين ومالك التصرف فيهم وجعل فيها اى فى
الارض رواسى اى جبالا راسيات ثابتات من فوقها من فوق الارض وبارك فيها
بما خلق فيها من المنافع وقيل بان انبت شجرها من غير غرس واخرج نبتها من غير زرع
وبذر دواودعها ما ينتفع به العباد عن السدى وقدر فيها اقواتها اى قدر
فى الارض ارزاق اهلها على حسب الحاجة اليها فى قوام ابدان الناس وساير الحيوان
وقيل قدر فى كل بلدة منها ما لم يجعله فى الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد
الى بلد فى اربعة ايام اى فى تتمة اربعة ايام من حين ابتداء الخلق فاليومان الاولان
داخلان فيها كما تقول خرجت من البصرة الى بغداد فى عشرة ايام والى الكوفة فى خمسة
عشر يوما اى فى تتمة خمسة عشر يوما سواء للسائلين اى مستوية كاملة من غير زيادة
ولا نقصان للسائلين عن مدة خلق الارض وقيل معناه للذين يسالون الله
ارزاقهم ويطلبون اقواتهم فان كلا يطلب القوة ويساله عن قتاده والسدى
واختلف فى علة خلق الارض وما فيها فى اربعة ايام فقيل انما خلق ذلك شيئا بعد شيء
فى هذه الايام الاربعة ليعلم الخلق ان من الصواب التانى فى الامور وترك الاستعجال
فيها فانه سبحانه كان قادرا على ان يخلق ذلك فى لحظة واحدة عن الزجاج وقيل انما
خلق ذلك فى هذه المدة ليعلم بذلك انها صادرة عن قادر مختار عالم بالمصالح ووجوه
الاحكام اذ لو صدرت عن مطبوع او موجب لحصلت فى حالة واحدة وروى عكرمة
عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين
وخلق الجبال يوم الثلثا وخلق الشجر والماء والعمران والخراب يوم الاربعا فتلك اربعة
ايام وخلق يوم الخميس السما وخلق يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة وآدم قوله
عز وجل ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا
قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ

انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم
ان لا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون
فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا
ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون خمس ايات الاعراب
طوعا وكرها مصدران وضعا موضع الحال التقدير ائتيا مطيعان الطاعة او مكرهان
كرها وطائعين يحتمل ذلك وهو منصوب على الحال سبع سموات منصوب ايضا على الحال
بعد الفراغ من الفعل المعنى ثم ذكر سبحانه خلق السموات فقال ثم استوى الى السماء
وهي دخان اي ثم قصد الى خلق السماء وكانت السماء دخانا وقال ابن عباس كانت بخار الارض
واصل الاستواء الاستقامة والقصد للتدبير المستقيم تسوية له وقيل معناه ثم استوى
امره الى السماء عن الحسن فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين قال ابن عباس
اتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم واتت الارض بما فيها من الانهار والاشجار
والثمار وليس هناك امر بالقول على الحقيقة ولا جواب لذلك القول بل اخبر الله سبحانه
عن اختراعه السموات والارض وانشائه لهما من غير تعذر ولا كلفة ولا مشقة بمنزلة
ما يقال للمامور افعل فيفعل من غير تلبث ولا توقف فعبر عن ذلك بالامر والطاعة
وهو كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وانما قال اتينا طائعين ولم يقل
اتينا طائعين لان المعنى اتينا بمن فينا من العقلاء وغير العقلاء فغلب حكم العقلاء على
غيرهم وقيل انه لما خوطبن خطاب من يعقل جمعن جمع من يعقل كما قال وكل في فلك يسبحون ومثله
كثير في كلامهم قال شعر فاجهشت للبوباة حين رايته وكبر للرحمن حين راني فقلت له
اين الذين رايتهم بجنبك في خفض وطيب زمان فقال مضوا واستودعوني بلادهم ومن ذا الذي
يبقى على الحدثان وقال الاخر شعر الا انعم صباحا ايها الرسم وانطق وحدث حديث الحي
ان شئت واصدق وقد ذكرنا فيما تقدم امثال ذلك ما فيه كفاية وقوله سبحانه ثم
استوى الى السماء يفيد انه خلق السماء بعد خلق الارض وخلق الاقوات فيها وقال سبحانه
في موضع اخر والارض بعد ذلك دحاها وعلى هذا فتكون الفائدة فيه ان الارض كانت

مخلوقه

مخلوقة غير مدحوة فلما خلق الله السماء دخانا بعد ذلك الارض وبسطها وانما جعل الله
تعالى السماء اولا دخانا ثم سموات طباقا ثم زينها بالمصابيح ليدل ذلك على انه سبحانه قادر
لنفسه لا يعجزه شيء عالم لذاته لا يخفى عليه شيء غني لا يحتاج وكل ما سواه يحتاج سبحانه وتعالى
فقضاهن اي صنعهن واحكمهن وفرغ من خلقهن سبع سموات في يومين يوم الخميس
ويوم الجمعة قال السدي انما سمي جمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض واوحى
في كل سماء امرها اي خلق فيها ما اراده من ملك وغيره عن السدي وقتادة وقيل معناه
وامر في كل سماء بما اراد عن مقاتل وقيل اوحى الى اهل كل سماء من الملائكة ما امرهم به من العبادة
عن علي بن عيسى وزينا السماء الدنيا بمصابيح سمي الكواكب مصابيح لانه يقع الاهتداء بها كقوله
وبالنجم هم يهتدون وحفظا اي وحفظناها من استماع الشياطين قيل بالكواكب حفظا
ذلك الذي ذكر تقدير العزيز في ملكه لا يمتنع عليه شيء العليم بمصالح خلقه لا يخفى عليه شيء
ثم عقب سبحانه دلائل التوحيد بذكر الوعيد لاهل الشرك والجحود من العبيد فقال
فان اعرضوا عن الايمان بك بعد هذا البيان فقل يا محمد لهم مخوفا اياهم انذرتكم صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود اي استعدوا للعذاب فقد خوفتكم عذابا مثل عذاب عاد
وثمود لما اعرضوا عن الايمان والصاعقة المهلكة من كل شيء وهي في العرف اسم النار
التي تنزل من السماء فتحرق اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم اذ متعلقه
بقوله صاعقة والتقدير نزلت بهم حين اتتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم عن ابن عباس
يعني به الرسل الذين جاؤوا اباهم والرسل الذين جاؤوهم في انفسهم لانهم كانوا
خلف من جاء اباهم من الرسل فيكون الهاء والميم في من خلفهم للرسل وقيل معناه
ان منهم من تقدم زمانهم ومنهم من تاخر قال البلخي ويجوز ان يكون المراد انهم اتتهم
اخبار الرسل من ههنا ومن ههنا الا تعبدوا اي ارسلناهم بان لا يعبدوا الا الله
وحده ولا يشركوا بعبادته غيره قالوا اي فقال المشركون عند ذلك لو شاء ربنا ان نؤمن
بالله ونخلع الانداد لانزل ملائكة تدعونا الى ذلك ولم يبعث بشرا مثلنا وكانهم انفوا
من الانقياد لبشر مثلهم وجهلوا ان الله تعالى بعث الانبياء على حسب ما يعلم من مصالح عباده

ويعلم من يصلح للقيام باعباء النبوة فانا بما ارسلتم به كافرون اى اظهروا الكفر والجحد
ثم فصل سبحانه اخبارهم فقال فاما عاد فاستكبروا اى تجبروا وعتوا فى الارض تكبروا
على اهلها بغير الحق اى بغير حق جعله الله لهم بل للكفر المحض والظلم الصراح وقالوا
من اشد منا قوة اغتروا بقوتهم بما اهددهم هود بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفعه
بفضل قوتنا اذ لا احد اشد منا فقال الله سبحانه ردا عليهم اولم يروا ان الله الذى
خلقهم هو اشد منهم قوة اى اولم يعلموا ان الله الذى خلقهم وخلق فيهم هذه القوة
اعظم اقتدارا منهم فلو شاء اهلكهم وكانوا باياتنا يجحدون ينكرونها ولا يعترفون
بها قوله عز وجل فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ
فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ
فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ وَيَوْمَ نَحْشُرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ
حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
خمس ايات القراءة قرأ ابو جعفر وابن عامر واهل الكوفة نحسات بكسر الحاء والباقون
نحسات بسكونها وقرأ نافع ويعقوب نحشر بالنون اعداء الله بالنصب والباقون
يحشر بالياء على ما لم يسم فاعله اعداء الله بالرفع الحجة قال ابو على النحس كلمة يكون
على ضربين احدهما ان يكون اسما والاخر ان يكون وصفا فمما جاء فيه اسما مصدرا قوله
فى يوم نحس مستمر فالاضافة اليه تدل على انه اسم ليس بوصف لان الوصف لا يضاف
اليه الموصوف قال المفسرون فى نحسات قولين احدهما الشديدة البرد والاخر
انها المشومة عليهم فتقدير قوله فى يوم نحس فى يوم مشوم وقالوا يوم نحس ويوم نحس
فمن اضاف كان مثل ما فى التنزيل ومن اجراه على الاول احتمل امرين احدهما ان يكون
وصفا مثل فسل ورذل والاخر ان يكون مصدرا وصف به نحو رجل عدل فمن قرأ
فى ايام نحسات فاسكن الحاء اسكنها لانه صفة مثل عبلات وصعبات ويجوز ان يكون
جمع المصدر وتركه على اسكانه فى الجمع كما قالوا نوره وعدله قال ابو الحسن لم اسمع

فى النحس الاسكان

فى النحس الاسكان وقال ابو عبيدة نحسات ذوات نحس فيمكن ان يكون من كسر العين
جعله صفة من باب فرق ونزق وجمع على ذلك ومن قرأ نحشر اعداء الله فحجته انه عطف
على قوله ونجينا ويقويه قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ومن قرأ يحشر فبنى
الفعل للمفعول به يقويه قوله فهم يوزعون وكلا الامرين حسن اللغة اشتقاق الصرصر
من الصر وضوعف اللفظ اشعارا بمضاعفة المعنى يقال صر يصر صريرا وصرصر
يصرصر صرصرة وريح صرصر اى شديد الصوت واصله صرر ثم قلب الراء صادا كما قيل
نهنهه وكفكفه وكففه قال النابغة شعر اكفكف عبرة غلبت عزائى اذا نهنهتها
عادت ذباحا الخزى الهوان الذى يستحيى من مثله خوفا من الفضيحة والهون الهوان
والوزع المنع والكف ومنه قول الحسن لا بد للناس من وزعة الاعراب قوله ويوم نحشر
انتصب الظرف بدلا لقوله فهم يوزعون لان يوما بمنزلة اذا ولا ينتصب بقوله ونجينا
الذين امنوا لانه ماض وقوله يوم نحشر مستقبل فلا يعمل فيه الماضى المعنى ثم اخبر سبحانه
عن هلاكهم بقوله فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اى عاصفا شديدة الصوت من الصرة
وهى الصيحة وقيل هى الباردة من الصر وهو البرد عن ابن عباس وقتادة قال الفراء هى
الباردة تحرق كما تحرق النار فى ايام نحسات اى نكدات مشومات ذوات نحوس عن مجاهد
وقتادة والسدى والنحس سبب الشر والسعد سبب الخير وبذلك سميت سعود النجوم ونحوسها
وقيل نحسات ذوات غبار وتراب حتى لا يكاد يبصر بعضهم بعضا عن الجبائى وقيل
نحسات باردات والعرب تسمى البرد نحسا عن ابى مسلم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا
اى فعلنا ذلك بهم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا اى الهوان والذل وهو
العذاب الذى يخزون فى الدنيا فيوقنوا بقوة معذبهم وقدرته عليهم ويظهر ذلك
لمن راى حالهم ولعذاب الاخرة اخزى وافضح من ذلك وهم لا ينصرون اى لا يدفع عنهم
العذاب الذى ينزل بهم ثم ذكر قصة ثمود فقال واما ثمود فهديناهم اى بينا لهم سبيل
الخير والشر عن قتادة وقيل دللناهم وبينا لهم الحق عن ابن عباس والسدى وابن زيد
فاستحبوا العمى على الهدى اى فاختاروا العمى فى الدين على قبول الهدى وبئس الاختيار ذلك عن الحسن

وقيل اختاروا الكفر على الايمان عن ابن زيد والفرا فاخذتهم صاعقة العذاب الهون اى ذى
الهون وهو الذى يهينهم ويخزيهم وقد قيل ان كل عذاب صاعقه لان كل من يسمعها يصعق
لها بما كانوا يكسبون من تكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة ونجينا الذين امنوا وكانوا
يتقون الشرك اى ونجينا صالحا ومن امن به من العذاب ثم اخبر عن احوال الكفار
يوم القيمة فقال ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون اى يحبس اولهم على اخرهم
ليتلاحقوا ولا يتفرقوا والمعنى اذا حشروا وقفوا حتى اذا جاؤها اى جاءوا النار التى حشروا
اليها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون اى تشهد عليهم سمعهم بما قرعه
من الدعاء الى الحق فاعرضوا عنه ولم يقبلوه وابصارهم لما راوا من الايات الدالة
على وحدانية الله فلم يومنوا وساير جلودهم بما باشروه من المعاصى والاعمال القبيحة وقيل
فى شهادة الجوارح قولان احدهما ان الله تعالى يبينها بنية الحى ويلجئها الى الاعتراف والشهادة
بما فعله اصحابها والاخر ان الله تعالى يفعل فيها الشهادة وانما اضاف الشهادة اليها
مجازا وقيل فى ذلك ايضا وجه ثالث وهو انه يظهر فيه امارات دالة على كون اصحابها
مستحقين للنار فسمى ذلك شهادة مجازا كما يقال عيناك تشهدان بسهرك وقيل اراد
بالجلود هنا الفروج على طريق الكناية عن ابن عباس والمفسرين قوله عز وجل وقالوا لجلودهم
لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللّٰهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا
جُلُودُكُمْ وَلٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللّٰهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ
بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا
فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ
خمس آيات القراة فى الشواذ قراة الحسن وعمرو بن عبيد ان يستعتبوا بضم الياء
وفتح الياء فما هم من المعتبين بكسر التاء الحجة قال ابن جنى معناه لو استعطفوا
لما عطفوا لانه لا غناء عندهم ولا خير للغة الانطاق جعل القادر على الكلام ينطق اما

بالالجاء

بالالجاء الى النطق او الدعاء اليه والنطق ادارة اللسان فى الفم بالكلام ولذلك لا يوصف
سبحانه بانه ناطق وان وصف بانه متكلم والارداء الاهلاك يقال ارداه فردى يردى فهو ردى
قال الاعشى افى الطوف خفت على الردى فكم من ردا اهله لم يرم والاستعتاب طلب العتبى
وهى الرضى وهو الاسترضاء والاعتاب الارضاء واصل العتاب عند العرب استصلاح الجلد
باعادته فى الدباغ ثم استعير فيما يستعطف به البعض بعضا لاعادته ما كان من الالفة
واصل التقييض التبديل ومنه المقايضة وهى مبادلة مال بمال قال الشماخ شعر تذكرت
لما اثقل الدين كاهلى وعاب بزيد ما اردت تعذرا : رجالا مضوا منى فلست مقايضا
بهم ابدا من ساير الناس معشرا الاعراب ذلكم ظنكم ذلكم مبتداء وظنكم خبره وارداكم
خبر بعد خبر وان اضمرت قد فجعلته حالا جاز اى ذلكم ظنكم مرديا اياكم ويجوز
ان يكون ذلكم مبتداء وظنكم بدلا منه وارداكم خبرا لمبتداء المعنى ثم حكى سبحانه
عنهم بقوله وقالوا يعنى الكفار لجلودهم لم شهدتم علينا اى يعاتبون اعضاءهم
فيقولون لها لم شهدتم علينا قالوا اى فيقول جلودهم فى جوابهم انطقنا الله
الذى انطق كل شئ اى مما ينطق والمعنى اعطانا الله النطق والقدرة على النطق وتم
الكلام ثم قال الله تعالى وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون فى الاخرة الى حيث لا يملك
احد الامر والنهى سواه تعالى وليس هذا من جواب الجلود وما كنتم تستترون ان تشهد
اى من ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم معناه وما كنتم تستخفون
اى لم يكن يتهيا لكم ان تستروا اعمالكم عن هذه الاعضاء لانكم كنتم بها تعملون
فجعلها الله شاهدة عليكم فى القيمة وقيل معناه وما كنتم تتركون المعاصى حذرا
ان يشهد عليكم جوارحكم بها لانكم ما كنتم تظنون ذلك ولكن ظننتم ان الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون لجهلكم بالله تعالى فهان عليكم ارتكاب المعاصى لذلك
وروى عن ابن مسعود انها نزلت فى ثلثة نفر تساروا وقالوا ترى الله يسمع سرارنا
ويجوز ان يكون المعنى انكم عملتم عمل من ظن ان عمله يخفى الله كما يقال اهلكت نفسى
اى عملت عمل من اهلك النفس وقيل ان الكفار كانوا يقولون ان الله لا يعلم ما فى انفسنا

ولكنه يعلم ما يظهر عن ابن عباس وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم ذلكم مبتدأ
وظنكم خبره وارداكم خبر ثان ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم ويكون المعنى وظنكم
الذي ظننتم بربكم انه لا يعلم كثيرا مما تعملون اهلككم اذ هون عليكم امر المعاصي
وادى بكم الى الكفر فاصبحتم من الخاسرين فظللتم من جملة من خسرت تجارته لانكم
خسرتم الجنة وحصلتم في النار قال الصادق عليه السلام ينبغي للمؤمن ان يخاف الله خوفا
كانه مشرف على النار ويرجوه رجاء كانه من اهل الجنة ان الله تعالى يقول وذلكم ظنكم
الذي ظننتم بربكم الاية ثم قال ان الله عند ظن عبده ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم
اخبر سبحانه عن حالهم فقال فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي فان يصبر هؤلاء على النار
والامها وليس المراد به الصبر المحمود ولكنه الامساك عن اظهار الشكوى وعن الاستغاثة
فالنار مسكن لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي وان يطلبوا العتبى وسالوا
الله تعالى ان يرضى عنهم فليس لهم طريق الى الاعتاب فما هم ممن يقبل عذرهم ويرضى عنهم
وتقدير الاية انهم ان صبروا وسكتوا وجزعوا فالنار مأواهم كما قال سبحانه اصلوها
فاصبروا ولا تصبروا سواء عليكم والمعتب هو الذي يقبل عتابه ويجاب الى ما سال
وقيل معناه وان يستغيثوا فما هم من المغاثين وقيضنا لهم قرناء اي هيأنا لهم قرناء من
الشياطين عن مقاتل وقيل معناه بدلناهم قرناء سوء من الجن والانس مكان قرناء الصدق
الذين امروا بمقارنتهم فلم يفعلوا بين الله سبحانه انه انما فعل ذلك عقوبة لهم على مخالفتهم
ونظيره ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقيل معناه خلينا
بينهم وبين قرناء السوء بما استوجبوه من الخذلان عن الحسن فزينوا لهم ما بين ايديهم
وما خلفهم اي زينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا حتى آثروه وعملوا له وما خلفهم
من امر الاخرة فقالوا لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب وما خلفهم من امر الدنيا
وجمع الاموال وتركها لنفعه في وجوه البر عن الفراء وقيل ما بين ايديهم ما قدموه
من افعالهم السيئة حتى ارتكبوها وما خلفهم ما سنوه لغيرهم ممن ياتي بعدهم
وحق عليهم القول اي وجب عليهم الوعيد والعذاب في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس

اي صاروا

اي صاروا في امم امثالهم كذبوا كتكذيبهم قد مضوا قبلهم وجب عليهم العذاب بعصيانهم
ثم قال سبحانه انهم كانوا خاسرين خسروا الجنة ونعيمها قوله عز وجل وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ فَلَنُذِيقَنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ جَزَاءُ
أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا
لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ
أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ خمس آيات اللغة
اللغو هو الكلام الذي لا معنى له يستفاد والغاء الكلمة اسقاط عملها يقال لغى
يلغى ويلغو لغوا ولغي يلغى لغا قال عن اللغا ورفث التكلم الاعراب ذلك مبتدأ وجزاء
اعداء الله خبره والنار بدل من قوله جزاء اعداء الله ويجوز ان يكون النار
تفسيرا كانه قيل ما هو فقيل يقول النار قال الزجاج قوله لهم فيها دار الخلد اي لهم
في النار دار الخلد والنار هي الدار كما يقول لك في هذه الدار دار السرور وانت
تعني الدار بعينها كما قال الشاعر شعر اخو رغائب يعطيها ويسألها يابى الظلامة منه
النوفل الزفر فيكون ذلك من باب التجريد وموضع ان لا تخافوا نصب تقديره تتنزل
عليهم الملائكة بان لا تخافوا فلما حذف الباء وصل الفعل فنصبه المعنى ثم عطف
سبحانه على ما تقدم من ذكر الكفار فقال وقال الذين كفروا اي قال رؤساؤهم لاتباعهم
او قال بعضهم لبعض يعني كفار قريش لا تسمعوا لهذا القرآن الذي يقرأه محمد ولا تصغوا
اليه والغوا فيه اي عارضوه باللغو والباطل وبما لا يعتد به من الكلام لعلكم تغلبون
اي لتغلبوه باللغو ولا يتمكن اصحابه من الاستماع وقيل الغوا فيه بالتخليط في القول والمكاء
والصفير عن مجاهد وقيل معناه ارفعوا اصواتكم في وجهه بالشعر والرجز عن ابن
عباس والسدي لما عجزوا عن معارضة القرآن احتالوا في اللبس على غيرهم وتواصوا بترك
استماعه والالغاء عند قراءته ثم اوعدهم الله سبحانه فقال فلنذيقن الذين كفروا عذابا

عليهم صح

شديدًا في الدنيا بالاسر والقتل يوم بدر وقيل في الآخرة ولنجزينهم اسوء الذي
كانوا يعملون اي نجازيهم باقبح الجزاآت على اقبح معاصيهم وهو الكفر والشرك
وخص الاسوء بالذكر للمبالغة في الزجر وقيل معناه لنجزينهم باسوء اعمالهم
وهي المعاصي دون غيرها مما لا يستحق به العذاب ذلك يعني ما تقدم الوعيد
به جزاء اعداء الله الذين عادوه بالعصيان والكفر وعادوا اولياءه من الانبياء
والمؤمنين النار اي وهي النار ولكون فيها لهم فيها دار الخلد اي منزل
الدوام والتابيد جزاء لهم وعقوبة بما كانوا بآياتنا يجحدون يعني القرآن
يجحدون ما بهر من عند الله عز وقال الذين كفروا اي وسيقول الكفار في النار
ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس يعنون ابليس الابالسة وقابيل بن آدم
اول من ابدع المعصية روي ذلك عن علي عليه السلم وقيل المراد بذلك كل من دعا
الى الكفر والضلال من الجن والانس والمراد باللذين جنس الجن والانس كما في قوله
واللذان يأتيانها منكم نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين تمنوا لشدة
عداوتهم لهم وبغضهم اياهم بما اضلوهم واغووهم ان يجعلوهم تحت اقدامهم في
الدرك الاسفل من النار وقيل ان المراد به ندوسهما ونطاؤهما باقدامنا
اذلالا لهما ليكونا من الاذلين قال ابن عباس ليكونا اشد عذابا منا ولما ذكر
سبحانه وعيد الكفار عقبه بذكر الوعد للمؤمنين الابرار فقال ان الذين قالوا
ربنا الله اي وحدوا الله تعالى بلسانهم واعترفوا به وصدقوا انبياءه ثم استقاموا
اي استمروا على ان الله ربهم وحده لم يشركوا به شيئا عن مجاهد وقيل معناه ثم
استقاموا على طاعته واداء فرايضه عن ابن عباس والحسن وقتاده وابن زيد وقيل
ثم استقاموا في افعالهم كما استقاموا في اقوالهم وقيل ثم استقاموا على توجيه
الربوبية عن عبادته عن ابي مسلم وروى عن انس قال قرا علينا رسول الله صلى الله
عليه وآله هذه الاية ثم قال قد قالها ناس ثم كفر اكثرهم فمن قالها حتى يموت فهو
ممن استقام عليها وروى محمد بن الفضيل قال سألت ابا الحسن الرضا عليه السلم عن الاستقامة

فقال هي

فقال هي والله ما انتم عليه تتنزل عليهم الملائكة يعني عند الموت عن مجاهد والسدي
وروي ذلك عن ابي عبد الله عليه السلم وقيل تستقبلهم الملائكة اذا خرجوا من قبورهم
في الموقف بالبشارة من الله عن الحسن وثابت وقتاده وقيل في القيمة عن الجبائي وابي مسلم
وقيل ان البشرى يكون في ثلثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث عن وكيع بن
الجراح ان لا تخافوا ولا تحزنوا اي يقولون لهم لا تخافوا عقاب الله ولا تحزنوا لفوت الثواب
وقيل لا تخافوا مما امامكم من امور الآخرة ولا تحزنوا على ما وراءكم وعلى ما خلفتم من اهل وولد
عن عكرمة ومجاهد وقيل لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم عن عطا بن ابي رباح
وقيل ان الخوف يتناول المستقبل والحزن يتناول الماضي فكان المعنى لا تخافوا فيما
يستقبل من الاوقات ولا تحزنوا على ما مضى وهذا نهاية المطلوب وابشروا بالجنة
التي كنتم توعدون بها في دار الدنيا على السنة الانبياء قوله عز وجل نحن اولياؤكم
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون
نزلا من غفور رحيم ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من
المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها
الا ذو حظ عظيم خمس آيات الاعراب نزلا نصب على المصدر وتقديره انزلكم ربكم فيما
تشتهون نزلا ويجوز ان يكون نصبا على الحال وتقديره ولكم فيها ما تشتهي انفسكم
منزلا نزلا كما يقال جاء زيد مشيا اي ماشيا والقولان جميعا يرجعان الى كونه مصدرا
وقال ابو علي نزلا يحتمل ضربين احدهما ان يكون جمع نازل كما في قوله ان تركبوا
فركوب الخيل عادتنا اي تنزلون فانا معشر نزل ويكون حالا من الضمير في تدعون
اي ما تدعون من غفور رحيم نازلين والآخر ان يراد به القوت الذي يقام
للنازل والضيف فيكون حالا من ما تدعون نزلا من غفور رحيم صفة نزل
وفيه ضمير يعود اليه وقولا نصب على التفسير وقوله ولا السيئة لا هنا زائدة
موكدة لتبعد المساواة المعنى ثم حكى سبحانه ان الملائكة تقول للمؤمنين الذين

استقاموا بعد البشارة نحن اولياؤكم اى نحن معاشر الملائكة انصاركم واحباؤكم
فى الحيوة الدنيا نتولى ايصال الخيرات اليكم من قبل الله تعالى وفى الاخرة فلا نفارقكم
حتى ندخلكم الجنة عن مجاهد وقيل كنا نتولى حفظكم فى الدنيا بانواع المعونة وفى الاخرة
نتولاكم بانواع الاكرام والمثوبة وقيل نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا اى نحرسكم
فى الدنيا وعند الموت وفى الاخرة عن ابى جعفر ع ولكم فيها اى فى الاخرة ما تشتهى
انفسكم من الملاذ وتتمنون من المنافع ولكم فيها ما تدعون انه لكم فان الله
سبحانه يحكم لكم بذلك وقيل ان المراد بقوله ما تشتهى انفسكم البقاء لانهم كانوا
يشتهون البقاء فى الدنيا اى لكم فيها ما كنتم تشتهونه من البقا ولكم فيها
ما كنتم تتمنونه من النعيم عن ابن زيد نزلا من غفور رحيم معناه ان هذا الموعود به
من جلالته فى نفسه له جلالة بمعطيه اذ هو عطا لكم ورزق يجرى عليكم ممن يغفر
الذنوب ويستر العيوب رحمة منه بعباده فهو اهناء لكم واكمل لسروركم قال الحسن
ارادوا ان جميع ذلك من الله وليس منا وفى هذه الاية بشارة للمؤمنين بمودة الملائكة
لهم وفيها بشارة بنيل مشتهياتهم فى الجنة وفيها دلالة على ان الملائكة تتردد الى
من كان مستقيما على الطاعات وعلى شرف الاستقامة ايضا تتولى الملائكة صاحبها
من اجلها ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل عملا صالحا صورته صورة الاستفهام
والمراد به النفى تقديره وليس احد احسن قولا ممن دعا الى طاعة الله واضاف الى ذلك
ان يعمل الاعمال الصالحة وقال اننى من المسلمين اى ويقول مع ذلك اننى من المسلمين
لامر الله المنقادين لطاعته وقيل معناه ويقول اننى من جملة المسلمين كما قال ابرهيم
وانا اول المسلمين وهذا الداعى هو رسول الله صلى الله عليه واله عن الحسن وابن زيد
والسدى وقيل هو وجميع الائمة الدعاة الهداة الى الحق عن مقاتل وجماعة من المفسرين
وقيل هم المؤذنون عن عايشة وعكرمة وفى هذه الاية رد على من قال انا مؤمن
ان شاء الله لانه مدح من قال اننى من المسلمين من غير ان يقرنه بالمشية وفى هذه
الاية دلالة على ان الدعا الى الدين من اعظم الطاعات واجل الواجبات فيها و

دلالة

دلالة على ان الداعى يجب ان يكون عاملا بعلمه ليكون الناس الى القبول منه اقرب واليه اسكن
ثم قال سبحانه ولا تستوى الحسنة ولا السيئة قيل معناه لا تستوى الملة الحسنة التى
هى الاسلام والملة السيئة التى هى الكفر وقيل لا يستوى الاعمال الحسنة ولا الاعمال القبيحة
وقيل لا تستوى الخصلة الحسنة والسيئة فلا يستوى الصبر والغضب والحلم والجهل والمداراة
والغلظة والعفو والاساءة ثم بين سبحانه ما يلزم الداعى من الرفق بالمدعو فقال ادفع بالتى
هى احسن خاطب النبى صلى الله عليه واله فقال ادفع بحقك باطلهم وبحلمك جهلهم وبعفوك اساءتهم
فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم معناه فانك اذا دفعت خصومك بلين
ورفق ومداراة صار عدوك الذى يعاديك فى الدين بصورة وليك القريب فكانه
وليك فى الدين وحميمك فى النسب وروى عن ابى عبد الله ع ان الحسنة التقية والسيئة
الاذاعة وما يلقاها اى وما يلقى هذه الفعلة وهذه الحالة التى هى دفع السيئة بالحسنة
الا الذين صبروا على كظم الغيظ واحتمال المكروه وقيل الا الذين صبروا فى الدنيا
على الاذى عن ابى عبد الله ع وما يلقاها اى وما يلقى هذه الخصلة المذكورة ولا يؤتاها
الا ذو حظ عظيم اى ذو نصيب وافر من الراى والعقل وقيل الا ذو نصيب عظيم من الثواب
والخير وقيل الحظ العظيم الجنة عن قتادة وما يلقاها الا من وجبت له الجنة وروى عن ابى
عبد الله ع وما يلقاها الا كل ذى حظ عظيم النظم اتصل قوله ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله الاية بما قبله من قوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه الاية
فكانه قال الا تتعجبون من اعراض الكفار عن استماع القران وتواصيهم فيما بينهم
باللغو فى قراءته ولا قائل احسن قولا من محمد يدعوكم الى من تقرون انه خالقكم ثم انه
قد عمل فى دينه بما قد دعاكم اليه فانتفت عنه التهمة من جميع الوجوه قوله عز وجل
وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَمِنْ آيَاتِهِ
اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا

الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير ان الذين
يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير ام من ياتي امنا يوم القيمة
اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه
لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد سبع ايات
اللغة النزغ النخس بما يدعوا الى الفساد يقال نزغ ينزغ وفلان ينزغ فلانا بنخسه
بما يدعوه الى خلاف الصواب والحد مال عن الحق ويقال الحد يلحد ايضا بمعناه وسمى القران
ذكرا لانه ذكر فيه الدلايل والاحكام الاعراب واما ينزغنك هي ان التي للجزاء زيد عليها
ما تاكيدا فاشبه لذلك القسم فلذلك دخل الفعل نون التاكيد ان الذين كفروا بالذكر
لم يذكر لان خبرا والتقدير ان الذين كفروا بالذكر معذبون فحذف الخبر ويجوز ان يكون
الخبر اولئك ينادون من مكان بعيد المعنى ثم امر نبيه صلى الله عليه وآله ان يستعيذ
بالله اذا صرفه الشيطان عن الاحتمال فقال واما ينزغنك من الشيطان نزغ معناه
ان ما يدعونك نزغ من الشيطان بالوسوسة فاستعذ بالله اي فاطلب الاعتصام
من شره بالله انه هو السميع العليم الاية مفسرة في سورة الاعراف ثم ذكر
سبحانه دلالات التوحيد فقال ومن اياته اي حججه الداله على وحدانيته
وادلته على صفاته التي باين بها جميع خلقه الليل بذهاب الشمس عن بسيط
الارض والنهار بطلوعها على وجهها وتقديرها على وجه مستقر وتدبيرها
على نظام مستمر والشمس والقمر وما اختصا به من النور وظهر فيهما من التدبير
في التسيير والتصريف في فلك التدبير لا تسجدوا للشمس ولا للقمر وان كان فيهما
منافع كثيرة لانهما ليسا بخالقين واسجدوا لله الذي خلقهن وانشاهن وانما قال
خلقهن لوجهين احدهما ان ضمير غير ما يعقل على لفظ التانيث تقول هذه كباش
سقتها وان شئت قلت سقتهن والاخر ان الضمير يرجع الى معنى الايات لانه قال
ومن اياته هذه الاشيا واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون اي ان كنتم
يقصدون بعبادتكم الله كما تزعمون واسجدوا له دون غيره قال فان استكبروا

عن توجيه

عن توجيه العبادة الى الله وحده فالذين عند ربك وهم الملائكة يسبحون له بالليل
والنهار وهم لا يسامون اي لا يملون ولا يفترون وهو مفسر في اخر الاعراف والمروي عن ابن
عباس وقتاده وابن المسيب ان موضع السجود عند قوله وهم لا يسامون وعن ابن مسعود
والحسن عند قوله ان كنتم اياه تعبدون وهو اختيار ابي عمرو بن العلا وهو المروي عن
ائمتنا عليهم السلام ومن اياته اي ومن ادلته الداله على ربوبيته انك ترى الارض خاشعة
اي غبراء دارسة متهشمة عن قتاده والسدي ان كان ظاهرها حال الخاضع المتواضع وقيل
مسيته بالسنة لا نبات فيها قال الازهري اذا يبست الارض ولم تمطر قيل قد خشعت
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت اي تحركت بالنبات وربت بكثرة ريعها عن الكلبي ان الذي
احياها اي احيى الارض بما انزله من المطر لمحيي الموتى في الاخرة ستدل ذلك انه على كل شيء
قدير ظاهر المعنى الذين يلحدون في اياتنا اي ان الذين يميلون عن الايمان باياتنا
لا يخفون علينا باشخاصهم واقوالهم وافعالهم وهذا وعيد عن قتاده وابن زيد
والسدي وقد قيل ان معنى الالحاد في ايات الله هو ما كانوا يفعلونه من المكاء والصفير
عن مجاهد وقيل هو تبديلهم ذلك ووضعه في غير موضعه عن ابن عباس قال ابن عباس
المراد بالايات هنا دلالات التوحيد والالحاد فيها الانحراف عنها وترك الاستدلال بها
ثم قال سبحانه على وجه الانكار عليهم والتهجين لفعلهم والتهديد لهم افمن يلقى في النار
خير وهم الملحدون ام من ياتي يوم القيمة من عذاب الله وهم المومنون المطيعون
وهذا استفهام تقرير معناه انهما لا يستويان وقيل ان الذي يلقى في النار ابو جهل
والذي ياتي امنا يوم القيمة رسول الله صلى الله عليه وآله عن مقاتل وقيل هو عمار
بن ياسر عن عكرمة والصحيح ان الاية على العموم والمراد بهما المومن والكافر ثم قال
سبحانه اعملوا ما شئتم لفظه لفظ الامر ومعناه الوعيد والتهديد اي فاذا علمتم
انهما لا يستويان فليختر كل واحد منكم لنفسه ما شاء من الامرين فان العاقل لا يختار
الالقاء في النار واذا لم يختر ذلك فلا بد ان يومن بالايات ولا يلحد فيها انه بما تعملون
اي باعمالكم بصير عالم لا يخفى عليه شيء منها ثم اضرب سبحانه عنهم مهجنا لهم فقال ان

الذين كفروا بالذكر الذي هو القران وجحدوه لما جاءهم اي حين جاءهم ثم اخذ سبحانه
في وصف الذكر وترك خبر ان على تقدير ان الذين كفروا بالذكر يجادون بكفرهم
ونحو ذلك وقيل ان خبره اولئك ينادون من مكان بعيد عن ابي عمرو بن العلا
وقيل ان قوله وانه لكتاب عزيز في موضع الخبر والتقدير الكتاب الذي جاءهم عزيز
اما قوله وانه فالها تعود الى القران الذي هو الذكر والمعنى وان الذكر لكتاب عزيز
بانه لا يقدر احد من العباد على ان ياتي بمثله وقيل انه عزيز باعزاز الله عز وجل
اياه اذ حفظه من التغيير والتبديل وقيل هو عزيز اذ جعله الله تعالى على اتم صفات
الاحكام وقيل عزيز بانه يجب ان يعز ويجل بالاشتغال الى ما فيه وترك الاعراض عنه وقيل
عزيز اي كريم على الله عز وجل عن ابن عباس لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
قيل فيه اقوال احدها ان الباطل الشيطان ومعناه لا يقدر الشيطان ان ينقص منه
حقا او يزيد فيه باطلا عن قتادة والسدي وثانيها لا ياتيه ما يبطله من بين يديه
اي من الكتب التي قبله ولا من بعده اي لا يجي من بعده كتب تبطله اي تنسخه عن ابن
عباس والكلبي ومقاتل وثالثها معناه انه ليس في اخباره عما مضى باطل ولا في اخباره عما يكون
في المستقبل باطل بل اخباره كلها موافقة لمخبراتها وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلم ورابعها لا ياتيه الباطل من اول تنزيله ولا من اخره عن الحسن وخامسها لا ياتيه الباطل
من جهة من الجهات فلا تناقض في الفاظه ولا كذب في اخباره ولا تعارض ولا يزاد فيه ولا يغير
بل هو محفوظ حجة على المكلفين الى يوم القيمة ويؤيده قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
تنزيل من حكيم اي هو تنزيل من عالم بوجوه الحكم حميد مستحق للحمد على خلقه بالانعام عليهم
بالقرآن من اعظم نعمه فاستحق به الحمد والشكر قوله عز وجل مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا
أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَ
شِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ
بَعِيدٍ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ

وانهم لفي شك

وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ثلث آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير حفص أأعجمي بهمزتين وقرا
هشام عن ابن عامر بهمزة واحدة وقرا الباقون بهمزة واحدة ممدودة الحجة قال
ابو علي الاعجمي الذي لا يفصح من العرب كان او من العجم قالوا زياد الاعجم لانه كانت في لسانه
وكان عربيا وقالوا صلوة النهار عجماء اي لا يخفى فيها القراءة ولا تبين ويجمع الاعجم
على عجم انشد ابو زيد بقول الخنا وابغض العجم ناطقا الى ربنا صوت الحمار اليجدع
اي ابغض صوت العجم صوت الحمار وتسمي العرب من لم يبين كلامه من اي صنف كان
من الناس اعجم ومنه قول ابن الاحنف شعر سلوم لو اصبحت وسط الاعجم بالروم
او بالترك او بالديلم فقال لو كنت وسط الاعجم ولم يقل وسط العجم لانه جعل كل من لم
يبين كلامه اعجم فكانه قال وسط القبيل الاعجم والعجم بخلاف العرب والعجمي خلاف العربي
منسوب الى العجم وانما قوبل الاعجمي بالعربي في الاية وخلاف العربي العجمي لان الاعجمي في انه
لا تبين مثل العجمي عندهم من حيث اجتمعا في انهما لا يبينان قوبل به العربي في قوله
اعجمي وعربي وينبغي ان يكون الاعجمي الياء فيه للنسب الى الاعجم الذي لا يفصح وهو في المعنى
كالعجمي وان كانا مختلفين في النسبة فيكون الاعجمي عربيا ويجوز ان يقال للرجل اعجمي
فيراد به ما يراد به باعجم بغير ياء النسب كما يقال احمر واحمري ودوار ودوداري
وقوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين مما جمع على ارادة ياء النسب فيه مثل قولهم النميرون
وذلك لم يجز جمعه بالواو والنون الا ترى انك لا تقول في الاحمر اذا كان صفة
احمرون فانما جاز الاعجمون لما ذكرنا فان الاعاجم فينبغي ان يكون تكسير اعجمي
كما كان المسامعة تكسير مسمعي وقد استعمل هذا الوصف استعمال الاسماء فمن ذلك
قوله مصرع خرق يمانية لاعجم طمطم فيجوز ان يكون من باب الاجادع والاباطح واما
قوله ههنا اعجمي وعربي فالمعنى المنزل اعجمي والمنزل عليه عربي فقوله اعجمي وعربي يرتفع
كل واحد منهما بانه خبر مبتدا محذوف في هذه الاية في المعنى كقوله ولو نزلناه على
بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين المعنى ثم عزى سبحانه نبيه على
تكذيبهم فقال ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي ما يقول هؤلاء الكفار

الا ما قد قيل للانبياء قبلك من التكذيب والجحد لنبوتهم عن قتاده والسدى والجبائى
وقيل معناه ما يقول الله لك الا قد قال للرسل من قبلك وهو الامر بالدعا الى
الحق فى عبادة الله ولزوم طاعته فهذا القران موافق لما قبله من الكتب وقيل معناه
ما حكاه تعالى بعده من ان ربك لذو مغفرة وذو عذاب اليم فيكون على جهة
الوعد والوعيد اى انه لذو مغفرة لمن امن بك وذو عقاب اليم لمن كذبك
ولو جعلناه قرانا اعجميا اى لو جعلنا هذا الكتاب الذى تقراه على الناس
بغير لغة العرب لقالوا لولا فصلت اياته اى هلا بينت بلسان العرب حتى تفهمه
اعجمى وعربى اى اكتاب اعجمى ونبى عربى وهذا استفهام على وجه الانكار والمعنى
انهم كانوا يقولون المنزل عليه عربى والمنزل اعجمى وكان ذلك اشد لتكذيبهم
فبين سبحانه انه انزل الكتاب بلغتهم وارسل الرسول من عشيرتهم ليكون ابلغ
فى الحجة واقطع للمعذرة قل يا محمد لهم هو اى القران للذين امنوا هدى من الضلالة
وشفاء من الاوجاع وقيل وشفا للقلوب من كل شك وريب وشبهة وسمى اليقين
شفا كما سمى الشك مرضا فى قوله فى قلوبهم مرض والذين لا يومنون فى اذانهم وقر
اى ثقل وصمم عن سماعه من حيث يثقل عليهم استماعه فلا ينتفعون به فكانهم صم عنه
وهو عليهم عمى عميت قلوبهم عنه وهو عليهم عمى عميت قلوبهم عنه عن السدى يعنى انهم لما ضلوا
عنه وحاروا عن تدبره فكانه عمى لهم اولئك ينادون من مكان بعيد اى انهم لا يسمعون
ولا يفهمون كما ان من دعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم وانما قال ذلك لبعد
افهامهم وشدة اعراضهم عنه وقيل لبعده عن قلوبهم عن مجاهد وقيل ينادى
الرجل منهم فى الاخرة باشنع اسمه عن الضحاك ولقد اتينا موسى الكتاب اى التورية
فاختلف فيه لانه امن به قوم وكذب به اخرون وهذا تسلية للنبى صلى الله عليه وآله
ايضا عن جحود قومه له وانكارهم نبوته ولولا كلمة سبقت من ربك فى تاخير العذاب
عن قومك وانه لا يعذبهم وانت فيهم لقضى بينهم اى لفرغ من عذابهم واستيصالهم
وقيل معناه لولا حكم سبق من ربك بتاخيرهم الى وقت انقضاء اجالهم لقضى بينهم قبل انقضاء

اجالهم

الجزء الخامس والعشرون

اجالهم فظهر المحق من المبطل وانهم لفى شك منه مريب اى وان قومك لفى شك مما ذكرنا
موقع لهم الريبة وهو اقطع الشك قوله عز وجل من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
وما ربك بظلام للعبيد اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من اكمامها
وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركاءى قالوا اذناك ما منا
من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسام الانسان
من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولئن اذقناه رحمة منا من بعد
ضراء مسته ليقولن هذا لى وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى
عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ خمس ايات
القراة قرا اهل المدينة والشام وحفص من ثمرات على الجمع والباقون من ثمرة على التوحيد
الحجة قال ابو على قوله من ثمرة اذا افرد ليدل على الكثرة فاستغنى به عن الجمع ويقوى الافراد
قوله وما تحمل من انثى ووجه من جمع ان الجمع صحيح وان المعنى على ذلك اللغة الاكمام
جمع كم وكم جمع كمة عن ابن خالويه وقيل هى جمع كمة عن ابى عبيدة وهى الكفرى وتكمم الرجل
فى ثوبه اذا تلفف به والايذان الاعلام المعنى ثم احتج سبحانه عليهم بان قال من عمل صالحا
فلنفسه اى من عمل طاعة فلنفسه لان ثواب ذلك واصل اليه ومنفعته يكون له دون
غيره ومن اساء فعليها اى من عمل معصية فعلى نفسه وبال ذلك وعقابه يلحقه
دون غيره وما ربك بظلام للعبيد وهذا على وجه المبالغة فى نفى الظلم عن نفسه للعبيد
وانما قال ذلك مع انه لا يظلم مثقال ذرة لامرين احدهما ان من فعل الظلم وان قل وهو عالم
بقبحه وبانه غنى عنه لكان ظلاما والاخر انه على طريق الجواب لمن زعم انه يظلم العباد
فيا خذا حدا بذنب غيره ويثيبه بطاعة غيره ثم بين سبحانه انه العالم بوقت القيمة
فقال اليه يرد علم الساعة التى يقع فيها الجزاء للمطيع والعاصى وهو يوم القيمة وما تخرج
من ثمرة من اكمامها اى وما يخرج ثمرة من اوعيتها وغلفها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
ولا تحمل انثى من حمل ذكرا كان او انثى ولا تضع انثى الا فى الوقت الذى علم سبحانه انها تحمل فيه
وتضع فيه فيعلم سبحانه قدر الثمار وكيفيتها واجزاها وطعومها وروايحها ويعلم

ما في بطون الحبالى وكيفية اشتقالها حالا بعد حال حتى يصير بشرا سويا ويوم يناديهم
اي ينادي الله المشركين اين شركائي الذين كنتم تزعمون قالوا اذناك ما منا من شهيد
اي يقولون اعلمناك ما منا شاهد بان لك شريكا يتبرؤن من ان يكون مع الله
شريك وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل اي ضل عنهم وذهب ما كانوا املوا من اصنامهم
وظنوا اي ايقنوا ما لهم من محيص اي من مهرب وملجاء دخل الظن على ما التي للنفي
كما يدخل على لام الابتداء وكلاهما به صدر الكلام والمعنى علموا ان لا مخلص لهم من
عذاب الله وقد يعبر بالظن عن التعيين فيما طريقه الخبر دون العيان ثم بين سبحانه
طريقهم في الدنيا فقال لا يسام الانسان من دعاء الخير قال الكلبي الانسان ههنا
يراد به الكافر اي لا يمل الكافر من دعائه الخير ولا يزال يسال ربه الخير الذي هو المال
والغنى والصحة والولد وان مسه الشر اي البلاء والشدة والفقر فيؤس قنوط اي فهو
يؤس شديد الياس من الخير قنوط من الرحمة وقيل يؤس من اجابة الدعاء
قنوط سيء الظن بربه ولئن اذقناه رحمة منا اي خيرا وعافية وغنى من بعد ضراء
مسته ليقولن هذا لي اي هذا بعملي وانا محقوق به عن مجاهد قال وكل هذا من اخلاق
الكافر وقيل معناه هذا لي دائما ابدا وما اظن الساعة قائمة اي كائنة على ما يقوله
المسلمون ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي لست على تعين من البعث
فان كان الامر على ذلك ورددت الى ربي ان لي عنده الحالة الحسنى والمنزلة الحسنى
وهي الجنة فيعطيني في الاخرة مثل ما اعطاني في الدنيا ثم هدد سبحانه من هذه صفته
بان قال فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي لنخبرنهم يوم القيمة بمساوي اعمالهم
عن ابن عباس ولنذيقنهم من عذاب غليظ اي شديد متراكم قوله عز وجل وَاِذَا
اَنْعَمْنَا عَلَى الْاِنْسَانِ اَعْرَضَ وَنَا بِجَانِبِهِ وَاِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ
قُلْ اَرَاَيْتُمْ اِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ اَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ
سَنُرِيهِمْ اٰيَاتِنَا فِي الْاٰفَاقِ وَفِي اَنْفُسِهِمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ اَنَّهُ الْحَقُّ اَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ
اَنَّهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ اَلَا اِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ اَلَا اِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ اربع ايات

المعنى ثم اخبر سبحانه عن جهل الانسان الذي تقدم وصفه بمواقع نعم الله سبحانه فقال
واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه اي بعد بجانبه كبرا وتجبرا
عن الاعتراف بنعم الله تعالى ومن قرأ ناء فانه مقلوب من نأى كما في قول الشاعر شعر
اقول وقد ناءت بها غربة النوى ۞ نوى خيتعور لا تشط ديارك ۞ واذا مسه
الشر اي الضر والفقر والمرض فذو دعاء عريض اي فهو ذو دعاء كثير عند ذلك
عن السدي وانما قال فذو دعاء عريض ولم يقل طويل لانه ابلغ فان العرض يدل
على الطول ولا يدل الطول على العرض اذ قد يصح طويل ولا عرض له ولا يصح عرض
ولا طول له لان العرض الانبساط في خلاف جهة الطول والطول الامتداد في اي جهة
كان وفي الاية دلالة على بطلان مذهب اهل الجبر القائلين بانه ليس لله على الكافر
نعمة فان الله سبحانه اخبر بانه ينعم على الكافر وانه يعرض من موجبها من الشكر
والمراد بالاية ان الكافر يسال ربه بالتضرع والدعاء ان يكشف ما به من الضر
والبلاء ويعرض عن الدعاء في الرخاء قل يا محمد ارايتم ان كان القران من عند الله
وقيل ان كان هذا الانعام من عند الله ثم كفرتم به وجحدتموه من اضل ممن هو
في شقاق بعيد اي في خلاف للحق بعيد عنه وهو انتم والشقاق والمشاقة الميل
الى شق العداوة اي فلا احد اضل منكم سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم اختلف
في معناه على اقوال احدها ان المعنى سنريهم حججنا ودلائلنا على التوحيد في افاق
العالم واقطار السماء والارض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والاشجار
والبحار والجبال وفي انفسهم وما فيها من لطائف الصنعة وبدائع الحكمة حتى
تبين لهم اي يظهر لهم انه الحق ان الله الحق عن عطا وابن زيد وثانيها ان معناه
سنريهم اياتنا ودلائلنا على صدق محمد وصحة نبوته في الافاق اي بما يفتح من القرى
عليه وعلى المسلمين في اقطار الارض وفي انفسهم يعني فتح مكة عن السدي والحسن ومجاهد
وقالوا هو ظهور محمد على الافاق وعلى مكة حتى يعرفوا ان ما اتى به من القران حق
ومن عند الله لانهم بذلك يعرفون انه مؤيد من قبل الله بعد ان كان واحدا لا ناصر

له وثالثها ان المراد بقوله في الآفاق وقايع الله بالامم وفي انفسهم وقعة يوم بدر عن قتاده
ورابعها ان معناه سنريهم اياتنا في الآفاق بصدق وما كان يخبرهم
به النبي صلى الله عليه وآله من الحوادث فيها وفي انفسهم يعني ما كان بمكة من
انشقاق القمر حتى يعلموا ان خبره حق من قبل الله تعالى وخامسها ان المراد بشئ يريهم
اثار من مضى قبلهم ممن كذب الرسل من الامم واثار خلق الله في كل البلاد وفي انفسهم
من انهم كانوا نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم كسيت لحما ثم نقلوا الى التميز
والعقل وذلك كله دليل على ان الذي فعله واحد ليس كمثله شئ عن الزجاج اولم يكف
بربك انه على كل شئ شهيد موضع قوله بربك دفع المعنى اولم يكف ربك وانه
على كل شئ شهيد في موضع دفع ايضا على البدل وان حملته على اللفظ فهو في موضع
جر والمفعول محذوف وتقديره اولم يكف شهادة ربك على كل شئ ومعنى الكفاية
ههنا انه سبحانه بين للناس ما فيه كفاية من الدلالة على توحيده وتصحيح نبوة رسوله
قال مقاتل معناه اولم يكف ربك شاهدا ان القران من الله وقيل معناه اولم يكف
ربك لانه على كل شئ شهيد اي عليم بالاشياء شاهد جميعها لا يغيب عنه شئ الا انهم في مرية
من لقاء ربهم الا كلمة تنبيه وتاكيد ان الكفار في شك من لقاء ثواب ربهم وعقابه
اي في شك من مجازاة ربهم وفي هذا تسفيههم في اضافة العبث الى الله تعالى الا انه
بكل شئ محيط اي احاط علمه بكل شئ فلا يخفى عليه شئ سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى
ايضا وهي مكية عن الحسن الا قوله والذين استجابوا والذين اذا اصابهم الى قوله لا يحب الظالمين
وعن ابن عباس وقتادة الا اربع آيات منها نزلن بالمدينة قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة
في القربى قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قال رجل والله ما انزل الله هذه الاية فانزل
الله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا ثم ان الرجل تاب وندم فنزل وهو الذي
يقبل التوبة عن عباده الى قوله لهم عذاب شديد عدد آيها ثلاث وخمسون آية كوفي
خمسون في الباقين اختلافها ثلث آيات حم وعسق كالاعلام ثلثهن كوفي فضلها
ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله ومن قرأ سورة حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة

ويستغفرون

ويستغفرون له ويسترحمون وروى سيف بن عميرة عن ابي عبد الله عليه السلام قال من قرأ
حم عسق بعثه الله يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر حتى يقف بين يدي الله
عز وجل فيقول عبدي ادمنت قراءة حم عسق ولم تدر ما ثوابها اما لو دريت
ما هي وما ثوابها لما مللت من قراءتها ولكن ساجزيك جزاءك ادخلوه الجنة
وله فيها قصر من ياقوتة حمراء ابوابها وشرفها ودرجها منها يرى ظاهرها
من باطنها وباطنها من ظاهرها وله فيها حوراء من الحور العين والف
جارية والف غلام من الولدان المخلدين الذين وصفهم الله تفسيرها ختم الله سبحانه
سورة حم السجدة بذكر القران وافتتح هذه السورة بذكره ايضا فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم
له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن
من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان
الله هو الغفور الرحيم خمس آيات القراءة قرأ ابن كثير كذلك يوحى اليك بفتح الحاء
والباقون بكسر الحاء وفي الشواذ رواية الاعمش عن ابن مسعود حم سق بغير عين
الحجة قال ابو علي من قرأ يوحى فبنى الفعل للمفعول به احتمل امرين احدهما ان المعنى يوحى
اليك السورة كما اوحى الى الذين من قبلك زعموا ان هذه السورة قد اوحي الى الانبياء
قبل والاخر يكون الجار والمجرور يقومان مقام الفاعل ويجوز ان يكون قوله الله
العزيز الحكيم تبيينا للفاعل كقوله يسبح له فيها ثم قال رجال كانه قيل من يسبح فقال رجال
ومن قرأ يوحي اليك على بناء الفعل الفاعل فان اسم الله يرتفع بفعله واما اختلاف
القراء في يتفطرن ويتفطرن والوجه في ذلك فقد مر ذكره في سورة مريم وقال ابن جني
قراءة ابن مسعود حم سق مما يؤكد ان الغرض في هذه الفواتح انما هو لكونها فواصل بين
السور ولو كان في اسماء الله سبحانه لما جاز تحريف شئ منها بل كانت موداة باعيانها
وقد كان ابن عباس قد قرأها بلا عين ايضا وكان يقول السين كل فرقة يكون والقاف

كل جماعة يكون المعنى حم قد مر تفسيره عسق قيل انما فصلت هذه السورة من بين ساير
الحواميم بعسق لان جميعها استفتح بذكر الكتاب على التصريح به الا هذه فذكر
عسق ليكون دلالة على الكتاب دلالة الضمير وان لم يدل عليه دلالة التصريح وهو معنى
قول قتاده فانه قال هو اسم من اسماء القرآن وقيل لان هذه السورة انفردت بان
معانيها اوحيت الى ساير الانبياء فلذلك خصت بهذه التسمية وقال عطا هي حروف
مقطعة من حوادث آتية فالحاء من حرب والميم من تحويل الملك والعين من عدو
مقهور والسين من الاستيصال بسنين كسني يوسف والقاف من قدرة الله عز وجل
في ملوك الارض وساير الاقوال في ذلك مذكورة في اول البقرة كذلك يوحي اليك
والى الذين من قبلك اي كالوحي الذي تقدم يوحي اليك اخبار الغيب وما يكون قبل
ان يكون والى الذين من قبلك عن عطا عن ابن عباس قال وما من نبي انزل الله
عليه الكتاب الا انزل عليه معاني هذه السورة بلغاتهم وقيل معناه كهذا الوحي الذي
ياتي في هذه السورة يوحي اليك لان ما لم يكن حاضرا تربه يصلح فيه هذا القرب
دقته وذلك لبعده في نفسه ومعنى التشبيه في كذلك ان بعضه كبعض في انه حكمة
وصواب بما تضمنه من الحجج والمواعظ والفوايد الله الذي يحق له العبادة العزيز
القادر الذي لا يغالب الحكيم المحكم لافعاله له ما في السموات وما في الارض وهو
العلي المتعلي على كل قادر العظيم شانه تكاد السموات يتفطرن من فوقهن اي تكاد
كل واحدة من السموات تنشق من فوق التي يليها من قول المشركين اتخذ الله
ولدا استعظاما لذلك عن ابن عباس والحسن وقيل معناه تكاد السموات يتفطرن
يتشققن فرقا من عظمة الله وجلاله من فوقهن تقديره ممن فوقهن
اي من عظمة من فوقهن عن الضحاك وقتاده والزجاج وقيل من فوقهن اي من فوق
الارضين وهذا على طريق التمثيل والمعنى لو كانت السموات تتفطر لشيء لانفطرت
لهذا والملائكة يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه عما لا يجوز عليه في صفاته ويعظمونه عما
لا يليق به في ذاته وافعاله وروي عن ابي عبد الله عليه السلم والملائكة ومن حول العرش

يسبحون

يسبحون بحمد ربهم لا يفترون ويستغفرون لمن في الارض من المؤمنين الا ان الله هو
الغفور الرحيم والمعنى ظاهر قوله عز وجل والذين اتخذوا من دونه اولياء الله
حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر
ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق
في السعير ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته
والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ام اتخذوا من دونه اولياء فالله
هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء
فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب خمس آيات المعنى
ثم اخبر سبحانه عن امهاله الكفار بعد تقديم الانذار فقال والذين اتخذوا من دونه
اولياء اي آلهة عبدوها من دون الله يعني كفار مكة الله حفيظ عليهم اعمالهم
لا يعزب شيء منها عنه ليجازيهم على ذلك كله وما انت يا محمد عليهم بوكيل اي وما انت
بمسلط عليهم لتدخلهم في الايمان قهرا وقيل معناه انك لم توكل بحفظ اعمالهم وانما
بعثت نذيرا لهم داعيا الى الحق مبينا سبيل الرشاد فلا يضيقن صدرك
بتكذيبهم اياك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وكذلك اوحينا اليك
قرآنا عربيا اي ومثل ما اوحينا الى من تقدمك من الانبياء بالكتب التي
انزلناها عليهم بلغة قومهم اوحينا اليك قرآنا بلغة العرب ليفقهوا ما فيه
لتنذر ام القرى ومن حولها اي لتنذر اهل ام القرى وهي مكة ومن حولها
من ساير الناس وقرى الارض كلها وتنذر يوم الجمع اي وتنذرهم يوم الجمع
وهو يوم القيمة جمع الله فيه الاولين والاخرين واهل السموات والارضين
فيوم الجمع مفعول ثان لتنذر وليس بظرف لا ريب فيه اي لا شك في كونه ثم قسم
سبحانه اهل يوم الجمع فقال فريق في الجنة وفريق في السعير اي فريق منهم في الجنة
بطاعتهم وفريق منهم في النار بمعصيتهم ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة اي لو شاء
الله ان يحملهم على دين واحد وهو الاسلام بان يلجئهم اليه لفعله ولكنه لم يفعل

لانه يودي الى ابطال التكليف والتكليف انما يثبت مع الاختيار عن الجاى وقيل معناه
ولو شاء الله لسوى بينهم في المنزلة بان يخلقهم في الجنة ولكنه اختار لهم اعلى الدرجتين
وهو استحقاق الثواب لكن يدخل من يشاء في رحمته وهم المومنون والظالمون
ما لهم من ولي يواليهم ولا نصير يمنع عنهم عذاب الله ام اتخذوا من دونه اوليا
اي بل اتخذ الكافرون من دون الله اولياء من الاصنام والاوثان يوالونهم
فالله هو الولي معناه ان المستحق للولاية على الحقيقة هو الله تعالى دون غيره لانه
المالك النفع والضر وهو يحيي الموتى اي يبعثهم للجزاء وهو على كل شيء قدير من
الاحياء والاماتة وغير ذلك وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله معناه ان الذي
تختلفون فيه من امور دينكم ودنياكم وتتنازعون فيه فحكمه الى الله بانه الفاصل
بين الحق والباطل فيه فيحكم للمحق بالثواب والمدح وللمبطل بالعقاب والذم وقيل
معناه فبيان الثواب الى الله نصب الادلة وقيل فحكمه الى الله يوم القيمة فيجازي
كل احد بما يستحقه ذلكم الله الذي يحكم بين المختلفين ربي اي هو ربي عليه توكلت
في مهماتي واليه انيب اي اليه ارجع في جميع اموري قوله عز وجل فاطر السموات
والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء
ويهدي اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وان الذين اورثوا
الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع
اهواءهم وقل امنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا
وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير

خمر آيات اللغة الذرء اظهار الخلق بايجاده يقال ذرأ الله الخلق يذرؤهم ومنه
ملح ذرآني لظهور بياضه ويقال انمى الله ذرءك وذروك اي ذريتك عن الازهري
وشرع الله الدين اي بين واظهر ومنه المشرعة والشريعة لانهما في مكان معلوم
ظاهر من الانهار والشريعة والمشرعة الظاهر المستقيم من المذاهب التي شرعها
الله الاعراب ان اقيموا الدين يجوز ان يكون موضعه رفعا ونصبا وجرا فالرفع
على معنى هو ان اقيموا الدين والنصب على معنى شرع لكم ان اقيموا الدين والجر على البدل
من الهاء في به وجاز ايضا ان يكون ان اقيموا الدين تفسيرا لما وصى به نوحا
ولقوله والذي اوحينا اليك ولقوله ما وصى به ابراهيم فيكون المعنى شرع لكم
ولمن قبلكم اقامة الدين وترك الفرقة فيه المعنى ثم وصف سبحانه نفسه بما يوجب
ان لا يعبد غيره فقال فاطر السموات والارض اي خالقهما ومبدعهما ابتداء جعل لكم
من انفسكم ازواجا اي اشكالا مع كل ذكر انثى تسكن اليها وتالفها ومن الانعام
ازواجا اي ذكورا واناثا لتكمل منافعكم بها كما قال ثمانية ازواج من الضان اثنين
الى اخره يذرؤكم فيه اي يخلقكم في هذا الوجه الذي ذكر من جعل الازواج فالهاء في فيه
تعود الى الجعل المراد بقوله جعل لكم وقيل معناه ويذرؤكم في التزاوج لتكثروا به
لدلالة الكلام عليه وهو ذكر الازواج ومثله قول ذي الرمة شعر ومية احسن الثقلين
جيدا وسالفة واحسنه قذالا اي واحسن من ذكر يعني الثقلين وقال الزجاج والفراء
معناه يذرؤكم به اي يكثركم بان جعل من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا وانشد
الازهري في ذلك شعر وارغب فيها عن لقيط واهله ولكنني عن سنبس لست ارغب
اي ارغب بها عن لقيط ليس كمثله شيء والكاف زائدة موكدة لمعنى النفي قال اوس بن حجر شعر
وقتلى كمثل جذوع النخيل تغشاهم مسبل منهمر وقال اخر شعر سعد بن زيد اذا ابصرت
فضلهم ما ان كمثلهم في الناس من احد وقيل معناه انه لو قدر لله تعالى مثل لم يكن
لذلك المثل مثل ما تقرر في العقول ان الله تعالى منفرد بصفات لا يشاركه فيها غيره
فلو كان له مثل لتفرد بصفات لا يشاركه فيها غيره وكان هو الله وقد دل الدليل على انه

ليس مع الله اله اخر وقيل فيه حذف مضاف ومثل بمعنى الصفة وتقديره ليس كصاحب صفته
شيء وصاحب صفته هو اى ليس كهو شيء والوجه هو الاول وهو السميع البصير لما نفى
ان يكون له شبيه ونظير على وجه من الوجوه بين مع ذلك انه سميع بصير فانما
المدحة فى انه لا مثل له مع كونه سميعا بصيرا لجميع المسموعات والمبصرات له مقاليد
السموات والارض اى له مفاتيح ارزاق السموات والارض واسبابها فيمطر السماء
بامره وينبت الارض باذنه عن مجاهد وقيل معناه خزائن السموات والارض
عن السدى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يوسع الرزق لمن يشاء ويضيق
لمن يشاء على ما يعلم من المصالح للعباد انه بكل شيء عليم فيفعل ذلك بحسب المصالح
ثم خاطب سبحانه خلقه فقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا اى بين لكم ونهج
واوضح من الدين والتوحيد والبراءة من الشرك ما وصى به نوحا والذى اوحينا
اليك اى وهو الذى اوحينا اليك يا محمد وهو ما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى
ثم بين ذلك بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه واقامة الدين التمسك
به والعمل بموجبه والدوام عليه والدعا اليه ولا تتفرقوا اى لا تختلفوا فيه وائتلفوا
واتفقوا وكونوا عباد الله اخوانا كبر على المشركين ما تدعوهم اليه من توحيد
الله والاخلاص له ورفض الاوثان وترك دين الاباء لانهم قالوا اجعل الالهة الها
واحدا وقيل معناه ثقل عليهم وعظم اختيارنا لك بما يدعوهم اليه وتخصيصك
بالوحى والنبوة دونهم الله يجتبى اليه من يشاء اى ليس اليهم الاختيار لان الله
يصطفى لرسالته من يشاء على حسب ما يعلم من قيامه باعباء الرسالة وتحمله
لها فاجتباك الله لها كما اجتبى من قبلك من الانبياء وقيل معناه الله يصطفى
من عباده لدينه من يشاء ويهدى اليه من ينيب ويرشد الى دينه من يقبل
طاعته وهذا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل يهدى الى جنته وثوابه
من يرجع اليه بالنية والاخلاص ثم قال وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم
معناه وان هؤلاء الكفار لم يختلفوا عليك الا بعد ان اتاهم طريق العلم بصحة

نبوتك فعدلوا عن النظر فيه بغيا بينهم اى فعلوا ذلك للظلم والحسد والعداوة
والحرص على طلب الدنيا وقيل معناه وما تفرقوا عنه اى عن محمد الا بعد ما علموا انه
حق ولكنهم تفرقوا عنه حسدا له وخوفا ان يذهب رياستهم ولولا كلمة سبقت من ربك
الى اجل مسمى لقضى بينهم معناه ولولا وعد الله تعالى واخباره بتبقيتهم الى وقت معلوم
وتاخير العذاب عنهم فى الحال لفصل بينهم الحكم وانزل عليهم العذاب الذى استحقوه
عاجلا وقيل معناه لولا وعد الله بتاخير عذابهم الى يوم القيمة وهو الاجل المسمى
لقضى بينهم باهلاك المبطل واثابة المحق وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم قوم
نوح وابرهيم وموسى وعيسى ومن بعد اخبارهم لفى شك من القرآن ومن محمد
مريب عن السدى بين بذلك ان اخبارهم انكروا الحق عن معرفة وان عوامهم
كانوا شاكين فيه ليدل على قوله والذين اتيناهم الكتاب يعرفونه وقيل معناه وان الذين
اورثوا الكتاب اى القران وهم العرب من بعدهم اى من بعد اليهود والنصارى
فى شك منه بليغ ولو استقصوا فى النظر ادى بهم الى اليقين والرشد فلذلك فادع
اى فالى ذلك فادع عن الفراء والزجاج يقال دعوت لفلان والى فلان وذلك اشارة الى ما وصى
به الانبياء من التوحيد ومعناه فالى الدين الذى شرعه الله تعالى ووصى به انبياءه فادع
الخلق يا محمد وقيل اللام للتعليل اى فلاجل الشك الذى هم عليه فادعهم الى الحق
حتى يزيل شكهم واستقم كما امرت اى واثبت على امر الله وتمسك به واعمل بموجبه
وقيل استقم على تبليغ الرسالة ولا تتبع اهواءهم يعنى اهواء المشركين فى ترك التبليغ
وقل امنت بما انزل الله من كتاب اى امنت بكتب الله التى انزلها على الانبياء قبلى
كلها وامرت لاعدل بينكم اى كى اعدل بينكم اى اسوى بينكم فى الدين والدعا الى
الحق ولا احابى احدا وقيل معناه امرت بالعدل بينكم فى جميع الاشياء وفى الحديث
ثلث منجيات وثلث مهلكات فالمنجيات العدل فى الرضا والغضب والقصد
فى الغنى والفقر وخشية الله فى السر والعلانية والمهلكات شح مطاع وهوى
متبع واعجاب المرء بنفسه الله ربنا وربكم اى وقل لهم ايضا الله مدبرنا ومدبركم

ومصرفنا ومصرفكم والمنعم علينا وعليكم وانما قال ذلك لان المشركين قد اعترفوا
بان الله هو الخالق لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اى لا يضرنا اصراركم على الكفر فان جزاء
اعمالنا لنا وجزاء اعمالكم لكم لا يواخذ احد بذنب غيره لا حجة بيننا وبينكم
اى لا خصومة بيننا وبينكم عن مجاهد وابن زيد والمعنى ان الحق قد ظهر فسقط
الجدال والخصومة وكنى بالحجة عن الخصومة لاحتجاج احد الخصمين على الاخر وهذا
قبل ان يؤمر بالقتال وامر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة وقيل معناه
لا حجة بيننا وبينكم لظهور امركم في البغي علينا والعداوة وسقط الحجاج بيننا
وبين اهل الحق الله يجمع بيننا يوم القيمة لفصل القضاء واليه المصير فيحكم
بيننا بالحق وفي هذه غاية التهديد قوله عز وجل وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ
مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ
يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ
أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ
يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ
فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ
خمس آيات المعنى لما تقدم ظهور الحجة وانقطاع المحاجة عقبه بذكر من يحاج بالباطل
فقال سبحانه والذين يحاجون في الله اى يخاصمون النبي والمسلمين في دين الله وتوحيده
وهم اليهود والنصارى قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى
بالحق عن مجاهد وقتاده وانما قصدوا بما قالوا دفع ما اتى به محمد صلى الله عليه وآله
من بعد ما استجيب له اى من بعد ما دخل الناس في الاسلام واجابوه الى ما دعاهم اليه
حجتهم داحضة عند ربهم اى خصومتهم باطلة حيث زعموا ان دينهم افضل من الاسلام
ولان ما ذكروه لا يمنع من صحة نبوة نبينا بان ينسخ الله كتابهم وشريعة نبيهم وقيل معناه
والذين يجادلون في الله بنصرة مذهبهم من بعد ما استجيب للنبي دعاؤه في كفار بدر حتى

قتلهم الله

قتلهم الله بايدي المؤمنين واستجيب دعاؤه على اهل مكة وعلى مضر حتى قحطوا ودعاؤه
حتى خلصهم الله من ايدي قريش وغير ذلك مما يطول تعداده عن الجبائي وقيل من بعد
ما استجيب لمحمد دعاؤه في اظهار المعجزات واقامتها وقيل من بعد ما استجيب له بان اقروا
به قبل مبعثه فلما بعث جحدوه كما قال وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا وانما
سمى سبحانه شبهتهم حجة على اعتقادهم ولشبهها بالحجة اجرى عليها اسمها من غير
اطلاق الصفة بها وعليهم غضب اى غضب الله عليهم لاجل كفرهم ولهم عذاب شديد دائم
يوم القيمة الله الذي انزل الكتاب اى القران بالحق اى بالصدق فيما اخبر به من ماض
ومستقبل وقيل الحق اى بالامر والنهي والفرايض والاحكام وكله حق من الله والميزان
اى وانزل العدل والميزان عبارة عن العدل كنى به عنه عن ابن عباس وقتاده ومجاهد
ومقاتل وانما سمى العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية بين الخلق وقيل
اراد به الميزان المعروف انزله من السماء وعرفهم كيف يعملون به بالحق وكيف يزنون به
عن الجبائي وقيل الميزان محمد صلى الله عليه وآله يقضي بينهم بالكتاب عن علقمة ويكون
على التوسع والتشبيه ولما ذكر العدل اتبعه ذكر الساعة فقال وما يدريك لعل الساعة
قريب اى وما يدريك يا محمد ولا غيرك لعل مجيء الساعة قريب وانما اخفى الله الساعة ووقته
مجيئها للعباد ليكونوا على خوف ليبادروا بالتوبة ولو عرفهم مجيئها لكانوا مغرين بالقبايح
قبل ذلك تعويلا على التلافي بالتوبة يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها لجهلهم باحوالها
واهوالها فلا يخافون ما فيها اذ لم يؤمنوا فهم يطلبون قيامها ابعادا لكونها والذين
امنوا مشفقون منها اى خائفون من مجيئها وهم غير متاهبين لها ويعلمون انها
الحق اى ان مجيئها الحق الذي لا خلف فيه الا ان الذين يمارون اى يدخلهم المرية والشك
في الساعة فيخاصمون في مجيئها على وجه الانكار لها في ضلال عن الصواب بعيد حين
لم يتذكروا فيعلموا ان الذي خلقهم اولا قادر على بعثهم ثم قال الله لطيف بعباده
اى حفي بارهم رفيق عن ابن عباس وعكرمة والسدي وقيل اللطيف العالم بخفيات
الامور والغيوب والمراد به هنا الموصل المنافع الى العباد من وجه يدق ادراكه

وذلك في الارزاق التي قسمها الله لعباده وصرف الاوقات عنهم وايصال الرزق
والملاذ اليهم ويمكنهم بالقدرة والالات الى غير ذلك من لطافة التي لا يوقف على
كنهها لغموضها ثم قال سبحانه يرزق من يشاء اي يوسع الرزق على من يشاء يقال
فلان مرزوق اذا وصف بسعة الرزق وقيل معناه يرزق من يشاء في خفض
ودعة ومن يشاء في كد ومتعبة وكل من رزقه الله من ذي روح فهو ممن شاء
الله ان يرزقه وهو القوي اي القادر الذي لا يعجز العزيز الغالب الذي لا يغالب من كان
يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه معنى الحرث في اللغة الكسب وفلان يحرث لعياله
ويحترث اي يكتسب اي من كان يريد بعمله نفع الاخرة ويعمل لها نجازه على عمله
ونضاعف ثواب عمله فنعطه على الواحد عشرة ونزد على ذلك ما نشاء ومن كان
يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب اي ومن كان يريد بعمله
نفع الدنيا نعطه نصيبا من الدنيا لا جميع ما يريده على حسب ما يقتضيه الحكمة كما قال
سبحانه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وما له في الاخرة من نصيب وقيل معناه
من قصد بالجهاد وجه الله فله سهم الغانمين والثواب في الاخرة ومن قصد به
الغنيمة لم يحرم ذلك حصل له سهم من الغنيمة ولكن لا نصيب له من الثواب في الاخرة
وروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من كانت نيته الدنيا فرق الله عليه
امره وجعل الفقر بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت نيته
الاخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقيل معناه
من كان يعمل للاخرة نال الدنيا والاخرة ومن عمل للدنيا فلا حظ له في ثواب
الاخرة لان الاعلى لا يجعل تبعا للادون عن الحسن قوله عز وجل أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ
شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ
وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ
مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ

الذين

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ
حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ
إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو
عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ خمس آيات القراءة قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر
ويعلم ما تفعلون على الخطاب والباقون بالياء الاعراب ذلك الذي يبشر الله
تقديره يبشر الله به عباده فحذف الباء ثم حذف الهاء ويجوز ان يكون حكمه حكم ما
التي تكون مصدرية اي ذلك يبشر الله عباده ويمح الله الباطل ليس بمعطوف
على يختم لان محو الباطل واجب فلا يكون معلقا بالشرط المعنى لما اخبر سبحانه ان من
يطلب الدنيا باعماله فلا حظ له في خير الاخرة قال ام لهم شركاء اي بل لهؤلاء الكفار
شركاء فيما كانوا يفعلونه شرعوا لهم اي بينوا لهم ونهجوا من الدين ما لم يأذن به
الله اي ما لم يأمر به الله ولا اذن فيه اي شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام عن
ابن عباس ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم اي لولا ان الله حكم في كلمة الفصل من
الخلق بتاخير العذاب لهذه الامة الى الاخرة لفرغ من عذاب الذين يكذبونك
في الدنيا فان الظالمين الذين يكذبونك لهم عذاب اليم في الاخرة ترى الظالمين
مشفقين اي خائفين مما كسبوا اي من جزاء ما كسبوا من المعاصي وهو العقاب
الذي استحقوه وهو واقع بهم لا محالة لا ينفعهم منه خوفهم من وقوعه والاشفاق
الخوف من جهة الرقة على المخوف عليه من وقوع الامر والذين امنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات فالروضة الارض الخضرة بحسن النبات والجنة الارض التي يحفها
الشجر لهم فيها ما يشاؤن عند ربهم اي لهم ما يتمنون ويشتهون يوم القيمة
الذي لا يملك فيه الامر والنهي غير ربهم ولا يريد بعيد المسافة لان ذلك من صفات
الاجسام وقيل عند ربهم اي في حكم ربهم ذلك هو الفضل الكبير اي ذلك هو الفضل العظيم
من الله اذ نالوا نعيما لا ينقطع بعمل قليل منقطع ثم قال ذلك الفضل الكبير الذي يبشر الله

به عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات ليتعجلوا بذلك السرور في الدنيا
من شدد الشين اراد به التكثير ومن خفف فلانه يدل على القليل والكثير ثم قال
سبحانه قل لهم يا محمد لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى اختلف في معناه على اقوال
احدها لا اسالكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة اجرا الا التواد والتحابب
فيما يقرب الى الله تعالى من العمل الصالح عن الحسن والجبائي وابي مسلم قالوا هو التقرب
الى الله والتودد اليه بالطاعة وثانيها ان معناه الا ان تودوني في قرابتي منكم
وتحفظوني لها عن ابن عباس وقتاده ومجاهد وجماعة قالوا وكل قريش كانت
بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله قرابة وهذا لقريش خاصة والمعنى ان لم
تودوني لاجل النبوة فودوني لاجل القرابة التي بيني وبينكم وثالثها ان معناه الا ان
تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم عن علي بن الحسين عليهما السلام وسعيد
بن جبير وعمرو بن شعيب وجماعة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام
اخبرنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال اخبرنا الحاكم ابو القسم الحسكاني
قال حدثنا القاضي ابو بكر الجبري قال اخبرنا ابو العباس الضبعي قال اخبرنا الحسن بن علي
بن زياد السري قال اخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال اخبرنا حسين الاشقر
قال اخبرنا قيس الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت قل لا اسالكم
عليه اجرا الاية قالوا يا رسول الله من هولاء الذين امرنا الله بمودتهم قال
علي وفاطمة وولدهما واخبرنا السيد ابو الحمد قال اخبرنا الحاكم ابو القسم بالاسناد
المذكور في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل مرفوعا الى ابي امامة الباهلي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى خلق الانبياء من اشجار شتى وخلقت
انا وعلي من شجرة واحدة فانا اصلها وعلي فرعها والحسن والحسين ثمارها واشياعنا
اوراقها فمن تعلق بغصن من اغصانها نجا ومن زاغ هوى ولو ان عبدا عبد الله
بين الصفا والمروة الف عام حتى يصير كالشن البالي ثم لم يدرك محبتنا كبه الله
على منخريه في النار ثم تلا قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وروى زاذان عن علي

عليه الصلوة

عليه الصلوة والسلام قال فينا في آل حم اية لا يحفظ مودتنا الا كل مومن ثم قرا هذه
الاية والى هذا اشار الكميت في قوله ... وجدنا لكم في آل حم آية تاولها منا تقي ومعرب
وعلى الاقوال الثلثة فقد قيل في المودة قولان احدهما انه استثناء منقطع لان هذا
مما يجب بالاسلام فلا يكون اجرا للنبوة والاخر انه استثناء متصل والمعنى لا اسالكم
اجرا الا هذا فقد رضيت به اجرا كما انك تسال غيرك حاجة فيعرض المسئول
عليك برا فتقول له اجعل بري قضاء حاجتي وعلى هذا يجوز ان يكون المعنى لا اسالكم
عليه اجرا الا هذا ونفعه ايضا عايد عليكم فكاني لم اسالكم اجرا كما مر بيانه في
قوله قل ما سالتكم من اجر فهو لكم وذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره حدثني عثمان
بن عمير عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وآله حين قدم المدينة واستحكم الاسلام قالت الانصار فيما بينها نأتي
رسول الله فنقول له ان تعروك امور فهذه اموالنا تحكم فيها غير حرج ولا محظور
فأتوه في ذلك فنزلت قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى فقراها عليهم وقال
تودون قرابتي من بعدي فخرجوا من عنده مسلمين لقوله فقال المنافقون
ان هذا لشيء افتراه في مجلسه اراد ان يذللنا لقرابته من بعده فنزلت ام يقولون
افترى على الله كذبا فارسل اليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتد عليهم فانزل الله
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده الاية فارسل في اثرهم فبشرهم وقال ويستجيب الذين
امنوا وهم الذين سلموا لقوله ثم قال سبحانه ومن يقترف حسنة نزد له فيها
حسنا اي من فعل طاعة نزد له في تلك الطاعة حسنا بان نوجب له الثواب وذكر
ابو حمزة الثمالي عن السدي انه قال اقتراف الحسنة المودة لال محمد عليهم السلام
وصح عن الحسن بن علي عليهما السلام انه خطب الناس فقال في خطبته انا من اهل البيت
افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن
يقترف حسنة نزد له فيها حسنا فاقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت اصحاب
الكساء ان الله غفور شكور اي غفور للسيئات شكور للطاعات يعامل عباده

معاملة الشاكر في توفيه الحق حتى كانه ممن وصل اليه النفع فشكره ام يقولون افترى
على الله كذبا اي بل يقولون افترى محمد على الله كذبا في ادعائه رسالة على الله
فان يشاء الله يختم على قلبك اي لو حدثت نفسك بان تفترى على الله كذبا
لطبع الله على قلبك ولانساك القرآن فكيف يقدر على ان يفترى على الله وهذا
كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وقيل معناه فان يشاء الله يربط على قلبك بالصبر
على اذاهم حتى لا يشق عليك قولهم انه مفتر وساحر عن مجاهد ومقاتل فعلى هذا
لا يحتاج الى اضمار وحذف ثم اخبر سبحانه انه يذهب ما يقولونه باطلا فقال ويمحو الله
الباطل اي يزيله ويرفعه باقامة الدلالة على بطلانه وحذفت الواو من يمحو في
المصاحف كما حذف من قوله سندع الزبانية على اللفظ في ذهابها لالتقاء الساكنين
وليس بعطف على قوله يختم لانه مرفوع يدل عليه قوله ويحق الحق بكلماته اي ويثبت
الحق باقواله التي ينزلها على نبيه وهذا القرآن المعجز انه عليم بذات الصدور اي بضمائر
القلوب هو الذي يقبل التوبة عن عباده وان جلت معاصيهم فكانه قال لمن نسب
محمدا الى الافتراء ثم تاب قبلت توبته وان جلت معصيته ويعفو عن السيئات ويعلم
ما يفعلون من خير وشر فيجازيهم على ذلك قوله عز وجل وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ
إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَ
يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ
فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ خمس آيات القراءة قرأ اهل المدينة وابن عامر
وما اصابكم من مصيبة بما كسبت ايديكم بغير فاء والباقون بالفاء الحجة
قال ابو علي القول في ذلك ان اصاب في قوله ما اصابكم يحتمل امرين يجوز ان يكون
صلة ما ويجوز ان يكون شرطا في موضع جزم فمن قدره شرطا لم يجز حذف الفاء

منه على قول

منه على قول سيبويه وقد تأول ابو الحسن بعض الاي على حذف الفاء في جواب الشرط
وقال بعض البغداديين حذف الفاء من الجواب جائز واستدلت بقوله وان اطعتموهم
انكم لمشركون واذا كان صلة فالاثبات والحذف جائزان على معنيين مختلفين
اما اذا اثبت الفاء ففيه دليل على ان الامر الثاني وجب بالاول واذا لم يذكر الفاء
جاز ان يكون الثاني وجب للاول وجاز ان يكون لغيره المعنى لما تقدم وعيد
اهل العصيان عقبه سبحانه بالوعد لاهل الطاعة فقال ويستجيب الذين امنوا
وعملوا الصالحات اي يجيبهم الى ما يسألونه وقيل معناه يجيبهم في دعاء بعضهم
لبعض عن معاذ بن جبل وقيل معناه يقبل طاعاتهم وعباداتهم ويزيدهم
من فضله على ما يستحقونه من الثواب وقيل معناه ويستجيب الذين امنوا بان
يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله ويشفعهم في اخوان اخوانهم عن ابن عباس
وروى عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله ويزيدهم من فضله
الشفاعة لمن وجبت له النار ممن احسن اليهم في الدنيا والكافرون لهم
عذاب شديد ظاهر المعنى ولما بين سبحانه انه يزيد المؤمنين من فضله اخبر
عقيبه ان الزيادة في الارزاق في الدنيا تكون على حسب المصالح فقال ولو بسط الله
الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر اي لو وسع الرزق على عباده
على حسب ما يطلبونه لبطروا النعمة وتنافسوا وتغالبوا وظلموا في الارض وتغلب
بعضهم على بعض وخرج عن الطاعة قال ابن عباس بغيهم في الارض طلبهم
منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة وملبسا بعد ملبس ولكن ينزل بقدر
ما يشاء اي ولكنه ينزل من الرزق قدر صلاحهم ما يشاء نظرا منه لهم عن قتادة
والمعنى انه يوسع الرزق على من يكون مصلحته فيه ويؤيده الحديث الذي رواه
انس عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله تعالى ان من عبادي من لا يصلحه
الا السقم ولو صححته لافسده وان من عبادي من لا يصلحه الا الصحة ولو اسقمته
لافسده وان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لافسده وان من عبادي

من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده وذلك فى ادب عبادى لعلمى بقلوبهم والحديث
طويل اخذنا منه موضع الحاجة ومتى قيل نحن نرى كثيرا ممن يوسع عليه الرزق يبغى
فى الارض قلنا اذا علمنا على الجملة انه سبحانه يدبر امور عباده بحسب ما يعلم مصالحهم
فلعل هؤلاء كان يستوى حالهم فى البغى وسع عليهم او لم يوسع ولعلهم لو لم يوسع
عليهم لكانوا اسوء حالا فى البغى فلذلك وسع عليهم والله اعلم بتفاصيل احوالهم
انه بعباده خبير بصير اى عليم باحوالهم بصير بما يصلحهم وما يفسدهم ثم بين
سبحانه حسن نظره بعباده فقال وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا
اى ينزله عليهم من بعد ما يئسوا من نزوله والغيث ما كان نافعا فى وقته والمطر قد يكون
نافعا وقد يكون ضارا فى وقته وغير وقته ووجه انزاله بعد القنوط انه
ادعى الى شكر الاتى به وتعظيم المعرفة بموقع احسانه وينشر رحمته اى ويفرق نعمته
ويبسطها باخراج النبات والثمار التى يكون سببها المطر وهو الولى الذى يتولى
تدبير عباده وتقدير امورهم ومصالحهم المالك لهم الحميد المحمود على جميع افعاله
لكون جميعها احسانا ومنافع ومن اياته الدالة على وحدانيته وصفاته التى
باين بها خلقه خلق السموات والارض لانه لا يقدر على ذلك غيره لما فيهما من العجائب
والاجناس التى لا يقدر عليها الا القادر بقدرة وما بث فيهما من دابة والدابة
ما تدب فيدخل فيه جميع الحيوانات وهو على جمعهم اذا يشاء قدير اى وهو على حشرهم
الى الموقف بعد ما تهم قادر لا يتعذر عليه ذلك ثم قال سبحانه وما اصابكم معاشر
الخلق من مصيبة من بلوى فى نفس ومال فيما كسبت ايديكم من المعاصى ويعفو
عن كثير منها فلا يعاقب بها قال الحسن الاية خاصة بالحدود التى يستحق على وجه
العقوبة وقال قتادة هى عامة وروى عن على عليه السلام انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله خير اية فى كتاب الله هذه الاية يا على ما من خدش عود ولا نكبة قدم الا بذنب
وما عفا الله عنه فى الدنيا فهو اكرم من ان يعود فيه وما عاقب عليه فى الدنيا فهو
اعدل من ان يثنى على عبده وقال اهل التحقيق ان ذلك خاص وان خرج مخرج العموم لما يلحق

ومن مصائب

المصائب
من مصائب الاطفال والمجانين ومن لا ذنب له من المؤمنين ولان الانبياء والائمة يمتحنون با
وان كانوا معصومين من الذنوب لما يحصل لهم على الصبر عليها من الثواب ثم
والوجه فى اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى لما بين عظيم انعامه على العباد بين
بعده ان لا يعاقبهم على معاصيهم قوله عز وجل وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ
اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا
وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ خمس آيات
القراءة قرأ اهل الكوفة وابن عامر الجوار بحذف الياء فى الوصل والوقف وقرأ الباقون
الجوارى باثبات الياء فى الوصل وابن كثير ويعقوب فى الوقف ايضا وقرأ اهل المدينة
وابن عامر ويعلم الذين يجادلون بالرفع والباقون يعلم بالنصب الحجة قال ابو على القياس
الجوارى ومن حذف فلان حذف هذه الياءات وان كانت لاما قد كثر فى كلامهم فصار
كالقياس المستمر ومن قرأ يعلم بالرفع استانف لانه موضع استيناف من حيث جاء بعد
الجزاء وان شئت جعلته خبر مبتداء محذوف ومن نصب فلان قبله شرطا وجزاء وكل
واحد منهما غير واجب تقول فى الشرط ان تاتنى وتعطينى اكرمك فتنصب وتعطينى وتقديره ان يكن
اتيان منك واعطاء اكرمك فالنصب بعد الشرط اذا عطفت عليه بالفاء مثل النصب بالفاء
بعد جزاء الشرط فاما قوله ومن لا يقدم رجله مطمئنة فيثبتها فى مستوى الارض يزلق
فالنصب حسن فيه لمكان النفى فاما العطف على الشرط نحو ان تاتنى وتكرمنى فاكرمك
فالذى يختاره سيبويه النصب فى العطف على جزاء الشرط فيختار ويعلم الذين يجادلون
اذا لم يقطعه من الاول فيرفعه وزعم ان المعطوف على جزاء الشرط شبيه بقوله والحق
بالحجاز فاستريحا قال الا ان من ينصب فى العطف على جزاء الشرط اشبه من ذلك لانه ليس بواقع
فعله الا بان يكون من غيره فعل فصار بمنزلة غير الواجب وزعم سيبويه ان بعضهم
قرأ يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء بالنصب وانشد للاعشى فى نصب ما عطف بالفاء على
الجزاء ومن يغترب عن اهله لا يزل يرى مصارع مظلوم مجرا ومسحبا وتدفن منه الصالحات

وان يشأ يكن ما اشار النار في راس كوكبا هذا حجة لمن قرأ ويعلم اللغة الاعلام الجبال
واحدها علم قال الخنساء شعر وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم في راسه نار فيظللن
اي يدمن ويبقين يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا والرواكد الثوابت والايباق الاهلاك
والاتلاف وبق الرجل يبق وبق يوبق اذا هلك والمحيص المعدل والملجاء المعنى ثم قال
سبحانه وما انتم يا معشر المشركين بمعجزين في الارض اي لا تعجزونني حيث ما كنتم فلا
تسبقونني هربا في الارض وفي هذا استدعا الى العبادة وترغيب فيما امر به وترهيب عما نهى عنه
وما لكم من دون الله من ولي يدفع عنكم عقابه ولا نصير ينصركم عليه ومن اياته
اي ومن حججه الداله على اختصاصه بصفات لا يشركه فيها غيره الجوار اي السفن
الجارية في البحر كالاعلام اي كالجبال الطوال ان يشأ يسكن الريح فيبقى السفن راكدة
واقفة على ظهر الماء لا تبرح عن المكان لان ماء البحر يكون راكدا فلو لم يجي ريح لوقفت
السفينة في البحر ولم تجر فالله سبحانه جعل الريح سبب جريها فيه وجعل هبوبها في الجهة
التي تسير اليها السفينة ان في ذلك الذي ذكر لايات اي حججا واضحات لكل صبار على امر
الله شكور لنعمته وقيل صبار على ركوبها شكور على جريها والنجاة من البحر او يوبقهن
بما كسبوا معناه ان يشأ اسكان الريح سكن الريح وان يشأ يجعل الريح عاصفة يهلك
السفن اي اهلها بالغرق في الماء عقوبة لهم بما كسبوا من المعاصي ويعفو عن كثير من اهلها
فلا يغرقهم ولا يعاجلهم بعقوبة معاصيهم ويعلم الذين يجادلون في اياتنا اي في ابطال
اياتنا ودفعها ما لهم من محيص اي ملجاء يلجئون اليه عن السدي قوله عز وجل
فَمَا أُوتِيتُم مِن شَيءٍ فَمَتَاعُ الحَيَوةِ الدُّنيَا وَمَا عِندَ اللهِ خَيرٌ وَأَبقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا
وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ وَالَّذِينَ يَجتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا هُم يَغفِرُونَ وَالَّذِينَ استَجَابُوا لِرَبِّهِم وَأَقَامُوا الصَّلَوةَ وَأَمرُهُم
شُورَى بَينَهُم وَمِمَّا رَزَقنَاهُم يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ البَغيُ هُم يَنتَصِرُونَ
وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثلُهَا فَمَن عَفَا وَأَصلَحَ فَأَجرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
خمس آيات القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم هنا وفي سورة النجم كبير الاثم على التوحيد

والباقون

والباقون كبائر الاثم على الجمع الحجة حجة الجمع قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه ومن قال الكبير فانه قد جاز ان يريد به الجمع كقوله وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وفي الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها الاعراب اذا ما غضبوا هم
يغفرون يجوز ان يكون هم تاكيدا للضمير في غضبوا ويغفرون جواب اذا ويجوز
ان يكون هم ابتداء ويغفرون خبره وكذا هم ينتصرون وان شئت كان هم وصفا
للمنصوب قبله وان شئت كان مبتدا وقياس قول سيبويه ان يرتفع هم
بفعل مضمر دل عليه ينتصرون المعنى ثم خاطب سبحانه من تقدم وصفهم فقال
فما اوتيتم من شيء اي الذي اعطيتموه من شيء من الاموال لمتاع الحيوة الدنيا
اي فهو متاع الحيوة الدنيا تتمتعون به اياما ثم تموتون فيبقى عنكم او يهلك
المال قبل موتكم وما عند الله من الثواب والنعيم وما اعده للجزاء على الطاعة
خير وابقى من هذه المنافع القليلة للذين امنوا وصدقوا بتوحيد الله وبما يجب التصديق
به وعلى ربهم يتوكلون والتوكل على الله تفويض الامور اليه باعتقاد انها جارية
من قبله على احسن التدبير مع الفزع اليه بالدعاء من كل ما ينوب والذين يجتنبون
كبائر الاثم يجوز ان يكون موضع الذين جرا عطفا على قوله للذين امنوا
فيكون المعنى وما عند الله خير وابقى للمؤمنين المتوكلين على ربهم المجتنبين
كبائر الاثم والفواحش ويجوز ان يكون في موضع رفع بالابتداء ويكون الخبر
محذوفا فيكون المعنى والذين يجتنبون الكبائر والفواحش واذا ما غضبوا
مما يفعل بهم من الظلم هم يغفرون ويتجاوزون عنه لهم مثل ذلك والفواحش
جمع فاحشة وهي اقبح القبيح والمغفرة في الاية المراد بها يتعلق بالاشارة الى نفوسهم
فمن عفوا عنها كانوا ممدوحين فاما ما يتعلق بحقوق الله وواجبات حدوده
فليس للامام تركها ولا العفو عنها فلا يجوز له العفو عن المرتد وعمن جرى مجراه ثم زاد
سبحانه في صفاتهم فقال والذين استجابوا لربهم اي اجابوه فيما دعاهم اليه من امور
الدين واقاموا الصلوة اي اقاموها في اوقاتها بشرايطها وامرهم شورى بينهم يتقا

هذا الشيء شورى بين القوم اذا تشاوروا فيه هو فعلى من المشاورة وهي المفاوضة في الكلام
ليظهر الحق اي لا ينفردون بامر حتى يتشاوروا غيرهم فيه وقيل ان المعني بالاية الانصار
كانوا اذا ارادوا امرا قبل الاسلام وقبل قدوم النبي صلى الله عليه وآله اجتمعوا
وتشاوروا ثم عملوا عليه فاثنى الله سبحانه عليهم بذلك وقيل هو تشاورهم حين سمعوا
بظهور رسول الله صلى الله عليه وآله وورود النقباء عليه حتى اجتمعوا في دار ابي ايوب
على الايمان به والنصرة له عن الضحاك وفي هذا دلالة على فضل المشاورة في الامور
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ما من رجل يشاور احدا الا هدي الى الرشد
ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله تعالى وسبل الخير والذين اذا اصابهم البغي من غيرهم
هم ينتصرون ممن بغى عليهم من غير ان يعتدوا عن السدي وقيل ينتصرون اي يتناصرون
ينصر بعضهم بعضا نحو يختصمون ويتخاصمون عن ابن مسلم وقيل يعني به المؤمنين
الذين اخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله في الارض حتى انتصروا
ممن ظلمهم عن عطاء وقيل جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عمن ظلمهم وهم
الذين ذكروا قبل هذه الاية وهو قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون
ممن ظلمهم وهم الذين ذكروا في هذه الاية فمن انتصر واخذ بحقه لم يجاوز في ذلك
ما حد الله فهو مطيع لله ومن اطاع الله فهو محمود عن ابن زيد ثم ذكر سبحانه
حد الانتصار فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها قيل هو جواب القبيح اذا قال
اخزاك الله من غير ان يعتدي عن ابن نجيح والسدي ومجاهد وقيل يعني القصاص
في الجراحات والدماء عن مقاتل وسمي الثانية سيئة لانها في مقابلة الاولى كما قال
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ثم ذكر سبحانه العفو فقال
فمن عفا واصلح فاجره على الله اي فمن عفا عما له المؤاخذة به واصلح امره فيما بينه
وبين ربه فثوابه على الله انه لا يحب الظالمين ثم بين سبحانه انه لم يرغب المظلوم في العفو
عن الظالم لميله الى الظالم او لحبه اياه ولكن ليعرضه بذلك لجزيل الثواب ولحبه الاحسان
والفضل وقيل انه لا يحب الظالم في قصاص وغيره بتعديه ما هو له اي ما يليه وقيل

الى الاية

الى الاية الاولى عامة في وجوب التناصر بين المسلمين وهذه الاية في خاصة الرجل يجازي من ظلمه
بمثل ما فعله اي يعفو وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اذا كان يوم القيمة
نادى مناد من كان اجره على الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذي اجره على الله فيقال
العافون عن الناس يدخلون الجنة بغير حساب قوله عز وجل وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ
ظُلْمِهِ فَاُولٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ اِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ
فِي الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ اُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ اِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ
الْاُمُورِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَاَوُا
الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ اِلٰى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ وَتَرٰيهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ
الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ اٰمَنُوا اِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا
اَنْفُسَهُمْ وَاَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اَلَا اِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ خمس آيات
الاعراب ذلك لمن عزم الامور جواب القسم الذي دل عليه قوله لمن صبر وغفر كما قال
سبحانه لئن اخرجوا لا يخرجون وقيل بل هي جملة في موضع خبر المبتداء الذي هو
من صبر وغفر والتقدير ان ذلك منه لمن عزم الامور وحسن الحذف لطول الكلام
وقوله خاشعين منصوب على الحال من يعرضون ويعرضون في موضع نصب على
الحال من تراهم المعنى ثم ذكر سبحانه المنتصر فقال ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك
ما عليهم من سبيل معناه من انتصر لنفسه وانتصف من ظالمه بعد ظلمه
اضاف الظلم الى المظلوم اي بعد ان ظلم وتعدى عليه فاخذ لنفسه بحقه فالمنتصرون
ما عليهم من اثم وعقوبة وذم ومثله في اضافة المصدر الى المفعول قوله من دعاء
الخير انما السبيل اي الاثم والعقاب على الذين يظلمون الناس ابتداء ويبغون
في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم مرجع ولمن صبر اي تحمل المشقة في
رضا الله وغفر فلم ينتصر فان ذلك الصبر والتجاوز لمن عزم الامور اي من ثابت
الامور التي امر الله بها فلم تنسخ وقيل عزم الامور هو الاخذ باعلاها في باب نيل
الثواب والاجر ومن يضلل الله عن رحمته وجنته فما له من ولي من بعده يلي امره ويدفع

عذاب الله عنه وترى الظالمين يا محمد اذا شاهدوا عذاب النار يقولون هل الى مرد
اى رجوع ورد الى دار الدنيا من سبيل تمنيا منهم لذلك وتراهم يا محمد يعرضون
عليها اى على النار قبل دخولهم النار خاشعين من الذل اى ساكنين متواضعين
فى حال العرض ينظرون من طرف خفى اى خفى النظر لما عليهم من الهوان يسارقون
النظر الى النار خوفا منها وذلة فى نفوسهم عن الحسن وقتاده وقيل خفى ذليل عن
ابن عباس ومجاهد وقيل من عين لا تفتح كلها وانما نظروا ببعضها الى النار
وقال الذين امنوا لما راوا عظيم ما نزل بالظالمين ان الخاسرين فى الحقيقه
هم الذين خسروا انفسهم بان فوتوها الانتفاع بنعيم الجنة واهليهم اى وازواجهم وا
قاربهم لا ينتفعون بهم يوم القيمة لما حيل بينهم وبينهم وقيل واهليهم من الحور
العين فى الجنة لو امنوا الا ان الظالمين فى عذاب مقيم هذا من قول الله تعالى والمقيم
الدايم الذى لا زوال له قوله تعالى وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اَوْلِيَاءَ يَنْصُرُوْنَهُمْ مِنْ دُوْنِ
اللّٰهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيْلٍ اِسْتَجِيْبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِىَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ
لَهُ مِنَ اللّٰهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَاٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيْرٍ فَاِنْ اَعْرَضُوْا فَمَا اَرْسَلْنَاكَ
عَلَيْهِمْ حَفِيْظًا اِنْ عَلَيْكَ اِلَّا الْبَلَاغُ وَاِنَّا اِذَا اَذَقْنَا الْاِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا
وَاِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيْهِمْ فَاِنَّ الْاِنْسَانَ كَفُوْرٌ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ
وَالْاَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ اِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُوْرَ اَوْ يُزَوِّجُهُمْ
ذُكْرَانًا وَاِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيْمًا اِنَّهُ عَلِيْمٌ قَدِيْرٌ خمس آيات المعنى ثم اخبر سبحانه
عن الظالمين الذين ذكرهم فقال وما كان لهم من اوليا الا فيما عبدوه ولا فيمن
اطاعوه فى معصيته اى انصار ينصرونهم من دون الله ويدفعون عنهم عقابه
ومن يضلل الله فما له من سبيل يوصله الى الجنة ثم قال سبحانه استجيبوا لربكم اى اجيبوا
داعى ربكم يعنى محمدا صلى الله عليه وآله فيما دعاكم اليه ورغبكم فيه من المصير الى طاعته
والانقياد لامره من قبل ان ياتى يوم لا مرد له من الله على رده ودفعه وهو يوم القيمة
عن الجبائى وقيل معناه لا يرد ولا يوخر عن وقته وهو يوم الموت عن ابى مسلم ما لكم

من ملجاء يومئذ اى معقل يعصمكم من العذاب وما لكم من نكير اى انكار وتغيير للعذاب
وقيل من نصير منكر من يحل بكم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله فان اعرضوا يعنى
الكفار اى عدلوا عما دعوتهم اليه فما ارسلناك عليهم حفيظا اى مامورا بحفظهم لئلا
يخرجوا عما دعوتهم اليه كما يحفظ الراعى غنمه لئلا يتفرقوا اى فلا تحزن لاعراضهم
ان عليك الا البلاغ اى ليس عليك الا ايصال المعنى الى افهامهم والبيان لما فيه
رشدهم وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة اى وصلنا اليه نعمة فرح اى بطر لان
الفرح المراد هنا ما قارنه اشر وجحود وانكار لانه خرج مخرج الذم وقيل ان
الرحمة هنا العافية وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اى قحط او فقر او مرض
او غير ذلك مما يسوؤهم فان الانسان كفور يعدد المصيبة ويجحد النعم ثم بين
سبحانه ان النعم كلها منه فقال لله ملك السموات والارض اى له التصرف فيهما
وفيما بينهما وسياستهما بما يقتضيه الحكمة يخلق ما يشاء من انواع الخلق يهب لمن يشاء
من خلقه اناثا فلا يولد له ذكر ويهب لمن يشاء الذكور البنين فلا يولد له انثى
او يزوجهم ذكرانا واناثا معناه او يجمع لهم بين البنين والبنات يقول العرب
زوجت ابلى اى جمعت بين صغارها وكبارها قال مجاهد هو ان تلد المراة غلاما
ثم جاريه وقيل هو ان تلد توأما ذكرا وانثى او ذكرا وذكرا او انثى وانثى عن ابن زيد
وقيل هو ان يجتمع فى الرحم الذكر والانثى عن محمد بن الحنفيه ويجعل من يشاء من الرجال
والنساء عقيما لا يلد ولا يولد له انه عليم بما خلق قدير على خلق ما يشاء قوله عز وجل
وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُكَلِّمَهُ اللّٰهُ اِلَّا وَحْيًا اَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ اَوْ يُرْسِلَ رَسُوْلًا فَيُوْحِيَ
بِاِذْنِهِ مَا يَشَاءُ اِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيْمٌ وَكَذٰلِكَ اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ رُوْحًا مِنْ اَمْرِنَا مَا كُنْتَ
تَدْرِىْ مَا الْكِتَابُ وَلَا الْاِيْمَانُ وَلٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوْرًا نَهْدِىْ بِهِ مَنْ نَشَاءُ
مِنْ عِبَادِنَا وَاِنَّكَ لَتَهْدِىْ اِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ صِرَاطِ اللّٰهِ الَّذِىْ لَهُ مَا فِى
السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ اَلَا اِلَى اللّٰهِ تَصِيْرُ الْاُمُوْرُ ثلث آيات القراة قراء نافع
ويرسل بالرفع فيوحى بسكون الياء والباقون او يرسل فيوحى بالنصب الحجة قال

ابو علي من نصب يرسل فلا يخلو من ان يكون محمولاً على ان في قوله ان يكلمه الله او على
غيره فلا يجوز ان يكون محمولاً عليه لانه يصير تقديره ما كان لبشر ان يكلمه الله
وان يرسل اليه رسولاً ولم يخل قوله او يرسل رسولاً من ان يكون المراد
او يرسله رسولاً او يكون او يرسل اليه رسولاً والتقديران جميعاً فاسد
الا ترى ان كثيراً من البشر قد ارسل رسولاً وكثيراً منهم قد ارسل اليه الرسل
فاذا لم يخل من هذين التقديرين ولم يصح واحد منهما علمت ان المعنى ليس
عليه التقدير على غيره فالذي عليه المعنى والتقدير الصحيح ما ذهب اليه الخليل
من ان يحمل يرسل على ان يوحي الذي يدل عليه وحياً فصار التقدير ما كان لبشر
ان يكلمه الله الا ان يوحي وحياً او يرسل رسولاً فيوحي ويجوز في قوله الا وحياً
امران احدهما ان يكون استثناء منقطعاً والآخر ان يكون حالاً فان قدرته
منقطعاً لم يكن في الكلام شيء يوصل به لان ما قبل الاستثناء لا يعمل فيما بعده
لان حرف الاستثناء في معنى حرف النفي الا ترى انك اذا قلت قام القوم الا زيداً فالمعنى
قام القوم لا زيد فكما لا يعمل ما قبل حرف النفي فيما بعده كذلك لا يعمل ما قبل الاستثناء
اذا كان كلاماً تاماً فيما بعده اذ كان بمعنى النفي وكذلك لا يجوز ان يعمل ما بعد
الا فيما قبلها نحو ما انا الخبز الا آكل كما لم يعمل ما بعد حرف النفي فيما قبله فاذا كان
كذلك لم يتصل به الجار من وجه آخر وهو ان قوله او من وراء حجاب في صلة
وحي الذي هو بمعنى ان يوحي فاذا كان كذلك لم يجز ان يحمل الجار الذي هو من
في قوله من وراء حجاب على او يرسل لانك تفصل بين الصلة والموصول بما ليس منهما
الا ترى ان المعطوف على الصلة في الصلة فاذا حملت العطف على ما ليس في الصلة
فصلت بين الصلة والموصول بالاجنبي الذي ليس منهما فاذا لم يجز حمله على يكلم
من قوله ما كان لبشر ان يكلمه الله ولم يكن بد من ان يعلق الجار بشيء ولم يكن
في اللفظ شيء يحمله عليه اضمرت يكلم وجعلت الجار في قوله او من وراء حجاب
متعلقاً بفعل مراد في الصلة محذوف منها للدلالة عليه قد يحذف من الصلة

اشيا

اشيا للدلالة عليها ويكون في المعنى معطوفاً على الفعل المقدر صلة لان الموصول
وهي يوحي فيكون التقدير ما كان لبشر ان يكلمه الله الا ان يوحي اليه او يكلم من وراء
حجاب فحذف يكلم من الصلة لان ذكره قد جرى وان كان خارجاً من الصلة فحسن
ذلك حذفه من الصلة وسوغه الا ترى ان ما قبل حرف الاستفهام مثل ما قبل
الصلة في انه لا يعمل في الصلة كما لا يعمل ما قبل الاستفهام فيما كان من حيز الاستفهام
فيكون العامل في الظرف آمنت المقدر بعد الاستفهام وقد جاء الآن وقد عصيت
قبل والمعنى الآن آمنت وقد عصيت قبل فلما كان ذكر الفعل قد جرى في الكلام
اضمر ولا يجوز ان يقدر عطفاً ومن وراء حجاب على الفعل الخارج من الصلة
فيفصل بين الصلة والموصول بالاجنبي منهما كما فصل في قوله الا ان يكون ميتة
او دماً مسفوحاً او لحم خنزير فانه رجس ثم قال او فسقاً اهل لغير الله فعطف
باو على ما في الصلة بعد ما فصل بين الصلة والموصول بقوله فانه رجس لان قوله
فانه رجس من الاعتراض الذي يسدد ما في الصلة ويوضحه فصار بذلك بمنزلة
الصفة لما في الصفة من التبيين والتخصيص ومثل هذا في الفصل والصلة قوله تعالى
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ففصل بقوله جزاء
سيئة بمثلها وترهقهم ذلة على الصلة مع هذا الفصل من حيث كان قوله جزاء سيئة
بمثلها يسدد ما في الصلة واما من رفع فقال او يرسل رسولاً فجعل يرسل حالاً
فان الجار في قوله من وراء حجاب متعلق بمحذوف ويكون في الظرف ذكر من ذي
الحال فيكون قوله الا وحياً على هذا التقدير مصدراً وقع موقع الحال كقولك
جئت ركضاً واتيت عدواً ويكون من في انه مع ما انجر به في موضع الحال كقوله ومن
الصالحين بعد قوله ويكلم الناس في المهد وكهلاً والمعنى ومن وراء حجاب
لمن قدر الكلام استثناء منقطعاً او حالاً يكلمهم غير مجاهر لهم بكلامه يريد
ان كلامه يسمع ويحدث من حيث لا يرى كما يرى سائر المتكلمين ليس ان ثم حجاباً
يفصل موضعاً من موضع فيدل ذلك على تحديد المحجوب ومن رفع يرسل كان يرسل

في موضع نصب على الحال والمعنى هذا كلامه اياهم كما تقول حييتك لضربك عقابك السيف
المعنى ثم ذكر سبحانه اجل النعم وهي النبوة فقال وما كان لبشر ان يكلمه الله اي ليس لاحد
من البشر ان يكلمه الله الا ان يوحي اليه وحيا وهو داود اوحي في صدره فزبر الزبور
او من وراء حجاب اي ويكلمه من وراء حجاب وهو موسى عليه السلام او يرسل رسولا وهو
جبرئيل رسل الى محمد صلى الله عليه وآله عن مجاهد وقيل معناه ما كان لبشر ان يكلمه الله
الا بمثل ما يكلم به عباده من الامر بطاعته والنهي عن معاصيه وتنبيهه اياهم على ذلك
من جهة الخاطر والمنام وما اشبه ذلك على سبيل الوحي سماه وحيا لان الوحي في
اللغة ما جرى مجرى الايماء والتنبيه على الشيء من غير ان يفصح به او من وراء حجاب
وهو ان يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه الا من يريد ان يكلمه به نحو كلامه لموسى لانه
حجب ذلك عن جميع الخلق الا عن موسى وحده وفي المرة الثانية حجبه عن جميع الخلق
الا موسى والسبعين الذين كانوا معه وقد يقال انه حجب عنهم موضع الكلام الذي
اقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من اين يسمعونه لان الكلام عرض لا يقوم الا
في جسم ولا يجوز ان يكون اراد بقوله من وراء حجاب انه تعالى كان من وراء حجاب
يكلم عباده لان الحجاب لا يجوز الا على الاجسام المحدودة وعنى بقوله او يرسل رسولا
فيوحي باذنه ما يشاء ارساله ملائكته بكتبه وكلامه الى انبيائه ليبلغوا ذلك
عنه عباده فهذا ايضا ضرب من الكلام الذي يكلم الله تعالى به عباده ويأمرهم
فيه وينهاهم من غير ان يكلمهم على سبيل ما كلم به موسى وهو خلاف الوحي الذي
ذكر في اول الاية لانه تنبيه وخطاب ليس فيه افصاح عن ابي علي الجبائي وقال
الزجاج معناه ان كلام الله للبشر اما ان يكون بالهام يلهمهم او بكلام من وراء
حجاب كما كلم موسى او برسالة ملك اليهم فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله
ما يشاء انه علي عن الادراك بالابصار حكيم في جميع افعاله وكذلك اوحينا اليك
اي مثل ما اوحينا الى الانبياء قبلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني الوحي بامرنا
ومعناه القرآن لانه يهتدى به ففيه حياة من موت الكفر عن قتادة والجبائي وغيرهما

وقيل

وقيل هو روح القدس عن السدي وقيل هو ملك اعظم من جبرئيل وميكائيل كان
مع رسول الله صلى الله عليه وآله عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام قالا ولم يصعد
الى السماء وانه لفينا ما كنت تدري يا محمد قبل الوحي ما الكتاب ولا الايمان اي ما القرآن
ولا الشرايع ومعالم الايمان وقيل معناه ولا اهل الايمان اي من الذي يؤمن
ومن الذي لا يؤمن وهو من باب حذف المضاف ولكن جعلناه نورا اي جعلنا
الروح الذي هو القرآن نورا لان فيه معالم الدين عن السدي وقيل جعلنا
الايمان نورا لانه طريق النجاة عن ابن عباس نهدي به من نشاء من عبادنا
اي نرشده الى الجنة وانك لتهدي الى صراط مستقيم اي ترشد وتدعو الى طريق
مفض الى الحق وهو الايمان ثم فسر ذلك الصراط بقوله صراط الله الذي له
ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا الا الى الله تصير الامور اي اليه
ترجع الامور والتدبير يوم القيمة فلا يملك ذلك غيره سورة الزخرف
مكية كلها وقيل الا اية منها وسئل من ارسلنا الاية نزلت ببيت المقدس عن مقاتل
عدد آيها ثمان وثمانون آية شامي سبع في الباقين اختلافها آيتان حم كوفي
هو مهين حجازي بصري فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله
قال ومن قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عباد لا خوف عليكم
اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب وعن ابي بصير قال قال
ابو جعفر عليه السلام من ادمن قراءة حم الزخرف امنه الله في قبره من هوام الارض
ومن ضمة القبر حتى تقف بين يدي الله عز وجل ثم جاءت حتى يكون هي التي
يدخله الجنة بامر الله عز وجل تفسيرها لما ختم الله تعالى سورة عسق بذكر القرآن
والوحي وافتتح هذه السورة بذلك ايضا فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام
الكتاب لدينا لعلي حكيم افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين

قوم

خمس آيات القراة قراء اهل المدينه والكوفة غير عاصم ان كنتم بكسر الهمزة وا لبا
ان كنتم بفتحها الحجة قال ابو علي من قال ان كنتم فالمعنى لان كنتم فاما صفحا فانتصا
من باب صنع الله لان قوله افنضرب عنكم الذكر يدل على ان انصفح عنكم صفحا
وكان قولهم صفحت عنه اى اعرضت عنه ووليته صفحة العنق فالمعنى افنضرب
عنكم ذكر الانتقام منكم والعقوبة لكم لان كنتم قوما مسرفين وهذا تقرب من قوله
ايحسب الانسان ان يترك سدى وانكسر على انه جزاء استغنى عن جوابه بما تقدمه
مثل انت ظالم ان فعلت كانه قال ان كنتم مسرفين نضرب اللغة يقال ضربت عنه واضربت
عنه اى تركته وامسكت عنه ويقال صفح عنى بوجهه قال كثير وذكر امراة صفوح
فما تلقاك الا بخيله فمن مل منها ذلك الوصل ملت اى معرضة بوجهها والصفوح
في صفات الله تعالى معناه العفو عن الذنب كانه اعرض عن مجازاته بفضله يقال
صفحت عن ذنبه اذا عفا والاسراف مجاوزة الحد في العصيان المعنى حم من معنا
والكتاب المبين اقسم بالقران المبين للحلال والحرام المبين لا يحتاج اليه الانام
من شرايع الاسلام انا جعلناه اى انزلناه عن السدى وقيل قلناه عن مجاهد
ونظيره ويجعلون لله البنات اى يقولون قرانا عربيا اى بلسان العرب والمعنى
جعلناه على طريقة العرب في مذاهبها في الحروف والمفهوم ومع ذلك فانه لا يتمكن
احد منهم من انشا مثله والابتداء بما يقاربه في علو طبقته في البلاغة والفصاحة
اما لعدم علمهم لذلك ولانهم صرفوا عنه على الخلاف بين العلماء فيه لعلكم تعقلون
اى لكى تعقلوا وتتفكروا فتعلموا صدق من ظهر على يديه وفي هذه الاية دلالة على حدوث
القران لان المجعول هو المحدث بعينه وانه يعنى القرآن في ام الكتاب اى في اللوح المحفوظ
وانما سمى اما لان ساير الكتب تنسخ منه وقيل لان اصل كل شيء امه والقرآن مثبت عند
الله في اللوح المحفوظ كما قال بل هو قران مجيد في لوح محفوظ عن الزجاج وهو
الكتاب الذى كتب الله ما فيه ما يكون الى يوم القيمة لما راى في ذلك من صلاح
ملائكته بالنظر فيه وعلم فيه من لطف المكلفين بالاخبار عنه لدينا اى عندنا

عن ابن عباس

عن ابن عباس لعلى اى عال في البلاغة مظهر ما بالعباد اليه الحاجة وقيل معناه يعلو كل كتاب
بما اختص به من كونه معجزا وناسخا للكتب بوجوب ادامة العمل به وبما تضمنه من الفوايد وقيل
على اى عظيم الشان رفيع الدرجة لعظمه الملائكة والمومنون حكيم اى مظهر للحكمة البالغة
وقيل حكيم دلالة على كل حق وصواب فهو بمنزلة الحكيم الذى لا ينطق الا بالحق ووصف الله تعالى
القران بهاتين الصفتين على سبيل التوسع لانهما من صفات الحى ثم خاطب سبحانه من لم يعتبر
بالقران وجحد ما فيه من الحكمة والبيان فقال افنضرب عنكم الذكر صفحا والمراد بالذكر
هنا القران اى افنترك عنكم الوحى صفحا فلا نامركم ولا ننهاكم ولا نرسل اليكم رسولا
ان كنتم قوما مسرفين اى لان كنتم والمعنى انمسك عن انزال القران ونهملكم فلا نعرفكم
ما يجب عليكم من اجل انكم اسرفتم في كفركم وهذا استفهام انكار ومعناه انا لا نفعل
ذلك واصل ضربت عنه الذكر ان الراكب اذا ركب دابة فاراد ان يصرفها عن وجهه
ضربه بعضا او سوط ليعدل به الى جهة اخرى ثم وضع الضرب موضع الصرف
والعدل وقيل ان الذكر بمعنى العذاب ومعناه احسبتم انا لا نعذبكم ابدا عن السدى
قوله عز وجل وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ — من كان ام
مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ خمس آيات المعنى ثم عزى
سبحانه نبيه بقوله وكم ارسلنا من نبى في الاولين اى في الامم الماضية وما ياتيهم
من نبى الا كانوا به يستهزئون يعنى ان الامم الخالية التى ذكرها كفرت بالانبياء وسخرت
منهم لفرط جهالتهم وعنادهم واستهزأت بهم كما استهزأ قومك بك فلم نضرب
عنهم صفحا لاستهزائهم برسلهم بل كرّرنا الحجج واعدنا الرسل فاهلكنا اشد منهم
بطشا اى فاهلكنا من اولئك الامم بانواع العذاب من كان اشد قوة ومنعة
من قومك فلا تغتر هولاء المشركين بالقوة والنجدة ومضى مثل الاولين اى سبق فيما
انزلنا اليك شبه حال الكفار الماضية بحال هولاء في التكذيب لما اهلكوا اولئك

تكذيبهم وسلم نعاقبه هولاء ايضاً الاهلاك ولين سالتهم اى ان سالت قومك يا محمد
من خلق السموات والارض اى انشاها واخترعهما ليقولن خلقهن العزيز العليم اى لم يكن
جوابهم فى ذلك الا ان يقولوا خلقهن يعنى السموات والارض العزيز القادر الذى لا يقهر
العليم بمصالح الخلق وهو الله تع لانه لا يمكنهم ان يحيلوا فى ذلك على الاصنام والاوثان
وهذا اخبار عن غاية جهلهم اذا عرفوا بان الله خالق السموات والارض ثم عبدوا
معه غيره وانكروا قدرته على البعث ثم وصف سبحانه نفسه فقال الذى جعل لكم الارض
مهدا وقرى مهاداً وقد مضى ذكره فى طه وجعل لكم فيها سبلاً تسلكونها لكى تهتدوا
الى مقاصدكم فى اسفاركم وقيل معناه لتهتدوا الى الحق فى الدين بالاعتبار الذى
حصل لكم بالنظر فيها قوله عز وجل وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا
بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ
وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ
وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ
وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ خمس آيات اللغة يقال
انشر الله الخلق فنشروا اى احياهم فحيوا قال الاعشى شعر لو اسندت ميتا الى نحرها
عاش ولم ينقل الى قابر حتى يقول الناس مما راوا يا عجبا للميت الناشر الاقران
الاطاقة يقال اقرنت لهذا البعير اى اطقته المعنى ثم اكد سبحانه ما قدمه بقوله والذى
نزل من السماء ماء اى غيثا ومطرا بقدر اى بقدر الحاجة لا زائداً عليها فيفسد ولا ناقصا
عنها فيضر ولا ينفع وفى ذلك دلالة على انه واقع من قادر مختار قد قدره على ما تقتضيه
الحكمة لعلمه بذلك فانشرنا اى فاحيينا به اى بذلك المطر بلدة ميتا اى جافا يابسة باخراج
النبات والاشجار والزروع والثمار كذلك اى مثل ما اخرج النبات من الارض اليابسة
تخرجون من قبوركم يوم البعث والذى خلق الازواج كلها يعنى ازواج الحيوان من ذكر
وانثى وقيل معناه خلق الاشكال جميعها من الحيوان والجماد فمن الحيوان الذكر والانثى
ومن غير الحيوان مما هو كالمتقابل كالحلو والمر والرطب واليابس وغير ذلك وقيل الازواج

الشتا والصيف

الشتا والصيف والليل والنهار والشمس والقمر والسماء والارض والجنة والنار عن الحسن
وجعل لكم من الفلك اى السفن والانعام والابل والبقر عن سعيد بن جبير وقيل الابل
ما تركبون فى البر والبحر لتستووا على ظهوره بين سبحانه ان الغرض فى خلق ما ذكره
على ظهور ما جعل لكم فالضمير فى ظهوره يعود الى لفظ ما ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم
عليه فتشكروا على تلك النعمة التى هى تسخير المركب ويقولوا معترفين بنعمة منزهين
له عن شبه المخلوقين سبحان الذى سخر لنا هذا المركب اى ذلله لنا حتى ركبنا
وما كنا له مقرنين اى مطيقين مقاومين فى القوة وانا الى ربنا لمنقلبون اى وليقولوا
ايضاً ذلك ومعناه وانا الى الله راجعون فى آخر عمرنا على مركب آخر وهو الجنازة
قال قتاده قد علمكم كيف تقولون اذا ركبتم وروى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وآله كان اذا استوى على بعيره خارجاً من سفر كبر ثلثاً وقال سبحان الذى سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسئلك فى سفرنا هذا البر والتقوى
والعمل بما ترضى اللهم هون علينا سفرنا واطو عنا بعده اللهم انت الصاحب فى السفر والخليفة
فى الاهل اللهم انى اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء النظر فى الاهل والمال
واذا رجع قال آيبون تائبون لربنا حامدون اورده مسلم فى الصحيح وروى العياشى
باسناده عن ابى عبد الله عليه السلم قال ذكر النعمة ان يقول الحمد لله الذى هدانا للاسلام
وعلمنا القران ومن علينا بمحمد صلى الله عليه وآله ويقول بعده سبحان الذى سخر لنا
هذا الى آخره ثم رجع سبحانه الى ذكر الكفار الذين قدم ذكرهم فقال وجعلوا له
من عباده جزأ اى نصيباً يعنى حكموا بان بعض عباده وهم الملائكة له اولاد ومعنى
الجعل هنا الحكم وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد والحسن لانهم زعموا ان الملائكة
بنات الله قال الزجاج قد انشد بعض اهل اللغة بيتا يدل على ان معنى جزء معنى الاناث
وهو ان اجزات حرة يوماً فلا عجب قد تجزى الحرة المذكار احيانا اى ان انثت
وقيل ان معناه وجعلوا لله من مال عباده نصيباً فيكون كقوله وجعلوا لله
مما ذرا من الحرث والانعام نصيباً وحذف المضاف ان الانسان لكفور مبين

اي جاحد لنعم الله تعالى مظهر لكفره غير مستتر به قوله عز وجل أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ
وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا
وَهُوَ كَظِيمٌ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ وَجَعَلُوا
الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ
وَيُسْأَلُونَ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
إِلَّا يَخْرُصُونَ خمس آيات القراءة قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر ينشأ بضم الياء
وفتح النون وتشديد الشين والباقون ينشأ بفتح الياء وسكون النون والتخفيف
وقرأ اهل الكوفة وابو عمرو عباد الرحمن والباقون عند الرحمن وقرأ اهل المدينة
أشهدوا على افعلوا بضم الهمزة وسكون الشين وقبلها همزة الاستفهام مفتوحة
ثم تخفف الثانية من غير ان يدخل بينهما الف وبعضهم يدخل بينهما الفا وقرأ الباقون
اشهدوا بفتح الالف والشين الحجة قال ابو علي يقال نشأت السحابة ونشأ الغلام
فاذا نقل هذا الفعل بالهمزة كقوله وينشئ السحاب الثقال ثم انشأناه خلقا اخر
تعدى الى مفعوله من قرأ ينشأ كان مثل فرح وافرح وعزم واعزم وموضع
من نصب على تقدير اتخذوا له من ينشأ في الحلية على وجه التقريع لهم بما افتروه
كما قال تعالى ام له البنات ولكم البنون ووجه من قرأ عباد الرحمن قوله بل عباد
مكرمون ووجه من قرأ عند الرحمن قوله ومن عنده لا يستكبرون عن
عبادته ولا يستحسرون وقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون وفي
هذا دلالة على رفع المنزلة والتقريب كما قال ولا الملائكة المقربون وليس من قرب
المسافة وشهدت يستعمل على ضربين احدهما بمعنى الحضور والآخر بمعنى العلم
والذي بمعنى الحضور يتعدى الى مفعول به يدلك على ذلك قوله ويوم شهدناه
سليما وعامرا تقديره شهدنا فيه سليما ومن ذلك قوله شهدناه فما تلقى لنا
من كتيبة يد الدهر الا جبرئيل امامها فهذا محذوف الفعل التقدير فيه شهدنا
المعركة فهذا الضرب اذا نقل بالهمزة تعدى الى مفعولين تقول شهد زيد المعركة

واشهدته

واشهدته اياها ومن ذلك قوله ما اشهدتهم خلق السموات وما شهدت
الذي بمعنى علمت فيستعمل على ضربين احدهما ان يكون قسما والآخر ان يكون غير قسم
فاستعمالهم اياه قسما كاستعمالهم علم الله ويعلم الله قسمين تقول علم الله [illegible]
فيتلقاه ما يتلقى الاقسام وانشد سيبويه ولقد علمت لتأتين منيتي ان المنايا
لا تطيش سهامها وحكي ان زفر كان يذهب الى انه اذا قال اشهد بالله كان يمينا
وان قال اشهد ولم يقل بالله لم يره يمينا وقال محمد اشهد غير موصولة
بقوله بالله مثل اشهد بقولك بالله مثل اشهد موصولة بقولك بالله
في انه يمين واستشهد على ذلك بقوله قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال
والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فجعله يمينا
ولم يوصل بقوله بالله واما شهدت الذي يراد به علمت ولا يراد به حضرت
فهو ضرب من العلم مخصوص فكل شهادة علم وليس كل علم شهادة ومما يدل
على اختصاصه في العلم انه لو قال عند الحاكم اعلم ان لزيد على عمرو عشرة
لم يحكم بها حتى يقول اشهد فالشهادة مثل التيقن في انه ضرب من العلم
مخصوص وليس كل علم تيقنا وان كان كل تيقن علما فكان معنى اشهد ايها الحاكم
على كذا اعلمه علما بحضرتي قد تبين لي فلا اتوقف فيه لوضوحه عندي
وتبينه لي وليس كذلك سبيل المعلومات كلها الا ترى ان منها ما يحتاج
الى توقف فيه واستدلال عليه فاما قوله اشهدوا خلقهم فمن الشهادة التي هي
الحضور كأنهم وبخوا على ان قالوا ما لم يحضروه مما حكمه ان يعلم بالمشاهدة
ومن قال اشهدوا خلقهم فالمعنى احضروا ذلك فكان الفعل متعديا الى
مفعولين فلما بني للمفعول به نقص مفعول فتعدى الفعل الى مفعول واحد
ويقوي هذه القراءة ما اشهدتهم خلق السموات والارض واما قوله اني
اشهد الله واشهدوا اني بريء فحذف المفعول الاول على حد ضربني وضربت
وهذا منقول من شهد بكذا الا ان حرف الجر يحذف مع ان وان المعنى ثم انكر سبحانه

عليهم قولهم فقال ام وهذا استفهام انكار وتوبيخ ومعناه بل اتخذ مما يخلق
بنات اي اتخذ ربكم لنفسه البنات واصفاكم اي اخلصكم بالبنين وهذا
افاصفاكم ربكم بالبنين الاية ثم زاد في الاحتجاج عليهم بان قال واذا بشر
احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اي بما جعل لله شبها وذلك ان ولد كل شيء
شبهه وجنسه فالمعنى واذا بشر احدهم بولادة ابنة له ظل وجهه مسودا بما يلحقهم
من الغم بذلك وهو كظيم اي مملوء كربا وغيظا ثم وبخهم بما افتروه فقال
اومن ينشا في الحلية اي اوجعلوا من ينشا في الحلية اي في زينة النسا لله عز وجل
يعني البنات وهو في الخصام يعني المخاصمة غير مبين للحجة قال قتادة فلما تتكلم
امراة بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها اي لا يمكنها ان تبين الحجة عند الخصومة
لضعفها وسفهها وقيل معناه او يعبدون من ينشا في الحلية ولا يمكنه
ان ينطق بحجة ويعجز عن الجواب وهم الاصنام فانهم كانوا يحلونها بالحلي عن ابن
زيد وانما قال وهو في الخصام ولم يقل وهي لانه حمله على اللفظ وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا بان زعموا انهم بنات الله اشهدوا خلقهم هذا رد
عليهم اي احضروا خلقهم حتى علموا انهم اناث وهذا كقوله ام خلقنا الملائكة
اناثا وهم شاهدون ستكتب شهادتهم بذلك ويسالون عنها يوم القيمة وقالوا
لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء الرحمن ان لا نعبدهم ما عبدناهم فانما عبدناهم
بمشية الله ما لهم بذلك من علم اي لا يعلمون صحة ما يقولونه هذه اشارة الى بطلان
قولهم لما لم يصدر عن دليل وعلم ان هم الا يخرصون اي ما هم الا كاذبون قال ابو حامد
كذبهم الله تعالى لانهم انكروا التوحيد باضافتهم الولد اليه سبحانه وفارقوا العدل
باضافتهم الكفر الى مشية الله قوله عز وجل ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به
مستمسكون بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون وكذلك
ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا
على امة وانا على اثارهم مقتدون قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه

اباءكم

اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين خمس ايات القراءة قرا ابن عامر وحفص قال اولو وقرا الباقون قل
وقرا ابو جعفر جئناكم والباقون جئتكم الحجة قال ابو علي من قرا قال فالمعنى قال لهم
النذير اولو جئتكم ومن قرا قل فانه يكون حكاية ما اوحي الى النذير كانه اوحي اليه
فقلنا له قل لهم اولو جئتكم باهدى من ذلك المعنى لما حكى الله سبحانه تخرص من اضاف
عبادة الاصنام والملائكة الى مشية الله قال ام اتيناهم كتابا وهو استفهام بمعنى
التقرير لهم على خطائهم والتقدير اهذا الذي ذكروه شيء تخرصوه وافتعلوه ام اتيناهم
كتابا من قبله فهم به مستمسكون اي متمسكون بذلك فاذا لم يمكنهم ادعاء ان الله تعالى
انزل بذلك كتابا علم ان ذلك من تخرصهم ودل ام على حذف حرف الاستفهام لانه
المعادلة له ثم اعلم انهم اتبعوا اباءهم في الضلالة فقال ليس الامر كذلك بل قالوا
انا وجدنا اباءنا على امة اي على ملة وطريقة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي
وقيل على جماعة اي كانوا مجتمعين موافقين على ما نحن عليه عن الجبائي وانا على اثارهم
مهتدون نهتدي بهداهم ثم قال سبحانه وكذلك اي ومثل ما قال هؤلاء في
الحوالة على تقليد اباءهم في الكفر ما ارسلنا من قبلك يا محمد في قرية ومجمع من الناس
من نذير اي نذيرا لان من زيادة الا قال مترفوها وهم المتنعمون الذين اثروا الترفه
على طلب الحجة يريد الرؤسا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون
نقتدي بهم فلا نخالفهم واحال جميعهم على التقليد للاباء فحسب دون الحجة والتقليد
قبيح في العقول اذ لو كان جائزا لكان يلزم في ذلك ان يكون الحق في الشيء ونقيضه
فلكل فريق يقلد اسلافه مع ان كلا منهم يعتقد ان من سواه على خطا وضلال
وهذا باطل لا شبهة في بطلانه فاذا لا بد من الرجوع الى الحجة عقلية او سمعية ثم قال
سبحانه للنذير قل لهم اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم تتبعون ما وجدتم
اباءكم ولا تقبلون ما جئتكم به وفي هذا احسن التلطف في الاستدعاء الى الحق وهو
انه لو كان ما يدعونه حقا وهدى وكان ما جئتكم به من الحق اهدى منه كان

اوجب ان يتبع ويرجع اليه ثم اخبر انهم ابوا ان يقبلوا ذلك وقالوا انا بما ارسلتم
به ايها الرسل كافرون ثم ذكر سبحانه ما فعل بهم فقال فانتقمنا منهم بان اهلكناهم
وعجلنا عقوبتهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين لانبياء الله والجاحدين لهم
وفي هذا اشارة الى ان العاقبة المحمودة يكون لاهل الحق والمصدقين لرسل الله
قوله عز وجل وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِيمُ لِاَبِيهِ وَقَوْمِهِ اِنَّنِي بَرَاۤءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ اِلَّا الَّذِي
فَطَرَنِي فَاِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ بَلْ مَتَّعْتُ
هٰؤُلَاۤءِ وَاٰبَاۤءَهُمْ حَتّٰى جَاۤءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ وَلَمَّا جَاۤءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هٰذَا
سِحْرٌ وَاِنَّا بِهِ كَافِرُونَ خمس آيات اللغة يقول العرب انا براء منك ونحن براء منك
الذكر والانثى والاثنان والجماعة فيه سواء والمعنى انا ذو براء منك كما قالوا
رجل عدل وامراة عدل وقوم عدل اي ذو عدل وذات عدل المعنى واذ قال ابرهيم
لابيه وقومه حين راهم يعبدون الاصنام والكواكب انني براء مما تعبدون ثم استثنى
خالقه من جملة ما كانوا يعبدونه فقال الا الذي فطرني اي سوى الله الذي
خلقني وابتدأني في تقدير الامر الذي فطرني قال قتاده كانوا يقولون الله ربنا
مع عبادتهم الاوثان فانه سيهدين الى طريق الجنة بلطف من الطافه وقيل سيهدين
الى الحق بما نصب لي من الادلة وفيه بيان ثقته بالله تعالى ودعاء لقومه الى ان
يطلبوا الهداية من عنده وجعلها كلمة باقية في عقبه اي جعل كلمة التوحيد وهي
قول لا اله الا الله كلمة باقية في ذرية ابرهيم ونسله فلم يزل فيهم من يقولها عن قتاده
ومجاهد والسدي وقيل جعل هذه الكلمة التي قالها ابرهيم وهو براءته من الشرك باقية فيه
في ولده من بعده وقيل الكلمة الباقية في عقبه هي الامامة الى يوم القيمة عن ابي
عبد الله عليه السلم واختلف في عقبه من هم فقيل ذريته وولده عن ابن عباس والسدي
ومجاهد وقيل ولده الى يوم القيمة عن الحسن وقيل هم آل محمد عليهم السلام اليمن
لعلهم يرجعون اي لعلهم يتوبون ويرجعون عما هم عليه الى الاقتداء بابيهم ابرهيم
في توحيد الله تعالى كما اقتدى الكفار بآبائهم عن الفراء والحسن وقيل لعلهم يرجعون

عماهم عليه الى عبادة الله ثم ذكر سبحانه نعمه على قريش فقال بل متعت هولاء وآباءهم
المشركين بانفسهم واموالهم وانواع النعم ولم اعاجلهم بالعقوبة لكفرهم حتى جاءهم
الحق اي القران عن السدي وقيل الايات الدالة على الصدق ورسول مبين يبين الحق
ويظهره وهو محمد صلى الله عليه وآله ولما جاءهم الحق اي القران قالوا هذا سحر مبين
اي حيلة خفية وتمويه وانا به كافرون جاحدون لكونه من قبل الله تعالى
وجه اتصال قصة ابرهيم بما قبلها انه سبحانه لما ذم التقليد واوجب اتباع الحق
والدليل اتبعه بذكر ابرهيم الخليل حيث اتبع الحجة واوضح المحجة وقيل انه سبحانه
لما ذم التقليد وذكر ان الكفار ابوا الا ذلك ذكر ان تقليد ابرهيم اولى لانهم
من اولاده وذريته ويدعون انهم على طريقه وانما اتصل قوله بل متعت هولاء
وآباءهم بما تقدمه من ذكر اعراضهم عن الحجة وتعويلهم على التقليد فبين سبحانه
انهم اتوا من قبل نفوسهم فقد ازيحت علتهم بان امهلوا ومتعوا ثم جاءهم الحق
فلم يومنوا قوله عز وجل وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْاٰنُ عَلٰى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ
اَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا
بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ
مِمَّا يَجْمَعُونَ وَلَوْلَا اَنْ يَكُونَ النَّاسُ اُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ
سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِبُيُوتِهِمْ اَبْوَابًا وَسُرُرًا
عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفًا وَاِنْ كُلُّ ذٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةُ
عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ خمس آيات القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو وابو جعفر سقفا
بفتح السين والباقون بضم السين والقاف وقرا عاصم وحمزه وان كل ذلك لما
بتشديد الميم والباقون لما خفيفة الميم الحجة قال ابو علي سقف جمع سقف مثل رهن
ورهن ويخفف فيقال رهن وفعل في الجمع مخفف وسقفا واحد يدل على الجمع الا ترى
انه علم بقوله لبيوتهم ان لكل بيت سقفا ومن شدد لما كانت ان عنده بمنزلة
ما النافية فالمعنى ما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا ولما في معنى الا حكى سيبويه نشدتك الله

لما نعلت وحمله على الا وهذه الآية يدل على فساد قول من قال ان قوله وان كل لما جميع لدينا
محضرون ان المعنى لمن هو جميع لدينا حاضرون وزعموا ان في حرف ابي وما ذلك
الا متاع الحيوة الدنيا ومن قرأ لما بالتخفيف فان ان في قوله هي المخففة من الثقيلة
واللام فيها هي التي يدخل ليفصل بين النفي والايجاب في قوله هبلتك ان قتلت لفارسا
ومن نصب بها مخففة فقال ان زيدا لمنطلق لستغني عن هذه اللام لان النافية
لا ينتصب بعدها اسم فلا يقع اللبس في ما فيه زيادة والمعنى وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا
اللغة المعارج الدرج واحدها معرج والعروج الصعود وظهر عليه اذا علاه
وصعده قال النابغة الجعدي شعر بلغنا السماء مجدنا وفعالنا وانا لنرجوا
فوق ذلك مظهرا والسرر جمع سرير يجمع ايضا على اسرة والزخرف كمال حسن الشيء
ومنه قيل للذهب زخرف ويقال زخرفه زخرفة اذا حسنه وزينه ومنه قيل للنقوش و
التصاوير زخرف وفي الحديث انه صلى الله عليه وآله لم يدخل الكعبة حتى امر بالزخرف
فنحي المعنى وقالوا اي وقال هؤلاء الكفار لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
مكة والطايف وتقدير الآية على رجل عظيم من القريتين اي من احدى القريتين
فحذف المضاف يعنون بالرجل العظيم من احدى القريتين الوليد بن المغيرة من مكة
وحبيب بن عمرو الثقفي من الطايف عن ابن عباس وانما قالوا ذلك لان الرجلين
كانا عظيمي قومهما وذوي الاموال الجسيمة فيهما فدخلت الشبهة عليهم حتى اعتقدوا
ان من كان كذلك كان اولى بالنبوة فقال الله سبحانه ردا عليهم اهم يقسمون رحمة
ربك يعني النبوة بين الخلق بين سبحانه انه هو الذي يقسم النبوة لا غيره والمعنى
ابايديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا عن مقاتل ثم قال نحن قسمنا
بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا اي نحن قسمنا الرزق في المعيشة على حسب ما علمنا
من مصالح عبادنا فليس لاحد ان يتحكم في شيء من ذلك فكما فضلنا بعضهم على بعض
في الرزق فكذلك اصطفينا للرسالة من نشاء وقوله ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات معناه افقرنا البعض واغنينا البعض فلقي ضعيف الحيلة عيي اللسان وهو مبسوط

له وتلقى

له وتلقى شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مقتر عليه لم نفوض ذلك اليهم
مع قلة خطره بل جعلناه على ما توجبه الحكمة والمصلحة فكيف نفوض اختيار
النبوة اليهم مع عظم محلها وشرف قدرها وقوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا
معناه ان الوجه في اختلاف الرزق بين العباد في الضيق والسعة زيادة
على ما فيه من المصلحة ان في ذلك تسخيرا من بعض العباد لبعض باحواجهم اليهم
يستخدم بعضهم بعضا فينتفع احدهم بعمل الآخر له فينتظم بذلك امر العالم
وقيل معناه ليملك بعضهم بعضا بما لهم فيتخذونهم عبيدا ومماليك عن قتاده
والضحاك ورحمة ربك خير مما يجمعون اي ورحمة الله سبحانه ونعمته
من الثواب والجنة خير مما يجمعه هؤلاء من حطام الدنيا وقيل معناه والنبوة
لك من ربك خير مما يجمعونه من الاموال عن ابن عباس ثم اخبر سبحانه عن هوان
الدنيا عليه وقلة مقدارها عنده فقال ولولا ان يكون الناس امة واحدة
اي لولا ان يجتمع الناس على الكفر فيكونوا كلهم كفارا على دين واحد لميلهم الى الدنيا
وحرصهم عليها عن ابن عباس والحسن وقتاده معناه ولولا ان يجتمع الناس على اختيار
الدنيا على الدين عن ابن زيد لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة قوله
لبيوتهم بدل من قوله لمن يكفر والمعنى لجعلنا البيوت من يكفر بالرحمن سقفا من فضة
فالسقف اذا كان من فضة فالحيطان من فضة وقيل ان اللام الثانية بمعنى
على فكانه قال لجعلنا لمن يكفر بالرحمن على بيوتهم سقفا وقال مجاهد ما يكون من السماء
فهو سقف بالفتح وما يكون من البيت فهو سُقُف بضمتين ومنه قوله وجعلنا
السماء سقفا ومعارج عليها يظهرون اي وجعلنا درجا وسلاليم من فضة لتلك
السقف عليها يعلون ويصعدون ولبيوتهم ابوابا وسررا اي وجعلنا لبيوتهم
ابوابا وسررا من فضة عليها اي على تلك السرر يتكئون وزخرفا اي ذهبا عن ابن
عباس والضحاك وقتاده وهو منصوب بفعل مضمر اي وجعلنا لهم مع ذلك ذهبا
وقيل الزخرف النقوش عن الحسن وقيل هو الفرش ومتاع البيت عن ابن زيد والمعنى

لاعطي الكافر في الدنيا غاية ما يتمناه فيها لقلتها وحقارتها عنده ولكنه
سبحانه لم يفعل ذلك لما فيه من المفسدة ثم اخبر سبحانه ان جميع ذلك انما يتمتع
به في الدنيا فقال وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين والاخرة
اي والجنة الباقية عند ربك للمتقين خاصة لهم قال الحسن واللّه لقد مالت الدنيا
باكثر اهلها وما فعل سبحانه ذلك فكيف لو فعله وفي الايات دلالة على اللطف
وانه تعالى لا يفعل المفسدة وما يدعوا الى الكفر واذا لم يفعل ما يؤدي الى الكفر
فان لا يفعل الكفر ولا يريده اولى قوله عز وجل وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ
لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
مُهْتَدُونَ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ
وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ
أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ خمس آيات القراة قرا عاصم في رواية
حماد ويعقوب يقيض بالياء والباقون نقيض بالنون وقرا اهل العراق غير ابي بكر
حتى اذا جاءنا على الواحد والباقون جاآنا على الاثنين الحجة من قرا يقيض بالياء
فالضمير يعود الى الرحمن ومن قرا بالنون فالمعنى على ذلك لكنه سبحانه اخبر
عن نفسه بنون العظمة ومن قرا جاآنا على التثنية فهو الكافر وقرينه ومن قرا
جانا فهو الكافر لانه افرد بالخطاب في الدنيا واقيمت عليه الحجة بانفاد الرسول
اليه فاجتزى بالواحد عن الاثنين كما قال لينبذن في الحطمة والمراد لينبذنه
هو وماله اللغة العشو اصله النظر ببصر ضعيف يقال عشى يعشو عشوا وعشوا
اذا ضعف بصره واظلمت عينه كان عليها غشاوة قال متى تأته تعشو الى ضوء ناره
تجد خير نار عندها خير موقد واذا ذهب البصر قيل عشى يعشى عشى والرجل
اعشى وقرى في الشواذ ومن يعش بفتح الشين ومعناه يعم ويقال عشا الى النار
اذا اتاها وقصد لها وعشا عنها اذا اعرض عنها قاصدا لغيرها لقولهم مال اليه
ومال عنه والتقييض الاتاحة الازهري تبض الله فلانا لفلان جاء به المعنى لما تقدم

ذكر الوعد

٣٤

ذكر الوعد للمتقين عقبه بذكر الوعيد لمن هو على ضد صفتهم فقال ومن يعش عن ذكر
الرحمن اي يعرض عنه عن قتاده والسدي وقيل معناه ومن يعم عنه عن ابن عباس
وابن زيد قال الجبائي شبههم بالاعمى لما لم يبصروا الحق والذكر هو القران وقيل هو الايات
والادلة نقيض له شيطانا فهو له قرين اي نخلي بينه وبين الشيطان الذي يغويه
ويدعوه الى الضلالة فيصير قرينه عوضا عن ذكر الله عن الحسن وابي مسلم قال الحسن
وهو الخذلان عقوبة له عن الاعراض حين علم انه لا يفلح وقيل معناه نقرن به شيطانا
في الاخرة يلزمه فيذهب به الى النار كما ان المومن يقرن به ملك فلا يفارقه حتى يصير
به الى الجنة عن قتاده وقيل اراد به شياطين الانس نحو علماء السوء ورؤساء الضلالة
يصدونهم عن سبيل الله فيتبعونهم وانهم يعني وان الشياطين وانما جمع لان قوله
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا في مذهب جمع وان كان اللفظ على الواحد
ليصدونهم اي يصرفون هولاء الكفار عن السبيل اي عن طريق الحق ويحسبون
انهم مهتدون اي ويحسب الكفار انهم على الهدى فيتبعونهم حتى اذا جاءنا من قرا
على التثنية فالمعنى جانا الشيطان ومن اغواه يوم القيمة الذي يتولى سبحانه حساب
الخلق فيه ومن قرا على التوحيد فالمعنى حتى اذا جاءنا الكافر وعلم ما يستحقه من العقاب
قال في ذلك الوقت لقرينه الذي اغواه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يعني المشرق
والمغرب فغلب احدهما كما قال الشاعر شعر اخذنا بافاق السماء عليكم ٭ لنا قمراها والنجوم
الطوالع ٭ يعني الشمس والقمر يعني محمدا وابرهيم عليهما السلام وقيل اراد بالمشرقين مشرق
الشتا ومشرق الصيف كما في قوله رب المشرقين والمراد يا ليت بيني وبينك هذا البعد
مسافة فلم ارك ولا اغتررت بك فبئس القرين كنت لي في الدنيا حيث اضللتني
واوردتني النار وبئس القرين انت لي اليوم فانهما يكونان مشدودين في سلسلة
واحدة زيادة عقوبة وغم عن ابن عباس ويقول الله سبحانه في ذلك اليوم للكفار
ولن ينفعكم الفراد اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون اي لا يخفف الاشتراك عنكم شيئا
من العذاب لانه لكل احد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب وقيل انه

انه لا تسليهم عما هم فيه بما يرونه بغيرهم من العذاب لانه قد يتسلى الانسان عن المحنة اذا راى
ان عدوه فى مثلها تمرة للنبيه صلى الله عليه وآله افانت تسمع الصم او تهدى العمى
شبه الكفار فى عدم انتفاعهم بما يسمعونه ويرونه بالصم العمى ومن كان فى ضلال مبين
اى بين ظاهر معناه فلا يضيقن صدرك فانك لا تقدر على اكراههم على الايمان قوله
عز وجل فَاِمّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَاِنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ اَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِى وَعَدْناهُمْ فَاِنّا
عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى اُوحِىَ اِلَيْكَ اِنَّكَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ وَاِنَّهُ
لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ وَسْئَلْ مَنْ اَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا
اَجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ خمس آيات الاعراب لما دخلما على حرف الشرط
اشبه القسم فى التوكيد والايذان بطلب التصديق فدخلت النون فى الكلام لذلك
الا ان النون يلزم فى جواب القسم ولا يلزم فى الجزاء لانه مشبه به المعنى ثم خاطب سبحانه صلى
الله عليه وآله فقال فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون اى فاما نتوفينك فانا منتقمون
من امتك بعدك او نرينك الذى وعدناهم معناه او نبقينك ونرينك فى حياتك
ما وعدناهم من العذاب فانا عليهم مقتدرون اى قادرون على الانتقام منهم وعقوبتهم
فى حياتك وبعد وفاتك قال الحسن وقتاده ان الله اكرم نبيه بانه لم يره تلك النقمة ولم
يره فى امته الا ما قرت به عينه وقد كان بعده نقمة شديدة وقد روى انه اري
ما تلقى امته بعده فما زال منقبضا ولم ينبسط ضاحكا حتى لقى الله تعالى وروى جابر بن
عبد الله الانصارى قال انى لادناهم من رسول الله فى حجة الوداع بمنى حتى قال
لا لفينكم ترجعون بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وايم الله لئن فعلتموها
لتعرفننى فى الكتيبة التى تضاربكم ثم التفت الى خلفه فقال او على ثلث مرات فراينا ان جبرئيل
عليه السلام غمزه فانزل الله على اثر ذلك فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون بعلى بن ابى طالب
وقيل ان النبى اري الانتقام منهم وهو ما كان من نقمة الله من المشركين يوم بدر بعد ان
اخرجوه من مكه فقد اسر منهم وقتل مع قلة اصحابه وضعف منتهم وكثرة الكفار وشدة
شوكتهم ثم امره سبحانه بالتمسك بالقران فقال فاستمسك بالذى اوحى اليك من القرآن

بان تتلوه حق تلاوته وتتبع اوامره وتنتهى عما نهى فيه عنه انك على صراط مستقيم اى على
دين حق صواب وهو دين الاسلام وانه لذكر لك ولقومك اى وان القران الذى
اوحى اليك لشرف لك ولقومك من قريش عن ابن عباس والسدى وقيل لقومك
اى للعرب لان القران نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف القريش اكثر من غيرهم
ثم لبنى هاشم اكثر مما يكون لقريش وسوف تسالون عن شكر ما جعله الله لكم من الشرف
عن الكلبى والزجاج وغيرهما وقيل يسالون عن القران وعما يلزمكم من القيام بحقه
وسل من ارسلنا من قبلك من رسلنا معناه سل مومنى اهل الكتاب الذين ارسلنا
اليهم الرسل هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول اكثر المفسرين والتقدير سل امم
من ارسلنا فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقيل ان المراد سل اهل الكتاب
التورية والانجيل وان كانوا كفارا فان الحجة يقوم بتواتر خبرهم والخطاب وان توجه
الى النبى صلى الله عليه وآله فالمراد الامة اى سئلوا من ذكرنا اجعلنا من دون الرحمن
الهة يعبدون اى هل جعلنا فيما مضى معبودا سوى الله يعبده قوم فانهم يقولون
انا لن نامرهم بذلك ولا تعبدناهم به وقيل معناه وسل الانبياء وهم الذين جمعوا
له ليلة الاسراء وكانوا تسعين نبيا منهم موسى وعيسى ولم يسالهم لانه كان
اعلم بالله منهم عن الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد قوله عز وجل وَلَقَدْ
اَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا اِلى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَقالَ اِنِّى رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ
فَلَمّا جاءَهُمْ بِآياتِنا اِذا هُمْ مِنْها يَضْحَكُونَ وَما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ اِلّا هِىَ اَكْبَرُ مِنْ
اُخْتِها وَاَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَقالُوا يا اَيُّهَا السّاحِرُ ادْعُ
لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ اِنَّنا لَمُهْتَدُونَ فَلَمّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ
اِذا هُمْ يَنْكُثُونَ وَنادى فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ قالَ يا قَوْمِ اَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهذِهِ
الْاَنْهارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى اَفَلا تُبْصِرُونَ اَمْ اَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِى هُوَ
مَهِينٌ وَلا يَكادُ يُبِينُ فَلَوْلا اُلْقِىَ عَلَيْهِ اَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ اَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ
مُقْتَرِنِينَ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاَطاعُوهُ اِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ

عشر آيات حجازى بصرى تسع عند غيرهم القراءة قرأ حفص ويعقوب وسهل سورة الباقون
اساورة اللغة اسورة جمع سوار مثل سقاء واسقية وخوان واخونة ومن قرأ اساورة
جمع اسوار فيكون الهاء عوضا عن الياء التى كان ينبغى ان يلحق فى جمع اسوار على حد اعصار
واعاصير ويجوز فى اساورة ان يكون جمع اسورة فيكون مثل اسقية واساق ولحق الهاء
كالحق فى قشعم وقشاعمة المعنى ثم ذكر سبحانه حديث موسى عم فقال ولقد ارسلنا موسى
باياتنا اى بالحجج الباهرة والمعجزات القاهرة الى فرعون وملأيه اى اشراف قومه وخص
الملاء بالذكر وان كان ايضا مرسلا الى غيرهم لان من عداهم تبع لهم فقال موسى انى
رسول رب العالمين ارسلنى اليكم فلما جاءهم باياتنا اى فلما اظهر المعجزات التى هى اليد
البيضاء والعصا اذاهم منها يضحكون استهزاء واستخفافا وجهلا منهم بما عليهم من ترك
النظر فيها وبما لهم من النفع بحصول العلم بها وما نريهم من اية الا هى اكبر من اختها المراد
بذلك ما ترادف عليهم من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وكانت
كل اية من هذه الآيات اكبر من التى قبلها وهى العذاب المذكور فى قوله واخذناهم
بالعذاب لعلهم يرجعون لانهم عذبوا بهذه الآيات وكانت عذابا لهم ومعجزات لموسى
فغلب عليهم الشقا ولم يؤمنوا وقالوا يا ايها الساحر يعنون بذلك يا ايها العالم
وكان الساحر عندهم عظيما يعظمونه ولم يكن صفة ذم عن الكلبى والجبائى وقيل انما
قالوه استهزاء بموسى عن الحسن وقيل معناه يا ايها الذى غلبنا بسحره تقول العرب خاصمته
فخصمته وحاججته فحججته فكذلك ساحرته فسحرته وارادوا انه غالب السحرة فغلبهم
بسحره ادع لنا ربك بما عهد عندك اى بما زعمت انه عهد عندك وهو انه ضمن
لنا انا اذا امنا بك ان يكشف العذاب عنا انا لمهتدون اى راجعون الى الحق الذى
يدعونا اليه حتى يكشف عنا العذاب وفى الكلام حذف لان التقدير فدعا موسى عليه السلام
وسال ربه ان يكشف عنهم ذلك العذاب فكشف الله عنهم ذلك فلما كشفنا عنهم العذاب
اذا هم ينكثون اى يغدرون وينقضون العهد وفى هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وآله
والمعنى فاصبر يا محمد على اذى قومك فان حالك معهم كحال موسى مع قومه فيؤول الامر

الى الاستعلاء على قومك كما آل امره الى ذلك ونادى فرعون فى قومه معناه انه لما راى امر
موسى يزيد على الايام ظهورا واعتلاء خاف على مملكته فاظهر الخداع فخطب الناس بعد ما
اجتمعوا قال يا قوم اليس لى ملك مصر اتصرف فيها كما اشاء اراد بذلك اظهار بسطته
فى الملك والمال وهذه الانهار مثل النيل وغيرها تجرى من تحتى اى من تحت امرى
وقيل انها كانت تجرى تحت قصره وهو مشرف عليها افلا تبصرون هذا الملك العظيم
وقوتى وضعف موسى ام انا خير من هذا الذى هو مهين اى ضعيف حقير يعنى به موسى
قال سيبويه والخليل عطف انا بام على قوله افلا تبصرون لان معنى ام انا خير معنى
ام تبصرون فكانه قال افلا تبصرون ام تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير منه
فقد صاروا بصراء عنده وقيل المهين الفقير الذى يمتهن فى جميع ما يحتاج
اليه ليس له من يكفيه امره ولا يكاد يبين اى ولا يكاد يفصح بكلامه وحججه للعقدة التى
فى لسانه وقال الحسن كانت العقدة زالت حين ارسله كما قال مخبرا عن نفسه واحلل
عقدة من لسانى ثم قال قد اوتيت سؤلك يا موسى وانما عيره بما كان فى لسانه قبل
وقيل كان فى لسانه لثغة فرفعه الله تعالى وبقى فيه ثقل عن الجبائى فلولا القى عليه اساورة
من ذهب هلا طرح عليه اسورة من ذهب ان كان صادقا فى نبوته وكانوا اذا سودوا
رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين
متتابعين يعينونه على امره الذى بعث له ويشهدون له بصدقه وقيل متعاضدين
متناصرين كل واحد منهم بالى صاحبه فاستخف قومه معناه ان فرعون استخف عقول
قومه فاطاعوه فيما دعاهم اليه لانه احتج عليهم بما ليس بدليل وهو قوله اليس لى ملك مصر
الى اخره ولو عقلوا لقالوا ليس فى ملك الانسان دلالة على انه محق وليس يجب ان ياتى
مع الرسل ملائكة لان الذى يدل على صدق الرسل هو المعجز دون غيره انهم كانوا
قوما فاسقين اى خارجين عن طاعة الله تعالى النظم وجه اتصال قصة موسى بما قبلها
انه لما تقدم السؤال عن احوال الرسل وما جاؤا به اتصل به حديث موسى وعيسى
عليهما السلام لان اهل الكتابين اليهما ينتسبون وقيل انه لما تقدم ذكر محمد وتكذيب قومه

اياه ذكر حديث موسى عليه السلام تسلية وتطيبًا للقلب قوله عز وجل فلما آسفونا انتقمنا
منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفًا ومثلًا للآخرين ولما ضرب ابن مريم
مثلًا اذا قومك منه يصدون وقالوا ءالهتنا خير ام هو ما ضربوه لك
الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني
اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون ست آيات القراءة
قرا حمزة والكسائي سُلُفًا بضم السين واللام وقرا الباقون بفتحهما وقرا اهل
المدينة وابن عامر والاعشى والبرجمي والكسائي وخلف يصدون بضم الصاد و
الباقون بكسر الصاد الحجة فقرا سُلُفًا جاز ان يكون جمع السلف مثل أَسَد وأُسُد
وَوَثَن ووُثُن ومن قرا سلفا فلان فعلا قد جاء من حروف يراد بها الكثرة
فكانه اسم من اسماء الجمع قالوا خادم وخدم وطالب وطلب وحارس وحرس وكذلك
المثل واحد يراد به الجمع فلذلك عطف على سلف في قوله فجعلناهم سلفا ومثلا
ومعنى يصدون ويصدون جميعًا يضجون عن ابي عبيدة قال والكسر اجود ويقال صد
عن كذا فيوصل بعن كما قال صددت الكاس عنا ام عمرو وكان الكاس مجراها اليمين
وصدوا عن سبيل الله فمن ذهب في يصدون الى معنى يعدلون كان المعنى اذا قومك
منه اي من اجل المثل يصدون ولم يوصل يصدون بعن ومن قال يصدون
يضجون جعل من متصله بيضج كما يقول ضج من كذا وقال بعض المفسرين معنى يصدون
يضجون والمعنى انه لما نزل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لانها اتخذت
الهة وعبدت فعيسى في حكمهم قال ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك في هذا
الذي قالوه منه يضحكون لما اتوا به من عندهم من تسويتهم بين عيسى وبين
الهتهم وما ضربوه الا ارادة للمجادلة لانهم قد علموا ان المراد بحصب جهنم ما اتخذوا
من الموات اللغة يقال اسفه فاسفه يأسف اسفا اي غضبه فغضب واحزنه فحزن
ويقال الاسف الغيظ من الغم الا انه ههنا بمعنى الغضب والسلف المتقدم على غيره قبل
مجيء وقته ومنه السلف في البيع والسلف نقيض الخلف والجدل مقابلة الحجة بالحجة

وقيل الجدل

وقيل الجدل اللدد في الخصام واصله من جدل الحبل وهو شدة فتله ورجل
مجدول الخلق اي شديده وقيل اصله من الجدالة وهي الارض كان واحد من الخصمين
يروم لقاء صاحبه على الجدالة المعنى ثم اخبر سبحانه عن انتقامه من فرعون وقومه
فقال فلما آسفونا اي اغضبونا عن ابن عباس ومجاهد وغضب الله سبحانه على العصاة
ارادة عقوبتهم ورضاه عن المطيعين ارادة ثوابهم الذي يستحقونه على طاعتهم
وقيل معناه اسفوا رسلنا لان الاسف بمعنى الحزن لا يجوز على الله سبحانه انتقمنا منهم
اي انتقمنا لاوليائنا منهم فاغرقناهم اجمعين ما نجا منهم احد فجعلناهم سلفًا
اي متقدمين الى النار ومثلا اي عبرة وموعظة للآخرين اي لمن جاء بعدهم يتعظون
بهم والمعنى ان حال غيرهم شبيه بحالهم اذا اقاموا على العصيان ولما ضرب ابن مريم
مثلا اختلف في المراد به على وجوه احدها ان معناه ولما وصف ابن مريم شبها
في العذاب بالالهة اي فيما قالوه وعلى زعمهم وذلك انه لما نزل قوله انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم قال المشركون قد رضينا ان يكون الهتنا حيث يكون عيسى
وذلك قوله اذا قومك منه يصدون اي يضجون ضجيج المجادلة حيث خاصموك
وهو قوله وقالوا الهتنا خير ام هو ليست الهتنا خيرا من عيسى فان كان عيسى
في النار بانه يعبد من دون الله فكذلك الهتنا عن ابن عباس ومقاتل وثانيها
ان معناه لما ضرب المسيح مثلا بآدم في قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه
من تراب اي من قدر على ان ينشئ آدم من غير اب وام قادر على انشاء المسيح من غير
اب اعترض على النبي صلى الله عليه وآله بذلك قوم من كفار قريش فنزلت هذه الآية
وثالثها ان معناه ان النبي صلى الله عليه وآله لما مدح المسيح وامه وانه كآدم في الخاصية
قالوا ان محمدا يريد ان نعبده كما عبدت النصارى عيسى عن قتادة ورابعها ما رواه
سادة اهل البيت عن علي ع انه قال جئت الى النبي صلى الله عليه وآله يوما فوجدته
في ملاء من قريش فنظر الي ثم قال يا علي انما مثلك في هذه الامة كمثل عيسى بن مريم احبه
قوم فافرطوا في حبه فهلكوا وابغضه قوم وافرطوا في بغضه فهلكوا واقتصد فيه

قوم فضجوا فعظم ذلك عليهم وضحكوا وقالوا يشبهه بالانبياء والرسل فنزلت الاية
وقالوا الهتنا خير ام هو اى الهتنا افضل ام المسيح فاذا كان المسيح فى النار رضينا
ان يكون الهتنا معه عن السدى وابن زيد وقيل معناه ان الهتنا خير من المسيح
فاذا عبد المسيح جاز ان يعبد الهتنا عن الجبائى وقيل ان هو كناية عن محمد صلى
الله عليه وآله والمعنى الهتنا خير من محمد وهو يامرنا ان نعبده كما عبد النصارى
المسيح ونطيعه ونترك الهتنا عن قتاده وقال على بن عيسى معنى سوالهم بقولهم
الهتنا خير ام هو انهم الزموا ما لا يلزم على ظن منهم وتوهم كانهم قالوا ومثلنا
فيما نعبد مثل من يعبد المسيح فايما خير عبادة الهتنا ام عبادة المسيح على انه
ان قال عبادة المسيح اقر بعبادة غير الله وكذلك ان قال عبادة الاوثان وان قال
ليس فى عبادة المسيح خير فقد قصر به عن المنزلة التى ليس لاجلها من ساير العباد وجواب
عن ذلك ان اختصاص المسيح بضرب من التشريف الانعام عليه لا يوجب العبادة له كما لا يوجب
ان ينعم عليه باعلى مراتب النعمة ماضربوه لك الا جدلا اى ماضربوا هذا المثل لك الا ليجادلوك
به ويخاصموك فى يدفعون به الحق لان المتجادلين لا بد ان يكون احدهما مبطلا بخلاف
المتناظرين لان المناظرة قد يكون بين المحققين بل هم قوم خصمون اى جدلون فى دفع
الحق بالباطل ثم وصف سبحانه المسيح فقال ان هو الا عبد انعمنا عليه اى ما هو الا عبد
انعمنا عليه بالخلق من غير اب بالنبوة وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل اى ايه لهم ودلالة
لهم يعرفون بها قدرة الله تعالى على ما يريد حيث خلقه من غير اب فهو مثل لهم
يشبهون به ما يرون من اعاجيب صنع الله ثم قال سبحانه دالا على كمال قدرته وعلى انه
لا يفعل الا الاصلح ولو نشاء لجعلنا منكم اى بدلا منكم معاشر بنى آدم ملائكة فى الارض
يخلفون بنى آدم اى يكونوا خلفاء منهم والمعنى لو نشاء اهلكناهم وجعلنا الملائكة
بدلكم سكان الارض يعمرونها ويعبدون الله ومثل قوله منكم فى الاية ما فى قول الشاعر
فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على الطهيان وقيل معناه ولو نشاء
لجعلناكم ايها البشر ملائكة فيكون من باب التجريد وفيه اشارة الى قدرته على تغيير بنية البشر

الجنة

الى بنية الملائكة يخلفون اى يخلف بعضهم بعضا قوله عز وجل وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ
فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ
عَدُوٌّ مُبِينٌ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ
الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ
يَوْمٍ أَلِيمٍ خمس آيات القراة فى الشواذ قراة ابن عباس وقتاده والضحاك وانه
لعلم بفتح العين واللام اى امارة وعلامة المعنى ثم رجع سبحانه الى ذكر عيسى ع
من اشراط الساعة يعلم به قربها فلا تمترن بها اى بالساعة لا تكذبوا بها
ولا تشكوا فيها عن ابن عباس وقتاده ومجاهد والضحاك والسدى وقال
ابن جريج اخبرنا ابو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت النبى صلى الله
عليه وآله يقول ينزل عيسى بن مريم فيقول اميرهم تعال صل بنا فيقول الا ان بعضكم على بعض
امراء تكرمة الله هذه الامة اورده مسلم فى الصحيح وفى حديث آخر كيف اذا نزل فيكم
ابن مريم وامامكم منكم وقيل ان الهاء فى قوله وانه يعود الى القران ومعناه ان القران
لدلالة على قيام الساعة والبعث نعلم به ذلك عن الحسن وقيل معناه ان القران لدليل
الساعة لانه آخر الكتب نزل على آخر الانبياء عن ابى مسلم وقوله واتبعون هذا صراط مستقيم
معناه واتبعونى فيما امركم به هذا الذى انا عليه طريق واضح قيم ولا يصدنكم الشيطان
اى لا يصرفنكم الشيطان بوساوسه عن دين الله انه لكم عدو مبين بين العداوة
يدعوكم الى الضلالة التى هى سبب هلاككم ثم اخبر سبحانه عن حال عيسى ع حين بعثه
الله نبيا فقال ولما جاء عيسى بالبينات اى بالمعجزات الدالة على نبوته وقيل بالانجيل
عن قتاده قال لهم قد جئتكم بالحكمة اى بالنبوة عن عطا وقيل بالعلم بالتوحيد والعدل
والشرايع ولابين بعض الذى يختلفون فيه قيل ان المعنى كل الذى يختلفون فيه
كقول لبيد او يخترم بعض النفوس حمامها اى كل النفوس وكقول القطامى شعر قد يدرك
المتانى بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل اى كل حاجته عن ابى عبيدة قال

الزجاج والصحيح ان البعض لا يكون في معنى الكل والذي جاء به عيسى في الانجيل انما هو بعض الذي
اختلفوا فيه وبين لهم في غير الانجيل ما احتاجوا اليه وقول الشاعر شعر او يخترم بعض
النفوس حمامها انما يعني نفسه وقيل معناه لابين لكم ما تختلفون فيه من امور الدين
دون امور الدنيا وهو المقصود فاتقوا الله بان تجتنبوا معاصيه وتعملوا بالطاعات
واطيعون فيما ادعوكم اليه ان الله هو ربي وربكم الذي يحق له العبادة فاعبدوه
خالصا ولا تشركوا به شيئا معبودا هذا صراط مستقيم يفضي بكم الى الجنة وثواب الله فاختلف
الاحزاب من بينهم يعني اليهود والنصارى اختلفوا في امر عيسى فويل للذين ظلموا من عذاب
يوم اليم قد مر تفسير الاية في سورة مريم قوله عز وجل هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ
يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ
ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ
الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ إِنَّ
الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ عشر آيات
القراءة قرأ اهل المدينة وابن عامر وحفص ما تشتهيه الانفس بزيادة الهاء والباقون
تشتهي بحذف الهاء الحجة قال ابو علي حذف هذه الهاء من الصلة في الحسن كاثباتها
الا ان الحذف يرجح على الاثبات بان عامة هذا النحو في التنزيل جاء على الحذف نحو قوله
اهذا الذي بعث الله رسولا وسلام على عباده الذين اصطفى ويقوى الحذف من جهة
القياس لانه اسم قد طال والاسماء اذا طالت فقد يحذف منها كما يحذف في اشهيباب
واحميرار وكما حذفوا في كينونة فكما الزموا الحذف ولهذا كذلك حسن ان يحذف الهاء
من الصلة اللغة الحبور السرور الذي يظهر في الوجه اثره وحبرته اي حسنته والحباد
الاثر والصحاف جمع الصحفة وهي الجام الذي يوكل فيه الطعام والاكواب جمع الكوب وهو الاناء
على صورة الابريق لا اذن له ولا خرطوم وقيل انه كالكاس الشراب قال الاعشى صريفية

طيبا

طيبا طعمها لها زبد بين كوب ودن المعنى ثم قال سبحانه موبخا لهم هل ينظرون اي هل ينتظرون
هؤلاء الكفار بعد ورود الرسل والقران الا الساعة اي القيمة ان تاتيهم بغتة اي فجاة
وهم لا يشعرون اي لا يدرون وقت مجيئها الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ومعناه
ان الذين تخالوا وتواصلوا في الدنيا يكون بعضهم لبعض اعداء ذلك اليوم يعني يوم
القيمة وهم الذين تخالوا على الكفر والمعصية ومخالفة النبي ع لما يرى كل واحد منهم من
العذاب بسبب تلك المصادقة ثم استثنى من جملة الاخلاء المتقين فقال الا المتقين
الموحدين الذين خال بعضهم بعضا على الايمان والتقوى فان تلك الخلة تتاكد بينهم
يوم القيمة ولا تنقلب عداوة يا عباد لا خوف عليكم اي يقال لهم وقت الخوف يا عبادي
لا خوف عليكم من العذاب اليوم ولا انتم تحزنون من فوت الثواب ثم وصفهم سبحانه
وميزهم من غيرهم فقال الذين امنوا باياتنا اي صدقوا بحججنا ودلائلنا واتبعوها
وكانوا مسلمين اي مستسلمين لامرنا خاضعين منقادين والذين امنوا في محل النصب
على البدل من عبادي او الصفة له ثم بين سبحانه ما يقال لهم بقوله ادخلوا الجنة
انتم وازواجكم اللاتي كن مومنات مثلكم وقيل يعني ازواجهم من الحور العين في الجنة
تحبرون اي تسرون وتكرمون وقد مر تفسيره في سورة الروم يطاف عليهم بصحاف
اي بقصاع من ذهب فيها الوان الاطعمة واكواب اي كيزان لا عرى لها وقيل بانية مستديرة
الراس اكتفى سبحانه بذكر الصحاف والاكواب عن ذكر الطعام والشراب وفيها اي في
الجنة ما تشتهي الانفس من انواع النعيم المشروبة والمطعومة والملبوسة و
المشمومة وغيرها وتلذ الاعين اي وما تلذه العيون بالنظر اليه وانما اضاف
الالتذاذ الى الاعين وانما الملتذ على الحقيقة هو الانسان لان المناظر الحسنة سبب
من اسباب اللذة فاضافة اللذة الى الموضع الذي يلتذ الانسان احسن لما فيه من
من البيان مع الايجاز وقد جمع الله سبحانه بقوله ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
مما لو اجتمع الخلائق كلهم على ان يصفوا ما في الجنة من انواع النعيم لم يزيدوا
على ما انتظمته هاتان الصفتان وانتم فيها اي في الجنة وفي هذه الانواع من الملاذ

خالدون دايمون موبدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون اى اعطيتموها
باعمالكم قال ابن عباس الكافر يرث نار المومن والمومن يرث جنة الكافر وهذا
كقوله اولئك هم الوارثون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون جمع لهم بين
الطعام والشراب الفواكه وبين دوام ذلك فهذه غاية الامنية ثم اخبر سبحانه
عن احوال اهل النار فقال ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون دايمون لا يفتر
عنهم العذاب اى لا يخفف عنهم وهم فيه مبلسون آيسون من كل خير قوله عز وجل
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ
قَالَ اِنَّكُمْ مَاكِثُونَ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ اَمْ
اَبْرَمُوا اَمْرًا فَاِنَّا مُبْرِمُونَ اَمْ يَحْسَبُونَ اَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوٰيهُمْ بَلٰى وَرُسُلُنَا
لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ قُلْ اِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَاَنَا اَوَّلُ الْعَابِدِينَ سُبْحَانَ رَبِّ
السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتّٰى
يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ اِلٰهٌ وَفِي الْاَرْضِ اِلٰهٌ
وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَاِلَيْهِ تُرْجَعُونَ عشر آيات القراة قراء ابن كثير واهل الكوفة
غير عاصم الاعمى وروح عن يعقوب اليه يرجعون بالياء والباقون بالتاء
وفي الشواذ قراة ابن مسعود ويحيى والاعمش يا مال وروى ذلك عن علي عليه السلم
وقراة ابي عبد الرحمن اليماني فانا اول العبدين بغير الف والقراة المشهورة
العابدين الحجة قال ابو علي حجة الياء في يرجعون ان قبله غيبة وهو قوله
فذرهم يخوضوا ويلعبوا وحجة التاء ان يراد به مع الغيبة مخاطبون فغلب الخطاب
على الغيبة او يكون على قل لهم واليه ترجعون وقوله يا مال على المذهب المالوف في الترخيم
قال الشاعر فابلغ مالكا عني رسولا وما يغني الرسول لديك مال اى يا ملك حتى لا بن
وفي هذا الموضع سر وهو انهم لعظم ما هم فيه خفيت قواهم وصغر كلامهم فكان هذا في
موضع الاختصار وقوله انا اول العبدين من قولهم عبدت من الامر اعبد عبدا

اوانفت

اى انفت منه قال الفرزدق شعر اولئك قومي ان هجوني هجوتهم واعبد ان يهجى كليب بدارم
ولكن نصفا ان سبت وسبني بنو عبد شمس من قريش وهاشم الاعراب وهو الذي
في السماء اله ارتفع اله لكونه خبر مبتدا محذوف من الصلة والتقدير وهو الذي
هو في السماء اله وفي السماء يتعلق بقوله باله وموضعه نصب به وان كان مقدما عليه
وعنده علم الساعة اى علم وقوع الساعة فالمصدر مضاف الى المفعول اى يعلم وقوع
الساعة المعنى لما بين سبحانه ما يفعله بالمجرمين بين انه لم يظلمهم بذلك فقال
وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين نفوسهم بما جنوا عليها من العذاب ونادوا يا مالك
اى يدعون خازن جهنم فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك اى ليمتنا ربك
حتى نتخلص ونستريح من هذا العذاب قال اى فيقول مالك مجيبا لهم انكم ماكثون
اى لابثون دايمون في العذاب قال ابن عباس والسدي انما يجيبهم مالك بذلك بعد الف
سنة وقال عبد الله بن عمر بعد اربعين عاما لقد جيناكم اى يقول الله تعالى لقد ارسلنا
اليكم الرسل بالحق اى جاءكم رسلنا بالحق واضافه الى نفسه لانه كان يامره وقيل هو
من قول مالك وانما قال جيناكم لانه من الملائكة وهم من جنس الرسل عن الجبائي
ولكن اكثركم معاشر الخلق للحق كارهون لانكم الفتم الباطل فكرهتم مفارقته ام ابرموا
امرا فانا مبرمون اى بل احكموا امرا في كيد محمد والمكر به فانا مبرمون اى محكمون
امرا في مجازاتهم ام يحسبون اى بل ايظن هولاء الكفار انا لا نسمع سرهم ونجواهم اى ما
يسترونه من غيرهم ويتناجون به بينهم والسر ما يضمره الانسان في نفسه ولا يظهره
لغيره والنجوى ما يحدث به المحدث غيره في الخفية بلى نسمع ذلك وندركه ورسلنا
مع ذلك لديهم يكتبون ما يقولونه ويفعلونه يعني الحفظة وسبب نزول الاية مذكور
في تفسير اهل البيت عليهم السلم قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اختلف
في معناه على اقوال احدها ان معناه ان كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فانا اول
العابدين اى اول من عبد الله وحده فقد دفع ان يكون له ولد والمعنى فانا اول
الموحدين لله المنكرين لقولكم عن مجاهد وثانيها ان بمعنى ما النفي والمعنى ما كان للرحمن

ولد فانا اول العابدين لله المقرين بذلك عن ابن عباس وقتاده وابن زيد وثالثها
ان معناه لو كان له ولد لكنت اول الانفين من عبادته لان من يكون له ولد لا يكون الا جسما
محدثا ومن كان كذلك لا يستحق العبادة لانه لا يقدر على النعم التي يستحق بها العبادة
عن الجبائي وغيره ورابعها انه يقول كما اني لست اول من عبد الله فكذلك ليس لله
ولد وهذا كما يقول ان كنت كاتبا فانا حاسب يريد فانا لست كاتبا ولا انا حاسب
عن سفين بن عيينه وخامسها ان معناه لو كان له ولد لكنت اول من يعبده
بان له ولدا ولكن لا ولد له عن السدي وابي مسلم وهذا كما يقال لو دعت الحكمة الى عبادة
غيره لعبدته لكن الحكمة لا تدعوا الى عبادة غيره ولو دل الدليل على ان له ولدا لقلت
به ولكنه لا يدل فهذا تحقيق لنفي الولد وتبعيد له لانه تعليق محال بمحال ثم نزه سبحانه نفسه
عن ذلك فقال سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي تنزيها لمالك
السموات وخالقهن وخالق العرش ومدبره عما يصفونه به من اتخاذ الولد لان
من قدر على ذلك استغنى عن اتخاذ الولد ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه واله
على وجه التهديد للكفار فقال فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبون في دنياهم حتى يلاقوا
يومهم الذي يوعدون فيه بعذاب الابد وهو يوم القيمة وهو الذي في السماء اله وفي الارض
اله اي هو الذي يحق له العبادة في الارض وانما كرر لفظه اله الامرين احدهما التاكيد
ليتمكن المعنى في النفس والثاني لان المعنى هو اله في السماء يجب على الملائكه عبادته واله
في الارض يجب على الانس والجن عبادته وهو الحكيم في جميع افعاله العليم بمصالح العباد
وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما اي دامت بركته فمنه البركات
واتصال السعادات فجل عن ان يكون له ولد او شبيه من له التصرف في السموات
والارض وفيما بينهما بلا دافع ومنازع وعنده علم الساعة اي علم يوم القيمة لانه لا يعلم
وقته على التعيين غيره واليه يرجعون يوم القيمة فيجازي كلا على قدر عمله قوله
عز وجل وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ

قوم

قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ اربع آيات القراة قرا عاصم
وحمزة وقيله بالجر والباقون بالنصب وفي الشواذ قراة الاعرج ومجاهد وقيله بالرفع
وقرا اهل المدينه والشام فسوف تعلمون بالتاء والباقون بالياء الحجة قال
ابو علي وجه الجر في قيله انه عطف على قوله وعنده علم الساعة وعلم قيله
اي يعلم الساعة ومن يصدق بها ويعلم قيله ومعنى يعلم قيله اي يعلم ان الدعا
مندوب اليه نحو قوله ادعوني استجب لكم وادعوا ربكم تضرعا وخفيه واما من نصب
حمله على موضع وعنده علم الساعة لان الساعة مفعول بها وليست بظرف
فالمصدر مضاف الى المفعول به ومثل ذلك قوله شعر قد كنت داينت بها حسانا
مخافة الافلاس والليانا يحسن بيع الاصل والقيانا فكلا القيان والليانا محمول
على ما اضيف اليه المصدر من المفعول به فكذلك قوله لما وعنده علم الساعة
لما كان معناه يعلم الساعة حملت قيله على ذلك ويجوز ان يحمله على يقول قيله
فيكون انتصاب المصدر على فعله وكذلك قول كعب شعر يسعى الوشاة جنابيها وقيلهم
انك يا ابن ابي سلمى لمقتول اي ويقولون ووجه ثالث اي يحمل على قوله يحسبون
انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله ومن قرا وقيله بالرفع احتمل ضربين احدهما
ان يجعل الخبر وقيله قيل يا رب فيحذف والاخر ان يجعل الخبر وقيله يا رب مسموع
ومتقبل فيا رب منصوب الموضع بقيله المذكور وعلى الوجه الاخر بقيله المضمر
وهو من صلته ولا يمتنع ذلك من حيث امتنع ان يحذف بعض الموصول ويبقى
بعضه لان حذف القول قد كثر حتى صار بمنزله المذكور وقد يحتمل بيت كعب
على هذين الوجهين وقال ابن جني هو معطوف على علم اي وعلم قيله فحذف المضاف
فالمصدر الذي هو قيل مضاف الى الها الذي هو مفعول في المعنى والتقدير وعنده
علم ان يقال يا رب ان هولاء قوم لا يؤمنوا ومن قرا فسوف تعلمون بالتاء فالوجه
فيه انه على تقدير قل لهم فسوف تعلمون ووجه الياء ان يحمل على الغيبة التي هي فاصفح
عنهم وقل سلام تقديره وقل امرنا وامركم سلام اي متاركه المعنى ثم ذكر سبحانه

انه لا شفاعة لمعبودهم فقال ولا يملك الذين يدعون من دونه اى الذين يدعوه
الكفار الها ويوجهون عبادتهم اليه من الاصنام وغيرها الشفاعة لمن
يعبدهم كما توهمه الكفار وهى مسئلة الطالب العفو عن غيره واسقاط العقاب
عنه الا من شهد بالحق وهم عيسى وعزير والملائكة استثناهم سبحانه ممن عبد
من دون الله فان لهم عند الله منزلة الشفاعة عن قتاده وقيل معناه لا يملك
احد من الملائكة وغيرهم الشفاعة الا من شهد بالحق اى شهد ان لا اله الا الله
وذلك ان النضر بن الحرث ونفرا من قريش قالوا ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن
نتولى الملائكة وهم احق بالشفاعة لنا منه فنزلت الاية فالمعنى انهم مشفعون
للمؤمنين باذن الله وهم يعلمون اى يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم
وفى هذا دلالة على ان حقيقة الايمان هو الاعتقاد بالقلب المعرفة لان الله
شرط مع الشهادة العلم وهو ما اقتضى طمانينة القلب الى ما اعتقده بحيث
لا يتشكك اذا شكك ولا يضطرب اذا حرك ولئن سالتهم يا محمد من خلقهم
اى اخرجهم من العدم الى الوجود ليقولن الله لانهم لا يعلمون ضرورة ان اصنامهم
لم يخلقهم فانى يؤفكون اى فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره
وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون قال قتاده هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه
وينكر عليهم وتخلفهم عن الايمان وذكر ان فى قراءة عبد الله وقال الرسول يا رب
ان هؤلاء قوم لا يؤمنون على هذا فالهاء فى وقيله يعود الى النبى صلى الله عليه واله
فاصفح عنهم اى فاعرض عنهم يا محمد بصفح وجهك كما قال واعرض عن الجاهلين
وقل سلام اى مداراة ومتاركة وقيل هو سلام هجران ومجانبة لا سلام تحية
وكرامة كقوله سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين وقيل معناه قل ما تسلم به من شرهم
واذاهم وهذا منسوخ باية السيف عن قتاده وقيل معناه فاصفح عن سفههم
فلا تقابلهم بمثله ندبه سبحانه الى الحلم فلا يكون منسوخا عن الحسن ثم هددهم
سبحانه بقوله فسوف تعلمون يعنى يوم القيمة اذا عاينوا ما يحل بهم من العذاب

سورة الدخان مكية وهى تسع وخمسون آية كوفى سبع بصرى ست
فى الباقين اختلافها اربع آيات حم وان هؤلاء ليقولون كوفى شجرة الزقوم
عراقى شامى والمدنى الاول فى البطون عراقى مكى والمدنى الاخير فضلها ابى بن كعب
عن النبى صلى الله عليه واله قال ومن قرا سورة الدخان فى ليلة الجمعة غفر له
ابو هريره عن النبى ص قال ومن قرا سورة الدخان فى ليله اصبح يستغفر له سبعون
الف ملك وعنه عن النبى صلى الله عليه واله قال من قراها فى ليله جمعه اصبح مغفورا
له ابو امامه عن النبى ص انه قال من قرا سورة الدخان ليلة الجمعة اى ويوم
الجمعة بنى الله له بيتا فى الجنه وروى ابو حمزة الثمالى عن ابى جعفر عليه السلم
قال من قرا سورة الدخان فى فرايضه ونوافله بعثه الله من الامنين يوم القيمة
واظله تحت عرشه وحاسبه حسابا يسيرا واعطى كتابه بيمينه تفسيرها
ختم الله تعالى سورة الزخرف بالوعيد والتهديد وافتتح هذه السورة
ايضا بمثل ذلك فى الانذار بالعذاب الشديد فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ
كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ
يَلْعَبُونَ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا
عَذَابٌ أَلِيمٌ احدى عشرة آية كوفى عشر فى غيرهم القراة قرا اهل الكوفه
رب السموات بالجر والباقون بالرفع الحجة الرفع فيه على امرين اما ان يكون
خبر مبتداء محذوف اى هو رب السموات واما ان يكون مبتداء وخبره الجملة
التى عاد الذكر منها اليه وهو قوله لا اله الا هو وتقويه قوله رب المشرق
والمغرب لا اله الا هو ومن قرا بالجر جعله بدلا من ربك المتقدم ذكره قال ابو الحسن

الرفع احسن وبه يقرا الاعراب انا كنا منذرين جواب القسم دون قوله انا انزلناه
لانه لا تقسم بالشي على نفسه فان القسم خبر بخبر آخر فقوله انا انزلناه في ليلة مباركة
اعتراض بين القسم وجوابه امرا من عندنا في انتصابه وجهان احدهما ان يكون
نصبا على الحال وتقديره انا انزلناه امرين امرا كما يقال جاء فلان مشيا وركضا
اى ماشيا وراكضا وعلى هذا فيكون مصدرا موضوعا موضع الحال وهذا اختيار
الاخفش ويجوز ان يكون تقديره ذا امر فحذف المضاف كما قال ولكن البر
بمعنى ذا البر والثاني ان يكون منصوبا على المصدر لان معنى قوله فيها يفرق
فيها يومر فقد دل يفرق على يومر وقوله رحمة منصوب على انه مفعول له اى
انزلنا للرحمة وقال الاخفش هو منصوب على الحال اى راحمين رحمة المعنى حم
ورب انه والكتاب المبين اقسم سبحانه بالقران الدال على صحة نبوة نبينا صلى الله
عليه وآله وفيه بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام وجواب القسم انا انزلناه
في ليلة مباركة اى انزلنا القران والليلة المباركة هي ليلة القدر عن ابن عباس
وقتاده وابن زيد وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل هي
ليلة النصف من شعبان عن عكرمه والاصح الاول ويدل عليه قوله انا انزلناه
في ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران واختلف في كيفية انزاله
فقيل نزل الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم انزل نجوما الى النبي صلى الله عليه وآله
وقيل انه كان ينزل جميع ما يحتاج اليه في كل سنة في تلك الليلة ثم كان ينزل له جبرئيل
عليه السلام شيئا فشيئا وقت وقوع الحاجة اليه وقيل كان بدو انزاله في ليلة القدر
وروي عن ابن عباس انه قال كلم الله تعالى جبرئيل في ليلة واحدة وهي ليلة [illegible]
فوعاه جبرئيل وحفظه بقلبه وجاء به الى السماء الدنيا الى الكتبة فكتبوه ثم نزل
على محمد صلى الله عليه وآله بالنجوم في ثلث وعشرين سنة وقيل في عشرين سنة وانما
وصف الله سبحانه هذه الليلة بانها مباركة لان فيها يقسم الله تعالى نعمه
على عباده من السنة الى السنة فتدوم بركاتها والبركة نماء الخير وضدها

الشوم

الشوم وهو نماء الشر فالليلة التي انزل فيها كتاب الله مباركة ينمي الخير فيها
على ما دبر الله سبحانه لها من علو مرتبتها واستجابة الدعاء فيها انا كنا منذرين
اى مخوفين بما انزلناه من تعذيب العصاة والانذار الاعلام بموضع الخوف ليتقى
وموضع الامن ليجتبى فالله عز اسمه قد انذر عباده باتم الانذار من طريق
العقل والسمع فيها يفرق كل امر حكيم اى في هذه الليلة يفصل ويبين والمعنى يقضي
كل امر محكم لا يلحقه الزيادة والنقصان وهو انه يقسم فيها الاجال والارزاق
وغيرها من امور السنة الى مثلها من العام القابل عن ابن عباس والحسن وقتادة
وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انك لترى الرجل يمشي في الاسواق وقد
وقع اسمه في الموتى وقال عكرمه هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر
السنة وينسخ الاحيا من الاموات ويكتب الحاج فلا يزيد فيهم احد ولا ينقص
منهم احد امرا من عندنا معناه انا نامر ببيان ذلك ونسخه من اللوح المحفوظ
انا كنا مرسلين محمدا صلى الله عليه وآله الى عبادنا وهذه من قبله من الانبياء
رحمة من ربك اى رافة منا بخلقنا ونعمة منا عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل عن ابن
عباس انه هو السميع لمن دعاه من عباده العليم بمصالحهم رب السموات والارض
اى خالقهما ومدبرهما وما بينهما ان كنتم موقنين بهذا الخبر محققين له وهو
انه لا اله الا هو لا يستحق العبادة سواه يحيي الخلق بعد موتهم ويميتهم اى و
بعد احيائهم ربكم الذي خلقكم ودبركم ورب ابائكم الاولين الذين سبقوكم ثم ذكر
سبحانه الكفار فقال ليس هولاء بموقنين بما قلناه بل هم في شك مما اخبرناك به يلعبون
مع ذلك ويستهزؤن بك وبالقران اذا قرى عليهم عن الجبائي وقيل يلعبون اى يشتغلون
بالدنيا ويترددون في احوالها ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال فارتقب اى
فانتظر يا محمد يوم تاتي السماء بدخان مبين وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله
دعا الى قومه لما كذبوه فقال اللهم سبعا كسني يوسف فاجدبت الارض فاصابت
قريشا المجاعة فكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه وبين السماء كالدخان واكلوا الميتة

والعظام ثم جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وآله وقالوا يا محمد جئت تامر بصلة
الرحم وقومك هلكوا فسأل الله تعالى لهم بالخصب والسعة فكشف عنهم ثم عادوا
الى الكفر عن ابن مسعود والضحاك وقيل ان الدخان آية من اشراط الساعة
يدخل في مسامع الكفار والمنافقين وهو لم يأت بعد وانه يأتي قبل قيام الساعة
فيدخل اسماعهم حتى ان رؤوسهم يكون كالراس الحنيذ ويصيب المؤمن منه مثل
الزكمة ويكون الارض كلها كبيت اوقد فيه خصاص ويمكث في ذلك اربعين يوما
عن ابن عباس وابن عمرو والحسن وفي الجبائي يغشى الناس هذا يعني ان الدخان يعم جميع الناس
وعلى القول الاول المراد بالناس اهل مكة وهم الذين يقولون هذا عذاب اليم
اي موجع مؤلم قوله عز وجل رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى
وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ إِنَّا كَاشِفُو
الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ وَلَقَدْ
فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي
وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ عشر آيات الحجة يوم نبطش
ينتصب بقوله انا كاشفوا العذاب قليلا ويجوز ان ينتصب بمضمر دل عليه منتقمون ولا ينتصب
بقوله منتقمون لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله المعنى لما اخبر سبحانه ان الدخان
يغشى الناس عذابا لهم وانهم قالوا ويقولون على ما فيه من الخلاف هذا عذاب
اليم حكى عنهم ايضا قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بمحمد والقرآن قال سبحانه
انى لهم الذكرى اي من اين لهم التذكر والاتعاظ وكيف يتذكرون ويتعظون
وقد جاءهم رسول مبين اي والحال انه قد جاءهم رسول ظاهر الصدق والدلالة
ثم تولوا عنه اي اعرضوا عنه ولم يقبلوا قوله وقالوا معلم مجنون اي هو معلم يعلمه
بشر مجنون بادعائه النبوة ثم قال سبحانه انا كاشفوا العذاب اي عذاب الجوع و
الدخان قليلا يسيرا الى يوم بدر عن مقاتل انكم عائدون في كفركم وتكذيبكم

فلما كشف الله

فلما كشف الله سبحانه ذلك عنهم بدعاء النبي صلى الله عليه وآله واستسقائه
لهم عادوا الى تكذيبه هذا على تاويل قول من قال ان ذلك الدخان كان وقت
النبي صلى الله عليه وآله فاما على القول الآخر فمعناه انكم عائدون الى العذاب
الاكبر وهو عذاب جهنم والقليل عدة ما بين العذابين يوم نبطش البطشة
الكبرى اي واذكر لهم ذلك اليوم يعني يوم بدر على القول الاول قالوا لما كشف
عنهم الجوع عادوا الى التكذيب فانتقم الله منهم يوم بدر وعلى القول الآخر
البطشة الكبرى يكون يوم القيمة والبطش الاخذ بشدة وقع الالم انا منتقمون
منهم ذلك اليوم ثم قال سبحانه ولقد فتنا قبلهم اقسم سبحانه انه فتن قبل كفار
قوم النبي صلى الله عليه وآله قوم فرعون اي اختبرهم وشدد عليهم التكليف لان
الفتنة شدة التعبد واصلها الاحراق بالنار لخلاص الذهب من الغش وقيل
ان الفتنة معاملة المختبر ليجازى بما يظهر دون ما يعلم مما لا يظهر وجاءهم
رسول كريم الاخلاق والافعال بالتجاوز والصفح والدعاء الى الصلاح والرشد
وقيل كريم عند الله بما يستحق بطاعته من الاكرام والاعظام وقيل كريم شريف
في قومه من بني اسرائيل ان ادوا الي عباد الله هذا من قول موسى لفرعون وقومه
والمعنى اطلقوا بني اسرائيل من العذاب والتسخير فانهم احرار فهو كقوله فارسل معي
بني اسرائيل فيكون عباد الله مفعول ادوا وقال الفراء معناه ادوا الي ما امركم به
يا عباد الله اني لكم رسول امين على ما اوديه وادعوكم اليه وان لا تعلوا على الله
اي لا تتجبروا على الله بترك طاعته عن الحسن وقيل لا تتكبروا على اولياء الله بالبغي
عليكم وقيل لا تبغوا عليه بكفران نعمه وافتراء الكذب عليه عن ابن عباس وقتاده
اني آتيكم بسلطان مبين اي بحجة واضحة يظهر الحق معها وقيل بمعجز ظاهر يبين صحة
نبوتي وصدق مقالتي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل والرجم فقال واني عذت
بربي وربكم اي لذت بمالكي ومالككم والتجأت اليه ان ترجمون اي من ان ترجموني
بالحجارة عن قتاده وقيل ان الرجم الذي استعاذ موسى منه هو الشتم كقولهم هو ساحر

كذلك ونحوه عن ابن عباس وابي صالح وان لم تومنوا لي فاعتزلون اي ان لم تصدقوني فاتركوني
لا معي ولا علي وقيل معناه فاعتزلوا اذاي عن ابن عباس قوله عز وجل فدعا ربه ان
هؤلاء قوم مجرمون فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم
جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة
كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما اخرين فما بكت عليهم السماء
والارض وما كانوا منظرين ثماني آيات اللغة الرهو السهل الساكن يقال عيش راه
ساكن اي خافض وادع قال الشاعر شعر يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور
على الاعجاز تتكل وقيل الرهو الدمث ليس برمل ولا حزن عن الازهري يقال جاءت
الخيل رهوا اي متتابعة قال ابن الاعرابي الرهو من الطير والخيل السراع قال الشاعر
طيرا رات بازيا نضح الدماء به وامة خرجت رهوا الى عيد الاعراب رهوا نصب على الحال
من البحر ويكون حالا بعد الفراغ من الفعل كقولهم قطعت الثوب قباء وهذا يدل على ان
البحر كان قبل تركه رهوا وكم في قوله كم تركوا في موضع نصب بانه صفة موصوف محذوف
هو مفعول تركوا وتقديره شيئا كثيرا تركوا كذلك خبر مبتداء محذوف اي الامر
كذلك المعنى ثم ذكر سبحانه تمام قصة موسى بان قال فدعا ربه اي دعا موسى ربه حين
يئس من قومه ان يومنوا به فقال ان هؤلاء قوم مجرمون اي مشركون لا يومنون عن
الكلبي ومقاتل وكانه قال اللهم عجل لهم ما يستحقونه بكفرهم اي ما يكونون به نكالا لمن بعدهم
وما دعا عليهم الا بعد ما اذن له في ذلك قوله فاسر بعبادي ليلا الفاء وقعت
موقع الجواب والتقدير فاجيب بان قيل له فاسر بعبادي امره سبحانه ان يسير باهله
وبالمومنين به ليلا حتى لا يردهم فرعون اذا خرجوا نهارا واعلمه بانه يتبعهم
فرعون بجنوده بقوله انكم متبعون واترك البحر رهوا اي ساكنا على ما هو به
اذا قطعته وعبرته وكان قد ضربه بالعصاة فانفلق لبني اسرائيل فامر
الله سبحانه ان يتركه كما ليغرق فرعون وقومه عن ابن عباس وقيل رهوا اي منفتحا
منكشفا حتى يطمع فرعون في دخوله عن ابي مسلم قال قتادة لما قطع موسى البحر عطف

ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف ان يتبعه فرعون وجنوده فقيل له واترك البحر رهوا
اي كما هو طريقا يابسا انهم جند مغرقون سيغرقهم الله تعالى ثم اخبر سبحانه عن حالهم
بعد هلاكهم فقال كم تركوا من جنات رابعة وعيون جارية وزروع كثيرة ومقام
كريم اي مجالس شريفة ومنازل خطيرة وقيل هي المناظر الحسنة ومجالس الملوك عن
مجاهد وقيل منابر الخطباء عن ابن عباس وقيل المقام الكريم الذي يعطي اللذة
كما يعطي الرجل الكريم الصلة عن علي بن عيسى ونعمة كانوا فيها فاكهين اي وتنعم وسعة
في العيش كانوا بها ناعمين كما يتمتع الاكل بانواع الفاكهة كذلك قال الكلبي معناه
كذلك افعل بمن عصاني واورثناها قوما اخرين ايراث النعمة تصييرها الى الثاني
بعد الاول بغير مشقة كما يصير الميراث الى اهله على تلك الصفة فلما كانت نعمة
قوم فرعون وصلت بعد هلاكهم الى غيرهم كان ذلك ايراثا من الله لهم واراد بقوم
اخرين بني اسرائيل لانهم رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون فما بكت عليهم السماء
والارض اختلف فيه على وجوه احدها ان معناه لم تبك عليهم اهل السماء والارض
لكونهم مسخوطا عليهم عن الحسن فيكون مثل قوله حتى تضع الحرب اوزارها اي اصحاب
الحرب ونحو قول الحطيئة شعر وشر المنايا ميت وسط اهله كهلك الفتى قد اسلم الحي حاضره
اي شر المنايا ميتة ميت وقال ذو الرمة شعر لهم مجلس صهب السبال اذلة سواسية
احرارها وعبيدها اي لهم اهل مجلس وثانيها انه سبحانه اراد بالمبالغة في وصف القوم
لصغر القدر فان العرب اذا اخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت تكاد السماء والارض
يتفطرن واظلم لفقده الشمس والقمر قال الجرير يرثي عمر بن عبد العزيز شعر الشمس طالعة ليست
بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا اي ليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر
لان عظم المصيبة قد سلبها ضوءها وقال النابغة تبدو كواكبه والشمس طالعة
لا النور نور ولا الاظلام اظلام وثالثها ان يكون ذلك كناية عن انه لم يكن لهم عمل
صالح يرفع منها الى السماء فقد روي عن ابن عباس انه سئل عن هذه الاية فقيل وهل
يبكيان على احد قال نعم مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء وروي عن انس عن النبي

ق لها بابين ومن الاولة باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه
فعلى هذا يكون معنى البكا الاخبار عن الاختلال بعده كما قال مزاحم العقيلي شعر بكت دارهم
من اجلهم فتهللت ✽ دموعي فاي الجازعين الوم ✽ امستعبرا يبكي من الهون والبلى
ام اخر يبكي شجوه ويهيم قال السدي لما قتل الحسين بن علي عليهما السلام بكت السماء عليه
وبكاؤها حمرة اطرافها وروى زرارة بن اعين عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال بكت
السماء على يحيى بن زكريا وعلى الحسين بن علي عليهم السلام اربعين صباحا ولم تبك الا عليهما
قلت فما بكاؤها قالت كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء وما كانوا منظرين اي عوجلوا بالعقوبة
ولم يمهلوا قوله عز وجل وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ مِن فِرْعَوْنَ
إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ
مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ
فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ
إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا
إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ احدى عشرة آية
الاعراب من فرعون اي من عذاب فرعون فحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا
من العذاب المهين اي ثابتا من فرعون فلا يكون على حذف المضاف اهم خير
ام قوم تبع والذين من قبلهم يجوز ان يكون الذين من قبلهم مبتدا واهلكناهم
خبره ويجوز ان يكون منتصبا بفعل مضمر دل عليه اهلكناهم ويجوز ان يكون رفعا
بالعطف على قوم تبع فعلى هذا يقف على قبلهم ويكون اهلكناهم في تقدير اهلكناهم
اي والمهلكون من قبلهم المعنى ثم اقسم سبحانه بقوله ولقد نجينا بني اسرائيل
الذين امنوا بموسى عليه السلام من العذاب المهين يعني قتل الابناء واستخدام النساء
والاستعباد وتكليف المشاق من فرعون انه كان عاليا اي متجبرا متكبرا
متغلبا من المسرفين اي المجاوزين الحد في الطغيان وصفه بانه عال وان جاز
ان يكون عال الصفة مدح لانه قيده بانه عال في الاسراف لان العالي في الاحسان ممدوح

والعالي

والعالي في الاساءة مذموم ولقد اخترناهم اي اخترنا موسى وقومه بني اسرائيل
وفضلناهم بالتورية وكثرة الانبيا منهم على علم اي على بصيرة منا باستحقاقهم
التفضيل والاختيار على العالمين اي عالمي زمانهم عن قتاده والحسن ومجاهد ويدل
عليه قوله لامة نبينا كنتم خير امة اخرجت للناس وقيل فضلناهم على جميع العالمين
في امر كانوا مخصوصين به وهو كثرة الانبياء منهم واتيناهم اي واعطيناهم
من الايات يعني الدلالات والمعجزات مثل فلق البحر وتضليل الغمام وانزال المن
والسلوى ما فيه بلاء مبين اي ما فيه من النعمة الظاهرة عن الحسن وقيل ما فيه
شدة وامتحان مثل العصا واليد البيضاء فالبلاء يكون بالشدة والرخاء
عن ابن زيد فيكون في الايات نعمة على الانبياء وقومهم وشدة على الكفار الذين
بهم ثم اخبر سبحانه عن كفار قوم نبينا عليه السلام الذين ذكرهم في اول السورة فقال
ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة الا موتة نموتها في الدنيا
ثم لا بعث بعدها وهو قوله وما نحن بمنشرين بمبعوثين ولا معادين فاتوا
باباتنا الذين ماتوا قبلنا واعيدوهم ان كنتم صادقين في ان الله تعالى
يقدر على اعادة الاموات واحيائهم وقيل ان قايل هذا ابو جهل بن هشام
قال ان كنت صادقا فابعث جدك قيصر بن كلاب فانه كان رجلا صادقا لنسأله
عما يكون بعد الموت وهذا القول جهل من ابي جهل من وجهين احدهما ان
الاعادة انما هي للجزاء لا للتكليف فليست هذه الدار دار جزاء ولكنها دار تكليف
فكانه قال ان كنت صادقا في اعادتهم للجزاء فاعدهم للتكليف والثاني ان الاحياء
في دار الدنيا انما يكون للمصلحة فلا يقف ذلك على اقتراحهم لانه ربما تعلق
بذلك مفسدة ولما تركوا الحجة وعدلوا الى الشبهة جهلا عدل سبحانه في
اجابتهم الى الوعيد والوعظ فقال اهم خير ام قوم تبع اي مشركوا قريش اظهر
نعمة واكثر اموالا واعز في القوة والقدرة ام قوم تبع الحميري الذي سار
بالجيوش حتى حير الحيرة ثم اتى سمرقند فهدمها ثم بناها وكان اذا كتب كتب

باسم الذى ملك برا وبحرا وسخا وريحا عن قتاده وسمى تبعا لكثرة اتباعه
من الناس وقيل سمى تبعا لانه تبع من قبله من ملوك اليمن والتبابعة اسم
ملوك اليمن فتبع لقب له كما يقال خاقان لملك الترك وقيصر لملك الروم واسمه
سعد ابو كرب روى سهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال
لا تسبوا تبعا فكانه قال اسلم وقال كعب نعم الرجل الصالح ذم الله قومه ولم يذمه
وروى الوليد بن صبيح عن ابى عبد الله عليه السلم قال ان تبعا قال للاوس والخزرج
كونوا ههنا حتى يخرج هذا النبى اما انا لو ادركته لخدمته وخرجت معه والذين
من قبلهم يعنى من تقدمهم من قبلهم من قوم نوح وعاد وثمود اهلكناهم معناه ليسوا
بافضل منهم وقد اهلكناهم بكفرهم وهولاء مثلهم بل واولئك كانوا اكثر قوة وعددا
فاهلاك هولاء ايسر انهم كانوا مجرمين اى كافرين فليحذر هولاء ان ينالهم مثل ما نال
اولئك وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين اى لم نخلق ذلك الا لغرض
حكمى وهو ان ينفع المكلفين بذلك فعرضهم للثواب وينفع ساير الحيوانات بضروب
المنافع واللذات ما خلقناهما الا بالحق الا بالعلم الداعى الى خلقهما والعلم لا يدعوا
الا الى الصواب والحق وقيل معناه ما خلقناهما الا للحق وهو الامتحان بالامر والنهى و
التمييز بين المحسن والمسيء لقوله ليجزى الذين اساوا بما عملوا الاية وقيل معناه ما خلقناهما
الا على الحق الذى يستحق به الحمد خلاف الباطل الذى يستحق به الذم ولكن اكثرهم لا يعلمون
صحة ما قلناه لعدولهم عن النظر فيه والاستدلال على صحته ان يوم الفصل ميقاتهم
اجمعين يعنى يوم الذى يفصل بين المحق والمبطل وهو يوم القيمة وقيل معناه
يوم الحكم ميقات قوم فرعون وقوم تبع ومن قبلهم ومشركى قريش وموعدهم
قوله عز وجل يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ
إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ
كَغَلْيِ الْحَمِيمِ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ
الْحَمِيمِ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ عشر آيات

القراة

القراة قرا اهل الكوفة وابو جعفر وابو عمرو فاعتلوه بكسر التاء والباقون بضمها
وقرا الكسائى وحده ذق انك بفتح الهمزة والباقون انك بكسرها الحجة من قرا
تغلى بالتاء فعلى الشجرة كان الشجرة تغلى ومن قرا بالياء حمله على الطعام وهو الشجرة
فى المعنى نقلوه ونقبلوه مثل يعكف ويعكف ويفسق ويفسق فانهما لغتان ومعنى فاعتلوه
قودوه بعنف وقرا انك بالكسر فالمعنى انك انت العزيز الكريم فى زعمك فاجرى
ذلك على حسب ما كان يذكره او يذكر به ومن قرا انك بالفتح فالمعنى ذق بانك المعنى
لما ذكر سبحانه ان يوم الفصل ميقات الخلق يحشرهم فيه بين اى يوم هو فقال اليوم
لا يغنى مولى عن مولى شيئا فالمولى الصاحب الذى من شانه ان يتولى معونة صاحبه
على اموره فيدخل فى ذلك ابن العم والناصر والحليف وغيرهم ممن هذه صفته والمعنى
ان ذلك اليوم لا يغنى فيه ولى عن ولى شيئا ولا يدفع عنه عذاب الله تعالى ولا هم ينصرون
وهذا لا ينافى ما نذهب اليه اكثر الامة من اثبات الشفاعة للنبى صلى الله عليه وآله
والائمة والمومنين لان الشفاعة لا تحصل الا بامر الله تعالى واذنه والمراد بالاية انه
ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله وينصرهم من ان ياذن الله له فيه وقد بين
ما اشرنا اليه باستثنائه من رحمة منهم فقال الا من رحم الله اى الا الذين رحمهم
الله من المومنين فانه اما ان يسقط عقابهم ابتداء ويأذن بالشفاعة منهم
لمن علت درجته عنده فيسقط عقاب المشفوع له بشفاعته انه هو العزيز فى انتقامه
من اعدائه الرحيم بالمومنين ثم وصف سبحانه ما يفصل به بين الفريقين فقال
ان شجرة الزقوم قد مر تفسيره فى سورة والصافات طعام الاثيم اى الاثم وهو
ابو جهل وروى ان ابا جهل اتى بتمر وزبد فجمع بينهما واكل وقال هذا هو الزقوم الذى
يخوفنا محمد به نحن نتزقمه اى نملا افواهنا فقال سبحانه كالمهل وهو المذاب من
النحاس والرصاص والذهب وقيل دردى الزيت تغلى فى البطون كغلى الحميم اى اذا حصلت
فى اجواف اهل النار تغلى كغلى الماء الحار الشديد الحرارة قال ابو على الفارسى لا يجوز
ان يكون المعنى يغلى المهل فى البطون لان المهل انما ذكر للتشبيه فى الذوب الا ترى انه

زعموه

لا يغلي في البطون وانما يغلي ما شبه به خذوه اي يقال للزبانية خذوا الاثيم فاعتلوه اي
وادعوه بعنف ومنه قول الشاعر شعر فيا ضيعة الفتيان اذ يعتلونه * ببطن الثرى
مثل العتق المسدم وقيل معناه جروا على وجهه عن مجاهد الى سواء الجحيم اي الى وسط
النار عن قتاده وسمي وسط الشي سواه لاستواء المسافة بينه وبين اطرافه المحيطة
به والسواء العدل ثم صبوا فوق راسه قال مقاتل ان خازن النار يضربه على راسه
فيذهب راسه عن دماغه ثم يصب فيه من عذاب الحميم وهو الماء الذي قد انتهى
حره ويقول له ذق انك انت العزيز الكريم وذلك انه كان يقول انا اعز اهل الوادي
واكرمهم فيقول له الملك ذق العذاب ايها المتعزز المتكرم في زعمك وفيما كنت تقوله
وقيل انه على معنى النقيض فكانه قيل انك انت الذليل المهين الا انه قيل على هذا الوجه
للاستخفاف به وقيل معناه انك كنت العزيز في قومك الكريم عليهم فما اغنى ذلك عنك
ان هذا ما كنتم به تمترون اي ثم يقال لهم ان هذا العذاب ما كنتم تشكون فيه في دار
الدنيا قوله عز وجل إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ
آمِنِينَ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ
ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ
مُرْتَقِبُونَ تسع آيات القراة قراء اهل المدينه وابن عامر في مقام بالضم والباقون
في مقام بالفتح الحجة من فتح الميم اراد به المجلس والمشهد كما قال في مقعد صدق ووصفه
بالامن يقوي ان المراد به المكان ومن ضم فانه يحتمل ان يريد به المكان من اقام
فيكون على هذا معنى القراتين واحدا ويجوز ان يجعله مصدرا وتقدير المضاف
محذوفا اي موضع اقامة اللغة السندس الحرير والاستبرق الديباج الغليظ
الصفيق قال الزجاج انما قيل له استبرق لشدة بريقه والحور جمع حوراء من الحور
وهو شدة البياض ومنه الحواريون ... البيض الوجوه وقال ابو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين
وشدة سوادها والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين الاعراب كذلك جار ومجرور

في موضع

في موضع رفع بانه خبر المبتداء التقدير الامر كذلك متقابلين نصب على الحال من يلبسون
ويلبسون يجوز ان يكون خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون حالا بعد حال من الظرف الذي
هو قوله في مقام لان التقدير ان المتقين يتبوا في مقام ومفعول يلبسون محذوف
تقديره يلبسون ثيابا من سندس فامنين حال من يدعون الموتة الاولى نصب على
الاستثناء قال الزجاج معناه سوى الموتة التي اذاقوها في الدنيا كقوله ولا تنكحوا
ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف المعنى سوى ما قد سلف واقول ان سوى
لا يكون الا ظرفا والاخرة فكيف يكون بمعناه فالاولى ان يكون الا ههنا معها بعدها
صفة او بدلا بمعنى غير تقديره لا يذوقون فيها الموت غير الموتة الاولى لان الموتة
الاولى قد انقضت فلا يمكن ان يستثنى من الموت الذي لا يذوقونه في الجنة اذ ليست
بداخله فيه قوله فضلا من ربك مفعول تقديره فعل الله ذلك بهم فضلا منه
ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر تقديره واعطاهم فضلا ويجوز ان يكون
مصدرا موكدا لما قبله لان ما ذكره قبله تفضل منه سبحانه كقول امرء القيس
ورضت فذلت صعبة اي اذلال * على اذللته اي اذلال فاستغنى عن اذللته
بذكر رضت المعنى ثم عقب سبحانه الوعيد بذكر الوعد فقال ان المتقين الذين
يجتنبون معاصي الله لكونها قبائح ويفعلون الطاعات لكونها طاعات
في مقام امين امنوا فيه الغير من الموت والحوادث وقيل امنوا فيه من الشيطان
والاحزان عن قتاده في جنات وعيون اي بساتين وعيون ماء نابعة فيها
يلبسون من سندس واستبرق خاطب العرب فوعدهم من اللباس بما عظم عندهم
واشتهته انفسهم وقيل السندس ما يلبسونه والاستبرق ما يفترشونه متقابلين
في المجالس لا ينظر بعضهم في قفا بعض بل يقابل بعضهم بعضا وقيل معناه متقابلين
بالمحبة لا متدابرين بالبغضة كذلك حال اهل الجنة وزوجناهم بحور عين قال
الاخفش المراد به التزويج المعروف يقال زوجته امرأة وبامرأة وقال غيره لا يكون
في الجنة تزويج والمعنى قرناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة امنين اي يستدعون

فيها اى ثمرة شاؤه واشتهوه غير خايفين فوتها امنين من التخم والاسقام والاوجاع
لابد وقوته فيها الموت شبه الموت بالطعام الذى يذاق وينكره وعند المذاق
ثم نفى ذلك ان يكون فى الجنه وانما خصهم بانهم لايذوقون الموت مع ان جميع اهل
الاخرة لايذوقون الموت لما فى ذلك من البشارة لهم بالحيوة الهنيه فى الجنه
فاما من يكون فيما هو كالموت فى الشدة فانه لايطلق له هذه الصفة لانه يموت
موتات كثيرة بما يقاسيه من العقوبة الا الموتة الاولى قيل معناه بعد الموتة
الاولى وقيل معناه لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل سوى الموتة الاولى وقد بينا
ما عندنا فيه ووقاهم عذاب الجحيم اى يصرف عنهم عذاب النار استدلت المعتزله
بهذا على ان الفاسق الملى لايخرج من النار لانه لايكون قد وقى النار والجواب عن ذلك
ان هذه الاية يجوز ان يكون مختصة بمن لايستحق دخول النار فلا يدخلها او بمن استحق
النار فتفضل عليهم بالعفو فلم يدخلها ويجوز ان يكون المراد ووقاهم عذاب الجحيم
على وجه التابيد وعلى الوجه الذى يعذب عليه الكفار فضلا من ربك اى فعل الله ذلك
بهم تفضلا منه لانه سبحانه خلقهم وانعم عليهم وركب فيهم العقل وكلفهم وبين لهم
من الايات ما استدلوا به على وحدانيه الله تعالى وحسن الطاعات فاستحقوا به النعم
العظيمة ثم جزاؤهم بالحسنة عشر امثالها فكان ذلك فضلا منه عن اسمه وقيل انما سماه
فضلا وان كان مستحقا لان سبب الاستحقاق هو التكليف والتمكين وهو فضل منه سبحانه
ذلك هو الفوز العظيم اى الظفر بالمطلوب الشان فانما يسرناه اى سهلنا القران فالهاء
كناية عن غير مذكور والمعنى هونا القران بلسانك اى على لسانك وقيل يسرنا قراته عليك
وقيل معناه جعلنا القران عربيا يسهل عليك وعلى قومك تفهمه لعلهم يتذكرون
اى ليتذكروا ما فيه من الامر والنهى والوعد والوعيد ويتفكروا فيه فارتقب انهم
مرتقبون اى فان اعرضوا ولم يقبلوا فانتظر مجيء ما وعدناك به انهم منتظرون لانهم فى حكم
من ينتظر لان المحسن يرتقب عاقبة الاحسان والمسيء يرتقب عاقبة الاساءة وقيل معناه
انتظر بهم عذاب الله فانهم منتظرون بك الدوائر وقيل انتظر قهرهم ونصرك عليهم

فانهم

فانهم منتظرون قهرك بزعمهم سورة الجاثيه وتسمى ايضا سورة الشريعة لقوله فيها
ثم جعلناك على شريعة من الامر هى مكية قال قتاده الا آيه منها نزلت بالمدينه قل للذين
امنوا يغفروا الاية عدد آيها سبع وثلثون آيه كوفى ست فى الباقين اختلافها آيه
حم كوفى فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال ومن قرا سورة الجاثيه ستر الله
عورته وسكن روعته عند الحساب وروى ابو بصير عن ابى عبد الله عليه السلم قال من قرا
سورة الجاثيه كان ثوابها ان لايرى النار ابدا ولايسمع زفير جهنم ولا شهيقها وهو
مع محمد صلى الله عليه وآله تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة الدخان بذكر القران افتتح
هذه السورة ايضا بذكره فقال بسم الله الرحمن الرحيم
حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللّٰهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ اِنَّ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ لَاٰيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ
وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَاَحْيَا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ خمس آيات القراة قرا حمزه والكسائى ويعقوب آيات فى الموضعين
على النصب والباقون آيات بالرفع الحجة قال ابو على قوله وفى خلقكم وما يبث من دابة
آيات جاز الرفع فى قوله آيات من وجهين احدهما العطف على موضع ان وما عملت
فيه فانه رفع بالابتداء فيحمل الرفع فيه على الموضع والاخر ان يكون مستانفا ويكون الكلام
جملة معطوفة على جملة فيكون قوله آيات على هذا مرتفعا بالظرف وهذا اجود وبه يقرا
لانه قد صار على كلام آخر نحو ان فى الدار زيدا وفى البيت عمرو لانك انما تعطف الكلام كله
على آخر قال وقد قوى بالنصب هو عربى انتهت الحكاية عنه فاما قوله واختلاف الليل والنهار الى
الايات فانك ان تركت الكلام على ظاهره فان فيه عطفا على عاملين احد العاملين الجار
الذى هو فى من قوله وفى خلقكم وما يبث من دابة والعامل الاخر ان نصبت آيات
وان رفعت فالعامل المعطوف عليه مع فى الابتداء والظرف ووجه قراءة من قرا آيات
بالنصب انه لم يحمل على موضع ان كما حمل من رفع آيات فى الموضعين وقطعه واستانف
ولكن حمله على لفظ ان دون موضعها فحمل آيات فى الموضعين على نصب فى قوله ان فى السموات

والارض لايات للمؤمنين فان قلت انه يعرض في هذه القراة العطف على عاملين و ذلك
في قوله واختلاف الليل لايات الليل وان كانت محذوفة من اللفظ وذلك ذكره قد تقدم
في قوله ان في السموات وقوله وفي خلقكم فلما تقدم ذكر الجار في هذين قدر فيه
الاثبات في اللفظ وان كان محذوفا كما قدر سيبويه في قوله اكل امرئ تحسبين امرأ
ونار توقد بالليل نارا ان كل في حكم الملفوظ به واستغنى عن اظهاره بتقدم ذكره ومما يؤكد
هذه القراة في ان ايات محمولة على ان ما ذكر عن ابي انه قرأ في المواضع الثلاثة لايات
فدخول اللامات يدل على ان الكلام محمول على ان واذا كان محمولا عليها حسن النصب وصار
كل موضع من ذلك كان ان مذكورة فيه بدلالة دخول اللام لان هذه اللام انما يدخل على خبر ان
او على اسمها ومما يجوز ان يتاول على ما ذكرناه قول الفرزدق وباشر راعيها الصلا
بلبانه وكفيه حر النار ما يتحرق فهذا ان حملت الكلام على ظاهره كان عطفا على عاملين
على الفعل والباء وان قدرت ان الباء ملفوظ بها لتقدم ذكرها صارت في حكم الثبات
في اللفظ واذا صارت كذلك كان العطف على عامل واحد وهو الفعل دون الجار وكذلك
قول الاخر اوصيت من برة قلبا حرا بالكلب خيرا والحماة شرا فان قدرت الجار في حكم
المذكور لدلالة المتقدم عليه لم يكن عطفا على عاملين كما لم يكن قوله واختلاف الليل والنهار
لايات كذلك وقد يخرج قوله واختلاف الليل والنهار ايات من ان يكون عطفا
على عاملين من وجه وهو ان تقدير قوله واختلاف الليل والنهار على في المتقدم ذكرها
ويجعل آيات متكررة كررتها لما تراخى الكلام وطال كما قال بعض شيوخنا في قوله تعالى
الم تعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم ان ان هي الاولى كررت وكما
جاءهم ما عرفوا كفروا به لما تراخى عن قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله وهذا النحو
في كلامهم غير ضيق المعنى حم قد بينا ما قيل فيه واجود الاقوال انه اسم للسورة
قال علي بن عيسى في تسمية السورة بحم دلالة على ان هذا القرآن المعجز كله من حروف
المعجم لانه سمي به ليدل عليه وصافه تنزيل الكتاب من الله اضاف التنزيل الى نفسه
في مواضع من السورة استفتاحا بتعظيم شانه وتفخيم قدره باضافته الى نفسه من اكرم

الوجه

الوجه واجلها وما اقتضى هذا المعنى لم يكن تكريرا فقد يقول القايل اللهم اغفر لي
اللهم ارحمني اللهم عافني اللهم وسع علي في رزقي فياتي بما يؤذن ان تعظيم لربه
منعقد بكل ما يدعو به وقوله من الله يدل على ان ابتداءه من الله تعالى العزيز
القادر الذي لا يغالب الحكيم العالم الذي افعاله كلها حكمة وصواب ان في السموات
والارض لايات للمؤمنين الذين يصدقون بالله وبانبيائه المنتفعون بالايات
وهي الحجج والدلالات الدالة على ان لها مدبرا صانعا قادرا عالما وفي خلقكم
وما يبث من دابة ايات معناه وفي خلقه اياكم بما فيكم من بدايع الصنعة
وعجايب الخلقة وما يتعاقب عليكم من الاحوال من مبتدا خلقكم في بطون الامهات
الى انقضاء الاجال وفي خلق ما تفرق على وجه الارض من الحيوانات على اختلاف
اجناسها ومنافعها والمقاصد المطلوبة منها دلالات واضحات على ما ذكرنا
لقوم يوقنون اي يطلبون علم اليقين بالتفكر والتدبر واختلاف الليل والنهار
اي وفي ذهاب الليل والنهار ومجيئهما على وتيرة واحدة وقيل وفي اختلافهما
من الطول والقصر وقيل اختلافهما في ان احدهما نور والاخر ظلمة وما انزل الله
من السماء من رزق اراد به المطر الذي به ينبت النبات الذي هو رزق الخلايق
فسماه رزقا لانه سبب الرزق فاحيا به الارض بعد موتها اي فاحيا بذلك المطر
الارض بعد يبسها وجفافها وتصريف الرياح اي وفي تصريف الرياح بجعل
مرة جنوبا واخرى شمالا ومرة صبا واخرى دبورا عن الحسن وقيل بجعلها تارة رحمة
وتارة عذابا ايات لقوم يعقلون وجوه الادلة ويتدبرونها فيعلمون ان لهذه
الاشياء مدبرا حكيما قادرا عليما حيا غنيا قديما لا يشبهه قوله عز وجل
تِلْكَ آيَاتُ اللّٰهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللّٰهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ
وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللّٰهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ
يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا

مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ خمس آيات القراة قرأ اهل الكوفة غير حفص
والاعشى والبرجمي وابن عامر ويعقوب يؤمنون بالتاء والباقون بالياء الحجة
قال ابو على حجة من قرا بالياء ان قبله غيبه وهو قوله لقوم يومنون ومن قراء
بالتاء فالتقدير قل لهم فباى حديث بعد ذلك تومنون المعنى لما قدم سبحانه
ذكر الادلة عقب ذلك بالوعيد لمن اعرض عنها ولم يتفكر فيها فقال تلك آيات
الله اى ما ذكرناه ادلة الله التى نصبها لخلقه المكلفين نتلوها عليك اى نقرأها
عليك يا محمد ليقراها عليهم بالحق دون الباطل والتلاوة الاتيان بالثانى
فى اثر الاول فى القراة والحق الذى تتلى الايات هو كلام مدلوله على ما هو به فى جميع
انواعه فباى حديث بعد الله واياته تومنون معناه ان هولاء الكفار
ان لم يصدقوا بما تلوناه عليك فباى حديث بعد حديث الله وهو القران
واياته تصدقون وباى كلام تنتفعون وهذا اشارة الى ان المعاند لا حيلة له
والفرق بين الحديث الذى هو القران وبين الايات ان الحديث قصص يستخرج
منه عبر تبين الحق من الباطل والايات هى الادلة الفاصلة بين الصحيح والفاسد
ويل لكل افاك اثيم والافاك الفعال من الافك وهو الكذب يطلق ذلك على من كثر
كذبه او يعظم كذبه وان كان فى خبر واحد ككذب مسيلمة فى ادعاء النبوة والاثيم
ذو الاثم وهو صاحب المعصية التى يستحق بها العقاب والويل كلمة وعيد تتلقى
بها الكفار ومستحقوا العقاب وقيل هو واد سايل من صديد جهنم ثم وصف
سبحانه الافاك الاثيم بقوله يسمع ايات الله تتلى عليه اى يسمع ايات القران التى فيها
الحجة تقرا عليه ثم يصير مستكبرا اى يقيم على كفره وبالله متعظما عند نفسه عن
الانقياد للحق كان لم يسمعها اصلا فى عدم القبول والاعتبار بها فبشره بعذاب اليم
اى مولم واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا اى اذا علم هذا الافاك الاثيم من حججنا
وادلتنا شيئا استهزاء بها ليرى العوام انه لا حقيقة لها كما فعله ابو جهل حين سمع
قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وكما فعله النضر بن الحرث حين كان يقابل القران

باحاديث الفرس وَآيَاتُ لهم عذاب مهين اى مذل لمخزيهم مافيه من الالم من ورائهم
جهنم اى من وراء ما فيه من التعزز بالمال والدنيا جهنم ومعناه قدامهم ومن بين
ايديهم كقوله وكان وراءهم ملك ووراء اسم يقع على القدام والخلف فما توارى
عنك فهو وراءك خلفك كان او امامك ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا اى لا يغنى
عنهم ما حصلوه وجمعوه من المال والولد شيئا من عذاب الله تعالى ولا ما اتخذوا
من دون الله اولياء من الالهة التى عبدوها لتكون شفعاء وهم عند الله و لهم
مع ذلك عذاب عظيم قوله عز وجل هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ اللّٰهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا
لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللّٰهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا
فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ خمس آيات القراة
قرا ابن كثير وحفص من رجز اليم بالرفع والباقون اليم بالجر وقرا ابو حفص
ليجزى بضم الياء وفتح الزاء وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى وخلف لنجزى
بالنون وكسر الزاء والنصب وقرا الباقون ليجزى بفتح الياء وكسر الزاء الحجة
قال ابو على الرجز العذاب فمن جر فالتقدير عذاب من عذاب اليم ومن رفع
فالمعنى عذاب اليم من عذاب وفيه قولان احدهما ان الصفة تجى على وجه التاكيد
كما ان الحال يجى كذلك وذلك نحو قوله نفخة واحدة ومناة الثالثة الاخرى
وقولهم امس الدابر قال شعر وابى الذى ترك الملوك وجمعهم بصعاب هامدة
كامس الدابر والاخر انه محمول على انه بمعنى الرجس الذى هو النجاسة على البدل
للمقاربة ومعنى النجاسة فيه قوله من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه فكان
المعنى لهم عذاب من تجرع رجس او شرب رجس فيكون من تبيينا للعذاب
ثم هو ومن قرا ليجزى بالياء فحجته ان ذكر الله قد تقدم فى قوله لا يرجون

اٰيام الله فيكون فاعل يجزى ومن قرأ بالنون فالنون فى معنى الياء وان كانت
الياء اشد مطابقة لما فى اللفظ ومن قرأ ليجزى قوما فقال ابو عمرو انه لحن
ظاهر وذكر ان الكسائى قال معناه ليجزى الجزاء قوما قال الجامع البصير
معناه ليجزى الخير قوما فاضمر الخبر لدلالة الكلام عليه وليس التقدير
ليجزى الجزاء قوما لان المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح فاذا
الخبر مضمر كما اضمر الشمس فى قوله حتى توارت بالحجاب لان قوله اذ عرض عليه بالعشى
يدل على توارى الشمس المعنى ثم قال سبحانه هذا هدى اى هذا القرآن الذى تلوناه
والحديث الذى ذكرناه هدى اى دلالة موصولة الى الفرق بين الحق والباطل
من امور الدين والدنيا والذين كفروا بآيات ربهم وجحدوها لهم عذاب من رجز
اليم ومعناه ثم نبه سبحانه خلقه على وجه الدلالة على توحيده فقال الله الذى
سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره اى جعله على هيئة لتجرى السفن فيه ولتبتغوا من فضله
اى ولتطلبوا بركوبه فى اسفاركم من الارباح بالتجارات ولعلكم تشكرون له هذه
النعمة وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض اى وسخر لكم مع ذلك معاش الخلق
ما فى السموات من الشمس والقمر والنجوم والمطر والثلج والبرد وما فى الارض من الدواب
والاشجار والنبات والثمار والانهار ومعنى تسخيرها لنا انه تعالى خلقها جميعا
لانتفاعنا بها فهى مسخرة لنا من حيث انا ننتفع بها على الوجه الذى نريده وقوله
جميعا منه قال ابن عباس اى كل ذلك رحمة منه لكم قال الزجاج كل ذلك منه تفضل
واحسان ويحسن الوقف على قوله جميعا ثم يقول منه اى ذلك التسخير منه لا من غيره
فهو فضله واحسانه وروى عن ابن عباس وعبد الله بن عمر الجحدرى انهم قرؤا منة
منصوبة منونة وعلى هذا فيكون من باب نسمت ويضيء البرق وكانه قال من عليهم منة
وروى عن سلمة انه قرأ منه بالرفع وعلى هذا فيكون خبر مبتدأ محذوف اى ذلك منة
او هو منة او يكون على معنى سخر لكم ذلك منة ان فى ذلك لآيات اى دلالات لقوم
يتفكرون ثم خاطب سبحانه نبيه عليه السلام فقال قل يا محمد للذين امنوا يغفروا وهو جواب

امر محذوف

امر محذوف دل عليه الكلام وتقديره قل لهم اغفروا يغفروا فصار قل لهم على هذا الوجه
يغنى عنه عن على بن عيسى وقيل معناه قل للذين اغفروا ولكنه شبه بالشرط والجزاء كقوله تعالى
قل لعبادى الذين امنوا يقيموا الصلوة عن الفراء وقيل يغفروا تقديره يا هؤلاء اغفروا
فحذف المنادى كقوله الا يا اسجدوا وقول الشاعر شعر الا يا اسلمى ذات الدماليج والعقد
للذين لا يرجون ايام الله لا يخافون عذاب الله اذا نالوكم بالاذى والمكروه ولا يرجون
ثوابه بالكف عنكم وقد مر تفسير ايام الله عند قوله وذكرهم بايام الله ومعنى يغفروا
ههنا يتركوا مجازاتهم على اذاهم ولا يكافؤهم ليتولى الله مجازاتهم ليجزى قوما بما كانوا
يكسبون بيان هذا الجزاء فى الآية التى يليها وهى قوله من عمل صالحا اى طاعة وخيرا وبرا
فلنفسه لان ثواب ذلك عائد عليه ومن اساء فعليها اى فوبال اساءته على نفسه ثم الى
ربكم ترجعون يوم القيمة اى الى حيث لا يملك احد النفع والضر والنهى والامر غيره فيجازى
كل انسان على قدر عمله قوله عز وجل ولقد اتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة
ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين واتيناهم بينات من الامر
فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء
الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم
اولياء بعض والله ولى المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم
يوقنون خمس آيات المعنى لما تقدم ذكر النعمة ومقابلتهم اياها بالكفر والطغيان
بين عقيب ذلك ذكر ما كان من بنى اسرائيل الكتاب يعنى التورية والحكم يعنى العلم
بالدين وقيل العلم بالفصل بين الخصمين وبين المحق والمبطل والنبوة اى وجعلنا
فيهم النبوة حتى روى انه كان فيهم الف نبى ورزقناهم من الطيبات اى واعطيناهم
من انواع الطيبات وفضلناهم على العالمين اى عالمى زمانهم وقيل فضلناهم فى
كثرة الانبياء منهم على سائر الامم وان كانت امة محمد افضل منهم فى كثرة المطيعين لله
وكثرة العلماء منهم كما يقال هذا افضل فى علم النحو وذلك فى علم الفقه فان محمدا صلى الله عليه وآله

افضل فى علو منزلة نبينا عند الله على ساير الانبياء وكثرة المجتبين الاخيار من آله وامته
والفضل الخير الزايد على غيره فان محمدا افضل بفضل محمد وآله واتيناهم بينات من الامر اى اعطيناهم
دلالات وبراهين واضحات من العلم بمبعث محمد وما بين لهم من امره وقيل يريد الله بالامر
احكام التورية فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم اى من بعد ما انزل الله الكتب على
انبيائهم واعلمهم ما فيها بغيا بينهم اى طلبا للرياسة وانفة من الاذعان للحق وقيل بغيا على محمد
فى جحود ما فى كتابهم من نبوته وصفته ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
ظاهر المعنى ثم جعلناك على شريعة من الامر اى جعلناك يا محمد على دين ومنهاج وطريقه
يعنى بعد موسى وقوله والشريعة والسنة التى من سلك طريقها ادته الى البغية كالشريعة
التى هى طريق الى الماء وهى علامة منصوبة على الطريق من الامر والنهى يودى الى الجنة كما يودى
ذلك الى الوصول الى الماء فاتبعها اى اعمل بهذه الشريعة ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
الحق ولا يفصلون بينه وبين الباطل من اهل الكتاب الذين غيروا التورية اتباعا لهواهم
وحبا للرياسة واستتباعا للعوام ولا المشركين الذين اتبعوا اهواهم فى عبادة الاصنام
انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اى لن يرفعوا عنك شيئا من عذاب الله ان اتبعت
اهواهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض يعنى الكفار باجمعهم متفقون على معاداتك
وبعضهم انصار بعض عليك والله ولى المتقين اى ناصرهم وحافظهم فلا تشغل
قلبك بتناصرهم وتعاونهم عليك فان الله ينصرك عليهم ويحفظك
هذا بصاير للناس اى هذا الذى انزلته عليك من القرآن بصايرهم اى معالم
فى الدين وعظات وعبر للناس يبصرون من امور دينهم وهدى اى دلالة واضحة
ورحمة اى ونعمة من الله لقوم يوقنون بثواب الله وعقابه لانهم المنتفعون
به قوله عز وجل اَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ اَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ اٰمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَآءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ وَخَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰوَاتِ
وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ اَفَرَاَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ اِلٰهَهُ
هَوٰاهُ وَاَضَلَّهُ اللّٰهُ عَلٰى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلٰى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلٰى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ

من بعد الله

مِنْ بَعْدِ اللّٰهِ اَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَقَالُوا مَا هِيَ اِلَّا حَيٰوتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيٰى وَمَا يُهْلِكُنَا
اِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ اِنْ هُمْ اِلَّا يَظُنُّونَ وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ
حُجَّتَهُمْ اِلَّا اَنْ قَالُوا ائْتُوا بِاٰبَائِنَا اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ خمس آيات القراءة قرأ اهل
الكوفة غير ابى بكر وروح وزيد سواء بالنصب والباقون بالرفع وقرأ اهل الكوفة غير
عاصم غشوة بفتح الغين بغير الف والباقون غشاوة الحجة قال ابو على ليس الوجه
فى الاية نصب سواء على ان يجريه على ما قبله على حد قولك مررت برجل ضارب ابوه
وزيد ضاربا اخوه لانه ليس باسم فاعل ولا مشبه به مثل حسن وشديد ونحو ذلك
انما هو مصدر فلا ينبغى ان يجرى على ما قبله كما يجرى اسم الفاعل وما شبه به لتعريه
من المعانى التى اعملها فاعل وما شبه به عمل الفعل ومن قال مررت برجل خير منه
ابوه وسرج خز صفته وبرجل مائة ابله استجاز ان يجرى سواء ايضا على ما قبله كما
اجرى الضرب الاول فاما من قرأ سواء بالنصب فان انتصابه يحتمل ثلثة اضرب احدها
ان يجعل المحيا والممات بدلا من الضمير المنصوب فى يجعلهم فيصير التقدير ان يجعل
محياهم ومماتهم سواء فتنصب سواء على انه مفعول ثان ليجعل ويكون انتصاب سواء
على هذا القول حسنا لانه لم يرفع مظهرا ويجوز ايضا ان يجعل محياهم ومماتهم
ظرفين من الزمان فيكون كذلك ايضا ويجوز ان يعمل فى الظرف احد شيئين احدها
ما فى سواء من معنى الفعل كانه يستوون فى المحيا والممات والاخر ان يكون العامل الفعل
ولم يعلم الكوفيين الذين نصبوا سواء نصبوا الممات فاذا لم ينصبوه سواء كان
النصب فى سواء على غير هذا الوجه لا يخلوا من ان ينتصب على انه حال او على انه المفعول الثانى
ليجعل وعلى اى هذين الوجهين حملته فقد اعملته عمل الفعل فرفعت به المظهر فان جعلته
حالا امكن ان يكون الحال من الضمير فى نجعلهم ويكون المفعول الثانى قوله كالذين
امنوا المفعول الثانى امكن ان يكون سواء منتصبا على الحال مما فى قوله كالذين امنوا
من معنى الفعل فيكون ذو الحال الضمير المرفوع فى قوله كالذين امنوا وهذا الضمير يعود
الى الضمير المنصوب فى نجعلهم وانتصابه على الحال من هذين الوجهين ويجوز ان لا يجعل

قوله كالذين امنوا المفعول الثاني و لكن يجعل المفعول الثاني في قوله سواء محياهم ومماتهم فيكون حمله في موضع نصب يكونهما في موضع المفعول الثاني ليجعل و يجوز فيمن قال مررت برجل ما به ابله فاعمل المآبه عمل المفعول ان ينصب سواء على هذا الوجه ايضا ويرتفع به المحيا كما جاز ان يرتفع به اذا قدرت الجملة في موضع الحال و الحال في الجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم يكون من جعل و يكون ما في قوله كالذين ومعنى الفعل و قد قيل في الضمير في قوله محياهم ومماتهم قولان احدهما انه ضمير الكفار دون الذين امنوا كان سواء على هذا القول مرتفعا بانه خبر لمبتداء مقدم تقديره محياهم ومماتهم سواء اى محياهم محيا سوء ومماتهم ممات سوء ولا يكون النصب على هذا في سواء لانه اثبات في الاخبار بان محياهم ومماتهم تستويان في الذم والبعد من رحمه الله والقول الاخر ان الضمير في محياهم ومماتهم للقبيلتين فاذا كان كذلك جاز ان ينتصب سواء على المفعول الثاني من يجعل فيمن استجاز ان يعمله في الظاهر لانه يلتبس بالقبيلتين جميعا وليس في الوجه الاول كذلك لانه للكفار دون المومنين ولا يلتبس للمومنين من حيث كان للكفار من دونهم ولا يجوز ان ينتصب سواء ولم يكن فيه الا الرفع ويكون على هذا الوجه قوله كالذين امنوا وعملوا الصالحات في موضع المفعول الثاني و سواء محياهم استينافا ولا يكون في موضع حال من قوله كالذين امنوا لانه لا يلتبس بهم والقول في غشوه وغشاوه مذكور في سورة البقرة اللغة الاجتراح الاكتساب في الجرح واجترح و كسب واكتسب و فلان جارحة قومه اى كاسبه قومه واصله من الجراح لان ذلك تا ثيركتا ثير الجراح ومثله الاقتراف و هو مشتق من قرف القرحة والسيئة الفعلة القبيحة التي تسوء صاحبها باستحقاق الذم عليها والحسنة هي التي تسر صاحبها باستحقاق المدح عليها قال على بن عيسى القبيح ما ليس للقادر عليه ان يفعله والحسن هو ما للقادر عليه ان يفعله وكل فعل وقع لا لامر من الامور فهو لغو لا ينسب الى الحكمة ولا الى السفه المعنى ثم قال سبحانه للكفار على سبيل التوبيخ لهم ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء معناه بل احسب وهذا استفهام انكار وقيل

ان هذا

ان هذا معطوف على معنى مضمر تقديره هذا القران بصاير للناس موديه الى الجنه افعلموا ذلك ام حسب الذين اكتسبوا الشرك والمعاصي ان نجعل منزلتهم منزله الذين صدقوا الله و رسوله وحققوا اقوالهم باعمالهم سواء محياهم ومماتهم اى يستوى محيا ايمانهم ومماتهم يعنى احسبوا ان حيوتهم ومماتهم كحيوة المومنين وموتهم ساء ما يحكمون اى ساء ما حكموا على الله تعالى بانه لا يستوى بينهم ولا يستقيم ذلك في العقول بل ينصر المومنين في الدنيا ويمكنهم من المشركين ولا ينصر الكافرين ولا يمكنهم من المسلمين و ينزل الملائكه عند الموت على المومنين بالبشرى و على الكافرين يضربون وجوههم وادبارهم وقيل اراد محياهم بعد البعث ومماتهم على الايمان والطاعة ومحيا المشركين على الشرك والمعصية ومماتهم كذلك فلا يستويان عن مجاهد وقيل ان الضمير في محياهم و مماتهم للكفار و المعنى انهم يتساوون في حال كونهم احيا و في حال كونهم امواتا لان الحي متى لم يفعل الطاعة فهو بمنزلة الميت ثم قال سبحانه وخلق الله السموات و الارض بالحق اى لم يخلقهما عبثا وانما خلقهما لنفع خلقه بان يكلفهم و يعرضهم للثواب الجزيل و لتجزى كل نفس بما كسبت من ثواب على طاعة او عقاب على معصية وهم لا يظلمون اى لا يبخسون حقوقهم ثم قال افرايت يا محمد من اتخذ الهه هواه اى اتخذ دينه بما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه لانه لا يومن بالله ولا يخافه فاتبع هواه في اموره ولا يحجزه تقوى عن ابن عباس و الحسن وقتاده وقيل معناه من اتخذ معبوده ما يهواه دون ما دلت الدلاله على ان العبادة تحق له فاذا استحسن شيئا وهويه اتخذه الها وكان احدهم يعبد الحجر فاذا راى ما هو احسن منه رمى به وعبد الاخر عن عكرمه وسعيد بن جبير وقيل معناه افرايت من انقاد لهواه انقياده لالهه ومعبوده ويرتكب ما يدعوه اليه ولم يرد انه يعبد هواه ويعتقد انه تحق له العبادة لان ذلك لا يعتقده احد عن على بن عيسى قد ايس الله رسوله من ايمان هولاء هذا واضله الله على علم اى خذله الله وخلاه وما اختاره جزاء له على كفره وعناده وترك تدبره على علم منه باستحقاقه لذلك وقيل اضله الله اى وجده ضالا على حسب علمه فخرج معلومه على وفق علمه كما يقال احمدت فلانا اى وجدته

حميدا وكقول عمرو بن معدى كرب قاتلناهم فما اجبناهم وسالناهم فما ابخلناهم
وقاولناهم فما افحمناهم اى ما وجدناهم كذلك وقيل معناه انه ضل عن الله
كما قال شعر هبونى امرأ منكم اضل بعيره له ذمة ان الذمام كبير اى اضل عنه
بعيره وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فسرناه فى سورة البقرة
فمن يهديه من بعد الله اى من بعد هداية الله اياه والمعنى اذ لم يهدى الله
بعد ظهوره ووضوحه فلا طمع فى اهتدائه افلا يذكرون اى افلا يتعظون بهذه
المواعظ وهذا استبطاء لتذكرهم اى تذكروا وتعظوا حتى تحصلوا على معرفة
الله تعالى ثم اخبر سبحانه عن منكرى البعث فقال وما هى الا حيوتنا الدنيا
اى ليس الحيوة الا حيوتنا التى نحن فيها فى دار الدنيا ولا يكون بعد الموت
بعث ولا حساب نموت ونحيا قيل فى معناه اقوال احدها ان تقديره نحيا
ونموت فقدم واخر والثانى ان معناه نموت ونحيا اولادنا والثالث يموت
بعضنا ويحيا بعضنا كما قال فاقتلوا انفسكم اى ليقتل بعضكم بعضا وما يهلكنا
الا الدهر اى وما يميتنا الا الايام والليالى اى مرور الزمان وطول الامر انكارا
منهم للصانع وما لهم بذلك من علم نفى سبحانه عنهم العلم اى انما ينسبون ذلك
الى الدهر لجهلهم ولو علموا ان الذى يميتهم هو الله وانه قادر على احيائهم
لما نسبوا الفعل الى الدهر ان هم الا يظنون اى ما هم فيما ذكروه الا ظانون
وانما الامر بخلافه وقد روى فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال
لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وتاويله ان اهل الجاهلية كانوا ينسبون
الحوادث المجحفة والبلاء النازلة الى الدهر فيقولون فعل الدهر كذا وكانوا
يسبون الدهر فقال عليه السلم ان فاعل هذه الامور هو الله تعالى فلا تسبوا فاعلها
وقيل معناه فان الله مصور الدهر ومدبره والوجه الاول احسن فان كلامهم
اكثر مملو من ذلك ينسبون فعال الله تعالى الى الدهر قال الاصمعى ذم اعرابى رجلا فقال
هو اكثر ذنوبا من الدهر وقال كثير شعر وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وقال آخر

٥١

وقال آخر شعر فاستاثر الدهر الغداة بهم والدهر يرمينى وما ارمى يا دهر
قد اكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت فى العظم ثم قال سبحانه واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات اى اذا قرئت عليهم حججا ظاهرات ما كان حجتهم الا ان قالوا
ائتوا باباءنا ان كنتم صادقين اى لم يكن فى مقابلتها حجة الا مقالتهم
ان كنتم صادقين ان الله يعيد الاموات ويبعثهم يوم القيمة فاتوا باباءنا
واحيوهم حتى نعلم ان الله قادر على بعثنا وانما لم يحييهم الله تعالى لذلك
لانهم قالوا ذلك متعنتين مقترحين لا طالبين الرشد قوله عز وجل
قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلٰكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا
الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا
نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ
رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ خمس آيات القراءة قرأ يعقوب
كل امة تدعوا الى كتابها بفتح اللام والباقون بالرفع الاعراب الوجه فى نصبه
انه بدل من الاول وفى الثانى من الايضاح ما ليس فى الاول لان فيه ذكر السبب الداعى
الى الجثوة فلذلك جاز ابداله منه ويكون تدعى فى موضع نصب على الحال او على انه
مفعول ثان على تفصيل معنى ترى المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه عليه السلم رادا على الكفار
قولهم فقال قل يا محمد الله يحييكم فى دار الدنيا لانه لا يقدر على الاحياء احد سواه
لانه القادر لنفسه ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة بان
يعيدكم احياء لا ريب فيه اى لا شك فيه لقيام الحجة عليه وانما احتج بالاحياء فى دار
الدنيا لان من قدر على فعل الحيوة فى وقت قدر على فعلها فى كل وقت ومن عجز عن
ذلك فى وقت مع ارتفاع الموانع المعقولة وكونه حيا عجز عنه فى كل وقت ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ذلك لعدولهم عن النظر الموجب للعلم بصحته ولله ملك

المبطلون
السموات والارض فهو قادر على البعث والاعادة ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر
العادلون عن الحق الفاعلون للباطل انفسهم وحيوتهم في الدنيا لا يخلصون من ذلك
الا على عذاب دايم وترى كل امة جاثية اي وترى يوم القيمة اهل كل ملة باركة على
ركبها عن ابن عباس وقيل باركة مستوفزة على ركبها كهيئة قعود الخصوم بين يدي
القضاة عن مجاهد والضحاك وابن زيد وقيل ان الجثو للكفار خاصة وقيل هو عام
للمؤمن والكافر ينتظرون الحساب كل امة تدعى الى كتابها اي كتاب اعمالها الذي كان
يستنسخ لها وقيل الى كتابها المنزل على رسولها ليسالوا عما عملوا به اليوم تجزون
ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك هذا كتابنا يعني ديوان الحفظة ينطق عليكم بالحق
اي يشهد عليكم بالحق والمعنى يبينه بيانا شافيا حتى كانه ناطق انا كنا نستنسخ ما كنتم
تعملون اي نستكتب الحفظة ما كنتم تعملون في دار الدنيا والاستنساخ الامر بالنسخ
مثل الاستكتاب للامر بالكتابة وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ يشهد بما قضى
فيه من خير وشر وعلى هذا فيكون معنى نستنسخ ان الحفظة تستنسخ الخزنة ما هو
مدون عندها من احوال العباد وهو قول ابن عباس فاما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي في جنته وثوابه ذلك هو الفوز المبين
اي الفلاح الظاهر قوله عز وجل وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ
وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ
مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ
هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ سبع آيات القراءة قرا حمزة وحده
والساعة بالنصب الباقون بالرفع الحجة قال ابو علي الرفع على وجهين احدهما

ان يقطعه من الاول فيعطف جملة على جملة والاخر ان يكون محمولا على موضع وما عملت
فيه وموضعهما رفع واما النصب فمحمول على لفظ ان موضع لا ريب فيها رفع بانه في موضع
خبران وقد عاد الذكر الى الاسم فكانه قال ان الساعة حق قوله لا ريب فيها في معنى
حق قال ابو الحسن والرفع اجود في المعنى واكثر في كلام العرب اذا جاء بعد خبر ان اسم
معطوف ويقويه قوله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
المعنى ثم عقب سبحانه الوعد والوعيد فقال واما الذين كفروا افلم يكن اياتي تتلى عليكم
اي فيقال لهم افلم يكن حججي وبيناتي تقرا عليكم من كتابي فاستكبرتم اي تعظمتم عن قبولها
وكنتم قوما مجرمين اي كافرين كما قال افنجعل المسلمين كالمجرمين والفاء في قوله
افلم تكن دالة على جواب اما المحذوف واذا قيل ان وعد الله حق اي ان ما وعد
الله به من الثواب والعقاب كاين لا محالة والساعة لا ريب فيها اي وان القيمة
لا شك في حصولها قلتم معاشر الكفار ما ندري ما الساعة وانكرتموها ان نظن
الا ظنا اي ما نظن ذلك الا ظنا ونشك فيه وما نحن بمستيقنين في ذلك وبدا لهم
سيئات ما عملوا اي ظهر لهم جزاء معاصيهم التي عملوها وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن اي جزاء استهزائهم وقيل اليوم ننساكم اي نترككم في العقاب
كما نسيتم لقاء يومكم هذا اي تركتم التاهب للقاء يومكم هذا عن ابن عباس
وقيل معناه نحلكم في العذاب محل المنسي كما احللتم هذا اليوم عندكم محل
المنسي وماواكم النار اي مستقركم جهنم وما لكم من ناصرين يدفعون
عنكم عذاب الله ذلكم الذي فعلنا بكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا اي
تسخرون منها وغرتكم الحيوة الدنيا اي خدعتكم بزينتها فاغتررتم بها فاليوم
لا يخرجون منها اي من النار وقرا اهل الكوفة غير عاصم يخرجون بفتح الياء
كما في قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولا هم يستعتبون
اي لا يطلب منهم العتبى والاعتذار لان التكليف قد زال وقيل معناه لا نقبل منهم
العتبى ثم ذكر سبحانه عظمته فقال فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين

اى الشكر التام والمدحة التى لا يوازيها مدحه لله الذى خلق السموات والارض
ودبرهما وخلق العالمين وله الكبرياء اى السلطان القاهر والعظمة القاهرة
والعلو والرفعة فى السموات والارض لم يستحقها احد سواه وفى الحديث
يقول الله سبحانه الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدة منهما
القيته فى جهنم وهو العزيز فى جلاله الحكيم فى فعاله وقيل العزيز فى انتقامه من
الكفار الحكيم فيما يفعله بالمؤمنين والاخبار سورة الاحقاف مكية قال ابن عباس
الاية نزلت بالمدينة قل ارايتم ان كان من عند الله الاية نزلت فى عبد الله بن سلام
عدد اياتها خمس وثلثون اية كوفى واربع فى الباقين اختلافها ايه حم كوفى فضلها
ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة الاحقاف اعطى من الاجر بعدد
كل رمل فى الدنيا عشر حسنات عن عبد الله بن ابى يعقوب عن ابى عبد الله عليه السلم
قال من قرأ كل ليلة او كل جمعة سورة الاحقاف لم يصبه الله بروعة فى الدنيا
وامنه من فزع يوم القيمة تفسيرها لما ختم الله تلك السورة بذكر التوحيد
وذم اهل الشرك والوعيد افتتح هذه السورة ايضًا بالتوحيد ثم بالتوبيخ
لاهل الكفر من العبيد فقال بسم الله الرحمن الرحيم
حم تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَ
الْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا
مُعْرِضُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا
مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا
أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ
خمس آيات القراءة قراء على عليه السلم وابو عبد الرحمن السلمى او اثرة بكون
الثاء من غير الف وقرأ ابن عباس بخلاف وعكرمه وقتاده او اثرة بفتحتين
والقراءة المشهورة او اثارة بالالف الحجة قال ابن جنى الاثرة والاثارة البقية

وهما يوثر من قولهم اثر الحديث باثر اثرا واثرة ويقولون هل عندك من هذا
اثرة واثارة اى اثر ومنه سيف ماثور اى عليه اثر الصنعة وطرايق العمل
واما الاثرة ساكنة الثاء فهى ابلغ معنى وذلك انها الفعلة الواحدة من هذا
الاصل فهى كقولهم ايتونى بخبر واحد وحكاية شاذة اى قنعت فى الاحتجاج لكم بهذا
الاصل على قلته المعنى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم مر تفسيره ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق اى ما خلقناهما عبثا ولا باطلا وانما خلقناهما
لتعبد سكانهما بالامر والنهى وتعرضهم للثواب ضروب النعم فيجازيهم فى الاخرة
باعمالهم واجل مسمى يعنى يوم القيمة فانه اجل مسمى عنده مطوى عن العباد علمه اذا
انتهى اليه تناهى وقامت القيمة وقيل هو مسمى للملايكة وفى اللوح المحفوظ والذين
كفروا عما انذروا من القيمة والجزاء معرضون عادلون عن التفكر فيه قل لهؤلاء
الذين كفروا بالله ارايتم ما تدعون من دون الله من الاصنام اورونى ماذا
خلقوا من الارض فاستحقوا بخلق ذلك العبادة والشكر ام لهم شرك فى السموات
اى فى خلقهما وتقديره ام لهم شرك ونصيب فى خلق السموات ثم قال قل لهم ايتونى
بكتاب من قبل هذا القران انزله الله يشهد على صحة قولكم او اثارة من علم اى بقيه
من علم تورث من كتب الاولين تعلمون به انهم شركاء الله ان كنتم صادقين
فيما تقولون عن مجاهد وقيل او اثارة من علم اى خبر من الانبياء عن عكرمه
ومقاتل وقيل هو الخط اى بكتاب مكتوب عن ابن عباس وقيل خاصة من علم اوثرتم
بها عن قتاده والمعنى فيها تواتر احدى هذه الحجج الثلث اولاد هاليل العقل
والثانيه الكتاب والثالثه الخبر المتواتر فاذا لم يمكنهم شئ من ذلك فقد
وضح بطلان دعواهم ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى
يوم القيمة اى من اضل عن طريق الصواب ممن تدعوا من دون الله شيئا
لو دعا الى يوم القيمة لم يجبه ولم يغثه والمراد انه لا يستجيب لهم ابدًا وهم عن
دعائهم غافلون اى من يدعونهم مع ذلك لا علم لهم بدعائهم ولا يسمعون دعاهم

وانما كنى عن الاصنام بالواو والنون لما اضاف اليها ما يكون من العقلاء كقوله
رايتهم لي ساجدين قوله عز وجل واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم
كافرين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا
سحر مبين ام يقولون افتريه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا
هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم قل ما كنت
بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا
الا نذير مبين قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم
الظالمين خمس آيات اللغة الاية الدلالة التي يدل على ما يتعجب به قال باية تقدمون
الخيل زورا كان على مناكبها مداما وافاض القوم في الحديث اذا مضوا فيه واصل
الافاضة الدفع وافاضوا من عرفات اندفعوا منها وحديث مفاض ومستفاض
ومستفيض اي جارث به والبدع والبديع بمعنى وهو بدع من قوم ابلغ قال عدي
بن زيد فلا انا بدع من حوادث تعترى رجالا عورت من بعد بوس واسعد
النزول قيل نزلت الاخيرة في عبد الله بن سلام وهو الشاهد من بني اسرائيل وروي
ان عبد الله بن سلام جاء الى النبي صلى الله عليه وآله فاسلم وقال يا رسول الله سل
اليهود عني فانهم يقولون هو اعلمنا فاذا قالوا ذلك قلت لهم ان التورية دالة
على نبوتك وصفاتك فيها واضحة فلما سالهم قالوا ذلك فحينئذ اظهر ابن سلام
ايمانه فكذبوه المعنى ثم ذكر سبحانه انه اذا قامت القيمة صارت الهتهم التي عبدوها
اعداء لهم فقال واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكذلك قوله ويكونون عليهم ضدا
وكانوا بعبادتهم كافرين يعني ان هذه الاوثان التي عبدوها ينطقهم الله حتى يجحدوا
ان يكونوا دعوا الى عبادتها ويكفروا بعبادة الكفار لهم ويجحدوا ذلك ثم
وصفهم الله سبحانه فقال واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم
اي للقرآن والمعجزات التي ظهرت على يد النبي عليه السلام هذا سحر مبين اي حيلة لطيفة

ظاهرة

ظاهرة وخداع بين ام يقولون افتريه قل يا محمد لهم ان افتريته اي ان كذبت على الله
واختلقت القرآن كما زعمتم فلا يملكون لي من الله شيئا ان كان الامر على ما يقولون في انه ساحر
مفتر فلا يمكنكم ان تمنعوا الله مني اذا اراد اهلاكي على افترائي عليه والمراد كيف افتري على الله
من اجلكم وانتم لا تقدرون على دفع عقابه عني ان افتريت عليه هو اعلم بما تفيضون
فيه اي الله اعلم بما يقولون في القرآن ويخوضون فيه من التكذيب به والقول فيه
انه سحر كفى به شهيدا بيني وبينكم ان القرآن جاء من عنده وهو الغفور الرحيم
في تاخير العقاب عنكم حيث لا يعجل بالعقوبة قال الزجاج هذا دعاء لهم الى التوبة اي من
اتى من الكباير مثل ما اتيتم به من الافتراء على الله وعلي ثم تاب فان الله غفور
رحيم به قل يا محمد ما كنت بدعا من الرسل اي لست باول رسول بعث عن ابن عباس
ومجاهد وقتادة والبدع الاول من الامر وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي لا ادري
اموت ام اقتل ولا ادري ايها المكذبون اترمون بالحجارة من السماء ام يخسف
بكم ام ليس يفعل بكم ما فعل بالامم المكذبة وهذا انما هو في الدنيا واما في الاخرة فانه
قد علم انه في الجنة وان من كذبه في النار عن الحسن والسدي وقيل معناه لست ادعي
غير الرسالة ولا ادعي علم الغيب ولا معرفة ما يفعله الله تعالى بي ولا بكم في الاحياء والاماتة
والمنافع والمضار الا ان يوحى الي عن ابي مسلم وقيل ما ادري ما اومر به ولا ما تومرون
به عن الضحاك وقيل ما ادري اترك بمكة او اخرج منها بان اومر بالتحول عنها
الى بلد اخر وما ادري اومر بقتالكم او بالكف عن قتالكم وهل ينزل بكم العذاب الاليم
ان اتبع الا ما يوحى الي اي لست اتبع في امركم من حرب او سلم او امر او نهي الا ما يوحي الله
الي وما يامرني وما انا الا نذير مبين قل يا محمد لهم ارايتم معناه اخبروني اي ما ذا
يقولون ان كان من عند اي كان هذا القرآن من عند الله هو انزله وهذا
النبي رسوله وكفرتم انتم ايها القوم به وشهد شاهد من بني اسرائيل يعني
عبد الله بن سلام على مثله معناه عليه اي على انه من عند الله وقيل على مثله
اي على التورية عن مسروق قال الشاهد موسى عليه السلام شهد على التورية كما شهد النبي

على القران لان السورة مكية وابن سلام اسلم بالمدينة فامن يعنى الشاهد واستكبرتم
انتم على الايمان به وجواب قوله ان كان من عند الله محذوف تقديره الستم من الظالمين
ويدل على هذا المحذوف قوله ان الله لا يهدى القوم الظالمين وقيل جوابه فمن اضل
منكم عن الحسن وقيل جوابه اتؤمنون عن الزجاج قوله عز وجل وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ
آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ
قَدِيمٌ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا
لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ
اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ
فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ
كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ
وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ
وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ خمس آيات القراءة قرأ اهل الحجاز وابن عامر ويعقوب لتنذر
بالتاء والباقون بالياء وقرأ اهل الكوفة احسانا والباقون حسنا وروى
عن على عليه السلم وابى عبد الرحمن السلمى حسنا بفتح الحاء والسين وقرأ اهل الحجاز
وابو عمرو والكسائى كرها بفتح الكاف والباقون بضمها وقرأ يعقوب وفصله
وهو قراءة الحسن وابى رجاء وعاصم الجحدرى والباقون وفصاله الحجة قال ابو على
حجة من قرأ لتنذر بالتاء قوله انما انت منذر به وذكرى وحجة الياء لينذر
باسا شديدا او اسند الانذار الى الكتاب كما اسنده الى الرسول عليه السلم واما
الباء فى قوله بوالديه فيجوز ان يتعلق بوصينا بدلالة قوله ذلكم وصاكم به
ويجوز ان يتعلق بالاحسان يدل عليه قوله وقد احسن بى ولا يجوز ان يتعلق فى الاية
بتقديمها على الموصول ولكن يجوز ان يعلقه بمضمر يفسره الاحسان كما جاز فى
قوله وكانوا فيه من الزاهدين وقوله كان جزاى بالعصا اى ان اجلدا فى قول من لم يعلقه

بالجزاء

بالجزاء والاحسان خلاف الاساءة والحسن خلاف القبح فمن قال احسانا كان انتصابه على المصدر
وذلك ان معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه امرناه بالاحسان اى لياتى الاحسان
اليهما دون الاساءة ولا يجوز ان يكون بوصينا لان وصينا قد استوى مفعوليه
اللذين احدهما منصوب والاخر المتعلق بالباء ومن قرأ حسنا فمعناه لياتى فى امرهما
امرا ذات حسن اى لياتى الحسن فى امرهما غير القبيح ويؤيده قراءة على عليه السلم حسنا
لان معناه لياتى فى امرهما فعلا حسنا واما الكره بالفتح فهو المصدر والكره
بالضم الاسم كانه الشئ المكروه قال كتب عليكم القتال وهو كره لكم فهذا بالضم وقال
ان ترثوا النساء كرها فهذا فى موضع الحال والفتح فيه احسن وقد قيل انهما لغتان
واما الفصل فهو بمعنى الفصال الا ان الاكثر بالالف فى الحديث لا رضاع بعد الفصال
يعنى بعد الفطام اللغة القديم ما تقادم وجوده وفى عرف المتكلمين هو الموجود الذى
لا اول لوجوده والايزاع اصله المنع واوزعنى امنعنى عن الانصراف عن ذلك باللطف
ومنه قول الحسن لا بد للناس من وزعه وقال ابو مسلم الايزاع ايصال الشئ الى القلب الاعراب
اماما منصوب على الحال من الضمير فى الظرف عند سيبويه ومن كتاب موسى عند الاخفش
ومن رفع بالظرف يجوز ان يرتفع قوله كتاب موسى بالعطف على قوله وشهد شاهد من بنى
اسرائيل اى وشهد من قبل القران كتاب موسى ففصل بالظرف بين الواو والمعطوف وهو
معطوف على قوله اماما ولسانا عربيا منصوب على الحال ايضا من قوله هذا كتاب ويجوز
ان يكون حالا مما فى مصدق من الضمير وتقدير قوله هذا كتاب مصدق ملفوظا به على لسان
العرب وبشرى عطف على قوله لينذر وهو مفعول له جزاء مصدر مؤكد لما قبله وتقديره
جوزوا جزاء فاستغنى عن ذكر جوزوا لدلالة الجملة قبلها عليها ويجوز ان يكون جزاء مفعولا
له وكرها منصوب على الحال اى حملته كارهة المعنى ثم اخبر سبحانه عن الكفار الذين جحدوا
وحدانيته فقال وقال الذين كفروا للذين امنوا بالله ورسله لو كان خيرا ما سبقونا
اليه اى لو كان هذا الذى يدعونا اليه محمد خيرا اى نفعا عاجلا او اجلا ما سبقنا هؤلاء
الذين امنوا به الى ذلك لانا كنا بذلك اولى واختلف فيمن قال ذلك فقيل هم اليهود قالوا

لو كان دين محمد خيرا ما سبقنا اليه عبد الله بن سلام عن اكثر المفسرين وقيل ان
اسلم وجهينه ومزينه وغفارا لما اسلموا قال بنو عامر بن صعصعه وغطفان واسد
واشجع هذا القول عن الكلبي ونظم الكلام يوجب ان يكون ما سبقتمونا اليه لكنه على
ترك المخاطبة واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم اى فاذ لم يهتدوا
بالقرآن من حيث لم يتدبروه فسيقولون هذا القران كذب متقادم اى اساطير
الاولين ثم قال سبحانه ومن قبله كتاب موسى اى من قبل القران وتقديره الكلام
وتقدمه كتاب موسى اماما وفي الكلام محذوف يتم المعنى تقديره فلم يهتدوا به
ودل عليه قوله في الاية الاولى واذا لم يهتدوا به وذلك ان المشركين لم يهتدوا بالتوراة
فيتركوا ما هم عليه من عبادة الاوثان ويعرفوا منها صفة محمد صلى الله عليه وآله
ثم قال وهذا كتاب يعني القران مصدق للكتب التي قبله لسانا عربيا ذكر اللسان توكيدا
كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا فيذكر رجلا توكيدا لينذر الذين ظلموا اى لتخوفهم
لخاطب النبي صلى الله عليه وآله ومن قرأ بالياء اسند الفعل الى الكتاب وبشرى
للمحسنين وبشارة للمؤمنين وقيل معناه ومبشر بشرى فيكون نصبا على المصدر
ويجوز ان يكون في موضع رفع اى وهو بشرى للمحسنين الذين الموحدين ان
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا مر تفسيره فلا خوف عليهم من العذاب
ولا هم يحزنون من اهوال يوم القيمة اولئك اصحاب الجنة الملازمون لها على الدوام
فيها خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون في الدنيا من الطاعات والاعمال
الصالحات ووصينا الانسان بوالديه حسنا مر تفسيره حملته امه كرها اى بكره
ومشقة عن الحسن وقتاده ومجاهد يعني حين اثقلت وثقل عليها الولد ووضعته
كرها يريد شدة الطلق عن ابن عباس وحمله وفصاله ثلثون شهرا يريد ان اقل
مدة الحمل وكمال مدة الرضاع ثلثون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المراة تسعة اشهر
ارضعت احد وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر رضعت اربعة وعشرين شهرا
حتى اذا بلغ اشده وهو ثلث وثلثون سنه عن ابن عباس وقتاده وقيل بلوغ الحلم

عن الشعبي

عن الشعبي وقيل وقت قيام الحجة عليه عن الحسن وقيل هو اربعون سنه وذلك وقت انزال
الوحي على الانبياء فلذلك فسر به فقال وبلغ اربعين سنه فيكون هذا بيانا لزمان
الاشد واراد بذلك ان يكمل له رايه ويجتمع عقله عند الاربعين سنه قال رب
اوزعني اى الهمني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا
ترضاه مر تفسيره في سورة النمل واصلح لي في ذريتي اى اجعل في ذريتي صالحين عن
الزجاج وقيل انه دعا باصلاح ذريته لبره وطاعته لقوله اصلح لي وقيل انه الدعا
باصلاحهم لطاعة الله عز وجل وعبادته وهو الاشبه لان طاعتهم لله من بره لان
اسم الذرية يقع على من يكون بعده وقيل معناه اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد
حق عن سهل بن عبد الله اني تبت اليك من سيأتي وذنوبي واني من المسلمين المنقادين
لامرك قوله عز وجل اُولَئِكَ الَّذِينَ يُتَقَبَّلُ عَنْهُمْ اَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيُتَجَاوَزُ عَنْ
سَيِّئَاتِهِمْ فِي اَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ
اُفٍّ لَكُمَا اَتَعِدَانِنِي اَنْ اُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ
وَيْلَكَ آمِنْ اِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا اِلَّا اَسَاطِيرُ الْاَوَّلِينَ اُولَئِكَ الَّذِينَ
حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي اُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ اِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ
وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ اَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَيَوْمَ يُعْرَضُ
الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ اَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا
فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ خمس آيات القراءة قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر نتقبل ونتجاوز
بالنون احسن بالنصب والباقون يتقبل ويتجاوز بضم الياء احسن بالرفع وقرأ
ابن كثير وابو جعفر ويعقوب أأذهبتم بهمزة واحدة ممدودة وقرأ ابن عامر أأذهبتم
بهمزتين والباقون اذهبتم بفتح الهمزة الحجة من قرأ يتقبل فلان الفعل وان كان
مبنيا للمفعول به فمعلوم انه لله تعالى كما جاء في الاخرى انما يتقبل الله من المتقين فبناؤه
للمفعول كبنائه للفاعل في العلم بالفاعل وحجة من قرأ نتقبل بالنون انه قد تقدم

الكلام ووصينا الانسان وكلاهما حسن وقد ذكرنا اختلافهم في في بني اسرائيل
وجه الاستفهام وفي اذهبتم انه قد جاء هذا النحو بالاستفهام نحو اليس
هذا بالحق وقوله اكفرتم بعد ايمانكم ووجه الخبر ان الاستفهام تقريع
فهو مثل الخبر الا ترى ان التقريع لا يجاب بالفاء كما يجاب بها اذا لم يكن تقريعا
فكانهم يوبخون بهذا الذي يخبرون به ويبكتون والمعنى في القراءتين يقال
لهم هذا فحذف القول كما حذف في قوله اكفرتم بعد ايمانكم الاعراب وعد الصدق
نصب على المصدر تقديره وعدهم الله ذلك وعدا واضافته الى الصدق
غير حقيقية لان الصدق في تقدير النصب بانه صفة وعد الصدق الذي كانوا
يوعدون موصول وصلة في موضع النصب بكونه صفة الوعد واف لكما
وخبر تقديره هذه الكلمات التي يقال عند الامور المكروهة كائنة لكما وويلك
منصوب لانه مفعول فعل مقدر تقديره الزمك الله الويل وقيل تقديره ويلك
فهو مبتدا وخبر كما قلناه في اف لكما ولنوفيهم معطوف على محذوف تقديره
والله اعلم ليجزيهم بما عملوا ولنوفيهم اعمالهم المعنى ثم اخبر سبحانه بما يستحقه
هذا الانسان من الثواب فقال اولئك يعني اهل هذا القول الذين نتقبل
عنهم احسن ما عملوا اي يثابون على طاعاتهم والمعنى نقبل بايجاب الثواب لهم
احسن اعمالهم وهو ما يستحق به الثواب من الواجبات والمندوبات فان المباح
ايضا من قبيل الحسن لا يوصف بانه متقبل ونتجاوز عن سيئاتهم التي اقترفوها
في اصحاب الجنة اي في جملة من يتجاوز عن سيئاتهم وهم اصحاب الجنة فيكون
في اصحاب الجنة في موضع نصب على الحال وعد الصدق الذي كانوا يوعدون
اي وعدهم وعد الصدق وهو ما وعد اهل الايمان بان يتقبل من محسنهم و
يتجاوز عن مسيئهم اذا شاء ان يتفضل عليهم باسقاط عقابهم واذا تابوا
الوعد الذي كانوا يوعدونه في الدنيا على السنة الرسل والذي قال لوالديه
اذا دعواه الى الايمان اف لكما وهي كلمة تبرم يقصد بها اظهار السخط ومعناه

بعدا لكما

بعدا لكما وقيل معناه نتنا لكما وقذرا لكما يقال عند شم الرائحة المكروهة اتعدانني
ان اخرج من القبر واحيا وابعث وقد خلت القرون من قبلي اي مضت الامم
وماتوا من قبلي فما اخرجوا ولا اعيدوا وقيل معناه خلت القرون على هذا المذهب
ينكرون البعث وهما يعني والديه يستغيثان الله اي يستصرخان الله ويطلبان
منه الغوث ليلطف له بما يؤمن عنده ويقولان له ويلك آمن بالقيامة وبما
يقوله محمد ان وعد الله بالبعث والنشور والثواب والعقاب حق فيقول هو في جوابهما
ما هذا القرآن او ما تزعمانه وتدعوانني اليه الا اساطير الاولين اي اخبار
الاولين واحاديثهم التي سطروها وليس لها حقيقة وقيل ان الاية نزلت في عبد
الرحمن بن ابي بكر قال له ابوه اسلم والحا عليه فقال احيوا لي عبد الله بن جدعان
ومشايخ قريش حتى اسالهم عما يقولون عن ابن عباس وابي العالية والسدي
ومجاهد وقيل الاية عامة في كل كافر عاق لوالديه عن الحسن وقتادة والزجاج
قالوا ويدل عليه انه قال عقيبها اولئك الذين حق عليهم القول في امم اي حقت
عليهم كلمة العذاب في امم اي مع امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس على مثل
حالهم واعتقادهم قال قتادة قال الحسن الجن لا يموتون فقلت اولئك الذين
حق عليهم القول في امم الاية تدل على خلافه ثم قال سبحانه مخبرا عن حالهم انهم كانوا
خاسرين لانفسهم اذ اهلكوها بالمعاصي ولكل درجات مما عملوا اي لكل واحد ممن تقدم
ذكره من المؤمنين البررة والكافرين الفجرة درجات على مراتبهم ومقادير اعمالهم
فدرجات الابرار في عليين ودرجات الفجار دركات في سجين عن ابن زيد وابي مسلم
وقيل معناه ولكل مطيع درجات ثواب وان تفاضلوا في مقاديرها عن الجبائي وعلي
بن عيسى وليوفيهم اعمالهم وثوابها ومن قرأ بالياء فالمعنى ليوفيهم الله وهم
لا يظلمون بعقاب لا يستحقونه او بمنع ثواب يستحقونه ويوم يعرض الذين كفروا على
النار يعني يوم القيمة اي يدخلون النار كما يقال عرض فلان على السوط وقيل معناه
وعرض عليهم النار قبل ان يدخلونها ليروا اهوالها اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا

اى فيقال لهم اذهبتم طيباتكم ولذاتكم فى الدنيا على طيبات الجنة واستمتعتم بها
اى انتفعتم بها متكمين فيها وقيل هى هى الطيبات من الرزق يقول انفقتموها
فى شهواتكم وفى ملاذ الدنيا ولم تنفقوها فى مرضات الله تعالى ولما وبخ الله تعالى
الكفار بالتمتع بالطيبات واللذات فى هذه الدار آثر النبى صلى الله عليه وآله وامير
المؤمنين عليه السلام الزهد والتقشف واجتناب الترفه والنعمة وقد روى فى الحديث
ان عمر بن الخطاب قال استاذنت على رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلت عليه فى مشربة
ام ابرهيم وانه لمضطجع على خصفة وان بعضه على التراب وتحت راسه وسادة محشوة
ليفا فسلمت عليه ثم جلست فقلت يا رسول الله انت نبى الله وصفوته وخيرته من خلقه
وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير فقال رسول الله صلى الله
عليه وآله اولئك قوم عجلت طيباتهم وهى وشيكة الانقطاع وانما اخرت لنا
طيباتنا وقال على بن ابى طالب عليه السلام فى بعض خطبه والله لقد رقعت مدرعتى
هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قال لى قائل الا تنبذها فقلت اعزب عنى فعند
الصباح يحمد القوم السرى وروى محمد بن قيس عن ابى جعفر الباقر عليهما السلام قال انه قال
والله ان عليا كان لياكل اكلة العبد ويجلس جلسة العبد وكان ليشترى القميصين
فيخير غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر فاذا جاز اصابعه قطعه فاذا جاز كعبه حذفه ولقد
ولى خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا اورث بيضاء ولا حمراء و
ان كان ليطعم الناس خبز البر واللحم وينصرف الى منزله ياكل خبز الشعير والزيت
والخل وما ورد عليه امران كلاهما لله عز وجل رضى الا اخذ باشدهما على بدنه ولقد اعتق
الف مملوك من كد يمينه تربت منه يداه وعرق فيه وجهه وما اطاق عمله احد من الناس
وكان ليصلى فى اليوم والليلة الف ركعة وكان اقرب الناس به شبها على بن الحسين
ما اطاق عمله احد من الناس بعده ثم انه قد اشتهر فى الرواية انه عليه السلام لما دخل
على العلاء بن زياد بالبصرة يعوده قال له العلاء يا امير المؤمنين اشكو اليك اخى عاصم
بن زياد لبس العباء وتخلى من الدنيا فقال على به فلما جاء قال يا عدى نفسه لقد استهام بك

الخبيث

الخبيث اما رحمت اهلك وولدك اترى الله احل لك الطيبات وهو يكره ان تاخذها
انت اهون على الله من ذلك قال يا امير المؤمنين هذا انت فى خشونة ملبسك وجشوبة
ماكلك قال ويحك انى لست كانت ان الله تعالى فرض على ائمة الحق ان يقدروا انفسهم
بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره فاليوم تجزون عذاب الهون اى العذاب
الذى فيه الذل والخزى والهوان بما كنتم تستكبرون فى الارض اى باستكباركم
عن الانقياد للحق فى الدنيا وتكبركم على انبياء الله واوليائه بغير الحق وبما كنتم
تفسقون اى بخروجكم من طاعة الله الى معاصيه قوله عز وجل وَاذْكُرْ اَخَا عَادٍ
اِذْ اَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْاَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ اَلَّا
تَعْبُدُوا اِلَّا اللّٰهَ اِنِّى اَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالُوا اَجِئْتَنَا لِتَاْفِكَنَا عَنْ
آلِهَتِنَا فَاْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا اِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ اِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللّٰهِ
وَاُبَلِّغُكُمْ مَا اُرْسِلْتُ بِهِ وَلٰكِنِّى اَرَيٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ فَلَمَّا رَاَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ
اَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ
اَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِاَمْرِ رَبِّهَا فَاَصْبَحُوا لَا يُرَى اِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذٰلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ
الْمُجْرِمِينَ خمس آيات القراءة قرأ اهل الكوفة غير الكسائى ويعقوب وسهل لا يرى
بضم الياء ومساكنهم بالرفع وقرأ الباقون لا ترى الا مساكنهم بالنصب وفى الشواذ قراءة
الحسن وابى رجاء وقتادة ومالك بن دينار والاعمش لا ترى بضم التاء مساكنهم
بالرفع وقرأ الاعمش مسكنهم الحجة قال ابو على تذكير الفعل فى قوله لا يرى مساكنهم
حسن وهو احسن من الحاق علامة التانيث الفعل من اجل الجمع وذلك انهم حملوا
الكلام فى هذا الباب على المعنى فقالوا ما قام الا هند ولم يقولوا ما قامت
لما كان المعنى ما كان احد ولا يجئ التانيث الا فى شذوذ وضرورة فمن ذلك
قول الشاعر شعر ترى النحز والاجرال ما فى عروضها فما بقيت الا الصدور الجراشع
وقول ذى الرمة كانها جمل وهم وما بقيت الا النحيزة والالواح والعصب قال
ابن جنى قوله مسكنهم ان شئت جعلته مصدرا وقدرت حذف المضاف اى لا ترى الا آثار

مسكنهم كما قال ذو الرمة شعر تقول عجوز مدرجي متروحًا على بابها من عند اهلي وغاديا
فالمدرج هنا مصدر لا تراه قد نصب الحال وان شئت قلت مسكنهم واحد كفى من جماعة
اللغة الاحقاف جمع حقف وهو الرمل المستطيل العظيم لا يبلغ ان يكون جبلا قال المبرد
الحقف هو الرمل الكثير غير العظيم وفيه اعوجاج قال العجاج بات على ارطاة حقف
احقفا والعارض السحاب يأخذ في عرض السما قال الاعشى شعر يا من راى عارضًا
قد بت ارمقه كانما البرق في حافاته شعل والتدمير الاهلاك والفناء بعض
الاشياء على بعض حتى يحرث يهلك قال جرير شعر وكان لهم كبكر ثمود لما رغا ظهرا
فدمرهم دمارا المعنى ثم قال سبحانه لنبيه عليه السلم واذكر يا محمد لقومك اهل مكة
اخا عاد يعني هودًا عليه السلم اذ انذر قومه اي خوفهم بالله عز وجل ودعاهم الى
طاعته بالاحقاف وهو واد بين عمان ومهرة عن ابن عباس وقيل رمال فيما بين
عمان الى حضرموت عن ابن اسحاق وقيل رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن
عن قتاده وقيل ارض خلالها رمال عن الحسن وقد خلت النذر من بين يديه ومن
خلفه اي قد مضت الرسل من قبل هود ومن بعده الا تعبدوا الا الله اي بان لا
تعبدوا والمعنى انه لم ابعث قبل هود ولا بعده الا بالامر بعبادة الله وحده
وهذا اعتراض كلام وقع بين انذار هود وكلامه لقومه ثم عاد الى الكلام هود
لقومه ثم عاد الى كلام هود لقومه فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وتقدير
الكلام اذ انذر قومه بالاحقاف فقال اني اخاف عليكم الاية ثم حكى ما اجاب به قومه
بقوله قالوا اجئتنا لتأفكنا اي لتلفتنا وتصرفنا عن الهتنا اي عن عبادة
الهتنا فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين ان العذاب نازل بنا
قال هود انما العلم عند الله هو يعلم متى يأتيكم العذاب لا انا وابلغكم ما ارسلت به
اليكم اي وانا ابلغكم ما امرت بتبليغه اليكم ولكني اراكم قومًا تجهلون حيث لا
تعلمون ما فيه صلاحكم ونجاتكم وتستعجلون العذاب الذي فيه هلاككم وهذا لا يفعله
الا الجاهل بالمنافع والمضار فلما راوه اي فلما راوا ما يوعدون والهاء تعود

الى ما تعدنا

الى ما تعدنا في قوله فاتنا بما تعدنا عارضًا اي سحابا يعرض في ناحية السما ثم يطبق
السما مستقبل اوديتهم قالوا كانت عاد قد حبس عنهم المطر اياما فساق الله
اليهم سبحانه سوداء خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما راوه عارضًا
مستقبل اوديتهم استبشروا قالوا هذا عارض ممطرنا اي سحاب ممطر ايانا هذه
تقديره لانه نكرة بدلالة انه صفة لعارض فقال هود بل هو ما استعجلتم به اي ليس هو
كما توهمتم بل هو الذي وعدتكم به وطلبتم تعجيله ثم فسره فقال ريح فيها عذاب
اليم اي هو ريح فيها عذاب مولم وقيل بل هو قول الله تعالى تدمر كل شيء بامر ربها
اي تهلك كل شيء مرت به من الناس والدواب والاموال واعتزل هود ومن معه
في حظيرة ولم يصبهم من تلك الريح الا ما تلين على الجلود وتلتذها الانفس
وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والارض حتى ترى الظعينة كانها
جرادة عن عمرو بن ميمون فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وما عداها قد هلك
ومن قرأ بالتاء فهو على وجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله كذلك اي مثل ما اهلكنا
اهل الاحقاف وجازيناهم بالعذاب نجزي القوم المجرمين اي الكافرين الذين يسلكون
مسالكهم قوله عز وجل وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا
وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ
إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ وَلَقَدْ
أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ فَلَوْلَا
نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ
إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ
الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ
قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ خمس آيات القراة قرا ابن عباس وابي
عياض وعكرمة افكهم بفتح الالف والفاء والكاف في قراة عبد الله ابن الزبير

افكهم وقرأ ابو عياض افكهم بالتشديد الجحة قوله افكهم معناه صرفهم وتناهم قال
شعران يلتفعن اخرالمروة ما فوكا فى اخرين قد افكوا فكهم افعلهم منه اى اصنادهم
الى الافك ويجوزان يكون فاعلم من ذلك سلطادعهم واما افكهم ففعلهم وذلك
لكثيرة ذلك الفعل بهم وروى عن قطرب ان ابن عباس قرأ افكهم اى صادفهم اللغة
التمكين اعطاه ما يتمكن به من الفعل و يدخل فيه القدرة فالاله وساير ما يحتاج
الفاعل اليه وقيل التمكين ازالة الموانع وذلك اصل فى الاول لانه لا يحتاج الفاعل فى الفعل
الى الالات يحتاج الى زوال الموانع فاذا ازيحت عنه العلل كلها فقد مكن والقربان
كل ما يتقرب به الى الله تعالى من طاعة او نسك والجمع قرابين الاعراب فيما ان اسكناهم
فيه ان هنا بمعنى ما وان فى النفى مع ما الموصولة بمعنى الذى احسن فى اللفظ من ما
الا ترى انك لو قلت رغبت فيما رغبت فيه لكان احسن منه ان يقول رغبت فيما ان
رغبت فيه لاختلاف اللفظين المعنى ثم خوف سبحانه كفار مكه وذكر فضل عاد
بالاجسام والقوة عليهم فقال و لقد مكناهم فيما ان مكناكم اى فى الذى ما مكناكم
فيه والمعنى فى الشئ الذى لم نمكنكم فيه من القوة للابدان وبسطة الاجسام وطول
العمر وكثرة المال عن ابن عباس وقتاده وقيل معناه فيما مكناكم فيه وان مزيده
والمعنى مكناهم من الطاعات وجعلناهم قادرين متمكنين بنصب الادلة
على التوحيد والتمكين من النظر فيها والترغيب والترهيب وازاحة العلل فى جميع
ذلك وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة اخبر سبحانه عن اولئك انهم اعرضوا
عن قبول الحج والفكر فيما يدلهم على التوحيد مما اعطاهم الله من الحواس الصحيحة
التى بها يدرك الادلة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ
اى لم ينفعهم جميع ذلك لانهم لم يعتبروا ذلك ولا استعملوا ابصارهم وافئدتهم
فى النظر والتدبير اذ كانوا يجحدون بايات الله وادلته وحاق بهم اى حل
بهم جزاء ما كانوا به يستهزؤن ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى معناه
ولقد اهلكنا يا اهل مكه ما حولكم وهم قوم هود كانوا باليمن وقوم صالح بالحجر

وقوم لوط

وقوم لوط على طريقهم الى الشام وصرفنا الايات تصريفها تصييرها تارة
فى الاعجاز وتارة فى الاهلاك وتارة فى التذكير بالنعم وتارة فى التذكير بالنقم
وتارة فى وصف الابرار ليقتدى بهم وتارة فى وصف الفجار ليجتنب مثل فعلهم
لعلهم يرجعون اى لكى يرجعوا عن الكفر فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله
قربانا الهة اى فهلا نصر هولاء المهلكين الذين اتخذوهم الهة وزعموا انهم
يعبدونهم تقربا الى الله ثم لم ينصروهم لان هذا استفهام انكار بل ضلوا عنهم
اى ضلت الالهة وقت الحاجة اليها فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم وذلك افكهم
اى اتخاذهم الالهة دون كذبهم وافتراؤهم وهو قوله وما كانوا يفترون اى يكذبون
من انها الهة ثم بين سبحانه ان فى الجن مومنين وكافرين كما فى الانس فقال واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن معناه واذكر يا محمد اذ وجهنا اليك جماعة
من الجن يستمع القرآن وقيل معناه صرفناهم اليك عن بلادهم بالتوفيق والالطاف
حتى اتوك وقيل صرفناهم عن استراق السمع من السما برجوم الشهب ولم يكونوا بعد
عيسى قد صرفوا عنه فقالوا ما هذا الذى حدث فى السما الا من اجل شئ قد حدث
فى الارض فضربوا فى الارض حتى وقفوا على النبى صلى الله عليه وآله ببطن نخله عايدا
الى عكاظ وهو يصلى الفجر فاستمعوا القرآن ونظروا كيف يصلى عن ابن عباس وسعيد
بن جبير وعلى هذا فيكون الرمى بالشهب لطفا للجن فلما حضروه اى حضروا القرآن او النبى
صلى الله عليه وآله قالوا انصتوا اى قال بعضهم لبعض اسكتوا نستمع الى قراءته فلا يحول
بيننا وبين الاستماع شئ فلما قضى اى فرغ من تلاوته ولوا الى قومهم اى انصرفوا الى قومهم
منذرين اى محذرين اياهم عذاب الله ان لم يومنوا قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا
انزل من بعد موسى يعنون القرآن مصدقا لما بين يديه اى لما تقدم من الكتب يهدى
الى الحق اى يرشد الى الدين الحق ويدل عليه ويدعوا اليه والى صراط مستقيم يودى سالكه
الى الجنة النزول عن الزهرى قال لما توفى ابو طالب اشتد البلا على رسول الله فعمد لثقيف
بالطائف وجاء ان يووه فوجد ثلثه نفر منهم هم سادة وهم اخوة عبد ياليل ومسعود وحبيب

بنو عمرو فعرض عليهم نفسه فقال احدهم انا اسرق ثياب الكعبة ان كان الله بعثك بشئ
قط وقال الاخر اعجز على الله ان يرسل غيرك وقال الاخر والله لا اكلمك بعد مجلسك
هذا ابدا فلئن كنت رسولا كما تقول لانت اعظم خطرا من ان يرد عليك الكلام وان كنت
تكذب على الله فما ينبغي لي ان اكلمك وتهزؤا به وافشوا في قومك ما راجعوه به
فقعدوا به صفين على طريقه فلما مر رسول الله صلى الله عليه وآله بين صفيهم جعلوا
لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة حتى ادموا رجليه فخلص منهم وهما يسيلان
الدما فعمد الى حايط من حوايطهم واستظل في ظل حبلة منه وهو مكروب موجع تسيل
رجلاه دما فاذا في الحايط عتبة بن ابي ربيعة وشيبة بن ربيعة فلما راهما كره مكانهما
لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله فلما راياه ارسلا اليه غلاما لهما يدعى عداس
معه عنب وهو نصراني من اهل نينوى فلما جاءه قال له رسول الله صلى الله عليه وآله
من اي ارض انت قال من اهل نينوى قال ع من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى
فقال له عداس وما يدريك من يونس بن متى قال ع انا رسول الله والله تعالى
اخبرني خبر يونس بن متى عليه السلم فلما اخبره بما اوحى الله اليه من شان يونس خر
عداس ساجدا لرسول الله صلى الله عليه وآله وجعل يقبل قدميه وهما يسيلان الدما
فلما بصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا فلما اتاهما قالا ما شانك سجدت
لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلت ذلك باحد منا قال هذا رجل صالح اخبرني بشئ
عرفته من شان رسول بعثه الله الينا يدعى يونس بن متى فضحكا وقالا لا يفتننك
عن نصرانيتك فانه رجل خداع فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله الى مكة حتى اذا كان
بنخلة قام في جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن اهل نصيبين من اليمن فوجدوه يصلي
صلاة الغداة ويتلو القران فاستمعوا له وهذا معنى قول سعيد بن جبير وجماعة وقال
اخرون امر رسول الله صلى الله عليه وآله ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ
عليهم القرآن فصرف الله اليه نفرا من الجن من نينوى فقال ع اني امرت ان اقرأ على الجن
الليلة فايكم يتبعني فاتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله ولم يحضر معه احد غيري

فانطلقنا

فانطلقنا حتى اقبلنا باعلى مكة ودخل نبي الله شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي
خطا ثم امرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم انطلق حتى قام فافتتح
القران فغشيته اسودة كثيرة حتى حالت بيني وبينه حتى لم اسمع صوته ثم انطلقوا
وطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط وفرغ رسول الله
صلى الله عليه وآله من الفجر فانطلق فبرز ثم قال هل رايت شيئا فقلت نعم رايت رجالا
سودا مستثفري ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين وروى علقمة عن عبد الله
قال لم اكن مع النبي صلى الله عليه وآله ليلته ووددت اني كنت معه وروي عن ابن عباس
انهم كانوا سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم رسول الله ص رسلا الى قومهم
قال زر بن حبيش كانوا تسعة نفر منهم زوبعة وروى محمد بن المنكدر عن جابر
بن عبد الله قال لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله الرحمن على الناس سكتوا
فلم يقولوا شيئا فقال رسول الله الجن كانوا احسن جوابا منكم لما قرأت عليهم فباي
الاء ربكما تكذبان قالوا لا ولا بشئ من الائك ربنا نكذب قوله تعالى يا قومنا
أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ
لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ
بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ
كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ
لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ
بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ خمس آيات القراءة قرأ يعقوب
وحده يقدر بالياء وهو قراءة جده عبد الله بن اسحق الحضرمي وعاصم
الجحدري ومالك بن دينار وقرأ جميع القراء بقادر وفي الشواذ قراءة الحسن
وعيسى الثقفي بلاغا بالنصب وقراءة ابن محيصن فهل يهلك بفتح الياء الحجة قال ابو علي

قرأة القراء اولم يروا ان الله خلق الى قوله بقادر من الحمل على المعنى ادخل الباء
لما كان في معنى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر ومثل ذلك في الحمل
على المعنى قول الشاعر: بادت وغير ايهن مع البلى الا رواكد جمرهن هباء
ثم قال ومشجج لما كان غير ايهن مع البلى الا رواكد بمعنى بها رواكد حمل مشجج
على ذلك وكذلك قوله يطاف عليهم بكاس من معين ثم قال وحور عين
لما كان معنى يطاف عليهم بكذا معناه لهم فيها كذا وقالوا ان احدا لا يقول ذلك
الا زيد فادخل احدا في الواجب لما كان معنى الكلام النفي ومن قرأ بلاغا فهو
على تقدير فعل مضمر اي بلغوا بلاغا كما ان الرفع على تقدير مضمر اي هو بلاغ او هذا
بلاغ وقرأ ابو مجلز بلغ على الامر المعنى ثم بين سبحانه تمام خبر الجن فقال حاكيا
عنهم يا قومنا اجيبوا داعي الله يعنون محمدا صلى الله عليه وآله اذا دعاهم الى التوحيد
وخلع الانداد دونه وامنوا به اي بالله يغفر لكم من ذنوبكم اي فانكم ان امنتم
بالله ورسوله يغفر لكم ذنوبكم ويجركم اي ويخلصكم من عذاب اليم قال علي بن ابراهيم
فجاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله شرايع الاسلام وانزل الله سبحانه قل اوحي
الي انه استمع نفر من الجن الى اخر السورة وكانوا يفدون الى رسول الله صلى الله
عليه وآله في كل وقت وفي هذا دلالة على انه ع م كان مبعوثا الى الجن كما كان مبعوثا
الى الانس ولم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز
في الارض اي لا يعجز الله فيسبقه ويفوته وليس له من دونه اولياء اي انصار
يمنعونه من الله ويدفعون عنه العذاب اذا نزل بهم ويجوز ان يكون هذا
من كلام الله تعالى ابتداء ثم قال اولئك يعني الذين لا يجيبون داعي الله
في ضلال مبين اي عدول عن الحق ظاهر ثم قال سبحانه منبها على قدرته على البعث
والاعادة اولم يروا اي اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض
وانشاها ولم يعي بخلقهن اي لم يصبه في خلق ذلك اعياء ولا تعب ولم يعجز عنه
يقال عيي فلان بامر اذا لم يهتد له ولم يقدر عليه بقادر الباء زائدة وموضعه

دفع بانه

رفع بانه خبر ان على ان يحيي الموتى اي فخلق السموات والارض اعجب من احياء الموتى
ثم قال بلى هو قادر عليه انه على كل شيء قدير ثم عقبه بذكر الوعيد فقال ويوم
يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق اي يقال لهم على وجه الاحتجاج عليهم
اليس هذا الذي جوزيتم به حق لا ظلم فيه قالوا اي فيقولون بلى وربنا اعترفوا
بذلك وحلفوا عليه بعد ما كانوا منكرين قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
اي بكفركم في الدنيا وانكاركم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل اي فاصبر يا محمد على اذى هؤلاء الكفار وعلى ترك اجابتهم
لك كما صبر الرسل ومن هنا لتبيين الجنس كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان
وعلى هذا القول فيكون جميع الانبياء هم اولوا العزم لانهم عزموا على اداء الرسالة
وتحمل اعبائها عن ابن زيد والجبائي وجماعة وقيل ان من هنا للتبعيض وهو
قول اكثر المفسرين والظاهر في روايات اصحابنا ثم اختلفوا فقيل اولوا العزم
من الرسل من اتى بشريعة مستانفة فنسخت شريعة من تقدمه وهم خمسة اولهم
نوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد صلى الله عليه وآله عن ابن عباس وقتادة
وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام قالوا وهم سادة النبيين وعليهم
دارت رحا المرسلين وقيل هم ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر على النار
واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر ويوسف صبر
في البير والسجن وايوب صبر على الضر عن مقاتل وقيل هم الذين امروا بالجهاد
والقتال واظهروا المكاشفة وجاهدوا في الدين عن السدي والكلبي وقيل هم
ابراهيم ونوح وهود ورابعهم محمد عن ابي العالية والعزم هو الوجوب والحتم
واولوا العزم من الرسل هم الذين شرعوا الشرايع واوجبوا على الناس الاخذ
بها والانقطاع عن غيرها ولا تستعجل اي ولا تستعجل لهم العذاب فانه كاين واقع
بهم عن قريب ما هو كائن فكان قد كانهم يوم يرون ما يوعدون اي من العذاب
في الاخرة لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة من نهار اي اذا عاينوا العذاب صار طول

لبثهم في الدنيا والبرزخ كانه ساعة من نهار لان ما مضى كان لم يكن
واذا كان طويلا وتم الكلام ثم قال بلاغ اى هذا القرآن وما فيه من
البيان بلاغ عن الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ وقيل معناه ذلك
اللبث بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون اى لا يقع العذاب الا بالفاسقين
الخارجين من امر الله تعالى وقيل معناه لا يهلك على الله تعالى الا هالك مشرك
ولحظهر الاسلام او منافق صدق بلسانه وخالف بعمله عن قتاده وقيل معناه
لا يهلك مع رحمه الله وتفضله الا القوم الفاسقون عن الزجاج قال وما جاء
في الرجاء لرحمة الله شئ اقوى من هذه الاية سوره محمد وتسمى ايضا سورة
القتال فهي مدنيه وقال ابن عباس وقتاده غير اية منها نزلت على النبي صلى الله عليه وآله
وهو يريد التوجه الى المدينه من مكه وجعل ينظر الى البيت وهي يبكى حزنا عليه فنزل
وكاى من قرية هي اشد قوة من قريتك الاية عدد آيها اربعون آية بصرى ثمان وثلثون
كوفي تسع في الباقين اختلافها ايتان اوزارها غير الكوفي للشاربين بصرى
فضلها ابى بن كعب قال قال النبي صلى الله عليه وآله من قرأ سوره محمد كان حقا
على الله ان يسقيه من انهار الجنه وروى ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال من
قراها لم يدخل شك في دينه ابدا ولم يزل محفوظا من الشرك والكفر ابدا حتى يموت
فاذا مات وكل الله به في قبره الف ملك يصلون في قبره ويكون ثواب صلوا تهم
له ويشيعونه حتى يوقفوه موقف الامن عند الله ويكون في امان الله وامان
محمد صلى الله عليه وآله وقال عم من اراد ان يعرف حالنا وحال اعدائنا فليقرأ سورة
محمد ص فانه يراها آية فينا وآية فيهم تفسيرها ختم الله سبحانه تلك السورة بوعيد
الكفار وافتتح هذه السورة بمثلها فقال جل ثناؤه

بسم الله الرحمن الرحيم

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ اَضَلَّ اَعْمَالَهُمْ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَاٰمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَاَصْلَحَ بَالَهُمْ

ذَلِكَ بِاَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَاَنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ اَمْثَالَهُمْ فَاِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى اِذَا اَثْخَنْتُمُوهُمْ
فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَاِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَاِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ اَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ
اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَلَنْ يُضِلَّ اَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ
ست آيات القراءة قرأ اهل البصرة وحفص والذين قتلوا على ما لم يسم فاعله والباقون
قاتلوا بالالف الحجة قال ابو علي قاتلوا اعم من قتلوا الا ترى ان من قاتل ولم يقتل
لم يضل عمله كما ان الذي قتل كذلك فهو لعمومه اولى اللغة البال الحال والشان
والبال القلب ايضا يقال خطر ببالي كذا والبال لا يجمع لانه ابهم اخواته من الحال
والشان والاثخان اكثار القتل وغلبة العدو وقهرهم ومنه اثخنه المرض اشتد
عليه واثخنه الجراح والوثاق اسم من الايثاق يقال اوثقه ايثاقا ووثاقا اذا اشتد
اسره لئلا يفلت والاوزار السلاح واصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى السلاح اوزارا
لانه يحمل قال الاعشى شعر واعددت للحرب اوزارها : رماحا طوالا وخيلا ذكورا :
ومن نسج داود يحدى بها على اثر الحي عيرا فعيرا الاعراب ذلك خبر مبتداء محذوف
تقديره الامر ذلك ويجوز ان يكون مبتداء محذوف الخبر تقديره ذلك كاين
فضرب الرقاب مصدر فعل محذوف تقديره فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل
واضيف المصدر الى المفعول وهذه الاضافة هي تقدير الانفصال لان تقديره
فضربا للرقاب قال الشاعر شعر فندلا زريق المال ندل الثعالب وكذلك قوله منا
وفداء تقديره فاما تمنون منا واما تفدون فداء المعنى الذين كفروا بتوحيد الله
وعبدوا معه غيره وصدوا الناس عن سبيل الله اى عن سبيل الايمان والاسلام
باستدعائهم الى تكذيب النبي صلى الله عليه وآله يعني مشركي العرب اضل اعمالهم اى احبط
الله اعمالهم التي كان في زعمهم انها قربة وانها تنفعهم كالعتق والصدقة وقرى
الضيف والمعنى اذهبها وابطلها حتى كانها لم يكن اذ لم يروا لها في الاخرة ثوابا

وقيل نزلت في المطعمين ببدر وكان عشرة انفس اطعم كل واحد منهم الجند يوما
والذين امنوا وعملوا الصالحات صدقوا بتوحيد الله واضافوا ذلك الاعمال
الصالحة وامنوا بما نزل على محمد من القرآن والعبادات خص الايمان بمحمد ص
بالذكر مع دخوله في الاول تشريفا له وتعظيما ولئلا يقول اهل الكتاب نحن امنا
بالله وبانبيائنا وكتبنا وهو الحق من ربهم اي وما نزل على محمد هو الحق من ربهم
لانه ناسخ للشرايع والناسخ هو الحق وقيل معناه محمد الحق من ربهم دون ما يزعمون
من انه سيخرج في اخر الزمان نبي من العرب فليس هذا هو فرد الله ذلك عليهم كفر عنهم
سياتهم اي سترها عنهم بان غفرها لهم يعني غفر سياتهم المتقدمة بايمانهم وحكم
باسقاط المستحق عليها من العقاب واصلح بالهم اي واصلح حالهم في معاشهم وامر دينهم
عن قتاده وقيل اصلح امر دينهم ودنياهم بان نصرهم على اعدائهم في الدنيا ويدخلهم
الجنة في العقبى ثم بين سبحانه لم فعل ذلك ولم قسمهم هذين القسمين فقال ذلك
بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم اي ذلك
الاضلال والاصلاح باتباع الكافرين الشرك وعبادة الشيطان واتباع المومنين
التوحيد والقران وما امر الله سبحانه باتباعه كذلك يضرب الله للناس
امثالهم اي كالبيان الذي ذكرنا يبين الله سبحانه للناس امثال حسنات المومنين
وسيئات الكافرين فان معنى قول القايل ضربت لك مثلا بينت لك ضربا
من الامثال عن الزجاج وقيل اراد به المثل المقرون به فجعل الكافر في اتباعه الباطل
لمن دعاه الباطل الى نفسه فاجابه والمومن كمن دعاه الحق الى نفسه فاجابه وقيل
معناه كما بينت عاقبة الكافر والمومن وجزاء كل واحد منهما اضرب للناس
امثاله يستدلون بها فتزيدهم علما ووعظا واضاف المثل اليهم لانه محمول لهم
ثم امر سبحانه بقتال الكفار فاذا لقيتم معاشر المومنين الذين كفروا يعني اهل
دار الحرب فضرب الرقاب اي فاضربوا رقابهم والمعنى اقتلوهم لان اكثر مواضع
القتل ضرب العنق وان كان يجوز الضرب في ساير المواضع فان الغرض قتلهم حتى

اذا اثخنتموهم اي اثقلتموهم بالجراح وظفرتم بهم وقيل حتى اذا بالغتم في قتلهم واكثرتم
القتل حتى ضعفوا فشدوا الوثاق اي احكموا وثاقهم في الاسر امر سبحانه بقتلهم
والاثخان فيهم ليذلوا فاذا ذلوا بالقتل فالاسر يكون بعد المبالغة في القتل
كما قال سبحانه ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض فاما منا بعد
واما فداء اي فاما ان تمنوا عليهم منا بعد ان تاسروهم فتطلقوهم بغير عوض
واما ان تفدوهم فداء واختلف في ذلك فقيل كان الاسر محرما باية الانفال
ثم ابيح بهذه الاية لان هذه السورة نزلت بعدها فاذا اسر فالامام مخير بين
المن والفداء باسارى المسلمين وبالمال وبين القتل والاستعباد وهو قول
الشافعي وابي يوسف ومحمد وقيل ان الامام مخير بين المن والفدا والاستعباد
وليس له القتل بعد الاسر عن الحسن وكانه جعل في الاية تاخيرا تقديره فضرب الرقاب
حتى تضع الحرب اوزارها ثم قال حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا
بعد واما فداء وقيل ان حكم الاية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وبقوله فاما تثقفنهم في الحرب عن قتاده والسدي وابن جريج وقال ابن عباس
والضحاك الفدا منسوخ وقيل ان حكم الاية ثابت غير منسوخ عن ابن عمر والحسن
وعطا قالوا لان النبي عليه السلام من على ابي عزة وقتل عقبة بن ابي معيط وفادى اسارى
بدر والمروي عن ايمة الهدى عليهم السلام ان الاسارى ضربان ضرب يوخذون
قبل انقضاء القتال والحرب قايمة فهولاء يكون الامام مخيرا بين ان يقتلهم او يقطع
ايديهم وارجلهم من خلاف ويتركهم حتى ينزفوا ولا يجوز المن ولا الفداء والضرب
الاخر الذين يوخذون بعد ان وضعت الحرب اوزارها وانقضاء القتال
فالامام مخير فيهم بين المن والفداء اما بالمال او بالنفس وبين الاسترقاق
وضرب الرقاب فان اسلموا في الحالين سقط جميع ذلك وكان حكمهم حكم المسلمين
حتى تضع الحرب اوزارها اي حتى تضع اهل الحرب اسلحتهم فلا يقاتلون وقيل
حتى لا يبقى احد من المشركين عن ابن عباس وقيل حتى لا يبقى دين غير الاسلام

عن مجاهد والمعنى حتى تضع حربكم وقتالكم اوزار المشركين وقبايح اعمالهم بان يسلموا
فلا يبقى الا الاسلام خير الاديان ولا تعبد الاوثان وهذا كما جاء في الحديث و
الجهاد ماض مذ بعثني الله الى ان تقاتل اخر امتي الدجال قال الفراء المعنى حتى
لا يبقى الا مسلم او مسالم وقال الزجاج اى اقتلوهم واسروهم حتى يومنوا فما دام
الكفر فالحرب قايمة ابدا ذلك اى الامر الذى ذكرنا ولو يشاء الله لانتصر منهم
اى من الكفار باهلاكهم وتعذيبهم بما شاء ولكن يامركم بالحرب ليبلو الاخيار بدل الارواح
في احياء الدين ليبلو بعضكم ببعض اى ليمتحن بعضكم ببعض فيظهر المطيع من
العاصي والمعنى انه لو كان الغرض زوال الكفر فقط لاهلك الله سبحانه الكفار
بما يشاء من انواع الهلاك ولكن اراد مع ذلك ان يستحقوا الثواب وذلك لا يحصل
الا بالتعبد وتحمل المشاق والذين قتلوا في سبيل الله اى في الجهاد في دين الله
يوم احد عن قتاده ومن قرأ قاتلوا فالمعنى جاهدوا سوا قتلوا او لم يقتلوا
فلن يضل اعمالهم اى لن يضيع الله اعمالهم ولن يهلكها بل يقبلها ويجازيهم
عليها ثوابا دايما سيهديهم الى طريق الجنة والثواب يصلح بالهم اى شانهم وحالهم
والوجه في تكرير قوله بالهم ان المراد بالاول انه اصلح بالهم في الدين والدنيا
وبالثاني انه يصلح حالهم في نعيم العقبى فالاول سبب النعيم والثاني نفس النعيم ويدخلهم
الجنة عرفها لهم اى بينها لهم حتى عرفوها اذا دخلوها وتفرقوا الى منازلهم فكانوا
اعرف بها من اهل الجمعة اذا انصرفوا الى منازلهم عن سعيد بن جبير وابي سعيد
الخدرى وقتاده ومجاهد وابن زيد وقيل معناه بينها لهم واعلمهم بوصفها
على ما يشوق اليها فيرغبون فيها ويسعون لها عن الجبائي وقيل معناه
طيبها لهم عن ابن عباس في رواية عطا من العرف الرايحة الطيبة يقال طعام
معرف اى مطيب قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ
وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ

مِنْ قَبْلِهِمْ

مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا اربع آيات اللغة التعس الانحطاط
والعثار والانفاس والاذلال والارهاض بمعنى وهو العثار الذى لا يستقبل صاحبه
فاذا سقط الساقط فاريد به الانتعاش والاستقامة قيل لعاله واذا لم يرد
ذلك قيل تعسا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لها المعنى ثم خاطب سبحانه
المؤمنين فقال يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم اى تنصروا دين
الله ونبي الله بالقتال والجهاد ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم ويشجعكم
ويقوي قلوبكم لتثبتوا وقيل ينصركم في الاخرة ويثبت اقدامكم عند الحساب وعلى
الصراط وقيل ينصركم في الدنيا والاخرة يثبت اقدامكم في الدارين وهو الوجه
قال قتاده حق على الله ان ينصر من نصره لقوله ان ينصروا الله ينصركم وان يزيد
من شكره لقوله لئن شكرتم لازيدنكم وان يذكر من ذكره لقوله فاذكروني اذكركم
وبان يوفي بعهد من اقام على عهده لقوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم والذين
كفروا فتعسا لهم اى مكروها لهم وسوا عن المبرد اى انفسهم الله فتعس تعسا قال ابن عباس
يريد في الدنيا العثرة وفي الاخرة التردى في النار واضل اعمالهم ثم معناه ذلك
التعس والاضلال بانهم كرهوا ما انزل الله على نبيه من القران والاحكام وامرهم
بالانقياد لها فوا ذلك و قال ابو جعفر عليه السلام كرهوا ما انزل الله في حق علي فاحبط الله
اعمالهم لانها لم تقع على الوجه المامور به ثم نبههم سبحانه على الاستدلال على صحة ما دعاهم
اليه من التوحيد واخلاص العبادة لله فقال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين كفروا من قبلهم حين ارسل الله اليهم الرسل فدعوهم الى توحيد الله واخلاص
العبادة له فلم يقبلوا منهم وعصوهم اى فهلا ساروا ورأوا عواقب اولئك دمر الله
عليهم اى اهلكهم ثم قال وللكافرين بك يا محمد امثالها من العذاب ان لم يومنوا
ويقبلوا ما تدعوهم اليه المعنى انهم يستحقون امثالها وانما يؤخر الله سبحانه عذابهم
الى الاخرة تفضلا منه قوله عز وجل ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ
لَا مَوْلَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الانهار والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم وكاين
من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان
على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم مثل الجنة التى وعد
المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار
من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة
من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم خمس آيات القراة
قرأ ابن كثير اسن مقصورا والباقون آسن بالمد وقرأ على ع وابن عباس امثال الجنة
على الجمع الحجة قال ابو زيد يقال اسن الماء ياسن اسونا اذا تغير واسن الرجل ياسن
اسنا اذا غشى عليه من ريح خبيثة وربما مات منها قال الشعر التارك القرن مصفرا
انامله يميل فى الريح ميل الائح الاسن قال ابو عبيدة الاسن المتغير الريح فحجة ابن كثير
ان اسم الفاعل من فعل يفعل على فعل وقال ابو الحسن اسن انما هو للحال التى يكون عليها
ومن قال اسن على فاعل فانما يريد ان ذلك لا يصير اليه فيما يستقبل وقوله امثال الجنة
فيه دليل على ان القراة العامة التى هى مثل فى معنى الكثرة لما فيه من معنى المصدرية
اللغة المثوى المنزل من قولهم ثوى بالمكان ثواء اذا اقام به ويقال للمراة ام المثوى
اى ربة المنزل والمثل والمثل بمعنى مثل الشبه والشبه والبدل والبدل والامعاء جمع معا
وفى الحديث المومن ياكل فى معاء واحد والكافر ياكل فى سبعة امعاء وفيه وجوه
من التاويل احدها انه قال على عليه السلم فى رجل بعينه والاخر ان المعنى ياكل المومن
فيسمى الله تعالى فيبارك فى اكله والثالث ان المومن يضيق عليه فى الدنيا والكافر
يصيب منها الرابع انه مثل لزهد المومن فى الدنيا وحرص الكافر عليها وهذا احسن
الوجوه الاعراب قال الزجاج مثل الجنة مبتدا وخبره محذوف تقديره مثل الجنة
التى وعد المتقون مما قد عرفتموه من الدنيا جنة فيها انهار الى آخره وقوله كمن هو
خالد فى النار تقديره افمن كان على بينة من ربه واعطى هذه الاشياء كمن زين له
سوء عمله وهو خالد فى النار المعنى ثم قال سبحانه ذلك اى الذى فعلناه فى الفريقين

بان الله

بان الله مولى الذين امنوا يتولى نصرهم وحفظهم ويدفع عنهم وان الكافرين لا مولى
لهم ينصرهم ولا احد يدفع عنهم عاجلا ولا آجلا ثم ذكر سبحانه حال الفريقين فقال ان الله
يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار اى من تحت
اشجارها وابنيتها والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام اى سيرتهم
سيرة الانعام اثروا لذات الدنيا وشهواتها واعرضوا عن العبر ياكلون للشبع
ويتمتعون لقضاء الوطر والنار مثوى لهم اى موضع مقامهم يقيمون فيها ثم
خوفهم وهددهم سبحانه فقال وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك يا محمد يعنى
مكة التى اخرجتك اى اخرجك اهلها والمعنى كم من رجال هم اشد من اهل مكة
ولهذا قال فاهلكناهم فكنى عن الرجال عن ابن عباس فلا ناصر لهم يدفع عنهم اهلاكنا
اياهم والمعنى فما الذى يؤمن هؤلاء ان افعل بهم مثل ذلك ثم قال سبحانه على وجه
التهجين والتوبيخ للكفار والمنافقين افمن كان على بينة من ربه اى على يقين
من دينه وعلى حجة واضحة من اعتقاده فى التوحيد والشرايع كمن زين له سوء
عمله زين له الشيطان المعاصى واغواه واتبعوا اهواءهم اى شهواتهم وما يدعوهم
اليه طباعهم وهو وصف لمن زين له سوء عمله وهم المشركون وقيل هم المنافقون
عن ابن زيد وهو المروى عن ابى جعفر ع ثم وصف الجنات التى وعدها المومنين
بقوله مثل الجنة التى وعد المتقون تقدم تفسيره فى سورة الرعد فيها انهار
من ماء غير آسن اى غير متغير لطول المقام كما تتغير مياه الدنيا وانهار من لبن
لم يتغير طعمه فهو غير حامض ولا قارض ولا يتغير بشئ من العوارض التى تصيب
الالبان فى الدنيا وانهار من خمر لذة للشاربين اى لذيذة يلتذون بشربها
ولا يتاذون بها ولا بعاقبتها بخلاف خمر الدنيا التى لا تخلو من المرارة والسكر
والصداع وانهار من عسل مصفى اى خالص من الشمع والرغوة والقذى ومن جميع
الاذى والعيوب التى يكون بعسل الدنيا ولهم فيها من كل الثمرات اى مما يعرفون
اسمها ومما لا يعرفون مبراة من كل مكروه يكون لثمرات الدنيا ومغفرة من ربهم

اي ولهم مع هذا مغفرة من ربهم وهو انه يستر ذنوبهم وينسيهم اساتهم حتى لا يتنغص
عليهم نعيم الجنة كمن هو خالد في النار اي من كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار
وسقوا ماء حميما شديد الحر فقطع امعاءهم وقيل انه قوله كمن هو خالد في النار معطوف
على قوله كمن زين له سوء عمله ومن هو خالد فخذ قالوا وكما يقال تقصد في فلان شتمني
ظلمني قوله عز وجل وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ
بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ وَيَقُولُ
الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ خمس آيات القراة روى
في بعض الروايات عن ابن كثير انفا بالقصر والقراة المشهورة آنفا بالمد الحجة قال
ابو علي انشد ابو زيد شعر وجدنا آل مرة حين خفنا جريرتنا هم الانف الكراما ويسرح
جارهم من حيث يمشي كان عليه مؤتنفا حراما او كان على حرمة شهر مؤتنف حرام فحذف
المضاف والانف الذين يانفون من احتمال الضيم قال ابو علي فاذا كان كذلك فقد جمع
فعل على فعل لان واحد انف آنف بدلالة قول الشاعر شعر وحمال المئين اذا المت
بنا الحدثان والانف النصور وليس الانف والانف في البيتين مما في الاية في شيء لان
ما في الشعر من الانفة وما في الاية من الابتداء ولم يسمع في معنى ابتداء ويجوز ان يكون
توهمه ابن كثير مثل حاذر وحذر وفاكه وفكه والوجه المد والانف الجائي من الائتناف
وهو الابتداء فقوله انفا اي في اول وقت يقرب منا اللغة الاهواء جمع هواء وهو شهوة
النفس يقال يهوى يهوى فهو هوا واستهوى في هذا الامر اي دعاه الى الهوى والاشراط
العلامات واشرط فلان نفسه الامر اذا اعلمها بعلامة قال اوس بن حجر شعر فاشرط
فيها نفسه وهو معصم والقى باسبابه وتوكلا واحد الاشراط شرطا قال جرير شعر

تري شرط المعزى مهور نسائهم وفي شرط المعزى لهن مهور واصحاب الشرط سموا بذلك
للبسهم لباسا يكون علامة لهم والشرط في البيع علامة بين المتبايعين المعنى ثم بين
سبحانه حال المنافقين فقال ومنهم من يستمع اليك اي ومن الكافرين الذين
تقدم ذكرهم من يستمع الى قرائتك ودعوتك وكلامك لان المنافق كافر حتى اذا خرجوا
من عندك قالوا للذين اوتوا العلم يعني للذين اتاهم الله العلم والفهم من المومنين
قال ابن عباس انا ممن اوتوا العلم بالقران وعن الاصبغ بن نباتة عن علي عليه السلم
قال انا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيخبرنا بالوحي فاعيه انا ومن يعيه
فاذا خرجنا قالوا ماذا قال انفا وقولهم ماذا قال انفا اي اي شيء قال الساعة وانما
قالوا استهزاء واظهارا انا لم نشتغل بوعيه وفهمه وقيل انما قالوا ذلك لانهم
لم يفهموا معناه ولم يعلموا ما سمعوه وقيل بل قالوا ذلك تحقيرا لقوله اي لم يقل
شيئا فيه فائدة ويحتمل ايضا ان يكونوا سالوا رياء ونفاقا اي لم يذهب عني من قوله
الا هذا فماذا قال اعده علي لاحفظه وانما قال يستمع اليك ثم قال خرجوا من عندك
لان في الاول رد الضمير الى لفظه من وفي الثاني الى معناه فانه موحد اللفظ
مجموع المعنى ثم قال اولئك الذين طبع الله على قلوبهم اي وسم قلوبهم بسمة
الكفار او خلى بينهم وبين اختيارهم واتبعوا اهواءهم اي شهوات نفوسهم وما مالت
اليه طباعهم دون ما قامت عليه الحجة ثم وصف سبحانه المومنين فقال
والذين اهتدوا بما سمعوا من النبي صلى الله عليه وآله زادهم الله اي قراءة
القران او النبي هدى وقيل زادهم استهزاء المنافقين ايمانا وعلما وبصيرة
وتصديقا لنبيهم واتاهم تقواهم اي وفقهم للتقوى وقيل معناه واتاهم ثواب
تقواهم عن سعيد بن جبير وابي علي الجبائي وقيل بين لهم ما يتقون وهو ترك
الرخص والاخذ بالعزايم فهل ينظرون اي فليس ينتظرون الا الساعة القيمة الا
ان تاتيهم بغتة اي فجاة فقوله ان ياتيهم بدل من الساعة وتقديره الا الساعة
اتيانها بغتة والمعنى الا اتيان الساعة اياهم بغتة فقد جاء اشراطها

اي علاماتها قال ابن عباس معالمها والنبي عليه السلام من اشراطها وقد قال بعثت
انا والساعة كهاتين وقيل هي اعلامها من انشقاق القمر والدخان وخروج النبي
ونزول اخر الكتب عن مقاتل فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم اي فمن اين لهم الذكرى والاتعاظ
والتوبة اذا جاءتهم الساعة وموضع ذكراهم رفع مثله في قوله يوم يتذكر
الانسان وانى له الذكرى اي ليس ينفعه الذكرى والذكرى مما امر الله سبحانه
عباده ان يتذكروا به معناه فكيف لهم بالنجاة اذا جاءتهم الساعة فانه لا ينفعهم
في ذلك الوقت الايمان والطاعات لزوال التكليف عنهم ثم قال لنبيه صلى الله
عليه وآله والمراد به جميع المكلفين فاعلم انه لا اله الا الله قال الزجاج يجوز ان يكون
المعنى اقم على هذا العلم واثبت عليه واعلم في مستقبل عمرك ما تعلمه الان ويدل عليه
ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله
دخل الجنة اورده مسلم في الصحيح وقيل انه يتعلق بما قبله على معنى اذا جاءتهم الساعة
فاعلم انه لا اله الا الله اي يبطل الممالك عند ذلك فلا ملك ولا حكم لاحد الا الله
وقيل ان هذا اخبار بموته عليه السلام والمراد فاعلم ان الحي الذي لا يموت هو الله وحده
وقيل انه عم كان ضيق الصدر من اذى قومه فقيل له فاعلم انه لا كاشف لذلك
الا الله واستغفر لذنبك الخطاب له والمراد به الامة وانما خوطب عليه السلام بذلك
لتستن امته بسنته وقيل ان المراد بذلك الانقطاع الى الله سبحانه فان الاستغفار
عبادة يستحق به الثواب وقد صح الحديث بالاسناد عن حذيفة بن اليمان قال
كنت رجلا ذرب اللسان على اهلي فقلت يا رسول الله اني لاخشى ان يدخلني لساني
النار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله فاين انت من الاستغفار اني لاستغفر الله
مائة مرة وللمؤمنين والمؤمنات اكرمهم الله بهذا اذ امر نبيهم عم ان يستغفر
لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ثم اخبر سبحانه عن علمه باحوال الخلق ومآلهم
فقال والله يعلم متقلبكم ومثواكم اي متصرفكم في اعمالكم في الدنيا ومصيركم
في الاخرة الى الجنة او الى النار عن ابن عباس وقيل يعلم متقلبكم في اصلاب الاباء الى ارحام

الامهات

الامهات ومثواكم اي مقامكم في الارض عن عكرمة وقيل متقلبكم من ظهر الى بطن ومثواكم
في القبور عن ابن كيسان وقيل متقلبكم منصرفكم بالنهار ومثواكم مضجعكم بالليل
والمعنى انه عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ثم قال سبحانه حكاية عن المؤمنين
ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة لانهم كانوا يانسون بنزول
القران ويستوحشون لابطائه ليعلموا اوامر الله تعالى فيهم وتعبده لهم فاذا انزلت
سورة محكمة ليس فيها متشابه ولا تاويل وقيل سورة ناسخة لما قبلها من اباحة
التخفيف في الجهاد قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القران على
المنافقين وقيل محكمة اي مقرونة بوعيد يوكد الامر كقوله الا تنفروا يعذبكم عذابا
اليما وقيل محكمة بوضوح الفاظها وعلى هذا فالقران كله محكم وقيل هي التي تتضمن
نصا لم يختلف تاويله ولم يتعقبه نسخ وفي قراءة ابن مسعود سورة محدثة اي محدثة
وذكر فيها القتال اي واوجب عليهم فيها القتال وامروا به رايت يا محمد الذين في قلوبهم
مرض اي شك ونفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت قال الزجاج يريد انهم
يشخصون نحوك بابصارهم وينظرون نظرا شديدا كما ينظر الشاخص بصره عند
الموت لثقل ذلك عليهم وعظمه في نفوسهم فاولى لهم هذا تهديد ووعيد قال الاصمعي
معنى قولهم في التهديد اولى لك وليك وقاربك ما تكره وقال قتادة معناه العقاب
لهم او الوعيد لهم فعلى هذا يكون اولى اسما للتهديد والوعيد ويكون اولى لهم
مبتدا وخبرا ولا ينصرف اولى لانه على وزن الفعل وصار اسما للوعيد وقول الاصمعي
ان معناه وليك ما تكره ولا يريد به ان اولى فعل وانما فسره على المعنى وقيل معناه
اولى لهم طاعة لله ورسوله وقول معروف متصلا بالاجابة اي لو اطاعوا واجابوا
كانت الطاعة والاجابة اولى لهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء واختيار
الكسائي فيكون على هذا طاعة وقول معروف متصلا بما قبله وكذلك لو كانت
صفة لسورة وتقديره فاذا انزلت سورة ذات طاعة وقول معروف على ما قاله
الزجاج وعلى القول الاول يكون طاعة مبتدا محذوف الخبر تقديره طاعة

وقول معروف امثل واحسن او يكون خبر مبتدا محذوف تقديره امرنا طاعة ويكون
الوقف حسنا عند قوله فاولى لهم قوله عز وجل طاعة وقول معروف فاذا عزم
الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في
الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم
افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد
ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم خمس آيات القراءة قرأ يعقوب
وسهل وتقطعوا بفتح التاء والطاء وسكون القاف والباقون وتقطعوا بالتشديد
وضم التاء وكسر الطاء وقرأ اهل البصرة واملي لهم بضم الهمزة وفتح الياء وفي رواية
رويس عن يعقوب بسكون الياء وقرأ الباقون واملى لهم بفتح الهمزة واللام وروي
عن النبي صلى الله عليه وآله فهل عسيتم اي وليتم وعن علي عليه السلام ان توليتم قال ابو حاتم
معناه ان تولاكم الناس الحجة حجة من قرأ وتقطعوا بالتخفيف قوله ويقطعون
ما امر الله ان يوصل والتشديد للمبالغة وقوله وليتم من الولاية وفيه دلالة
على ان القراءة المشهورة توليتم معناها توليتم الامر قال ابو علي قالوا انتظرته
مليا من الدهر اي متسعا منه صفة استعمل استعمال الاسما وقالوا تمليت حينا
اي عشت معه ملاوة من الدهر وقال الملوان يريدون بهما تكرر الليل والنهار
وطول مدتهما قال نهار وليل دائم ملواهما على كل حال المرء يختلفان فلو كان
الليل والنهار لم يضافا الى ضميرهما من حيث لا يضاف الشيء الى نفسه ولكن كانه
يراد تكرر الدهر واتساعه بهما والضمير في املى لهم لاسم الله كما قال واملي لهم ان كيدي
متين ومن قرأ واملي لهم فبنى الفعل للمفعول به فانه يحسن في هذا الموضع العلم بانه
لا يؤخر احد مدة احد ولا يوسع له فيها الا الله سبحانه المعنى طاعة وقول
معروف قد ذكرنا ان فيه مذهبين احدهما ان يكون متصلا بما قبله وقد تقدم
ذكره والآخر ان يكون كلاما مبتدأ ثم اختلف في تقديره على وجهين احدهما ان يكون
مبتدأ محذوف الخبر ثم قيل ان معناه طاعة وقول معروف امثل واليق من احوال هؤلاء

المنافقين وقيل معناه طاعة وقول معروف خير لهم من جزعهم عند نزول فرض الجهاد
عن الحسن والوجه الآخر انه خبر مبتدا محذوف تقديره قولوا امرنا طاعة وقول معروف
اي حسن لا ينكره السامع وهذا امر امر الله به المنافقين عن مجاهد وقيل هو حكاية
عنهم انهم كانوا يقولون ذلك ويقتضيه قوله فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فاذا
عزم الامر معناه فاذا جد الامر ولزم فرض القتال وصار الامر معزوما عليه والعزم
العقد على الامر بالارادة لان يفعله فاذا عقد العازم على انه يفعله قيل عزم الامر
على طريق البلاغة وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم
في دينهم ودنياهم من نفاقهم فهل عسيتم يا معشر المنافقين ان توليتم ان تفسدوا
في الارض وتقطعوا ارحامكم معناه ان توليتم الاحكام ووليتم اي جعلتم ولاة ان لا تفسدوا
في الارض باخذ الرشا وسفك الدم الحرام فيقتل بعضكم بعضا ويقطع بعضكم رحم بعض
كما قتلت قريش بني هاشم وقتل بعضهم بعضا وقيل ان توليتم معناه ان اعرضتم عن كتاب
الله والعمل بما فيه ان تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية فتفسدوا بقتل بعضكم بعضا
قال قتاده كيف رايتم القوم حين تولوا عن القران الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام
وعصوا الرحمن ثم ذكر سبحانه من يريد ذلك فقال اولئك الذين لعنهم الله اي ابعدهم
من رحمته فاصمهم واعمى ابصارهم ومعناه انهم لا يعون الخير ولا يبصرون ما يعتبرون
فكانهم صم عمي عن ابي مسلم وقيل انهم في الآخرة لا يهتدون الى الجنة بمنزلة الاصم الاعمى في
الدنيا عن ابي علي الجبائي ولا يجوز حمله على الصمم والعمى في الجارحة بلا خلاف ولانهم لو كانوا
كذلك لما ذموا على انهم لا يسمعون ولا يبصرون وانما اطلق الصمم لانه لا يكون الا في
الاذن وقرن العمى بالابصار لانه قد يكون بالبصر وبالقلب افلا يتدبرون بان يتفكروا
فيه ويعتبروا به وقيل افلا يتدبرون القران فيقضوا ما عليهم من الحق عن ابي
عبد الله وابي الحسن عليهما السلام ام على قلوب اقفالها معنى تنكير القلوب ارادة قلوب
هؤلاء ومن كان مثلهم من غيرهم وفي هذا دلالة على بطلان قول من قال لا يجوز تفسير
شيء من ظاهر القرآن الا بخبر وسمع وفيه تنبيه ايضا على فساد من يقول ان الحديث

ينبغي ان يروى على ما جاء وان كان مخالفا لاصول الديانات في المعنى لانه سبحانه دعا
الى التدبر والتفكر وذلك مناف للتعامي والتجاهل ثم قال سبحانه ان الذين ارتدوا
على ادبارهم اى رجعوا عن الحق والايمان من بعد ما تبين لهم الهدى اى من بعد ما
بان لهم طريق الحق وهم المنافقون عن ابن عباس والضحاك والسدى كانوا يومنون
عند النبي صلى الله عليه وآله ثم يظهرون الكفر فيما بينهم فتلك ردة منهم وقيل
كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد وقد عرفوه ووجدوا نعته مكتوبا عندهم عن قتاده
وليس في هذا دلالة على ان المومن قد يكفر لانه لا يمتنع ان يكون المراد من رجع في باطنه
عن الايمان بعد ان اظهره وقامت الحجة عنده بصحته الشيطان سول لهم اى زين لهم
خطاياهم عن الحسن وقيل اعطاهم سؤلهم وامنيتهم اذ دعاهم الى ما يوافق مرادهم وهواهم
عن ابي مسلم واملى لهم اى طول املهم فاغتروا به وقيل اوهمهم طول العمر مع
الامن من المكاره وابعدهم في الامل والامنية قوله عز وجل ذلك بانهم
قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم
فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم
اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم ام حسب الذين
في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم
بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم خمس آيات القراءة
قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر اسرارهم بالكسر والباقون اسرارهم الحجة قال
ابو علي حجة من قال اسرارهم انه لما كان مصدرا افرد ولم يجمع ويقوى
الافراد قوله الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم فكما افرد السر ولم يجمع
كذلك قال اسرارهم ومن فتح الهمزة جعله سرا فكانه جمع لاختلاف ضروب
السر وجميع الاجناس يحسن جمعها مع الاختلاف وقد جاء سرهم في قوله تعالى
يعلم سرهم على ما عليه معظم المصادر لانه يتناول جميع ضروبه فافرد مرة
وجمع اخرى اللغة الاضغان جمع الضغن وهو الحقد واللحن اصله

ازالة الكلام عن جهته ثم انه مستعمل على وجهين في الصواب والخطا
اما في الصواب فمعناه الكناية عن الشيء والعدول عن الافصاح قال
الشاعر ولقد وحيت لكم لكيلا تفطنوا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب
وقيل اللحن هو الفطنة وسرعة الفهم والفعل منه لحن يلحن فهو لحن اذا
فطن ومنه الحديث لعل احدكم يكون الحن بحجته من بعض اى افطن بها واغوص
ومنه قول الشاعر منطق صايب وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا
وانما يسمى التعريض لحنا لانه ذهاب بالكلام الى خلاف جهته ومنه قول عمر تعلموا
اللحن كما تعلمون القرآن واما في الخطاء فان اللحن ازالة الاعراب عن جهته والفعل
منه لحن يلحن فهو لاحن المعنى ثم بين سبحانه سبب استيلاء الشيطان عليهم
فقال ذلك اى التسويل والاملاء بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله من القرآن
وما فيه من الامر والنهى والاحكام والمروى عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم انهم
بنوا امية كرهوا ما نزل الله في ولاية علي عليه السلم سنطيعكم في بعض الامر اى نفعل بعض
ما تريدون والله يعلم اسرارهم اى ما اسره بعضهم الى بعض من القول وما اسروه
في انفسهم من الاعتقاد فكيف اذا توفتهم الملائكة اى فكيف حالهم اذا قبضت الملائكة
ارواحهم وانما حذف تفخيما لشان ما ينزل بهم في ذلك الوقت يضربون وجوههم
وادبارهم على وجه العقوبة لهم ثم ذكر الله سبب نزول الضرب فقال ذلك بانهم
اتبعوا ما اسخط الله من المعاصي التي يكرهها الله ويعاقب عليها وكرهوا رضوانه
اى سبب رضوانه من الايمان وطاعة الرسول فاحبط الله اعمالهم التي كانوا يعملونها
من صلوة وصدقة وغير ذلك لانها في غير ايمان ثم قال سبحانه ام حسب الذين
في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم اى احقادهم على المومنين ولا تبدى
عوراتهم للنبي صلى الله عليه وآله ولو نشاء لاريناكهم باعيانهم يا محمد حتى تعرفهم وهو
قوله فلعرفتهم بسيماهم اى بعلاماتهم التي نصبها لك لكي تعرفهم بها ولتعرفنهم
في لحن القول اى وتعرفهم الآن في فحوى كلامهم ومعناه ومقصده ومغزاه لان كلام الانسان

يدل على ما ضمره وعن ابي سعيد الخدري قال لحن القول بغضهم علي بن ابي طالب عليه السلم
قال وكنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ببغضهم علي بن
ابي طالب عليه السلم وروى مثل ذلك عن جابر بن عبد الله الانصاري وعن عبادة
بن الصامت قال كنا ننور اولادنا بحب علي بن ابي طالب عليه السلم فاذا راينا احدهم
لا يحبه علمنا انه لغير رشده قال انس ما خفي منافق على عهد رسول الله بعد
هذه الاية والله يعلم اعمالكم ظاهرها وباطنها قوله عز وجل وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا
وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا
تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ
فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ
وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ خمس آيات القراءة قرأ ابو بكر ليبلونكم وما بعده بالياء
وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليهما السلم والباقون بالنون وقرأ يعقوب
ونبلو ساكنة الواو الحجة قال ابو علي وجه الياء ان قبله والله يعلم اعمالكم واسم
الغيبة اقرب اليه من لفظ الجمع فحمل على الاقرب ووجه النون قوله ولو نشاء لاريناكهم
اللغة يقال وتره يتره وترا اذا نقصه ومنه الحديث فكانما وتر اهله وماله
واصله القطع ومنه الترة القطع بالقتل ومنه الوتر المنقطع بانفراده عن غيره
المعنى ثم اقسم سبحانه فقال ولنبلونكم اي نعاملكم معاملة المختبر بما يكلفكم من الامور
الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اي حتى يتميز المجاهدون في سبيل الله
من جملتكم والصابرون على الجهاد وقيل معناه حتى يعلم اولياؤنا المجاهدين
منكم واضافه الى نفسه تعظيما لهم وتشريفا كما قال ان الذين يؤذون الله ورسوله
اي يؤذون اولياء الله وقيل معناه حتى نعلم جهادكم موجودا لان الغرض ان تفعلوا
الجهاد فيثيبكم على ذلك ونبلو اخباركم اي نختبر اسراركم بما تستقبلونه من افعالكم

ان الذين

ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي امتنعوا عن اتباع دين الله ومنعوا غيرهم
عن اتباعه بالقهر تارة وبالاغواء اخرى وشاقوا الرسول اي عاندوه وعادوه من بعد
ما تبين لهم الهدى اي من بعد ما ظهر لهم انه الحق وعرفوا انه رسول الله لن يضروا الله
بذلك شيئا وانما ضروا نفوسهم وسيحبط الله اعمالهم فلا يرون لها في الآخرة ثوابا
وفي هذه الاية دلالة على ان هؤلاء الكفار كانوا قد تبين لهم الهدى فارتدوا
عنه ولم يقبلوه عنادا وهم المنافقون وقيل انهم اهل الكتاب ظهر لهم امر النبي
فلم يقبلوه وقيل هم رؤساء الضلالة جحدوا الهدى طلبا للجاه والرياسة لان العناد
يضاف الى الخواص يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله بتوحيده واطيعوا الرسول بتصديقه
وقيل اطيعوا الله في حرمة الرسول في تعظيم امر الله ولا تبطلوا اعمالكم بالشك
والنفاق عن عطاء وقيل بالرياء والسمعة عن الكلبي وقيل بالمعاصي والكبائر عن الحسن
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله مضى معناه ثم ماتوا وهم كفار اي اصروا
على الكفر حتى ماتوا على كفرهم فلن يغفر الله لهم ابدا لان لفظ لن للتابيد فلا تهنوا اي ولا
تتوانوا عن القتال وتدعوا الى السلم اي ولا تدعوا الكفار الى المسالمة والمصالحة وانتم
الاعلون اي وانتم القاهرون الغالبون عن مجاهد وقيل ان الواو واو الحال اي لا تدعوهم
الى الصلح في الحال التي تكون الغلبة لكم فيها وقيل انه ابتداء اخبار من الله عن حال
المؤمنين انهم الاعلون يدا ومنزلة آخر الامر وان غلبوا في بعض الاحوال والله معكم
اي بالنصرة على عدوكم ولن يتركم اعمالكم اي لن ينقصكم شيئا من ثوابها بل مثيبكم
عليها ويزيدكم من فضله عن مجاهد وقيل معناه لن يظلمكم عن ابن عباس وقتادة
وابن زيد قوله عز وجل إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ
أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ هَا أَنْتُمْ
هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ
وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا
أَمْثَالَكُمْ ثلث آيات القراءة في بعض الروايات عن ابي عمرو ويخرج بالرفع والمشهور عنه

وعن الجميع يخرج بالجزم الجملة وهذا يكون على استيناف الكلام اي وهو يخرج اضغانكم على كل
قال اللغة الاحفاء الالحاح في السوال حتى ينتهي الى مثل الحفا والمشي بغير حذاء يقال
احفاه بالمسئله يحفيه احفاء وقيل الاحفا في المسئله الالطاف فيها عن ابي مسلم والبخل
هو منع الواجب وقيل موضع النفع الذي هوا ولى فالعقل عن علي بن عيسى الاعراب
ان يسئلكموها فيحفكم انما قدم المخاطب على الغايب لانه الابتداء بالاقرب مع انه المفعول
الاول ولو قال يسئلها اياكم لجاء على الغايب مع غايب فالمتصل اولى من المنفصل
وقال ها انتم هولاء كرر التنبيه في الموضعين للتاكيد وانتم مبتدا وهو
لابد منه وتدعون خبر المبتدا المعنى ثم حض سبحانه على طلب الاخرة فقال انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو اي سريعة الفنا والانقضا ومن اختار الفاني على الباقي كان جاهلا
ومنقوصا قال الحسن الذي خلقها هو اعلم بها وان تومنوا بالله ورسوله وتتقوا
معاصيه يوتكم اجوركم اي جزاء اعمالكم في الاخرة ولا يسئلكم اموالكم كلها في الصدقه
وان اوجب عليكم الزكوة في بعض اموالكم عن سفين بن عيينة والجبائي وقيل لا يسئلكم
اموالكم لان الاموال كلها لله فهو المالك لها وهو المنعم باعطائها وقيل لا يسئلكم
الرسول على اداء الرسالة اموالكم ان تدفعوها اليه ان يسئلكموها فيحفكم اي يجهدكم
بمسئلة جميعها تبخلوا بها فلا تعطوها اي ان يسئلكم جميع ما في ايديكم تبخلوا وقيل فيحفكم
اي فيلطف في السوال بان يعد عليه الثواب الجزيل عن ابي مسلم ويخرج اضغانكم اي ويظهر
بغضكم وعداوتكم لله ولرسوله ولكنه فرض عليكم ربع العشر قال قتاده علم الله ان في
مسئلة الاموال خروج الاضغان وهي الاحقاد التي في القلوب والعداوات الباطنة ها انتم
هولاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله يعني ما فرض عليهم في اموالهم اي انما يؤمرون
باخراج ذلك وانفاقه في طاعة الله فمنكم من يبخل بما فرض عليه من الزكوة ومن يبخل
فانما يبخل عن نفسه لانه يحرمها مثوبة جسيمة ويلزمها عقوبة عظيمة وهذه اشارة الى
ان معطي المال احوج اليه من الفقير الاخذ فبخله بخل على نفسه وذلك اشد البخل قال مقاتل
انما يبخل بالخير والفضل في الاخرة عن نفسه وقيل معناه فانما يبخل بالعطاء عن نفسه يدعوه

الى البخل فان الله تعالى نهى عن البخل وذمه فلا يكون البخل بالعطاء من جهته والله الغني عما عندكم
من الاموال وانتم الفقراء الى ما عند الله من الخير والرحمة اي لا يامركم بالانفاق لحاجته
ولكن لتنتفعوا به في الاخرة وان تتولوا اي تعرضوا عن طاعته وعن امر رسوله يستبدل
قوما غيركم امثل واطوع لله منكم ثم لا يكونوا امثالكم بل يكونوا خيرا منكم واطوع لله
وروى ابو هريره ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا يا رسول الله
من هولاء الذين ذكر الله في كتابه وكان سلمان الى جنب رسول الله فضرب يده على فخذ
سلمان فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله
رجال من فارس وروى ابو بصير عن ابي جعفر عليه السلم قال ان تتولوا يا معشر العرب يستبدل
قوما غيركم يعني الموالي وعن ابي عبد الله عليه السلم قال قد والله ابدل خيرا منهم الموالي
سورة الفتح مدنية عدد اٰيها تسع وعشرون آية بالاجماع فضلها ابي بن كعب عن النبي
صلى الله عليه وآله قال من قراها فكانما شهد مع محمد صلى الله عليه وآله فتح مكة وفي رواية فكانما
كان من بايع محمدا تحت الشجرة عمر بن الخطاب قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله
في سفر فقال نزلت على البارحة سورة هي احب الي من الدنيا وما فيها انا فتحنا
الى قوله وما تاخر اورده البخاري في الصحيح قتاده عن انس قال لما رجعنا من غزوة
الحديبيه وقد حيل بيننا وبين نسكنا فنحن بين الحزن والكابة انزل الله عز وجل
انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لقد نزلت على اية هي احب الي
من الدنيا كلها عبد الله بن مسعود قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وآله من الحديبيه
فجعلت ناقته تثقل فتقدمنا فانزل الله عليه انا فتحنا لك فتحا مبينا فادركنا رسول الله
صلى الله عليه وآله وبه من السرور ما شاء الله فاخبر انها انزلت عليه عبد الله بن بكير
عن ابيه قال ابو عبد الله عليه السلم حصنوا اموالكم ونساكم وما ملكت ايمانكم من التلف
بقراءة انا فتحنا لك فتحا مبينا فانه اذا كان ممن يدمن قراءتها ناداه مناد يوم القيمة
حتى يسمع الخلايق انت من عبادي المخلصين الحقوه بالصالحين من عبادي فاسكنوه
جنات النعيم واسقوه الرحيق المختوم بمزاج الكافور تفسيرها ختم الله سبحانه تلك السورة

بقوله والله الغني وانتم الفقراء ومن غناه انه فتح لنبيه ما احتاج اليه
في دينه ودنياه فقال بسم الله الرحمن الرحيم
إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ
وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا
هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ
جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ
ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا خمس آيات اللغة الفتح ضد الاغلاق وهو الاصل ثم
استعمل في مواضع فمنها الحكم والقضا ويسمى الحاكم فتاحا والفتاحة الحكومة ومنها
النصر والاستفتاح الاستنصار ومنها فتح البلدان ومنها العلم وقوله وعنده
مفاتح الغيب من ذلك المعنى انا فتحنا لك فتحا مبينا اي قضينا عليك قضاء ظاهرا
عن قتاده وقيل معناه يسرنا لك يسرا بينا عن مقاتل وقيل معناه اعلمناك علما ظاهرا
فيما انزلناه عليك من القرآن واخبرناك به من الدين وقيل رشدناك
الى الاسلام وفتحنا لك امر الدين عن الزجاج ثم اختلف في هذا الفتح على وجوه
احدها ان المراد به فتح مكه وعده الله ذلك عام الحديبية عند انكفائه منها
عن انس وقتاده وجماعة من المفسرين قال قتاده نزلت هذه الاية مرجع النبي صلى
الله عليه وآله من الحديبيه بشر في ذلك الوقت بفتح مكة وتقديره انا فتحنا لك
مكه اي قضينا لك بالنصر على اهلها وعن جابر قال ما كنا نعلم فتح مكه الا يوم الحديبية
وثانيها ان المراد بالفتح هنا صلح الحديبية وكان فتحا بغير قتال قال الفرا الفتح
قد يكون صلحا ومعنى الفتح في اللغة فتح المتغلق والصلح الذي حصل مع المشركين بالحديبية
كان مسدودا متعذرا حتى فتحه الله وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية
وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم
واسلم في ثلث سنين خلق كثير فكثر بهم سواد الاسلام وقال الشعبي بويع بالحديبية

بيعة الرضوان

بيعة الرضوان واطعم نخيل خيبر وظهرت الروم على فارس وفرح المسلمون بظهور اهل
الكتاب وهم الروم على المجوس اذ كان فيه مصداق قول الله تعالى انهم سيغلبون وبلغ
الهدي محله والحديبية بير وروي انه نفد ماؤها فظهر فيها من اعلام النبوة ما
اشتهرت به الروايات قال البرا بن عازب تعدون انتم الفتح فتح مكة فتحا ونحن
نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وآله اربع عشرة
مايه والحديبية بير فنزحناها فما ترك منها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وآله فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه
فيها وتركها ثم اصدرتنا نحن وركابنا وفي حديث سلمة بن الاكوع اما دعا واما بزق فيها
فجاشت فسقينا واستقينا وعن محمد بن اسحق بن يسار عن الزهري عن عروة بن الزبير
عن المسور بن مخرمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج لزيارة البيت لا يريد حربا
فذكر الحديث الى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله انزلوا فقالوا يا رسول الله
ما بالوادي ماء فاخرج رسول الله ص من كنانته سهما فاعطاه رجلا من اصحابه فقال له
انزل في بعض هذه القلب فاغرزه في جوفه ففعل فجاش بالماء الرواء حتى ضرب الناس بعطن
وعن عروه ذكر خروج النبي صلى الله عليه وآله قال وخرجت قريش من مكه فسبقوه
الى بلدح والى الماء فنزلوا عليه فلما راى رسول الله ص انه قد سبق نزل على الحديبية
وذلك في حر شديد وليس فيها الا بير واحدة فاشفق القوم من الظما والقوم
كثير فنزل فيها رجال يميحونها ودعا رسول الله بدلو من ماء فتوضا من الدلو
ومضمض فاه ثم مج فيه وامر ان يصب في البير ونزع سهما من كنانته والقاه في البير
فدعا الله تعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بايديهم منها وهم جلوس على شفتها
وروى سالم بن ابي الجعد قال قلت لجابر كم كنتم يوم الشجرة قال كنا الفا وخمسمائة
وذكر عطشا اصابهم قال فاتي رسول الله صلى الله عليه وآله بماء في تور فوضع يده فيه
فجعل الماء يخرج من بين اصابعه كانه العيون قال فشربنا وسقينا وكفانا قال قلت
لم كنتم قال لو كنا مائة الف كفانا كنا الفا وخمسمائة وثالثها ان المراد بالفتح هنا فتح خيبر

عن مجاهد والعوفي وروى عن مجمع بن حارثة الانصاري كان احد القراء قال شهدنا
الحديبية مع رسول الله فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعض
الناس لبعض ما بال الناس قالوا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وآله فخرجنا نوجف
فوجدنا النبي صلى الله عليه وآله واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس
اليه قرأ انا فتحنا لك فتحا السورة فقال عمر افتح هو يا رسول الله قال نعم والذي
نفسي بيده انه لفتح فقسمت خيبر على اهل الحديبية لم يدخل فيها احد الا من
شهدها ورابعها ان الفتح الظفر على الاعداء كلهم بالحجج والمعجزات الظاهرة
واعلاء كلمة الاسلام ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقد قيل فيه
اقوال كلها غير موافق لما يذهب اليه اصحابنا ان الانبياء معصومون من الذنوب
كلها صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها فمنها انهم قالوا معناه ما تقدم
من معاصيك النبوة وما تأخر عنها ومنها قولهم ما تقدم الفتح وما تأخر عنه
ومنها ما وقع وما لم يقع على الوعد بانه يغفره له اذا وقع ومنها قولهم ما تقدم
من ذنب ابويك آدم وحوى ببركتك وما تأخر من ذنوب امتك بدعوتك و
الكلام في ذنب آدم كالكلام في ذنب نبينا عليه السلام ومن حمل ذلك على الصغائر التي
تقع محبطة عندهم فالذي يبطل قولهم ان الصغائر اذا سقط عقابها وقعت مكفرة
فكيف يجوز ان يمن الله سبحانه على نبيه بانه يغفرها له وانما يصح الامتنان والتفضل
منه سبحانه بما يكون له المؤاخذة به لا بما لو عاقب به لكان ظالما عندهم فوضح فساد
قولهم ولاصحابنا فيه وجهان من التأويل احدهما ان المراد ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنب امتك وما تأخر بشفاعتك واراد بذكر التقدم والتأخر ما تقدم
زمانه وما تأخر كما يقول القائل لغيره صفحت عن السالف والآنف من ذنوبك
وحسنت اضافة ذنوب امته اليه للاتصال والسبب بينه وبين امته ويؤيد هذا
الجواب ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال سأله رجل عن هذه الآية فقال
والله ما كان له ذنب ولكن الله سبحانه ضمن له ان يغفر ذنوب شيعته على ما تقدم

من ذنبهم

من ذنبهم وما تأخر وروى عمر بن يزيد قال قلت لابي عبد الله عليه السلام قول الله سبحانه
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال ما كان له ذنب ولا هم بذنب
ولكن الله حمله ذنوب شيعته ثم غفرها له والثاني ما ذكره المرتضى قدس الله
روحه ان الذنب مصدر والمصدر يجوز اضافته الى الفاعل والمفعول
معا فيكون هنا مضافا الى المفعول والمراد ما تقدم من ذنبهم اليك
في منعهم اياك عن مكة وصدهم لك عن المسجد الحرام ويكون معنى المغفرة
على هذا التأويل الازالة والنسخ لاحكام اعدائه من المشركين عليه اي يزيل الله تعالى
ذلك عنك ويستر عليك تلك الوصمة بما يفتح لك من مكة فستدخلها فيما
بعد ولذلك جعله جزاء على جهاده وعرضا في الفتح وجها له قال ولو انه اراد
مغفرة ذنوبه لم يكن لقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله معنى معقول
لان المغفرة للذنوب لا تعلق لها بالفتح فلا يكون غرضا له واما قوله ما تقدم
وما تأخر فلا يمتنع ان يريد به ما تقدم زمانه من فعلهم القبيح بك وبقومك
وقيل ايضا في ذلك وجوه اخر منها ان معناه لو كان لك ذنب قديم او حديث
لغفرناه لك ومنها ان المراد بالذنب هناك ترك المندوب وحسن ذلك
لان من المعلوم انه عليه السلام ممن لا يخالف الاوامر الواجبة فجاز ان يسمى ذنبا منه ما لو
وقع من غيره لم يسم ذنبا لعلو قدره ورفعة شأنه ومنها ان القول خرج مخرج
التعظيم وحسن الخطاب كما قيل في قوله عفا الله عنك وهذا ضعيف لان العادة
جرت في مثل هذا ان يكون على لفظ الدعاء وقوله معناه ويتم نعمته عليك في الدنيا
باظهارك على عدوك واعلاء امرك ونصرة دينك وبقاء شرعك وفي الآخرة
برفع محلك فان معنى تمام النعمة فعل ما يقتضيها وتبقيتها على صاحبها والزيادة
فيها وقيل ويتم نعمته عليك بفتح خيبر ومكة والطائف ويهديك صراطا
مستقيما اي ويثبتك على صراط يؤدي بسالكه الى الجنة وينصرك الله نصرا عزيزا
النصر العزيز هو ما يمتنع به من كل جبار عنيد وعات مريد وقد فعل ذلك بنبيه عليه السلام

اذ صبر دينه اعز الاديان وسلطانه اعظم السلطان هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين
وهي ان يفعل الله بهم اللطف الذي يحصل لهم عنده من البصيرة بالحق ما تسكن اليه
نفوسهم وذلك بكثرة ما ينصب لهم من الادلة الدالة عليه هذه النعمة التامة
للمؤمنين خاصة واما غيرهم فتضطرب نفوسهم لاول عارض من شبهة ترد عليهم اذ لا يجدون
برد اليقين وروح الطمانينة في قلوبهم وقيل هي النصرة للمؤمنين لتسكن بذلك قلوبهم
ويثبتوا في القتال وقيل هي ما اسكن قلوبهم من التعظيم لله ولرسوله ليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم اي يقينا الى يقينهم بما يرون من الفتوح وعلو كلمة الاسلام على وفق ما وعدوا
وقيل ليزدادوا تصديقا بشرايع الاسلام وهو انهم كلما امروا بشيء من الشرايع والفرايض
كالصلوة والصيام والصدقات صدقوا به وذلك بالسكينة التي انزلها الله في
قلوبهم عن ابن عباس في المعنى ليزدادوا معارف على المعرفة الحاصلة عندهم ولله جنود
السموات والارض يعني الملائكة والجن والانس والشياطين عن ابن عباس والمعنى انه
لو شاء لاعانك بهم وفيه بيان انه لو شاء لاهلك المشركين لكنه عالم بهم وبما يخرج من
اصلابهم فامهلهم لعلمه وحكمته ولم يامر بالقتال عن عجز واحتياج لكن ليعرض المجاهدين
الجزيل الثواب وكان الله عليما حكيما فان افعاله حكمة وصواب ليدخل المؤمنين والمؤمنات
تقديره انا فتحنا لك ليغفر لك الله انا فتحنا لك ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات
ولذلك لم يدخلها والعطف في ليدخل اعلاما بالتفصيل تجري من تحتها اي من تحت اشجارها
الانهار خالدين فيها اي دائمين مويدين لا يزول عنهم نعيمها ويكفر عنهم سياتهم
اي عقاب معاصيهم التي فعلوها في دار الدنيا وكان ذلك عند الله فوزا عظيما اي ظفرا
لعظم قدره قوله عز وجل وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ
الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ
وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمًا إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ

الله يد الله

اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ
عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا خمس آيات القراءة قد بينا اختلافهم في السوء
في سورة التوبة وقرا ابن كثير وابو عمرو ليؤمنوا بالله وما بعده بالياء والباقون
بالتاء وقرا اهل العراق فسيؤتيه بالياء والباقون بالنون وفي الشواذ قراءة الجحدري
وتعزروه بفتح التاء وضم الزاء خفيفا الحجة قال ابو علي حجة الياء انه لا يقال
لتؤمنوا بالله ورسوله وهو الرسول فاذا لم يسهل ذلك كانت القراءة بالياء
ليؤمنوا ومن قرا بالتاء فعلى قوله قل لهم انا ارسلناك شاهدا لتؤمنوا وحجة
الياء في فسيؤتيه قوله ومن اوفى بما عاهد عليه فسيؤتيه على تقديم ذكر الغيبة
وزعموا ان في حرف عبد الله فسوف يؤتيه والنون على الانصراف من الافراد الى لفظ
الكثرة وقال ابن جني من قرا تعزروه فالمعنى تمنعوه وتمنعوا دينه ونبيه فهو كقوله
ان تنصروا الله ينصركم اي تنصروا دينه فهو على حذف المضاف واما تعزروه بالتشديد
فتمنعوا منه بالسيف عن الكلبي وعزرت فلانا فخمت امره ومنه عزرة اسم رجل ومنه
عندي التعزير للضرب دون الحد وذلك انه لم يبلغ به ذل الحد الكامل فكانه
محاسنة فيه قال ابو حاتم وقرا بعضهم يعززوه اي يجعلوه عزيزا المعنى لما تقدم
الوعد للمؤمنين عقبه سبحانه بالوعيد للكافرين فقال ويعذب المنافقين
والمنافقات وهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون الشرك والنفاق
اسرار الكفر واظهار الايمان اخذ من نافقاء اليربوع وهو ان يجعل لسربه بابين يظهر
احدهما ويخفي الاخر فاذا اتي من الظاهر خرج من الاخر والمشركين والمشركات وهم الذين
يعبدون مع الله غيره الظانين بالله ظن السوء اي يتوهمون ان الله ينصرهم على رسوله
وذلك سوء اي قبيح والسوء المصدر والسوء الاسم وقيل هو ظنهم ان الرسول لا يعود
الى الموضع ولا دته ابدا وقيل هو ظنهم ان لن يبعث الله احدا ومثله وظننتم ظن السوء
عليهم دايرة السوء اي يقع بهم العذاب والهلاك والدائرة هي الراجع بخير او شر
قال حميد بن ثور ودايرات الدهر ان تدورا وقيل ان من قرا بالضم فالمراد دائرة

العذاب ومن قرأ بالفتح فالمراد ما جعله للمؤمنين من قتلهم وغنيمة اموالهم وغضب الله
عليهم ولعنهم اى ابعدهم من رحمته واعد لهم جهنم يجعلهم فيها وساءت مصيرا اى ما لا
ومرجعا ولله جنود السموات والارض انما كرر لان الاول متصل بذكر المؤمنين اى قتله
الجنود التى تقدر ان يعينكم بها والثانى يتصل بذكر الكافرين اى قتله الجنود التى بقدرة
على الانتقام منهم بها وكان الله عزيزا فى قهره وانتقامه من اعدائه حكيما فى فعله
وقضائه ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال انا ارسلناك يا محمد شاهدا على امتك
بما عملوه من طاعة ومعصية وقبول ورد او شاهدا عليهم بتبليغ الرسالة ومبشرا
بالجنة لمن اطاع ونذيرا من النار لمن عصى ثم بين سبحانه الغرض بالارسال فقال
لتؤمنوا به من قرأ بالياء فالمعنى ليؤمن هؤلاء الكفار بالله ورسوله وتعزروه اى ينصروه
بالسيف واللسان والهاء يعود الى النبى صلى الله عليه وآله وتوقروه اى تعظموه وتجلوه
وتسبحوه بكرة واصيلا اى وتصلوا لله بالغداة والعشى وقيل معناه وتنزهوه
عما لا يليق به وكثير من القراء اختاروا الوقف على وتوقروه لاختلاف الضمير فيه
وفيما بعده وقيل وتعزروه اى وتنصروا الله وتوقروه اى تعظموه وتطيعوه كقوله له
لا ترجون لله وقارا وعلى هذا فتكون الكنايات متفقة وفى هذه الاية دلالة على
بطلان مذهب اهل الجبر ان الله سبحانه يريد من الكفار الكفر لانه سبحانه صرح هنا
انه يريد من جميع المكلفين الايمان والطاعة ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله المراد بالبيعة هنا بيعة الحديبية وهى بيعة الرضوان بايعوا رسول الله
صلى الله عليه وآله على الموت انما يبايعون الله يعنى ان المبايعة معك يكون مبايعة
مع الله لان طاعتك طاعة الله وانما سميت بيعة لانها عقدت على بيع انفسهم
بالجنة للزومهم فى الحرب النصرة يد الله فوق ايديهم اى عقد الله فى هذه البيعة
فوق عقدهم لانهم بايعوا الله ببيعة نبيه وكانهم بايعوه من غير واسطة عن
السدى وقيل معناه قوة الله فى نصرة نبيه فوق نصرتهم اياه اى ثق بنصرة
الله لك لا بنصرتهم وان بايعوك عن ابن كيسان وقيل نعمة الله عليهم بنبيه فوق

ايديهم

ايديهم بالطاعة والمبايعة عن الكلبى وقيل يد الله بالثواب فى ما وعدهم من بيعتهم
من الجزاء فوق ايديهم بالصدق والوفاء عن ابن عباس فمن نكث اى نقض ما عقد
من البيعة فانما ينكث على نفسه اى يرجع ضرر ذلك النقض عليه وليس له الجنة ولا كرامة
عن ابن عباس ومن اوفى اى ثبت على الوفاء بما عاهد عليه الله من البيعة فسيؤتيه
اجرا عظيما اى ثوابا جزيلا قوله عز وجل سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا
أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ
يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ
فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ
إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ
تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ
إِلَّا قَلِيلًا خمس آيات القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم ضرا بضم الضاد يبدلوا
كلم الله بغير الف الباقون ضرا بالفتح كلام الله الحجة قال ابو على الضر خلاف
النفع فى التنزيل ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا والضر سوء الحال وفى التنزيل
فكشفنا ما به من ضر هذا الابين فى هذا الحرف وعندى يجوز ان يكونا لغتين
فى معنى كالفُقر والفَقر والضُعف والضَعف ومن قرأ كلام الله فوجهه انه
قيل فيهم لن يخرجوا معى ابدا فخص الكلام بما كان مفيدا وحديثا فقال كلام الله
ومن قرأ كلم الله قال الكلم قد يقع على ما يقع عليه الكلام وعلى غيره وان كان
الكلام بما ذكرنا اخص الا ترى انه قال وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل فانما هو
والله اعلم ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ومما يتصل به اللغة
المخلف هو المتروك فى المكان خلف الخارجين عن البلد وهو مشتق من الخلف ضد

المقدم والاعراب الجماعة من عرب البادية وعرب الحاضرة ليسوا باعراب
فرقوا بينهما وان كان اللسان واحدا والبور الفاسد الهالك وهو يصلح
لاثنين ولا يجمع يقال رجل بور ورجال بور قال يا رسول المليك ان لساني راتق
ما فتقت اذ انا بور وقال حسان لا ينفع الطول من نوك القلوب وقد يهدي
الاله سبيل المعشر البور المعنى ثم اخبر سبحانه عمن تخلف عن نبيه صلى الله
فقال سيقول لك المخلفون من الاعراب الذين تخلفوا عن صحبتك في وجهتك
وعمرتك وذلك انه صلى الله عليه وآله لما اراد المسير الى مكة عام الحديبية
معتمرا وكان في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة استنفر من حول المدينة من
الاعراب للخروج معه وهم غفار واسلم ومزينة وجهينة واشجع والديل حذرا
من قريش ان يعرضوا له بحرب او بصد واحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم انه
لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب فقالوا نذهب معه الى قوم قد جاؤه فقتلوا
اصحابه فتخلفوا عنه واعتلوا بالشغل فقال سبحانه انهم يقولون لك اذا انصرفت
اليهم فعاتبتهم على التخلف عنك شغلتنا اموالنا واهلونا عن الخروج معك
فاستغفر لنا في قعودنا عنك فكذبهم الله تعالى فقال يقولون بالسنتهم ما ليس
في قلوبهم كذبهم في اعتذارهم بما اخبر عن ضمايرهم واسرارهم اي لا يبالون استغفر لهم
النبي ام لا قل يا محمد فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا
اي فمن يمنعكم من عذاب الله ان اراد بكم سوءا او نفعا غنيمة عن ابن عباس وذلكم
انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وآله يدفع عنه الضر ويعجل لهم
النفع بالسلامة في انفسهم واموالهم فاخبرهم سبحانه انه ان اراد بهم شيئا
من ذلك لم يقدروا على دفعه عنهم بل كان الله بما تعملون خبيرا اي عالما
بما كنتم تعملون في تخلفكم بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم
ابدا اي ظننتم انهم لا يرجعون الى من خلفوا بالمدينة من الاهل والاولاد لان العدو
يستاصلهم ويصطلمهم وزين ذلك في قلوبهم اي زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم

وسوّله لكم وظننتم ظن السوء في هلاك النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين وكل هذا
من الغيب الذي لا يطلع عليه احد الا الله فصار معجزا لنبيه وكنتم قوما بورا
اي هلكى لا تصلحون لخير عن مجاهد وقيل قوما فاسدين عن قتادة ومن لم يؤمن
بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي نارا تسعرهم وتحرقهم ولله
ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ذنوبه ويعذب من يستحق العقاب وكان
الله غفورا رحيما ظاهر المعنى ثم قال سيقول المخلفون يعني هؤلاء اذا انطلقتم ايها
المؤمنون الى مغانم لتاخذوها يعني غنايم خيبر ذرونا نتبعكم اي اتركونا نجيء
معكم وذلك انهم لما انصرفوا من الحديبية بالصلح وعدهم الله سبحانه فتح خيبر
وخص بغنايمها من شهد بالحديبية فلما انطلقوا اليها قال هؤلاء المخلفون ذرونا
نتبعكم فقال سبحانه يريدون ان يبدلوا كلام الله اي مواعيد الله لاهل الحديبية
بغنيمة خيبر خاصة ارادوا تغيير ذلك بان يشاركوهم فيها عن ابن عباس وقيل
يريد امر الله لنبيه ان لا يسير معه منهم احد عن مقاتل قل لن تتبعونا كذلكم قال الله
من قبل اي قال الله بالحديبية قبل خيبر وقبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد
الحديبية لا يشركهم فيها غيرهم هذا قال ابن عباس ومجاهد وابن اسحق وغيرهم
من المفسرين وقال الجبائي اراد بقوله يريدون ان يبدلوا كلام الله قوله سبحانه
قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وهذا غلط فاحش لان هذه السورة
نزلت بعد الانصراف من الحديبية في سنة ست من الهجرة وتلك الاية نزلت في
الذين تخلفوا عن تبوك وكانت غزوة بعد فتح مكة وبعد غزوة حنين والطايف
ورجوع النبي صلى الله عليه وآله منها الى المدينة ومقامه ما بين ذي الحجة الى رجب
ثم تهيا في رجب للخروج الى تبوك وكان منصرفه من تبوك في بقية رمضان من سنة
تسع من الهجرة ولم يخرج عليه السلام بعد ذلك لقتال ولا غزو الى ان قبضه الله فكيف
يكون هذه الاية مراده بقوله كلام الله وقد نزلت بعده باربع سنين لولا ان العصبية
ترين على القلوب ثم قال فسيقولون بل تحسدوننا اي فسيقول المخلفون عن الحديبية

لكم اذا قلتم هذا لم يامركم الله تعالى به بل انتم تحسدوننا ان نشارككم فى الغنيمة
فقال الله سبحانه ليس الامر على ما قالوه بل كانوا لا يفقهون الحق وما يدعوهم اليه الا قليلا
اى الا فقها قليلا او شيئا قليلا وقيل معناه الا القليل منهم وهم المعاندون قوله
عزوجل قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولى باس شديد تقاتلونهم
او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل
يعذبكم عذابا اليما ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول
يعذبه عذابا اليما لقد رضى الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها
وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه
وكف ايدى الناس عنكم ولتكون اية للمومنين ويهديكم صراطا مستقيما
خمس آيات القراءة قرا اهل المدينة وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون والباقون
بالياء وهما فى المعنى سواء المعنى ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله قل يا محمد للمخلفين
الذين يخلفون عنك فى الخروج الى الحديبية من الاعراب ستدعون فيما بعد الى قوم اولى
باس شديد وهم هوازن وحنين عن سعيد بن جبير وعكرمة وقيل هم هوازن وثقيف
عن قتاده وقيل هم ثقيف عن الضحاك وقيل هم بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب عن
الزهرى وقيل اهل فارس عن ابن عباس وقيل هم الروم عن الحسن وكعب وقيل هم اهل صفين
اصحاب معوية والصحيح ان المراد بالداعى فى قوله ستدعون هو النبى صلى الله عليه وآله
لانه قد دعاهم بعد ذلك الى غزوات كثيرة وقتال اقوام ذوى نجدة وشدة مثل اهل
حنين والطايف ومؤتة والى تبوك وغيرها فلا معنى لحمل ذلك على ما بعد وفاته
تقاتلونهم او يسلمون معناه ان احد الامرين لا بد ان يقع لا محالة وتقديره او هم
يسلمون اى يقرون بالاسلام ويقبلونه وقيل ينقادون لكم وفى حرف ابى او يسلموا
وتقديره الى ان يسلموا وفى النصب دلالة على ان ترك القتال من اجل الاسلام اذا وقع

فان تطيعوا

فان تطيعوا فان تجيبوا الى قتالهم يؤتكم الله اجرا حسنا اى جزاء صالحا وان تتولوا
عن القتال وتقعدوا عنه كما توليتم من قبل عن الخروج الى الحديبية يعذبكم عذابا
اليما فى الاخرة ليس على الاعمى حرج اى ضيق فى ترك الحضور مع المومنين فى الجهاد
والاعمى الذى لا يبصر بجارحة العين ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
فى ترك الجهاد ايضا قال مقاتل عذر الله اهل الزمانة والافات الذين تخلفوا
عن المسير الى الحديبية بهذه الاية ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات
تجرى من تحتها الانهار معناه فى الامر بالقتال ومن يتول عن امر الله و
رسوله فيقعد عن القتال يعذبه عذابا اليما لقد رضى الله عن المومنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة يعنى بيعة الحديبية وتسمى بيعة الرضوان لهذه
الاية ورضا الله سبحانه عنهم هو ارادته تعظيمهم واثابتهم وهذا اخبار من الله
سبحانه انه رضى عن المومنين اذ بايعوا النبى صلى الله عليه وآله بالحديبية
تحت الشجرة المعروفة وهى شجرة السمرة فعلم ما فى قلوبهم من صدق النية فى
القتال والكراهة لانه بايعهم على القتال عن مجاهد وقيل ما فى قلوبهم من اليقين
والصبر والوفاء فانزل السكينة عليهم وهى اللطف المقوى لقلوبهم والطمانينة
واثابهم فتحا قريبا يعنى فتح خيبر عن قتاده واكثر المفسرين وقيل فتح مكة
عن الجبائى ومغانم كثيرة تاخذونها يعنى غنايم خيبر فانها كانت مشهورة
بكثرة الاموال والعقار وقيل يعنى غنايم هوازن بعد فتح مكة عن الجبائى
وكان الله عزيزا اى غالبا على امره حكيما فى افعاله ولذلك امر بالصلح وحكم للمسلمين
بالغنيمة ولاهل خيبر بالهزيمة ثم ذكر سبحانه ساير المغانم التى تاخذونها
فيما ياتى من الزمان فقال وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها مع النبى
صلى الله عليه وآله ومن بعده الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعنى غنيمة خيبر
وكف ايدى الناس عنكم وذلك ان النبى صلى الله عليه وآله لما قصد خيبر وحاصر اهلها
همت قبايل من اسد وغطفان ان يغيروا على اموال المسلمين وعيالهم بالمدينة

فكف الله ايديهم عنهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل ان مالك بن عوف وعيينه
بن حصين مع بني غطفان جاءوا لنصرة اليهود من خيبر فقذف الله الرعب
في قلوبهم وانصرفوا وليكون الغنيمة التي عجلها لهم ايه للمومنين حيث وعدهم
ان يصيبوها فوقع المخبر على وفق الخبر ويهديكم صراطا مستقيما اي ويزيدكم
هدى بالتصديق بمحمد وما جاء به مما ترون من عدة الله في القرآن بالفتح والغنيمة
قصة فتح الحديبيه قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج يريد مكه
فلما بلغ الحديبية وقفت ناقته وزجرها لم تنزجر وبركت فقال اصحابه خلات
الناقة فقال عليه السلم ما هذا لها عادة ولكن حبسها حابس الفيل ودعا عمر بن الخطاب
ليرسله الى اهل مكة ليأذنوا له بان يدخل من مكه ويحل من عمرته وينحر هديه
فقال يا رسول الله ما لي بها حميم واني اخاف قريشا لشدة عداوتي اياها ولكن ادلك
على رجل هو اعز بها مني عثمان بن عفان قال صدقت فدعا رسول الله صلى الله
عليه وآله عثمان فارسله الى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يات
لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فاحتبسته قريش عندها فبلغ
رسول الله والمسلمين ان عثمن قد قتل فقال عليه السلم لا ابرح حتى تناجز القوم
ودعا الناس الى البيعة فثار رسول الله الى الشجرة فاستند اليها وبايع
الناس على ان يقاتلوا المشركين ولا يفروا قال عبد الله بن معقل كنت قايما على راس
رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك اليوم وبيدي غصن من السمرة اذب عنه
وهو يبايع الناس فلم يبايعهم على الموت وانما بايعهم على ان لا يفروا وروى
الزهري وعروه بن الزبير والمسور بن مخرمه قالوا خرج رسول الله صلى الله
عليه وآله من الحديبية في بضع عشرة من اصحابه حتى اذا كانوا بذي الحليفه قلد
رسول الله الهدي واشعره واحرم بالعمرة وبعث بين يديه عينا له من خزاعه
يخبره عن قريش وسار رسول الله حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من
عسفان اتاه عينه الخزاعي فقال اني تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي قد جمعوا لك

الاحابيش

الاحابيش وجمعوا لك جموعا وهم قاتلوك ومقاتلوك وصادوك عن البيت فقال عليه السلم
روحوا حتى اذا كان ببعض الطريق قال النبي عليه السلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل
لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين وساروا حتى اذا كان بالثنية بركت راحلته
فقال عليه السلم ما خلات القصواء ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والله لا يسالوني
خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت به قال
فعدل حتى نزل باقصى الحديبيه على ثمد قليل الماء انما يتبرضه الناس تبرضا
فشكوا اليه العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه في الماء فوالله
ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبيناهم كذلك اذ جاءهم بديل بن ورقاء
الخزاعي في نفر من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وآله من اهل
تهامه فقال اني تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي ومعهم العوذ المطافيل وهم
مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انا لم نجئ
لقتال احد ولكن جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم
فان شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فان شاؤوا ان يدخلوا
فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم
على امري هذا حتى تنفرد سالفتي او لينفذن الله عز وجل امره فقال بديل سابلغهم
ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا قد جيناكم من عند هذا الرجل وانه
يقول كذا وكذا فقال عروة بن مسعود الثقفي فقال انه قد عرض عليكم خطة رشد
فاقبلوها ودعوني اتيه فقالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وآله وقال
له رسول الله نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد ارايت ان
استاصلت قومك هل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى
فوالله اني لارى وجوها واري اشوابا من الناس خلقاء ان يفروا ويدعوك
فقال له ابو بكر امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قال ابو بكر
قال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك

قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وآله وكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم
على راس النبي ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحيته رسول
الله ضرب يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله قبل ان لا ترجع اليك
فقال من هذا قال المغيرة بن شعبة قال اى غدر او لست اسعى في غدرتك قال
وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي
صلى الله عليه وآله اما الاسلام فقد قبلنا واما المال فانه مال غدر لا حاجة لنا فيه
ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب محمد صلى الله عليه وآله اذا امرهم رسول الله ابتدروا
امره واذا توضأ ثاروا يقتتلون على وضوئه واذا تكلموا خفضوا اصواتهم عنده وما
يحدون اليه النظر تعظيما له قال فرجع عروة الى اصحابه قال اى قوم والله لقد وفدت
على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه
ما يعظم اصحاب محمد اذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه
واذا تكلموا خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وانه قد
عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آتيه فقالوا
ائته فلما اشرف عليهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا فلان وهو من قوم
يعظمون البدن فابعثوها فبعثت له واستقبله القوم يلبون فلما راى ذلك
قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فقال رجل منهم يقال له
مكرز بن حفص فقال دعوني آته فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وآله هذا
مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وآله فبينا هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو
فقال عليه السلام قد سهل عليكم امركم فقال اكتب بيننا وبينك كتابا فدعا رسول الله
صلى الله عليه وآله علي بن ابي طالب عليه السلام فقال له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقال النبي صلى الله عليه وآله اكتب باسمك اللهم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله
صلى الله عليه وآله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت
ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وآله انى لرسول الله

وان كنتم تبتوني ثم قال لعلي عليه السلام امح رسول الله فقال يا رسول الله ان يدي لا تنطلق
بمحو اسمك من النبوة فاخذه رسول الله فمحاه ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله
سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يامن فيهن الناس
ويكف بعضهم عن بعض وعلى انه من قدم مكة من اصحاب محمد حاجا او معتمرا او يبتغي
من فضل الله فهو امن على دمه وماله ومن قدم المدينة من قريش مجتازا
الى مصر والى الشام فهو آمن على دمه وماله وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا اسلال
ولا اغلال وانه من احب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد
قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتواثبت
بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم فقال صلى الله عليه وآله على ان تخلوا بيننا
وبين البيت فنطوف فقال سهيل والله ما تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك
من العام المقبل فكتب فقال سهيل على انه لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته
الينا ومن جاءنا ممن معك لم نرده عليك فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين
وقد جاء مسلما فقال صلى الله عليه وآله من جاءهم منا فابعده الله ومن جاءنا منهم رددناه
فلو علم الله الاسلام من قلبه جعل له مخرجا فقال سهيل وعلى انك ترجع عنا عامك
هذا فلا تدخل علينا مكة فاذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها باصحابك
فاقمت بها ثلاثا ولا تدخلها بالسلاح الا السيوف في القراب وسلاح الراكب وعلى ان
هذا الهدي حيث ما حبسناه محله لا تقدمه علينا فقال عليه السلام نحن نسوقه وانتم تردون
فبيناهم كذلك اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من اسفل
مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول ما اقاضيك عليه ان ترده
فقال النبي صلى الله عليه وآله انا لم نقض بالكتاب بعد قال والله اذا لا اصالحك على شيء
ابدا فقال النبي صلى الله عليه وآله فاجزه لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل
قال مكرز بلى قد اجزناه قال ابو جندل بن سهيل رد الى المشركين وقد جئت مسلما
الا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا فقال عمر بن الخطاب والله ما شككت

منذ اسلمت الا يومئذ فاتيت النبي صلى الله عليه وآله فقلت الست نبي الله قال بلى قلت السنا
على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا فقال اني رسول الله
ولست اعصيه وهو ناصري قلت اولست كنت تحدثنا انا سناتي البيت ونطوف
حقا قال بلى افاخبرتك انا ناتيه العام قلت لا قال فانك تاتيه وتطوف به فنحر رسول الله
صلى الله عليه وآله بدنه ودعا بحالقه فحلق شعره ثم جاءه نسوة مؤمنات فانزل
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الآية قال محمد بن سنان
وحدثني بريدة بن سفين عن محمد بن كعب كاتب رسول الله صلى الله عليه وآله
في هذا الصلح كان علي بن ابي طالب عليه السلام فقال رسول الله ص هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله
سهيل بن عمرو فجعل علي عليه السلام يتلكاء ويابى ان يكتب الا محمد رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله فان لك مثلها تعطيها وانت مضطهد فكتب قالوا ثم رجع رسول
الله ص الى المدينة فجاءه ابو بصير رجل من قريش وهو مسلم فارسلوا في طلبه رجلين
فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة
فنزلا ياكلون من تمرهم قال ابو بصير لاحد الرجلين اني لارى سيفك هذا جيدا
جدا فاستله وقال اجل انه لجيد وجربت به ثم جربت فقال ابو بصير ارني انظر
اليه وامكنه منه فضربه حتى برد وفر الاخر حتى بلغ المدينة فدخل المسجد يعدو
فقال رسول الله حين رآه لقد راى هذا ذعرا فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وآله
قال قتل والله صاحبي واني لمقتول قال فجاء ابو بصير فقال رسول الله ص قد اوفى
الله ذمتك ورددتني اليهم ثم انجاني الله منهم فقال النبي صلى الله عليه وآله
ويل امه مسعر حرب لو كان له احد فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج
حتى اتى سيف البحر وانفلت منهم ابو جندل بن سهيل فلحق بابي بصير فلا يخرج من قريش
رجل قد اسلم الا لحق بابي بصير حتى اجتمعت عليه عصابة قال فوالله لا يسمعون بعير
لقريش قد خرجت الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسلت
قريش الى النبي عليه السلام تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم فمن اتاه منهم فهو امن

فارسل عليه

فارسل عليه السلام اليهم فاتوه **قصة فتح خيبر** ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله
المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة ثم خرج منها غازيا الى خيبر ذكر
ابن اسحق باسناده عن ابي مروان الاسلمي عن ابيه عن جده قال خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وآله الى خيبر حتى اذا كنا قريبا واشرفنا عليها قال رسول الله
صلى الله عليه وآله قفوا فوقف الناس فقال اللهم رب السماوات السبع وما اظللن
ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن انا نسئلك
خير هذه القرية وخير اهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية
وشر اهلها وشر ما فيها اقدموا باسم الله وعن سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وآله الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن
الاكوع الا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعرا فجعل يقول شعر لاهم
لولا انت ما حجتنا ولا تصدقنا ولا صلينا فاغفر فداء لك ما اتقينا وثبت الاقدام
ان لاقينا وانزلن سكينة علينا انا اذا صيح بنا اتينا وبالصياح عولوا علينا فقال
رسول الله من هذا السائق قالوا عامر قال يرحمه الله قال عمر وهو على جمل
يا رسول الله لولا امتعتنا به وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله ما استغفر
لرجل قط يخصه الا استشهد قالوا فلما جد الحرب وتصاف القوم خرج يهودي
وهو يقول قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب اذا الحروب
اقبلت تلهب فبرز اليه عامر فقال قد علمت خيبر اني عامر شاكي السلاح بطل
مغامر فاختلفا ضربتين فوقع سيف اليهودي في ترس عامر وكان سيف عامر
فيه قصر فتناول به ساق اليهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فاصاب عين ركبة
عامر فمات منه قال سلمة فاذا نفر من اصحاب رسول الله يقولون بطل عمل عامر
قتل نفسه قال فاتيت النبي صلى الله عليه وآله وانا ابكي فقلت قالوا ان عامر
ابطل عمله فقال من قال ذلك قلت نفر من اصحابك فقال كذب اولئك
بل اوتي من الاجر مرتين قال فحاصرناهم حتى اصابتنا مخمصة شديدة ثم ان الله

فتحها عليا وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله اعطى اللواء عمر بن الخطاب ونهض
من نهض معه من الناس فلقوا اهل خيبر فانكشف عمر واصحابه فرجعوا الى رسول
الله يجبنه اصحابه ويجبنهم وكان رسول الله اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس
فقال حين افاق من وجعه ما فعل الناس بخيبر فاخبر فقال لاعطين الراية غدا
رجلا يحب الله ورسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه وروى البخاري
ومسلم بن قتيبة وابن سعيد قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الاسكندراني عن
ابي حازم قال اخبرني سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر
لاعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله
ورسوله قال فبات الناس يدوكون ليلتهم ايهم يعطيها فلما اصبح الناس غدوا
على رسول الله كلهم يرجون ان يعطاها فقال اين علي بن ابي طالب قالوا يا رسول الله هو
يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله في عينيه ودعا له فبرا
كان لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال علي يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا
قال انفذ على رسلك حتى تنزل ساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم
من حق الله فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير من ان يكون لك حمر النعم
قال سلمة فبرز مرحب وهو يقول قد علمت خيبر اني مرحب الابيات فبرز له علي ع
وهو يقول انا الذي سمتني امي حيدره كليث غابات كريه المنظره اوفيهم بالصاع
كيل السندره فضرب مرحبا ففلق راسه وكان الفتح اورده مسلم في الصحيح وروى
ابو عبد الله الحافظ باسناده عن ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله
قال خرجنا مع علي حين بعثه رسول الله فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم
فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علي باب الحصن فتترس به
عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم القاه من يده فلقد رايتني
في نفر مع سبعة انا ثامنهم نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما استطعنا ان نقلبه وباسناده
عن ليث بن ابي سليم عن ابي جعفر محمد بن علي قال حدثني جابر بن عبد الله ان عليا ع

حمل الباب

حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها وانه حرك فلم يحركه اربعون رجلا
قال وروي من وجه آخر عن جابر ثم اجتمع عليه سبعون رجلا فكان جهدهم ان اعادوا
الباب وباسناده عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان علي عليه السلام يلبس في الحر والشتاء
القباء المحشو الثخين وما يبالي الحر فاتاني اصحابي فقالوا انا راينا من امير المؤمنين
شيئا فهل رايت فقلت وما هو قالوا رايناه يخرج علينا في الحر الشديد في القباء
المحشو الثخين وما يبالي الحر ويخرج علينا في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين وما
يبالي البرد فهل سمعت في ذلك شيئا فقلت لا فقالوا فسل لنا اباك عن ذلك فانه
يسمر معه فسالته فقال ما سمعت في ذلك شيئا فدخل على علي عليه السلام فسمر معه ثم ساله عن ذلك
فقال او ما شهدت معنا خيبر قلت بلى قال فما رايت رسول الله حين دعا ابا بكر فعقد
له ثم بعثه فانطلق فلقي القوم فقاتلهم ثم رجع وقد هزم فقال رسول الله ص
لاعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح عليه
كرارا غير فرار فدعاني فاعطاني الراية ثم قال اللهم اكفه الحر والبرد فما وجدت
بعد ذلك حرا ولا بردا وهذا كله منقول من كتاب دلايل النبوة للامام ابي بكر
البيهقي ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله يفتح الحصون حصنا حصنا
ويحوز الاموال حتى انتهوا الى حصن الوطيح والسلالم وكان آخر حصون
خيبر افتتح وحاصرهم رسول الله بضع عشرة ليلة قال ابن اسحق ولما افتتح
القموص حصن ابن ابي الحقيق اتي رسول الله صلى الله عليه وآله بصفية بنت
حيي بن اخطب وباخرى معها فمر بهما بلال وهو الذي جاء بهما على قتلى من قتلى
يهود فلما راتهم التي معها صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب
على راسها فلما راها رسول الله صلى الله عليه وآله قال اعزبوا عني هذه الشيطانة
وامر بصفية فحيزت خلفه والقى عليها رداءه فعرف المسلمون انه قد اصطفاها
لنفسه وقال صلى الله عليه وآله لبلال لما راى من تلك اليهودية ما راى انزعت
منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامراتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رات في المنام

وهي عروس بكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها
فقال لها ما هذا الا انك تمنين ملك الحجاز محمدا ولطم وجهها لطمة اخضرت عينها
منها فاتي بها رسول الله وبها اثر منها فسألها رسول الله ما هو فاخبرته وارسل
ابن ابي الحقيق الى رسول الله صلى الله عليه وآله انزل فاكلمك قال نعم فنزل وصالح رسول
الله ص على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر
وارضها بذراريهم ويخلون بين رسول الله عليه السلام وبين ما كان لهم من مال وارض
على الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة وعلى البز الا ثوب على ظهر انسان وقال رسول
الله صلى الله عليه وآله فبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله ان كتمتموني شيئا فصالحوه
على ذلك فلما سمع بهم اهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا الى رسول الله صلى الله
عليه وآله يسألونه ان يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلون بينه وبين الاموال ففعل ذلك
وكان ممن مشى بين رسول الله وبينهم محيصة بن مسعود احد بني حارثة فلما نزل اهل خيبر
على ذلك سألوا رسول الله ان يعاملهم الاموال على النصف وقالوا نحن اعلم بها منكم
واعمر لها فصالحهم رسول الله على النصف على انا اذا شئنا ان نخرجكم اخرجناكم وصالح
اهل فدك على مثل ذلك فكانت اموال خيبر فيئا بين المسلمين وكانت فدك
خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله لانهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب ولما اطمأن
رسول الله صلى الله عليه وآله اهدت له زينب بنت الحارث بن سلام ابن مشكم وهي
ابنة اخي مرحب شاة مصلية وقد سألت اي عضو من الشاة احب الى رسول الله ص
فقيل لها الذراع فاكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما
وضعتها بين يديه تناول الذراع فاخذها فلاك منها مضغة وانتهش منها ومعه
بشر بن البراء بن معرور فتناول عظما فانتهش منه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
ارفعوا ايديكم فان كتف هذه الشاة تخبرني انها مسمومة ثم دعاها فاعترفت
فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان نبيا
فسيخبر وان كان ملكا استرحت منه فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وآله

ومات بشر بن

ومات بشر بن البراء من اكلته التي اكل قال ودخلت ام بشر بن البراء على رسول الله تعوده
في مرضه الذي توفي فيه فقال عليه السلام يا ام بشر ما زالت اكلة خيبر التي اكلت بخيبر
مع ابنك تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وكان المسلمون يرون ان رسول
الله مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة قوله عز وجل وأخرى لم تقدروا
عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا
لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل
ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم
ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هم الذين
كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير
علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم
عذابا أليما خمس آيات القراءة قرأ ابو عمرو بما يعملون بالياء والباقون بالتاء
الحجة قال ابو علي وجه قول ابي عمرو كان الله بما عمل الكفار من كفرهم وصدهم عن
المسجد الحرام ومنعكم من دخوله بصيرا فيجازي عليه ووجه التاء ان الخطاب قد جرى
للفريقين في قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم فالخطاب لتقدم هذا
الخطاب اللغة التبديل رفع احد الشيئين وجعل الآخر مكانه فيما حكمه ان يستمر على
ما هو به ولو رفع الله حكما الى خلافه لم يكن تبديلا لحكمه لانه لا يرفع شيئا الا في وقت
يقتضي الحكمة رفعه فيه والمعكوف الممنوع من الذهاب في جهة بالاقامة في مكان
ومنه الاعتكاف وهو الاقامة في المسجد للعبادة وعكف على هذا الامر يعكف
عكوفا اذا اقام عليه والمعرة الامر القبيح المكروه يقال عر فلان فلانا اذا شانه والحق
به عيبا وبه سمي الجرب عرا والعذرة عرة الاعراب سنة الله منصوب على المصدر
والمعنى سن الله خذلانهم سنة وموضع ان تطأوهم رفع بدل من رجال والمعنى
لولا ان تطأوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ثم قال لو تزيلوا لعذبنا الآية

والتقدير وطي رجال ونساء اى قتلهم وهو بدل الاشتمال مثل نفعني عبد الله علمه
واعجبتني الجارية حسنها ويجوز ان يكون موضع ان تطوهم نصبا على البدل من الهاء
والميم فى تعلموهم والتقدير ولولا رجال ونساء لم تعلموا ان تطاوهم اى لم تعلموا
وطاهم وهو بدل الاشتمال ايضا وقوله لم تعلموهم ان تطاوهم فى موضع رفع صفة
لرجال ونساء وجواب لولا يغني عنه جواب لو فى قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا
وقوله والهدى عطف على الكاف والميم فى صدوكم اى صدوكم وصدوا الهدى
ومعكوفا حال وقوله ان يبلغ تقديره كراهة ان يبلغ فحذف المضاف وقيل معكوفا
من ان يبلغ فحذف من النزول سبب نزول قوله وهو الذى كف ايديهم عنكم الاية
ان المشركين بعثوا اربعين رجلا عام الحديبية ليصيبوا من المسلمين فاتى بهم
النبى صلى الله عليه وآله اسرى فخلى سبيلهم عن ابن عباس وقيل انهم كانوا ثمانين
رجلا من اهل مكة هبطوا من جبل التنعيم عند صلوة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم
فاخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله واعتقهم عن انس وقيل كان رسول الله
جالسا فى ظل شجرة وبين يديه على عليه السلم يكتب كتاب الصلح فخرج ثلثون شابا عليهم
السلاح فدعا عليهم النبى صلى الله عليه وآله فاخذ الله بابصارهم فقمنا فاخذناهم
فخلى سبيلهم فنزلت هذه الاية عن عبد الله بن المعقل المغني ثم عطف سبحانه
على ما تقدم بعد النبى المؤمنين فتوحا آخر فقال واخرى لم تقدروا عليها قد اعدها
الله ووعدكم الله مغانم اخرى لم تقدروا عليها بعد فيكون اخرى فى محل النصب
وقيل معناه وقرية اخرى لم يقدروا عليها قد اعدها الله لكم وهى مكة عن قتاده
وقيل هى ما فتح على المسلمين بعد ذلك اليوم عن مجاهد وقيل ان المراد بها فارس
والروم عن ابن عباس والحسن والجبائى قالوا ان النبى صلى الله عليه وآله بشرهم كنوز
كسرى وقيصر وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم وفتح مدائنها بل كانوا
خولا لهم حتى قدروا عليها بالاسلام قد احاط الله بها اى قدر الله عليها واحاط علما
بها فجعلهم بمنزلة قوم ادبر حولهم فما يفقد واحد منهم اى يفلت قال الفراء احاط الله

بهالكم

بها لكم حتى يفتحوا عليكم فكانه قال حفظها عليكم ومنعها من غيركم حتى يفتحوها
فتاخذوها وكان الله على كل شئ من فتح القرى وغير ذلك قديرا ولو قاتلكم
الذين كفروا من قريش يوم الحديبية يا معشر المؤمنين لولوا الادبار منهزمين
بنصرة الله اياكم وخذلان الله اياهم عن قتاده والجبائى وقيل الذين كفروا
من اسد وغطفان الذين ارادوا نهب ذرارى المسلمين ثم لا يجدون وليا
ولا نصيرا يواليهم وينصرهم ويدافع عنهم وهذا من علم الغيب وفى الاية دلالة على
انه يعلم ما لم يكن ان لو كان كيف يكون وفى ذلك اشارة الى ان المعدوم معلوم
سنة الله التى قد خلت من قبل اى هذه سنتى فى اهل طاعتى واهل معصيتى وانصر
اوليائى واخذل اعدائى عن ابن عباس وقيل معناه هذه طريقة الله وعادته
السالفة ان كل قوم اذا قاتلوا انبياءهم انهزموا وقتلوا ولن تجد لسنة الله
فى غيره رسله تبديلا اى تغييرا وهو الذى كف ايديهم عنكم بالرعب وايديكم
عنهم بالنهى ببطن مكة يعنى الحديبية من بعد ان اظفركم عليهم ذكر الله منته على
المؤمنين بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلا وحتى اتفق بينهم الصلح الذى
كان اعظم من الفتح فكان الله بما تعملون بصيرا ثم فسر ثم ذكر سبحانه
سبب منعه رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك العام دخول مكة فقال هم
الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا وتحلوا من عمرتكم
يعنى قريشا والهدى معكوفا ان يبلغ محله اى وصدوا الهدى وهى البدن
التى ساقها رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت سبعين بدنة حتى بلغ ذا الحليفة
فقلد البدن التى ساقها واشعرها واحرم بالعمرة حتى نزل بالحديبية ومنعه
المشركون وكان الصلح فلما تم الصلح نحروا البدن فذلك قوله معكوفا اى محبوسا
عن ان يبلغ محله اى منحره وهو حيث يحل نحره يعنى مكة لان هدى لا يذبح الا بمكة كان
هدى الحج لا يذبح الا بمنى قوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يعنى المستضعفين
الذين كانوا بمكة بين الكفار من اهل الايمان لم تعلموهم باعيانهم لاختلاطهم بغيرهم

ان تطاوهم بالقتل وتوقعوا بهم فتصيبكم منهم معرة اى اثم وجناية عن ابن زيد وقيل فيلحقكم
بذلك عيب يعيبكم المشركون بانهم قتلوا اهل دينهم وهو عن م الدية والكفارة في قتل الخطا
عن ابن عباس وذلك انهم قتلوا اهل دينهم لو كسبوا مكه وفيها قوم مومنون لم يتميزوا
من الكفار ولم يامنوا ان يقتلوا المومنين فتلزمهم الكفارة وتلحقهم السبة بقتل
من على دينهم فهذه المعرة التي صان الله المومنين عنها وجواب لولا محذوف وتقديره
لولا المومنون الذين لم تعلموهم لوطيتم رقاب المشركين بنصرنا اياكم وقوله بغير علم
موضعه التقديم لان التقدير لولا ان تطاوهم بغير علم وقوله ليدخل الله في رحمته من يشاء
يعني من اسلم من الكفار بعد الصلح وقيل ليدخل في رحمته اولئك بسلامتهم من القتل
ويدخل هولاء في رحمته بسلامتهم من الطعن والعيب لو تزيلوا اى تميز المومنون من الكافرين
لعذبنا الذين كفروا منهم اى من اهل مكه عذابا اليما بالسيف والقتل بايديكم ولكن الله
تعالى يدفع بالمومنين عن الكفار فلحرمة اختلاطهم بهم لم نعذبهم قوله عز وجل
اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله
وعلى المومنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله
بكل شيء عليما لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء
الله امنين محلقين روسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون
ذلك فتحا قريبا هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم
تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود
ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه فازره فاستغلظ
فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما اربع آيات القراة قراء ابن كثير غير ابن فليح وابن
ذكوان شطاه بفتح الطاء والباقون بسكونها وقراء ابن عامر فازره بقصر الهمزة
والباقون فازره بالمد وفي الشواذ قراة الحسن اشداء على الكفار رحماء بينهم بالنصب فيهما

وقرا عيسى

وقراء عيسى الهمداني شطأه بالمد والنهي والهمزة شطاه ايضا الحجة قال ابو علي سنه ان يكون
شطاه لغة في شطاء فيكون كالشمع والشمع والنهر والنهر ومن خفف الهمزة في شطاه حذفها
والقى حركتها على الطاء فقال شطاه قال ابو زيد اشطات الشجرة بغصونها اذا اخرجت
غصونها ابو عبيده اخرج شطاه فراخه واشطاء الزرع فهو مشط اى مفترخ وازره
على فاعله معناه ساواه وصار مثل الام وفاعله الشطء اى آزر الشطء الزرع فصار في طوله
قال امرؤ القيس شعر بمحنية قد آزر الضال نبتها، مضم جيوش غانمين وخيب، اى ساوى نبته
الضال فصار في قامته لانه لا يرعى ويجوز ان يكون فاعل آزر الزرع اى آزر الزرع الشطأ
ومن الناس من يفسر آزره اعانه وقواه فعلى هذا يكون آزر الزرع الشطا قال ابو الحسن ازره
افعله وهو الاشبه ليكون قول ابن عامر ازره فعله فيكون فيه لغتان فعل وافعل لانهما
كثيرا ما يتعاقبان على الكلمة ومن قرا اشداء بالنصب فهو نصب على الحال من معه اى هم معه
على هذه الحال اللغة الحميه الانفه والانكار يقال فلان ذو حمية منكره اذا كان ذا غضب
وانفه والكفار الزراع ومنه الزراع يغطي البذر وكل شيء قد غطيته فقد كفرته ومنه
يقال لليل كافر لانه يستر بظلمته كل شيء قال شعر القت ذكاء يمينها في كافر وقال لبيد
مصراع في ليلة كفر النجوم غمامها الاعراب محمد مبتداء رسول الله عطف بيان
والذين معه عطف على محمد واشداء خبر محمد وما عطف عليه وقيل محمد مبتداء ورسول
الله خبره والذين معه مبتداء وما بعده خبره يبتغون فضلا من الله ان شئت
كان في موضع الحال وان شئت كان خبرا بعد خبر وان شئت كان هو الخبر فيمن نصب
اشداء ويكون تراهم ايضا في موضع النصب مثل اشداء ذلك مثلهم في التورية اشداء خبر وفي
والكلام تام ثم ابتداء وخبر والكلام تام ثم ابتداء وقال ومثلهم في الانجيل كزرع
اخرج شطاه فلهم مثلان احدهما في التورية والثاني في الانجيل وكذلك قوله كزرع
اخرج شطاه في التورية والانجيل فيكون قوله كزرع خبر مبتداء مضمر اى هم كزرع اخرج
شطاه المعنى ثم قال سبحانه اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية اذ يتعلق بقوله
لعذبنا اى لعذبنا الذين كفروا اذ ذاك في قتالهم حين جعلوا في قلوبهم الانفة التي يحمى لها

اي حمية قلوبهم بالغضب فتلك الحمية حمية الجاهلية اي عاداه اباؤهم في الجاهلية ان لا يذعنوا
لاحد ولا ينقادوا له وذلك ان كفار مكة قالوا قد قتل محمد واصحابه اباءنا واخواننا ويدخلون
علينا في منازلنا فتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلونها
علينا فهذه الحمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم وقيل هي انفتهم من الاقرار بمحمد صلى الله
عليه وآله والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم حيث اراد ان يكتب كتاب العهد بينهم عن
الزهري فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى هي قوله لا اله
الا الله عن ابن عباس وقتاده ومجاهد وكانوا احق بها واهلها قيل ان فيه تقديما وتاخيرا
والتقدير وكانوا اهلها واحق بها اي كان المؤمنون اهل تلك الكلمة واحق بها من المشركين
وقيل معناه وكانوا احق بنزول السكينة عليهم واهلا لها وقيل كانوا احق بمكة ان يدخلوها اهلها
وقد يكون حق احق من غيره الا ترى ان الحق الذي هو طاعة يستحق به المدح احق من الحق الذي
هو مباح لا يستحق به ذلك وكان الله بكل شيء عليما اذا ذم الكفار بالحمية ومدح المؤمنين
بلزوم الكلمة والسكينة بين علمه ببواطن سرايرهم وما ينطوي عليه عقد ضمايرهم لقد صدق
الله رسوله الرؤيا بالحق قالوا ان الله تعالى ارى نبيه في المنام بالمدينة قبل ان يخرج
الى الحديبية ان المسلمين دخلوا المسجد الحرام فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم
داخلوا مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا مكة قال المنافقون ما حلقنا ولا قصرنا
ولا دخلنا المسجد الحرام فانزل الله هذه الاية واخبر انه ارى رسوله الصدق في منامه لا الباطل
وانهم يدخلونه واقسم على ذلك فقال لتدخلن المسجد الحرام يعني العام المقبل ان شاء الله
قال ابو العباس ثعلب استثنى الله فيما يعلم ليستثني الناس فيما لا يعلمون وقيل ان الاستثناء
من الدخول كان بين الاية والدخول سنة وقد مات منهم اناس في السنة فيكون تقديره
لتدخلن كلكم ان شاء الله اذ علم ان منهم من يموت قبل السنة او يمرض فلا يدخلها فادخل
الاستثناء لئلا يقع في الخبر خلف عن الجبائي وقيل ان الاستثناء داخل على الخوف والامن فاما
الدخول فلا شك فيه وتقديره لتدخلن المسجد الحرام آمنين من العدو ان شاء الله
فهذه الاقوال الثلاثة للبصريين وقيل ان ان بمعنى اذا اي اذا شاء الله حين ارى رسوله ذلك

عن ابي عبيده ومثله قوله وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين قال معناه اذ كنتم وهو القول الاخير
البصريون محلقين رؤوسكم ومقصرين اي محرمين يحلق بعضكم رأسه ويقصر بعض وهو
ان يؤخذ بعض الشعر وفي هذا دلالة على ان المحرم بالخيار عند التحلل من الاحرام ان شاء حلق
وان شاء قصر لا تخافون مشركا فعلم من الاصلاح في صلح الحديبية ما لم تعلموا وقيل علم في تاخير
دخول المسجد الحرام من الخير والصلاح ما لم تعلموه انتم وهو خروج المؤمنين من بينهم وفتح الصلح
المبارك موقعه فجعل من دون ذلك من قبل الدخول فتحا قريبا يعني فتح خيبر عن عطاء
ومقاتل وقيل يعني صلح الحديبية وكذلك جرى في عمرة القضاء في السنة التالية منه
وهي سنة سبع من الهجرة في ذي القعدة وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن المسجد الحرام
خرج النبي صلى الله عليه وآله ودخل مكة مع اصحابه معتمرين واقاموا بمكة ثلاثة ايام ثم رجعوا
الى المدينة وعن الزهري قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جعفر بن ابي طالب بين يديه
الى ميمونة بنت الحرث فزوجها العباس رسول الله ص فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله
امر اصحابه فقال اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف ليرى المشركين جلدهم وقوتهم فاستلف
اهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون الى رسول الله واصحابه وهم يطوفون بالبيت
وعبد الله بن رواحه يرتجز بين يدي رسول الله متوشحا السيف يقول شعر خلوا بني الكفار
عن سبيله قد انزل الرحمن في تنزيله في صحف تتلى على رسوله اليوم نضربكم على تاويله
كما ضربناكم على تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله يا رب
اني مؤمن بقيله اني رايت الحق في قبوله ويشير بيده الى رسول الله صلى الله عليه وآله
وانزل الله في تلك العمرة الشهر الحرام بالشهر الحرام وهو ان رسول الله اعتمر في الشهر الحرام
الذي صد فيه ثم قال سبحانه هو الذي ارسل رسوله يعني محمدا صلى الله عليه وآله بالهدى اي
بالدليل الواضح والحجة الساطعة وقيل بالقرآن ودين الحق اي الاسلام ليظهره على الدين
كله اي ليظهر دين الاسلام بالحجج والبراهين على جميع الاديان وقيل بالغلبة والقهر
والانتشار في البلدان وقيل ان تمام ذلك عند خروج المهدي عليه السلام فلا يبقى في الارض
دين سوى دين الاسلام وكفى بالله شهيدا بذلك ثم قال سبحانه محمد رسول الله نص

على اسمه لتزول كل شبهه ثم الكلام بنا ثم اثنى على المؤمنين فقال والذين معه اشداء
على الكفار رحماء بينهم قال الحسن بلغ تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون عن ثياب
المشركين حتى لا يلتزقون بثيابهم وعن ابدانهم حتى لا يمس ابدانهم وبلغ تراحمهم فيما بينهم
ان كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه ومثله قوله اذلة على المؤمنين
اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا هذا اخبار عن كثرة صلوتهم ومداومتهم عليها
يبتغون فضلا من الله ورضوانا اى يلتمسون بذلك زيادة نعمهم من الله ويطلبون
مرضاته سيماهم في وجوههم من اثر السجود اى علامتهم يوم القيمة ان يكون مواضع
سجودهم كالقمر ليلة البدر وقيل هو التراب على الجباه لانهم يسجدون على التراب
لا على الاثواب عن عكرمه وسعيد بن جبير وابى العاليه وقيل هو الصفرة والنحول عن الضحاك
قال الحسن اذا رايتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى وقال عطاء الخراسانى دخل فى هذه
الاية كل من صلى الخمس ذلك مثلهم فى التورية يعنى ان ما ذكر من وصفهم هو ما وصفوا به
فى التورية ايضا ثم ذكر نعتهم فى الانجيل فقال ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطأه اى فراخه
عن الضحاك وقيل ليس بينهما وقف والمعنى ذلك مثلهم فى التورية والانجيل جميعا عن مجاهد
والمعنى كمثل زرع اخرج شطأه اى فراخه فآزره اى اشده واعانه وقواه قال المبرد
يعنى ان هذه الافراخ لحقت الامهات حتى صارت مثلها فاستغلظ اى غلظ ذلك الزرع
فاستوى على سوقه اى قام على قصبه واصوله فاستوى الصغار مع الكبار والسوق
جمع الساق والمعنى انه تناهى وبلغ الغاية يعجب الزراع اى يروع ذلك الزرع الزراع اى الاكرة
الذين زرعوه قال الواحدى هذا مثل ضربه الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وآله واصحابه
والزرع محمد والشطاء اصحابه والمؤمنون حوله وكانوا فى ضعف وقلة كما يكون اول
الزرع دقيقا وقوى وتلاحق وكذلك المؤمنون قوى بعضهم بعضا حتى استغلظوا واستووا
على امرهم ليغيظ بهم الكفار اى انما كثرهم الله وقواهم ليكونوا غيظا للكافرين بتوافرهم
وتظاهرهم واتفاقهم على الطاعة ثم قال سبحانه وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
منهم اى من اقام على الايمان والطاعة منهم مغفرة اى سترا على ذنوبهم الماضية واجرا عظيما

اى فوزا بالجزيل

71

اى فوزا جزيلا سورة الحجرات مدنيه عن الحسن وقتاده وعكرمه وعن ابن عباس
الا اية قوله يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى عدد آيها ثمانى عشرة اية
بالاجماع فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال من قرا سورة الحجرات اعطى
من الاجر عشر حسنات بعدد كل من اطاع الله ورسوله ومن عصاه الحسين بن ابى
العلاء عن ابى عبد الله عليه السلم قال من قرا سورة الحجرات فى كل ليلة او فى كل يوم كان من
زوار محمد صلى الله عليه وآله تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة الفتح بذكر نبيه م
افتتح هذه السورة ايضا بذكره وما يختص به من الاجلال والاعظام فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا
لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ خمس ايات
القراءة قرا يعقوب لا تَقَدَّموا بفتح التاء والدال والباقون بضم التاء وكسر الدال
وقرا ابو جعفر الحجَرات بفتح الجيم والباقون بضمها الحجة قال ابن جنى معناه لا تفعلوا
ما تؤثرونه وتتركوا ما امركم الله ورسوله به وهذا معنى القراءة المشهورة لا تقدموا
اى لا تقدموا امرا على ما امركم الله به فالمفعول هنا محذوف كما ترى ومن قرا الحجرات
ابدل من الضمة فتحة استثقالا لتوالى الضمتين ومنهم من اسكن فقال الحجرات مثل عضد
وعضد وقال ابو عبيدة حجرات جمع حجر فهو جمع الجمع اللغة قدم تقديما واقدم اقداما
واستقدم وقدم وكل ذلك بمعنى تقدم والجهر ظهور الصوت بقوة الاعتماد ومنه الجهار
فى المنطق وجاهر بالامر مجاهرة ويقال جهارا نهارا ونقيض الجهر الهمس والحروف المجهورة
تسعة عشر حرفا اطلقن ضر غم عجز ظبى ذواد وما عداها من الحروف مهموس يجمعها قولك فحثه شخص سكت

تخصه والغض الحط من منزلة على وجه التصغير يقال غض فلان من فلان اذا صغر ما له
من هو ارفع منه وغض بصره اذا ضعفه عن حدة النظر قال جرير فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا الاعراب ان تحبط اعمالكم في محل النصب لانه مفعول له ويجوز ان يكون في محل
جرا للام المقدرة اى لان تحبط اعمالكم وقيل تقديره كراهة ان تحبط وحذرا ان تحبط
النزول نزل قوله يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم الى قوله غفور رحيم في وفد
تميم وهم عطارد بن حاجب بن زرارة في اشراف من بني تميم منهم الاقرع بن حابس والزبرقان
بن بدر وعمرو بن الاهتم وقيس بن عاصم في وفد عظيم فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله
من وراء الحجرات ان اخرج الينا يا محمد فاذى ذلك رسول الله فخرج اليهم فقالوا جئناك
لنفاخرك فاذن لشاعرنا وخطيبنا فقال قد اذنت فقام عطارد بن حاجب فقال الحمد لله
الذي جعلنا ملوكا الذي له الفضل علينا والذي وهب لنا اموالا عظاما نفعل بها المعروف
وجعلنا اعز اهل المشرق واكثره عددا وعدة فمن مثلنا في الناس فمن فاخرنا فليعدد
مثل ما عددنا ولو شئنا لاكثرنا من الكلام ولكنا نستحي من الاكثار خلق السموات
والارض خلقه قضى فيهن امره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط الا من فضله
ان جعلنا ملوكا واصطفى من خيرنا رسولا اكرمه نسبا واصدقه حديثا وافضله
حسبا فانزل بر المهاجرون وايمنه على خلقه فكان خيرة الله على العالمين ثم دعا
الناس الى الايمان فامن اجابه واستجاب لله حين دعاه رسول الله فنحن انصار رسول
الله ورده فقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن امن بالله ورسوله منع ماله ومن نكث
جاهدناه في الله ابدا وكان قتله علينا يسيرا اقول هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات
والسلام عليكم ثم قام الزبرقان بن بدر ينشد واجابه حسان بن ثابت فلما فرغ
حسان من قوله قال الاقرع ان هذا الرجل خطيبه اخطب من خطيبنا وشاعره
اشعر من شاعرنا واصواتهم على من اصواتنا فلما فرغوا اجازهم رسول الله فاحسن
جوائزهم واسلموا عن ابن اسحق وقيل انهم ناس من بني العنبر كان النبي صلى الله عليه وآله
اصاب من ذراريهم فاقبلوا في فدائهم فقدموا المدينة ودخلوا المسجد وعجلوا

ان يخرج

ان يخرج اليهم النبي صلى الله عليه وآله فجعلوا يقولون يا محمد اخرج الينا عن ابي حمزة الثمالي عن عكرمة
عن ابن عباس المعنى يا ايها الذين امنوا روى زرارة عن ابي جعفر عليه السلم انه قال ما سلت
السيوف ولا اقيمت الصفوف في صلوة ولا زحوف ولا جهر باذان ولا انزل الله يا ايها الذين امنوا
حتى اسلم ابنا قيلة الاوس والخزرج لا تقدموا بين يدى الله ورسوله بين اليدين
عبارة عن الامام لان ما بين يدى الامام وبين يدى الاداء لا تعجل بالامر والنهى وقدم
هنا بمعنى تقدم وهو لازم وقيل معناه لا تقدموا اعمال الطاعة قبل الوقت الذى امر الله
ورسوله به حتى قيل انه لا يجوز تقديم الزكوة قبل وقتها عن الزجاج وقيل معناه ولا تمكنوا
احدا يمشى امام رسول الله بل كونوا تبعا له واخروا اقوالكم وافعالكم عن قوله وفعله
وقال الحسن نزل في قوم ذبحوا الاضحية قبل العيد فامرهم رسول الله بالاعادة وقال
ابن عباس نهوا ان يتكلموا قبل كلامه اى اذا كنتم جالسين في مجلس رسول الله فسئل عن مسئلة
فلا تسبقوه بالجواب حتى يجيب النبي اولا وقيل معناه لا تسبقوه بقول ولا فعل حتى يامركم به
عن الكلبي والسدى والاولى حمل الاية على الجمع فان كل شيء كان خلافا لله ورسوله
اذا فعل فهو تقديم بين يدى الله ورسوله وذلك ممنوع منه واتقوا الله اى
اجتنبوا معاصيه ان الله سميع لاقوالكم عليم باعمالكم فيجازيكم بها يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي لان فيه احد شيئين اما نوع استخفاف
به فهو الكفر واما سوء الادب فهو خلاف التعظيم المامور به ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض اى غضوا اصواتكم عند مخاطبتكم اياه وفي مجلسه فانه ليس مثلكم اذ يجب
تعظيمه وتوقيره من كل وجه وقيل معناه لا تقولوا له يا محمد كما يخاطب بعضكم بعضا
بل خاطبوه بالتبجيل العظيم وقولوا يا رسول الله ان تحبط اعمالكم اى كراهة ان تحبط
او لان تحبط اعمالكم وقيل انه في حرف عبد الله فتحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون انكم
احبطتم اعمالكم بجهر صوتكم على صوته وترك تعظيمه قال انس لما نزلت هذه الاية قال ثابت
بن قيس انا الذى كنت ارفع صوتى فوق صوت رسول الله واجهر له بالقول حبط عملى وانا
من اهل النار وكان ثابت رفيع الصوت فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله

فقال هو من اهل الجنة وقال اصحابنا ان المعنى في قوله ان تحبط اعمالكم انه تحبط ثواب ذلك
العمل لانهم لو اوقعوه على وجه تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وتوقيره لاستحقوا الثواب
فلما فعلوا خلاف ذلك الوجه استحقوا العقاب وفاتهم ذلك الثواب فانحبط عملهم فلا تعلق
لاهل الوعيد بهذه الاية ولانه تعالى علق الاحباط في الاية بنفس العمل وهم يعلقونه بالمستحق
على العمل وذلك خلاف الظاهر ثم مدح سبحانه من العظم رسوله صلى الله عليه وآله ويوقره
فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اي يخفضون اصواتهم في مجلسه
اجلالا له اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي اختبرها فاخلصها للتقوى
عن قتاده ومجاهد اخذه من امتحان الذهب بالنار اذا اذيب حتى يذهب غشه ويبقى
خالصه وقيل معناه انه علم خلوص نياتهم لان الانسان يمتحن الشيء ليعلم حقيقته
وقيل معناه عاملهم معاملة المختبر بما تعبدهم به من هذه العبادة فخلصوا
على الاختبار كما يخلص جيد الذهب بالنار لهم مغفرة من الله لذنوبهم واجر عظيم
على طاعاتهم ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
وهم الجفاة من بني تميم لم يعلموا في اي حجرة هو فكانوا يطوفون على الحجرات وينادونه
اكثرهم لا يعقلون وصفهم سبحانه بالجهل وقلة الفهم والعقل اذ لم يعرفوا مقدار النبي
وما استحقه من التوقير فهم بمنزلة البهائم ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان
خيرا لهم من ان ينادوك من وراء الحجرات في دينهم بما يحوزونه من الثواب وفي دنياهم
باستعمالهم حسن الادب في مخاطبة الانبياء ليعدوا ذلك في زمرة العقلاء وقيل معناه
لاطلقت اسرائهم بغير فداء فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان سبى قوما من بني
العنبر فجاؤوا في فدائهم فاعتق نصفهم وفادى النصف فيقول ولو انهم صبروا لكنت
تعتق كلهم والله غفور رحيم لمن تاب منهم قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ
فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ وَاعْلَمُوا
أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ
وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ

فضلا

فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا
بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ
فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ
فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ خمس آيات القراءة قرأ يعقوب فاصلحوا
بين اخوتكم بالتاء على الجمع وهو قراءة ابن سيرين والباقون اخويكم على التثنية لقوله
طائفتان وفي الشواذ قراءة زيد بن ثابت والحسن اخوانكم بالالف والنون على الجمع وقد ذكرنا
في سورة النساء اختلافهم في فتبينوا والوجه في القراءتين والمروي عن الباقر عليه السلم
بالثاء والباء اللغة العنت المشقة يقال عنتت الدابة تعنت عنتا اذا احدث في قوائمه
كسر بعد جبر لا يمكنه معه الجري وقال ابن الانباري اصل العنت التشديد يقال فلان
يعنت فلانا اي يشدد عليه ويلزمه ما يصعب عليه ثم نقل الى معنى الهلاك والقسط العدل
ونحوه الاقساط والقسوط والقسط بالفتح الجور والعدول عن الحق فاصل الباب العدول
فمن عدل الى الحق فقد اقسط ومن عدل عن الحق فقد قسط الاعراب ان فيكم رسول الله
خبران في الظرف الذي هو فيكم عند النحويين وفيه نظر لان من حق الخبر ان يكون
مفيدا فلا يقال النار حارة لعدم الفائدة والوجه عندي ان يكون لو مع ما في حيزه
خبر ان والمعنى واعلموا ان رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ويجوز على
الوجه الاول ان يكون المراد لينبه لهم على مكان رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر
لعنتم ويجوز على الوجه الاول كما يقول القائل للرجل يريد ان ينبهه على شيء فلان
حاضر والمخاطب يعلم حضوره ولو قال ان رسول الله فيكم احتمل ان يكون غير رسول الله
فيهم من هو بمنزلته فاذا قال ان فيكم رسول الله لا يحتمل ذلك على هذا فقوله
لو يطيعكم مع ما في حيزه في محل رفع بان خبر ان خبر بعد خبر فضلا من الله
مفعول له والتقدير فعل الله ذلك بكم تفضلا منه ونعمة ويجوز ان يكون العامل
فيه الراشدون وما فيه من الفعل اي رشدوا فضلا من الله وقوله بجهالة
وبالعدل كلاهما في موضع النصب على الحال والعامل في الاول فتصبحوا وفي الثاني فاصلحوا

النزول قوله ان جاءكم فاسق نزل في الوليد بن عقبة ابن ابي معيط بعثه رسول الله صلى الله
عليه وآله في صدقات بني المصطلق فخرجوا يتلقونه فرحا به وكانت بينهم عداوة في الجاهلية
فظن انهم هموا بقتله فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال انهم منعوا صدقاتهم
وكان الامر بخلافه فغضب رسول الله ص وهم يغزوهم فنزلت الاية عن ابن عباس ومجاهد
وقتاده وقيل انها نزلت فيمن قال للنبي صلى الله عليه وآله ان مارية ام ابرهيم ياتيها ابن عم
لها قبطي فدعا رسول الله ص عليا قال يا اخي خذ هذا السيف فان وجدته عندها فاقتله
فقال يا رسول الله اكون في امرك اذا ارسلتني كالسكة المحماة امضي لها امرتني ام الشاهد
يرى ما لا يرى الغايب قال فاقبلت متوشحا بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف
فلما عرف اني اريده اتى نخلة فرقى اليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فاذا انه اجب اسج
ما له مما للرجال قليل ولا كثير فرجعت فاخبرت النبي صلى الله عليه وآله فقال الحمد لله يصرف
عنا اهل البيت وقوله وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا نزلت في الاوس والخزرج وقع
بينهما قتال بالسيف والنعال عن سعيد بن جبير وقيل نزل في رهط عبد الله بن ابي بن سلول
من الخزرج ورهط عبد الله بن رواحه من الاوس وسببه ان النبي صلى الله عليه وآله وقف
على عبد الله بن ابي فراث حمار رسول الله فامسك عبد الله انفه فقال عبد الله بن رواحة
لحمار رسول الله صلى الله عليه وآله اطيب ريحا منك فغضب قومه واعان ابن رواحه قومه
وكان بينهما ضرب بالجريد والايدي والنعال المعنى ثم خاطب سبحانه المومنين فقال
يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ اي بخبر عظيم الشان والفاسق الخارج من طاعة
الله الى معصيته فتبينوا صدقه من كذبه ولا تبادروا الى العمل بخبره ومن قال فتثبتوا
فمعناه توقفوا فيه وتانوا حتى يثبت عندكم حقيقته ان تصيبوا قوما بجهالة اي حذرا من ان
تصيبوا قوما في انفسهم واموالهم بغير علم بحالهم وما هم عليه من الطاعة والاسلام فتصبحوا
على ما فعلتم من اصابتهم بالخطاء نادمين لا يمكنكم تداركه وفي هذا دلالة على ان خبر الواحد
لا يوجب العلم ولا العمل لان المعنى ان جاءكم من لا تومنون ان يكون خبره كذبا فتوقفوا فيه
وهذا التعليل موجود في خبر من يجوز كونه كاذبا في خبره وقد استدل بعضهم بالاية على وجوب

العمل بخبر الواحد اذا كان عدلا من حيث ان الله سبحانه اوجب التوقف في خبر الفاسق فدل
على ان خبر العدل لا يجب التوقف فيه وهذا لا يصح لان دليل الخطاب لا يقول عليه عندنا وعند
اكثر المحققين واعلموا ان فيكم رسول الله اي فاتقوا ان تكذبوه او تقولوا باطلا عنده
فان الله تعالى يخبره بذلك فتفتضحوا وقيل معناه واعلموا بما اخبره الله تعالى من كذب
الوليد ان فيكم رسول الله فهذه احدى معجزاته انه لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم
اي لو فعل ما تريدونه في كثير من الامر لوقعتم في عنت وهو الاثم والهلاك فسمي موافقته
لما يريدونه طاعة لهم مجازا الا ترى ان الطاعة يراعى فيها الرتبة فلا يكون الانسان
مطيعا لمن دونه وانما يكون مطيعا لمن فوقه اذا فعل ما امره به ثم خاطب المومنين الذين
لا يكذبون فقال ولكن الله حبب اليكم الايمان اي جعله احب الاديان اليكم بان اقام
الادلة على صحته وبما وعد من الثواب عليه وزينه في قلوبكم بالالطاف الداعية
اليه وكره اليكم الكفر بما وصف من العقاب عليه وبوجوه الالطاف الصارفة عنه
والفسوق اي الخروج عن الطاعة الى المعاصي والعصيان اي جميع المعاصي وقيل
الفسوق الكذب عن ابن عباس وابن زيد وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام ثم عاد
سبحانه الى الخبر عنهم فقال اولئك هم الراشدون يعني الذين وصفهم بالايمان
وتزيينه في قلوبهم هم المهتدون الى محاسن الامور وقيل هم الذين اصابوا
الرشد واهتدوا الى الجنة فضلا من الله ونعمة اي تفضلا منه عليهم ورحمة
منه لهم عن ابن عباس والله عليم بالاشياء كلها حكيم في جميع افعاله وفي هذه
الاية دليل على بطلان مذهب اهل الجبر من وجوه منها انه اذا احبب في قلوبهم
الايمان وكره الكفر فمن المعلوم انه لا يحبب ما لا يحبه ولا يكره ما لا يكرهه ومنها
انه اذا لطف في محبب الايمان بالطافه دل ذلك على ما يقوله في اللطف ثم قال وان
طايفتان من المومنين اقتتلوا اي فريقان من المومنين قاتل احدهما صاحبه
فاصلحوا بينهما حتى يصطلحا ولا دلالة في هذا على انهما اذا اقتتلا بقيا على الايمان
ويطلق عليهما هذا الاسم ولا يمتنع ان يفسق احد الطايفتين ويفسقا جميعا فان بغت

احداهما على الاخرى بان تطلب ما لا يجوز لها وتقاتل الاخرى ظالمة لها متعدية
عليها فقاتلوا التى تبغى لانها هى الظالمة المتعدية دون الاخرى حتى تفئ الى امر الله
حتى ترجع الى طاعة الله وتترك قتال الطايفة المومنة فان فاءت اى فان
رجعت وتابت واقلعت وانابت الى طاعة الله فاصلحوا بينهما اى بينها وبين
الطايفة التى هى على الايمان بالعدل اى بالقسط حتى يكونوا سواء لا يكون من احديهما
على الاخرى جور ولا شطط فيما يتعلق بالضمانات والاروش واقسطوا اى اعدلوا ان الله
يحب المقسطين العادلين الذين يعدلون فيما يكون قولا وفعلا انما المومنون اخوة
فى الدين يلزم نصرة بعضهم بعضا فاصلحوا بين اخويكم اى بين كل رجلين تقاتلا وتخاصما
ومعنى الاثنين ياتى على الجمع لان تاويله بين كل اخوين يعنى فانتم اخوة للمتقابلين
فاصلحوا بين الفريقين اى كفوا الظالم عن المظلوم واعينوا المظلوم واتقوا الله
فى ترك العدل والاصلاح او فى منع الحقوق لعلكم ترحمون اى لكى ترحموا قال الزجاج سمى
المومنين اذا كانوا متفقين فى دينهم اخوة لاتفاقهم فى الدين ورجوعهم الى اصل
النسب لانهم لام واحدة وهى حواء وروى الزهرى عن سالم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وآله
قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته ومن فرج
عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر مسلما ستره
الله يوم القيمة اورده البخارى ومسلم فى صحيحهما وفى وصية النبى صلى الله عليه وآله
لامير المومنين على بن ابى طالب عليه السلام سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة
سر ثلثة اميال اجب دعوة سر اربعة اميال زر اخا فى الله سر خمسة اميال اجب دعوة
الملهوف سر ستة اميال انصر المظلوم وعليك بالاستغفار النظم وجه اتصال
قوله ان جاكم فاسق بنباء بما قبله انه لما امر بطاعة الله ورسوله بين عقيبه ان الرسول
لا يجوز ان يتبع اهواهم بل ينبغى ان يعمل ما عنده ووجه اتصال قوله ولكن الله حبب
اليكم الايمان بما قبله ان قوله لعنتم بمنزلة ان يقول ما عنتم اى ما عنتم بطاعة فى كثير
من الامر ولكن الله حبب اليكم الايمان لئلا تقعوا فى العنت وانما قلنا ذلك لان لكن لا بد له تقدمه

نفى اذا كان

نفى اذا كان ما بعده اثباتا وقوله يطيعكم لعنتم معناه انه لم يطيعكم فما عنتم قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء
عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا
من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله
اتقيكم ان الله عليم خبير قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل
الايمان فى قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم
اربع آيات القراءة قرا اهل البصرة لا يالتكم بالالف والباقون لا يلتكم بغير الف الحجة قال ابو زيد
التة يالته التا اذا نقصه وقوم يقولون لات يليت ليتا ويقال لات الرجل ليته اذا اخبره
عليه الخبر فاخبره بغير ما يسالك عنه قال روبة ولم يلتنى عن هواها ليت وقوم يقولون
الانى عن حقى والاتنى عن حاجتى اى صرفنى عنها وجه من قرا لا يلتكم قوله تعالى وما
التناهم ومن قرا يلتكم جعله من لات يليت اللغة الهمز واللمز العيب والعض من الناس
فاللمز هو الرمى بالعيب لمن لا يجوز ان يوذى بذكره وهو المنهى عنه فاما ذكر الفاسق فليس منه
فقد ورد فى الحديث قولوا فى الفاسق ما فيه كى يحذره الناس والنبز القذف باللقب
يقال نبزه ابزه والغيبة ان يذكر الانسان من ورائه بسوء هو فيه فاذا ذكرته بما ليس فيه
فهو البهت والبهتان والشعوبى الذى يصغر شان العرب ولا يرى لهم فضلا على غيرهم
سموا بذلك لانهم تاولوا وجعلناكم شعوبا على ان الشعوب من العجم كالقبائل من العرب
وقال ابو عبيدة الشعوب العجم واصله من التشعب وهو كثرة تفرقهم فى النسب ويقال شعبته
جمعته وشعبته فرقته فهو من الاضداد النزول نزل قوله لا يسخر قوم من قوم
فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى اذنه وقر وكان اذا دخل تفسحوا له حتى يقعد
عند النبى صلى الله عليه وآله فيسمع ما يقول فدخل المسجد يوما والناس قد فرغوا من الصلوة

واخذوا مكانهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا حتى انتهى الى رجل فقال له
اصبت مجلسا فاجلس فجلس خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة قال من هذا قال الرجل انا
فلان فقال ثابت ابن فلانة ذكر اما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل راسه حياء
فنزلت الاية عن ابن عباس وقوله ولا نساء من نساء نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله
سخرن من ام سلمة عن انس وذلك انها ربطت حقويها بسبنية وهي ثوب ابيض وسدلت
طرفيها خلفها فكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب فهذا
كانت سخريتهما وقيل انها عيرتها بالقصر واشارت بيدها انها قصيرة عن الحسن وقوله
ولا يغتب بعضكم بعضا نزل في رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله اغتابا رفيقهما
وهو سلمان بعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وآله لياتي لهما بطعام فبعثه الى اسامة بن زيد
وكان خازن رسول الله على رحله فقال ما عندي شيء فعاد اليهما فقالا بخل اسامة وقالا
لسلمان لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان عند اسامة ما امر لهما
به رسول الله فقال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا يا رسول الله ما تناولنا يومنا
هذا لحما قال ظللتم تاكلون لحم سلمان واسامة فنزلت الاية وعن ابي قلابة قال ان عمر بن الخطاب
حدث ان ابا محجن الثقفي يشرب الخمر في بيته هو واصحابه فانطلق عمر حتى دخل فيه فاذا ليس
عنده الا رجل فقال ابو محجن يا امير المومنين ان هذا لا يحل لك قد نهاك الله تعالى
عن التجسس فقال عمر ما يقول هذا فقال زيد بن ثابت وعبد الله بن الارقم صدق يا امير المومنين
قال فخرج عمر وتركه وخرج عمر بن الخطاب ايضا ومعه عبد الرحمن بن عوف يعسان فتبينت لهما
نار فاتيا واستاذنا ففتح الباب فدخلا فاذا رجل وامراة تغني وعلى يد الرجل قدح
فقال عمر من هذه منك قال امراتي قال وما في القدح قال ماء فقال للمراة ما الذي تغنين
فقالت تقول شعر تطاول هذا الليل واسود جانبه وارقني الا حبيب الاعبه فوالله لولا
خشية الله والتقى لزعزع من هذا السرير جوانبه ولكن عقلي والحياء يكفني واكرم بعلي
ان تنال مراكبه ثم قال الرجل ما بهذا امرنا يا امير المومنين قال الله تعالى ولا تجسسوا فقال
عمر صدقت وانصرف قوله يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى قيل نزلت في ثابت

ابن قيس

ابن قيس بن شماس وقوله للرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال صلى الله عليه وآله من الذاكر
فلانة فقام ثابت فقال انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر اليهم فقال
ما رايت يا ثابت فقال رايت ابيض واسود واحمر قال فانك لا تفضلهم الا بالتقوى
والدين فنزلت هذه الاية وقوله يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس
الاية عن ابن عباس وقيل لما كان يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وآله بلالا
حتى علا ظهر الكعبة واذن فقال عتاب بن اسيد الحمد لله الذي قبض ابي حتى لم ير
هذا اليوم قال الحرث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود موذنا وقال
سهيل بن عمرو ان يرد الله شيئا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيئا اخاف ان يخبر
به رب السماء فاتى جبرئيل رسول الله فاخبره بما قالوا فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله
وسالهم عما قالوا فاقروا به ونزلت الاية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والازدراء بالفقر
والتكاثر بالاموال عن مقاتل المعنى لما امر سبحانه باصلاح ذات البين ونهى عن
التفرق عقب ذلك بالنهي عن اسباب الفرقة من السخرية والازدراء باهل الفقر والمسكنة
فقال يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم قال الخليل
القوم يقع على الرجال دون النساء لقيام بعضهم مع بعض في الامور قال زهير
وما ادري ولست اخال ادري اقوم آل حصن ام نساء فالمعنى لا يسخر رجال من رجال
والسخرية الاستهزاء قال مجاهد معناه لا يسخر غني من فقير لفقره وربما يكون
الفقير المهين في ظاهر الحال خيرا واجل منزلة عند الله من الغني الحسن الحال
ولو سخر مومن من كافر احتقارا له لم يكن ماثوما وقال ابن زيد هذا نهي عن
استهزاء المسلمين عن اعلن بفسقه عسى ان يكون المسخور عند الله خيرا من الساخر
معتقدا او اسلم باطنا ولا نساء من نساء على المعنى الذي تقدم عسى ان يكن
خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم اي لا يطعن بعضكم على بعض كما قال ولا تقتلوا انفسكم لان
المومنين كنفس واحدة فكانه اذا قتل اخاه قتل نفسه عن ابن عباس وقتادة واللمز
العيب في المشهد والهمز العيب في المغيب وقيل ان اللمز يكون باللسان وبالعين وبالاشارة

والهمز لا يكون الا باللسان وقيل معناه ولا يلعن بعضكم بعضاً عن الضحاك ولا تنابزوا
بالالقاب جمع اللقب هو اسم غير الذى سمى به الانسان وقيل هو كل اسم لم يوضع له
واذا دعى به يكرهه فاما اذا كان لا يسوءه ولا يكرهه فلا باس به مثل الفقيه والقاضى
وقيل هو قول الرجل للرجل يا كافر يا فاسق يا منافق عن قتاده وعكرمه وقيل كان
اليهودى والنصرانى يسلم فيقال له بعد ذلك يا يهودى ويا نصرانى فنهوا عن ذلك
عن الحسن وقيل هو ان يعمل انسان شيئا من القبيح ثم يتوب فيعير بما سلف منه
عن ابن عباس وروى ان صفيه بنت حيى بن اخطب جاءت الى النبى صلى الله عليه وآله
تبكى فقال لها ما وراك فقالت ان عايشه تعيرنى ويقول يهوديه بنت يهوديين
فقال لها هلا قلت ابى هرون وعمى موسى وزوجى محمد فنزلت الايه عن ابن عباس
بئس الاسم الفسوق بعد الايمان وقيل معناه بئس الشىء اكتساب اسم الفسوق
باغتياب المسلمين ولمزهم وهذا لا يدل على ان اسم الفسوق لا يجتمعان لان هذا كما
يقال بئس الحال الفسوق بعد الشيب والمعنى بئس الحال الفسوق مع الشيب وبئس الاسم
الفسوق مع الايمان على ان الظاهر ان المعنى ان الفسوق الذى يتعقب الايمان بئس
الاسم وذلك هو الكفر ومن لم يتب من التنابز والمعاصى ويرجع الى طاعة الله تعالى
فاولئك هم الظالمون نفوسهم بفعل ما يستحقون به العقاب يا ايها الذين امنوا
اجتنبوا كثيرا من الظن قال الزجاج هو ان نظن باهل الخير سوء افاما اهل السوء
والفسق فلنا ان نظن بهم مثل ما ظهر منهم وقيل هو ان نظن باخيه المسلم
سوء او لا باس به ما لم يتكلم به فان تكلم بذلك الظن وابداه اثم وهو قوله
ان بعض الظن اثم يعنى ما اعلنه مما ظنه باخيه عن المقاتلين وقيل انما قال كثيرا
من الظن لان من جملته ما يجب العمل عليه لا يجوز مخالفته وانما يكون اثما اذا فعله
صاحبه وله الطريق الى العلم بدلا منه فهذا ظن محرم لا يجوز فعله فاما ما لا سبيل
الى دفعه بالعلم بدلا منه فليس باثم ولذلك كان بعض الظن اثما دون جميعه
والظن المحمود قد بينه الله تعالى ودل عليه بقوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون

والمومنات

والمومنات بانفسهم خيرا وقيل معناه يجب على المومن ان يحسن الظن ولا يسيئه فى شىء
يجد له تاويلا جميلا وان كان ظاهره قبيحا ولا تجسسوا اى لا تتبعوا عثرات المومنين
عن ابن عباس وقتاده ومجاهد وقال ابو عبيده التجسس والتحسس واحد وروى فى الشواذ
عن ابن عباس ولا تحسسوا بالحاء قال الاخفش وليس يبعد احدهما عن الآخر الا ان
التجسس عما يكتم ومنه الجاسوس والتحسس بالحاء البحث عما تعرفه وقيل ان التجسس بالجيم
فى الشر والجاسوس صاحب سر الشر والناموس صاحب سر الخير وقيل لا تتبعوا عيوب
المسلمين لتهتكوا العيوب التى سترها اهلها وقيل معناه لا تبحثوا عما خفى حتى يظهر عن
الاوزاعى وفى الحديث اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تقاطعوا
ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا الغيبه
ذكر العيب بظهر الغيب على وجه تمنع الحكمة منه وفى الحديث اذا ذكرت الرجل بما فيه مما يكرهه
الله فقد اغتبته واذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته وعن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله اياكم والغيبة اشد من الزنا ثم قال ان الرجل يزنى ويتوب فيتوب الله
عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه ثم ضرب سبحانه للغيبة مثلا فقال ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا وتاويله ان ذكرك بالسوء من لم يحضرك بمنزلة ان تاكل لحمه
وهو ميت لا يحس بذلك عن الزجاج ولما قيل لهم ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فقالوا
لا فقيل فكرهتموه اى فكما كرهتم ذلك فاجتنبوا ذكره بالسوء غايبا عن مجاهد وقيل فكما
كرهتم لحمه ميتا فاكرهوا غيبته حيا عن الحسن فهذا هو تقدير الكلام وقوله و
اتقوا الله معطوف على هذا الفعل المقدر ومثله الم نشرح لك صدرك ووضعنا
اى قد شرحنا ووضعنا ويقال للمغتاب فلان ياكل لحوم الناس قال وليس الذيب ياكل لحم ذيب
وياكل بعضنا بعضا عيانا وقال آخر فان ياكلوا لحمى وفرت لحومهم وان يهدموا
مجدى بنيت لهم مجدا وقال قتاده كما يمتنع احدكم عن اكل لحم اخيه ميتا لكراهية الطبع
كذلك يجب ان يمتنع عن غيبته لكراهية العقل والشرع لان دواعى العقل والشرع احق
بالاتباع من دواعى الطبع فان داعى الطبع اعمى وداعى العقل بصير وعن ميمون بن شاة

وكان يفضل على الحسن لانه لقي من يلقى الحسن قال بينا انا نائم اذا بجيفة زنجي وقائل يقول لي كل يا عبد الله
فقلت ولم اكل قال بما اغتيب عندك فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال لكنك
استمعت فرضيت فكان ميمون بعد ذلك لا يدع ان يغتاب عنده احد وقال رجل لابن سيرين
اني قد اغتبتك فاجعلني في حل قال اني اكره ان احل ما حرم الله ان الله تواب قابل التوبة
رحيم بالمومنين يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى اي من آدم وحوى والمعنى
انكم متساوون في النسب لانه كلكم يرجع في النسب الى آدم وحواء زجر الله سبحانه عن التفاخر بالانساب
وروى عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله قال انما انتم من رجل وامراة كجمام الصاع
ليس لاحد على احد فضل الا بالتقوى ثم ذكر سبحانه انما فرق انساب الناس ليتعارفوا لا ليتفاخروا
فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل وهي جمع شعب وهو الحي العظيم مثل مضر وربيعة وقبائل هي دون
الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر هذا قول اكثر المفسرين وقيل الشعوب دون القبائل
وانما سميت بذلك لتشعبها وتفرقها عن الحسن وقيل اراد بالشعوب الموالي وبالقبائل العرب
في رواية عطاء عن ابن عباس والى هذا ذهب قوم فقالوا الشعوب من العجم والقبائل من العرب
والاسباط من بني اسرائيل وروي ذلك عن الصادق عليه السلام لتعارفوا اي جعلناكم كذلك لتعارفوا
فيعرف بعضكم بعضا بنسبه وقومه وابيه وقومه ولولا ذلك لفسدت المعاملات وخربت
الدنيا ولما امكن نقل حديث ان اكرمكم عند الله اتقاكم اي ان اكثركم ثوابا وارفعكم
منزلة عند الله اتقاكم لمعاصيه واعملكم بطاعته وروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
يقول الله تعالى يوم القيمة امرتكم فضيعتم ما عهدت اليكم فيه ورفعتم انسابكم فاليوم ارفع نسبي
واضع انسابكم اين المتقون ان اكرمكم عند الله اتقاكم وروي ان رجلا سال عيسى بن مريم اي
الناس افضل فاخذ قبضتين من تراب ثم قال اي هاتين افضل الناس خلقوا من تراب فاكرمهم
اتقاهم ابو بكر البيهقي بالاسناد عن عباده ابن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله ان الله عز وجل جعل الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسما وذلك قوله اصحاب اليمين
واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها
ثلثا وذلك قوله واصحاب الميمنة واصحاب المشامة والسابقون السابقون فانا من السابقين

وانا خير

وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا
وقبائل الاية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها
بيتا وذلك قوله عز وجل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
فانا واهل بيتي مطهرون من الذنوب ان الله عليم باعمالكم خبير باحوالكم لا يخفى عليه شيء
من ذلك قالت الاعراب امنا وهم قوم من بني اسد اتوا النبي صلى الله عليه وآله في سنة جدبة
واظهروا الاسلام ولم يكونوا مومنين في السر انما كانوا يطلبون الصدقة والمعنى
انهم قالوا صدقنا بما جئت به فامره سبحانه ان يخبرهم بذلك لتكون اية معجزة له فقال
قل لم تومنوا اي لم تصدقوا على الحقيقة في الباطن ولكن قولوا اسلمنا اي انقدنا واستسلمنا
مخافة السبي والقتل عن سعيد بن جبير وابن زيد ثم بين سبحانه ان الايمان محله القلب
دون اللسان فقال ولما يدخل الايمان في قلوبكم قال الزجاج الاسلام اظهار الخضوع
والقبول لما اتى به الرسول عليه السلام وبذلك يحقن الدم فان كان مع ذلك الاظهار
اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الايمان وصاحبه المومن المسلم حقا فاما من اظهر
قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق وقد اخرج
هولاء من قوله بقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم اي لم تصدقوا بعد ما اسلمتم
تعوذا من القتل فالمومن مبطن من التصديق مثل ما يظهر والمسلم التام الاسلام
مظهر للطاعة وهو مع ذلك مومن بها والذي اظهر الاسلام تعوذا من القتل
غير مومن في الحقيقة الا ان حكمه في الظاهر حكم المسلمين وروى انس عن النبي صلى الله
عليه وآله قال الاسلام علانية والايمان في القلب واشار الى صدره وان تطيعوا الله
ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا اي لا ينقصكم من ثواب اعمالكم شيئا عن ابن عباس
ومقاتل ان الله غفور رحيم قوله عز وجل إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ
هُمُ الصَّادِقُونَ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ

بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ اَنْ هَدٰيكُمْ لِلْاِيمَانِ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ غَيْبَ
السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ اربع آيات القراءة قرا ابن كثير
يعملون بالياء والباقون بالتاء الحجة وجه التاء ان قبله خطابا وهو قوله
لا تمنوا ووجه الياء ان قبله غيبة وهو قوله انما المومنون الذين امنوا الاعراب
خبر المبتداء الذى هو المومنون قوله اولئك هم الصادقون وقوله الذين امنوا
صفة لهم المعنى ثم نعت سبحانه الصادقين فى ايمانهم فقال انما المومنون الذين
امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اى لم يشكوا فى دينهم بعد الايمان وجاهدوا
باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون فى اقوالهم دون من يقول
بقوله ما ليس فى قلبه قال فلما انزلت الايتان اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله يحلفون
انهم مومنون صادقون فى دعواهم الايمان فانزل الله سبحانه قل اتعلمون الله
بدينكم اى تخبرون الله بالدين الذى انتم عليه المعنى انه سبحانه عالم بذلك فلا يحتاج
الى اخباركم به وهذا استفهام انكار وتوبيخ اى كيف يعلمون الله بدينكم والله
يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم لانه العالم لنفسه يعلم المعلومات
كلها بنفسه فلا يحتاج الى علم يعلم به ولا الى من يعلمه لانه اذا كان قديما موجودا
فى الازل لنفسه استغنى عن موجد اوجده وكان هولاء يقولون اتيناك من غير
قتال وقاتلك بنو فلان فقال سبحانه يمنون عليك ان اسلموا اى بان اسلموا والمعنى
انهم يمنون عليك بالاسلام قل لا تمنوا على اسلامكم اى باسلامكم بل الله يمن عليكم
ان هداكم للايمان وارشدكم اليه بان نصب لكم من الدلالة عليه وازاح عللكم ووفقكم
له ان كنتم صادقين فى ادعائكم الايمان ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير
بما تعملون من طاعة ومعصية وايمان وكفر سورة ق مكية قال الحسن غير قوله
ولقد خلقنا السموات الاية وهى خمس واربعون آية بالاجماع فضلها ابى بن كعب عن النبى
صلى الله عليه وآله ومن قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته ابو حمزة الثمالى
عن ابى جعفر ع قال من ادمن فى فرايضه ونوافله سورة ق وسع الله فى رزقه واعطاه كتابه

بيمينه وحاسبه حسابا يسيرا التفسير لما ختم الله تلك السورة بذكر الايمان وشرايطه
للعباد فتح هذه السورة بذكر ما يجب الايمان به من القران وادلة التوحيد فقال
بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ
قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا اَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ
اَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْاَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا
كِتَابٌ حَفِيظٌ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي اَمْرٍ مَرِيجٍ خمس آيات ولم يعد ق اية ولا نظيره
له من نون وصاد لانه مفرد وكل مفرد فانه لا يعد لبعده من شبه الجمل واما المركب فانه اشبه
الجملة ووافق رؤس الاى فانه يعد مثل طه وحم والم وما اشبه ذلك اللغة المجيد
الكريم المعظم والعظيم المكرم والمجد فى كلامهم الشرف الواسع يقال مجد الرجل ومجد
مجدا اذا عظم وكرم واصله من قولهم مجدت الابل مجودا اذا عظمت بطونها من كثرة
اكلها من كلاء الربيع وامجد فلان القوم قرى قال الشاعر اتيناه زوارا فامجدنا قرى
من البث والداء الدخيل المخامر والعجيب والعجب هو كل ما لا تعرف علته ولا سببه والمريج
المختلط الملتبس واصله ارسال الشئ مع غيره من المرج قال الشاعر فجالت والتمست
به حشاها فخر كانه غصن مريج اى قد التبس بكثرة شعبه ومرجت عهودهم وامرجوها
اى خلطوها ولم يفوا بها الاعراب جواب القسم فى ق والقران المجيد محذوف يدل
عليه ائذا متنا وكنا ترابا وتقديره انكم مبعوثون فقالوا انبعث اذا متنا وكنا ترابا
ويجوز ان يكون الجواب قد علمنا ما تنقص الارض منهم وحذفت اللام لان ما قبلها
عوض منها كما قال والشمس وضحاها الى قوله قد افلح من زكاها والمعنى لقد افلح والعامل
فى ائذا متنا مضمر والتقدير ائذا متنا بعثنا المعنى ق مر تفسيره وقيل انه اسم من اسماء
الله تعالى عن ابن عباس وقيل هو اسم الجبل المحيط بالارض من زمرده خضرة خضرة
السماء منها عن الضحاك وعكرمة وقيل معناه قضى الامر وقضى ما هو كاين كما قيل فى حم
حم الامر والقران المجيد اى الكريم على الله العظيم فى نفسه الكثير الخير والنفع لتبعثن
يوم القيمة وقيل تقديره والقرآن المجيد انّ محمدا رسول الله بدلالة قوله بل عجبوا ان جاءهم

منذر منهم اى ما كذبك قومك لانك كاذب بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم وحسبوا انه لا يوحى
الا الى ملك فقال الكافرون هذا شىء عجيب اى معجب عجبوا من كون محمد رسولا اليهم فانكروا
رسالته وانكروا البعث بعد الموت وهو قوله ائذا متنا وكنا ترابا انبعث ونرد احياء
ذلك اى ذلك الرد الذى يقولون رجع بعيد اى رد بعيد عن الاوهام واعادة بعيدة
الكون والمعنى انه لا يكون ذلك لانه غير ممكن ثم قال سبحانه قد علمنا ما تنقص الارض من
لحومهم ودمائهم وتبليه من عظامهم فلا يتعذر علينا ردهم وعندنا كتاب حفيظ
اى حافظ لعدتهم واسمائهم وهو اللوح المحفوظ لا يشذ عنه شىء وقيل حفيظ اى محفوظ عن
البلى والدروس وهو كتاب الحفظة الذين يكتبون اعمالهم ثم اخبر سبحانه بتكذيبهم فقال
بل كذبوا بالحق لما جاءهم والحق القرآن وقيل هو الرسول فهم فى امر مريج اى مختلط فمرة قالوا مجنون
وتارة قالوا ساحر وتارة قالوا شاعر فتحيروا فى امره لجهلهم بحاله ولم يثبتوا على شىء واحد
وقالوا للقرآن انه سحر مرة ورجز مرة ومفترى مرة فكان امرهم ملتبسا عليهم قال الحسن ما ترك
قوم الحق الا مرج امرهم قوله عز وجل أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا
وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ
وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً
مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ست آيات اللغة الفروج الشقوق والصدوع وفى الحائط فرجة
بضم الفاء فاذا قيل فرجة بفتح الفاء فهو التفصى من الهم قال شعر ربما تكره النفوس من الامر
له فرجة كحل العقال اى رب شىء تكرهه النفوس فما ههنا نكرة موصوفة والفرج موضع
المخافة وفى عهد الحجاج انى وليتك الفرجين يعنى خراسان وسجستان والحصيد ما حصد
من انواع النبات والباسقات الطوال وبسق النخل بسوقا والطلع طلع النخلة سمى
بذلك لطلوعه والنضيد ما نضد بعضه على بعض الاعراب كيف يجوز ان يكون في موضع
نصب على الحال ويجوز ان يكون مصدرا وما لها من فروج فى موضع نصب على الحال تقديره
غير مفروجة والارض منصوبة بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر ومددنا الارض مددناها

تبصرة مفعول له وكذلك ذكرى وحب الحصيد تقديره وحب النبات الحصيد فالحصيد صفة
لموصوف محذوف وباسقات نصب على الحال وكذلك الجملة التى هى لها طلع نضيد حال
بعد حال ورزقا للعباد مفعول له اى انبتنا هذه الاشياء لرزق العباد ويجوز
ان يكون مفعولا مطلقا اعنى المصدر وتقديره رزقناهم رزقا المعنى ثم اقام
سبحانه الدلالة على كونه قادرا على البعث فقال افلم ينظروا الى السماء فوقهم اى
الم يتفكروا فى بناء السماء مع عظمها وحسن ترتيبها وانتظامها كيف بنيناها
بغير علاقة ولا عماد وزيناها بالكواكب السيارة والنجوم الثوابت وما لها من فروج
اى شقوق وفتوق وقيل معناه ليس فيها تفاوت واختلاف عن الكسائى وانما قال
فوقهم بنيناها على انهم يرونها ويشاهدونها ثم لا يتفكرون فيها والارض
مددناها اى بسطناها والقينا فيها رواسى اى جبالا رواسخ يمسكها عن الميدان
وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اى من كل صنف حسن المنظر عن ابن زيد والبهجة
الحسن الذى له روعة عند الرؤية كالزهرة والاشجار النضرة والرياض الخضرة
وقال الاخفش البهيج الذى من رآه بهج به اى سر فهو بمعنى المبهوج به تبصرة
وذكرى اى فعلنا ذلك تبصيرا للتبصرة امر الدين وتذكيرا وتذكرا لكل عبد منيب
راجع الى الله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا اى مطرا وغيثا يعظم النفع به فانبتنا
به اى بالماء جنات اى بساتين فيها اشجار تشتمل على انواع الفواكه المستلذة وحب الحصيد
اى حب البر والشعير وكل ما يحصد عن قتادة لان من شانه ان يحصد اذا تكامل واستحصد
والحب هو الحصيد فهو مثل حق اليقين ومسجد الجامع ونحوها والنخل باسقات اى وانبتنا
به النخل طويلات عاليات لها طلع نضيد اى لهذه النخل الموصوفة بالعلو طلع نضد
بعضه على بعض عن مجاهد وقتادة والطلع الكفرى وهو اول ما يظهر من ثمر النخل قبل
ان ينشق وهو نضيد فى اكامه واذا خرج من اكامه فليس بنضيد رزقا للعباد اى انبتنا
هذه الاشياء للرزق وكل رزق فهو من الله تعالى بان يكون قد فعله او فعل سببه لانه مما يريد
وقد يرزق الواحد منا غيره كما يقال رزق السلطان جنده واحيينا به اى بذلك الماء الذى

انزلناه من السماء بلدة ميتا اي جدبا وقحطا لا ينبت شيئا اي فنبت وعاشت ثم قال كذلك
الخروج من القبور اي مثل ما احيينا هذه الارض الميتة بالماء نحيي الموتى يوم القيمة
فيخرجون من قبورهم فان من قدر على احدهما قدر على الاخر وانما دخلت الشبهة على
هولاء من حيث انهم راوا العادة مستمرة في احياء الموات من الارض بنزول المطر
ولم تجر العادة باحياء الموتى من البشر ولو انعموا الفكر وامعنوا النظر لعلموا ان من
قدر على احد الامرين قدر على الاخر قوله عز وجل كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ
الرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ
الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ
إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ
رَقِيبٌ عَتِيدٌ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ تسع آيات القراءة في الشواذ قراءة ابي بكر عند خروج نفسه
وجاءت سكرة الحق بالموت وهي قراءة سعيد بن جبير وطلحة ورواها اصحابنا
عن ائمة الهدى عليهم السلام الحجة قال ابن جني ان في الباء ضربان من التقدير
ان شئت علقتها بنفس جاءت كقولك جئت بزيد اي احضرته وان شئت
علقتها بمحذوف فجعلتها حالا اي وجاءت سكرة الحق ومعها الموت كقولك
خرج بثيابه اي وثيابه عليه ومثله قوله فخرج على قومه في زينته اي وزينته
عليه كقول الهذلي شعر يعثرن في حد الظباة كانما كسيت برود بني يزيد
الاذرع اي يعثرن وهن في حد الظباة وكقول الاخر ومستنة كاستنان الخروف
وقد قطع الحبل بالمرود اي قطعه وفيه مروده وكذلك قراءة العامة وجاءت
سكرة الموت بالحق ان شئت علقت بنفس جاءت وان شئت علقتها بمحذوف
بمعنى وجاءت سكرة الموت ومعها الحق اللغة يقال عييت بالامر اذا لم تعرف
وجهه وتعذر ذلك عليك واعييت اذا تعبت وكلا ذلك من التعب الا ان احدهما

في الطلب

في الطلب والاخر فيما وقع الفراغ منه الوريد عرق في الحلق وهما وريدان في العنق
عن يمين وعن شمال وكانه العرق الذي يرد اليه ما ينصب من الرأس وحبل الوريد
حبل العاتق وهو متصل من الحلق الى العاتق والرقيب الحافظ والعتيد المعد
للزوم الامر المعنى ثم ذكر سبحانه الامم المكذبة تسلية للنبي صلى الله عليه وآله
وتهديدا للكفار فقال كذبت قبلهم من الامم الماضية قوم نوح فاغرقهم
الله واصحاب الرس وهم اصحاب البئر التي رسوا نبيهم فيها بعد ان قتلوه عن عكرمة
وقيل الرس بئر قتل فيها صاحب ياسين عن الضحاك وقيل هم قوم كانوا باليمامة
على آبار لهم عن قتادة وقيل هم اصحاب الاخدود وقيل كان سحق النساء في اصحاب
الرس وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وثمود وهم قوم هود
وفرعون واخوان لوط اي وكذب فرعون موسى وقوم لوط لوطا وسماهم اخوانه
لكونهم من نسبه واصحاب الايكة وهم قوم شعيب وقوم تبع وهو تبع الحميري
الذي ذكرناه عند قوله اهم خير ام قوم تبع كل من هولاء المذكورين كذب الرسل
المبعوثة اليهم وجحدوا نبوتهم فحق وعيدي اي وجب عليهم عذابي الذي اوعدتهم
به فاذا كان مآل الامم الخالية اذا كذبوا الرسل الهلاك والدمار وانكم معاشر
العرب قد سلكتم مسالكهم في التكذيب والانكار فحالكم كحالهم في البتات والخسار
ثم قال سبحانه جوابا لقولهم ذلك رجع بعيد افعيينا بالخلق الاول اي افعجزنا
حين خلقناهم اولا ولم يكونوا شيئا فكيف نعجز عن بعثهم واعادتهم وهذا
تقريع لهم لانهم اعترفوا بان الله هو الخالق ثم انكروا البعث ويقال لكل من عجز
عن شيء عيي به ثم ذكر انهم في شك من البعث بعد الموت فقال بل هم في لبس من خلق
جديد اي بل هم في ضلال وشك من اعادة الخلق جديدا واللبس منع من ادراك
المعنى بما هو كالستر له والجديد القريب الانشاء اراد به الجنس ولقد خلقنا
الانسان يعني ابن آدم ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما يحدث به قلبه وما يخفى
ويكن في نفسه وما يظهره لاحد من المخلوقين ونحن اقرب اليه بالعلم من حبل الوريد

وهو عرق ينعرق في البطن يخالط الانسان في جميع اعضائه وقيل هو عرق الحلق عن ابن
عباس ومجاهد وقيل هو عرق متعلق بالقلب يعني نحن اقرب اليه من قلبه عن الحسن
وقيل معناه نحن اعلم به ممن كان منه بمنزلة حبل الوريد في القرب وقيل معناه
نحن املك له من حبل وريده مع استيلائه عليه وقربه منه وقيل معناه نحن اقرب
اليه بالادراك من حبل الوريد لو كان مدركا ثم ذكر سبحانه انه مع علمه
به وكل به ملكين يحفظان عليه عمله الزاما للحجة فقال اذ يتلقى المتلقيان فاذ
متعلقة بقوله ونحن اقرب اليه اي نحن اعلم به واملك حين يتلقى المتلقيان
وهما الملكان ياخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملي عليه عن اليمين وعن الشمال
قعيد اراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاكتفى باحدهما عن الاخر والمراد
بالقعيد ههنا الملازم الذي لا يبرح لا القاعد الذي هو ضد القائم وقيل
عن اليمين كاتب الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات عن الحسن ومجاهد وقيل الحفظة
اربعة ملكان بالنهار وملكان بالليل عن الحسن ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد اي ما يتكلم بكلام فيلفظه اي يرميه من فيه الا لديه حافظ حاضر معه
يعني الملك الموكل اما صاحب اليمين واما صاحب الشمال يحفظ عمله لا يغيب عنه
والهاء في لديه تعود الى القول او الى القائل وعن ابي امامة عن النبي صلى الله
عليه وآله قال ان صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطي
او المسيء فان ندم واستغفر منها القاها والا كتب واحدة وفي رواية
اخرى قال صاحب اليمين امير على صاحب الشمال فاذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين
بعشر امثالها واذا عمل سيئة فاراد صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب اليمين امسك
فيمسك عنه سبع ساعات فان استغفر الله منها لم يكتب عليه شيء وان لم يستغفر
كتب له سيئة واحدة وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى
وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فاذا مات قالا يا ربنا قد قبضت عبدك فلان فالى اين قال
سمائي مملوة بملائكتي يعبدوني وارضي مملوة من خلقي يطيعوني اذهبا الى قبر عبدي فسبحاني

وكبراني

وكبراني وهللاني واكتبا ذلك في حسنات عبدي الى يوم القيمة وجاءت سكرة الموت
بالحق اي جاءت غمرة الموت وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله بالحق اي امر الآخرة
حتى عرفه صاحبه واضطر اليه وقيل معناه سكرة الموت بالحق الذي هو الموت قال
مقاتل يعني انه حق كائن والمراد ان هذه السكرة قد قربت منكم فاستعدوا لها فهي
بقربها كالحاصلة مثل قوله تعالى اتى امر الله وروي ان عائشة قالت عند وفاة
ابي بكر لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر فقال
ابو بكر لا تقولي ذلك ولكنه كما قال الله عز وجل وجاءت سكرة الموت بالحق ويقال لمن حالته
سكرة الموت ذلك الشيء ذلك الموت ما كنت منه تحيد اي تهرب وتميل ونفخ في الصور
قد مر تفسيره ذلك يوم الوعيد اي ذلك اليوم يوم وقوع الوعيد الذي خوف
الله به عباده ليتعدوا او يقدموا العمل الصالح له قوله عز وجل وجاءت كل
نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ
فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ
الشَّدِيدِ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا
لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ
لِلْعَبِيدِ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ عشر آيات القراءة
قرا نافع وابو بكر يوم يقول بالياء والباقون بالنون الحجة الياء على معنى يقول
الله تعالى والنون اشبه بقوله قدمت اليكم بالوعيد وقوله وما انا بظلام
للعبيد اللغة السوق الحث على السير والحديد الحاد مثل الحفيظ والحافظ والعنيد
الجائر عن القصد هو المعتود والعاند وناقة عنود لا يستقيم في سيرها والعنيد
المتحير منه الاعراب هذا ما لدي عتيد ما هنا نكرة موصوفة وتقديره هذا شيء ثابت
لدي عتيد فالظرف صفة لما وكذلك عتيد جهنم لا ينصرف للتعريف والتانيث
واصله من قوله بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر وقيل هو اعجمي فلا ينصرف للتعريف

والعجمة وقوله القيا في جهنم قيل فيه قولان احدهما ان العرب تامر الواحد والقوم لما يومر به
الاثنان تقول للرجل الواحد قوما واخرجا وتحكى عن الحجاج انه كان يقول يا حرسى اضربا
عنقه يريد اضرب قال سمعت من العرب من يقول ويلك ارحلاها وانشد في بعضهم شعر
فقلت لصاحبي لا تحبسانا بنزع اصوله واجتز شيحا وانشد في ابو ثروان شعر فان تزجراني
يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا قال ونرى ان ذلك منهم لان الرجل ادنى اعوان
الرجل في ابله وغنمه اثنان وكذلك الرفقة ادنى ما يكون ثلثة فجرى كلام الواحد على صاحبه
الا ترى ان الشعراء اكثر شيء قيلا يا صاحبي ويا خليلي قال امرء القيس شعر خليلي مرا بي على ام جندب
لنقضي حاجات الفواد المعذب فانكما ان تنظراني ليلة من الدهر تنفعني لدى ام جندب
ثم قال شعر الم تر انى كلما جيت طارقا وجدت بها طيبا وان لم تطيب فرجع الى الواحد لان
اول الكلام واحد في لفظ الاثنين وانشد ايضا شعر خليلي قوما في عطاله فانظرا انارا ترى
اثنين نحوها ام برقا ولم يقل ترابا والثاني انه انما ثنى ليدل على التكثير كانه قال الق الق فثنى
الضمير ليدل على تقدير الفعل وهذه الشدة ارتباط الفاعل بالفعل حتى اذا كرر احدهما فكان
الثاني كرره وهذا قول المازني ومثله عنده قال رب ارجعون انما جمع ليدل على التكرير
كانه قال ارجعني ارجعني وحمل عليه قول امرء القيس شعر قفا نبك عن ذكرى ونحو ذلك
اي كانه قال قف قف والثالث ان الامر للسابق والشهيد فكانه قال يا ايها السابق
ويا ايها الشهيد القيا والرابع يريد النون الخفيفة فكان القين فاجرى الوصل مجرى
الوقف فابدل من النون الفا كما قال الاعشى شعر وذا النسك المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد
الشيطان والله فاعبدا ويؤيد هذا القول ما روى عن الحسن انه قرا القيا بالتنوين
الذي جعل مع الله الها اخر ان كان مبتدا لخبره قوله فالقياه ويجوز ان يكون نصبا
بدلا من قوله كفار ولا يجوز ان يكون جرا صفة للكفار لان النكرة لا توصف بالموصول
انما الموصول لصلته الوصف المعارف بالجمل المعنى ثم اخبر سبحانه عن حال الناس بعد
البعث فقال وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد اي ويجي كل نفس من المكلفين في يوم
الوعيد ومعها سائق من الملائكة يسوقها اي يحثها على السير الى الحساب وشهيد من الملائكة

يشهد عليها

يشهد عليها بما يعلم من حالها وشاهده منها وكتبه عليها فلا يجد الى الهرب ولا الى الجحود سبيلا وقيل
السابق من الملائكة والشهيد الجوارح تشهد عليه عن الضحاك لقد كنت في غفلة اي يقال له
لقد كنت في سهو ونسيان من هذا اليوم في الدنيا والغفلة ذهاب المعنى عن النفس فكشفنا
عنك غطاءك الذي كان في الدنيا معشي قلبك وسمعك وبصرك حتى ظهر لك الامر
وانما يظهر الامور في الاخرة بما يخلق الله تعالى من العلوم الضرورية فيهم فيصير بمنزلة
كشف الغطا لما يرى وانما يراد به جميع المكلفين برهم وفاجرهم لان معارف الجميع ضرورية
فبصرك اليوم حديد اي فعينك اليوم حادة النظر لا يدخل عليها شك ولا شبهة وقيل معناه
فعلمك بما كنت فيه من احوال الدنيا نافذ ولا يراد به بصر العين كما يقال فلان بصير
بالنحو والفقه وقيل هو خاص في الكافر اي فانت اليوم عالم بما كنت تنكره في الدنيا عن ابن
عباس وقال قرينه يعني الملك الشهيد عليه عن الحسن وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلام وقيل قرينه الذي قيض له من الشياطين عن مجاهد وقيل قرينه من الانس هذا ما لدي
عتيد ان كان المراد به الملك الشهيد فمعناه هذا حسابه حاضر لدي في هذا الكتاب
اي يقول الرب كنت وكلتني به فما كتبت من عمله حاضر عندي وان كان المراد به الشيطان
او القرين من الانس فالمعنى هذا العذاب حاضر عندي معد لي بسببه القيا في جهنم
كل كفار عنيد هذا خطاب للخازن اثنان وقيل خطاب للملكين الموكلين به وهما السابق
والشهيد عن الزجاج وقد ذكرنا ما قيل فيه وروى ابو القسم الحسكاني بالاسناد عن الاعمش
انه قال حدثنا ابو المتوكل الناجي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى لي ولعلي القيا في النار من ابغضكما وادخلا
الجنة من احبكما وذلك قوله القيا في جهنم كل كفار عنيد والعنيد الذاهب عن الحق وسبيل
الرشد مناع للخير الذي امر الله من بذل المال في وجوهه معتد ظالم متجاوز يتعدى
حقوق حدود الله مريب اي شاك في الله وفيما جاء من عند الله وقيل متهم
يفعل ما يرتاب بفعله ويظن به غير الجميل مثل المليم الذي يفعل ما يلام عليه وقيل انها
نزلت في الوليد بن المغيرة حين استشاره بنو اخيه في الاسلام فمنعهم الذي جعل

مع الله الها اخر من الاصنام والاوثان فالقيا في العذاب الشديد هذا تاكيد للاول
فكانه قال افعلا ما امرتكما به فانه مستحق لذلك قال قرينه اي شيطانه الذي اغواه عن ابن
عباس و مجاهد وقتاده وانما سمي قرينه لانه يقرن به في العذاب وقيل قرينه من الانس
وهم علماء السوء والمتبوعون ربنا ما اطغيته اي ما اضللته وما اوقعته في الطغيان
باستكراه اي لم اجعله طاغيا ولكن كان في ضلال من الايمان بعيد اي ولكنه طغى
باختياره السوء وهذا مثل قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي فقول الله تعالى لا تختصموا لدي اي لا يخاصم بعضكم بعضا عندي وقد قدمت اليكم
بالوعيد في دار التكليف فلم تنزجروا وخالفتم امري ما يبدل القول لدي المعنى ان الذي
قدمته لكم في دار الدنيا من اني اعاقب من جحدني وكذب رسلي وخالف في امري لا يبدل
بغيره ولا يكون خلافه وما انا بظلام للعبيد اي لست بظالم احدا في عقابي لمن استحقه
بل هو الظالم لنفسه بارتكاب المعاصي الذي استحق به ذلك وانما قال بظلام على وجه
المبالغة ردا على من اضاف الظلم اليه تعالى وتقدس عن ذلك يوم نقول لجهنم هل
امتلأت يتعلق يوم بقوله ما يبدل القول لدي الاية وقيل يتعلق بتقدير اذكر
يا محمد ذلك اليوم الذي يقول الله فيه لجهنم هل امتلأت من كثرة ما القي فيك
من العصاه ويقول جهنم هل من مزيد لامتلائها ويدل على هذا القول قوله لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين وقيل في الوجه الاول ان هذا القول كان منها قبل
دخول جميع اهل النار فيها ويجوز ان يكون بطلب الزيادة على ان يزاد في سعتها كما جاء
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قيل له يوم فتح مكه الا تنزل دارك فقال عليه السلام
وهل ترك لنا عقيل من دار فقد باع دورنا ثم لما خرجا الى المدينه فعلى هذا
يكون المعنى وهل بقي زياده فاما الوجه في كلام جهنم فقيل فيه وجوه احدها انه خرج
مخرج المثل اي ان جهنم من سعتها وعظمها بمنزلة الناطقه التي اذا قيل لها هل امتلأت
يقول لم امتلئ وبقي في سعة كثيرة ومثله قول عنترة شعر فازور من وقع القنا بلبانه
وشكا الي بعبرة وتحمحم وقول الاخر امتلأ الحوض وقال قطني مهلا رويدا قد ملأت

بطني وثانيها ان الله سبحانه يخلق لجهنم آلة الكلام فتتكلم وهذا غير منكر لان من
انطق الايدي والجوارح والجلود قادر على ان ينطق جهنم وثالثها انه خطاب لخزنه
جهنم على وجه التقرير لهم هل امتلأت جهنم فيقولون بلى لم يبق موضع لمزيد ليعلم
الخلق صدق وعده عن الحسن قال ومعناه ما من مزيد اي لا مزيد لقوله هل من خالق
غير الله وهو قول واصل بن عطا وعمرو بن عبيد قوله عز وجل وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ
لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ
وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا
مَزِيدٌ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ
مِنْ مَحِيصٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ
وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ
فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ عشر آيات القراءة قرا اهل الحجاز وحمزه
وخلف وادبار بكسر الهمزة والباقون وادبار السجود بالفتح وفي الشواذ قراءة
ابن عباس وابي العالية ويحيى بن يعمر فنقبوا في البلاد بكسر القاف وقراءة السدي
او القي السمع وقرا ابو عبد الرحمن السلمي وطلحه وما مسنا من لغوب بفتح اللام
الحجة ابو علي ادبار مصدر والمصادر تجعل ظروفا على ارادة اضافة اسماء
الزمان اليها وحذفها كقولك جئتك مقدم الحاج وخفوق النجم وخلافة
فلان تريد في ذلك كله وقت كذا فلذلك نقدره هنا وقت ادبار السجود الا
ان المضاف المحذوف في هذا الباب لا يكاد يظهر ولا يستعمل فهذا ادخل في باب
الظروف من قول من فتح فكانه امر بالتسبيح بعد الفراغ من الصلوة ومن فتح
جعله جمع دبر وادبار مثل قفل واقفال وطنب واطناب وقد استعمل ذلك ظرفا نحو
جئتك في دبر الصلوة وفي ادبار الصلوة قال اوس بن حجر على دبر الشهر الحرام
بارضنا وما حولها جدب سنون تلمع واما من قرا فنقبوا فقد قال ابن جني

ان فعلوا من التقلب ادخلوا وغوروا في الارض فانكم لا تجدون لكم محيصا وقوله
او القى السمع معناه او القى السمع منه وقوله وما مسنا من لغوب فيمكن ان يكون
المصادر التي جاءت على فعول بفتح الفاء كالوضوء والولوغ والوزوع والقبول
وهو صفات مصادر محذوفة اي توضات وضوءا اي حسنا وكذا هذا اي وما
مسنا من لغوب اي تعب متعب شعر الازلاف التقريب الى الخير ومنه الزلفة والزلفى
وازدلفا اليه اي اقترب والمزدلفة منزلة قريبة من الموقف وهو المشعر والجمع
ومنه قول الراجز شعر ناج طواه الاين مما وجفا طي الليالي زلفا فزلفا سماوة الهلال
حتى احقوقفا والتنقيب التنقيح بما يصلح للسلوك وهو من النقب الذي هو الفتح
قال امرؤ القيس شعر لقد نقبت في الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب اي طوفت
في طرقها وسرت في نقوبها واللغوب الاعياء . غير بعيد صفة مصدر
محذوف وتقديره ازلافا غير بعيد ويجوز ان يكون منصوبا على الحال من الجنة
ولم يقل غير بعيدة لانه في تقدير النسب اي عين ذات بعد وقوله لكل اواب
يجوز ان يكون في موضع رفع بانه خبر مبتدا محذوف اي هو لكل اواب ولا يجوز
ان يكون خبرا بعد خبر تقديره هو الموعود هذا لكل اواب حفيظ ولا يجوز
ان تتعلق اللام بتوعدون لان الاوابين هم الموعودون لا الموعود لهم من
خشي الرحمن يجوز ان يكون في موضع جر على البدل من اواب فيتم الكلام عند
قوله وجاء بقلب منيب ويجوز ان يكون مبتدا وخبره محذوف على تقدير يقال
لهم ادخلوها فعلى هذا يكون تمام الكلام عند قوله لكل اواب حفيظ ويقتضي
ان يكون ادخلوها خطابا للمتقين وتقديره وازلفت الجنة للمتقين يقال لهم
ادخلوها بسلام المعنى لما اخبر سبحانه عما اعده للكافرين والعصاة عقبه
بذكر ما اعده للمتقين فقال وازلفت الجنة للمتقين اي قربت الجنة وادنيت
للذين اتقوا الشرك والمعاصي حتى يروا ما فيها من النعيم والجنة هي البستان
التي تجمع كل لذة من الانهار والاشجار وطيب الثمار ومن الازواج الكرام والحور

الحسان

الحسان والخدم من الولدان ومن الابنية الفاخرة المزينة بالياقوت والزبرجد
والمرجان نسال الله التوفيق لما يقرب من رضاه غير بعيد اي هي قريبة منهم
لا يلحقهم ضرر ولا مشقة في الوصول اليها وقيل معناه ليس ببعيد مجيء ذلك
لان كل ات قريب ومثله قول الحسن كانك بالدنيا كان لم تكن وبالاخرة كان لم تزل
هذا ما توعدون اي هذا الذي ذكرناه هو ما وعدتم به من الثواب على
السنة الرسل لكل اواب اي تواب رجاع الى الطاعة عن الضحاك وابن زيد
وقيل لكل مسبح عن ابن عباس وعطا حفيظ لما امر الله به متحفظ من الخروج
الى ما لا يجوز من سيئة تدنسه او خطيئة تحط منه وتشينه من خشي الرحمن
بالغيب اي هو من خاف الله واطاعه وامن بثوابه وعقابه ولم يره وقيل
بالغيب في الخلق بحيث لا يراه احد عن الضحاك والسدي وجاء بقلب منيب
اي ودام على ذلك حتى وافى الاخرة بقلب مقبل على طاعة الله راجع الى الله بضمائره
ادخلوها بسلام اي يقال لهم ادخلوا الجنة بامان من كل مكروه وسلامة من كل
افة وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم ذلك يوم الخلود الوقت الذي يبقون
فيه في النعيم مؤبدين لا الى غاية لهم ما يشاؤون فيها اي لهم في الجنة ما تشتهيه انفسهم
ويريدونه من انواع النعيم ولدينا مزيد اي وعندنا زيادة على كل ما تشاؤون
مما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم وقيل هو الزيادة على مقدار استحقاقهم
في الثواب باعمالهم ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن
اي كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء من القرون الذين كذبوا رسلهم هم اشد منهم بطشا
اي الذين اهلكناهم اهم اشد قوة من هؤلاء واكثر عدة وعددا ولم يتعذر علينا
ذلك فما الذي يؤمن هؤلاء من مثله فنقبوا في البلاد اي فتحوا المسالك في البلاد
بشدة بطشهم اصله من النقب وهو الطريق وقيل معناه ساروا في البلاد وطوفوا
فيها بقوتهم وسلكوا كل طريق وسافروا في اعمال طويلة هل من محيص اي هل من محيد
عن الموت ومنجى من الهلاك يعني لم يجدوا في جميع ذلك من الموت والهلاك منجا

ومهربا ان في ذلك اي فيما اخبرته وقصصته لذكرى اي ما يعتبر به ويتفكر فيه لمن كان
له قلب حي معنى قلب هٰهنا العقل عن ابن عباس من قولهم اين ذهب قلبك وفلان
قلبه معه وانما قال ذلك لان من لا يعي الذكر لا يعتد بما له من القلب وقيل لمن كان له
قلب حي عن قتاده او القى السمع وهو شهيد بما يسمع فيفقهه غير غافل عنه
ولا ساه عن ابن عباس و مجاهد والضحاك يقال القي الي سمعك اي اسمع قال ابن عباس
كان المنافقون يجلسون عند رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يخرجون
فيقولون ماذا قال انفا ليس قلوبهم معهم وقيل هو شهيد على صفة النبي صلى الله
عليه وآله في الكتب السالفة يريد اهل الكتاب عن قتاده ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي نصب وتعب اكذب الله
تعالى بهذا اليهود فانهم قالوا استراح الله يوم السبت فلذلك لا نعمل فيه شيئا
فاصبر على ما يقولون يا محمد بهتهم وكذبهم وقولهم انك ساحر ومجنون واحتمل
ذلك حتى ياتي الله بالفرج وهذا قبل ان امر بالقتال وسبح بحمد ربك وصل
حمدا لله تعالى سمى الصلوة تسبيحا لان الصلوة تشتمل على التسبيح والتحميد عن ابن
عباس وقتاده وابن زيد وقيل راد به التسبيح بالقول تنزيها لله تعالى
عما لا يليق به قبل طلوع الشمس وقبل الغروب يعني صلوة الفجر وصلوة الظهر والعصر
عن قتاده وابن زيد ومن الليل يعني صلوة الليل فسبحه يعني المغرب
والعشاء الاخرة وقيل ومن الليل صلوة الليل ويدخل فيه صلوة المغرب والعشا
عن مجاهد وروى عن ابي عبد الله عليه السلام انه سئل عن قوله وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فقال يقول حين يصبح وحين يمسي عشر مرات
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو
على كل شيء قدير وادبار السجود فيه اقوال احدها ان المراد به الركعتان بعد
المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل الفجر عن علي بن ابي طالب عليه السلام والحسن بن علي
عليه السلام والحسن والشعبي عن ابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وآله وثانيها

انه التسبيح

انه التسبيح بعد كل صلوة عن ابن عباس و مجاهد وثالثها انه النوافل بعد المفروضات
عن ابن زيد والجبائي ورابعها انه الوتر من اخر الليل روى ذلك عن ابي عبد الله عليه السلام
قوله عز وجل وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ
بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ خمس آيات الاعراب واستمع يوم ينادي المنادي
تقديره واستمع حديث يوم ينادي المنادي فحذف المضاف وهو مفعول به
وليس بالظرف ويوم يسمعون بدل من يوم ينادي وكذلك يوم تشقق الارض
ويجوز ان ينتصب يوم تشقق بقوله والينا المصير اي يصيرون الينا في ذلك اليوم
المعنى ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله والمراد به جميع المكلفين واستمع يوم
ينادي المنادي من مكان قريب اي اصغ الى النداء وتوقعه يعني صيحة القيمة والبعث
والنشور ينادي بها المنادي وهي النفخة الثانية ويجوز ان يكون المراد واستمع
ذكر حالهم يوم ينادي المنادي وقيل انه ينادي من صخرة بيت المقدس ايتها
العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة قومي لفصل القضاء وما
اعد الله لكم من الجزاء عن قتاده وقيل ان المنادي اسرافيل عليه السلام يقول يا معشر
الخلايق قوموا للحساب عن مقاتل وانما قال من مكان قريب لا يسمعه الخلق كلام
على حد واحد فلا يخفى على احد قريب ولا بعيد فكانهم نودوا من مكان يقرب منهم يوم
يسمعون الصيحة بالحق والصيحة المرة الواحدة من الصوت الشديد وهذه الصيحة
هي النفخة الثانية وقوله بالحق اي بالبعث عن الكلبي وقيل يعني انها كائنة حقا عن مقاتل
ذلك يوم الخروج من القبور الى ارض الموقف وقيل هو اسم من اسماء القيمة عن ابي
عبيده واستشهد بقول الشاعر شعر اليس يوم سمي الخروجا اعظم يوم رجة رجوجا
انا نحن نحيي ونميت اخبر سبحانه عن نفسه انه هو الذي يحيي الخلق بعد ان كانوا
جمادا امواتا ثم يميتهم ان كانوا احياء ثم يحييهم يوم القيمة وهو قوله والينا المصير يوم تشقق

اي تشقق الارض عنهم تتصدع فيخرجون منها سراعاً يسرعون الى الداعي بلا تاخير ذلك
حشر والحشر الجمع بالسوق من كل جهة علينا يسير اي سهل علينا غير شاق هين غير
متعذر مع تباعد ديارهم وقبورهم ثم عزى سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال
نحن اعلم بما يقولون اي بما تقوله هؤلاء الكفار في تكذيبك وجحود نبوتك وانكار
البعث لا يخفى علينا من امورهم شيء وما انت عليهم بجبار اي بمتسلط قادر على قلوبهم
فتجبرهم على الايمان وانما بعثت منذراً داعياً مرغباً وهذا معنى قول ابن عباس وقال
ثعلب قد جاءت احرف على فعال بمعنى مفعل دراك بمعنى مدرك وسراع بمعنى مسرع
وسيف سقاط بمعنى مسقط وبكاء بمعنى مبك قال علي بن عيسى لم يسمع من ذلك
الا دراك من ادركت وقيل جبار من اجبرته على الامر بمعنى اجبرته وهي لغة كنانة
وقيل معناه ما انت عليهم بفظ غليظ لا تحلم عنهم فاحتمل اذاهم فذكر بالقرآن
من يخاف وعيدي انما خص بالتذكير من يخاف وعيد الله تعالى لانه الذي ينتفع به

سورة والذاريات مكية عدد آيها ستون آية بالاجماع فضلها ابي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه وآله من قرأ سورة والذاريات اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا وروى داود بن فرقد عن ابي عبد الله عليه السلام
قال من قرأ سورة والذاريات في يومه او ليلته اصلح الله له معيشته واتاه
برزق واسع ونور له قبره بسراج يزهر الى يوم القيمة تفسيرها لما ختم سورة ق
بالوعيد هذه السورة بتحقيق الوعيد فقال بسم الله الرحمن الرحيم
وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ إِنَّكُمْ لَفِي
قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ
يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ اربع عشرة آية اللغة ذرت الريح التراب تذروه ذرواً
اذا طيرته واذرته تذريه بمعناه والحبك الطرائق التي تجري على الشيء كالطرائق التي

ترى في السماء

ترى في السماء وفي الصافي من الماء اذا مرت عليه الريح وهو مكسر جار فيه ويقال
للشعر الجعد حبك والواحد حباك وحبيكة والحبك حسن اثر الصنعة في الشيء
واستوائه يقال حبكه يحبكه ويحبكه قال زهير في الحبك شعر مكلل باصول
النجم تنسجه ريح خريف لضاحي مائه حبك والخراص الكذاب والخرص الظن والحدس
وسمي الكذب خرصاً لانه يقال كم خرص ارضك بكسر الخاء واصل الخرص القطع من قولهم
خرص فلان كلاماً واخترصه اذا اقتطعه من غير اصل والغمرة من غمره الدين اذا غطاه
بكثرته والغمر السيد لكثير العطاء لانه يغمر بعطائه الاعراب قال الزجاج يوم نصب
على وجهين احدهما ان يكون على معنى يقع الجزاء يوم هم على النار يفتنون
والاخر ان يكون لفظه نصب ومعناه معنى رفع لانه مضاف الى جملة كلام يقول
يعجبني يوم انت قائم ويوم انت تقوم ان شئت فتحته وان شئت رفعته كما قال الشاعر
لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وروي ان
بالرفع لما اضاف غير الى ان وليست بمتمكنة فتح وكذلك لما اضاف يوم الى الجملة
فتح وكما قرئ من خزي يومئذ ففتح يوم وهو في موضع خفض لانك اضفته الى غير
متمكن وقيل انه لما جرى في كلامهم ظرفاً بقي في موضع الرفع على ذلك الاستعمال
وجاء مفتوحاً كما جاء في قوله تعالى ومنا دون ذلك وقوله لقد تقطع بينكم المعنى
والذاريات ذرواً روى ابن الكوا سأل امير المؤمنين علياً عليه السلام وهو يخطب
على المنبر فقال ما الذاريات ذرواً قال الرياح قال فالحاملات وقراً قال السحاب
قال فالجاريات يسراً قال السفن قال فالمقسمات امراً قال الملائكة وروي ذلك
عن ابن عباس ومجاهد فالذاريات الرياح تذرو التراب وتقسم النبات اي تفرقه
فالحاملات وقراً السحاب تحمل ثقلاً من الماء من بلد الى بلد فتصير موقرة به
والوقر بالكسر ثقل الحمل على ظهر او في بطن والوقر ثقل الاذن والجاريات يسراً اي
السفن تجري ميسرة على الماء جرياً سهلاً الى حيث سيرت وقيل هي السحاب تجري يسراً
الى حيث سيرها الله من البقاع وقيل هي النجوم السبعة السيارة الشمس والقمر وزحل والمشتري

والمريخ والزهره وعطارد فالمقسمات من الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما امروا
به اقسم الله تعالى بهذه الاشياء لكثرة ما فيها من المنافع للعباد ولما تضمنته من الدلالة
على وحدانيته تعالى وبدايع صنعه وقيل ان التقدير فيها القسم برب هذه الاشياء
لانه لا يجوز القسم الا بالله عز اسمه وقال ابو جعفر وابو عبد الله عليهما السلام انه لا يجوز لاحد
ان يقسم الا بالله تعالى والله سبحانه يقسم بما شاء من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال انما
توعدون اي من الثواب والعقاب في الجنة والنار لصادق اي صدق لا بد من كونه
فهو اسم وضع موضع المصدر وقيل معناه ذو صدق كقوله عيشة راضية وان الدين
لواقع اي ان الجزاء وقيل ان الحساب لكاين يوم القيمة ثم انشا قسما آخر فقال والسماء ذات
الحبك اي ذات الطرايق الحسنه لكنا لا نرى تلك الحبك لبعدها عنا عن الحسن والضحاك
وقيل ذات الخلق الحسن المستوى عن ابن عباس وقتاده وعكرمه والربيع وقيل ذات
الحسن والزينه عن علي عليه السلام وروى علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن الحسين بن خالد
عن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال قلت له اخبرني عن قول الله عز وجل والسماء ذات الحبك
فقال محبوكه الى الارض وشبك بين اصابعه فقلت كيف تكون محبوكه الى الارض
والله تع يقول رفع السماء بغير عمد فقال سبحان الله اليس يقول بغير عمد ترونها قلت بلى
قال فثم عمد ولكن لا ترى فقلت فكيف ذلك جعلني الله فداك قال فبسط كفه اليسرى ثم وضع
اليمنى عليها فقال هذه ارض الدنيا وسماء الدنيا فوقها قبة والارض الثانيه فوق
السماء الدنيا والسماء الثانيه فوقها قبة والارض الثالثه فوق السماء الثانيه والسماء
الثالثه فوقها قبه ثم هكذا الى الارض السابعه فوق السماء السادسه والسماء السابعه
فوقها قبه وعرش الرحمن فوق السماء السابعه وهو قوله خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن يتنزل الامر بينهن فصاحب الامر هو النبي صلى الله عليه وآله والوصي بعده
وهو على وجه الارض وانما يتنزل الامر اليه من فوق من بين السموات والارضين قلت
فما تحتنا قال ما تحتنا الا ارض واحدة وان الست لفوقنا انكم لفي قول مختلف هذا جواب
القسم اي انكم يا اهل مكه في قول مختلف في محمد فبعضكم يقول شاعر وبعضكم يقول مجنون

وفي القرآن

وفي القرآن يقولون انه سحر وكهانه ورجز وما سطره الاولون وقيل معناه منكم مكذب
بمحمد ومنكم شاك فيه وفايدته ان دليل الحق ظاهر فاطلبوا الحق بدليله والا هلكتم يوفك
عنه من افك اي يصرف عن الايمان من صرف عن الخير اي المصروف عن الخيرات كلها
من صرف عن هذا الدين وقيل معناه يوفك عن الحق والصواب من افك فدل ذكر
القول المختلف على ذكر الحق فجازت الكنايه عنه وقيل معناه يصرف عن هذا القول
اي بسببه ومن اجله عن الايمان من صرف فالهاء في عنه تعود الى القول المختلف عن مجاهد
فيكون الصارف لهم انفسهم كما يقال فلان معجب بنفسه واعجب بنفسه كما يقال اين يذهب
بك لمن يذهب في شغله وقيل ان الصارف لهم روساء البدع وايمة الضلال
لان العامة تبع لهم قتل الخراصون اي لعن الكذابون يعني الذين يكذبون على الله
وعلى رسوله وقيل معناه لعن المرتابون عن ابن عباس قال ابن الانباري وانما كان
القتل بمعنى اللعنه هنا لان من لعنه الله بمنزلة المقتول الهالك ثم وصف سبحانه
هولاء الكفار فقال الذين هم في غمرة اي في شبهة وغفلة غمرهم الجهل ساهون اي لاهون
عما يجب عليهم وقيل هم في ضلالتهم متمادون عن ابن عباس وقيل في عمى مترددون
عن قتاده وقيل ان اول مراتب الجهل السهو ثم الغفلة ثم الغمره فتكون الغمره عبارة
عن المبالغه في الجهل اي هم في غاية الجهل ساهون عن الحق وعما يراد بهم يسالون ايان
يوم الدين اي متى وقت الجزاء انكارا واستهزاء لا على وجه الاستفادة لمعرفته
فاجيبوا بما يسوهم من الحق الذي لا محالة انه نازل بهم فقيل يوم هم على النار يفتنون
اي يكون هذا الجزاء في يوم يعذبون فيها ويحرقون بالنار وقال عكرمه المرتر
ان الذهب اذا ادخل النار قيل فتن اي فهولاء يفتنون بالاحراق كما يفتن الذهب
باحراق الغش الذي فيه ويقول لهم خزنة النار ذوقوا فتنتكم اي عذابكم وحريقكم
هذا الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا تكذيبا به واستبعادا له فقد حصلتم الآن
فيه وعرفتم صحته قوله عز وجل إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ
رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ

هم يستغفرون وفي اموالهم حق للسائل والمحروم وفي الارض آيات للموقنين
وفي انفسكم افلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء
والارض انه لحق مثلما انكم تنطقون تسع آيات لقلة قراء اهل الكوفة غير حفص
مثلما بالرفع والباقون بالنصب الحجة قال ابو علي من رفع مثلا جعله وصفا لحق
وجاز ان يكون مثل وان كان مضافا الى معرفة صفة للنكرة لان مثلا لا يختص بالاضافة
لكثرة الاشياء التي يقع التماثل بها بين المتماثلين فلما لم يخصه الاضافة ولم يزل عنه
الابهام والشياع الذي كان فيه قبل الاضافة بقي على منكره فقالوا مررت برجل
مثلك فلذلك في الاية لم يتعرف بالاضافة الى انكم تنطقون وان كان قوله انكم تنطقون
بمنزلة نطقكم وما في قوله مثلما انكم زايدة واما من نصب فقال مثلما انكم فيحتمل
ثلثة اضرب احدها انه لما اضاف مثل الى مبني وهو قوله انكم بناه كما بني يومئذ في قوله
من عذاب يومئذ وعلى حين عاتبت المشيب على الصبى وقوله لم يمنع الشرب منها
غير ان هتفت حمامة في غصون ذات اوقال فغير في موضع رفع بانه فاعل يمنع
وانما بنيت هذه الاسماء المبهمة نحو مثل ويوم وحين وغير اذا اضيفت الى المبني
لانها تكتسي منه البنا لان المضاف يكتسي من المضاف اليه ما فيه من التعريف والتنكير
والجزاء والاستفهام يقول هذا غلام زيد وصاحب القاضي فيعرف الاسم بالاضافة
الى المعرفة ويقول من يضرب فيكون استفهاما ويقول صاحب من تضرب اضرب
فيكون جزاء فمن بنى هذه المبهمة اذا اضافها الى مبني جعل البنا احد ما يكتسبه من
المضاف اليه ولا يجوز على هذا جاني صاحب صاحب الخمسة عشر ولا غلام هذا لان هذين
من الاسماء غير المبهمة والمبهمة في ابهامها وبعدها من الاختصاص كالحروف التي
تدل على امور مبهمة فلما اضيفت الى المبنية جاز ذلك فيها والبناء على الفتح في مثل قول
سيبويه والقول الثاني ان يجعل ما مع مثل بمنزلة شيء واحد ويبنه على الفتح وان كانت
ما زايدة وهذا قول ابي عثمان وانشد في ذلك قول الشاعر شعر ومداعي مجراه بدم
مثلما اثمر حماض الجبل فذهب الى ان مثل مع ما بمنزلة شيء واحد وينبغي ان يكون اثمر صفة

مثلما لانه

لمثلما لانه لا يخلو من ان يكون صفة له او يكون مثل ما مضافا الى الفعل فلا يجوز الاضافة
لانا لا نعلم مثلا اضيف الى الفعل في موضع فذلك لا يصفه في هذا الموضع الى الفعل فاذا لم يجز
الاضافة كان وصفا وجب ان يعود منه الى الموصوف ذكر فيحذف وكما يحذف الذكر العايد
من الصفة الى الموصوف قد يجوز ان لا يقدر مثل مع ما كشيء واحد ولكن يجعله
مضافا الى ما فيكون التقدير مثل شيء اثمره حماض الجبل فبني مثل على الفتح لاضافته
الى ما وهي غير متمكن ولا يكون لابي عثمان حينئذ في البيت حجة على كون مثل مع ما
بمنزلة شيء واحد ويجوز ان يكون ما والفعل بمنزلة المصدر فيكون مثل اثمار
المحض فيكون كقوله وما كانوا باياتنا يجحدون وقوله بما كانوا يكذبون والقول
الثالث هو ان ينتصب على الحال من الذكرة في النطق وهو قول ابي عمر والجرمي
وذو الحال الذكر المرفوع في قوله لحق والعامل في الحال هو الحق لانه من المصادر
التي وصف بها ويجوز ان يكون الحال عن النكرة الذي هو حق في قوله انه
لحق والى هذا ذهب ابو عمرو لم نعلم انه جعله حالا من الذكر الذي في حق وهذا
لا اشكال في جوازه وقد حمل ابو الحسن قوله تع فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا
على الحال كل امر حكيم وهو نكرة فهذه وجوه النصب في مثلما الاعراب كانوا قليلا من الليل
ما يهجعون يجوز ان يكون قليلا خبر كان وفاعله ما يهجعون والتقدير كانوا قليلا
هجوعهم ويجوز ان يكون قليلا صفة مصدر محذوف على تقدير كانوا يهجعون هجوعا قليلا
فتكون ما زايدة ويهجعون خبر كان ومن في قوله من الليل يجوز ان يكون بمعنى الباء
كما يكون البا بمعنى من في قوله عينا يشرب بها عباد الله اي منها فيكون التقدير كانوا
يهجعون بالليل قليلا وقيل ان قوله ما يهجعون بمنزلة هجوعهم وهو بدل من الواو في كانوا
وقوله من الليل في موضع الصفة لقليل والتقدير كان هجوعهم قليلا من الليل وفي قوله
وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم ان رفعت آيات بالابتداء وجعلت في الارض
خبرا كان الضمير في قوله وفي انفسكم كالضمير في خبر المبتدا وان قدرت آيات مرتفعة
بالظرف كان الضمير في قوله وفي انفسكم كالضمير في الفعل كقولهم قام زيد وقعد التقدير

وفي انفسهم ايات وكذا قوله فيما بعده في موسى اى وفي موسى آيات وفي هود آيات وفي قوم نوح وعاد آيات المعنى ثم ذكر سبحانه ما اعده لاهل الجنة فقال ان المتقين في جنات وعيون مر تفسيره واخذين ما اتاهم ربهم اى ما اعطاهم من الخير والكرامة انهم كانوا قبل ذلك يعني في دار التكليف محسنين يفعلون الطاعات ويحسنون الى غيرهم بضروب الاحسان ثم ذكر احسانهم في اعمالهم فقال كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اى كانوا يهجعون قليلا من الليل يصلون اكثر الليل عن الزهري وابراهيم والهجوع النوم بالليل دون النهار وقيل معناه كل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وهو المروى عن ابي عبد الله عليه السلم والمعنى كان الذي ينامون فيه كله قليلا ويكون الليل اسما للجنس وقال مجاهد لا ينامون كل الليل وقيل ان الوقف على قوله قليلا على معنى كانوا من الناس قليلا ثم ابتداء فقال من الليل ما يهجعون فيكون ما بمعنى النفي عن الضحاك ومقاتل وهذا على نفي النوم عنهم البتة اى كانوا يحيون الليل بالقيام في الصلوة وقراة القرآن واقول ان ما اذا كان نفيا لا يتقدم عليه ما كان في حيزه الان يتعلق قوله من الليل بفعل محذوف يدل عليه قوله يهجعون كما تقول في قوله انى لكما لمن الناصحين وكانوا فيه من الزاهدين وبالاسحار هم يستغفرون قال الحسن مدوا الصلوة الى الاسحار ثم اخذوا بالاسحار في الاستغفار وقال ابو عبد الله عليه السلم كانوا يستغفرون الله في الوتر سبعين مرة في السحر وقيل معناه ان بالاسحار هم يصلون وذلك ان صلوتهم بالاسحار طلب منهم للمغفرة عن مجاهد ومقاتل والكلبي ثم ذكر سبحانه صدقاتهم فقال وفي اموالهم حق للسائل والمحروم والسائل هو الذي يسال الناس والمحروم هو المحارف عن ابن عباس ومجاهد وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسال عن قتاده والزهري وقيل هو الذي لا سهم له في الغنيمة عن ابرهيم النخعي والاصل ان المحروم هو الممنوع الرزق بترك السوال او ذهاب المال او خراب الضيعة او سقوط السهم من الغنيمة لان الانسان يصير فقيرا بهذه الوجوه ويريد سبحانه بقوله حق ما يلزمهم لزوم الديون من الزكوات وغير ذلك

او ما الزموه انفسهم من مكارم الاخلاق قال الشعبي اعيانى ان اعلم ما المحروم وفرق قوم بين الفقير والمحروم بانه قد يحرمه الناس بترك الاعطاء وقد يحرم نفسه بترك السوال فاذا سال لا يكون ممن حرم نفسه بترك السوال وانما حرمه الغير واذا لم يسال فقد حرم نفسه ولم يحرمه الناس وفي الارض ايات اى دلالات بينات وحجج نيرات للموقنين الذين يحققون توحيد الله وانما خص الموقنين لانهم ينظرون فيها فيحصل لهم العلم بموجبها وآيات الارض ما فيها من انواع المخلوقات من الجبال والبحار والنبات والاشجار كل دال على كمال قدرته وحكمته وفي كل شئ له اية تدل على انه واحد وفي انفسكم ايضا لك دلالات على وحدانيته افلا تبصرون اى افلا ترون انها مصرفة من حال الى حال ومنتقلة من صفة الى صفة اخرى اذ كنتم نطفا فصرتم احياء ثم كنتم اطفالا فصرتم شبانا ثم كهولا فهلا دلكم ذلك على ان لها صانعا صنعها ومدبرا دبرها يصرفها على مقتضى الحكمة وقيل ان المراد بذلك اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبايع عن ابن عباس في رواية عطا وقيل يريد سبيل الخلا والبول فالاكل والشرب من مدخل واحد والمخرج من سبيلين وتم الكلام عند قوله وفي انفسكم ثم عنفهم فقال افلا تبصرون وقيل يعني انه خلقك سميعا بصيرا تغضب وترضى وتجوع وتشبع وذلك كله من ايات الله عن الصادق وقيل ان المعنى افلا تبصرون بقلوبكم نظر من كان يرى الحق بعينه وفي السماء رزقكم تنزله اليكم بان يرسل الغيث والمطر عليكم فيخرج به من الارض انواع ما تقتاتونه وتلبسونه وتنتفعون به وما توعدون من الثواب والعقاب عن عطا وقيل من الجنة والنار عن مجاهد والضحاك وقيل معناه وفي السماء تقدير رزقكم اى ما قسمه لكم مكتوب في ام الكتاب وجميع ما توعدون في السماء ايضا لان الملائكة تنزل من السماء لقبض الارواح ولاستنساخ الاعمال ولانزال العذاب يوم القيمة للجزاء والحساب كما قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ثم قال سبحانه فورب السماء والارض انه لحق اقسم سبحانه بنفسه ان ما ذكر من امر الرزق والايات حق لا شك فيه

عن الزجاج وقيل يعني ان ما قضى في الكتاب كاين عن الكلبي بمثل ما انكم تنطقون فكذلك
لا تشكوا في حصول ما وعدتم به شبه الله تعالى تحقق ما اخبر عنه بتحقق نطق
الادمي ووجوده فاراد انه لحق كما ان الادمي ناطق وهذا كما تقول انه لحق كما انك هاهنا
وانه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه في صدقه وتحقق وجوده كالذي تعرفه ضرورة
قوله عز وجل هَلْ اَتٰيكَ حَدِيثُ ضَيْفِ اِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ اِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا
سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَاغَ اِلٰى اَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ اِلَيْهِمْ
قَالَ اَلَا تَاْكُلُونَ فَاَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ فَاَقْبَلَتِ
امْرَاَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ قَالُوا كَذٰلِكَ قَالَ رَبُّكِ
اِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ اَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا اِنَّا اُرْسِلْنَا اِلٰى قَوْمٍ
مُجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ فَاَخْرَجْنَا
مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَرَكْنَا فِيهَا
اٰيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْاَلِيمَ اربع عشرة اية اللغة الروغ الذهاب الى الشي
في خفية يقال راغ يروغ روغا وروغانا وهو اروغ من ثعلب الصرة شدة الصياح
وهو من صرير الباب ويقال للجماعة صرة ايضا قال امرؤ القيس شعر فالحقنا بالهاديات
ودونه جواحرها في صرة لم تزيل والصك الضرب باعتماد شديد وهو ان يصطك
ركبتا الرجل والعقيم العاقر واصله العقم الشد وجاء في الحديث تعقم اصلاب المنافقين
فلا يستطيعون السجود اي تشد وداء عقام اذا اشتد حتى اذا ايس منه ان يبرا
ومعاقم الفرس مفاصله يشد بعضها ببعض والعقيم والعقمة ثياب معلمة اي شدت
بها الاعلام وعقمت المراة فهي معقومة وعقيم من نساء عقم وعقمت ايضا ورجل
عقوم وقوم عقمى قال الشاعر شعر عقم النساء فما يلدن شبيهه ان النساء بمثله
عقم والريح العقيم التي لا تنشي السحاب للمطر والملك عقيم تقطع الولادة لان الاب
يقتل الابن على الملك والخطب الامر الجليل ومنه الخطبة لانها كلام بليغ لعقد امر جليل
يستفتح بالتحميد والتمجيد والخطاب احلى من الابلاغ المعنى لما قدم سبحانه الوعد والوعيد

عقب ذلك ذكر بشارة ابراهيم وهلاك قوم لوط تخويفا للكفار ان ينزل بهم مثل ما نزل باولئك
فقال هل اتيك خبر كذا وان علم انه لم يات حديث ضيف ابراهيم المكرمين عند الله
وذلك انهم كانوا ملائكة كراما ونظيره بل عباد مكرمون وقيل اكرمهم ابراهيم
فرفع مجالسهم وخدمهم بنفسه عن مجاهد وقيل لان اضياف الكرام مكرمون وكان
ابرهيم اكرم الناس واظهرهم فتوة وسماهم ضيفا من غير ان اكلوا من طعامه لانهم دخلوا
مدخل الاضياف واختلف في عددهم فقيل كانوا اثنى عشر ملكا عن ابن عباس ومقاتل
كان جبرئيل ومعه سبعة املاك عن محمد بن كعب وقيل كانوا ثلثة جبرئيل وميكائيل
وملك اخر اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي حين دخلوا على ابرهيم فقالوا على وجه
التحية سلاما اي اسلم سلاما فقال لهم جوابا عن ذلك سلام وقرئ سلم وهذا
مفسر في سورة هود قوم منكرون اي قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وذلك انه
ظنهم من الانس ولم يعرفهم عن ابن عباس والانكار نفي صحة الامر ونقيضه الاقرار والاعتراف
فراغ الى اهله اي ذهب اليهم خفيا وانما راغ مخافة ان يمنعوه من تكلف ما كول كعادة عامة
الظرفاء فجاء بعجل سمين وكان مشويا لقوله في اية اخرى حنيذ قال قتاده وكان
مال ابرهيم البقر فقربه اليهم لياكلوا فلما راهم لا ياكلون عرض عليهم فقال الا تاكلون
وفي الكلام حذف كما ترى فاوجس منهم خيفة اي فلما امتنع من الاكل اوجس منهم خيفة
والمعنى خافهم وظن انهم يريدون به سوءا قالوا اي قالت الملائكة لا تخف يا
ابراهيم وبشروه بغلام عليم اي يكون عالما اذا كبر وبلغ والغلام المبشر به هو
اسمعيل عن مجاهد وقيل هو اسحق لانه من سارة وهذه القصة لها عن اكثر المفسرين
وهذه كله مفسر فيما مضى فاقبلت امراته في صرة اي فلما سمعت البشارة امراته
سارة اقبلت في ضجة عن ابن عباس ومجاهد وقتاده وقيل في جماعة عن الصادق ع
وقيل في رنة عن سفيان والمعنى اخذت تصيح وتولول كما قال قالت يا ويلتى فصكت
وجهها اي جمعت اصابعها فضربت جبينها تعجبا عن مقاتل والكلبي وقيل لطمت وجهها
عن ابن عباس والصك ضرب الشي بالشي العريض وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر

نكيف الد قالوا كذلك قال ربك اى كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاماً فلا تستنكري
فيه انه هو الحكيم العليم بخفايا الامور قال ابرهيم عليه السلم لهم ما خطبكم اى فما شانكم وای
امر جئتم ايها المرسلون وكانه قال قد جئتم لامر عظيم فما هو قالوا انا ارسلنا الى قوم
مجرمين اى عاصين لله كافرين لنعمه استحقوا العذاب والهلاك واصل الجرم القطع
فالجرم القاطع للواجب بالباطل فهولاء اجرموا بان قطعوا الايمان بالكفر لنرسل عليهم
حجارة من طين مسومة عند ربك هذا المفسر في سورة هود للمسرفين اى للمكذبين
من المعاصى المتجاوزين الحد فيها وقيل ارسلت الحجارة على الغايبين وقلبت القرية
بالحاضرين فاخرجنا من كان فيها اى في قرى قوم لوط من المومنين وذلك قوله
فاسر باهلك الاية وذلك ان الله تعا امر لوطا بان يخرج هو ومن معه لئلا يصيبهم العذاب
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين اى غير اهل بيت من المسلمين يعني لوطا وابنتيه
وصفهم الله بالايمان والاسلام جميعاً لانه ما من مومن الا وهو مسلم والايمان هو
التصديق بجميع ما اوجب الله التصديق به والاسلام هو الاستسلام لوجوب عمل الفرض
الذى اوجبه الله والزمه ووجدان الضالة هو ادراكها بعد طلبها وتركنا فيها اى وابقينا
في مدينة قوم لوط اية اى علامة للذين يخافون العذاب الاليم اى تدلهم على ان الله اهلكهم
فيخافون مثل عذابهم والترك في الاصل ضد الفعل ينافى الاخذ في محل القدرة عليه
قدرة على الاخذ وعلى هذا فالترك غير داخل في افعال الله تعا فالمعنى هنا ان ابقينا
منها عبرة ومثله وتركهم في ظلمات وقيل انه الانقلاب لان اقتلاع البلدان لا يقدر عليه
الا الله تعا قوله عز وجل وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَتَوَلَّى
بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ وَفِي عَادٍ
إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ
وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ
وَهُمْ يَنْظُرُونَ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ تسع آيات القراة قرأ الكسائى الصعقة والباقون الصاعقة

بالالف

بالالف قرأ ابو عمرو واهل الكوفة غير عاصم وقوم نوح بالجر والباقون وقوم نوح بالجر
والباقون وقوم نوح بالنصب الحجة قال ابو على قال ابو زيد الصاعقة التى تقع من السماء
والصاعقة التى تصقع الرؤس وقال الاصمعى الصاعقة والصاعقة سواء وانشد
الاصمعى شعر يحكون بالمصقوله القواطع تشقق البرق من الصوافع وامّا الصعقة
فقيل انها مثل الزجرة وهو الصوت الذى يكون عن الصاعقة قال بعض الرجاز
شعر لاح سحاب فرأينا برقه ثم تدانى فسمعنا صعقه ومن جر قوم نوح حمله على قوله
وفي موسى اى وفي قوم نوح وقوله وفي موسى اذ ارسلناه عطف على احد شيئين
امّا ان يكون على وتركنا فيها اية وفي موسى او على قوله وفي الارض ايات وفي موسى
اى وفي ارسال موسى آيات واضحة وفي قوم نوح اية ومن نصب فقال وقوم نوح جاز
في نصبه ايضاً امران كلاهما ان قوله اخذتهم الصاعقة يدل على اهلكناهم فكانه قال
واهلكنا قوم نوح والاخر في قوله فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم يدل على
اغرقناهم وكانه قال اغرقناهم واغرقنا قوم نوح اللغة الركن الجانب الذى يعتمد عليه
يقال ركن يركن ايضاً مثل نصر ينصر والمليم الذى ياتى بما يلام عليه والملوم الذى
وقع به اللوم وفي المثل رب لائم مليم وملوم لا ذنب له والعتو والتجبر والتكبر
واحد وجمع الريح ارواح ورياح ومنه راح الرجل الى منزله اى رجع كالريح
والرميم الذى انتفى بعضه بانتقاء ملائمة بعض لبعض واما رمه يرمه رما والشيء
مرموم اى مصلح بملائمة بعضه لبعض واصل الرميم السحيق البالى من العظم المعنى
ثم بين سبحانه ما نزل بالامم فقال وفي موسى اى وفي موسى ايضاً انه اذ ارسلناه
الى فرعون بسلطان مبين اى بحجة ظاهرة وهى العصا فتولى بركنه اى فاعرض
فرعون عن قبول الحق بما كان يتقوى به من جنده وقومه كالركن الذى يقوى
به البنيان والباقى بركنه للتعدية اى جعلهم يقولون وقال لموسى ساحر او مجنون
وفي ذلك دلالة على جهل فرعون لان الساحر هو اللطيف الحيلة وذلك ينافى صفة
المجنون المختلط العقل فكيف يوصف شخص واحد بهاتين الصفتين فاخذناه

وجنوده فنبذناهم في اليم اي فطرحناهم في البحر كما يلقى النبي في البر وهو مليم اي ات بما يلام عليه
من الكفر والجحود والعتو وفي عاد عطف على ما تقدم اي وفي عاد ايضاً اية اي دلالة فيها
عظة وعبرة اذ ارسلنا عليهم اي حين اطلقنا عليهم الريح العقيم وهي التي عقمت ان تاتي
بخير من تنشئة سحاب او تلقيح شجر او تذرية طعام او نفع حيوان فهي كالمراة الممنوعة
عن الولادة اذ هي ريح الاهلاك ثم وصفها فقال ما تذر من شيء اتت عليه اي لم تترك
هذه الريح شيئاً مرت عليه الا جعلته كالرميم اي كالشيء الهالك البالي وهو نبات الارض
اذا يبس وديس وقيل الرميم العظم البالي المسحوق وفي ثمود ايضاً اية اذ قيل لهم تمتعوا وذلك
انهم لما عقروا الناقة قال لهم صالح تمتعوا ثلاثة ايام وهو قوله تمتعوا حتى حين فعتوا
عن امر ربهم اي خرجوا عن امر ربهم ترفعاً عنه واستكباراً فاخذتهم الصاعقة بعد مضي
الايام الثلاثة وهو الموت عن ابن عباس وقيل هو العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك
عن مقاتل وهم ينظرون اليها جهاراً لا يقدرون على دفعها فما استطاعوا من قيام
اي من نهوض والمعنى انهم لم ينهضوا من تلك الصرعة وما كانوا منتصرين اي
ممتنعين من العذاب وقيل معناه ما كانوا طالبين ناصراً يمنعهم من عذاب الله وقوم
نوح اي واهلكنا قوم نوح من قبل اي من قبل عاد وثمود انهم كانوا قوماً فاسقين
اي خارجين عن طاعة الله الى معاصيه وعن الايمان الى الكفر فاستحقوا لذلك
الاهلاك قوله عز وجل وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا
فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ
إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ
كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا
بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ
الْمُؤْمِنِينَ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ
وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ فَإِنَّ لِلَّذِينَ
ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي

يوعدون

يُوعَدُونَ اربع عشرة اية القراءة قرأ في الشواذ قرأ يحيى والاعمش ذو
القوة المتين بالخفض الحجة قال ابو علي هذا يحتمل امرين احدهما ان يكون
صفة للقوة وذكر على معنى الحبل يريد قوي الحبل كقوله فاستمسك بالعروة
الوثقى والاخر ان يكون اراد الرفع وصفا للرزاق الا انه جاء على لفظ
القوة لجوارها اياه على قولهم هذا جحر ضب خرب وهذا ضعيف للغة الايد
القوة يقال آد الرجل يئيد ايداً اذا اشتد وقوي والمؤيد الامر العظيم والايساع
الاكثار من اذهاب الشيء في الجهات والماهد هو الموطئ للشيء وهو المهيئ
لما يصلح الاستقرار عليه يقال مهد يمهد مهداً ومهد تمهيداً مثل وطأ وطأ
طيه والتواصي ان يوصي القوم بعضهم الى بعض والوصية التقدم في الامر
بالاشياء المهمة مع النهي عن المخالفة واصل الذنوب الدلو الممتلئ ماء يذكر
ويؤنث قال الراجز لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب وقال علقمة شعر وفي كل قوم
قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب المعنى والسماء بنيناها بايد
تقديره بنينا السماء بنيناها بقوة عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة
اي خلقناها ورفعناها على حسن نظامها وانا لموسعون اي قادرون على ما هو
اعظم منها عن ابن عباس وقيل معناه انا لموسعون الرزق على الخلق بالمطر
عن الحسن وقيل معناه وانا لذو سعة لخلقنا اي قادرون على رزقهم
لا يعجز عنه فالموسع ذو الوسع والسعة اي الغنى والجدة والارض فرشناها
اي وفرشنا الارض وبسطناها اي بطناها فنعم الماهدون نحن اذ فعلنا
ذلك للمنافع ومصالح العباد لا لجر نفع ولا لدفع ضرر ومن كل شيء خلقنا
زوجين اي وخلقنا من كل شيء صنفين مثل الليل والنهار والسماء والارض
والشمس والقمر والجن والانس والبر والبحر والنور والظلمة عن الحسن ومجاهد
وقيل الزوجين الذكر والانثى عن ابن زيد لعلكم تذكرون لتعلموا ان خالق الازواج
واحد فرد لا يشبهه شيء ففروا الى الله اي فاهربوا من عقاب الله الى رحمته وثوابه

باخلاص العبادة له وقيل ففروا الى الله اى فاهربوا من عقاب الله الى رحمته وثوابه
باخلاص العبادة وقيل ففروا الى الله بترك جميع ما يشغلكم عن طاعته ويقطعكم عما
امركم به وقيل معناه حجوا عن الصادق عليه السلم انى لكم منه اى من الله نذير مخوف من عقابه
مبين لكم ما ارسلته به ولا تجعلوا مع الله الها آخر اى لا تعبدوا معه معبودا آخر من
الاصنام والاوثان انى لكم منه نذير مبين والوجه فى تكريره ان الثانى منعقد
بغير ما انعقد به الاول اذ تقديره انى لكم منه نذير فى الامتناع من جعل الله
آخر معه وتقدير الاول انى لكم منه نذير فى ترك الفرار اليه بطاعته فهو كقولك
انذرك ان تكفر بالله انذرك ان تتعرض لسخط الله والنذير المخبر بما يحذر
منه وهو يقتضى المبالغة والمنذر صفة جارية على الفعل والمبين الذى يأتى
ببيان الحق من الباطل ثم قال كذلك اى الامر كذلك وهو انه ما اتى الذين
من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون اى لم يأت الذين من قبلهم
يعنى كفار مكة من الامم رسول الا قالوا هو ساحر محتال بالحيل اللطيفة او مجنون
به جنون فهو مغطى على عقله بما لا يتوجه للادراك به ثم قال سبحانه اتواصوا
به اى اوصى اولهم آخرهم بالتكذيب والاستفهام للتوبيخ بل هم قوم طاغون معناه
لم يتواصوا بذلك لكن هم طاغون طغوا فى معصية الله وحملهم الطغيان فيما
اعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيب انبيائى ثم قال للنبى صلى الله عليه وآله فتول
عنهم اى فاعرض عنهم يا محمد فقد بلغت وانذرت وهو قوله فما انت بملوم اى فى كفرهم
وجحودهم بالائمة والذم عليهم من حيث لا يقبلون ما تدعوهم اليه قال المفسرون
لما نزلت هذه الاية حزن رسول الله والمؤمنون وظنوا ان الوحى قد انقطع وان
العذاب قد حل حتى نزلت الاية الثانية وروى بالاسناد عن مجاهد قال خرج على بن
ابى طالب معتما مشتملا فى قميصه فقال لما نزلت فتول عنهم فما انت بملوم لم يبق منا
احد الا ايقن بالهلكة حين قيل للنبى صلى الله عليه وآله فتول عنهم فلما نزل وذكر
ان الذكرى ينفع المؤمنين طابت انفسنا ومعناه عظ بالقرآن من آمن من قومك

فان الذكرى

فان الذكرى تنفعهم عن الكلبى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى لم اخلق الجن
والانس الا للعبادة والمعنى لعبادتهم اياى عن الربيع فاذا عبدونى استحقوا الثواب
وقيل الا لامرهم وانهاهم واطلب منهم العبادة عن مجاهد واللام لام الغرض
والمراد ان الغرض فى خلقهم تعريضهم للثواب وذلك لا يحصل الا باداء العبادات
فصار كانه سبحانه خلقهم للعبادة ثم انه اذا لم يعبده قوم لم يبطل الغرض ويكون
لمن هيأ طعاما لقوم ودعاهم ليأكلوا فحضروا ولم يأكله بعضهم فانه لا ينسب
الى السفه ويصح غرضه فان الاكل موقوف على اختيار الغير كذلك المسئلة فان
الله اذا ازاح على المكلفين من القدرة والالة والالطاف وامرهم بعبادته
فمن خالف فقد اتى من قبل نفسه لا من قبله سبحانه وقيل معناه الا ليقروا بالعبودية
طوعا وكرها عن ابن عباس ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون هذا
نفى الابهام عن خلقهم لعبادته ان يكون ذلك لعائدة نفع يعود عليه تعالى فبين
انه لعائدة النفع على الخلق دونه تعالى لاستحالة النفع عليه لانه غنى لنفسه فلا يحتاج
الى غيره وكل الخلق يحتاج اليه وقيل معناه ما اريد ان يرزقوا احدا من خلقى فانما
اسند الطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد اطعمه
ان الله هو الرزاق لعباده وللخلايق كلهم فلا يحتاج الى معين ذو القوة اى ذو
القدرة المتين اى القوى الذى يستحيل عليه العجز والضعف اذ هو القادر لنفسه
يقال متن متانة فهو متين اذا قوى فان للذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى ذنوبا
مثل ذنوب اصحابهم اى نصيبا من العذاب مثل نصيب اصحابهم الذين هلكوا نحو
قوم نوح وعاد وثمود فلا يستعجلون بانزال العذاب عليهم فانهم اذ يموتون
فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون هذا يدل على انهم اخروا الى يوم القيمة
والويل كلمة يقولها العرب لكل من وقع فى هلكة المعنى وجه اتصال قوله والسماء
بنيناها بايد بما قبله هو انه فى قوم نوح آية وفى السماء ايضا آية فهو متصل به
فى المعنى سورة والطور مكية عدد آيها تسع واربعون آية كوفى شامى ثمان بصرى فى

حجازي اختلافها آيتان والطور عراقي شامي دعا كوفي شامي فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله
عليه وآله قال ومن قرأ سورة والطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وينعمه في جنته وعن جبير
بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ بالطور في المغرب وروى محمد بن هشام
عن ابي جعفر عليه السلام قال من قرأ سورة الطور جمع الله له خير الدنيا والاخرة تفسيرها لما ختم الله
سورة الذاريات بالوعيد افتتح هذه السورة بوقوع الوعيد فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ
الْمَسْجُورِ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا
فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ
دَعًّا هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ اصْلَوْهَا
فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ست عشرة آية

اللغة قال المبرد يقال لكل جبل طور واذا دخلت اللام والالف فهو لشيء بعينه
والرق جلد يكتب فيه واصله من اللمعان يقال ترقرق الشيء اذا لمع والرقراق
ترقرق السراب والمسجور مملو يقال سجرت التنور اي ملأتها نارا وعين سجراء
ممتلية فيها حمرة كانها احمرت مما حولها كالسجار للتنور قال لبيد شعر فتوسطا
عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها والمور تردد الشيء
بالذهاب والمجيء كما يتردد الدخان ثم يضمحل مار يمور مورا فهو مائر وروى
بيت الاعشى شعر كان مشيتها من بيت جارتها مور السحابة لا ريث ولا عجل
وقيل مر السحابة والخوض الدخول في الماء بالقدم وشبه به الدخول في القول
والدع الدفع يقال دعه يدعه دعا وصكه يصكه صكا ومنه الاعراب
والطور الواو للقسم وما بعده عطف عليه والعامل في قوله يوم تمور السماء قوله
واقع اي يقع في ذلك اليوم ويجوز ان يكون هنا على تقدير اذا ويكون العامل فيه
جوابه وهو الفاء وما بعده من قوله فويل يومئذ للمكذبين كما جاء ويوم نحشر اعداء

الله الى النار

الله الى النار فهم يوزعون وقوله يدعون بدل من قوله يوم تمور السماء وان شئت
كان التقدير فيه يوم يدعون الى نار جهنم دعا فقال لهم هذه النار التي كنتم بها
تكذبون فيعمل فيه فقال افسحر هذا مبتدا وخبر ام انتم لا تبصرون المعنى والطور
اقسم سبحانه بالجبل الذي كلم عليه موسى بالارض المقدسة عن الجبائي وجماعة من
المفسرين وقيل هو الجبل اقسم به لما اودع فيه من انواع نعمه عن مجاهد والكلبي
وكتاب مسطور اي مكتوب هو الكتاب الذي كتبه الله لملائكته في السماء يقرأون
فيه ما كان وما يكون وقيل هو القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ وهو الرق
المنشور وقيل هو صحائف الاعمال التي تخرج الى بني آدم يوم القيمة فمن آخذ كتابه بيمينه
وآخذ بشماله وهذا كقوله ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا عن الفراء وقيل
هو التورية كتبها الله لموسى فخص الطور بالذكر لبركتها وكثرة منافعها في الدنيا
وذكر الكتاب لعظم موقعها من الدين عن الكلبي وقيل انه القرآن يكتبه المؤمنون
في رق وينشرونه لقرائته والرق ما يكتب فيه وقيل الرق هو الورق عن ابي عبيدة وقيل
انما ذكر الرق لانه من احسن ما يكتب فيه واذا كتبت الحكمة فيما هو على هذه الصفة كان
ابهى في المنشور المبسوط والبيت المعمور وهو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة
تعمره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة عن ابن عباس ومجاهد وروي ايضا
عن امير المؤمنين عليه السلام قال ويدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون
اليه ابدا وعن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله
قال البيت المعمور في السماء الدنيا وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخل
فيه جبرئيل كل يوم طلعت فيه الشمس واذا خرج انتفض انتفاضة خرت عنه سبعون
الف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون ان يأتوا البيت المعمور فيصلون
فيه فيفعلون ثم لا يعودون اليه ابدا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله البيت المعمور الذي في السماء الدنيا يقال له القراح وهو بفناء البيت الحرام
لو سقط سقط عليه يدخله كل يوم الف ملك لا يعودون فيه ابدا وقيل البيت المعمور

في الارض
وهو الكعبة البيت الحرام معمور بالحج والعمرة عن الحسن وهو اول مسجد وضع للعبادة
والسقف المرفوع وهو السماء عن علي عليه السلم ومجاهد وقتاده وابن زيد قال وهي
كالسقف للارض رفعها الله والبحر المسجور اي المملوء عن قتاده وقيل هو الموقد
المحمي بمنزلة التنور عن مجاهد والضحاك والاخفش وابن زيد ثم قيل انه تحمى الابحار
يوم القيمة فتجعل نيرانا ثم يفجر بعضها في بعض ثم يفجر الى النار وورد به الحديث ان عذاب
ربك لواقع هذا جواب القسم اقسم الله بهذه الاشياء للتنبيه على ما فيها من عظيم
القدرة على ان تعذيب المشركين حق واقع لا محالة ما له من دافع يدفع عنهم ذلك العذاب
ثم بين سبحانه انه متى يقع فقال يوم تمور السماء مورا اي تدور دورانا وتضطرب
وتموج وتحرك وتتدين كل هذه عبارات المفسرين وتسير الجبال سيرا اي تسير
الجبال وتزول عن اماكنها حتى تستوي الارض فويل يومئذ للمكذبين دخلت الفا
لان في الكلام معنى المجازاة والتقدير اذا كان هذا فويل لمن يكذب بالله ورسوله
الذين هم في خوض اي في حديث باطل يخوضون وهو الحديث الذي كان يخوض
فيه الكفار من انكار البعث وتكذيب النبي صلى الله عليه وآله يلعبون اي يلهون
بذكره يوم يدعون اي يدفعون الى نار جهنم دعا اي دفعا بعنف وجفوة قال
مقاتل هو ان تغل ايديهم الى اعناقهم ويجمع نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعون
الى جهنم دفعا على وجوههم حتى اذا دنوا قال لهم خزنتها هذه النار التي كنتم بها
تكذبون في الدنيا ثم وبخهم لما عاينوا ما كانوا يكذبون به وقوله افسحر هذا
الذي ترون ام انتم لا تبصرون وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وآله
الى السحر والى انه يغطي على الابصار بالسحر فلما شاهدوا ما وعدوا به من العذاب
وبخوا بهذا ثم يقال لهم اصلوها اي قاسوا شدتها فاصبروا على العذاب او لا تصبروا
سواء عليكم الصبر والجزع انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من المعاصي
بكفركم وتكذيبكم الرسول قوله عز وجل إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ
رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مُتَّكِئِينَ

على سرر

عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ
أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ
وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا
وَلَا تَأْثِيمٌ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا
وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ
اثنتا عشرة آية القراءة قرأ ابو عمرو واتبعناهم بالنون والالف وقطع الهمزة
ذرياتهم بالالف وكسر التاء الحقنا بهم ذرياتهم كذلك وقرأ اهل المدينة واتبعتهم
بالتاء ووصل الهمزة ذريتهم بالرفع الحقنا بهم ذرياتهم جمع وقرأ ابن كثير واهل
الكوفة واتبعتهم ذريتهم الحقنا بهم ذريتهم وقرأ ابن عامر ويعقوب وسهل
اتبعتهم ذرياتهم جمع الحقنا بهم ذرياتهم ايضا وقرأ ابن كثير وما التناهم
بكسر اللام وقرأ اهل المدينة والكسائي انه هو البر بالفتح والباقون انه بالكسر
وفي الشواذ قراءة عبد الله وابرهيم وزوجناهم بحور عين وقرأ الاعرج وما
التناهم على افعلناهم الحجة قال ابو علي الذرية يقع على الصغير والكبير فالاول نحو
قوله ذرية طيبة والثاني نحو قوله ومن ذريته داود وسليمان فان حملت الذرية
في الاية على الصغار كان قوله بايمان في موضع نصب على الحال من المفعولين اي اتبعتهم
بايمان من الاباء ذريتهم الحقنا الذرية بهم في احكام الاسلام فجعلناهم في حكمهم
في انهم يرثون ويورثون ومدفنون في مقابر المسلمين وحكمهم حكم الاباء وذريتهم
الحقنا الذرية بهم في احكام الاسلام فجعلناهم في حكمهم في انهم يرثون ويورثون
ومدفنون في مقابر المسلمين وحكمهم حكم الاباء في احكامهم الا فيما كان موضوعا
عن الصغير لصغره وان جعلت الذرية للكبار كان قوله بايمان حالا من الفاعلين
الذين هم ذريتهم اي الحقنا بهم ذريتهم في احكام الدنيا والثواب
في الاخرة وما التناهم من عملهم اي من جزاء عملهم من شيء كما قال فلا تظلم نفس شيئا وكما قال

ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ومن قرأ ذريتهم فافرد
فلان الذرية يقع على الكثرة فاستغنى بذلك عن جمعه وكذلك القول في ذريتهم
فانه افرد ذريتهم والحق التاء في اتبعتهم لتانيث الاسم ومن جمعه فلان الجموع
قد يجمع نحو اقوام وطرقات وفي الحديث انكن صواحبات يوسف ومن قرأ التناهم
بكسر اللام فشبه ان يكون فعلنا لغة كما قالوا نقم ينقم ونقم ينقم ومن قرأ ندعوه انه
بالفتح فالمعنى لانه هو البر الرحيم ومن كسر قطع الكلام عما قبله واستانف قال ابن جني
المراة العبثاء البيضاء ومثله جمل اعبس وناقة عبساء قال كانها البكرة العبسا ويقال
التة يالتة التا والته يولته ايلاتا ولامة يليته وليته يليته لنا اي نقصه قال الحطيه
ابلغ لديك بني سعد مغلغلة جهد الرسالة لا التاء ولا كذبا المعنى لما تقدم
وعيدا للكافرين عقبه سبحانه بالوعد للمومنين فقال ان المتقين الذين يجتنبون معاصي
الله خوفا من عقابه في جنات اي بساتين تحتها الاشجار ونعيم اي وفي نعيم فاكهين
بما اتاهم ربهم عن الزجاج والفراء ووقاهم ربهم اي صرف عنهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا
هنيئا بما كنتم تعملون مامون العاقبة من التخمة والسقم ثم ذكر حالهم في الاكل والشرب
فقال متكئين على سرر مصفوفة والسرر جمع سرير والمصفوفة المصطفة الموصول
بعضها ببعض وقيل ان في الكلام حذفا تقديره متكئين على نمارق موضوعة
على سرر لكنه حذف لان اللفظ يدل عليه من حيث ان الاتكاء جلسة راحة ودعة
ولا يكون ذلك الا على الوسائد والنمارق وزوجناهم بحور عين فالحور البيض
النقيات في حسن وكمال والعين الواسعات الاعين في صفاء وبهاء ومعناه
قرناهولاء المتقين بحور عين على وجه التمتع لهم والتنعيم عن زيد بن ارقم
قال جاء رجل من اهل الكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا ابا القسم تزعم
ان اهل الجنة ياكلون ويشربون فقال والذي نفسي بيده ان الرجل منهم ليوتى
قوة مائة رجل في الاكل والشرب والجماع قال فان الذي ياكل ويشرب يكون له الحاجة
فقال عرق يفيض مثل ريح المسك فاذا كان ذلك ضمر بطنه والذين امنوا واتبعتهم

ذريتهم

ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم يعني بالذرية اولادهم الصغار والكبار لان الكبار
يتبعون الاباء بايمان منهم والصغار يتبعون الاباء بايمان من الاباء فالولد يحكم له
بالاسلام تبعا لوالده واتبع بمعنى تبع ومن قرأ فاتبعناهم فهو منقول من تبع
ويتعدى الى المفعولين وقيل الاتباع الحاق الثاني بالاول في معنى يكون عليه لانه لو لحق
به من غير ان يكون في معنى هو مفعول عليه لم يكن اتباعا وكان الحاقا والمعنى انا نلحق
الاولاد بالاباء في الجنة والدرجة من اجل ايمان الاباء لتقر عين الاباء باجتماعهم
معهم في الجنة كما كانت تقر بهم في الدنيا عن ابن عباس والضحاك وابن زيد وفي
رواية اخرى عن ابن عباس انهم البالغون الحقوا بدرجة اباءهم وان قصرت
اعمالهم تكرمة لاباءهم واذا قيل كيف يلحقون بهم في الثواب لم يستحقوه فالجواب انهم
يلحقون بهم في الجمع لا في الثواب والمرتبة روى زاذان عن علي عليه السلم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله ان المومنين واولادهم في الجنة ثم قرأ هذه الاية وروى عن
الصادق عليه السلم قال اطفال المومنين يهدون الى اباءهم يوم القيمة وما التناهم
من عملهم من شيء اي لم تنقص الاباء من الثواب حين الحقنا بهم ذرياتهم عن ابن عباس
ومجاهد وتم الكلام ثم ذكر سبحانه اهل النار فقال كل امرء بما كسب رهين اي كل امرء
كافر مرتهن في النار بما كسب اي عمل من الشرك عن مقاتل والمؤمن لا يكون مرتهنا لقوله
كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين فاستثنى المومنين وقيل معناه كل انسان يعامل
بما يستحقه ويجازى بحسب ما عمله ان عمل طاعة اثيب وان عمل معصية عوقب ولا يواخذ احد
بذنب غيره ثم ذكر سبحانه ما يزيدهم من الخير والنعمة فقال وامددناهم بفاكهة
اي اعطيناهم حالا بعد حال فان الامداد هو الاتيان بالشيء بعد الشيء والفاكهة
جنس الثمار ولحم مما يشتهون اي واعطيناهم وامددناهم بلحم من الجنس الذي يشتهونه
يتنازعون فيها كاسا اي يتعاطون كاس الخمر ثم وصف بالكاس فقال لا لغو فيها ولا تاثيم
اي لا يجري بينهم باطل لان اللغو ما يلغى ولا ما فيه اثم كما يجري في الدنيا بين شرب الخمر والتاثيم
تفعيل من الاثم يقال اثمه اذا جعله ذا اثم يعني ان تلك الكاس لا تجعلهم اثمين وقيل معناه

لا يتسابون عليها ولا يوثم بعضهم بعضًا عن مجاهد ويطوف عليهم للخدمة غلمان لهم كانهم
لولوء مكنون في الحسن والصباحة والصفا والبياض والمكنون المصون المخزون
وقيل انه ليس على الغلمان مشقة في خدمة اهل الجنة لهم في ذلك اللذة والسرور اذ ليست
تلك الدار دار محنة وذكر عن الحسن انه قال قيل يا رسول الله الخادم كاللولوء فكيف المخدوم
فقال والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر
على ساير الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اي يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب
والخوف في الدنيا عن ابن عباس وهو قوله قالوا انا كنا من قبل في اهلنا مشفقين
اي خايفين في دار الدنيا من العذاب فمن الله بالمغفرة ووقانا عذاب السموم اي عذاب
جهنم والسموم من اسماء جهنم عن الحسن وقيل ان المعنى يسال بعضهم بعضًا عما فعلوه في الدنيا
فاستحقوا بها المصير الى الثواب والكون في الجنان فيقولون انا كنا في دار التكليف
مشفقين اي خايفين رقيقي القلب فان الاشفاق رقة القلب عما يكون من الخوف على الشيء
والشفقة نقيض الغلظ واصله الضعف من قولهم ثوب شفق اي ضعيف النسج ومنه الشفق
للحمرة عند غروب الشمس لانها حمرة ضعيفة وقوله في اهلنا مشفقين يريد فيمن يختص به
ممن هو ولي بناء والاهل هو المختص بغيره من جهة ما هو اولى به والسموم الحر الذي
يدخل مسام البدن يتالم به واصله من السم الذي هو مخرج النفس فكل خرق سم او من
السم الذي يقتل قال الزجاج يريد عذاب سموم جهنم وهو ما يوجد من نفحها وحرها
انا كنا من قبل اي في الدنيا ندعوه اي ندعو الله ونوحده ونعبده انه هو البر
اي اللطيف واصله اللطف مع عظم الشان ومنه البرة للطفها مع عظم النفع بها
وقيل البر الصادق فيما وعد الرحيم بعباده قوله عز وجل فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ قُلْ
تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ
طَاغُونَ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا
صَادِقِينَ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

بل لا يوقنون

بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ
فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ أَمْ تَسْأَلُهُمْ
أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ اثنتا عشرة آية القراءة قرا ابن كثير المسيطرون
بالسين وفي الغاشية بمسيطر بالصاد وقرا ابن عامر كليهما بالسين وقراء باشمام
الزاي فيهما حمزة الا العجلي فانه قرا بالصاد فيهما وقرا الباقون بالصاد فيهما الحجة
قال ابو عبيدة المسيطرون الارباب يقال تسيطرت على اي تخذ بني خولا والاصل
السين وكل سين بعدها طاء يجوز ان تقلب صادا تقول صطر وسطر وقد مر بيانه
في سورة الفاتحة اللغة الكاهن الذي يذكر انه يخبر عن الحق على طريق العزايم
والكهانة صنعة الكاهن والمنون المنية وريبها الحوادث التي تريب عند مجيها
قال تربص بها ريب المنون لعلها سيهلك عنها بعلها او سينجح والتربص الانتصاب
بالشيء من انقلاب حال له او خلافها والاحلام جمع الحلم وهو الامهال الذي يدعو
اليه العقل والحكمة والمسيطر الملزم غيره امرا من الامور قهرا ماخوذ من السطر
والمثقل المحمول عليه ما يشق حمله المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه فقال فذكر يا محمد
اي فعظ هولاء المكلفين ولا تترك دعوتهم وان اساؤا قولهم فيك فما انت بنعمة
ربك اي بانعام ربك عليك بالنبوة وهذا قسم بكاهن وهو الذي يوهم
انه يعلم الغيب بطريق خدمة الجن ولا مجنون وهو المؤوف بما يغطي على عقله
وقد علم الكفار انه ص عليه ليس بكاهن ولا مجنون لكن الذين قالوا ذلك على
جهة التكذيب عليه ليستريحوا الى ذلك كما يستريح السفهاء الى التكذيب
اعدايهم او يقولون شاعر اي بل يقولون هو شاعر نتربص به ريب المنون
اي ننتظر حدثان الموت وحوادث الدهر فيهلك كما هلك من تقدم من الشعراء
او يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى المنية وام هذه المنقطعة بمعنى التركه
والتحول كقول علقمة بن عبدة شعر هل ما علمت وما استودعت مكتوم ام حبلها
اذ نات اليوم مصروم فكانه قال من المتربصين بي انكم ان تربصتم في حوادث

الدهر فانی منتظر مثل ذلك بكم وتربص الكفار بالنبی والمومنين قبيح وتربص النبی
والمومنين وتوقعهم لهلاككم حسن و هو قوله فتربصوا وان كان بصيغة
الامر فالمراد به التهديد ام تامرهم احلامهم بهذا ای بل تامرهم عقولهم بما يقولون
لك ويتربصونه بك قال المفسرون كانت عظماء قريش توصف بالاحلام والعقول
فازری الله سبحانه بعقولهم حيث لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل ثم اضرب
عن طغيانهم فقال ام هم قوم طاغون وقرأ مجاهد بل هم قوم طاغون وبل
فی المعنی قريبة من ام هنا الا ان ما بعد بل متيقن وما بعد ام مشكوك
فيه والمعنی ان عقولهم تامرهم بهذا ولم تدعهم اليه بل حملهم الطغيان علی تكذيبك
ام يقولون تقوله ای افتعل القران وتكذبه من تلقاء نفسه والتقول تكلف
القول ولا يقال ذلك الا فی الكذب بل لا يومنون ای ليس الامر كما زعموا بل ثبت انه
من عند الله ولكنهم لا يصدقون بذلك عنادا وحسدا واستكبارا ثم الزمهم
سبحانه الحجة وتحداهم فقال فلياتوا بحديث مثله ای مثل القران وما يقاربه
فی نظمه وفصاحته وحسن بيانه وبراعته ان كانوا صادقين فی انه تقوله محمد
صلی الله عليه وآله فاذا لم يقدروا علی الاتيان بمثله فليعلموا ان محمدا لم يتقوله
من تلقاء نفسه بل هو من عند الله تعالی ثم احتج عليهم بابتداء الخلق فقال
ام خلقوا من غير شیء ام خلقوا لغير شیء ای اخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون
ولا ينهون ونحو هذا عن الزجاج وقيل معناه ام خلقوا عبثا وتركوا سدی
عن ابن كيسان وهذا فی المعنی فی الاول وقيل معناه اخلقوا من غير خالق ومدبر
دبرهم ام هم الخالقون انفسهم فلا يجب عليهم عن ابن عباس ام خلقوا السموات
والارض واخترعوها فلذلك لا يقرون بالله وبانه خالقهم بل لا يوقنون بان لهم
الها يستحق العبادة وحده وانك نبی من جهة الله ام عندهم خزاين ربك ای بايديهم
مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤوا عن مقاتل وعكرمة وقيل اراد
خزاين المطر والرزق عن الكلبی وابن عباس وقيل خزاينه مقدوراته فلا ياتيهم

الاما يعجبون

الا ما يحبون عن الجبائی ام هم المسيطرون ای الارباب المسلطون علی الناس فليس عليهم
مسيطر ولا لهم ملزم مقوم وقيل معناه اهم المالكون الناس القاهرون لهم
عن الجبائی ام لهم سلم ای مرقی ومصعد الی السماء يستمعون فيه الوحی من السماء فقد
وثقوا بما هم عليه وردوا ما سواه فليات مستمعهم بسلطان مبين ای بحجة ظاهرة
واضحة ان ادعی ذلك والتقدير يستمعون عليه فهو كقوله فلا صلبنكم فی جذوع
النخل وانما قيل لهم ذلك لان كل من يدعی ما لا يعلم ببداية المعقول فعليه اقامة البينة
والحجة ام له البنات ولكم البنون وهذا تسفيه لاحلامهم اذا اضافوا الی الله
سبحانه ما انفوا منه وهذا غاية فی جهلهم اذ جوزوا عليه سبحانه الولد ثم ادعوا
انه اختار الادون علی الاعلی ام تسالهم اجرا ای ثوابا علی اداء الرسالة وعلی ما جئتهم
به من الدين والشريعة فهم من مغرم مثقلون اثقلهم ذلك الغرم الذی
تسالهم فمنعهم ذلك عن الايمان بك قوله عز وجل اَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ
اَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ اَمْ لَهُمْ اِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ سُبْحَانَ
اللّٰهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَاِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ فَذَرْهُمْ
حَتّٰى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِی فِيهِ يُصْعَقُونَ يَوْمَ لَا يُغْنِی عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ
يُنْصَرُونَ وَاِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذٰلِكَ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَاِنَّكَ بِاَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ
فَسَبِّحْهُ وَاِدْبَارَ النُّجُومِ تسع آيات القراءة قرأ ابن عامر وعاصم يُصعقون
بضم الياء والباقون بفتحها وقرأ زيد عن يعقوب وادبار النجوم بفتح الالف
والباقون بكسرها الحجة يقال صعق الرجل يصعق ومن قرأ يُصعقون بضم الياء
فانه علی نقل الفعل بالهمزة صعقهم غيرهم وحكی ابو الحسن صعق فعلی هذا يجوز ان يكون
يصعقون منه ومن قرأ وادبار النجوم فانه يكون كقولهم اعقاب النجوم قال شعر
واصبحت من ليلی الغداة كناظر مع الصبح فی اعقاب نجم مغرب اللغة الكيد
هو المكر وقيل هو فعل يوجب الغيظ فی خفية والكسف جمع كسفة فهو مثل سدرة وسدر

والكسفة القطعة من الغيم بقدر ما يكسف ضوء الشمس والمركوم الموضوع بعضه
على بعض لعتى ثم قال سبحانه ام عندهم الغيب فهم يكتبون اى اعندهم الغيب حتى علموا
ان محمدا يموت قبلهم وهذا جواب لقوله يتربصون به الناس عن ابن عباس وقيل هو
جواب لقولهم ان كان امر الاخرة حقا كما يدعون قلنا الجنة مثله ولئن رجعت
الى ربى ان لى عنده للحسنى عن الحسن والغيب الذى لا يعلمه الا الله تع وهو ما لا يعلمه العاقل
ضرورة ولا عليه دلالة فالله تعالى عالم به لانه يعلمه لنفسه والعالم لنفسه يعلم جميع
المعلومات فلا يخفى عليه شىء منها ام يريدون كيدا اى مكرا بك وتدبيرا سوء فى بابك
سرا على ما دبروه فى دار الندوة فالذين كفروا هم المكيدون اى هم المجزيون بكيدهم
فان ضرر ذلك يعود عليهم ويحيق بهم مكرهم كما جزى الله سبحانه اهل دار الندوة
بكيدهم ان قتلهم ببدر ام لهم اله غير الله يرزقهم ويحفظهم وينصرهم يعنى
ان الذين اتخذوهم الهة لا ينفعهم ولا يدفع عنهم ثم نزه سبحانه نفسه فقال
سبحان الله عما يشركون به من الالهة ثم ذكر سبحانه عنادهم وقسوة قلوبهم
فقال وان يروا كسفا من السماء ساقطا يعنى ان عذبناهم بسقوط بعض من السماء
عليهم لن ينتهوا عن كفرهم وقالوا هو قطعة من السحاب وهو قوله يقولوا سحاب
مركوم بعضه على بعض وكل هذه الامور المذكورة بعد ام فى هذه السورة الزامات
لعبدة الاوثان على القرآن ثم قال سبحانه يخاطب النبى صلى الله عليه وآله فذرهم يا محمد
اى اتركهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون اى يهلكون بوقوع الصاعقة
عليهم وقيل الصعقة النفخة الاولى التى يهلك عندها جميع الخلايق ثم وصف سبحانه
ذلك اليوم فقال يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا اى لا تنفعهم حيلتهم ولا يدفع عنهم
ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا يعنى كفار مكة عذابا دون ذلك اى دون
عذاب الاخرة يعنى القتل يوم بدر عن ابن عباس وقيل يريد عذاب القبر عن ابن عباس
والبراء بن عازب وقيل هو الجوع فى الدنيا والقحط سبع سنين عن مجاهد وقيل
هو مصائب الدنيا عن ابن زيد وقيل هو عموم جميع ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون

ما هو نازل

ما هو نازل بهم واصبر يا محمد لحكم ربك الذى حكم به والزمك التسليم له الى ان يقع
عليهم العذاب الذى حكمنا عليهم وقيل واصبر على اذاهم حتى يرد امر الله فيهم
فانك باعيننا اى بمرأى منا نرى ما يعمل بك ولا يخفى علينا شىء من امرك ونحفظك
لئلا يصلوا الى شىء من مكروهك وسبح بحمد ربك حين تقوم من نومك
عن ابى الاحوص وقيل حين تقوم الى الصلوة المفروضة فقل سبحانك اللهم وبحمدك
عن الضحاك وقيل معناه وصل بامر ربك حين تقوم من مقامك عن ابن زيد
وقيل الركعتان قبل صلوة الفجر عن ابن عباس والحسن وقيل حين تقوم من المجلس فقل
سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت اغفر لى وتب على عن عطا وسعيد بن جبير وقد روى
مرفوعا انه كفارة المجلس وقيل معناه اذكر الله بلسانك حين تقوم الى الصلوة الى
ان تدخل فى الصلوة عن الكلبى فهذه سبعة اقوال ومن الليل فسبحه يعنى صلوة
الليل روى زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم
فى هذه الاية قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقوم من الليل ثلاث مرات
فينظر فى افاق السماء ويقرأ الخمس آيات من آل عمران التى اخرها انك لا تخلف الميعاد ثم يفتح
صلوة الليل الخبر بتمامه وقيل معناه صل المغرب والعشاء الاخيرة عن مقاتل وادبار النجوم
يعنى الركعتين قبل صلوة الفجر عن ابن عباس وقتاده وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد
الله عليهما السلم وذلك حين تدبر النجوم اى حين تغيب بضوء الصبح وقيل يعنى صلوة
الفجر المفروضة عن الضحاك وقيل ان المعنى لا تغفل عن ذكر ربك صباحا ومساء
ونزهه فى جميع احوالك ليلا ونهارا فانه لا يغفل عنك وعن حفظك وفى هذه الاية
دلالة على انه سبحانه قد ضمن حفظه وكلائته حتى يبلغ رسالته **سورة والنجم**
مكية المعدل عن ابن عباس غير اية منها نزلت بالمدينة الذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش الاية وعن الحسن قال هى مدينة **عدد آيها** اثنان وسبعون آية كوفى وآية
فى الباقين اختلاف ثلث ايات عن الحق شيئا كوفى عن من تولى شامى الحيوة الدنيا غير
الشامى **فضلها** ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قرأ سورة والنجم اعطى من الاجر

عبد الله

عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ومن جحد به يزيد بن خليفة عن ابي عبد الله عليه السلم قال من كان يدمن قراءة والنجم في كل يوم او في كل ليلة عاش محمودا بين الناس وكان مفقودا وكان محببا بين الناس تفسيرها افتتح الله سبحانه هذه السورة بذكر النبي صلى الله عليه واله كما ختم بذكره سورة الطور حتى اتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى

عشر آيات القراءة امال حمزة والكسائي وخلف واخر آيات هذه السورة كلها او جميع اشباهها وقرأ اهل المدينة وابو عمرو بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب وكذلك كل سورة آياتها على الياء مثل سورة طه والشمس وضحيها والليل اذا يغشى والضحى واشباهها وكل ما كان على وزن فعلى او فعل في جميع القرآن فان ابا عمرو يقرأها بين الفتح والكسر ايضا في رواية شجاع واكثر الروايات عن اليزيدي والباقون يفتحون ويفخمون وابن كثير وعاصم اشد تفخيما في ذلك كله الحجة واما ترك الامالة والتفخيم للالف فهو قول كثير من الناس والامالة ايضا قول كثير منهم فمن ترك كان مصيبا ومن اخذ بها كان مصيبا اللغة الهوى النزول والسقوط نظاير هوى يهوي هويا وهويا قال الهذلي شعر واذا رميت به الفجاج رايته يهوي مخارمها هوي الاجدل ومنه سميت الهاوية لانها تهوي باهلها من اعلاها الى اسفلها والغي الخيبة ومنه الغواية والوحي القاء المعنى الى النفس في خفية الا انه صار كالعلم فيما يلقيه الملك الى النبي من البشر عن الله تعالى ومنه قوله واوحى ربك الى النحل اي الهمها من اشدها والقوة والقدرة واصله الشدة واصل المرة شدة الفتل ثم يجري المرة على القدرة فالمرة والقوة والشدة نظاير والافق ناحية السماء

وجوه

وجمعه آفاق وقد سمي نواحي الارض آفاقا على التشبيه قال الشاعر شعر في المعنى الاول اخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع وقال امرؤ القيس في المعنى الثاني شعر لقد طفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب والتدلي الامتداد الى جهة السفل يقال دلاه صاحبه فتدلى والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن مقدار الشيء الاعراب وهو بالافق الاعلى مبتدأ وخبر في موضع الحال وقال الفراء وهو معطوف على الضمير في استوى اي استوى جبرئيل والنبي بالافق الاعلى والتقدير استوى هو وهو وقال وحسن ذلك لئلا يتكرر هو وانشد شعر الم تر ان النبع يصلب عوده ولا يستوي والخروع المتقصف قال الزجاج وهذا لا يجوز الا في الشعر لانهم يستقبحون استويت وزيد وانما المعنى فاستوى جبرئيل وهو بالافق الاعلى على صورته الحقيقية لانه كان يتمثل للنبي اذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل فاحب رسول الله ان يراه على حقيقته فاستوى في افق المشرق فملأ الافق المعنى والنجم اذا هوى قيل معناه اقوال احدها ان الله تعالى اقسم بالقرآن اذ انزل نجوما متفرقة على رسول الله في ثلث وعشرين سنه عن الضحاك ومجاهد والكلبي فسمى القرآن نجما لتفرقه في النزول والعرب تسمى التفريق تنجيما والمفرق منجما وثانيها انه اراد بالنجم الثريا اقسم بها اذا سقطت وغابت مع الفجر عن ابن عباس ومجاهد والعرب تطلق اسم النجم على الثريا خاصة قال ابو ذويب شعر فوردن والعيوق مقعد رابئ الضرباء فوق النجم لا يتتلع قال ابن دريد والثريا سبعة انجم ستة ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به ابصارهم وثالثها ان المراد به جماعة النجوم اذا هوت اي سقطت وغابت وخفيت عن الحس واراد به الجنس كما قال الراعي شعر وبات يعد النجم في مستحيرة سريع بايدي الآكلين جمودها وقيل اشار بقوله النجم الى الطلوع لان ما نافل يطلع فاستدل بطلوعه وافوله على وحدانيته سبحانه وحركات النجم توصف بالهوي عن الجبائي وقيل ان هويه سقوطه يوم القيمة فيكون كقوله واذا الكواكب انتثرت عن الحسن ورابعها انه يعني به الرجوم من النجوم وهو ما يرمى به الشياطين عند

استراق السمع عن ابن عباس وروى عن جعفر الصادق عليه السلام انه محمد صلى الله عليه وآله
نزل من السماء السابعة ليلة المعراج ولما نزلت السورة اخبر بذلك عتبة بن ابي لهب
فجاء الى النبي صلى الله عليه وآله وطلق ابنته وتفل في وجهه فقال كفرت بالنجم وبرب
النجم فدعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فخرج عتبة الى الشام فنزل
في بعض الطريق والقى الله عليه الرعب فقال لاصحابه ليلا نيموني بينكم ففعلوا فجاء اسد
وافترسه من بين الناس وفيه يقول حسان شعر سائل بني الاصغر ان جئتهم ما كان
ابناء بني واسع لا وسع الله له قبره بل ضيق الله على القاطع رمى رسول الله من بينهم
دون قريش رمية القاذع واستوجب الدعوة منه بما بين للناظر والسامع فسلط الله
به كلبه يمشي الهوينا مشية الخادع فالتقم الراس بيافوخه والنحر منه فغرة الجائع
من يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع قد كان هذا لكم عبرة للسيد
المتبوع والتابع ما ضل صاحبكم وما غوى يعني النبي صلى الله عليه وآله اي ما عدل
عن الحق وما فارق الهدى الى الضلالة وما غوى فيما يؤديه اليكم ومعنى غوى ضل
وانما اعاده توكيدا وقيل معناه ما خاب عن اصابة الرشد وقيل ما خاب سعيه
بل ينال ثواب الله وكرامته وما ينطق بالهوى وهذا كما يقال رميت بالقوس وعن القوس
وقيل معناه لا يتكلم بالقرآن وما يؤديه اليكم عن الهوى الذي هو ميل الطبع ان هو الا وحي
يوحى اي ما القرآن وما ينطق به من الاحكام الا وحي من الله يوحى اليه اي ياتيه به جبرئيل
عليه السلام وهو قوله علمه شديد القوى يعني جبرئيل عليه السلام اي القوي في نفسه وخلقته
عن ابن عباس وقتاده والربيع والقوى جمع القوة ذو مرة اي ذو قوة وشدة
في خلقه عن الكلبي قال ومن قوته اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود فرفعها
الى السماء ثم قلبها ومن شدته صيحته لقوم ثمود حتى هلكوا وقيل معناه ذو صحة
وخلق حسن عن ابن عباس وقتاده وقيل شديد القوى في ذات الله ذو مرة اي صحة
في الجسم سليم من الآفات والعيوب وقيل ذو مرة ذو مرور في الهواء ذاهبا وجائيا
نازلا وصاعدا عن الجبائي فاستوى جبرئيل عليه السلام على صورته التي خلق عليها بعد انحداره

الى محمد

الى محمد صلى الله عليه وآله وهو كناية عن جبرئيل ايضا بالافق الاعلى يعني افق المشرق والمراد
بالاعلى جانب المشرق وهو فوق جانب المغرب في صعيد الارض لا في الهواء قالوا ان جبرئيل
كان ياتي النبي صلى الله عليه وآله في صورة الآدميين فساله رسول الله ان يريه نفسه على صورته التي
خلق عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء اما في الارض ففي الافق
الاعلى وذلك ان محمدا صلى الله عليه وآله كان بحراء فطلع له جبرئيل من المشرق
فسد الافق الى المغرب فخر النبي صلى الله عليه وآله مغشيا عليه فنزل جبرئيل في صورة الآدميين
فضمه الى نفسه وهو قوله ثم دنى فتدلى وتقديره ثم تدلى اي قرب بعد بعده
وعلوه في الافق فدنا من محمد قال الحسن وقتاده ثم دنا جبرئيل بعد استوائه
بالافق الاعلى من الارض فنزل الى محمد صلى الله عليه وآله وقال الزجاج معنى دنا فتدلى
واحد لان معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب كما تقول قد دنا مني فلان وقرب
ولو قلت قرب مني ودنا لجاز وقيل ان المعنى استوى جبرئيل ومحمد بالافق الاعلى
يعني السماء الدنيا ليلة المعراج عن الفراء فكان قاب قوسين اي كان ما بين
جبرئيل ورسول الله قاب قوسين والقوس ما يرمى به عن مجاهد وعكرمه
وعطا عن ابن عباس وخصت بالذكر على عادتهم يقال قاب قوسين وقيب قوس
وقاد قوس وهو اختيار الزجاج وقيل معناه وكان قدر ذراعين عن عبد الله
بن مسعود وسعيد بن جبير وشقيق بن سلمه وروي مرفوعا عن انس بن مالك
قال قال النبي صلى الله عليه وآله في قوله فكان قاب قوسين او ادنى قال قدر ذراعين
او ادنى من ذراعين فعلى هذا يكون القوس ما يقاس به الشيء يقال يقاس به
قال ابن السكيت قاس الشيء يقوسه قوسا لغة في قاسه يقيسه اذا قدره وقوله
او ادنى قال الزجاج ان العباد قد خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وقيل لهم
في هذا ما يقال للذي يحرز فالمعنى وكان على ما يقدرونه انتم قدر قوسين
او اقل من ذلك وهو مثل قوله او يزيدون وقد مر القول فيه وقال عبد الله بن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وآله راى جبرئيل وله ستمائة جناح اورده البخاري ومسلم

في الصحيح فاوحى الى عبده ما اوحى اى اوحى الله تعالى على لسان جبرئيل الى محمد ما اوحى وما يحتمل
ان يكون مصدرية ويحتمل ان يكون بمعنى الذي وقيل معناه فاوحى جبرئيل الى عبد الله
محمد ما اوحى الله تعالى اليه عن الحسن والربيع وابن زيد وهو رواية عطا عن ابن عباس
قال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما فاوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل
اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها الامم حتى تدخلها امتك وقيل اوحى
الله اليه سرا بسر وفي ذلك يقول القايل شعر بين المحبين سر ليس يفشيه قول
ولا قلم للخلق يحكيه سر يمازجه انس يقابله نور تحير في بحر من اليه قوله تعالى
ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَاى اَفَتُمارُونَهُ على ما يَرى وَلَقَدْ رَاهُ نَزلَةً اُخْرى عِنْدَ
سِدْرَةِ المُنْتَهى عِنْدَها جَنَّةُ المَاْوى اِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى ما زاغَ
البَصَرُ وَما طَغى لَقَدْ رَاى مِنْ اياتِ رَبِّهِ الكُبْرى اَفَرَاَيْتُمُ اللاتَ وَالعُزّى
وَمَناةَ الثّالِثَةَ الاُخْرى عشر آيات القراءة قرا ابو جعفر وهشام ما كذّب
بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ اهل الكوفة غير عاصم ويعقوب افتمرونه
بغير الف وقرأ ابن كثير والسمولي عن الاعمش وابي بكر ومنات بالمد والهمز
والباقون ومناه بغير همز ولا مد وروى عن علي عليه السلم وابي هريرة وابي الدرداء
وزر بن حبيش جنه الماوى بالهاء وعن ابن عباس ومجاهد واللات والعزى
بتشديد التاء الحجة من قرأ كذّب بتشديد الذال فمعناه ما كذب قلب محمد ما راه
بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه ومن قرأ بالتخفيف فمعناه ما كذب فؤاده فيما راى
وقال ابو علي كذب فعل يتعدى الى مفعول بدلالة قوله شعر كذبتك عينك ام رايت
بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا ومعنى كذبتك عينك اريتك ما لا حقيقة
له فعلى هذا يكون المعنى لم يكذب فؤاده ما ادركه ببصره اى كانت روية صحيحة
غير كاذبة وادراكا على الحقيقة ويشبه ان يكون الذي شدد اراد هذا المعنى
واكده افتمارونه على ما يرى اى اتومنون أزالته عن حقيقة ما ادركه وعلمه
بجادلتكم او تجحدونه ما قد علمه ولم يعرفوا عليه سد فيه فان معنى قوله افتمارونه

اتجادلونه جدالا تريدون به دفعه عما علمه وشاهده من الايات الكبرى ومن قرا
افتمرونه معناه افتجحدونه ومناة صنم من حجارة واللات والعزى كانتا من حجارة
ايضا ولعل مناة بالمد لغة ومن قرأ جنه الماوى يعني فعله يريد جنه عليه فاجنه الله
والماوى هو الفاعل والمعنى ستره وقال الاخفش ادركه وعن ابن عباس قال كان
رجل بسوق عكاظ يلت السويق والسمن عند صخرة فاذا باع السويق والسمن صب
على الصخرة ثم يلت فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة اعظاما لذلك
الرجل المعنى ثم بين سبحانه ما راه النبي صلى الله عليه واله ليلة الاسراء وحقق رويته
فقال ما كذب الفؤاد ما راى اى لم يكذب فواد محمد ما راه بعينه فقوله ما راى
مصدر في موضع نصب لانه مفعول كذب والمعنى انه ما اوهمه الفؤاد انه راى ولم ير
بل صدقه الفؤاد رويته قال المبرد معنى الاية انه راى شيئا فصدق فيه قال ابن عباس
راى محمد ربه بفواده وروى ذلك عن محمد بن الحنفية عن ابيه علي عليه السلم وهذا
يكون بمعنى العلم اى علمه علما يقينا بما راه من الايات الباهرات كقول ابراهيم عليه السلم
ولكن ليطمئن قلبي وان كان عالما قبل وقيل ان الذي راه جبرئيل على صورته التي
خلقها الله عليها عن ابن مسعود وعايشة وقتادة وقيل ان الذي راه هو جبرئيل
على صورته التي خلقها الله عليها ما راى من ملكوت الله تعالى واجناس مقدوراته
عن الحسن وقال عرج بروح محمد صلى الله عليه واله الى السماء وجسده في الارض وقال
الاكثرون وهو الظاهر من مذاهب اصحابنا والمشهور في اخبارهم ان الله تعالى
صعد بجسمه حيا سليما حتى راى من ملكوت السموات بعينه ولم يكن ذلك
في المنام وهذا المعنى ذكرناه في بني اسرائيل والفرق بين الروية في اليقظة
وبين الروية في المنام ان روية الشي في اليقظة هو ادراكه بالبصر على الحقيقة
وروية في المنام تصوره بالقلب على توهم الادراك بحاسة البصر من غير
ان يكون كذلك وعن ابي العالية قال سئل رسول الله صلى الله عليه واله هل رايت
ربك ليلة المعراج قال رايت نهرا ورايت وراء النهر حجابا ورايت وراء الحجاب

نورا لم ار غير ذلك وروى عن ابى ذر وابى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وآله سئل عن قوله ما كذب الفواد ما راى قال رايت نورا وروى ذلك
عن مجاهد وعكرمه وذكر الشعبى عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس انه
قال ان محمدا راى ربه قال الشعبى واخبرنى مسروق قال سالت عايشة عن ذلك
فقالت انك لتقول قولا انه ليقف شعرى منه قال مسروق قلت رويد ايام
المومنين وقرات عليها والنجم اذا هوى حتى انتهيت الى قوله قاب قوسين
او ادنى فقالت رويدا انى يذهب بك انما راى جبرئيل فى صورته من حدثك ان محمدا راى
ربه فقد كذب والله تعالى يقول بلغ ما انزل اليك من ربك ولقد بين الله
سبحانه ما راه النبى صلى الله عليه وآله بيانا شافيا فقال لقد راى من ايات ربه
الكبرى افتمارونه اى افتجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين اسرى
به فقالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا فى طريق الشام وغير ذلك
مما جادلوه به ومن قرا افتمرونه فالمعنى افتجحدونه يقال مريت الرجل حقه اى
اذا جحدته وقيل معناه افتدفعونه عما يرى وعلى فى موضع عن عن المبرد والمعنيان
متقاربان لان كل مجادل جاحد ولقد راه نزلة اخرى اى راى جبرئيل فى صورته
التى خلق عليها نازلا من السماء نزلة اخرى وذلك انه راه مرتين فى صورته على ما مر
ذكره عند سدرة المنتهى اى راه محمد وهو عند سدرة المنتهى وهى شجرة عن يمين
العرش فوق السماء السابعة انتهى اليها علم كل ملك عن الكلبى ومقاتل وقيل اليها
ينتهى ما يعرج الى السماء وما يهبط من فوقها من امر الله عن ابن مسعود و
الضحاك وقيل اليها انتهى ارواح الشهداء وقيل اليها ينتهى ما يهبط به من فوقها
فيقبض منها واليها ينتهى ما يعرج من الارواح فيقبض منها والمنتهى موضع الانتهاء
وهذه الشجرة حيث ينتهى اليه الملائكة فاضيف اليه وقيل شجرة طوبى عن مقاتل
والسدرة هى شجرة النبق عندها جنة الماوى اى عند سدرة المنتهى جنة
المقام وهى جنة الخلد وهى فى السماء السادسة وقيل هى الجنة التى كان اوى اليها

ادم وتصير اليها ارواح الشهداء عن الجبائى وقتاده وقيل هى التى تصير اليها اهل الجنة
عن الحسن وقيل هى التى ياوى اليها جبرئيل والملائكه عن عطا عن ابن عباس اذ يغشى
السدرة ما يغشى قيل يغشاها الملائكة امثال الغربان حين يقعن على الشجر عن الحسن
ومقاتل وروى ان النبى صلى الله عليه وآله قال رايت على كل ورقة من ورقها ملكا
قايما يسبح الله عز وجل وقيل يغشاها من النور والبها والحسن والصفا الذى يروق
الابصار ما ليس لوصفه منتهى عن الحسن وقيل يغشاها فراش من ذهب عن ابن عباس
ومجاهد وكانها ملائكة على صورة الفراش يعبدون الله تعالى والمعنى انه
راه جبرئيل على صورته فى الحال التى يغشى السدرة فيها من امر الله ومن العجايب
المنبهه عن كمال قدرة الله ما يغشاها وانما ابهم الامر فيما يغشى لتعظيم ذلك
وتفخيمه كما قال فاوحى الى عبده ما اوحى وقوله ما يغشى ابلغ لفظ فى هذا المعنى ما زاغ
البصر وما طغى اى ما زاغ بصر محمد ولم يمل يمينا ولا شمالا وما طغى اى ما جاوز القصد
ولا الحد الذى حد له وهذا وصف ادبه صلى الله عليه وآله فى ذلك المقام اذ لم
يلتفت جانبا ولم يمل بصره ولم يمد امامه الى حيث ينتهى لقد راى من ايات ربه
الكبرى هى الايات العظام التى راها تلك الليلة مثل سدرة المنتهى وصورة جبرئيل
ورويته وله ستماية جناح قد سد الافق باجنحته عن مقاتل وابن زيد
والجبائى ومن للتبعيض اى راى بعض ايات الله وقيل انه راى رفرفا اخضر
من رفارف الجنة قد سد الافق عن ابن عباس وقيل انه راى ربه بقلبه عن ابن عباس
فعلى هذا فيمكن ان يكون المراد انه راى من الايات ما ازداد به يقينا الى يقينه
والكبرى تانيث الاكبر وهو الذى يصغر مقدار غيره عنه فى معنى صفته ولما قص
الله سبحانه هذه الاقاصيص عقبها بان خاطب المشركين فقال افرايتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى اى اخبرونا عن هذه التى تعبدونها من دون
الله وتعبدون معها الملائكة وتزعمون ان الملائكة بنات الله وقيل معناه
افرايتم ايها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله لانه كان منهم

من يقول انما يعبد هولاء انهم بنات الله عن الجبائى وقيل انهم زعموا الملائكة
بنات الله وصوروا اصنامهم على صورهم وعبدوها من دون الله واشتقوا
لها اسماء من اسماء الله فقالوا اللات من الله والعزى بالياء والعزى تانيث
الاعز وهي بمعنى العزيزة وقيل ان اللات صنم لكانت ثقيف تعبده والعزى صنم
ايضا عن الحسن وقتاده وقيل انها كانت شجرة سمرة عظيمة لغطفان يعبدونها
فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه واله خالد بن الوليد فقطعها وقال
يا عز كفرانك لا سبحانك انى رايت الله قد اهانك عن مجاهد وقال قتاده
كانت منات صنما بقديد بين مكه والمدينه وقال الضحاك والكلبى كانت
لهذيل وخزاعه يعبدها اهل مكه وقيل اللات والعزى ومنات صنم من حجارة
كانت في الكعبة يعبدونها والثالثة نعت لمناة والاخرى نعت لها ايضا
ومعنى الاية اخبرونى عن هذه الاصنام هل ضرت ونفعت وفعلت ما يوجب
ان تعدل بالله فحذف لدلالة الكلام عليه قوله عز وجل أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى
تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ
بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم
مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى وَكَم مِّن مَّلَكٍ
فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى
إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَى وَمَا لَهُم بِهِ
مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا فَأَعْرِضْ عَن مَّن
تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى عشر آيات القراة قرا ابن كثير
غير ابن فليح ضيزى بالهمز والباقون بغير همز الحجة قال ابو على تلك اذا قسمة
ضيزى اى ما نسبتموه الى الله سبحانه من اتخاذ البنات قسمة جايزة وقولهم
قسمة ضيزى ومشبه حكى حمله النحويون على انه فى الاصل فعلى بالضم وان كان اللفظ

على فعلى

على فعلى كما ان البيوت والعصى فى الاصل فعول وان كانت الفا مكسورة وانما حملوها
على انها فعلى لانهم لم يجدوا شيئا من الصفات على فعلى كما وجدوا الفعلى و
الفعلى وقال ابو عبيدة ضزته حقه وضزته اضوزه اى نقصته ومنعته
فمن جعل العين منه واوا والقياس ان يقول ضوزى وقد حكى ذلك ومن اما
جعله يا من قولك ضزته فكان القياس ايضا ان يقول ضوزى ولا يحتمل
بانقلاب الياء الى الواو ولان ذلك انما كره فى بيض وعين جمع بيضا وعينا القرب
من الطرف وقد بعد من الطرف هنا بحرف التانيث وليست هذه العلامة فى
تقدير الانفصال كالتا فكان القياس ان لا يحتمل بانقلابها الى الواو
ثم قال سبحانه منكرا على كفار قريش قولهم الملائكة بنات الله والاصنام
كذلك الكم الذكر وله الانثى اى وكيف يكون ذلك كذلك وانتم لو خيرتم
خيرتم الذكر على الانثى فكيف اضفتم اليه سبحانه ما لا ترضونه لانفسكم تلك
اذا قسمة ضيزى اى جايرة غير معتدلة بمعنى ان القسمة التى من نسبة الانات
الى الله تعالى وايثاركم بالبنين قسمة غير عادلة ان هى الا اسماء سميتموها
انتم واباؤكم اى ليس تسميتكم لهذه الاصنام بانها الهة وانها بنات الله الا
اسامى لا معانى تحتها لانه لا ضر عندها ولا نفع فهى تسميات لعبت على جمادات
ما انزل الله به من سلطان اى لم ينزل الله كتابا لكم فيه حجة بما يقولونه عن مقاتل
ثم رجع الى الاخبار عنهم بعد المخاطبة فقال ان تتبعون الا الظن الذى ليس بعلم
وما تهوى الانفس اى وما تميل اليه نفوسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى
اى البيان والرشاد بالكتاب والرسول محمد سبحانه من حالهم حيث
لم يتركوا عبادتها مع وضوح البيان ثم انكر عليهم تمنيهم شفاعة الاوثان
فقال لهم ام للانسان اى للكافر ما تمنى من شفاعة الاصنام فلله الاخرة والاولى
فلا يملك فيهما احد شيئا الا باذنه وقيل معناه بل للانسان ما تمنى من غير جزاء
لا ليس الامر كذلك لان لله الاخرة والاولى يعطى منهما من يشاء ويمنع من يشاء

وقيل معناه ليس للانسان ما تمنى من نعيم الدنيا والاخرة بل يفعله الله تعالى
بحسب المصلحة ويعطي الاخرة للمؤمنين دون الكافرين عن الجبائي وهذا هو الوجه
الاوجه لانه اعم فيدخل تحته الجميع ثم اكد ذلك بقوله وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيئا جمع الكناية لان المراد بقوله وكم من ملك الكثرة
الا من بعد ان يأذن الله لهم في الشفاعة من يشاء ويرضى لهم ان يشفعوا فيه
اي من اهل الايمان والتوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن
يرضى الله عنه كما قال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ثم ذم سبحانه مقالهم فقال
ان الذين لا يؤمنون بالاخرة اي لا يصدقون بالبعث والثواب والعقاب ليسمون
تسمية الانثى حين زعموا انهم بنات الله وما لهم به اي بذلك التسمية من علم
اي ما يستيقنون انهم اناث وليسوا عالمين بذلك ان تتبعون الا الظن الذي
يجوز ان يخطي ويصيب في قولهم ذلك وان الظن لا يغني من الحق شيئا الحق ههنا
معناه العلم اي الظن لا يغني من العلم شيئا ولا يقوم مقام العلم ثم خاطب نبيه
صلى الله عليه وآله فقال فاعرض يا محمد عمن تولى عن ذكرنا ولم يقر بتوحيد الله
ولم يرد الا الحيوة الدنيا فمال الى الدنيا ومنافعها اي لا تقابلهم على افعالهم واحلامهم و
ولا تدع مع هذا وعظهم ودعاهم الى الحق ذلك مبلغهم من العلم اي الاعراض
عن النظر في امور الاخرة وصرف الهمة الى التمتع باللذات العاجلة منتهى علمهم
وهو مبلغ خسيس لا يرضى به لنفسه عاقل لانه من طباع البهائم ان يأكل في الحال
ولا ينتظر العواقب وفي الدعا اللهم لا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا ان ربك
يا محمد هو اعلم منك وممن اعلم بمن اهتدى اليها فيجازي كلا منهم على حسب اعمالهم
قوله عز وجل وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا
وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ
إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ
أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى أَفَرَأَيْتَ الَّذِي

تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى
وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ
إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى احدى عشرة آية
اللغة قال الفراء اللمم ان يفعل الانسان الشيء في الحين لا يكون له عادة ومنه الالمام الخيال
والالمام الزيادة التي لا تمتد وكذلك اللمام قال امية شعر ان تغفر اللهم تغفر جما
واي عبد لك لا الما وقد روي ان النبي صلى الله عليه وآله كان ينشدهما ويقولهما
اي لم يلم بمعصية وقال اعشى باهله شعر يكفيه حزة فلذ ان الم بها من الشواء ويروي
شربه الغمر اجنة جمع جنين قال رؤبة اجنة في مستكنات الخلق وقال عمرو بن كلثوم
ولا شمطاء لم يترك شقاها لها من تسعة الا جنينا اي دفينا في قبره واكدى اي قطع
العطاء كما يقع البير الماء واشتقاقه من كدية الركية وهي صلابة تمنع الماء اذا بلغ
الحافر اليها ييأس من الماء فيقال اكدى اذا بلغ الكدية ويقال كديت اصابعه اذا كلت
فلم يعمل شيئا وكديت اظفاره اذا غلظت وكذا النبت اذا قل ريعه والاصل واحد
الاعراب الا اللمم منصوب على الاستثناء من الاثم والفواحش لان اللمم دونهما الا انه
اذ انشأكم العامل في اذ قوله اعلم في بطون امهاتكم يجوز ان يتعلق بنفس اجنة وتقديره
اذ انتم مستترون في بطون امهاتكم ويجوز ان يتعلق بمحذوف فيكون صفة لاجنة
وقوله الا تزر وازرة وزر اخرى تقديره انه لا تزر وهو في موضع جر بدل من قوله
ما في صحف موسى وما اسم موصول النزول نزلت الايات السبع افرأيت الذي تولى
في عثمان بن عفان كان يتصدق وينفق فقال له اخوه من الرضاعة عبد الله بن
سعد بن ابي سرح ما هذا الذي يوشك ان لا يبقي لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا
واني اطلب بما اصنع رضى الله وارجو عفوه فقال له عبد الله اعطني ناقتك برحلها
وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن النفقة فنزلت افرأيت
الذي تولى اي يوم احد حين ترك المركز واعطى قليلا ثم قطع نفقته الى قوله وان سعيه
سوف يرى فعاد عثمان الى ما كان عليه عن ابن عباس والسدي والكلبي وجماعة من المفسرين

وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وآله على دينه
فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم وزعمت انهم في النار
قال اني خشيت عذاب الله فضمن له الذي عاتبه ان هو اعطاه شيئا من ماله ورجع
الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل فاعطى الذي عاتبه بعض ما كان له ثم بخل ومنع
تمام ما ضمن له فنزلت أفرأيت الذي تولى عن الايمان واعطى صاحبه الضامن قليلا واكدى
اي بخل بالباقي عن مجاهد وابن زيد وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه
ربما كان يوافق رسول الله في بعض الامور عن السدي وقيل نزلت في رجل قال لاهله
جهزوني انطلق الى هذا الرجل يريد النبي صلى الله عليه وآله فتجهز وخرج فلقيه رجل
من الكفار فقال له اين تريد فقال محمدا لعلي اصيب من خيره فقال له الرجل اعطني
جهازك واحمل عنك اثمك عن عطاء بن يسار وقيل نزلت في ابي جهل وذلك
انه قال والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله اعطى قليلا واكدى
اي لم يؤمن به عن محمد بن كعب القرظي ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته وسعة
ملكه فقال ولله ما في السموات وما في الارض وهذا اعتراض بين الاية الاولى
وبين قوله ليجزي الذين اساؤا بما عملوا واللام في ليجزي يتعلق بمعنى الاولى لانهم
اذا كان اعلم بهم جازى كلا منهم بما يستحقه وذلك لام العاقبة وذلك ان علمه بالفريقين
ادى الى جزائهم باستحقاقهم وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء اذا كان كثير الملك
ولذلك اخبر في قوله ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي في الاخرة الذين
اساؤا اي اشركوا بما عملوا من الشرك ويجزي الذين احسنوا اي وحدوا ربهم بالحسنى
اي بالجنة وقيل ان اللام في ليجزي يتعلق بما في قوله ولله ما في السموات وما في الارض
لان المعنى في ذلك ان خلقهم ليتعبدهم فمنهم المحسن ومنهم المسيء وانما كلفهم ليجزي كلا
بعمله فيكون اللام للغرض ثم وصف سبحانه الذين احسنوا فقال الذين يجتنبون كبائر
الاثم اي عظائم الذنوب والفواحش جمع فاحشة وهي اقبح الذنوب وافحشها وقد بينا
اختلاف الناس في الكبائر في سورة النساء وقيل الكبيرة كل ذنب ختم بالنار والفاحشة

كل ذنب فيه الحد ومن قرأ كبير الاثم فلانه يضاف واحد في اللفظ وان كان يراد
به الكثرة الا اللمم اختلف في معناه فقيل هو صغار الذنوب كالنظر والقبلة
وما كان دون الزنا عن ابن مسعود وابي هريرة والشعبي وقيل هو ما الموا
به في الجاهلية من الاثم معفو عنه في الاسلام عن زيد بن ثابت وعلى هذا يكون
الاستثناء منقطعا وقيل هو ان يلم بالذنب مرة ثم يتوب منه ولا يعود عن الحسن
والسدي وهو اختيار الزجاج لانه قال اللمم ان يكون الانسان قد ألم بالمعصية
ولم يقم على ذلك ويدل على ذلك قوله ان ربك واسع المغفرة وقال ابن عباس
من فعل ذلك وتاب فمعناه ان رحمته تسع جميع الذنوب لا يضيع عنه وتم الكلام
هنا قال هو اعلم بكم يعني قبل ان خلقكم اذ انشأكم من الارض اي انشأ اباكم آدم من اديم
الارض وقال البلخي يجوز ان يكون المراد به جميع الخلق اي خلقكم من الارض عند تناول
الاغذية المخصوصة التي خلقها من الارض واجرى العادة بخلق الاشياء عند ضروب
من تركيبها فكانه سبحانه انشأهم فيها واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم اي في وقت
كونكم اجنة في الارحام اي علم من كل نفس ما هي صانعة الى ما هي صائرة عن الحسن وقيل
معناه انه سبحانه علم ضعفكم وميل طباعكم الى اللمم وعلم حين كنتم في الارحام ما تفعلون
اذا خرجتم واذا علم ذلك منكم قبل وجوده فكيف لا يعلم ما حصل منكم فلا تزكوا انفسكم
اي لا تعظموها ولا تمدحوها بما ليس لها فاني اعلم بها وقيل معناه لا تزكوها بما فيها
من الخير ليكون اقرب الى النسك والخشوع وابعد من الرياء هو اعلم بمن اتقى اي اتقى الشرك
والكبائر وقيل هو اعلم بمن بر واطاع واخلص العمل أفرأيت الذي تولى اي ادبر عن الحق
واعطى قليلا واكدى اي امسك عن العطية وقطع عن الفراء وقيل منع منعا شديدا عن
المبرد اعنده علم الغيب اي ما غاب عنه من امر العذاب فهو يرى اي يعلم ان صاحبه يتحمل
عنه عذابه ام لم ينبأ بما في صحف موسى اي بل لم يخبر ولم يحدث بما في اسفار التورية
وابرهيم اي في صحف ابرهيم الذي وفى اي تمم واكمل ما امر به وقيل بلغ قومه وادى ما امر
اليهم وقيل اكمل ما وجب عليه من كل ما امر امتحن به ثم بين ما في صحفهما فقال الا تزر وازرة

وذر اخرى اى لا تحمل نفس نفسا حامله حمل اخرى والمعنى لا توخذ نفس باثم غيرها
ان ليس للانسان الا ما سعى عطف على قوله الا تزر وهذا شيء ايضا مما في صحف
موسى وابرهيم اى ليس له من الجزاء الاجزاء ما عمله دون ما عمله غيره ومتى
دعا غيره الى الايمان فاجابه اليه فهو محمود على ذلك على طريق التبع وكانه من اهل
عمله صار له الحمد على هذا ولم يعمل شيئا لما استحق جزاء لا ثوابا ولا عقابا وعن
ابن عباس من رواية الوالبي قال ان هذا منسوخ الحكم في شريعتنا لانه سبحانه يقول
الحقنا بهم ذريتهم برفع درجة الذرية وان لم يستحقوها باعمالهم ونحو هذا
قال عكرمة ان ذلك لقوم ابرهيم وموسى فاما هذه الامة فلهم ما سعى غيرهم
بنيابة عنهم ومن قال انه غير منسوخ الحكم الاية تدل على منع النيابة في الطاعات
الا ما قام عليه الدليل كالحج وهو ان امراة قالت يا رسول الله لابد ان يرى فيما
بعد بمعنى ان يجازى عليه وبين ذلك بقوله ثم يجزاه الجزاء الاوفى اى يجازى
على الطاعات باوفى ما يستحقه من الثواب الدائم والهاء في يجزاه عايده على السعي
والمعنى ان يرى العبد سعيه يوم القيمة ثم يجزى سعيه اوفى جزاء قوله عز وجل
وَاَنَّ اِلٰى رَبِّكَ الْمُنْتَهٰى وَاَنَّهُ هُوَ اَضْحَكَ وَاَبْكٰى وَاَنَّهُ هُوَ اَمَاتَ وَاَحْيٰى وَاَنَّهُ
خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْاُنْثٰى مِنْ نُطْفَةٍ اِذَا تُمْنٰى وَاَنَّ عَلَيْهِ النَّشْاَةَ الْاُخْرٰى
وَاَنَّهُ هُوَ اَغْنٰى وَاَقْنٰى وَاَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرٰى وَاَنَّهُ هُوَ اَهْلَكَ عَادًا الْاُوْلٰى
وَثَمُوْدَ فَمَا اَبْقٰى وَقَوْمَ نُوْحٍ مِنْ قَبْلُ اِنَّهُمْ كَانُوْا هُمْ اَظْلَمَ وَاَطْغٰى وَالْمُؤْتَفِكَةَ
اَهْوٰى فَغَشّٰيهَا مَا غَشّٰى فَبِاَيِّ اٰلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارٰى هٰذَا نَذِيْرٌ مِنَ النُّذُرِ الْاُوْلٰى
اَزِفَتِ الْاٰزِفَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ كَاشِفَةٌ اَفَمِنْ هٰذَا الْحَدِيْثِ تَعْجَبُوْنَ
وَتَضْحَكُوْنَ وَلَا تَبْكُوْنَ وَاَنْتُمْ سَامِدُوْنَ فَاسْجُدُوْا لِلّٰهِ وَاعْبُدُوْا تسع عشرة
آية القراءة قرا اهل المدينه والبصرة غير سهل عادا لولى مدغمه غير منونه
ولا مهموزة غير مدغمة وقرا عاصم وحمزه ويعقوب وثمود فما ابقى بغير تنوين والباقون
وثمودا بالتنوين الحجة قال ابو علي قال ابو عثمان اساء عندي ابو عمرو في قراءته لانه ادغم

النون

النون في لام المعرفه واللام انما تحركت بحركة الهمزة وليست بحركة لازمة والدليل
على ذلك انك تقول الحمر فاذا طرحت حركة الهمزة على اللام لم يحذف الف الوصل
لانها ليست بحركة لازمة وقال ابو عثمان ولكن كان ابو الحسن روى عن بعض العرب
انه كان يقول هذا لحمر قد جاء فيحذف الالف لوصل لحركة اللام قال ابو علي القول
في عادا الاولى ان من خفف الهمزة في الاولى سكن لام المعرفة واذا سكنت لام المعرفة والتنوين
من قولك عادا المنصوب ساكن التي ساكنان بالنون في عادا ولام المعرفة فحركت التنوين
بالكسر لالتقاء الساكنين وهذا وجه من لم يدغم وقياس قول من قال احد الله فحذف
التنوين لالتقاء الساكنين ان يحذف هنا ايضا كما حذف في احد الله وكما حذفه
في قوله ولا ذاكر الله الا انه لا يدخل في القراءة وان كان قياسا وجاء في الشعر كثيرا
وجاء في بعض القراءة ويجوز في قول من خفف الهمزة من الاولى على قول من قال الحمر
فلم يحذف الهمزة التي للوصل ان يحرك التنوين فيكون عادن لولى كما يقول ذلك
اذا حقق الهمزة لان اللام على هذا في تقدير السكون فكما يكسر التنوين لالتقاء الساكنين
كذلك يكسر في هذا القول لان التنوين في تقدير الالتقاء مع الساكن كما كان حرك
لام المعرفة وحذف همزة الوصل قياسه ان يسكن النون من عاد فيقول عادن
لولى لان اللام الان في تقدير السكون كما كان في الوجه الاول كذلك الا ترى
انه حذف همزة الوصل فاذا كان كذلك ترك النون على سكونها كما يتركه نحو عاد
ذاهب فاما قول ابي عمرو عادا لولى فانه لما خفف الهمزة التي هي منقلبة عن الف الاجتماع
الواوين اولا القى حركتها الساكنة وقيل للام نون ساكنة فادغمها في اللام كما يدغم
في الراء في نحو من راشد وذلك بعد ان يقلبها لاما او راء فاذا ادغمها فيها صار
عادلولى وخرج من الاساءة التي نسبها اليه ابو عثمان من وجهين احدهما ان يكون تخفيف الهمزة
من قوله الاولى على قول من قال الحمر كانه يقول في التخفيف للهمزة قبل الادغام لولى
فخرجت اللام من حكم السكون بدلالة حذف همزة الوصل معه فحسن الادغام فيه
والوجه الاخر ان يكون ادغم على قول من قال الحمر فلم يحذف الهمزة التي للوصل

مع الفا الحركة على لام المعرفة لانه في تقدير السكون فلا يمتنع ان يدغم فيه في نحو قد وقد وعض وان كانت لاما تهن سواكن وتحريكها للادغام كما تحرك السواكن التي ذكرنا للادغام واما ما روى عن نافع من انه همز فقال عادا لولى فانه كما روى عن ابن كثير من قوله على سوقه فوجهه ان الضمة لقربها من الواو وانه لم يحجز بينهما شى صارت كانها عليها فهمزها كما تهمز الواوات اذا كانت مضمومة نحو ادور والعوود وهذه لغة قد رويت وحكيت وان لم يكن تلك الفاشية سو المنى التقدير يقال منى يمنى فهو مان قال الشاعر شعر حتى تبين ما يمنى لك المانى ومنها المنية لانها المقدرة والنشاه الصنعة المخترعة فلا فوا قنى من القنيه وهو اصل المال وما يقتنى و الاقتناء جعل الشى للنقيض على الدوام ومنها القناه لانها مما يقتنى والشعرى النجم الذى خلف الجوزاء وهو واحد كوكبى ذراع الاسد وفم المرزم وكانوا يعبدونها في الجاهلية والموتفكه المنقلبة وهي التي صار اعلاها اسفلها واسفلها اعلاها انفكت بهم تائفك ايتفاكا ومنه الافك الكذب لانه قلب المعنى عن جهته واهوى اى انزل في سلم اودرج فلا يقال اهوى ولا هوى وازفت الازفة اى دنت الدانية قال النابغه شعر ازف الترحل غير ان ركابنا لما تزل برحالنا وكان قد وقال كعب بن زهير شعر بان الشباب وامسى الشيب قد ازفا ولا ارى لشباب ذاهب خلفا والسمود اللهو و السامد اللاهي يقال سمد يسمد قال رمى الحدثان نسوة حرب بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال وان الى ربك المنتهى يعنى وان الى ثواب ربك وعقابه اخر الامر والمنتهى والاخر واحد وهو المصير الى حيث ينقطع العمل عنده وانه هو اضحك و ابكى اى فعل سبب الضحك والبكا من السرور والحزن كما يقال اضحكنى فلان و ابكانى عن عطا والجبائي وقيل اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار عن مجاهد والضحك والبكا من فعل الانسان قال الله سبحانه فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً وقال تعجبون وتضحكون فنسب الضحك اليهم وقال الحسن ان الله سبحانه هو الخالق

الضحك والبكا والضحك تفتح اسرار الوجه عن سرور وعجب في القلب فاذا هجم على الانسان منه ما لا يمكنه دفعه فهو من فعل الله والبكا جريان الدمع على الخد عن غم في القلب ربما كان عن فرح بما نجه تذكر حزن فكانه عن رقة في القلب وقيل معنى الاية اضحك الاشجار بالانوار وابكى السحاب بالامطار وقيل اضحك المطيع بالرحمة وابكى العاصى بالسخطة وانه هو امات واحيى اى خلق الموت فامات به الاحيا ولا يقدر على ذلك غيره لانه لو قدر على الموت لقدر على الحيوة فان القادر على الشى قادر على ضده ولا احد يقدر على الحيوة الا الله تعالى وخلق الحيوة التي يحيى بها الحيوان فامات الخلق في الدنيا واحياهم في العقبى للجزاء وانه خلق الزوجين اى الصنفين الذكر والانثى من كل حيوان من نطفة اذا تمنى اى اذا خرجت منهما او تصب في الرحم والنطفة ماء الرجل والمراة التي يخلق منها الولد عن عطا والضحاك والجبائي وقيل تمنى ان يقدر وهو اصله فالمعنى تلقى على تقدير في الرحم وان عليه النشاة الاخرى اى الخلق الثاني للبعث يوم القيمة يعنى عليه ان يبعث الناس احياء للجزاء فان قيل ان لفظه على كلمة ايجاب فكيف يجب على الله سبحانه ذلك فالجواب انه اذا كلف الخلق فقد ضمن الثواب واذا فعل فيهم الالام فقد ضمن العوض واذا لم يعوض في الدنيا وخلى بين المظلوم والظالم فلا بد من دار اخرى يقع فيها الجزاء والانصاف والانتصاف وقد وعد سبحانه بذلك فيجب الوفا به وانه هو اغنى واقنى اى اغنى الناس بالاموال واعطى القنيه واصول المال وما يدخرونه بعد الكفاية عن ابي صالح وقيل اقنى اى اخدم عن الحسن ومجاهد وقتاده وقيل اغنى مول واقنى ارضى بما اعطى عن ابن عباس وقيل اغنى بالقناعة واقنى بالرضى عن سفين وقيل اغنى بالكفاية واقنى بالزيادة وقيل اغنى من شاء واقنى اى افقر وحرم من شاء عن ابن زيد وانه هو رب الشعرى اى خالق الشعرى ومخترعها ومالكها اى فلا تتخذوا المربوب المملوك الها وقيل ان خزاعة كانت تعبدها

واول من عبدها ابو كبشة احد اجداد النبي صلى الله عليه وآله من قبل امه
وكان المشركون يسمونه ابن ابي كبشة لمخالفته اياهم في الدين كما خالف ابو كبشة
غيره في عبادة الشعرى وانه اهلك عادا الاولى وهو عاد بن آدم وهم قوم هود
اهلكهم الله بريح صرصر عاتية وكان لهم عقب فكان عاد الاخرى قال ابن اسحق
اهلكوا ببغي بعضهم على بعض فتفانوا بالقتل وثمود اي واهلك ثمود فما ابقى ولا يجوز
ان يكون منصوبا بابقى لان ما لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا يقال زيدا ما ضربت
لانها تجري مجرى الاستفهام في ان لها صدر الكلام وانما فتحت ان في هذه
المواضع لان جميعها في صحف ابرهيم وموسى فكانه قال ام لم ينبأ بما في صحف
موسى وابرهيم الذي وفي بانه لا تزر وازرة وزر اخرى وبانه كذا وكذا وقوم
نوح اي واهلكنا قوم نوح من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من غيرهم
لطول دعوة نوح من قبل اي واهلكنا قوم نوح من قبل عاد وثمود وظلمهم
وعتوهم على الله في الكفر والتكذيب والمؤتفكة هي قرى قوم لوط المخوفة
اهوى اي اسقط اهواها جبرئيل بعد ان رفعها واتبعهم الله بالحجارة
فذلك قوله فغشاها ما غشى اي البسها من العذاب من البين يعني الحجارة
المسومة التي رموا بها من السماء عن قتاده وابن زيد وقيل انه تفخيم
لشان العذاب الذي نالها من جهة ابهامه في قوله ما غشى فكانه
قال فدخل بهم من العذاب ما لتنكيل ما يجل عن البيان والتفصيل فباي
الاء ربك تتمارى اي باي نعم ربك ترتاب وتشك ايها الانسان فيما اولاك
او فيما كفاك عن قتاده وقيل لما وعد الله سبحانه ما فعله مما يدل على وحدانيته
قال باي نعم ربك التي تدل على وحدانيته تتشكك وانما ذكر بالنعم بعد تعديد
النقم لان النقم بكفرانهم النعم التي عدت هي نعم علينا لما لنا فيها من اللطف
والانزجار عن القبيح اذ نالهم تلك النقم بكفرانهم النعم هذا نذير من النذر الاولى
اشار الى رسول الله صلى الله عليه وآله عن قتاده والنذر الاولى الرسل قبله

وقيل هو

وقيل هو اشارة الى القرآن والنذر الاولى صحف ابرهيم وموسى عن ابي مالك
وقيل معناه هذه الاخبار التي اخبر بها عن هلاك الامم الاولى نذر لكم عن
الجبائي ازفت الازفة اي دنت القيمة واقتربت الساعة وانما سميت القيمة
الازفة اي الدانية لان كل ما هو آت قريب ليس لها من دون الله كاشفة
اي غشيت الخلق شدائدها واهوالها لم يكشف عنهم احد ولم يردها عن عطا
والضحاك وقتاده وتانيث كاشفة على تقدير نفس كاشفة او جماعة كاشفة
ويجوز ان يكون مصدرا كالعاقبة والعافية والوافية والخائنة فيكون المعنى
ليس لها من دون الله كشف اي لا يكشف عنها غيره ولا يظهرها سواه كقوله
لا يجليها لوقتها الا هو افمن هذا الحديث تعجبون يعني بالحديث ما قدم
من الاخبار عن الصادق عليه السلم وقيل معناه من هذا الحديث ونزوله
من عند الله على محمد صلى الله عليه وآله وكونه معجزا تعجبون ايها المشركون
وتضحكون استهزاء ولا تبكون انزجارا لما فيه من الوعيد وانتم سامدون
اي غافلون لاهون معرضون عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو الغناء كانوا اذا
سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه عن عكرمه
فاسجدوا لله واعبدوا امرهم سبحانه بالسجود والعبادة خالصا مخلصا
وفي الاية دلالة على ان السجود ههنا واجب على ما ذهب اليه اصحابنا لان ظاهر
الامر يقتضي الوجوب سورة اقتربت الساعة مكية وهي خمس وخمسون آية بالاجماع
فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال ومن قرأ سورة اقتربت
الساعة في كل غب بعثه يوم القيمة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر
ومن قرأ كل ليلة كان افضل وجاء يوم القيمة ووجهه مسفر على وجوه
الخلايق وروى يزيد بن خليفه عن ابي عبد الله عليه السلم قال من قرأ سورة
اقتربت اخرجه الله من قبره على ناقة من نوق الجنة تفسيرها ختم الله سبحانه
تلك السورة بذكر ازوف الازفة وافتتح هذه السورة بمثله فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه
مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر
خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر مهطعين الى
الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا
وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه اني مغلوب فانتصر عشر آيات القراءة قرا ابو جعفر
وكل امر مستقر بالجر والباقون بالرفع وقرا ابن كثير ونافع ويوم يدع الداع
بغير ياء ومهطعين الى الداعي بياء في الوصل عن ورش ويوم يدع الداعي
بياء في الوصل وقراها ابو جعفر وابو عمرو باثبات الياء في الوصل والباقون
بغير ياء في الوصل ولا وقف قد تقدم القول في هذا النحو وقرا ابن كثير الى شيء
نكر بالتخفيف والباقون نكر بضمتين وقرا اهل العراق غير عاصم خاشعا كما
والباقون خشعا وفي الشواذ قراءة حذيفة وقد انشق القمر وقرا مجاهد والجحدري
والى قلابه الى شيء نكر الحجة من قرا مستقر بالجر جعله صفة لامر ومن قرا
بالرفع جعله خبرا لكل امر واما قوله نكر فانه على فعل وهو احد الحروف التي
جاءت صفة على هذه الرواية ومثله ناقة احد ومسه سجح صفة قال دعوا
التناجر وامشوا مشية سجحا ان الرجال ذوو عضب وترة كبر ومن قرا نكر خفف
مثل رسل وكتب الضم في تقدير الثبات ومن قرا خاشعا ابصارهم فانه
كالم يجئ علامة التانيث لم يجمع وحسن ان لا يؤنث لان التانيث ليس بحقيقي
ومن قال خشعا فقد اثبت ما يدل على الجمع وهو على لفظ الافراد ودل لفظ
الجمع على لفظ ما يدل على التانيث الذي ثبت في نحو قوله في الآية الاخرى خاشعة
ابصارهم وخشعت الاصوات للرحمن قال الزجاج ذلك في اسماء الفاعلين اذا تقدمت
على الجماعة التوحيد نحو قوله خاشعا ابصارهم ذلك التوحيد والتانيث نحو

خاشعة ابصارهم ذلك الجمع نحو خشعا ابصارهم تقول مررت بشباب حسن اوجههم
وحسان وجوههم وحسنا اوجههم قال وشباب حسن وجوههم من اياد بن نزار بن معد
قال ابن جني قراءة حذيفة وقد انشق القمر يجري مجرى المواقفة على اسقاط العذر ووقوع
التشكل اي قد كان انشقاق القمر متوقعا دلالة على قربة الساعة فاذا كان قد انشق
وانشقاقه من اشراطها فقد توكد الامر في قرب وقوعها وذلك ان قد انما هو
جواب وقوع امر كان متوقعا اللغة في اقتربت زيادة مبالغة على قرب كان
في اقتدر زيادة مبالغة على قدر لان اصل افتعل اعداد المعنى بالمبالغة نحو
اشتوى اذا اتخذ شواء بالمبالغة في اعداده والاهواء جمع الهواء وهو رقة
القلب بميل الطباع كرقة وهواء الجو يقال هوى يهوى هوى فهو هوي اذا مال
طبعه الى الشيء والمزدجر الطباع المسقط مفتعل من الزجر الا ان التاء ابدلت دالا
لتوافق الراء بالجهر ويقال انكرت الشيء فهو منكر ونكرته فهو منكور وقد جمع
الاعشى بين اللغتين فقال وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب
والصلعا والنكر والمنكر الشيء الذي تاباه النفس ولا يقبله من جهة نفور الطبع
عنه واصله من الانكار الذي هو نقيض الاقرار والاجداث القبور جمع جدث
والجدف بالفاء لغة فيه والاهطاع الاسراع في المشي فما تغني النذر يجوز
ان يكون ما للجحد ويكون حرفا ويجوز ان يكون استفهاما فيكون اسما والتقدير
في الاول فلا يغني النذر وفي الثاني فاي شيء تغني النذر وقال الزجاج قوله فتول
عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر وقف لتمام فتول عنهم ويوم منصوب بقوله
يخرجون من الاجداث واما حذف الواو من يدعوا في الكتاب فلانها تحذف
في اللفظ لالتقاء الساكنين فاجريت في الكتاب على ما يلفظ بها واما الداعي
فاثبات الياء فيه اجود ويجوز حذفها لان الكسرة تدل عليها وقوله خشعا
ابصارهم منصوب على الحال من الواو في يخرجون وفيه تقديم وتاخير تقديره
يخرجون خشعا ابصارهم من الاجداث وان شئت كان حالا من الضمير المجرور

في قوله فتول عنهم ومهطعين ايضاً منصوب على الحال واني مغلوب تقديره فدعا
ربه باني مغلوب وقرأ عيسى بن عمر اني بالكسر على ارادة القول اي فدعا ربه
قال اني مغلوب في مثله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدا الا ليقربن
التقدير قالوا ما نعبدا الا ليقربونا المعنى اقتربت الساعة اي قربت الساعة
التي يموت فيها الخلايق وتكون القيمة والمراد فاستعدوا لها قبل هجومها
وانشق القمر قال ابن عباس اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وآله
فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر قال ابن عباس فرقتين فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وآله ان فعلت تؤمنون قالوا نعم وكانت ليلة بدر
فسأل ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر على عهد رسول الله صلى الله
عليه وآله شقتين فقال لنا رسول الله اشهدوا اشهدوا وروى ايضاً عن
ابن مسعود انه قال والذي نفسي بيده لقد رايت حراء بين فلقي القمر وعن جبير ابن
بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله حتى صار فرقتين على هذا الجبل
وعلى هذا الجبل فقال ناس سحرنا محمد فقال رجل ان كان سحركم فلم يسحر الناس
كلهم وقد روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة منهم عبد الله
بن مسعود وانس بن مالك وحذيفة بن اليمان وابن عمر وجبير بن مطعم
وعبد الله بن عمرو وعليه جماعة المفسرين الا ما روي عن عثمان بن عطا عن ابيه
انه قال معناه وسينشق القمر وروي ذلك عن الحسن وانكره ايضا البلخي وهذا
ايضاً لا يصح لان المسلمين اجمعوا على ذلك فلا يعتد بخلاف من خالف فيه ولان
اشتهاره بين الصحابة يمنع من القول بخلافه ومن طعن في ذلك بانه لو وقع
انشقاق القمر في عهد النبي صلى الله عليه وآله لما كان يخفى على احد من اهل الاقطار
فقوله باطل لانه لا يجوز ان يكون الله قد حجبه عن اكثرهم بغيم ولا يجري مجراه ولانه
قد وقع ذلك ليلا فيجوز ان يكون الناس نياما فلم يعلموا بذلك على ان الناس
كلهم لا يتاملون ما يحدث في السماء وفي الجو من آية وعلامة فيكون مثل انقضاض

الكواكب غيره مما تغفل اكثر الناس عنه وانما ذكر سبحانه اقتربت الساعة
مع انشقاق القمر لان انشقاقه من علامة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله ونبوته
وزمانه من اشراط اقتراب الساعة وان يروا آية يعرضوا هذا اخبار من الله
تعالى عن عناد كفار قريش وانهم اذا راوا آية معجزة اعرضوا عن تاملها
والانقياد لصحتها عنادا وحسدا ويقولوا سحر مستمر اي قوي شديد يعلو
كل سحر عن الضحاك وابي العالية وقتادة وهو من امرار الحبل وهو شدة فتله استمر
الشيء اذا قوي واستحكم وقيل معناه سحر ذاهب مضمحل لا يبقى عن مجاهد وهو من
المرور وقال المشركون لما انشق القمر قال مشركوا قريش سحرنا محمد فقال الله سبحانه
وان يروا آية يعرضوا عن التصديق بالله والايمان بها قال الزجاج وفي هذا
دلالة على ان كل ذلك قد كان وقع واقول ولانه سبحانه قد بين انه يكون آية
على وجه الاعجاز وانما يحتاج الى الآية المعجزة في الدنيا ليستدل الناس بها على صحة
النبوة ويعرفوا صدق الصادق لا في حال انقطاع التكليف والوقت الذي يكون
الناس فيه ملجئين الى المعرفة ولانه سبحانه قال ويقولوا سحر مستمر في وقت لا
لا يقولون للمعجز انه سحر وكذبوا اي بالآية التي شاهدوها واتبعوا اهواءهم
في التكذيب وما زين لهم الشيطان من الباطل الذي هم عليه وكل امر مستقر اي
مستقر ثابت حتى يجازى به اما في الجنة والنار وقيل معناه لكل امرئ حقيقة
ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف عن الكلبي ولقد جاءهم
ولقد جاء هؤلاء الكفار من الانباء يعني الاخبار العظيمة في القرآن بكفر من تقدم
من الامم واهلاكنا اياهم ما فيه مزدجر اي متعظ وهو بمعنى المصدر اي وازدجار
عن الكفر وتكذيب الرسل حكمة بالغة يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية و
النهاية فما تغني النذر اي اي شيء ينفع النذر مع تكذيب هؤلاء واعراضهم وهو
جمع النذير وقيل معناه فلا تغني النذر شيئا اي الانبياء الذين بعثوا اليهم لا يغنون
عنهم شيئا من عذاب الله الذي استحقوه بكفرهم لانهم خالفوهم ولم يقبلوا منهم

عن الجبائي وقيل النذر هي الزواجر المخوفة وايات الوعيد ثم امر سبحانه بالاعراض عنهم فقال
فتول عنهم ولا تقابلهم عن سفههم وههنا وقف تام يوم يدع الداع الى شيء نكر اى منكر
غير معتاد ولا معروف بل امر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما واختلف في الداعي
فقيل هو اسرافيل يدعوا الناس الى الحشر قايما على صخرة بيت المقدس عن مقاتل وقيل
بل الداعي يدعوهم الى النار ويوم ظرف ليخرجون اى في هذا اليوم يخرجون من الاجداث
ويجوز ان يكون التقدير في هذا اليوم يقول الكافرون وقوله خشعا ابصارهم
يعني خاشعة ابصارهم اى ذليلة خاضعة عند روية العذاب وانما وصف الابصار
بالخشوع لان ذلة الذليل وعزة العزيز تتبين في نظره وتظهر في عينه يخرجون
من الاجداث اى من القبور كانهم جراد منتشر والمعنى انهم يخرجون فزعين يدخل بعضهم
في بعض ويختلط بعضهم ببعض لا جهة لاحد منهم فيقصدها كما ان الجراد لا جهة لها
فتكون ابدا متفرقة في كل جهة قال الحسن الجراد يتلبد حتى اذا طلعت عليها الشمس انتشرت
والمعنى انهم يكونون ساكنين في قبورهم فاذا دعوا خرجوا وانتشروا وقيل انما شبههم
بالجراد لكثرتهم وفي هذه الاية على ان البعث انما يكون لهذه البنية لانها الكاينة في
الاجداث خلافا لمن زعم ان البعث للارواح مهطعين الى الداعي اى مقبلين الى صوت
الداعي عن قتاده وقيل مسرعين الى اجابة الداعي عن ابي عبيدة يقول الكافرون قايلين
وقيل ناطقين قبل الداعي قايلين هذا يوم عسر اى صعب شديد وقد قيل ايضا في قوله
فتول عنهم يوم يدع الداعي الى شيء نكر اقوال احدها ان المعنى فاعرض عنهم
اذا تعرضوا بشفاعتك يوم يدع الداعي وهو يوم القيمة فلا تشفع لهم اليوم كما لم يقبلوا
منك ذلك اليوم وثانيها ان معناه فتول عنهم فانهم يرون ما ينزل بهم من العذاب
يوم يدع الداعي وهو يوم القيمة فحذف الفاء من جواب الامر وثالثها ان معناه
فتول عنهم واذكر يوم يدع الداعي الى آخره عن الحسن كذبت قبلهم اى قبل كفار مكة قوم
نوح فكذبوا عبدنا نوحا كما كذبك يا محمد هولاء الكفار وجحدوا نبوتك وقالوا
مجنون اى هو مجنون قد غطي على عقله وازدجر اى زجر بالشتم والرمي بالقبيح عن ابن زيد

وقيل معناه

وقيل معناه زجر بالوعيد وتوعد بالقتل فهو مثل قوله لين لم تنته يا نوح لتكونن من
المرجومين فدعا ربه اني مغلوب اى فقال يا رب قد غلبني هولاء الكفار بالحجة فانتصر
اى فانتقم لي منهم بالاهلاك والدمار نصرة لدينك ونبيك وفي هذا دلالة
على وجوب الانقطاع الى الله تعالى عند سماع الكلام القبيح من اهل الباطل قوله عز وجل
ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر
وحملناه على ذات الواح ودسر تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد
تركناها اية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا
القران للذكر فهل من مدكر كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا
عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر
فكيف كان عذابي ونذر احدى عشرة اية القراءة قرا ابو جعفر وابن عامر ويعقوب
ففتحنا بالتشديد والباقون بالتخفيف الحجة وجه التخفيف ان فعلنا بالتخفيف
يدل على القليل والكثير ووجه التثقيل انه يختص بالكثير ويقويه قوله مفتحة
لهم الابواب اللغة الهمر صب الدمع والماء بشدة والانهمار الانصباب قال امرؤ القيس
شعر راح تمريه الصبا ثم انتحى فيه شوبوب جنوب منهمر والتفجير تشقيق الارض
عن الماء والعيون جمع عين الماء وهو ما يفور من الارض مستديرا كاستدارة
عين الحيوان فالعين مشتركة بين عين الحيوان وعين الماء وعين الذهب وعين
الميزان وعين السحاب وعين الركبة والدسر المسامير التي تشد بها السفينة
واحدها دسار ودسير ودسرت السفينة ادسرها دسرا اذا شددتها
وقيل ان اصل الباب الدفع يقال دسره بالرمح اذا دفعه بشدة والدسر صدر السفينة
لانه يدسر به الماء اى يدفع ومنه الحديث في العنبر هو شيء دسره البحر وتذكر
اصله متذكر فقلبت التاء الا التراخي الدال بالجهر ثم ادغمت الدال فيها والنذر
اسم من الانذار يقوم مقام المصدر يقال انذره نذرا بمعنى انذارا ومثله
انزله نزلا بمعنى انزالا ويجوز ان يكون جمع نذير والصرصر الريح الشديدة الهبوب

حتى يسمع صوتها وهو مضاعف صر وصرصر وكب وكبكب ونه ونهنه و المستمر
على طريقة واحدة واعجاز النخل اسافله والنخل يذكر و يؤنث والمنقعر المنقلع
من اصله لان قعر الشيء قراره وتقعر في كلامه تقعرا اذا تعمق الاعراب عيونا نصب
على التميز والحال والاصل وفجرنا عيون الارض في المعنى وفجرنا جميع الارض عيونا
ويجوز ان يكون تقديره بعيون فحذف الجار ويجوز ان يكون التقدير وفجرنا
من الارض عيونا وقوله على امر قد قدر في موضع نصب على الحال وقوله باعيننا
في موضع نصب بانه ظرف مكان جزاء منصوب على الحال من الهاء في ركبناها المعنى
ثم بين سبحانه اجابته لدعاء نوح عليه السلام فقال ففتحنا ابواب السماء ههنا حذف
معناه فاستجبنا لنوح دعاه ففتحنا ابواب السماء اى اجرينا الماء من السماء
كجريانه اذا فتح عنه باب كان مانعا له وذلك من صنع الله الذى لا يقدر عليه
سواه وجاز ذلك على طريق البلاغة بماء منهمر اى منصب انصبابا شديدا لا ينقطع
وفجرنا الارض عيونا اى شققنا الارض بالماء عيونا حتى جرى الماء على وجه الارض
فالتقى الماء يعني فالتقى الماءان ماء السماء وماء الارض وانما الموحد لانه اسم الجنس
يقع على الكثير والقليل على امر قد قدره الله تعالى وعرف مقداره فلا زيادة فيه
ولا نقصان وقيل معناه انه كان قدر ماء السماء مثل قدر ماء الارض عن مقاتل
وقيل معناه على امر قد رعليهم في اللوح المحفوظ وحملناه على ذات الواح اى وحملنا
نوحا على سفينة ذات الالواح مركبة جمع بعضها الى بعض والواحها اخشابها
التى منها جمعت ودسر اى مسامير شدت بها السفينة عن ابن عباس
وقتاده وابن زيد وقيل هو مصدر السفينة يدسر به الماء عن الحسن وجماعة
وقيل هو اضلاع السفينة عن مجاهد وقيل الدسر طرفاها واصلها والالواح
جانباها عن الضحاك تجرى السفينة في الماء باعيننا اى بحفظنا وبحراستنا
وبرامنا ومنه قولهم عين الله عليك وقيل معناه باعين اوليائنا ومن وكلناهم
بها من الملائكة وقيل معناه بجرى باعين الماء التى ابتعناها جزاء لمن كان كفر

اى فعلنا به

اى فعلنا به وبهم ما فعلنا من انجائه واغراقهم ثوابا لمن كفر به وجحد من وهو
نوح عليه السلام والتقدير لمن جحد نبوته وكفر بالله فيه ولقد تركناها اى تركنا
هذه الفعلة التى فعلنا اية اى علامة يعتبر بها وقيل معناه تركنا السفينة
ونجاة من فيها واهلاك الباقين دلالة باهرة على وحدانية الله تعالى وعبرة
لمن اتعظ بها وكانت السفينة باقية حتى راها اوائل هذه الامة عن قتاده وقيل
في كونها اية انها كانت تجرى بين ماء السماء وماء الارض وقد كان غطاها
على امر الله تعالى به فهل من مدكر اى متذكر يعلم ان ذلك حق فيعتبر به ويخاف
وقيل معناه فهل من طالب علم فيعان عليه العذاب اى كيف رايتم انتقامى
منهم وانذارى اياهم وقال الحسن النذر جمع نذير وانما كرر سبحانه هذا القول
في هذه السورة لانه سبحانه لما ذكر انواع الانذار والعذاب عقد التذكير بشيء
شيء منه على التفصيل ولقد يسرنا القرآن للذكر اى سهلناه للحفظ والقراءة حتى
يقرأ كله ظاهرا وليس من كتب الله المنزلة كتاب يقرأ كله الا القرآن عن سعيد
بن جبير والتيسير للشيء هو تسهيله بما ليس فيه كثير مشقة على النفس فمن سهل
له طريق العلم فهو حقيق باخذ الحظ الجزيل منه لان التيسر اكثر داع اليه وتسهيل
القرآن للذكر هو خفة ذلك على النفس بحسن البيان وظهور البرهان في الحكم
السنية والمعانى الصحيحة الموثوق بها لمجيئها من قبل الله تعالى وانما صار
الذكر من اجل ما يدعى اليه ويجب عليه لانه طريق العلم لان الساهى عن الشيء او عن دليله
لا يجوز ان يعلمه في حال سهوه فاذا تذكر الدلايل عليه والطرق المودية اليه لغرض
لعلمه من الوجه الذى ينبغى له فهل من مدكر اى معتبر به ناظر فيه ثم قال سبحانه
كذبت عاد اى بالرسول الذى بعثه اليهم وهو هود عليه السلام فاستحقوا الهلاك
فاهلكهم فكيف كان عذابى لهم ونذر اى وانذارى اياهم ثم بين كيفية اهلاكهم
فقال انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا اى شديدة الهبوب عن زيد وقيل باردة
عن ابن عباس وقتاده من الصر وهو البرد في يوم نحس اى يوم شوم مستمر

اي دايم الشوم استمر عليهم بنحوسه سبع ليال و ثمانية ايام حتى اتت عليهم و مستمر من صفة
اليوم اي يوم مستمر ضرره عام هلاكه وقيل هو نعت للنحس اي استمر بهم العذاب
والنحس في الدنيا حتى اتصل بالعقبى قال الزجاج وقيل انه كان في يوم اربعاء في آخر
الشهر لا تدور رواه العياشي بالاسناد عن ابي جعفر عليه السلام تنزع الناس اي تقلع
هذه الريح الناس ثم ترمي بهم على رؤسهم فتدق رقابهم فيصيرون كانهم
اعجاز نخل منقعر اي اصول نخل منقلع لان رؤسهم سقطت عن ابدانهم عن مجاهد
وقيل معناه تنزع الناس من حفر حفروها ليمتنعوا بها من الريح وقيل معناه
تنزع ارواح الناس عن الحسن فكيف كان عذابي ونذر وهو تعظيم للعذاب النازل
بهم وتخويف لكفار مكة قوله عز وجل وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ
وَسُعُرٍ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ
الْأَشِرُ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ
قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ عشر آيات القراءة
قرا ابن عامر وحمزة ستعلمون بالتاء والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة ابي السمال
ابشر منا بالرفع واحدا نتبعه بالنصب وقراءة ابي قلابة الكذاب الاشر بالتشديد
وقرا مجاهد الاشر بضم الشين خفيفة وقرا الحسن كهشيم المحتظر بفتح الظاء الحجة
قال ابو علي وجه الياء ان قبله غيبة وهو قوله فقالوا ابشرا منا سيعلمون
ووجه التاء على انه سيعلمون وقال ابن جني قوله ابشر عندي مرفوع بفعل يدل
عليه قوله القي الذكر عليه فكانه ابعث بشر منا فاما انتصاب واحدا فان شئت
جعلته حالا من الضمير في قوله منا اي انبياء بشر كائن منا والناصب لهذه الحال
الظرف كقولك زيد في الدار جالسا وان شئت جعلته حالا من الضمير في قوله
نتبعه اي نتبعه واحدا اي منفردا لا ناصر له وقوله الاشر بتشديد الراء هو الاصل

المرفوض

المرفوض لان اصل قولهم هذا خير منه وشر منه هذا اخير منه واشر منه فكثر استعمال
هاتين الكلمتين فحذفت الهمزة منهما واما الاشر فانه مما جاء على فعل وفعل من الصفات
كحذر وحذر ونعظ ووطف ووطف وعجز وعجز واما المحتظر فانه مصدر اي
الاحتظار كقولك كان البناء وخشب التجارة ويجوز ان يكون المحتظر الشجر
اي كهشيم الشجرة المتخذة منها الحظيرة اي كما تتهافت من الشجر المجعول حظيرة
والهشيم ما تهشم منه والسعر في اللغة السعر جمع سعير وهو النار المسعرة و
السعر الجنون يقال ناقة مسعورة اذا كانت بها جنونا واستعر فلان جنونا
واصله التهاب الشيء والتعاطي التناول والمحتظر الذي يعمل الحظيرة على بستانه
او غنمه وهو من الحظر وهو المنع من الفعل الاعراب بشر منصوب بفعل مضمر
الذي ظهر تفسيره وتقديره انتبع بشرا منا وقوله منا صفة ابشرا اي بشرا
كائنا منا وواحدا صفة بعد صفة والبشر يقع على الواحد والجمع وقوله من بيننا
في محل النصب على الظرف وفتنة منصوب بانه مفعول له ويجوز ان يكون مصدرا
وضع موضع الحال اي فاتنين لهم المعنى ثم اقسم سبحانه فقال ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر وقد فسرناه وقيل انه سبحانه انما اعاد ذكر التيسير ليبين
انه يسره على كل وجه من وجوه التيسير فمن الوجوه التي يسر الله تعالى بها القرآن
هو ان ابان عن الحكم الذي يعمل عليه وفي المواعظ التي يرتدع بها والمعنى التي
يحتاج الى التنبيه عليها والحجج التي يميز بها بين الحق والباطل عن علي بن عيسى كذبت
ثمود بالنذر اي بالانذار الذي جاءهم به صالح ومن قال ان النذر جمع نذير قال
معناه انهم كذبوا الرسل بتكذيبهم صالحا لان تكذيب واحد من الرسل كتكذيب
الجميع لانهم متفقون في الدعاء الى التوحيد وان اختلفوا في الشرايع فقالوا
ابشرا منا واحدا نتبعه اي نتبع آدميا مثلنا وهو واحد انا اذا لفي ضلال
اي نحن ان فعلنا ذلك في خطاء وذهاب عن الحق وسعر في عناء وشدة عذاب فيما يلزمنا
من طاعته عن قتاده وقيل في جنون عن ابن عباس في رواية عطاء والفائية في الآية

بان تبعتهم الركيكه التى حملوا انفسهم على تكذيب الانبياء من اجلها وهى ان الانبياء
ينبغى ان يكونوا جماعة وذهب عليهم ان الواحد من الخلق يصلح لتحمل اعباء الرسالة
وان لم يصلح له غيره من جهة معرفته بربه وسلامة باطنه وظاهره وقيامه بما كلف
من الرسالة التى الذكر عليه من بيننا هذا استفهام انكار وجحود اى كيف القى الوحى
عليه وخص بالنبوة من بيننا وهو واحد منا بل هو كذاب فيما يقول اشر اى بطر متكبر
ويريد ان يتعظم علينا بالنبوة ثم قال سبحانه سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وهذا
وعيد لهم ان سيعلمون يوم القيمة اذا نزل بهم العذاب اهو الكذاب ام هم فى تكذيبه
وهو الاشر البطر ام هم فذكر مثل لفظهم مبالغة فى توبيخهم وتهديدهم وانما قال
غدا على وجه التقريب على عادة الناس فى ذكرهم الغد والمراد به العاقبة قالوا ان مع
اليوم غدا انا مرسلوا الناقة فتنة لهم اى نحن باعثوا الناقة بانشائها على ما طلبوها
معجزة لصالح وقطعا لعذرهم وامتحانا واختبارا لهم وههنا حذف هو انهم تعنتوا
على صالح عليه السلام فسالوه ان يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء تضع ثم ترد ماهم فتشربه
ثم تغدو عليهم بمثله لبنا فقال سبحانه انا باعثوها كما سالوها فتنة لهم عن ابن عباس
فارتقبهم اى انتظر امر الله فيهم وقيل فارتقبهم اى فانتظر ما يصنعون واصطبر
على ما يصيبك من الاذى حتى ياتى امر الله فيهم ونبئهم اى اخبرهم ان الماء قسمة
بينهم يوم للناقة ويوم لهم كل شرب محتضر اى كل نصيب من الماء يحضره اهله
لا يحضر اخر معه ففى يوم الناقة تحضره الناقة وفى يومهم يحضرونه هم واحتضر
وحضر بمعنى واحد وانما قال قسمة بينهم تغليبا لمن يعقل والمعنى يوم لهم ويوم لها
وقيل انهم كانوا يحضرون الماء اذا غابت الناقة ويشربونه واذا حضرت حضروا
اللبن وتركوا الماء لها عن مجاهد فنادوا صاحبهم اى دبروا فى امر القتل فدعوا
واحدا من اشرارهم وهو قدار بن سالف عاقر الناقة فتعاطى اى تناول الناقة
بالعقر فعقرها وقيل انه كمن لها فى اصل صخرة فرماها بسهم فانتظم عضلة ساقها
ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها وكان يقال له احمر ثمود واحيمر ثمود ولعت

تغلظ فجعله احمر عاد فيضرب به المثل فى الشوم قال زهير شعر وتنتج لكم غلمان اشام
كلهم كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم فكيف كان عذابى ونذر اى فانظر كيف اهلكتهم
وكيف كان عذابى لهم وانذارى اياهم انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة يريد صيحة
جبرئيل عن عطاء وقيل الصيحة العذاب فكانوا كهشيم المحتظر اى فصاروا كهشيم
وهو حطام الشجر المنقطع بالكسر والرض الذى يجمعه صاحب الحظيرة الذى يتخذ
لغنمه حظيرة يمنعها عن برد الريح والمعنى انهم بادوا وهلكوا فصاروا كيبس
الشجر المتفتت اذا تحطم عن ابن عباس وقيل معناه صاروا كالتراب الذى
يتناثر من الحائط ويصيبه الرياح فيتحظر مستديرا عن سعيد بن جبير قوله
عز وجل ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر
انا ارسلنا عليهم حاصبا الا ال لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزى
من شكر ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه
فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابى ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر
فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر ولقد جاء
ال فرعون النذر كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر
عشر ايات اللغة سحرا اذا كان نكرة يراد به سحر من الاسحار يقال رايت زيدا بسحر
من الاسحار فاذا اردت سحر يومك قلت اتيته سحرا وقوله نعمة مفعول له وقوله
بكرة ظرف زمان فاذا كان معرفة يريد بكرة يومك يقول اتيته بكرة وغدوة
لم تصرفهما فبكرة هنا نكرة المعنى ثم اقسم سبحانه فقال ولقد يسرنا القران للذكر
فهل من مدكر قال قتادة اى فهل من طالب علم يتعلم كذبت قوم لوط بالنذر اى
بالانذار وقيل بالرسل على ما فسرناه انا ارسلنا عليهم حاصبا اى ريحا حصبتهم
اى رمتهم بالحجارة والحصباء قال ابن عباس يريد ما حصبوا به من السماء
من الحجارة فى الريح قال الفرزدق شعر مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف
القطن منثور ثم استثنى ال لوط فقال الا ال لوط نجيناهم اى خلصناهم بسحر من ذلك

العذاب الذي اصاب قوم لوط نعمة من عندنا اى انعاما فيكون مفعولا له ويجوز ان يكون
مصدرا وتقديره انعمنا بذلك عليهم نعمة كذلك اى كما انعمنا عليهم نجزى من شكر
قال مقاتل يريد من وحد الله تعالى لم يعذب مع المشركين ولقد انذرهم لوط
بطشتنا اى اخذنا اياهم بالعذاب فتماروا بالنذر اى تدافعوا بالانذار وجه على
الجدال الباطل وقيل معناه فشكوا ولم يصدقوا وقالوا كيف يهلكنا وهو
واحد منا وهو تفاعل من المرية ولقد راودوه عن ضيفه اى طلبوا منه
ان يسلم اليهم ضيفه فطمسنا اعينهم اى محوناهم والمعنى عميت ابصارهم
عن الحسن وقتاده وقيل معناه ازلنا تخطيط وجوههم حتى صارت ممسوحة
لا يرى اثر عين وذلك ان جبرئيل عليه السلام صفق اعينهم بجناحه صفقة
فاذهبها والقصة مذكورة فيما مضى وتم الكلام ثم قال فذوقوا
عذابى ونذرى اى فقلنا لقوم لوط لما ارسلنا عليهم العذاب ذوقوا عذابى
ونذرى ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر اى اتاهم صباحا عذاب نازل بهم
حتى هلكوا جميعا فذوقوا عذابى ونذرى وجه التكرار ان الاول عند الطمس
والثانى عند الاشتعال فكلما تجدد العذاب تجدد التقريع ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر مر معناه ولقد جاء آل فرعون اى مشايعى فرعون
بالقرابة والذين النذر اى بالانذار وقيل هو جمع نذير يعنى الايات التى
انذرهم بها موسى كذبوا باياتنا كلها وهى الايات التسع التى جاءهم بها
موسى وقيل بجميع الايات لان التكذيب بالبعض تكذيب بالكل فاخذناهم
بالعذاب اخذ عزيز مقتدر اى قادر لا يمتنع عليه شىء فيما يريد مقتدر على ما يشاء
قوله عز وجل اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة فى الزبر ام يقولون
نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر ان المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار
على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شىء خلقناه بقدر وما امرنا الا واحدة

كلمح بالبصر

كلمح بالبصر ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر وكل شىء فعلوه فى الزبر وكل
صغير وكبير مستطر ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك
مقتدر القراة قرا يعقوب غير رويس ستهزم الجمع والباقون سيهزم الجمع وفى الشواذ
قراة ابى السماك انا كل شىء بالرفع وقراة زهير القرقبى والاعمش ونهر بضمتين الحجة
قال ابن جنى الرفع فى قوله انا كل شىء خلقناه اقوى من النصب وان كانت الجماعة على النصب
وذلك انه من مواضع الابتداء فهو كقولك زيد ضربته وهو مذهب صاحب الكتاب
لانها جملة وقعت فى الاصل خبرا عن المبتدا فى قولك نحن كل شىء خلقناه بقدر فهو
كقولك زيد هند ضربها ثم دخلت ان فنصبت الاسم وبقى الخبر على تركيبه الذى
كان عليه واختيار محمد بن يزيد النصب لانه تقديره انا فعلنا كذا قال والفعل منتظر
بعد ان فلما دل عليه ما قبله حسن اضماره قال ابن جنى هذا ليس بشىء لان الاصل فى خبر
المبتدا ان يكون اسما لا فعلا الا جزءا منفردا فاما معنى توقع الفعل هنا وضرا ان واخواتها
كاخبار المبتدا وقوله نهر جمع نهر فيكون كاسد واسد ووثن ووثن ويجوز
ان يكون جمع نهر كسقف وسقف ورهن ورهن المعنى ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال
اكفاركم خير اشد واقوى من اولئكم الذين ذكرناهم وقد اهلكناهم استفهام
انكار اى لستم افضل من قوم نوح وعاد وثمود لا فى القوة ولا فى الثروة ولا فى كثرة العدد
والعدة والمراد بالخير ما يتعلق باسباب الدنيا لا اسباب الدين والمعنى انه اذا
اهلك اولئك الكفار فما الذى يؤمنكم ان ينزل بكم ما نزل بهم ام لكم براءة فى الزبر
اى الكم براءة من العذاب فى الكتب السالفة انه لن يصيبكم ما اصاب الامم الخالية
ام يقولون نحن جميع منتصر اى ام يقول هؤلاء الكفار نحن جميع امرنا ننتصر من
اعدائنا عن الكلبى والمعنى ام يقولون نحن يد واحدة على من خالفنا ننتصر
ممن عادانا فيدلون بقوتهم واجتماعهم ووحد منتصر للفظ الجمع فانه واحد
فى اللفظ وان كان اسما للجماعة كالرهط والجيش اى كانهم ليسوا خيرا من اولئك
ولا لهم براءة فكذلك لا جمع لهم يمنع عنهم عذاب الله وينصرهم وان قالوا نحن مجتمعون

متناصرون فلا نرام ولا نقصد ولا نطمع احد في غلبتنا ثم قال سبحانه سيهزم
الجمع اي جميع كفار مكه ويولون الدبر اي منهزمون مولونكم ادبارهم في الهزيمة
ثم اخبر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله انه سيظهره عليهم ويهزمهم
فكانت هذه الهزيمة يوم بدر وكان موافقة الخبر للمخبر من معجزاته عليه السلام
ثم قال سبحانه بل الساعة موعدهم والساعة اي ان موعد الجميع للعذاب
يوم القيمة والساعة ادهى وامر فالادهى الاعظم في الدهاء والدهاء عظم سبب الضرر
مع شدة انزعاج النفس وهو من الداهية اي البلية التي ليس في ازالتها حيلة والمعنى
ان ما يجري عليهم من القتل والاسر يوم بدر وغيره لا يخلصهم من عقاب الاخرة بل عذاب
الاخرة اعظم في الضرر واقطع وامر اي اشد مرارا من القتل والاسر في الدنيا وقيل
الامر في استمرار البلاء لان اصل المر التعود ثم بين سبحانه حال القيمة فقال ان المجرمين
في ضلال وسعر اي في ذهاب عن وجه النجاة وطريق الجنة في النار مسعرة عن الجبائي
وقيل في ضلال اي في هلاك وذهاب عن الحق وسعر اي عناء وعذاب يوم يسحبون
اي يجرون في النار على وجوههم يعني ان هذا العذاب يكون لهم في يوم بدر يجرهم
الملائكة فيه على وجوههم في النار ويقال لهم ذوقوا مس سقر يعني اصابتها اياهم
بعذابها وحرها وهو كقولهم وجدت مس الحمى وسقر جهنم وقيل هي باب من ابوابها
واصل السقر التلويح يقال سقرته الشمس وصقرته اذا لوحته وانما لم ينصرف للتعريف
والتانيث انا كل شيء خلقناه بقدر اي خلقنا كل شيء خلقناه مقدرا بمقدار
معلوم بوجه الحكمة لم يخلقه جزافا فانحسنا فخلقنا العذاب ايضا على قدر الاستحقاق
وكذلك كل شيء في الدنيا والاخرة خلقناه مقدارا بمقدار معلوم عن الجبائي وقيل
معناه خلقنا كل شيء على قدر معلوم فخلقنا اللسان للكلام واليد للبطش والرجل
للمشي والعين للبصر والاذن للسماع والمعدة للطعام ولو زاد ونقص عما قدرناه
لما تم الغرض عند الحسن وقيل معناه جعلنا لكل شيء شكلا ويصلح كالمرأة للرجل
والاتان للحمار وثياب الرجل للرجال وثياب النساء للنساء عن ابن عباس وقيل خلقنا

كل شيء



كل شيء بقدر مقدر وقضاء محتوم في اللوح المحفوظ وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر
اي وما امرنا بمجيء الساعة في السرعة الا كطرف البصر عن ابن عباس والكلبي ومعنى
اللمح النظر بالعجلة وهو خطف البصر والمعنى اذا اردنا قيام الساعة اعدنا
الخلق وجميع الحيوانات في قدر لمح البصر في السرعة وقيل معناه وما امرنا اذا
اردنا شيئا الا مرة واحدة لم يحتج وقته الى ثانية انما نقول له كن فيكون كلمح
البصر في سرعته من غير ابطاء ولا تاخير عن الجبائي ولقد اهلكنا اشياعكم
اي اشباهكم ونظرائكم في الكفر من الامم الماضية عن الحسن وسماهم اشياعهم
لما وافقوهم في الكفر وتكذيب الانبياء فهل من مدكر اي فهل من متذكر لما يوجبه
هذا الوعظ من الانزجار عن مثل ما سلف من اعمال الكفار لئلا يقع به ما يقع بهم
من الاهلاك وكل شيء فعلوه في الزبر اي في الكتب التي كتبتها الحفظة وهذه اشارة
الى انهم غير مغفول عنهم عن الجبائي وقيل معناه ان جميع ذلك مكتوب عليهم
في الكتاب المحفوظ لانه من اعظم العبرة في علم ما يكون قبل ان يكون على التفصيل
وكل صغير وكبير مستطر اي وما قدموه من اعمالهم من صغير وكبير مكتوب
عليهم عن ابن عباس ومجاهد وقتاده والضحاك وقيل معناه كل صغير وكبير
من الارزاق والاجال والموت والحيوة ونحوها مكتوب في اللوح المحفوظ ان المتقين
في جنات ونهر اي انهار يعني انهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل
وضع نهر في موضع انهار لانه اسم جنس يقع على القليل والكثير والاولى ان يكون
انما وحد لوفاق الفواصل والنهر هو المجرى الواسع من مجاري الماء في مقعد
صدق اي في مجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم وقيل وصفه بالصدق لكونه رفيعا مرضيا
وقيل لدوام النعيم به وقيل لان الله صدق وعد اولياءه فيه عند مليك
مقتدر اي عند الله سبحانه فهو المالك القادر الذي لا يعجزه شيء وليس المراد
قرب المكان تعالى الله سبحانه عن ذلك بل المراد انهم في كنفه وفي جواره وكفايته
حيث تنالهم غواشي رحمته وفضله سورة الرحمن مكية وقيل مكية غير آية نزلت بالمدينة

يسأله من في السموات والارض عن عطا وقتاده وعكرمه واحدى الروايتين عن ابن
عباس وقيل مدنيه عن الحسن وهمام عن قتاده وابي حاتم **عدد آيها** ثمان وسبعون
آية كوفي شامي سبع حجازي ست بصري اختلافها خمس آيات الرحمن كوفي شامي خلق
الانسان الاول لغير المدني وضعها للانام غير المكي المجرمون غير البصري شواظ
من نار حجازي **فضلها** ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قرأ سورة
الرحمن رحم الله ضعفه وادى شكر ما انعم الله عليه وروى عن موسى بن جعفر عن آبائه
عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال لكل شيء عروس وعروس القران سورة
الرحمن جل ذكره ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال لا تدعوا قراءة الرحمن والقيام
بها فانها لا تقر في قلوب المنافقين ويأتي بها يوم القيمة في صورة آدمي في احسن
صورة واطيب ريح حتى تقف من الله موقفا لا يكون احد اقرب الى الله منها فيقول لها
من الذي كان يقوم بك في الحيوة الدنيا ويدمن قراءتك فيقول يا رب فلان وفلان
فتبيض وجوههم فيقال لهم اشفعوا فيمن احببتم فيشفعون حتى لا يبقى لهم غاية ولا احد
يشفعون له فيقول لهم ادخلوا الجنة واسكنوا فيها حيث شئتم حماد بن عثمان
قال قال الصادق عليه السلام يجب ان يقرأ الرجل سورة الرحمن يوم الجمعة فكلما قرأ
فبأي آلاء ربكما تكذبان قال لا بشيء من آلائك ربنا اكذب وعنه عليه السلام قال من قرأ
سورة الرحمن ليلا يقول عند كل فبأي آلاء ربكما تكذبان لا بشيء من آلائك يا رب
اكذب وكل الله به ملكا ان قرأها ليلا يحفظه حتى يصبح وان قرأها حين يصبح
وكل الله به ملكا يحفظه حتى يمسي **تفسيرها** ختم الله سبحانه سورة القمر باسمه وافتتح
هذه السورة باسمه فقال بسم الله الرحمن الرحيم

الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ
وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا
الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ
وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

ثلث عشرة آية

ثلث عشرة آية القراءة قرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان فيهما جميعا وقرأ
حمزة والكسائي وخلف والحب ذو العصف بالرفع والريحان بالجر والباقون بالرفع في الجميع
وفي الشواذ قراءة ابي السمال والسماء رفعها بالرفع وقراءة بلال بن ابي برده ولا تخسروا
بفتح التاء والسين وبكسر السين ايضا الحجة قال ابو علي قال ابو عبيدة العصف الذي
يعصف فيؤكل من الزرع وهي العصيفة قال علقمة بن عبدة شعر تسقى مذانب قد مالت
عصيفتها حدورها من اتي الماء مطموم والريحان الحب الذي يؤكل يقال سبحانك وريحانك
اي ورزقك قال النمر شعر سلام الاله وريحانه ورحمته وسماء درر وقيل العصف
والعصيفة ورق الزرع وعن قتاده العصف التبن ومن قرأ والحب ذا العصف حمله على
وخلق الحب وخلق الريحان وهو الرزق ويقوي ذلك قوله فاخرجنا به ازواجا من نبات
شتى ومن رفع الريحان والتقدير فيها فاكهة والريحان والحب ذو العصف وذو الريحان
اي من الحب الرزق فان قلت ان العصف العصيفة ورق ايضا فكانه ذو الورق وذو
الورق قيل هذا لا يمتنع لان العصيفة ورق غير الذي وقع الريحان عليه كان الريحان
اريد به الحب اذا خلص من لفائفه فان وقع عليه الرزق لعموم المنفعة به وانه رزق للناس
وغيرهم ويبعد ان يكون الريحان المشموم في هذا الموضع انما هو قوت للناس والانعام
كما قال فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم وقوله والسماء رفعها
قال ابن جني الرفع هنا اظهر من قراءة الجماعة وذلك انه صرفه الى الابتداء لانه
عطفه على الجملة المركبة من المبتدأ والخبر وهي قوله والنجم والشجر يسجدان
فاما القراءة العامة بالنصب فانها معطوفة على يسجدان وحدها وهي جملة من فعل
وفاعل والعطف يقتضي التماثل في تركيب الجمل فيصير تقديره يسجدان ورفع السماء
فلما اضمر رفع فسره بقوله رفعها كقولك قام زيد وعمرا ضربته اي وضربت
عمرا لتعطيف جملة من فعل وفاعل على اخرى مثلها واما قوله تخسروا بفتح التاء
فانه على حذف حرف الجر اي لا تخسروا في الميزان فلما حذف حرف الجر افضى اليه الفعل
فنصبه كقوله واقعدوا لهم كل مرصد واما تخسروا بفتح التاء وكسر السين فعلى خسرت

الميزان وانما المشهور اخسرته يقال خسر الميزان واخسرته ويشبه ان يكون خسر
لغة في اخسرته نحو اخسرت الرجل واخسرته واهلكته وهلكته الرحمن هو
الذي وسعت رحمته كل شيء وكذلك لا يوصف به الا الله تعالى فاما راحم ورحيم
فيجوز ان يوصف بهما العباد البيان هو الادلة الموصلة الى العلم وقيل البيان
اظهار المعنى للنفس بما يتميز به من غيره كتميز معنى رجل من رجلين ومعنى فرس
ومعنى قادر من معنى عاجز ومعنى عام من معنى خاص والحسبان مصدر حسبته
والنجم من النبات ما لم يقم على ساق نحو العشب والبقل والشجر ما قام على ساق
واصله الطلوع يقال نجم القرآن والنبات اذا طلعا وبه سمي نجم السماء لطلوعه
والاكمام جمع كم وهو وعاء ثمرة النخل تكم في وعائه اذا اشتمل عليه والآلاء النعم
واحدها الى على وزن معا والى على وزن قفا عن ابي عبيدة الرحمن اية مع انه
ليس بجملة لانه في تقدير الله الرحمن حتى تصح الفاصلة فهو خبر مبتدا محذوف
نحو قوله سورة انزلناها اي هذه السورة الا تطغوا تقديره لان لا تطغوا فهو
محل نصب بانه مفعول ولفظه نفي ومعناه نهي ولذلك عطف عليه بقوله واقيموا
الوزن وقوله فيها فاكهة مبتدا وخبر في موضع نصب على الحال الرحمن افتتح الله
سبحانه هذه السورة بهذا الاسم ليعلم العباد ان جميع ما وصفه بعد من افعاله الحسنى
انما صدرت من الرحمة التي تشمل جميع خلقه وكانه جواب لقوله لهم وما الرحمن
في قوله واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقد روي انه لما نزل
قوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن قالوا وما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة
وقيل لهم الرحمن علم القرآن اي علم محمدا القرآن وعلم محمد امته عن الكلبي وقيل هو
جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فبين سبحانه ان الذي علمه القرآن هو
الرحمن والتعليم هو تبيين ما به يصير من لم يعلم عالما والاعلام ايجاد ما به
يصير عالما ذكر سبحانه النعمة فيما علم من الحكمة بالقرآن الذي احتاج الناس اليه
في دينهم ليؤدوا ما يجب عليهم ويستوجبوا الثواب بطاعة ربهم قال الزجاج معنى علم

القرآن يسره لان يذكر خلق الانسان اي اخرجه من العدم الى الوجود والمراد بالانسان
هنا آدم عن ابن عباس وقتاده علمه البيان اي اسماء كل شيء واللغات كلها قال
الصادق عليه السلام البيان الاسم الاعظم الذي علم به كل شيء وقيل الانسان اسم الجنس
ومعناه الناس جميعا علمه البيان اي النطق والكتابة والخط والفهم والافهام
حتى يعرف ما يقول وما يقال له عن الحسن وابي العالية وابن زيد والسدي وهذا
هو الاظهر الاعم وقيل البيان هو الكلام الذي يبين به عن مراده ويتميز به عن سائر
الحيوانات عن الجبائي وقيل خلق الانسان يعني محمدا صلى الله عليه وآله علمه البيان
يعني ما كان وما يكون عن ابن كيسان الشمس والقمر بحسبان اي يجريان بحسبان
ومنازل لا يعدوانها وهما يدلان على عدد الشهور والسنين والاوقات عن ابن
عباس وقتاده فاضمر يجريان وحذفه لدلالة الكلام عليه وتحقيق معناه انهما
يجريان على وتيرة واحدة وحساب متفق على الدوام لا يقع فيه تفاوت فالشمس
تقطع بروج الفلك في ثلثمائة وخمسة وستين يوما وشيء والقمر في ثمانية وعشرين
يوما فيجريان ابدا على هذا الوجه وانما خصهما بالذكر لما فيهما من المنافع الكثيرة
للناس من النور والضياء ومعرفة الليل والنهار ونضج الثمار الى غير ذلك
فذكرهما لبيان النعمة على الخلق والنجم والشجر يسجدان يعني بالنجم نبت الارض
الذي ليس له ساق وبالشجر ما كان له ساق يبقى في الشتاء عن ابن عباس وسعيد بن جبير
وسفيان الثوري وقيل اراد بالنجم نجم السماء وهو موحد والمراد به جميع النجوم والشجر
يسجدان لله بكرة وعشيا كما قيل في موضع آخر والشجر والدواب عن مجاهد وقتاده
وقال اهل التحقيق المعنى في سجودهما هو ما فيهما من الآية الدالة على حدثهما
وعلى ان لهما صانعا انشاهما وما فيهما من الصنعة والقدرة التي توجب السجود وقيل
سجودهما سجود ظلهما كقوله تتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم
داخرون عن الضحاك وسعيد بن جبير والمعنى ان كل جسم له ظل يقتضي الخضوع
بما فيه من دليل الحدوث واثبات المحدث المدبر وقيل معنى سجودهما انه يصير فيهما

على ما اريد من غير امتناع فجعل ذلك خضوعا ومعنى السجود الخضوع كما في قوله
شعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر عن الجبائي والسماء رفعها اي ورفع السماء رفعها
فوق الارض دل سبحانه بذلك على كمال قدرته ووضع الميزان يعني آلة الوزن
ليوصل به الى الانصاف والانتصاف عن الحسن وقتادة قال قتادة هو الميزان المعهود
ذو اللسانين وقيل المراد بالميزان العدل والمعنى انه امر بالعدل عن الزجاج
ويدل عليه قوله ولا تطغوا في الميزان اي لا تجاوزوا فيه العدل والحق الى البخس
والباطل وتقديره فعلت ذلك لئلا تطغوا في الميزان اي لا تجاوزوا فيه
العدل والحق الى البخس والباطل ويحتمل ايض ان يكون لا تطغوا نهيا مفردا او يكون
ان مفسرة بمعنى اي وقيل ان المراد بالميزان القرآن الذي هو اصل الدين
فكانه تعالى بين ادلة العقل وادلة السمع وانما عاد سبحانه ذكر الميزان من غير
اضمار ليكون الثاني قائما بنفسه في النهي عنه اذا قيل لا تطغوا في الميزان
واقيموا الوزن بالقسط اي اقيموا لسان الميزان بالعدل اذا اردتم الاخذ
والاعطاء ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوه بالبخس في الجود بل تسووه بالانصاف
والعدل قال سفين بن عيينه الاقامة باليد والبسط بالقلب والارض وضعها
للانام لما ذكر السماء ذكر الارض في مقابلتها اي وبسط الارض ووطاها
للناس وقيل الانام كل شيء فيه روح عن ابن عباس وقيل الانام الانس والجن
عن الحسن وقيل جميع الخلق من كل ذي روح عن مجاهد وعبر عن الارض
بالوضع لما عبر عن السماء بالرفع وفي ذلك بيان النعمة على الخلق وبيان
وحدانية الله تعالى كما في رفع السماء فيها فاكهة اي في الارض ما يتفكه به
من الوان الثمار المأخوذة من الاشجار والنخل ذات الاكمام كيف اي ذات
الاوعية والغلف ثمر النخل يكون في غلف ما لم ينشق وقيل الاكمام كيف النخل
الذي تكم فيه عن الحسن وقيل معناه ذات الطلع لانه الذي يتغطى بالاكمام عن
ابن زيد والحب يريد جميع الحبوب مما يحرث في الارض من الحنطة والشعير

وغيرها

وغيرها ذو العصف اي ذو الورق فاذا يبس وديس صار تبنا عن مجاهد والجبائي
وقيل بقل الزرع وهو اول ما ينبت منه عن السدي والفراء والريحان يعني الرزق
في قول الاكثرين وقال الحسن وابن زيد هو ريحانكم الذي يشم قال الضحاك الريحان
الحب المأكول والعصف الورق الذي لا يؤكل فهو رزق الدواب فذكر سبحانه
قوت الناس والانعام ثم خاطب الانس والجن بقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان
اي فبأي نعم ربكما من هذه الاشياء المذكورة تكذبان لانها كلها منعم
عليكم بها والمعنى انه لا يمكن جحد شيء من هذه النعم فاما الوجه لتكرار هذه
الاية في هذه السورة فانما هو التقرير بالنعم المعدودة والتأكيد في التذكير بها
فلما ذكر سبحانه نعمة انعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل
لغيره اما احسنت اليك حين اطلقت لك مالا اما احسنت اليك حين ملكتك
عقارا اما احسنت اليك حين بنيت لك دارا فيحسن فيه التكرار لاختلاف ما يقرره
به ومثله في كلام العرب واشعارهم قال مهلهل بن ربيعة يرثي اخاه كليبا شعر على ان
ليس عدلا من كليب: اذا طرد اليتيم عن الجزور: على ان ليس عدلا من كليب: اذا ما ضيم
جيران المجير: على ان ليس عدلا من كليب: اذا رجف العضاه من الدبور: على ان ليس
عدلا من كليب: اذا ما اقلت شجوى الصدور: وقالت ليلى الاخيلية ترثي توبة
بن الحمير: لنعم الفتى يا توب كنت ولم تكن: لتسبق يوما كنت فيه تحاول: ونعم الفتى
يا توب كنت اذا التفت: صدور العوالي واستشال الاسافل: ونعم الفتى يا توب
انت: خائف اتاك لكي تحمي ونعم المجامل: ونعم الفتى يا توب جارا وصاحبا: ونعم الفتى
يا توب حين تناضل: لعمري لانت المرء ابكي لفقده: ولو لام فيه ناقص الراي جاهل
لعمري لانت المرء ابكي لفقده: اذا كثرت بالمجحين التلاتل: ابى لك ذم الناس
يا توب كلما ذكرت امور محكمات كوامل ابى لك ذم الناس يا توب كلما ذكرت سماح
حين تأوي الارامل فلا يبعدنك الله يا توب انما كذاك المنايا عاجلات واجل
ولا يبعدنك الله يا توب انما لقيت حمام الموت والموت عاجل خرجت في هذه الايات

من تكرار الى تكرار لاختلاف المعانى التى عددتها وقال الحرث بن عباد قربا
مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال وكرر هذه اللفظة قربا مربط
النعامة منى فى ابيات كثيرة دون امثال هذا كثرة وهذا هو الجواب بعينه
عن التكرار فى قوله ويل يومئذ للمكذبين فى المرسلات قوله عز وجل خلق
الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فباى آلاء ربكما
تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فباى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين
يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فباى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان فباى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام فباى
آلاء ربكما تكذبان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فباى
آلاء ربكما تكذبان يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شان فباى آلاء
ربكما تكذبان سبع عشرة آية القراءة قرأ اهل المدينة والبصرة يخرج منهما
بضم الياء وفتح الراء والباقون يخرج بفتح الياء وضم الراء وقرأ حمزة
ويحيى عن ابى بكر المنشئات بكسر الشين والباقون بفتح الشين الحجة قال
ابو على من قرأ يخرج كانه قوله بينا لان ذلك انما يخرج ولا يخرج بنفسه ومن قرأ
يخرج جعل الفعل للؤلؤ والمرجان وهو اتساع لانه اذا اخرج ذلك فقد خرج
وقال يخرج منهما ولم يقل من احدهما على حذف المضاف كما قال على رجل من القريتين
عظيم على ذلك وقال ابو الحسن زعم قوم انه يخرج من العذب ايضا والمرجان
صغار اللؤلؤ واحدها مرجانة قال ذو الرمة ؎ كان عرى المرجان منها تعلقت
على ام خشف من ظباء المشاقر والمنشئات المجريات المرفوعات فمن فتح الشين
فلانها انشئت واجريت ولم تفعل ذلك نفسها ومن قرأ المنشئات نسب الفعل
اليها على الاتساع يقال مات زيد ومرض عمرو ونحو ذلك مما يضاف اليه اذا وجد
فيه وهو لغيره وكان المعنى المنشئات السير فحذف المفعول للعلم به واضاف
السير اليها اتساعا لان سيرها انما يكون فى الحقيقة بهبوب الريح او دفع الصراري

اللغة

اللغة الصلصال الطين اليابس الذى يسمع منه صلصلة والفخار الطين الذى طبخ بالنار
حتى صار خزفا والمارج المضطرب المتحرك وقيل المختلط يقال مرج الامر اختلطت ومرجت
عهود القوم واماناتهم قال مرج الدين فاعددت له مشرف الحارك محبوك الكتد
ومرج الدابة فى المرعى ارسلها والبرزخ الحاجز بين الشيئين والجوارى السفن
لانها تجرى فى الماء واحدتها جارية ومنه الجارية المرأة الشابة لانه يجرى فيها ماء
الشباب والاعلام الجبال واحدها علم قالت الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به كانه
علم فى رأسه نار وقال جرير ؎ اذا قطعن علما بدا علم والفناء انتفاء الاجسام والصحيح
انه معنى يضاد الجواهر لان الجواهر باق فلا يبقى الا بضد وما يجرى مجرى الضد فى
الفناء المعنى ثم قال سبحانه عاطفا على ما تقدم من الادلة على وحدانيته والابانة عن نعمه
على خليقته فقال خلق الانسان يعنى به آدم عليه السلام وقيل جميع البشر لان اصلهم آدم
من صلصال اى طين يابس وقيل حمأ منتن ويحتمل الوجهين جميعا لانه كان حمأ مسنونا
ثم صار يابسا كالفخار اى كالآجر والخزف وخلق الجان اى ابا الجن وقال الحسن هو ابليس
ابو الجن وهو مخلوق من لهب النار كما ان آدم مخلوق من طين من مارج من نار
اى من نار مختلط احمر واسود وابيض عن مجاهد وقيل المارج الصافى من لهب
النار الذى لا دخان فيه فباى آلاء ربكما تكذبان فباى نعمة تكذبان ايها الثقلان
اى بان خلقكما من نفس واحدة ونقلكما من النار والتراب الى الصورة التى
انتم عليها تكذبان رب المشرقين ورب المغربين يعنى مشرق الصيف ومشرق الشتاء
ومغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل اراد بالمشرقين مشرق الشمس والقمر بين سبحانه
قدرته على تصريف الشمس والقمر مشرقا للشمس والقمر وبالمغربين مغرب الشمس والقمر
ومن قدر على ذلك قادر على كل شى فباى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان
بينهما برزخ لا يبغيان ذكر سبحانه عظيم قدرته حيث خلق البحرين العذب والملح
يلتقيان ثم لا يختلط احدهما بالآخر وهو قوله بينهما برزخ لا يبغيان اى حاجز
من قدرة الله فلا يبغى الملح على العذب ولا العذب على الملح فيفسده ويختلط به ومعنى

برح ارسل عن ابن عباس وقيل المراد بالبحرين بحر السماء وبحر الارض فان في السماء
بحرا يمسكه الله بقدرته ينزل منه المطر فيلتقيان في كل سنة وبينهما حاجز يمنع
بحر السماء من النزول وبحر الارض من الصعود عن ابن عباس والضحاك ومجاهد
وقيل انهما بحر فارس وبحر الروم عن الحسن وقتاده فان اخر طرف هذا يتصل باخر
طرف هذا والبرزخ بينهما الجزاير وقيل مرج البحرين خلط طرفيهما عند التقائهما
من غير ان يختلط جملتهما لا يبغيان اي لا يطلبان ان يختلطا يخرج منهما
اللولؤ والمرجان اللولؤ كبار الدر والمرجان صغاره عن ابن عباس والحسن و
وقتاده والضحاك وقيل المرجان خرز احمر كالقضبان يخرج من البحر وهو البسد
عن عطاء الخراساني وابي مالك وبه قال ابن مسعود لانه قال بحرين وانما قال منهما
وانما يخرج من الملح دون العذب لان الله سبحانه ذكرهما وجمعهما وهما بحر واحد
فاذا خرج من احدهما فقد خرج منهما عن الزجاج قال الكلبي هو مثل قوله وجعل
القمر فيهن نورا وانما هو في واحدة منهن وقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم
رسل منكم والرسل من الانس دون الجن وقيل يخرج منهما اي من ماء السماء ومن ماء
البحر فان القطر اذا جاء من السماء تفتحت الاصداف فكان من ذلك القطر اللولؤ
عن ابن عباس ولذلك حمل البحرين على بحر السماء وبحر الارض وقيل ان العذب
والملح ملتقيان فيكون العذب كاللقاح للملح لا يخرج اللولؤ الا من الموضع الذي
يلتقي فيه الملح والعذب وذلك معروف عند الغواصين وقد روي عن سلمان
الفارسي وسعيد بن جبير وسفيان الثوري ان البحرين علي وفاطمة عليهما السلام
بينهما برزخ محمد صلى الله عليه وآله يخرج منهما اللولؤ والمرجان الحسن والحسين
عليهما السلام ويجوز ان يكونا عليهما السلام بحرين لسعة فضلهما وكثرة خيرهما فان البحر
انما سمي بحرا لسعته وقد قال النبي صلى الله عليه وآله لفرس ركبه واجراه فاحمده
وجدته بحرا اي كثير المعاني الحميدة وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام
اي السفن بعضها على بعض مركبة حتى ارتفعت وطالت وقيل هي المبتداءت للسير

مرتفعة القلاع قال مجاهد ما رفع القلاع فهو منشأ وما لم ترفع قلاعه
فليس بمنشأ والقلاع جمع قلع وهو شراع السفينة كالاعلام اي كالجبال قال مقاتل
شبه السفن في البحر بالجبال في البر وقيل المنشئات بكسر الشين وهو ان ينشئ
الموج بصدرها حيث تجري فتكون الامواج كالاعلام من الله سبحانه
على عباده بان علمهم اتخاذ السفن ليركبوها وان جعل الماء على صفة تجري السفن
عليه لاجلها كل من عليها فان اي كل من على الارض من حيوان فهو هالك يفنون
ويخرجون من الوجود كني عن الارض وان لم يجر لها ذكر كقول اهل المدينة ما بين
لابتيها اي لابتي المدينة وانما جاز ذلك لكونه معلوما ويبقى وجه ربك اي
ويبقى ربك الظاهر بادلته ظهور الانسان بوجهه ذو الجلال اي العظمة و
الكبرياء واستحقاق الحمد والمدح باحسانه الذي هو اصل كل انعام والاكرام
يكرم انبياءه واولياءه بالطافه وافضاله مع عظمته وجلاله وقيل معناه
انه اهل ان يعظم وينزه عما لا يليق بصفاته كما يقول الانسان لغيره انا اكرمك
عن كذا واجلك عنه كقوله اهل التقوى اي اهل ان يتقى وتقول العرب هذا
وجه الراي وهذا وجه التدبير بمعنى انه الراي والتدبير قال الاعشى شعر
واول الحكم على وجهه : ليس قضائي بالهوى الجائر : اي قدر الحكم كما هو وقيل
ان المراد بالوجه ما يتقرب به الى الله عز وجل وانشد شعر استغفر الله ذنبا
لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل ومتى قيل واي نعمة في الفناء
فالجواب ان النعمة فيه التسوية بين الخلق فيه وايضا فانه وصلة الى الثواب
وتنبيه على ان الدنيا لا تدوم ايضا فانه لطف للمكلف لانه لو عجل الثواب
لصار ملجأ الى العمل ولم يستحق الثواب فيفصل بين الثواب والعمل ليفعل
الطاعة لحسنها فيستحق الثواب يسأله من في السموات والارض اي لا يستغني
عنه اهل السموات والارض فيسألونه حوائجهم عن قتاده وقيل يسأله اهل
الارض اي لا يستغني عنه اهل السموات والارض الرزق والمغفرة وتسأل الملائكة

لهم ايضاً الدرق عن مقاتل كل يوم هو في شان اختلف في معناه فقيل ان شانه
سبحانه احياء قوم وامانة اخرين وعافية قوم ومرض اخرين وغير ذلك
من الاهلاك والانجاء والحرمان والاعطاء والامور الاخر التي لا تحصى وعن
ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله كل يوم هو في شان قال من شانه
ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع ويضع اخرين وعن قوله ابن عباس قال ان
مما خلق الله تعالى لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وكتابه نور
ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز
ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله كل يوم هو في شان وقال مقاتل نزلت في اليهود
حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا وقيل ان الدهر كله عند الله
يومان احدهما مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيمة فالشان الذي هو فيه
في اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالامر والنهي والاحيا والاماتة والاعطا
والمنع وشان يوم القيمة الجزاء والحساب والثواب والعقاب عن سفين بن عيينه
وقيل شانه جل ذكره ان يخرج في كل يوم وليلة ثلثة عساكر عسكرا من اصلاب الاباء
الى الارحام وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبر ثم يرتحلون
جميعا الى الله وقيل شانه ايصال المنافع اليك ودفع المضار عنك فلا تغفل عن طاعة
من لا يغفل عن تركه عن ابي سليمان الداراني قوله عز وجل سَنَفْرُغُ لَكُمْ اَيُّهَا الثَّقَلَانِ
فَبِاَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ اِنِ اسْتَطَعْتُمْ اَنْ تَنْفُذُوا مِنْ اَقْطَارِ
السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ اِلَّا بِسُلْطَانٍ فَبِاَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
فَاِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ فَبِاَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَيَوْمَئِذٍ
لَا يُسْاَلُ عَنْ ذَنْبِهِ اِنْسٌ وَلَا جَانٌّ فَبِاَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ
فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْاَقْدَامِ فَبِاَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ
بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ فَبِاَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ خمس عشرة
آية القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم سيفرغ بالياء والباقون بالنون وقرأ ابن كثير

شواظ بكسر الشين والباقون بضمها وقرا ابن كثير واهل البصرة عن يعقوب
ونحاس بالجر والباقون بالرفع وفي الشواذ قراة قتاده والاعمش سنفرغ بفتح النون
والراء وقراة الاعرج سيفرغ بفتح الياء والراء ورواية ابي حاتم عن الاعمش سيفرغ
وقراة عيسى الثقفي سنفرغ بكسر النون وفتح الراء وروى عن ابي عبد الله عليه السلام
هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان اصلياها فلا تموتان فيها ولا تحييان الحجة قال ابو علي
وجه الياء في سنفرغ ان الغيبة قد تقدم وقوله وله الجوار وقوله هو في شان
ويقال فرغ يفرغ وفرغ يفرغ وليس الفراغ هنا فراغا عن شغل ولكن تاويله القصد
كما قال جرير شعر الان فقد فرغت الى نمير فهذا حين صرت لهم عذابا وقرا ابن عامر ايه
الثقلان بضم الهاء وقد مضى الوجه فيه والشواظ والشواظ لغتان قال ابو عبيدة هو
اللهب لا دخان فيه قال رؤبة شعر ان لهم من حربنا ايقاظا ونار حرب تسعر الشواظا
والنحاس الدخان قال الجعدي شعر تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا
قال ابو علي اذا كان الشواظ اللهب لا دخان فيه فضعفت قراءة من قرأ ونحاس بالجر ولا يكون
على تفسير ابي عبيدة الا الرفع فنحاس على تقدير يرسل عليكما شواظ ويرسل نحاس
اي يرسل هذا مرة وهذا اخرى وقد يجوز من وجه على ان تقديره يرسل عليكما
شواظ من نار وشيء من نحاس فيحذف الموصوف ويقيم الصفة مقامه كقوله
ومن اياته يريكم البرق ومن الذين هادوا يحرفون الكلم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن
ومن اهل المدينة يريكم البرق ومن الذين مردوا على النفاق فحذف الموصوف في ذلك
كله فكذلك في الاقاويل قلت هنا فاعل والفاعل لا يحذف فقد جاء شعر فما راعنا الا يسير
بشرطة وعهدي به قينا يفش بكير على ان هذا الحذف قد جاء في المبتدأ في الاي التي
تلونا او بعضها وقد قالوا تسمع بالمعيدي لان تراه فاذا حذف الموصوف بقي بعده
من نحاس الذي هو صفة لشيء المحذوف وحذف من لان ذكره قد تقدم في قوله
من نار فحسن لذلك حذفها كما حسن حذف الجار من قولهم على من تنزل انزل وكما
انشده ابو زيد من قول الشاعر شعر واصبح من اسماء قيس كقابض على الماء لا يدري

بما هو قابض اى بما هو قابض عليه فحذف لدلالة الكلام المتقدم عليه كما حذف
الجار عند الخليل فى قوله شعر ان لم يجد يوما على من يتكل يريد عنده من يتكل
عليه فحذف الجار لانه جرى ذكره قبل فيكون النحاس على هذا بمعنى الصفر لا بالا شراك
فى من التى جرت فى قوله من نار فاذا النحاس لم يكف للشواظ الذى هو اللهب قسط
من الدخان سه الثقلان اصله من الثقل وكل شئ له وزن وقدر فهو ثقل
ومنه قيل لبيض النعامة ثقل قال فتذكرا ثقلا رثيدا بعدما القت ذكاء يمينها فى كافر
وانما سميت الانس والجن ثقلين لعظم شانهما بالاضافة الى ما فى الارض من الحيوانات
ولثقل وزنهما بالعقل والتمييز ومنه قول النبى صلى الله عليه وآله انى تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتى سماهما ثقلين لعظم خطرهما وجلالة قدرهما وقيل ان الانس
والجن سميا ثقلين على الارض احياء وامواتا ومنه قوله واخرجت الارض اثقالها
اى اخرجت ما فيها من الموتى والعرب تجعل السيد الشجاع ثقلا على الارض قالت الخنساء
شعر ابعد ابن عمرو من آل الرشيد اجلت به الارض اثقالها والمعنى انه لما مات جل عنها
ثقل بموته لسودده ومجده وقيل ان المعنى زينت موتاها به من الحلية والاقطار جمع
القطر وهو الناحية يقال طعنه فقطره اذا القاه على احد قطريه وهما جانباه والسماء
مشتق من السموم وهو رفع الشخص مقداره والعلامة ترفع باظهارها النفع المعرفة
بها والناصية شعر مقدم الراس واصله الاتصال من قول الشاعر فى تناصيها بلادى
اى يتصل بها فالناصية متصله بالراس والاقدام جمع قدم وهو العضو الذى يقدمه
صاحبه للوطى والانى الذى بلغ نهاية حره انى يانى اينا لما ذكر سبحانه الفنا والاعاده
عقب ذلك بذكر الوعيد والتهديد فقال سنفرغ لكم ايها الثقلان اى سنقصد لحسابكم
ايها الجن والانس عن الزجاج قال والفراغ فى اللغة على ضربين احدهما القصد
للشئ يقال سافرغ لفلان اى ساجعله مقصدى والاخر الفراغ من شغل والله عز وجل
لا يشغله شان عن شان وقيل معناه سنعمل عمل من يفرغ للعمل فيجوده من غير تضييع
فيه وقيل سنفرغ لكم من الوعيد بتقضى ايامكم المتوعد فيها فشبه ذلك بمن فرغ من شئ

واخذ فى اخر

واخذ فى اخره والشغل والفراغ من صفات الاجسام التى تحلها الاعراض وتشغلها عن الاضداد
فى تلك الحال ولذلك وجب فى صفة القديم تعالى مجازا ويدل على ان الثقلين المراد بهما
الجن والانس قوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا اى تخرجوا هاربين من
من الموت يقال نفذ الشئ من الشئ اذا خلص منه والسهم ينفذ من الرمية من اقطار
السموات والارض اى جوانبها ونواحيها والمعنى حيث ما كنتم ادرككم الموت
فانفذوا اى فاخرجوا فلن تستطيعوا ان تهربوا منه لا تنفذون الا بسلطان اى حيث
توجهتم فثم ملكى ولا تخرجون عن سلطانى فانا آخذكم بالموت عن عطا ومعنى
السلطان القوة التى يتسلط بها على الامر ثم الملك والقدرة والحجة كلها سلطان
وقيل لا تنفذون الا بسلطان اى لا تخرجون الا بقدرة من الله وقوة يعطيكموها
بان يخلق لكم مكانا آخر سوى السموات والارض ويجعل لكم قوة تخرجون بها اليه
فبين سبحانه بذلك انهم فى حبسه وانه مقتدر عليهم لا يفوتونه وجعل ذلك دلالة
على توحيده وقدرته وزجرا لهم عن معصيته ومخالفته وقيل ان المعنى فى الاية
ان استطعتم ان تعلموا ما فى السموات والارض فاعلموا فانه لا يمكنكم ذلك
لا تنفذون الا بسلطان اى لا تعلمونه الا بحجة وبيان عن ابن عباس وقيل لا تنفذون
الا بسلطان اى معناه حيث ما شاهدتم حجة الله وسلطانه عن تخيركم
لتحتالوا له بعمل الطاعة واجتناب المعصية او باجتنابه عنكم انكم لا تنفذون
الا بحجة لتسعد ولذلك اليوم يرسل عليكما شواظ من نار وهو اللهب الاخضر
المنقطع من النار ونحاس وهو الصفر المذاب للعذاب عن مجاهد وابن عباس
وسفيان الثورى وقتاده وقيل النحاس الدخان عن ابن عباس فى رواية اخرى
وسعيد بن جبير وقيل النحاس المهل عن ابن مسعود والضحاك والمعنى لا تنفذون
ولو جاز ان تنفذوا وقدرتم عليه لارسل عليكم العذاب من النار المحرقة وقيل
معناه انه يقال لهم ذلك يوم القيمة يرسل عليكما اى يرسل على من اشرك منكما
وقد جاء فى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر

الجن والانس ان استطعتم الى قوله يرسل عليكما شواظ من نار روى مسعدة
بن صدقة عن كليب قال كنا عند ابي عبد الله عليه السلام فانشا يحدثنا فقال اذا كان
يوم القيمة جمع الله العباد في صعيد واحد وذلك انه يوحي الى السماء الدنيا
ان اهبطي بمن فيك فيهبط اهل السماء الدنيا بمثل من في الارض من الجن والانس
والملائكة فلا يزالون كذلك حتى يهبط اهل سبع سموات فتصير الجن والانس
في سبع سرادقات من الملائكة ثم ينادي مناد يا معشر الجن والانس ان استطعتم الاية
ينظرون فاذا قد احاط بهم سبعة اطواق من الملائكة وقوله فلا تنتصران اي فلا
تقدران على دفع ذلك عنكما وعن غيركما وعلى هذا فيكون فائدة الاية ان عجز
الثقلين عن الهرب من الجزاء كعجزهم عن النفوذ من الاقطار وفي ذلك اياس من دفع
الجزاء بوجه من الوجوه فباي الاء ربكما تكذبان اي باخباره اياكم عن هذه الحالة
لتحترزوا عنها ام بغيره من النعم فان وجه النعمة في ارسال الشواظ من النار والنحاس
على الثقلين هو ما في ذلك من الزجر في دار التكليف عن مواقعة القبيح وذلك نعمة جزيلة
فاذا انشقت السماء يعني يوم القيمة اذا انصدعت السماء وانفك بعضها من بعض
فكانت وردة اي فصارت حمراء كلون الفرس الورد وهو الابيض الذي يضرب
الى الحمرة والصفرة فيكون في الشتاء احمر وفي الربيع اصفر وفي اشتداد البرد اغبر
سبحان خالقها والمتصرف فيها كيف يشاء والوردة واحدة الورد فتشبه
السماء يوم القيمة في اختلاف الوانها بذلك وقيل اراد به وردة النبات
وهي حمراء وقد تختلف الوانها ولكن الاغلب في الوانها الحمرة فتصير السماء
كالوردة في الاحمرار ثم تجري كالدهان وهو جمع الدهن عند انقضاء الامر
وتناهي المدة قال الحسن هي كالدهان التي تصب بعضها على بعض بالوان مختلفة
قال الفراء شبه السماء بلون الوردة من الخيل وشبه الوردة في اختلاف الوانها
بالدهن واختلاف الوانه وهو قول مجاهد والضحاك وقتادة وقيل الدهان
الاديم الاحمر وجمعه ادهنة عن الكلبي وقيل هو عكر الزيت يتلون الوانا عن عطا

بن ابي رباح فباي الاء ربكما تكذبان وجه النعمة في انشقاق السماء حتى وقع التقرير
بها هو ما في الاخبار به من الزجر والتخويف في دار الدنيا فيومئذ يعني يوم القيمة
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان اي لا يسأل المجرم عن جرمه في ذلك الموطن لما يلحقه
من الذهول الذي تحار له العقول وان وقعت المسألة في غير ذلك الوقت بدلالة
قوله وقفوهم انهم مسؤولون وتقدير الاية فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس
ولا جان سؤال استفهام ليعرف ذلك بالمسألة من جهته لان الله تعالى قد احصى
الاعمال وحفظها على العباد وانما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ للمحاسبة وقيل
ان اهل الجنة حسان الوجوه واهل النار سود الوجوه فلا يسألون من اي الحزبين
ولكن يسألون عن اعمالهم سؤال التقريع وروي عن الرضا عليه السلام انه قال فيومئذ
لا يسأل منكم عن ذنبه انس ولا جان والمعنى ان من اعتقد الحق ثم اذنب ولم يتب
في الدنيا عذب عليه في البرزخ ويخرج يوم القيمة وليس له ذنب يسأل عنه يعرف
المجرمون بسيماهم اي بعلامتهم وهي سواد الوجوه وزرقة العيون عن الحسن
وقتادة وقيل بامارات الخزي فيؤخذ بالنواصي والاقدام فتاخذهم الزبانية
بنواصيهم وباقدامهم فتسوقهم الى النار والله اعلم هذه جهنم اي يقال لهم
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون الكافرون في الدنيا قد اظهرها الله تعالى
حتى زالت الشكوك فادخلوها ويمكن انه لما اخبر سبحانه انهم يؤخذون
بالنواصي والاقدام قال النبي صلى الله عليه وآله هذه جهنم التي يكذب بها
المجرمون من قوله وسيردونها فهي عليكم امرهم يطوفون بينها وبين
حميم آن اي يطوفون مرة ويجترعون من الحميم يصب عليهم ليس لهم من العذاب
ابدا فرج عن ابن عباس والآني الذي انتهت حرارته وقيل الآني الحاضر
فباي الاء ربكما تكذبان الوجه في ذلك ان التذكير بفعل العقاب والانذار
به من اكثر النعم لان في ذلك زجرا عما يستحق به العذاب وبعثا وحثا على فعل ما يستحق
به الثواب قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي الاء ربكما تكذبان

ذواتا افنان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهما من كل فاكهة زوجان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش
بطائنها من استبرق وجنا الجنتين دان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن
قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان
كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان
الا الاحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ست عشرة آية القراءة قرأ الكسائي
وحده لم يطمثهن بكسر الميم في احديهما وضمها في الاخرى والباقون بكسر الميم
في الحرفين معا الحجة قال ابو علي يطمث لغتان وقال ابو عبيدة لم يطمثهن لم يمسسهن
يقال ما طمث هذا البعير حبل قط اي ما مسه قال رؤبة كالبيض لم يطمث بهن
طامث اللغة الافنان جمع فنن وهو الغصن الورق ومنه قولهم هذا فن آخر ويجوز
ان يكون جمع فن والاتكاء الاستناد للتكرمة والامتاع والتكأة تطرح للانسان
في المجالس للملوك للاكرام والاجلال وهو من وكأت السقاء اذا شددته ومنه
قولهم للغير وكان السند والفرش جمع فراش وهو الموطاء الممهد للنوم عليه
والبطائن جمع بطانة وهو باطن الظهارة والجنى الثمرة التي قد ادركت على الشجرة
وصلح ان يجنى ومنه قول عمرو بن عدي شعر هذا جناي وخياره فيه اذ كل جان يده
الى فيه ويتمثل به علي عليه السلام واصل الطمث الدم يقال طمثت المرأة اذا حاضت
وطمثت اذا دميت بالافتضاض وبعير لم يطمث اذا لم يمسه حبل ولا رحل قال
الفرزدق شعر دفعن الي لم يطمثن قبلي وهن اصح من بيض النعام الاعراب متكئين
حال من المجرور باللام اي لهم جنتان في هذه الحال وما بين قوله جنتان وفي هذه الحال
الى قوله متكئين فيها صفات لجنتين وان اعتراض قوله فيهن قاصرات الطرف
صفة اخرى لفرش وقوله كأنهن الياقوت والمرجان حال القاصرات الطرف اي
متشابهات للياقوت والمرجان وقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه في التقدير ولهم من دونهما جنتان المعنى ثم عقب سبحانه

الوعيد

الوعيد بالوعد فقال ولمن خاف مقام ربه اي مقامه بين يدي ربه للحساب فترك
المعصية والشهوة قال مجاهد وهو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله تعالى ويدعها
وقيل هذا لمن راقب الله في السر والعلانية جملة فما عرض له من محرم تركه من خشية
الله وما عرض له من خير عمله وافضى به الى الله تعالى لا تطلع عليه احد وقال
الصادق عليه السلام من علم ان الله يراه ويسمع ما يقول من خير وشر فيحجزه ذلك
عن القبيح من الاعمال فله جنتان اي جنة عدن وجنة النعيم عن مقاتل وقيل
بستانان من بساتين الجنة احداهما داخل القصر والاخرى خارج القصر كما يشتهي
الانسان في الدنيا وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل ازواجه وخدمه
عن الجبائي وقيل جنة من ذهب وجنة من فضة ثم وصف الجنتين فقال ذواتا افنان
اي ذواتا الوان من النعيم عن ابن عباس وقيل ذواتا الوان من الفواكه عن الضحاك
وقيل ذواتا اغصان عن الاخفش والجبائي ومجاهد اي ذواتا اشجار لان الاغصان
لا تكون الا من الشجر فدل بكثرة اغصانها على كثرة اشجارها وبكثرة اشجارها
على تمام حالها وكثرة ثمارها لان البستان انما يكمل الا بكثرة الاشجار والاشجار
لا تحسن الا بكثرة الاغصان فيهما عينان تجريان اي في الجنتين عينان من الماء تجريان
بين اشجارها وقيل عينان من خمر لذة للشاربين عن عطية العوفي فيهما من كل
فاكهة زوجان اي في كلتي الجنتين من كل ثمرة نوعان وضربان يتشاكلان كتشاكل
الذكر والانثى فلذلك سماهما زوجين وذلك كالرطب واليابس من العنب والزبيب
والرطب واليابس من التين وكذلك سائر الانواع لا يقصر يابسه عن رطبه
في الفضل والطيب وقيل معناه فيهما من كل نوع من الفاكهة ضربان ضرب معروف
وضرب من شكله غريب لم يعرفوه في الدنيا متكئين حال ممن ذكرنا في قوله ولمن خاف
مقام ربه اي قاعدين كالملوك على فرش بطائنها من استبرق اي من ديباج غليظ
ذكر البطانة ولم يذكر الظهارة لان البطانة تدل على ان لها ظهارة والبطانة
دون الظهارة فدل على ان الظهارة فوق الاستبرق فقيل ان الظهاير سندس

وهو الديباج الرقيق والبطاين من استبرق وقيل الاستبرق والحرير الصيني وهو بين الغليظ والدقيق وروي عن ابن مسعود انه قال هذه البطاين فما ظنكم بالظهاير وقيل لسعيد بن جبير البطاين من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجنى الجنتين دان الجنى الثمر المجتنى اي تدنوا الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قايما وان شاء قاعدا عن ابن عباس وقيل ثمار الجنتين دانية الى افواه اربابها فيتناولونها متكئين فاذا اضطجعوا نزلت بازاء افواههم فيتناولونها مضطجعين لا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك عن مجاهد فيهن اي في الفرش التي ذكرها ويجوز ان يريد في الجنان لانها معلومة وان لم تذكر قاصرات الطرف قصرن طرفهن على ازواجهن لم يردن غيرهن عن قتاده وقال ابو ذر انها تقول لزوجها وعزة ربي ما ارى في الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله الذي جعلني زوجك وجعلك زوجي والطرف جفن العين لانه طرف لها ينطبق عليها تارة وينفتح تارة لم يطمثهن اي لم يقتضهن والاقتضاض النكاح بالتدميه والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن انس قبلهم ولا جان فهن ابكار لانهن خلقن في الجنة فعلى هذا القول هؤلاء من حور الجنة وقيل هن من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ انشئن خلق عن الشعبي والكلبي اي لم يجامعهن في هذا الخلق الذي انشئن فيه انس ولا جان قال الزجاج وفي هذه الاية دليل على ان الجني يغشى الانسي وقال ضمرة بن حبيب فيها دليل على ان للجني ثوابا وازواجا من الحور فالانسيات للانس والجنيات للجن قال البلخي المعنى ما يهب الله لمؤمني الانس من الحور لم يطمثهن جان كانهن الياقوت والمرجان هن على صفاء الياقوت في بياض المرجان عن الحسن وقتاده وقال الحسن المرجان اشد اللؤلؤ بياضا وهو صغاره وفي الحديث ان المراة من اهل الجنة يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة من حرير وعن ابن مسعود كما يرى السلك من وراء الياقوت هل جزاء الاحسان

الا الاحسان

الا الاحسان اي ليس جزاء من احسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الاخرة وقيل هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه واله الا الجنة عن ابن عباس وجاءت الرواية عن انس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه واله هذه الاية فقال هل تدرون ما يقول ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فان ربكم يقول هل جزاء من انعمنا عليه بالتوحيد الا الجنة وقيل معناه هل جزاء من احسن اليكم بهذه النعم الا ان تحسنوا في شكره وعبادته وروى العياشي باسناده عن الحسين عن سعيد عن عثمن بن عيسى عن علي بن سالم قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول آية في كتاب الله مسجلة قلت ما هي قال قول الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان جرت في الكافر والمؤمن والبر والفاجر ومن صنع اليه معروف فعليه ان يكافي به وليس المكافاة ان يصنع كما صنع حتى يربي فان صنعت كما صنعت كان له الفضل بالابتداء قوله عز وجل ومن دونهما جنتان فباي الاء ربكما تكذبان مدهامتان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فباي الاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فباي الاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فباي الاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام سبع عشرة آية القراءة قرأ ابن عامر ذو الجلال والباقون بالجر وفي الشواذ قراءة النبي والجحدري ومالك بن دينار وابن محيصن والحسن وزهير القرقبي على رفارف خضر وعباقري حسان وقراءة الاعرج خضر بضمتين الحجة قال ابو علي من قرأ ذي الجلال جعله صفة ربك وزعموا ان ابن مسعود قرأ ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام بالياء في كليهما وقال الاصمعي لا يقال الجلال الا في الله تعالى فهذا يقوي الجر الا ان الجلال قد جاء في غير الله تعالى قال شعر فلا ذا جلال هبنه لجلاله

ولا ذا ضباع هن يتركن للفقر ومن يرفع اجراه على الاسم قال ابن جني ذو قطرب
عباقري بكسر القاف غير مصروف ورويناه عن ابي حاتم عباقري بفتح القاف
غير مصروف ايضاً قال ابو حاتم ولا يشبه الا ان يكون عباقر بكسر القاف
على ما يتكلم به العرب قال ولو قالوا عباقري فكسروا القاف وصرفوا لكان اشبه
بكلام العرب كالنسب الى مداين مدايني والرفارف رياض الجنة عن سعيد
بن جبير وعبقر في موضع قال امرء القيس شعر كان صليل المروجين نظيره
صليل زيوف ينتقدن بعبقرا وقال زهير بخيل عليها جنة عبقرية جديرون
يوماً ان ينالوا ويستعلوا واما ترك صرف عباقر فشاذ في القياس ولا يستنكر
شذوذه في القياس مع استمراره في الاستعمال كما جاء عن الجماعة استحوذ عليهم
الشيطان فهو شاذ في القياس مطرد في الاستعمال وليس لنا ان نتلقى قراءة رسول
الله الا بقبولها واما خضر بضم الضاد فقليل وهو من مواضع الشعر كما قال
طرفة وراد وسعيد اللغة الدهمة السواد وادهام الزرع اذا علاه السواد
ريا ومنه الدهما وتصغير الدهماء للداهية سميت بذلك لظلامها والدهما
القدر والنضخ بالخاء المعجمة اكثر من النضح بالحاء غير المعجمة لان النضح الرش
وبالخاء كالبزل والنضاخة الفوارة التي ترمي بالماء صعدا والرمان مشتق
من رم يرم رما لان من شانه ان يرم الفواد بجلائه له والخيرات جمع خيرة
والرجل خير والرجال خيار واخيار قال ولقد طعنت مجامع الربلات
ربلات هند شعر ت وقال الزجاج اصل خيرات خيرات فخفف والخيام جمع
خيمة وهي بيت من الثياب على الاعمدة والاوتاد مما يتخذ للاصحاب الرفرف
رياض الجنة من قولهم رف النبات يرف اذا صار غضا نضيرا وقيل الرفرف
المجالس وقيل الوسايد وقيل ان كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف قال ابن مقبل
وانا لنزالون تغشى نعالنا سواقط من اصناف ريط ورفرف والعبقري عتاق
عتاق الزرابي والطنافس المخملة الموشية وهو اسم الجنس واحدته عبقرية قال ابو عبيدة

كل شي من البط عبقري وكلما يبالغ في وصفه بالجودة نسب الى عبقر وهو بلد كان يوشى
فيه البط وغيرها المعنى ثم قال سبحانه ومن دونهما جنتان اي من الجنتين اللتين
ذكرناهما لمن خاف مقام ربه جنتان اخراوان دون الاولتين فانهما اقرب الى قصره
ومجالسه في قصره ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة الى جنة على ما هو معروف
من طبع البشر من شهوة مثل ذلك ومعنى دون هنا مكان قريب من الشيء
بالاضافة الى غيره مما ليس له مثل قربه وهو ظرف مكان وانما كان التنقل من جهة
الى اخرى انفع لانه ابعد من الملال الذي طبع عليه البشر وقيل ان المعنى انهما
دون الجنتين الاولتين في الفضل فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
جنتان من فضة ابنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب ابنيتهما وما فيهما وروى العياشي
بالاسناد عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلم قال قلت له جعلت فداك اخبرني
عن الرجل المؤمن له امرأة مؤمنة يدخلان الجنة يتزوج احدهما الآخر فقال
يا ابا محمد ان الله حكم عدل اذا كان هو افضل منها خيره فان اختارها كانت
من ازواجه وان كانت هي خيرا منه خيرها فان اختارته كان زوجها لها قال
وقال ابو عبد الله عليه السلم لا تقولن الجنة واحدة ان الله يقول ومن دونهما جنتان
ولا تقولن درجة واحدة ان الله يقول درجات بعضها فوق بعض انما تفاضل
القوم بالاعمال قال وقلت له ان المؤمنين يدخلان الجنة فيكون احدهما ارفع
مكانا من الآخر فاشتهى ان يلقى صاحبه قال من كان فوقه فله ان يهبط ومن كان تحته
لم يكن له ان يصعد لانه لم يبلغ ذلك المكان ولكنهم اذا احبوا ذلك واشتهوه
التقوا على الاسرة وعن العلاء بن سيابة عن ابي عبد الله عليه السلم قلت له ان الناس
يتعجبون منا اذا قلنا يخرج قوم من النار فيدخلون الجنة فيقولون لنا فتكونون
مع اولياء الله في الجنة فقال يا علاء ان الله يقول ومن دونهما جنتان لا والله
ما يكونون مع اولياء الله قلت كانوا كافرين قال لا والله لو كانوا كافرين ما دخلوا
الجنة قلت كانوا مؤمنين قال لا والله لو كانوا مؤمنين ما دخلوا النار ولكن

بين ذلك وتاويل هذا لو صح الخبر انهم لم يكونوا من افاضل المؤمنين وخيارهم
ثم وصف الجنتين فقال مدهامتان اي من خضرتهما قد اسودتا من الري
وكل نبت اخضر فتمام خضرته ان يضرب الى السواد وهو على اتم ما يكون من
الحسن وهذا على قول من قال ان الجنات الاربع لمن خاف مقام ربه وهو قول
ابن عباس وقيل الاوليان للسابقين والاخريان للتابعين عن الحسن فيهما
عينان نضاختان اي فوارتان بالماء ينبع من اصلهما ثم تجريان عن الحسن
قال ابن عباس تنضخ على اولياء الله بالمسك والعنبر والكافور وقيل [illegible]
بانواع الخيرات فيهما فاكهة يعني الوان الفاكهة ونخل ورمان وروى
الزجاج عن يونس النحوي وهو من قدماء النحويين ان النخل والرمان
من افضل الفاكهة وانما فضلا بالواو لفضلهما قال الازهري ما علمت احدا
من العرب قال في النخل والكروم ثمارها انها ليست من الفاكهة وانما قال
ذلك من قال لقلة علمه بكلام العرب وتاويل القرآن العربي المبين والعرب
تذكر الاشياء جملة ثم تختص شيئا منها بالتسمية تنبيها على فضل فيه كما قال
سبحانه من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فيهن
يعني في الجنات الاربع خيرات حسان اي خيرات الاخلاق حسان الوجوه
رويه ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وآله وقيل خيرات فاضلات في الصلاح
والجمال عن الحسن حسان في المناظر والالوان وقيل انهن نساء الدنيا ترد
عليهم في الجنة وهن اجمل من الحور العين وقيل خيرات مختارات عن جرير بن
عبد الله وقيل لسن بذربات ولا زفرات ولا بخرات ولا متطلعات ولا
متشوفات ولا متسلطات ولا طماحات ولا طوافات في الطرق ولا يغرن
ولا يؤذين وقال عقبة بن عبد الغفار نساء اهل الجنة ياخذ بعضهن بايدي
بعض ويتغنين باصوات لم يسمع الخلائق مثلها نحن الراضيات فلا نسخط
ونحن المقيمات فلا نظعن ونحن خيرات حسان حبيبات لازواج كرام وقالت عائشة

ان الحور العين

ان الحور العين اذا قلن هذه المقالة اجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن
المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتوضيات
وما توضيتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن فغلبنهن والله حور جواري
بيض حسان البياض عن ابن عباس ومجاهد ومنه الدقيق الحواري لشدة
بياضه والعين الحوراء اذا كانت شديدة بياض البياض شديدة سواد
السواد وبذلك يتم حسن العين مقصورات في الخيام اي محبوسات في الحجال
مستورات في القباب عن ابن عباس وابي العالية والحسن والمعنى انهن مصونات
مخدرات لا يتبذلن وقيل مقصورات اي قصرن على ازواجهن فلا يردن بدلا
منهم عن مجاهد والربيع وقيل ان لكل زوجة خيمة طولها ستون ميلا
في كل زاوية منها اهل للمؤمن من لا يراه الآخرون وعن ابن عباس قال الخيمة
درة مجوفة فرسخ في فرسخ فيها اربعة آلاف مصراع من ذهب وعن انس عن النبي
صلى الله عليه وآله قال مررت ليلة اسري بي بنهر حافتاه قباب المرجان
فنوديت منه السلام عليك يا رسول الله فقال يا جبرئيل من هؤلاء
قال هؤلاء جوار من الحور العين استاذن ربهن عز وجل ان يسلمن
عليك فاذن لهن فقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات
فلا نبؤس ازواج رجال كرام ثم قرأ حور مقصورات في الخيام لم
يطمثهن انس قبلهم ولا جان مر معناه والوجه في التكرير الابانة عن
ان صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة القاصرات الطرف متكئين
على رفرف خضر وعلى فرش مرتفعة عن الجبائي وقيل الرفرف رياض الجنة
والواحدة رفرفة عن سعيد بن جبير وقيل هي المجالس عن ابن عباس وقتادة
والضحاك وقيل هي المرافق يعني الوسائد عن الحسن وعبقري حسان اي زرابي
حسان عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وهي الطنافس وقيل العبقري
الديباج عن مجاهد وقيل هي البسط عن الحسن قال القتيبي كل ثوب موشى فهو

عبقرى وهو جمع ولذلك قال حسان ثم ختم السورة بما ينبغى ان يجل ويعظم
فقال تبارك اسم ربك اى تعاظم وتعالى اسم ربك لانه استحق ان يوصف بما لا
يوصف به غيره من كونه قديما والها وقادرا لنفسه وعالما لنفسه وحيا
لنفسه وغير ذلك ذى الجلال اى العظمة والكبرياء والاكرام يكرم اهل دينه
وولايته عن الحسن وقيل معناه عظمة البركة فى اسم ربك فاطلبوا البركة فى كل شئ
بذكر اسمه وقيل ان اسم صلة والمعنى تبارك ربك قال لبيد شعر الى الحول
ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر وقيل ان المعنى
اسمه منزه من كل سوء له الاسماء الحسنى وقد صح عن النبى صلى الله عليه وآله
انه قال الظوا بيا ذا الجلال والاكرام اى داوموا عليه سورة الواقعة مكية وقال
ابن عباس وقتادة الا اية منها نزلت بالمدينة وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
وقيل الا قوله ثلة من الاولين وقوله افبهذا الحديث انتم مدهنون نزلت
فى سفره الى المدينة عدد آيها تسع وتسعون اية حجازى شامى سبع بصرى
ست كوفى اختلافها اربع عشرة آية فاصحاب الميمنة واصحاب المشامة واصحاب
الشمال ثلثهن غير كوفى واصحاب اليمين غير الكوفى والمدنى الاخير انشأناهن
انشاء غير البصرى فى سموم وحميم غير المكى وكانوا يقولون مكى وابا ريق مكى
والمدنى الاخير والاخرين غير الشامى والمدنى الاخير لمجموعون شامى والمدنى
الاخير فروح وريحان شامى فضلها ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ومن قرأ سورة الواقعة كتب ليس من الغافلين وعن مسروق قال من اراد ان يعلم
نبأ الاولين والاخرين ونبأ اهل الجنة ونبأ اهل النار ونبأ الدنيا ونبأ
الاخرة فليقرأ سورة الواقعة وروى ان عثمان بن عفان دخل على عبد الله بن مسعود
يعوده فى مرضه الذى مات فيه فقال له ما تشتكى قال ذنوبى قال ما تشتهى قال رحمة
ربى قال افلا تدعوا الطبيب قال الطبيب امرضنى قال افلا نأمر بعطائك قال منعتنيه
وانا محتاج وتعطينه وانا مستغن عنه قال يكون لبناتك قال لا حاجة لهن فيه

فقد امرتهن ان يقرأن سورة الواقعة وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله
يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا وروى العياشى بالاسناد
عن زيد الشحام عن ابى جعفر عليه السلام قال من قرأ الواقعة قبل ان ينام لقى الله ووجهه
كالقمر ليلة البدر وعن ابى بصير عن ابى عبد الله عليه السلام قال من قرأ الواقعة
فى ليلة جمعة احبه الله وحببه الى الناس اجمعين ولم ير فى الدنيا بوسا ابدا
ولا فقرا ولا فاقة ولا آفة من آفات الدنيا وكان من رفقاء امير المؤمنين تمام الخبر
تفسيرها ختم الله سبحانه سورة الرحمن بصفة الجنة وافتتح هذه السورة ايضا
بصفة القيمة والجنة فاتصلت احديهما بالاخرى اتصال النظير بالنظير فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

اِذا وَقَعَتِ الواقِعَةُ لَيسَ لِوَقعَتِها كاذِبَةٌ خافِضَةٌ رافِعَةٌ اِذا رُجَّتِ الاَرضُ
رَجًّا وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا فَكانَت هَباءً مُنبَثًّا وَكُنتُم اَزواجًا ثَلٰثَةً فَاَصحابُ
المَيمَنَةِ ما اَصحابُ المَيمَنَةِ وَاَصحابُ المَشأَمَةِ ما اَصحابُ المَشأَمَةِ وَالسّابِقُونَ
السّابِقُونَ اُولٰئِكَ المُقَرَّبُونَ فى جَنّاتِ النَّعيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الاَوَّلينَ وَقَليلٌ
مِنَ الاٰخِرينَ عَلى سُرُرٍ مَوضُونَةٍ مُتَّكِئينَ عَلَيها مُتَقابِلينَ عشرة آية القراءة
فى الشواذ قراءة الحسن والثقفى وابى حيوة خافضة رافعة بالنصب الحجة هذه
منصوب على الحال قال ابن جنى قوله ليس لوقعتها كاذبة حال اخرى قبلها اذا وقعت
الواقعة صادقة الوقعة خافضة رافعة فهذه ثلثة احوال ومثله مررت بزيد
جالسا متكيا ضاحكا وان شئت ان تاتى باضعاف ذلك جاز وحسن كما ان لك
ان تأتى للمبتدا من الاخبار بما شئت فيقول زيد عالم جميل فارس كوفى بزاز
ونحو ذلك الا ترى ان الحال زيادة فى الخبر وضرب منه اللغة الكاذبة مصدر
مثل العافية والعاقبة والرج التحريك باضطراب واهتزاز ومنه قولهم ارتج
السهم عند خروجه من القوس والبس الفت كما ايبس السويق اى يلت قال
لا تخبزا خبزا وبسا بسا والبسيس السويق او الدقيق يتخذ زادا وبيتا ايضا

سبقت عن الزجاج قال الشاعر وانبرجيات الكتب الاهيل والهباء غبار كالشعاع
فى الروزنة وكثير ما يخرج مع شعاع الشمس من الكوة النافذة والانبثاث افتراق الاجزاء
الكثيرة فى الجهات المختلفة والازواج الاصناف التى بعضها مع بعض كما يقال
للخفين زوجان والثلة الجماعة واصله القطعة من قولهم ثل عرشه اذا قطع
ملكه بهدم سريره فالثلة القطعة من الناس والموضونة المنسوجة المتداخلة
كصفة الدرع المضاعفة قال الاعشى ومن نسج داود موضونة تساق
الى الحى عيرا فعيرا ومنه وضين الناقة وهو البطان من السيور اذا نسج بعضه
على بعض مضاعفا اذا وقعت الواقعة ظرف فى معنى ليس لان التقدير لا يكون
لوقعتها كاذبة وليس نفى الحال فلا تكون اذا ظرفا منه ويجوز ان يكون العامل
فى اذا محذوفا لدلالة الموضع عليه كانه قال اذا وقعت الواقعة كذلك فاز المؤمنون
وخسر الكافرون قال ابو على تقديره هى خافضة رافعة فاضمر المبتدا مع الفاء
وجعلها جواب اذا اى خفضت قوما ورفعت قوما اذ ذاك فخافضة رافعة خبر
المبتدا المحذوف وفى قولنا اذا رجت الارض رجا بدل من قوله اذا وقعت الواقعة
ويجوز ان يكون ظرفا من يقع اى يقع فى ذلك الوقت ويجوز ان يكون خبرا عن
اذا الاولى ونظيره اذا تزورنى اذا ازورك زيدا اى وقت زيارتك اياى
اى وقت زيارتى زيدا قال ابن جنى ويجوز ان يفارق اذا الظرفية كقول لبيد
شعر حتى اذا القت يدا فى كافر واجن عورات الثغور ظلامها وقوله سبحانه
حتى اذا كنتم فى الفلك فاذا مجرورة عند ابى الحسن بحتى وذلك يخرجها من الظرفية
واقول فعلى هذا لا يكون اذا ظرفا فى الموضعين بل كل واحد منهما فى موضع الرفع
لكونهما مبتداء وخبرا بخلاف ما ظنه اصحاب الحدود من محققى ومتانى النحو
فانه قال قال عثمان يعنى ابن جنى العامل فى اذا وقعت قوله اذا رجت وهذا
خطأ فاحش واصحاب الميمنة رفع بالابتداء والتقدير فاصحاب الميمنة ما هم
اى اى شىء واصحاب المشأمة اى اى شىء هم وهذه اللفظة مجراه مجرى التعجب و

ومتقابلين

ومتقابلين نصب على الحال المعنى اذا وقعت الواقعة اى اذا قامت القيمة عن ابن عباس
والواقعة اسم القيمة كالآزفة وغيرها والمعنى اذا حدثت الحادثة وهى الصيحة عند
النفخة الاخيرة لقيام الساعة وقيل سميت بها لكثرة ما يقع فيها من الشدة
والشدة وقعها تقديره اذكروا اذا وقعت الواقعة وهذا حث على الاستعداد لها
ليس لوقعتها كاذبة اى ليس لمجيئها وظهورها كذب فى معناه انها تقع صدقا
وحقا فليس فيها ولا فى الاخبار عنها ووقوعها كذب وقيل معناه ليس لوقوعها
قضية كاذبة اى تثبت وقوعها بالسمع والعقل خافضة رافعة اى تخفض
ناسا وترفع آخرين عن ابن عباس وقيل تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما
الى الجنة عن الحسن والجبائى والمعنى الجامع للقولين انها تخفض رجالا كانوا فى
الدنيا مرتفعين وتجعلهم اذلة بادخالهم النار وترفع رجالا كانوا فى الدنيا
اذلة فتجعلهم اعزة بادخالهم الجنة اذا رجت الارض رجا اى حركت حركة شديدة
وقيل زلزلت زلزالا شديدا عن ابن عباس وقتاده ومجاهد اى رجت باماتة
من على ظهرها من الاحياء وقيل معناه رجت بما فيها كما يرج الغربال بما فيه
فيكون المراد ترج باخراج من فى بطنها من الموتى وبست الجبال بسا اى فتتت فتا
عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقيل معناه كسرت كسرا عن السدى وسعيد بن
المسيب وقيل قلعت من اصلها عن الحسن وقيل سيرت عن وجه الارض تسييرا
عن الكلبى وقيل بسطت بسطا كالرمل والتراب عن عطيه وقيل جعلت كثيبا
مهيلا بعد ان كانت شامخة طويلة عن ابن كيسان فكانت هباء منبثا اى غبارا
متفرقا كالذى يرى فى شعاع الشمس اذا دخل من الكوة ثم وصف سبحانه احوال
الناس بان قال وكنتم ازواجا ثلثة اى اصنافا ثلثة ثم فسرها فقال فاصحاب الميمنة
يعنى اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بايمانهم عن الضحاك والجبائى وقيل هم الذين
يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقيل هم اصحاب اليمين والبركة على انفسهم والثواب
من الله سبحانه بما سعوا من الطاعة وهم التابعون باحسان عن الحسن والربيع

ثم عجب رسوله من حالهم تفخيماً لشأنهم فقال ما اصحاب الميمنة اى اى شيء هم
كما يقال هم ما هم واصحاب المشأمة وهم الذين يعطون كتبهم بشمالهم وقيل هم
الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل هم المشائيم على انفسهم بما عملوا
من المعصية ثم عجب تعالى نبيه من حالهم تفخيماً لشأنهم فى العذاب فقال ما اصحاب
المشأمة ثم بين سبحانه الصنف الثالث فقال والسابقون السابقون
الى اتباع الانبياء الذين صاروا ائمة الهدى فهم السابقون الى جزيل الثواب
عند الله عن الجبائى وقيل معناه السابقون الى طاعة الله هم السابقون
الى رحمته والسابق الى الخير انما كان افضل لانه يقتدى به فى الخير وسبق الى اعلا
المراتب قبل من يجيء بعده فلهذا تميز من التابعين فعلى هذا لا يكون السابقون
الثانى خبراً عن الاول ويجوز ان يكون الثانى تاكيداً للاول والخبر اولئك المقربون
اى والسابقون الى الطاعات يقربون الى رحمة الله فى اعلى المراتب والى جزيل
ثواب الله فى اعظم الكرامة ثم اخبر اين محلهم فقال فى جنات النعيم لئلا يتوهم متوهم
ان التقريب يخرجهم الى دار اخرى فاعلم سبحانه انهم مقربون من كرامة الله فى الجنة
لان الجنة درجات ومنازل بعضها ارفع من بعض وقد قيل فى السابقين انهم
السابقون الى الايمان عن مقاتل وعكرمة وقيل السابقون الى الهجرة عن ابن عباس
وقيل الى الصلوات الخمس عن على عليه السلام وقيل الى الجهاد عن الضحاك وقيل الى التوبة
واعمال البر عن سعيد بن جبير وقيل الى كل ما دعا الله اليه عن ابن كيسان
وهذا اولى لانه يعم الجميع وكان عروة بن الزبير يقول تقدموا تقدموا وعن
ابى جعفر عليه السلام قال السابقون اربعة ابن آدم المقتول وسابق امة موسى وهو
من آل فرعون وسابق امة عيسى وهو حبيب النجار والسابق فى امة محمد صلى الله
عليه وآله على بن ابى طالب عليه السلام ثلة من الاولين اى هم ثلة يعنى جماعة كثيرة العدد
من الاولين من الامم الماضية وقليل من الآخرين من امة محمد صلى الله عليه وآله
لان من سبق الى اجابة نبينا قليل بالاضافة الى من سبق الى اجابة النبيين قبله

عن جماعة

عن جماعة المفسرين وقيل معناه جماعة من اوائل هذه الامة وقليل من اواخرهم
ممن قرب حالهم من حال اولئك قال مقاتل يعنى سابقى الامم وقيل من الآخرين
من هذه الامة على سرر موضونة اى منسوجة كما يوضن حلق الدرع فيدخل
بعضها فى بعض قال المفسرون منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والجواهر
متكئين عليها اى مستندين جالسين جلوس الملوك متقابلين اى متحاذين كل واحد
منهم بازاء الآخر وذلك اعظم فى باب السرور فالمعنى ان بعضهم ينظر الى وجه بعض
لا ينظر فى قفاه لحسن معاشرتهم وتهذيب اخلاقهم قوله عز وجل يطوف عليهم
وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ
وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ
الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا
سَلَامًا عشر آيات القراءة قرأ ابو جعفر وحمزة والكسائى وحور عين بالجر والباقون
بالرفع وفى الشواذ قرأة ابن ابى اسحق ولا ينزفون بفتح الياء وكسر الزاء وقرأ ابى بن
كعب وابن مسعود وحوراً عيناً الحجة قال ابو على وجه الرفع فى وحور عين انه
لما قال يطوف عليهم ولدان مخلدون دل هذا الكلام وما ذكر بعده على ان لهم فيها
كذا وكذا ولهم فيها حور عين وكذلك من نصب حمل على المعنى لان الكلام دل على
يمنحون ويملكون وهذا مذهب سيبويه ويجوز ان يحمل الرفع على قوله سرر موضونة
التقدير على سرر موضونة حور عين او وحور عين على سرر موضونة لان الوصف
قد جرى عليهن فاختصصن فجاز ان يرفع بالابتداء ولم يكن كالنكرة اذا لم يوصف
نحو فيها عين وقوله على سرر موضونة خبر لقوله تعالى ثلة من الاولين وقليل
من الآخرين فكذلك يجوز ان يكون خبراً عنهن ويجوز فى ارتفاع وحور عين
ان يكون عطفاً على الضمير فى متكئين ولم يؤكد لكون طول الكلام بدلاً من
التاكيد ويجوز ايضاً ان يعطفه على الضمير فى متقابلين ولم يؤكد لطول الكلام
ايضاً وقد جاء ما اشركنا ولا آباؤنا هذا احد وقال الزجاج الرفع احسن الوجهين

لان المعنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بهذه الاشياء انه قد ثبت لهم ذلك
فكانه قال ولهم حور عين ومثله مما حمل على المعنى قول الشاعر شعر بادت وغير
اهن مع البلى الا رواكد جمرهن هباء ¤ ثم قال بعده ومشجج اما سواء قذاله
فبدا وغير ساره المعزاء لانه لما قال الا رواكد كان المعنى بها رواكد فحمل ومشجج
على المعنى وقال غيره تقديره وهناك حور عين قال ابو علي وجه الجر ان يكون
تحمله على قوله اولئك المقربون في جنات النعيم والتقدير اولئك المقربون في جنات
النعيم وفي حور عين اي وفي مقاربة حور عين او معاشرة حور عين فحذف المضاف
فان قلت فلم لا تحمله على الجار في قوله تعالى يطوف عليهم ولدان بكذا ويجوز فهذا
يمكن ان يقال الا ان ابا الحسن قال في ذا بعض الوجه قال ابن جني يقال نزفت البير نزفها
نزفا اذا استقي ماءها وانزفت الشيء اذا افنيته قال شعر لعمري لئن انزفتم او صحوتم
لبئس الندامى كنتم آل ابجر المعنى ثم اخبر سبحانه انه يطوف عليهم ولدان اي وصفا
وغلمان للخدمة مخلدون اي باقون لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون عن مجاهد
وقيل مقرطون والخلد القرط يقال خلد جاريته اذا حلاها بالقرطة عن سعيد
بن جبير والفرا واختلف في هذه الولدان فقيل انهم اولاد اهل الدنيا لم يكن
لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها فانزلوا هذه المنزلة
عن علي عليه السلام والحسن وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه سئل عن اطفال
المشركين فقال هم خدام اهل الجنة بل هم من خدم الجنة على صورة الولدان
خلقوا لخدمة اهل الجنة باكواب وهي الاقداح الواسعة الرؤس بلا خراطيم لها
عن قتادة واباريق وهي التي لها خراطيم وعرى وهو الذي يبرق من صفاء
لونه وكاس من معين اي ويطوفون ايضا عليهم بكاس من خمر معين اي ظاهر
للعيون جار لا يصدعون عنها اي لا تاخذهم من شربها صداع وقيل لا
يتفرقون عنها ولا ينزفون اي لا تنزف عقولهم بمعنى لا تذهب بالسكر عن مجاهد وقتادة
والضحاك ومن قرأ ينزفون حمله على انه لا يفنى خمرهم وفاكهة مما يتخيرون

ای یطوفون

اي ويطوفون عليهم بفاكهة مما يتخيرونه ويشتهونه يقال تخيرت الشيء اخذت
خيره ولحم طير مما يشتهون اي وبلحم طير مما يتمنون فان اهل الجنة اذا اشتهوا
لحم الطير خلق الله تعالى لهم لحم الطير نضيجا لا يحتاج الى ذبح الطير وايلامه
قال ابن عباس يخطر على قلبه الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وحور
عين قد مر بيانه كامثال اللؤلؤ المكنون اي الدر المصون المخزون في الصدف
لم تمسه الايدي قال عمرو بن ابي ربيعة شعر وهي زهراء مثل لؤلؤة الغواص
ميزت من جوهر مكنون جزاء بما كانوا يعملون اي يفعلون ذلك بالجزاء
اعمالهم وطاعاتهم التي عملوها في دار الدنيا لا يسمعون فيها اي في الجنة
لغوا اي ما لا فائدة فيه من الكلام لان كل ما يتكلمون به فيه فائدة ولا تاثيما
اي لا يقول بعضهم لبعض اثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم عن ابن عباس وقيل معناه
لا يتحالفون على شرب الخمر كما يتحالفون في الدنيا ولا ياثمون بشربها كما ياثمون
في الدنيا الا قيلا سلاما سلاما اي لا يسمعون الا قول بعضهم لبعض على وجه
التحية سلاما سلاما والمعنى انهم يتداعون بالسلام على حسن الادب وكريم
الاخلاق اللذين يوجبان ونصب سلاما على تقدير سلمك الله سلاما
بدوام النعمة وكمال الغبطة ويجوز ان يعمل سلام في سلاما لانه ليس يدل على عامله
كما يدل قوله والله انبتكم من الارض نباتا على العامل في نبات فالمعنى انبتكم
فنبتم نباتا ويجوز ان يكون سلاما نعتا لقوله قيلا ويجوز ان يكون مفعول
قيل فالوجوه الثلثة تحتملها الاية قوله عز وجل وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ
الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ
كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً
فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ
مِنَ الْآخِرِينَ اربع عشرة آية القراة قرا اسمعيل وحمزة وحماد ويحيى
عن ابي بكر وخلف عربا ساكنة الراء والباقون عُرُبا بضمتين الحجة العرب

الحسنة التبعل قال لبيد شعر وفي الحدوج عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشى دونها البصر والعروب جمع فعول وفعل وفعل من التثقيل قوله فاصبري انك من قوم صبر والتخفيف في ذلك سائغ مطرد اللغة السدر شجر النبق واصل الخضد عطف العود اللين فمن هنا المخضود الذي لا شوك له الا ان الغالب الرطب اللين لا شوك له والطلح قال ابو عبيدة هو شجر عظيم الشوك قال بعض الحداة شعر بشرها دليلها وقالا غدا ترين الطلح والجبالا وقال الزجاج الطلح شجر ام غيلان فقد يكون على احسن حال والمنضود من نضدت المتاع اذا جعلت بعضه على بعض والبكر التي لم يقربها الرجل فهي على خلقتها الاولى من حال الانشاء ومنه البكرة لاول النهار والباكورة لاول الفاكهة والبكر الفتى من الابل وجمعه بكار وبكارة وجاء القوم على بكرتهم وبكرة ابيهم عن الازهري والاتراب جمع ترب وهو اللدة التي تنشاء مع مثله في حال الصبى وهو ماخوذ من لعب الصبى بالتراب اي هم كالصبيان الذي على سن واحد قال عمر بن ابي ربيعة شعر ابرزوها مثل المهاة تهادى بين عشر كواعب اتراب المعنى ثم قال سبحانه اصحاب اليمين وعجبنا ثم فقال واصحاب اليمين ما اصحاب هو مثل قوله ما اصحاب الميمنة وقد مر معناه في سدر اي في نبق مخضود اي منزوع الشوكة قد خضد شوكه اي قطع عن ابن عباس وعكرمة وقتاده وقيل هو الذي خضد بكثرة حمله وذهاب شوكه وقيل هو الموقر حملا عن الضحاك ومجاهد ومقاتل بن حيان قال الضحاك نظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطايف فاعجبهم سدره وقالوا يا ليت لنا مثل هذا فنزلت هذه الاية وطلح منضود قال ابن عباس وغيره وهو الموز وقيل ليس بالموز ولكنه شجر له ظل بارد رطب عن الحسن وقيل هو شجر يكون باليمن بالحجاز من احسن الشجر منظرا وانما ذكر هاتين الشجرتين لان العرب كانوا يعرفون ذلك فان عامة اشجارهم ام غيلان ذات انوار ورايحة

طيبه

طيبه وروت العامة عن علي عليه السلم انه قرأ رجل عنده وطلح منضود فقال ما شان الطلح انما هو طلع كقوله ونخل طلعها هضيم فقيل له الا تغيره فقال ان القران لا يهاج اليوم ولا يحرك رواه عنه ابنه الحسن عليه السلم وقيس بن سعد ورواه اصحابنا عن يعقوب بن شعيب قال قلت لابي عبد الله عليه السلم وطلح منضود قال لا وطلع منضود والمنضود الذي نضد بعضه على بعض نضد بالحمل من اوله الى اخره فليست له سوق بارزة فمن عروقه الى افنانه ثمر كله وظل ممدود اي دايم لا ينسخه الشمس فهو باق لا يزول والعرب تقول لكل شئ طويل لا ينقطع ممدود قال لبيد شعر غلب البقا وكان غير مغلب وهو طويل دايم ممدود وقد ورد في الخبر ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها اقرأوا ان شئتم وظل ممدود وروي ايضا ان اوقات الجنة كغداة ذات الصيف لا يكون فيه حر ولا برد وماء مسكوب اي مصبوب يجري الليل والنهار ولا ينقطع عنهم فهو مسكوب يسكبه الله اياه في مجاريه وقيل مسكوب مصبوب على الخمر ليشرب بالمزاج وقيل مسكوب يجري دايما في غير اخدود عن سفيان وجماعة وقيل مسكوب ليشرب على ما يرى من حسنه وصفائه لا يحتاجون الى تعب في استيفا وفاكهة كثيرة اي وثمار مختلفة كثيرة غير قليلة والوجه في تكرير ذكر الفاكهة البيان عن اختلاف صفاتها فذكرت اولا بانها متخيرة وذكرت هنا بانها كثيرة ثم وصفت بقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة اي لا ينقطع كما ينقطع فواكه الدنيا في الشتاء وفي اوقات مخصوصة ولا يمتنع ببعد تناوله وشوك يؤذي اليد كما يكون ذلك في الدنيا وقيل انها غير مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان لا يتوصل اليها الا بالثمن وفرش مرفوعة اي بسط عالية كما يقال بناء مرفوع وقيل مرفوع بعضها فوق بعض عن الحسن والفراء وقيل معناه ونساء مرتفعات القدر في عقولهن وحسنهن وكمالهن عن الجبائي قال ولذلك عقبه بقوله انا انشأناهن انشاء اي خلقناهن خلقا جديدا [illegible] ابن عباس يعني النساء

الادميات والعجوز الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم فى الدنيا خلقاً
اخر وقيل معناه انشانا الحور العين كما هى عليه على هياتهن لم ينتقلن من حال
الى حال كما يكون فى الدنيا فجعلناهن ابكاراً اى عذارى عن الضحاك وقيل لا ياتيهن
ازواجهن الا وجدوهن ابكاراً عرباً اى متحببات على ازواجهن متحننات اليهم
وقيل عاشقات لازواجهن عن ابن عباس وقيل العروب اللعوب مع زوجها
انسابه كانس العربى بكلام العرب اتراباً اى متشابهات مستويات فى السن
لاصحاب اليمين جعلهن ثوابا على طاعتهم ثلة من الاولين وثلة من الاخرين اى جماعة
من الامم الماضية التى كانت قبل هذه الامة وجماعة من مومنى هذه الامة قال
الحسن سابقوا الامم الماضية اكثر من سابقى هذه الامة وتابعوا الامم الماضية
مثل تابعى هذه الامة يعنى ان اصحاب اليمين منهم مثل اصحاب اليمين منا وانما ذكر
سبحانه الثلة ليدل على انه ليس جميع الاولين والاخرين وانما هو لجماعة منهم
يقال رجل من جملة الرجال وهذا الذى ذكرناه قول مقاتل وعطا وجماعة
من المفسرين وذهب جماعة منهم الى ان الثلثين جميعاً من هذه الامة وهو
قول مجاهد والضحاك واختيار الزجاج وروى ذلك مرفوعاً عن سعيد
بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال جميع الثلثين من امتى
ومما يويد القول الاول ويعضده من طريق الرواية ما رواه نقلة الاخبار
بالاسناد عن ابن مسعود قال تحدثنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة
حتى اكثرنا الحديث ثم رجعنا الى اهلنا فلما اصبحنا عدونا الى رسول الله ص
فقال عرضت على الانبياء الليلة باتباعها من اممها فكان النبى يجى معه الثلاثة
من امته والنبى معه العصابة من امته والنبى معه النفر من امته والنبى معه الرجل
من امته والنبى ما معه من امته احد حتى اتى اخى موسى فى كبكبة من بنى اسرائيل
فلما رايتهم اعجبونى فقلت اى رب من هولاء فقال هذا اخوك موسى بن عمران ومن معه
من بنى اسرائيل فقلت رب فاين امتى قال انظر عن يمينك فاذا الظراب مكة قد سدت

بوجوه

بوجوه الرجال فقلت من هولاء فقيل هولاء امتك رضيت قلت رب رضيت وقيل
انظر عن يسارك فاذا الافق قد سد بوجوه الرجال فقلت رب من هولاء
قيل هولاء امتك ارضيت قلت رب رضيت فقيل ان هولاء سبعين الفا من امتك
يدخلون الجنة لا حساب عليهم قال فانشا عكاشة بن محصن من بنى اسد بن خزيمة
فقال يا نبى الله ادع ربك ان يجعلنى منهم فقال اللهم اجعله منهم ثم انشا
اخر وقال يا نبى الله ادع ربك ان يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة
فقال نبى الله صلى الله عليه وآله فداكم ابى وامى ان استطعتم ان يكونوا من السبعين
فكونوا وان عجزتم فقصرتم فكونوا من اهل الظراب فان عجزتم فقصرتم فكونوا
من اهل الافق وانى قد رايت ثم ناسا كثيرا يتهاوشون كثيرا فقلت هولاء
السبعون الفا فاتفق راينا على انهم ناس ولدوا فى الاسلام فلم يزالوا يعملون
به حتى ماتوا عليه فانهى حديثهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ليس كذلك
كذلك ولكنهم الذين لا يسترقون ولا يتكبرون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
ثم قال انى لارجو ان يكون من معى ربع الجنة قال فكبرنا ثم قال انى لارجو ان يكونوا
ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال انى لارجو ان يكونوا شطر اهل الجنة ثم تلا رسول الله
صلى الله عليه وآله ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قوله عز وجل واصحاب
الشمال ما اصحاب الشمال فى سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم
انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا
يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباونا
الاولون قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم
ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم فمالئون
منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا
نزلهم يوم الدين ست عشرة آية القراة قرا ابن عامر ائذا متنا بهمزتين
ائنا لمبعوثون بهمزتين ايضا ولم يجمع بين استفهامين الا فى هذا الموضع

من القرآن وقد ذكرنا مذهب غيره من القراء ومذهبه ايضا في امثاله وقرا اهل المد
وعاصم وحمزة شرب الهيم بضم الشين والباقون بالفتح الحجة قال ابو علي ان الحتي
الاستفهام في قوله ائنا او لم يلحق كان ذا متعلقا بشيء دل عليه قوله ائنا لمبعوثون
الا ترى اذا ظرف من الزمان فلا بد له من فعل او معنى فعل يتعلق به ولا يجوز
ان يكون يتعلق بقوله متنا لانه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف
واذا لم يجز حمله على هذا المعنى ولا على الفعل بعد ان من حيث لم يعمل ما بعد
ان فيما قبلها كما لا يعمل ما بعد لا فيما قبلها وكذلك يجوز ان يعمل ما بعد
الاستفهام فيما قبله علمت انه يتعلق بشيء دل عليه قوله ائنا لمبعوثون وائنا
لمبعوثون وذلك نحشر او نبعث ونحوهما مما يدل عليه هذا الكلام واما الشرب
كالطحن ونحوه وقد يكون الشراب جمع شارب مثل راكب وركب وتاجر وتجر وراجل
ورجل اللغة السموم ريح الحارة التي تدخل في مسام البدن ومسام البدن
خروقه ومنه اخذ السم واليحموم الاسود الشديد السواد باحتراق النار
وهو يفعول من الحم وهو الشحم المسود باحتراق النار يقال حممت الرجل
اذا سخمت وجهه بالفحم والمترف المتنعم من اداء الواجبات طلبا للترفه
وهي الرفاهية والنعمة فالحنث نقض العهد الموكد بالحلف والهيم الابل
العطاش التي لا تروى من الماء لداء يصيبها والواحد هيم والانثى هيماء المعنى
ثم ذكر سبحانه اصحاب الشمال فقال واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال وهم الذين
يؤخذ بهم ذات الشمال الى جهنم او الذين ياخذون كتبهم بشمالهم او الذين يلزمهم
حال الشوم والنكد في سموم وحميم اي في ريح حارة تدخل في مسامهم وخروقهم
وفي ماء مغلي حار انتهت حرارته وظل من يحموم اي دخان اسود شديد السواد
عن ابن عباس وابي مالك ومجاهد وقتادة وقيل اليحموم جبل في جهنم يستغيث
اهل النار الى ظله ثم نعت ذلك الظل فقال لا بارد ولا كريم اي لا بارد المنزل
ولا كريم المنظر عن قتادة وقيل لا بارد يستراح اليه لانه دخان جهنم ولا كريم

فيشتهي مثله

فيشتهي مثله وقيل ولا كريم اي لا منفعة فيه بوجه من الوجوه والعرب اذا ارادت
نفي صفة الحمد عن شيء نفت عنه الكرم قال الفراء العرب يجعل الكريم تابعا
لكل شيء نفت عنه وصفا تنوي به الذم يقول ما هو بسمين ولا كريم وما هذه
الدار بواسعة ولا كريمة ذكر سبحانه اعمالهم التي اوجبت لهم هذا فقيل انهم كانوا
قبل ذلك مترفين اي كانوا في الدنيا متنعمين عن ابن عباس وذلك ان عذاب
المترف اشد الما وبين سبحانه ان الترف الهاهم عن الانزجار وشغلهم عن
الاعتبار وكانوا يتركون الواجبات طلبا لراحة ابدانهم وكانوا يصرون
على الحنث العظيم اي الذنب العظيم عن مجاهد وقتادة والاصرار ان يقيم عليه
ولا يقلع عنه ولا يتوب منه وقيل الحنث العظيم الشرك اي لا يتوبون عنه عن الحسن
والضحاك وابن زيد وقيل كانوا يحلفون لا يبعث الله من يموت وان الاصنام
انداد الله عن الشعبي والاصم كانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا ائنا لمبعوثون
اي ينكرون البعث والنشور والثواب والعقاب فيقولون مستبعدين لذلك
منكرين له ائذا خرجنا من كوننا احياء وصرنا ترابا انبعث او اباؤنا الذين
ماتوا قبلنا ويحشرون ان هذا لبعيد ومن قرا او اباؤنا الاولون اي او نبعث
اباؤنا الذين ماتوا قبلنا ويحشرون ان يفتح الواو فانها واو العطف دخل
عليها الف الاستفهام قل يا محمد لهم ان الاولين والاخرين اي الذي تقدم منكم
من ابائكم والذين يتاخرون عن زمانكم لمجموعون الى ميقات يوم معلوم
يجمعهم الله ويبعثهم ويحشرهم الى وقت معلوم عنده وهو يوم القيمة ثم انكم
يوم ايها الضالون الذين ضللتم عن طريق الحق وجرتم عن الهدى المكذبون
بتوحيد الله واخلاص العبادة له ونبوة نبيه لاكلون من شجر من زقوم
فمالئون منها البطون مفسر في الصافات فشاربون عليه من الحميم الشجر
يؤنث ويذكر فلذلك قال منها ثم قال عليه كذلك التمر يؤنث ويذكر
فشاربون شرب الهيم اي كشرب الهيم وهي الابل اصابها الهيام وهو شدة

العطش فلا يزال تشرب الماء حتى تموت عن ابن عباس و عكرمه وقتاده وقيل هي الارض
الرمله التي لا تروى بالماء عن الضحاك وابن عيينه هذا نزلهم يوم الدين النزل الامر الذي
ينزل عليه صاحبه والمعنى هذا طعامهم وشرابهم يوم الجزاء في جهنم قوله عز وجل
نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۞ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ۞ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ
الْخَالِقُونَ ۞ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۞ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ
أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ
أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ۞ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ۞ لَوْ نَشَاءُ
لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۞ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۞ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۞ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ
الَّذِي تَشْرَبُونَ ۞ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ۞ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ
أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۞ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۞ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا
أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ۞ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ۞ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الْعَظِيمِ ثماني عشرة آية القراة قرأ ابن كثير نحن قدرنا بالتخفيف والباقون قدّرنا
بالتشديد وقرأ ابو بكر أئنا لمغرمون بهمزتين والباقون انا بهمزة واحدة
الحجة قال ابو علي قدرنا في معنى قدّرنا ويدل عليه قوله شعر ومفرهة عنس قدرت
لساقها ۞ فخرت كما يتابع الريح بالقفل المعنى قدرت ضربتي لساقها فضربتها
فخرت ومثله في المعنى فان نغتدي بالمحل من ذي ضروعها على الضيف يجرح
في عراقيبها نصلي شعر يقال امنى يمني بمعنى ومنه قراة ابي السماك تمنون بفتح التاء
والاصل من المني وهو التقدير قال الشاعر شعر لا تامنن وان امسيت في حرم حتى
تلاقي ما يمني لك الماني ۞ ومنه المنيه لانها مقدره باتي على مقدار والحطام الهشيم
الذي لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء واصل الحطم الكسر والحطم السواق يعنف
يحطم بعضها على بعض قال شعر قد لفها الليل بسواق حطم ۞ والتفكه اصله
تناول ضروب الفواكه للاكل والفكاهة المزاح ومنه حديث زيد كان من افكه
الناس مع اهله ورجل فكه طيب النفس و المغرم الذي ذهب ماله بغير عوض

واصل الباب

واصل الباب اللزوم والغرام العذاب اللازم قال الاعشى شعر ان يعاقب يكن غراما
وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ۞ والنار ماخوذ من النور قال الحرث شعر فتنورت
نارها من بعيد بخزازى ۞ هيهات منك الصلاء والايراء اظهار النار
بالقدح يقال ادرى يروى وروّيت بك زنادي ان اضاءت بك امري ويقال
قدح فاورى اذا اظهر النار فاذا لم يور قيل قدح فاكبى والمقوى النازل
بالقواء من الارض ليس بها احد واقوت الدار دخلت من اهلها قال النابغه
شعر اقوى واقفر من نعم وغيرها ۞ هوج الرياح بهابي الترب موار وقال عنتره
شعر حييت من طلل تقادم عهده ۞ اقوى واقفر بعد ام الهيثم ۞ ۞ ثم احتج
عليهم في البعث بقوله نحن خلقناكم اي نحن خلقناكم ولم يكونوا شيئا وانتم
تعلمون ذلك عن مقاتل فلولا تصدقون اي فهلا تصدقون بالبعث لان من قدر
على الانشاء والابتداء قدر على الاعادة ثم نبههم سبحانه على وجه الاستدلال
على صحة ما ذكره فقال افرايتم ما تمنون اي ما تقذفون وتصبون في ارحام
النساء من النطف فيصير ولدا انتم تخلقونه اي انتم تخلقون ما تمنون
بشرا ام نحن الخالقون فاذا لم يقدروا انتم وامثالكم على ذلك فاعلموا انه
سبحانه الخالق لذلك فاذا ثبت انه قادر على خلق الولد من النطفة وجب
ان يكون قادرا على اعادته بعد موته لانه ليس بابعد منه ثم بين سبحانه
انه كما بدأ الخلق فانه يميتهم فقال نحن قدرنا بينكم الموت التقدير ترتيب
الامور على مقدار اي نحن اجرينا الموت بين العباد على مقدار كما تقتضيه الحكمة
فمنهم من يموت صبيا ومنهم من يموت شابا ومنهم من يصير كهلا وشيخا
وهرما عن مقاتل وقيل معناه قدرنا بان سوينا فيه بين المطيع والعاصي وبين
اهل السماء واهل الارض عن الضحاك وما نحن بمسبوقين قيل انه من تمام
ما قبله اي لا يسبقنا احد منكم على ما قدرنا من الموت حتى يزيد في مقدار
حيوة وقيل انه ابتداء كلام يتصل به ما بعده والمعنى وما نحن بمغلوبين

على ان نبدل امثالكم اى بان نخلق جديدا مثلكم بدلاً منكم وتقديره نبدل بكم امثالكم
فحذف المفعول الاول والجار من المفعول الثاني قال الزجاج معناه ان اردنا
ان نخلق خلقا غيركم لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا وننشئكم فيما لا تعلمون من الصور
اى ان اردنا ان نجعل منكم القردة والخنازير لم نسبق ولا فاتنا ذلك وتقديره
كما لم نعجز عن تغيير احوالكم بعد خلقكم لا نعجز عن احوالكم بعد موتكم وقيل اراد النشأة
الثانية اى ننشئكم فيما لا تعلمون من الهيئات المختلفة فان المؤمن يخلق على احسن هيئة
واجمل صورة والكافر على اقبح صورة وقيل انما قال ذلك لانهم علموا حال النشأة
الاولى كيف كانت في بطون الامهات وليست الثانية كذلك لانها يكون في وقت لا يعلمه
العباد ولقد علمتم النشأة الاولى اى المرة الاولى من الانشاء وهو ابتداء الخلق
حين خلقتم من نطفة وعلقة ومضغة فلولا تذكرون اى فهلا تعتبرون وتستدلون
بالقدرة عليها على الثانية افرايتم ما تحرثون اى ما تعملون في الارض فيلقون
فيها من البذر ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون اى انتم تنبتونه وتجعلونه
زرعا ام نحن المنبتون فان من قدر على انبات الزرع من الحبة الصغيرة وان
يجعلها حبوبا كثيرة قدر على اعادة الخلق الى ما كانوا عليه روى عن النبي صلى الله
عليه وآله انه قال لا تقولن احدكم زرعت وليقل لو نشاء لجعلناه اى جعلنا ذلك
الزرع حطاما اى هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء وقيل تبنا لا قمح فيه عن عطاء فظلتم
تفكهون اى تتعجبون مما نزل بكم في رزقكم عن عطاء والكلبي ومقاتل وقيل معناه
تندمون وتتاسفون على ما انفقتم فيه عن عكرمة وقتادة والحسن واصله من التفكه
بالحديث وهو التلهي به فكانه قال فظللتم تتروحون الى التندم كما يتروح الفكه
الى الحديث بما يزيل الهم وقيل معناه تتلاومون عن عكرمة اى يلوم بعضكم
بعضا على التفريط في طاعة الله انا لمغرمون ويقولون انا لمغرمون والمعنى
انا قد ذهب مالنا كله وضاع وقتنا ولم نحصل على شيء وقيل معناه انا
لمعذبون محدودون عن الحظ عن مجاهد وفي رواية اخرى عنه انا لمولع بنا

وفي رواية اخرى انا لملقون في الشر وقيل محارفون عن قتادة ومن قرأ ائنا على الاستفهام
حمله على انهم يقولون فيقولون منكرين لذلك ومن قرأ انا على الخبر حمله على انهم
مخبرون بذلك عن انفسهم ثم يستدركون فيقولون بل نحن محرومون اى
سوء الحظ محارفون ممنوعون من الرزق والخير ثم قال سبحانه منبها على دلالة
اخرى افرايتم الماء الذي تشربون ءانتم انزلتموه من المزن اى السحاب ام نحن
المنزلون نعمة منا عليكم ورحمة بكم ثم قال لو نشاء جعلناه اجاجا اى مرا شديد
المرارة وقيل هو الذي اشتدت ملوحته فلولا تشكرون اى فهلا تشكرون
على هذه النعمة السنية لا يقدر عليها غير الله ثم نبه سبحانه على دلالة اخرى فقال
افرايتم النار التي تورون اى تستخرجونها وتقدحونها بزنادكم من الشجر ءانتم
انشأتم شجرتها التي تقدح منها النار ءانتم اخترعتموها وابتدأتموها ام نحن
المنشئون لها فلا يمكن احد ان يقول انه انشأ تلك الشجرة غير الله تعالى
والعرب تقدح بالزند والزندة وهو خشب يحك بعضه ببعض فيخرج منه النار
وفي المثل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار نحن جعلناها تذكرة اى جعلنا هذه
النار تذكرة للنار الاخرى الكبرى فاذا راها الرائي ذكر جهنم واستعاذ بالله
منها عن عكرمة ومجاهد وقتادة وقيل معناه تذكرة يتذكر بها ويتفكر فيها
فيعلم ان من قدر عليها وعلى اخراجها من الشجر الرطب قدر على النشأة الثانية
ومتاعا للمقوين اى وجعلناها بلغة ومنفعة للمسافرين عن ابن عباس
والضحاك وقتادة يعني الذين نزلوا الارض القي وهو القفر وقيل للمستمتعين
بها من الناس اجمعين من المسافرين والحاضرين عن عكرمة ومجاهد
والمعنى ان جميعهم يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون من البرد وينتفعون
بها في الطبخ والخبز وعلى هذا فيكون المقوي من الاضداد فيكون
المقوي الذي صار ذا قوة من المال والنعمة والمقوي ايضا الذي ذهب ماله
النازل بالقواء من الارض فالمعنى متاعا للاغنياء والفقراء ولما ذكر سبحانه

ما يدل على توحيده وانعامه على عبيده قال فسبح باسم ربك العظيم اى فبرئ الله تع
مما يقولونه فى وصفه ونزهه عما لا يليق بصفاته وقيل معناه قل سبحان ربى العظيم
فقد صح عن النبى صلى الله عليه وآله انه لما نزلت هذه الاية قال اجعلوها فى ركوعكم
قوله عز وجل فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ
كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَفَبِهَذَا
الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ
الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَ إِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ
فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ثلث عشرة آية القراءة
قرأ اهل الكوفة غير عاصم بموقع النجوم بغير الف والباقون بمواقع على الجمع
وروى بعضهم عن عاصم انكم تكذبون بالتخفيف والقراءة بالتشديد وفى الشواذ
قراءة الحسن والثقفى فلأقسم بغير الف وقراءة على وابن عباس وروت عن النبى ص
وتجعلون شكركم الحجة ابو عبيدة فلا اقسم بمواقع النجوم اى فاقسم ومواقعها
مساقطها حيث تغيب قال غيره انه مواقع القرآن حين نزل على النبى صلى الله عليه وآله
نجوما فان الجمع فى ذلك فان كان مصدرا فلاختلاف ذلك فان المصادر وساير
اسماء الاجناس اذا اختلفت جاز جمعها ومن قال بموقع فافرد فلانه اسم جنس
ومن قرأ تكذبون فالمعنى تجعلون رزقكم الذى رزقكموه الله تعالى فيما قال
وانزلنا من السماء ماء مباركا الى قوله رزقا للعباد وقال وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم انكم تكذبون فى ان تنسبوا هذا الرزق الى غير الله
تعالى فيقولون مطرنا بنوء كذا فهذا وجه التخفيف ومن قال تكذبون فالمعنى
انكم تكذبون بالقرآن لان الله تعالى هو الذى رزقكم ذلك على ما جاء فى قوله تعالى
رزقا للعباد فتنسبونه انتم الى غيره فهذا تكذيبهم بما جاء به التنزيل واما
روى من قوله وتجعلون شكركم فالمعنى تجعلون مكان الشكر الذى يجب
عليكم التكذيب وقد يكون المعنى وتجعلون شكر رزقكم التكذيب فحذف المضاف

وقال ابن جنى هو على وتجعلون بدل شكركم ومثله قول العجاج شعر ربيته حتى اذا
تمعددا كان جزاء بالعصا ان اجلدا اى كان بدل جزاى الجلد بالعصا واما قوله
فلا اقسم التقدير لانا اقسم وهو فعل الحال يدل على ذلك ان جميع ما فى القرآن
من الاقسام انما هو على حاضر الحال لا وعد الاقسام كقوله والتين والزيتون
والشمس وضحاها ولذلك حملت لا على الزيادة فى قوله فلا اقسم بمواقع النجوم
ونحوه نعم ولو اريد به الفعل المستقبل للزمت فيه النون فقيل لاقسمن
القسم جملة من الكلام يوكد بها الخبر بما يجعله فى قسم الصواب دون الخطاء
والعظيم الذى يقصر مقدار ما يكون من غيره عما يكون منه وهو ضربان
عظيم الشخص وعظيم الشان والكريم هو الذى فى شانه ان يعطى الخير الكثير
فلما كان القرآن من شانه ان يعطى الخير الكثير بادلته المودية الى الحق كان
كريما على حقيقة معنى الكريم لا على التشبيه بطريق المجاز والكريم فى صفات الله تع
من الصفات النفسية التى يجوز ان يقال فيها لم يزل كريما لان حقيقته يقتضى
ذلك من جهة ان الكريم هو الذى من شانه ان يعطى الخير الكثير فلما كان القادر
على الكرم الذى لا يمنعه مانع من شانه ان يعطى الخير الكثير صح ان يقال انه
لم يزل كريما والمدهن الذى يجرى فى الباطن على خلاف الظاهر كالدهن فى سهولة
ذلك عليه وقيل الاسراع فيه يقال ادهن يدهن وداهن يداهن مثل نافق والدين
الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان اى كما تجزى تجزى والدين العمل الذى يستحق به
الجزاء شعر فلولا اذا بلغت الحلقوم العامل فى اذا محذوف يدل عليه الفعل الواقع
بعد لولا وهو ترجعونها فى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها وجواب
الشرط هو ايضا هو مدلول قوله فلولا ترجعونها ولولا هذه للتحضيض بمعنى
هلا ولا يقع بعدها الا الفعل ويكون التقدير فلولا ترجعونها اذا بلغت
الحلقوم ولولا ان كنتم فكرر لولا ثانيا لطول الكلام شعر ثم اكد سبحانه
ما تقدم ذكره بقوله فلا اقسم بمواقع النجوم ولا زايدة والمعنى فاقسم عن سعيد

بن جبير ويجوز ان يكون لا ردا لما يقوله الكفار في القرآن من انه سحر وشعر
وكهانة ثم استانف القسم فقال اقسم وقيل ان لا تزاد في القسم فيقال لا والله
لا افعل وقال امرؤ القيس شعر لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر
والمعنى وابيك وقيل ان المعنى لا اقسم على هذه الاشياء فان امرها اظهر
واكد من ان يحتاج فيه الى اليمين عن ابي مسلم واختلف في معنى مواقع النجوم
فقيل هي مطالع النجوم ومساقطها عن مجاهد وقتاده وقيل انكدارها وهو
انتثارها يوم القيمة عن الحسن وقيل هي الانواء التي كان اهل الجاهلية اذا مطروا
قالوا مطرنا بنوء كذا فيكون المعنى فلا اقسم بها وروى عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلام ان مواضع النجوم رجومها للشياطين فكان المشركون يقسمون بها
فقال سبحانه فلا اقسم بها وقيل معناه اقسم بنزول القرآن فانه نزل متفرقا
قطعا نجوما عن ابن عباس وانه لقسم لو تعلمون عظيم قال الزجاج والقرآن
وهذا يدل على ان المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والضمير في انه يعود
على القسم ودل عليه قوله اقسم والمعنى ان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون
ففصل بين الصفة والموصوف بالجملة ثم ذكر المقسم به فقال انه لقرآن كريم
معناه ان الذي تلوناه عليك لقرآن كريم اي عام المنافع كثير الخير ينال
الاجر العظيم بتلاوته والعمل والتبديل ولانه معجز ولانه يشتمل على الاحكام و
المواعظ وكل جليل عزيز خطير فهو كريم في كتاب مكنون اي مستور من خلقه
عند الله وهو اللوح المحفوظ اثبت الله فيه القرآن عن ابن عباس وقيل هو المصحف
الذي في ايدينا عن مجاهد لا يمسه الا المطهرون معناه في القول الاول لا يمسه
الا الملائكة الذين وصفوا بالطهارة من الذنوب وفي القول الثاني الا المطهرون
من الشرك عن ابن عباس وقيل من الاحداث والجنابات وقالوا لا يجوز للجنب
والحايض والمحدث مس المصحف عن محمد بن علي الباقر عليهما السلام وعطا وطاوس
وسالم وهو مذهب مالك والشافعي فيكون خبرا بمعنى النهي وعندنا ان الضمير

يعود الى القرآن فلا يجوز لغير الطاهر مس كتابه القرآن تنزيل من رب العالمين
اي هذا القرآن منزل من عند الله الذي خلق العباد ودبرهم على ما اراد على
نبيه محمد صلى الله عليه وآله ثم خاطب سبحانه اهل مكة فقال افبهذا الحديث الذي
حدثناكم به واخبرناكم فيه عن حوادث الامور وهو القرآن انتم مدهنون اي مكذبون
عن ابن عباس وقيل المدهنون ممالئون الكفار على الكفر عن مجاهد وقيل منافقون
في التصديق به اي يقولون آمنا به وتدهنون فيما بينكم وبين المشركين اذا خلوتم
فقلتم انا معكم قال المورخ هو الذي يلين جانبه ليخفي كفره واصله من الدهن
وتجعلون شكر رزقكم التكذيب عن ابن عباس قال اصاب الناس عطش في بعض
اسفاره فدعا فسقوا فسمع رجلا يقول مطرنا بنوء كذا فنزلت الاية وقيل معناه
وتجعلون حظكم من القرآن الذي رزقكم الله التكذيب عن الحسن فلولا اذا بلغت
اي فهلا اذا بلغت النفس الحلقوم عند الموت وانتم يا اهل الميت حينئذ تنظرون
اي ترون تلك الحال وقد صار الى ان يخرج نفسه وقيل معناه تنظرون لا يمكنكم
الدفع ولا يملكون شيئا ونحن اقرب اليه منكم بالعلم والقدرة ولكن لا تبصرون
رسلنا القابضين روحه فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين
فهلا ترجعونها اي فلا ترجعون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم وتردونها
الى موضعها ان كنتم غير مجزيين بثواب وعقاب وغير محاسبين وقيل غير مدينين
معناه مملوكين وقيل غير مبعوثين عن الحسن والمراد ان الامر ان كان كما يقولونه من انه
لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا اله يحاسب ويجازي فهلا رددتم الارواح والنفوس
من حلوقكم الى ابدانكم ان كنتم صادقين في قولكم فاذا لم تقدروا على ذلك
فاعلموا انه من تقدير مقدر حكيم وتدبير مدبر عليم قوله عز وجل فاما ان كان
من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين
فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل
من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم تمت

القراة قرأ يعقوب فروح بضم الراء وهو قول قراة النبي صلى الله عليه وآله وابن عباس
وابي جعفر الباقر عليه السلام وقتاده والحسن والضحاك وجماعة والباقون فروح بفتح الراء
الحجة قال ابن جني هو راجع الى معنى الروح فكانه قال فمسك روح وممسكها
هو الروح وكما يقول هذا هو الحيوة وهذا السماع هو العيش وهو الروح اللغة
واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين قال علي بن عيسى دخلت
كاف الخطاب كما يدخل في ناهيك به شرفا وحسبك به كريما اي لا تطلب زيادة على جلاله
حاله فكذلك سلام لك منهم اي لا تطلب زيادة على سلام جلاله وعظم منزلة
قال ابن جني في الكلام تقديم وتاخير والتقدير مهما يكن من شيء فسلام لك
جوابا له في اللفظ لا في المعنى ولو كان من اصحاب اليمين ان كان من اصحاب اليمين
ولا ينبغي ان يكون موضع ان كان الا هذا الموضع لانه لو كان موضعه بعد
الفاء يليها الكان قوله فسلام لك جوابا له في اللفظ لا في المعنى ولو كان جوابا له
في اللفظ وجب دخال الفاء عليه لانه لا يجوز في سعة الكلام ان كان من اصحاب اليمين
فسلام له فلما وجد الفاء فيه ثبت انه ليس بجواب لقوله ان كان في اللفظ
واذا ثبت انه ليس بجواب له في اللفظ ثبت ان موقع ان كان بعده لا قبله قال
فان قيل انما تلك الفاء التي يكون جوابا لقوله ان كان الفاء التي تدخل بالا اما
لانه لا يدخل حرف على مثله قيل انما يدخل الفاء التي لاما عليه لانه ليس بجواب لقوله
ان كان فلو كان جوابا لدخلت هذه الفاء في قوله فاما ان كان من اصحاب اليمين
فسلام لك على ان فاء اما قد يكون موقعه بعد الفاء لا يليها واما لها موضعان
من الكلام احدهما ان يكون لتفصيل الجمل نحو قولك جاني القوم فاما زيد
فاكرمته واما عمرو فاهنته ومنه ما في الاية والثاني ان يكون مركبة من ان يكون
مركبه وما يكون ما عوضا من كان ذلك قولك اما انت منطلقا انطلقت معك
والمعنى ان كنت منطلقا انطلقت معك فموضع ان نصب لانه مفعول له وانشد سيبويه
اباخراشه اذا انت ذا نفر فان قومي لم ياكلم الضبع اي من اجل ان كنت والضبع

السنة الشديد المعنى ثم ذكر سبحانه صفات الخلق عند الموت فقال فاما ان كان
من المقربين اي فان كان المحتضر الذي بلغت روحه الحلقوم من المقربين عند الله
وهم السابقون الذكر في اول السورة فروح اي فله روح وهو الراحة و
الاستراحة عن ابن عباس ومجاهد يعني من تكاليف الدنيا ومشاقها وقيل
الروح الهواء الذي تلذه النفس ويزيل عنها الهم وريحان يعني الرزق في الجنه
وقيل هو الريحان المشموم من ريحان الجنة يوتى به عند الموت فيشم عن الحسن وابي
العالية وقتاده وقيل الروح الرحمة والريحان كل نباهه وشرف وقيل الروح النجاة
من النار والريحان الدخول في دار القرار وقيل روح في القبر وريحان في الجنه
وقيل روح في القبر وريحان في القيمة وجنة نعيم يدخلونها واما ان كان من اصحاب
اليمين فسلام لك اي ان كان المتوفى من اصحاب اليمين فسلام لك ايها الانسان الذي
هو من اصحاب اليمين من عذاب الله وسلمت عليك ملائكة الله عن قتاده قال الفراء
فسلام لك انك من اصحاب اليمين فحذف انك وقيل معناه فسلام لك منهم في الجنه
لانهم يكونون معك ويكون بمعنى عليك سوال يقال لم سرك باليمين والجواب
ان العمل يشتبهها لان الشمال معسر العمل بها من نحو الكتابة والاعمال الدقيقه
واما ان كان من المكذبين بالبعث والرسل وآيات الله الضالين عن الهدى
الذاهبين عن الصواب بالحق فنزل من حميم اي فنزلهم الذي اعد لهم من الطعام
والشراب من حميم جهنم وتصلية جحيم اي ادخال نار عظيمة كما يقال ويصلى سعيرا
في قراة من شدد ان هذا لهو حق اليقين اضاف الحق الى اليقين وهما واحد
للتاكيد اي هذا الذي اخبرتك به من منازل هولاء الاصناف الثلثة هو الحق الذي
لا شك فيه اليقين الذي لا شبهة معه وقيل تقديره حق الامر اليقين فسبح باسم
ربك العظيم اي نزه الله سبحانه عن السوء والشرك وعظمه بحسن الثناء عليه
وقيل معناه نزه اسمه عما لا يليق به فلا يصفه بصفة نقص وعمل قبيحا وقيل معناه
قولوا سبحان ربي العظيم والعظيم في صفته تعالى معناه ان كل شيء سواه يقصر عنه

فانه القادر العالم الغنى لا يساويه شئ ولا يخفى عليه شئ جلت الاوه وتقدست اسماؤه

سورة الحديد مكية عدد آيها تسع وعشرون آية عراقى وثمان فى الباقين اختلافها

آيتان من قبله العذاب كوفى والانجيل بصرى فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله

قال من قراء سورة الحديد كتب من الذين امنوا بالله ورسله العرباض بن سارية

قال ان النبى صلى الله عليه وآله كان يقرأ المسبحات قبل ان يرقد ويقول ان فيهن

آية افضل من الف آية وروى عمرو بن شمر عن جابر الجعفى عن ابى جعفر عليه السلام قال من قراء

المسبحات كلها قبل ان ينام لم يمت حتى يدرك القائم وان مات كان فى جوار

رسول الله صلى الله عليه وآله الحسين بن ابى العلا عن ابى عبد الله ع قال من قراء

سورة الحديد والمجادلة فى صلوة فريضة ادمنها لم يعذبه الله حتى يموت ابدا

ولا يرى فى نفسه ولا فى اهله سوء ابدا ولا خصاصة فى بدنه تفسيرها لما ختم

سبحانه سورة الواقعة بالتسبيح افتتح هذه السورة بالتسبيح وعقبه بالدلايل

الموجبة للتسبيح فقال بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ

وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ

وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ

أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ

مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ

النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ست آيات المعنى سبح لله اى نزهه

واثنى عليه بما هو اهله وبراه من كل سوء ما فى السموات والارض قال مقاتل

يعنى كل شئ من ذى الروح وغيره وكل خلق فيهما ولكن لا يفقهون تسبيحهم وتحقيقه

ان العقلاء يسبحونه قولا واعتقادا ولفظا ومعنى وما ليس بعاقل من ساير

الحيوانات والجمادات فتسبيحه ما فيه من الادلة الدالة على وحدانيته وعلى الصفات

التي باين بها جميع خلقه وما فيه من الحجج على انه لا يشبهه فعبر سبحانه عن ذلك بالتسبيح

ويجوز ان يكون ما ههنا بمعنى من كما حكى ابو زيد عن اهل الحجاز انهم كانوا اذا

سمعوا الرعد قالوا سبحان ما سبحت له فيكون واقعا على العقلاء من الملائكة

والجن والانس وهو العزيز الحكيم اى القادر الذى لا يمتنع عليه شئ المحكم لافعاله

العليم بوجوه الصواب فى التدبير له ملك السموات والارض اى له التصرف

فى جميع ما فى السموات والارض من الموجودات بما يشاء من التصرف وليس لاحد

منعه منه وذلك هو الملك الاعظم فان كل ما يملكه من عداه فانه سبحانه هو الذى

ملكه اياه وله منعه منه يحيى ويميت اى يحيى الاموات للبعث ويميت الاحياء

فى الدنيا وقيل يحيى الاموات بان يجعل النطفة وهى جماد حيوانا ويميت الاحياء

اذا بلغوا اجالهم التى قدرها لهم وهو على كل شئ قدير بقدر على المعدوم ما

بايجادها وانشائها على الموجودات بتغيرها وافنائها وعلى افعال العباد

ومقدوراتهم بالاقدار عليها وسلبهم القدرة عليها هو الاول اى اول الموجودات

وتحقيقه انه سابق لجميع الموجودات بما لا يتناهى من تقدير الاوقات لانه قديم

وما عداه محدث والقديم يسبق المحدث بما لا يتناهى من تقدير الاوقات

والاخر بعد فناء كل شئ لانه تعالى يفنى الاجسام كلها وما فيها من الاعراض ويبقى

وحده ففى هذا دلالة على فناء الاجسام وقيل الاول قبل كل شئ بلا ابتداء والاخر

بعد كل شئ بلا انتهاء فهو كاين لم يزل والباقى لا يزال والظاهر وهو الغالب

العالى على كل شئ فكل شئ دونه والباطن العالم بكل شئ فلا احد اعلم منه عن ابن

عباس وقيل الظاهر بالادلة والشواهد والباطن الخبير العالم بكل شئ

وقيل معنى الظاهر والباطن انه العالم بما ظهر والعالم بما بطن وقيل الظاهر

بادلته والباطن من احساس خلقه وقيل الاول بلا ابتداء والاخر بلا انتهاء

والظاهر بلا اقتراب والباطن بلا احتجاب وقيل الاول ببره اذا هداك والاخر

بعفوه اذ قبل توبتك والظاهر بتوفيقه واحسانه اذا اطعته والباطن بستره

اذا عصيته عن السدي وقيل الاول بالخلق والاخر بالرزق والظاهر بالاحياء
والباطن بالاماتة عن ابن عمر وقيل هو الذي اول الاول والاخر الاخر واظهر الظاهر
وابطن الباطن عن الضحاك وقيل الاول بالازلية والاخر بالابدية والظاهر
بالاحدية والباطن بالصمدية عن ابي بكر الوراق وقيل ان الواوات مقحمة
والمعنى هو الاول الاخر الظاهر الباطن لانه من كان منا اولا لا يكون اخرا
ومن كان منا ظاهرا لا يكون باطنا عن عبد العزيز بن يحيى وقيل هو الاول
القديم والاخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم عن يمان وقال البلخي هو
كقول القائل فلان اول هذا الامر واخره وظاهره وباطنه اي عليه يدور الامر
وبه يتم وهو بكل شيء يصح ان يكون معلوما عليم لانه عالم لذاته هو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام لما في ذلك من اعتبار الملائكة بظهور شيء
بعد شيء من جهته ولما في الاخبار به من المصلحة للمكلفين ولولا ذلك لكان
خلقهما في لحظة واحدة لان القادر لذاته ثم استوى على العرش المعروف
في السماء وقيل استوى على الملك فمن قال بالاول قال استواؤه عليه كونه قادرا
على خلقه وافنائه وتصريفه قال البعث ثم استوى على العراق من غير سيف
ودم مهراق وبشر هذا هو بشر بن مروان ولاه اخوه عبد الملك وقيل معناه
ثم عمد وقصد الى خلق العرش وقد مر بيانه يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها
اي يعلم ما يدخل في الارض ويستتر فيها ويعلم ما يخرج من الارض من ساير انواع
النبات والحيوانات والجمادات لا يخفى عليه شيء منها وما ينزل من السماء وما يعرج
فيها اي ويعلم ما ينزل من السماء من مطر وغير ذلك من انواع ما ينزل منها
ويعلم ما يعرج في السماء من الملائكة وما يرفع اليها من اعمال الخلق وهو معكم
اينما كنتم بالعلم لا يخفى عليه شيء من احوالكم واعمالكم والله بما تعملون من خير وشر
بصير اي عليم له ملك السموات والارض يتصرف فيهما كيف يشاء والى الله ترجع
الامور يوم القيمة يعني انه جميع من ملكه شيئا في الدنيا يزول ملكه ويتفرق

سبحانه بالملك كما كان كذلك قبل ان خلق الخلق يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل اي يدخل ما نقص من الليل في النهار وما نقص من النهار في الليل
اي بحسب ما دبره فيه من مصالح عباده عن عكرمة وابرهيم وهو عليم بذات الصدور
اي هو عالم باسرار خلقه وما يخفونه من الضماير والاعتقادات والارادات
والكراهات والعزايم في قلوبهم لا يخفى عليه شيء منها وفي هذا تحذير من ساير
المعاصي قوله عز وجل آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول
يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو الذي ينزل
على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم
وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي
منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا
من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير اربع آيات
القراءة قرأ ابو عمرو وحده وقد اخذ بضم الهمزة ميثاقكم بالرفع والباقون اخذ
بفتح الهمزة ميثاقكم بالنصب وقرأ ابن عامر وكل وعد الله بالرفع والباقون وكلا
بالنصب الحجة قال ابو علي حجة من قرأ وقد اخذ انه قد تقدم وما لكم لا تؤمنون به
بالله والضمير يعود الى اسم الله تعالى وحجة من قرأ وقد اخذ انه على هذا
المعنى وانه قد عرف اخذ الميثاق وان الله تعالى اخذه وحجة النصب في وكلا
وعد الله الحسنى بين لانه بمنزلة زيدا وعدت خيرا وحجة ابن عامر ان الفعل
اذا تقدم عليه مفعوله ولم يقو عمله فيه قوته اذا تاخر الا ترى انهم قالوا في الشعر
زيد رضيت ولو تاخر المفعول فوقع بعد الفاعل لم يجز ذلك فيه ومما جاء
من ذلك في الشعر قوله قد اصبحت ام الخيار تدعي علي ذنبا كله لم اصنع فرفع
بالرفع المقدم على الفعل وان لم يكن شيء من تسلط الفعل عليه فكذلك قوله
وكل وعد الله الحسنى يكون على ارادة الهاء وحذفها كما يحذف من الصفات

والصلات لمعنى ثم خاطب سبحانه المكلفين فقال امنوا بالله معاشر العقلاء اى صدقوا
واقروا بوحدانيته واخلاص العبادة له ورسوله اى صدقوا رسوله واعترفوا
بنبوته وانفقوا فى طاعة الله والوجوه التى امركم بالانفاق فيها مما جعلكم
مستخلفين فيه اى من المال الذى استخلفكم الله فيه بورّاثتكم اياه عمن قبلكم عن الحسن
وسبحانه بهذا على ان ما فى ايدينا بصير لغيرنا كما صار الينا ممن قبلنا وحثنا
على استيفاء الحظ منه قبل ان يصير لغيرنا ثم بين سبحانه ما لهم فيهم على ذلك
اذ فعلوه فقال فالذين امنوا منكم بالله ورسوله وانفقوا فى سبيله لهم اجر
كبير اى جزاء وثواب عظيم دايم لا يشوبه كدر ونغص ثم وبخهم سبحانه فقال
وما لكم لا تومنون بالله واى شئ يمنعكم من الايمان بالله مع وضوح الدلايل على
وحدانيته والرسول يدعوكم الى ما ركب الله فى عقولكم من معرفة الصانع وصفاته
لتومنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم بما اودع الله فى قلوبكم من دلالات العقل الموصلة
الى الايمان به فان الميثاق هو الامر المؤكد الذى يجب العمل به ان كنتم مؤمنين
اى ان كنتم مصدقين بحق فالان فقد ظهرت اعلامه ووضحت براهينه والمعنى
اى عذر لكم فى ترك الايمان وقد زاحت العلل وارتفعت الشبه ولزمتكم الحجج العقلية
والسمعية فالعقلية ما فى فطرة العقول والسمعية دعوة الرسول المؤيدة بالادلة
المودية الى المدلول والذى بين هذا قوله هو الذى ينزل على عبده يعنى محمدا
صلى الله عليه وآله آيات بينات اى حججا مبينة وبراهين واضحة ليخرجكم الله
بالقران والادلة وقيل ليخرجكم الرسول بالدعوة وقيل ليخرجكم المنزل والاول اوجه
من الظلمات الى النور اى من الكفر الى الايمان بالتوفيق والهداية والالطاف والادلة
وان الله بكم لرؤف رحيم حين بعث الرسول ونصب الادلة والرافة والرحمة واحد
وانما جمع بينهما للتاكيد وقيل الرافة النعمة على المضرور والرحمة النعمة على المحتاج
وفى هذه الاية دلالة على بطلان مذهب اهل الجبر فانه بين ان الغرض فى انزال
القرآن الايمان به ثم حثهم سبحانه على الانفاق فقال وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله

اى اى شئ لكم فى ترك الانفاق فيما يقرب الى الله ولله ميراث السموات والارض يفنى
الخلق ويبقى هو والمعنى فيه ان الدنيا واموالها ترجع الى الله تعالى فلا يبقى لاحد فيها
ملك ولا امر كما يرجع الميراث الى مستحقه فاستوفوا حظكم من اموالكم قبل ان يخرج
من ايديكم ثم بين سبحانه فضل من سبق بالانفاق فى سبيل الله فقال لا يستوى منكم
من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد
وقاتلوا بين سبحانه ان الانفاق قبل فتح مكه اذا انضم اليه الجهاد اكثر ثوابا
عند الله من النفقه والجهاد بعد ذلك وذلك ان القتال قبل الفتح وقاتل
اولئك كان اشد والحاجة الى النفقه والى الجهاد كان اكثر وامس وفى الكلام حذف
تقديره لا يستوى هولاء مع الذين انفقوا بعد الفتح فحذف لدلالة الكلام وقال
الشعبى اراد فتح الحديبية ثم سوى سبحانه بين الجميع فى الوعد بالخير والثواب فى
الجنه فقال وكلا وعد الله الحسنى الى الجنه والثواب فيها وان تفاضلوا فى مقادير
ذلك والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه شئ من انفاقكم وجهادكم فيجازيكم
بحسب نياتكم وبصائركم واخلاصكم فى سرايركم قوله عز وجل من ذا الذى يقرض
اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ اَجْرٌ كَرِيمٌ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ
الْمُؤْمِناتِ يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ اَيْدِيهِمْ وَبِاَيْمانِهِمْ بُشْراكُمُ الْيَوْمَ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْاَنْهارُ خالِدِينَ فِيها ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ
الْمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَراءَكُمْ
فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظاهِرُهُ
مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ يُنادُونَهُمْ اَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قالُوا بَلى وَلكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ اَنْفُسَكُمْ
وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْاَمانِيُّ حَتّى جاءَ اَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ
فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَاْواكُمُ النّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ خمس آيات اللغة فى فيضاعفه والاختلاف فيه قد مضى ذكره
فى سورة البقرة وقرأ حمزة انظرونا بقطع الهمزة وفتحها وكسر الظاء والباقون

انظرونا بهمزة الوصل وضم الظاء، وقرأ ابو جعفر وابن عامر ويعقوب لا يؤخذ منكم
بالتاء والباقون بالياء، وفى الشواذ قراءة سهل بن شعيب بايمانهم بكسر الهمزة وقرأ
السماك بن حرب غركم بالله الغرور بضم الغين الحجة قال ابو على النظر هو تقليب العين
الى الجهة التى فيها المرئ والمراد رؤيته ومما يدل على ذلك قوله شعر فيا من
هل تجرى بكاى بمثله مرارا وانفاسى اليك الزوافر واذ متى اشرف على الجانب الذى
به انت من بين الجوانب ناظر فلو كان النظر الروية لم يطلب عليه الجزاء لان المحب يستشب
من النظر الى محبوبه سنابل يريد ذلك ويتمناه ويدل على ذلك قول الاخر شعر
ونظرة ذى شجن وامق اذا ما الركايب جاوزن ميلا واما قوله تعالى ولا ينظر
اليهم يوم القيمة فالمعنى انه سبحانه لا ينيلهم رحمة وقد تقول نظر الى فلان اذا كان
ينيلك شيئا ويقول القايل انظر الى نظر الله اليك يريد انلنى خيرا انالك الله
ونظرت فعل يستعمل وما يصرف منه على ضروب احدها ان يريد به نظرت الى الشئ
فيحذف الجار ويوصل الفعل من ذلك من ما انشده ابو الحسن ظاهرات الجمال
والحسن ينظرون كما ينظر الاراك الظباء والمعنى ينظرون الى الاراك فحذف
الجار والاخر يريد به تاملت وتدبرت وهو فعل غير متعد فمن ذلك قولهم
اذهب فانظر زيدا يوس هو فهذا يراد به التامل ومن ذلك قوله انظر كيف ضربوا
لك الامثال وانظر كيف فضلنا بعضهم على بعض قد يتعدى هذا بالجار كقوله
افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت فهذا حض على التامل ويدل قد يتعدى هذا
بفى قوله افلم ينظروا فى ملكوت السموات والارض فاما قول امرء القيس شعر ولما
بدا حوران والال دونه نظرت فلم ينظر بعينيك منظرا فيجوز ان يكون نظرت
فلم بعينيك منظرا تعرفه فى الاول فقد يجوز ان يعنى بالنظر الروية على الاتساع
لان تقليب البصر نحو المبصر تتبعه الرويه وقد يجرى على الشئ لفظ ما يتبعه ويقترن
به كقولهم للمراة راويه وللغنا عذوه وقد يقال نظرت فلم ينظر مثل تكلمت فلم تتكلم
اى لم تات بكلام على حد ما يراد فكذلك نظرت فلم ينظر بعينيك منظرا كما تريد

اولم تر

اولم تر منظرا يروق وضرب اخر من نظرت هو ان يريد انتظرته من ذلك قوله
غير ناظرين اناه ومثله قول الفرزدق شعر نظرت كما انتظرت الله حتى كفاك
الماحلين لك المحالا يريد انتظرت كما انتظرت وقد يكون انتظرت فى معنى
انتظرت يطلب بقولك انظرنى استغيس الذى يطلب الانتظار فمن ذلك قوله
ابا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقينا ومن ذلك قوله فانظر
الى يوم يبعثون بسويف وتاخير وكذلك ما جاء فى الحديث من انظار المعسر
وكذلك قوله انظرونا نقتبس من نوركم اى نفسونا نقتبس وانظروا علينا
وليس يسرع من يسرع الى الخطيه من قال انظرونا بشئ وليس ينبغى ان يقال فيما
لطف انه خطا وقوله فاليوم لا يوخذ منكم فديه حسن التاء لتانيث الفاعل وتحسن
الياء للفعل الواقع بين الفعل والفاعل ولان التانيث غير حقيقى واما قوله بايمانهم
فقد قال ابن جنى هو معطوف على قوله بين ايديهم ويكون الظرف الذى هو بين ايديهم
معناه الحال فيتعلق بمحذوف اى يسعى كاينا بين ايديهم معناه الاعتراف وهو مقدر
على حذف المضاف اى غركم بالله سلامة الاعترار اى سلامتكم مع اغتراركم
وقال الزجاج الغرور كلما غر من متاع الدنيا شعر القرض ما تعطيه غيرك ليقضيكه
واصله القطع فهو قطعه من ماله باذنه على ضمان رد مثله والعرب تقول لك
عندك قرض صدق وقرض سوء اذا فعل به خيرا او شرا قال الشاعر ويجزى
سلامان بن مفرج قرضها بما قدمت ايديهم وازلت والمضاعفة الزيادة على
المقدار مثله او امثاله والاقتباس اخذ النار ويقال قبسه نارا واقبسه علما
والتربص الانتظار والترقب من ذا قال الفراء ذا صلة لمن قال ورايتها فى
مصحف عبد الله منذا الذى والنون موصولة بالذال وقيل ان المعنى من هذا
الذى وهو فى موضع دفع بالابتداء والذى خبره على القول الاول وعلى القول
الثانى يكون ذا مبتداء والذى خبره والجملة خبر من كذا وكذا من فضل
واقول ان الصحيح ان يكون ذا مبتدا والذى يقرض الله صفته ومن خبر المبتدا

تدم عليه لما فيه من معنى الاستفهام يوم ترى المومنين يتعلق بقوله ولهم اجر كريم
ويوم يقول المنافقون يتعلق بقوله ذلك هو الفوز العظيم ويجوز ان يكون
التقدير واذكر يوم يقول ويجوز ان يكون بدلا من ترى له باب في موضع جر
لصفة لسور باطنه فيه الرحمة صفة لباب الاعراب ثم حث سبحانه على الانفاق فقال
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اى طيبة به نفسه عن مقاتل وقد تقدم
تفسيره في سورة البقرة فيضاعفه له اى يضاعف له الجزاء من بين سبع
الى سبعين الى سبعمائة وقال اهل التحقيق القرض الحسن يجمع عشر اوصاف
ان يكون من الحلال لان النبى صلى الله عليه وآله قال ان الله تعالى طيب لا يقبل الا الطيب
وان يكون من اكرم ما يملكه دون ان يقصد الردى بالانفاق لقوله ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون وان يتصدق وهو يحب المال ويرجوا الحيوة لقوله
لما سئل عن افضل الصدقة ان يعطيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل
حتى اذا بلغت النفس التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا وان تضعه في الاحوج
الاولى باخذه ولذلك خص الله اقواما باخذ الصدقات وهم اهل السهمان وان يكتمه
ما امكن لقوله وان تخفوها وتوتوها الفقراء وهو خير لكم وان لا يتبعه المن
والاذى لقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وان يقصد به وجه الله ولا يرائى
بذلك لان الرياء مذموم وان يستحقرها يعطى وان كثر لان متاع الدنيا
قليل وان يكون من احب ماله اليه لقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فهذه
الاوصاف العشرة اذا استكملتها الصدقة كان ذلك قرضا حسنا وله اجر كريم
اى جزاء خالص لا يشوبه صفة نقص فالكريم الذى من شانه ان يعطى الخير الكثير فلما كان
ذلك الاجر يعطى النفع العظيم وصف بالكريم والاجر الكريم هو الجنة يوم ترى
يا محمد المومنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم على الصراط
يوم القيمة وهو دليلهم الى الجنة ويريد بالنور الضياء الذى يرونه ويمرون
فيه عن قتاده وقيل نورهم هداهم عن الضحاك قال قتاده ان المؤمن يضئ له

نور كما بين عدن الى صنعا ودون ذلك حتى ان المومن لا يضئ له نوره الا موضع
قدميه وقال عبد الله بن مسعود ويؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من نوره
مثل الجبل وادناهم نوره على ابهامه يطفا مرة ويتقد اخرى وقال الضحاك وبايمانهم
يعنى كتبهم التى اعطوها ونورهم بين ايديهم ويقول لهم الملائكة بشراكم اليوم
جنات اى الذى تبشرون به اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
اى مويدين دائمين لا يفنون ذلك هو الفوز العظيم اى الظفر بالمطلوب ثم ذكر
حال المنافقين في ذلك اليوم فقال يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين
امنوا ظاهرا وباطنا انظرونا نقتبس من نوركم قال الكلبى يستضئ المنافقون
بنور المومنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المومنون قالوا انظرونا نقتبس
من نوركم اى نستضئ بنوركم فنتخلص من هذه الظلمات وقيل انهم اذا خرجوا
من قبورهم اختلطوا فيسعى المنافقون في نور المومنين فاذا ميزوا بقوا
في الظلمة فيستغيثون ويقولون هذا القول قيل اى فيقال للمنافقين ارجعوا وراءكم
اى ارجعوا الى المحشر حيث اعطينا النور فالتمسوا نورا فيرجعون فلا يجدون
نورا عن ابن عباس رضي الله عنه قال يغشى الجميع ظلمة شديدة ثم يقسم النور ويعطى
المومن نورا ويترك الكافر والمنافقون وقيل معنى قوله ارجعوا وراءكم
ارجعوا الى الدنيا ان امكنكم فاطلبوا النور منها فانا حملنا النور منها بالايمان
والطاعات وعند ذلك يقول المنافقون اتمم لنا نورنا فضرب بينهم بسور
اى ضرب بين المومنين والمنافقين سور والباء مزيدة لان المعنى حيل
بينهم وبينهم سور وهو حائط بين الجنة والنار عن قتاده وقيل هو سور محل
على الحقيقة له باب اى لذلك السور باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله
العذاب اى من قبل ذلك الظاهر العذاب هو النار وقيل باطنه اى باطن ذلك
السور فيه الرحمة اى الجنة التى فيها المومنون وظاهره اى خارج السور من قبله
ياتيهم العذاب يعنى ان المومنين يسبقونهم ويدخلون الجنة والمنافقين

يجعلون فى النار والعذاب بينهم السور الذى ذكره الله ينادونهم اى ينادى المنافقو
المومنين الم نكن معكم فى الدنيا نصوم ونصلى كما تصومون وتصلون ونعمل كما تعملون
اى يقول المومنون لهم بلى كنتم معنا ولكنكم فتنتم انفسكم اى استعملتموها فى الكفر
معناه
والنفاق وكلها فتنه وقيل معناه تعرضتم للفتنه بالكفر والرجوع عن الاسلام وقيل
اهلكتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بمحمد الموت وقلتم يوشك ان يموت فنستريح
منه عن مقاتل وقيل تربصتم بالمومنين الدوائر وارتبتم اى شككتم فى الدين
وغرتكم الامانى التى تمنيتموها بان يعود الدين على المومنين حتى جاء امر الله
اى الموت وقيل الغنا وهم فى نار عن قتاده وقيل جاء امر الله فى نصرة دينه ونبيه
وغلبته اياكم وغركم بالله الغرور يعنى الشيطان غركم بحلم الله وامهاله
وقيل الغرور الدنيا فاليوم لا يوخذ منكم فدية ايها المنافقون اى بدل
بان تفدوا انفسكم من العذاب ولا من الذين كفروا اى ولا من ساير الكفار
الذين اظهروا الكفر ماويكم النار اى مقركم وموضعكم الذى تاوون اليه النار
نها
وهو موليكم اى هى اولى بكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى انها هى التى تلى عليكم لا
الذى
قد ملكت امركم فهى اولى بكم من كل شىء وبئس المصير اى بئس الماوى والمرجع
يصيرون اليه قوله عز وجل الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر
الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم
الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا ان الله يحيى الارض بعد
موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات واقرضوا
الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم والذين امنوا بالله ورسله
اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب
الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الاخرة عذاب

شديد

شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور خمس ايات
القراة قرا نافع وحفص ما نزل من الحق خفيفه الزاى والباقون نزل بالتشديد
وقرا رويس ولا تكونوا بالتاء والباقون بالياء وقرا ابن كثير وابو بكر ان
المصدقين والمصدقات بتخفيف الصاد والباقون بالتشديد الحجة قال ابو على
من خفف ما نزل ففى نزل ذكر مرفوع بانه الفاعل يعود الى الموصول ويقوى التخفيف
قوله وبالحق انزلنا وبالحق نزل ومن شدد ففاعل الضمير العايد الى اسم الله
والعايد الى الموصول الضمير المحذوف من الصلة ومن قرا ولا تكونوا فانه
على الخطاب والنهى ومن قرا ولا يكونوا بالياء فانه عطف على يخشع وهو منصوب ويجوز
ان يكون مجزوما على النهى للغايب ومن خفف المصدقين والمصدقات فان معناه
ان المومنين والمومنات واما قوله واقرضوا الله قرضا حسنا فهو فى المعنى
كقوله الذين امنوا وعملوا الصالحات لان اقراض الله من الاعمال الصالحة
وحجة من خففه انه اعم من المصدقين الا ترى ان المصدقين مقصور على الصدقة
والمصدقين يعم التصديق والصدقة فهو اذهب فى باب المدح ومن جهة من نقل
انهم زعموا ان فى قراة ابى المتصدقين والمتصدقات ومن حجتهم ان قوله واقرضوا
الله قرضا حسنا اى اعتراض بين الخبر والمخبر عنه والاعتراض بمنزلة الصفة
فهو للصدقة اشد ملائمة منه للتصديق وليس التخفيف كذلك ومن حجة
من خفف ان يقول لا يحمل قوله واقرضوا الله على الاعتراض ولكنا نعطفه على
المعنى الا ترى ان قوله ان المصدقين والمصدقات معناه ان الذين صدقوا
فكانه فى المعنى ان المصدقين واقرضوا فحمل واقرضوا الله على المعنى لما كان معنى
المصدقين الذين صدقوا فكانه قال ان الذين صدقوا فاقرضوا اللغة انى يانى
انى اذا حان والخشوع لين القلب للحق والانقياد له ومثله الخضوع والحق ما دعا
اليه العقل وهو الذى من عمل به نجا ومن عمل بخلافه هلك والحق مطلوب كل عاقل
فى نظره وان اخطا طريقه والقسوة غلظ القلب بالجفاء عن قبول الحق والاباء لوقت الممتد

وهو المدح واحد والمنح خلاف البنت   قيل ان قوله المر يان للذين
امنوا الاية نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سالوا سلمان الفارسي
ذات يوم فقالوا حدثنا عما في التورية فان فيها العجايب فنزلت الر تلك
آيات الكتاب المبين الى قوله لمن الغافلين فخبرهم ان هذا القران احسن القصص
وانفع لهم من غيره فكفوا عن سوال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسالوا سلمان
عن مثل ذلك فنزل الله نزل احسن الحديث كتابا فكفوا عن سوال سلمان ما شاء الله
ثم عادوا فنزلت هذه الاية عن الكلبي ومقاتل وقيل نزلت في المومنين قال ابن مسعود
ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين فجعل المومنون
يعاتب بعضهم بعضا وقيل ان الله استبطا قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلث
عشرة سنين من نزول القرآن بهذه الاية عن ابن عباس وقيل كانت الصحابة بمكة
مجدبين فلما هاجروا واصابوا الريف والنعمة فتغيروا عما كانوا عليه فقست قلوبهم
والواجب ان يزدادوا الايمان واليقين والاخلاص في طول صحبة الكتاب عن كعب بن
ثم دعاهم سبحانه الى الطاعة بقوله المريان للذين امنوا اي ما حان للمومنين
ان تخشع قلوبهم اي ترق وتلين قلوبهم لذكر الله اي لما يذهل بذكرهم الله به
من مواعظ وما نزل من الحق يعني القران ومن شدد فالمراد ما نزل الله من الحق
ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى اي من قبل فطال عليهم
الامد اي طال الزمان بينهم وبين انبيائهم وقيل طال عليهم الامد للجزاء اي بعدوا
بالجزاء فاغتروا بذلك فقست قلوبهم اي فغلظت قلوبهم وزال خشوعها
ومرنوا على المعاصي واعتادوها وقيل طالت اعمارها وساءت اعمالهم فقست
قلوبهم وينبغي ان يكون هذا متوجها الى جماعة مخصوصة لم يوجد منهم الخشوع
التام فحضوا على الرقة والخشوع واما من وصفهم الله تعالى بالخشوع والرقة
والرحمة فطبقة من المؤمنين فوق هولاء عن الزجاج ومن كلام عيسى عليه السلام
لا يكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم فان القلب القاسي بعيد من الله

ولا ينظروا

ولا ينظروا في ذنوب العباد كانكم ارباب وانظروا في ذنوبكم كانكم عبيد والناس رجلان
مبتلى ومعافى فارحموا اهل البلاء واحمدوا الله على العافية وكثير منهم فاسقون
اي خارجون عن طاعة الله تعالى الى معصيته فلا تكونوا مثلهم فيحكم الله فيكم بمثل ما حكم
فيهم ثم قال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها اي يحييها بالنبات بعد اليبس
والجدوبة فكذلك يحيي الكافر بالهدى الى الايمان بعد موته بالضلال والكفر
بان يلطف له ما يؤمن عنده وقيل معناه اعلموا ان الله يلين القلوب بعد قسوتها
بالالطاف والتوفيقات قد بينا لكم الايات اي الحجج الواضحات والدلايل الباهرات
لعلكم تعقلون فترجعون الى طاعتنا وتعملون بما امرناكم به ان المصدقين و
المصدقات قد مضى الوجه في اختلاف القراتين ومعناهما واقرضوا الله قرضا
حسنا اي وانفقوا في وجوه الخير يضاعف لهم ذلك القرض الحسن اي يجازون امثال
ذلك ولهم اجر كريم مر معناه والذين امنوا بالله ورسله اي صدقوا بتوحيد الله
واقروا بنبوة رسله اولئك هم الصديقون قال مجاهد كل من امن بالله ورسله
فهو صديق شهيد وقرا هذه الاية وعن الحرث بن المغيرة قال كنا عند ابي جعفر
فقال العارف منكم هذا الامر منتظر له المحتسب فيه الخير كمن جاهد والله مع قائم
آل محمد بسيفه ثم قال بل والله كمن جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله بسيفه
ثم قال الثالثة بل والله كمن استشهد مع رسول الله في فسطاطه وفيكم اية من كتاب
الله قلت واي آية جعلت فداك قال قول الله والذين امنوا بالله ورسله اولئك
هم الصديقون والشهداء عند ربهم قال صرتم والله صادقين شهداء عند ربكم
وقيل الشهداء منفصل مما قبله مستانف والمراد بالشهداء الانبياء عليهم السلام
الذين يشهدون للامم وعليهم وهو قول ابن عباس ومسروق ومقاتل بن حيان
واختاره الفراء والزجاج وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله عن مقاتل
وسليمان وابن جرير والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم ستكون
فيها دايمين ثم زهد سبحانه المؤمنين في الدنيا والركون الى لذاتها فقال

اعلموا انما الحيوة الدنيا يعني ان الحيوة في هذه الدنيا لعب ولهو اي بمنزلة اللهو واللعب
قال مجاهد كل لعب لهو وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما الهى عن الاخرة وزينة
يتزينون بها في الدنيا وقيل اراد بذلك انها تحلو في اعين اهلها ثم تبلى سريعا
وتفاخر بينكم اي تفاخر الرجل بها قرينه وجاره عز بعز وتكاثر في الاموال
والاولاد قال مجاهد مما لا يحل له تكاثرا به ويتطاول على اولياء الله بماله وولده
وخدمه والمعنى انه يفنى عمره في هذه الاشياء ثم بين لهذه الحيوة شبها
فقال كمثل غيث اي مطر اعجب الكفار نباته اي اعجب الزراع ما نبت من ذلك
الغيث قال الزجاج ويجوز ان يكون المراد الكفار بالله لان الكافر اشد
اعجابا بالدنيا من غيره ثم يهيج اي ييبس فتراه مصفرا وهو اذا قارب اليبس
ثم يكون حطاما يتحطم ويتكسر بعد يبسه وشرح هذا المثل قد تقدم في سورة
يونس وفي الاخرة عذاب شديد لاعداء الله عن مقاتل ومغفرة من الله ورضوان
لاوليائه واهل طاعته وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لمن اغتر بها ولم يعمل
لاخرته قال سعيد بن جبير متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الاخرة ومن اشتغل
بطلبها فهي له متاع بلاغ الى ما هو خير منه وقيل معناه والعمل للحيوة الدنيا
متاع الغرور وانه لهذه الاشياء التي يتمثل بها في الزوال والفناء قوله عز وجل
سَابِقُوا اِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاۤءِ وَالْاَرْضِ اُعِدَّتْ
لِلَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاۤءُ وَاللّٰهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَا اَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْاَرْضِ وَلَا فِي اَنْفُسِكُمْ اِلَّا فِي كِتَابٍ
مِنْ قَبْلِ اَنْ نَبْرَاَهَا اِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَاْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا
تَفْرَحُوا بِمَا اٰتٰيكُمْ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ اَلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَاْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَاِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ لَقَدْ اَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
بِالْبَيِّنَاتِ وَاَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَاَنْزَلْنَا
الْحَدِيدَ فِيهِ بَاْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّٰهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ

بالغيب

بِالْغَيْبِ اِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ خمس آيات القراءة قرأ ابو عمرو بما اتاكم مقصورا والباقون
بالمد وقرأ اهل المدينة والشام فان الله الغني الحميد كانهم وجدوا في مصاحفهم
كذلك والباقون فان الله هو الغني الحميد باثبات هو وكذلك هو في مصاحفهم
الحجة قال ابو علي حجة من قصر اتاكم انه يعادل به فاتكم فكما ان الفعل الفاتت
في قوله فاتكم يكون الفعل الذي في قوله بما اتاكم قال الشاعر شعر ولا فرح
بخير ان اتاه ولا جزع من الحدثان لاع وحجة من مد ان الخير الذي
ياتيهم هو من عند الله تعالى وهو المعطي لذلك وفاعل اتاكم هو الضمير العائد
الى اسم الله والهاء محذوفة من الصلة تقديره بما اتاكموه وقوله ان الله
هو الغني الحميد ينبغي ان يكون هو فصلا ولا يكون مبتدأ لان الفصل حذفه
اسهل الا ترى انه لا موضع للفصل من الاعراب قد يحذف فلا يخل بالمعنى اللغة
اعدت مشتقة من العدد والاعداد وضع الشيء لما يكون في المستقبل على ما تقتضيه
من عدد الامر الذي له والفضل والافضال والتفضل واحد وهو النفع
الذي كان للقادر ان يفعله بغيره وله ان لا يفعله والاسى الحزن والتاسي
تخفيف الحزن بالمشاركة في حاله الاعراب في كتاب يتعلق بمحذوف نظيره الا هو كائن
في كتاب فهو في محل الرفع بانه خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يتعلق بفعل
محذوف تقديره الا قد كتبت في كتاب فيكون الجار والمجرور في موضع نصب
على الحال اي الا مكتوبا لكيلا تاسوا منصوب بنفس كي واللام هي اللام الجارة
الذين يبخلون في موضع الجر على البدل من مختال فخور فعلى هذا لا يجوز الوقف
على فخور ويجوز ان يكون محله رفعا على الابتداء ويكون خبره محذوفا كما حذف
جواب لو من قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال ويكون التقدير الذين
يبخلون فانهم يستحقون العذاب ويجوز ان يكون محله رفعا ونصبا على الذم
المعنى ثم رغب سبحانه في المسابقة لطلب الجنة فقال سابقوا اي بادروا بالعوارض
القاطعة من الاعمال الصالحة وسارعوا الى ما يوجب الفوز في الاخرة الى مغفرة

من ربكم قال الكلبي في التورية وقيل الى الصف الاول وقيل الى النبي وجنة عرضها كعرض
السماء والارض اي وسابقوا الى استحقاق ثواب جنة هذه صفتها وذكر في ذكر
العرض دون الطول وجوه احدها ان عظم العرض يدل على عظم الطول والا
ان الطول قد يكون بلا عرض ولا يكون عرض بلا طول وثالثها ان المراد به ان
العرض مثل السموات والارض وطولها لا يعلمه الا الله تعالى وقال الحسن ان الله
يفني الجنة ويعيدها على ما وصفه فلذلك صح وصفها بان عرضها كعرض السماء
والارض وقال غيره ان الله قال عرضها كعرض السماء والارض والجنة المخلوقة
في السماء السابعة فلا ينافي اعدت للذين امنوا اي ادخرت وهيئت للمؤمنين
بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء معناه انه يجري الدائم الباقي
على القليل الفاني ولو اقتصر في الجزاء على قدر ما يستحق بالاعمال كان عدلا منه
لكنه تفضل بالزيادة وقيل معناه ان احدا لا ينال خيرا في الدنيا والاخرة
الا بفضل الله فانه سبحانه لو لم يدعنا الى الطاعة ولم يبين لنا الطريق
ولم يوفقنا للعمل الصالح لما اهتدينا فذلك كله من فضل الله وايضا
فانه سبحانه تفضل بالاسباب التي يفعل بها الطاعة من التمكين والالطاف
وكمال العقل وعرض المكلف للثواب فالثواب ايضا تفضل وهو السبب الموصل
الى الثواب وقال ابو القسم البلخي والبغداديون من اهل العدل ان الله سبحانه
لو اقتصر لعباده في طاعاتهم على مجرد احساناته السالفة اليهم لكان عدلا
فلذلك جعل سبحانه الثواب والجنة فضلا وفي هذه الاية اعظم رجاء لاهل الايمان
لانه ذكر ان الجنة معدة للمؤمنين ولم يذكر مع الايمان شيئا اخر والله ذو الفضل
العظيم اي ذو الافضال العظيم والاحسان الجسيم الى عباده ثم قال ما اصاب من مصيبة
في الارض مثل قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار ولا في انفسكم من الامراض والثكل
بالاولاد الا في كتاب يعني الا وهو مثبت مذكور في اللوح من قبل ان نبراها اي من قبل
ان يخلق الانفس المعنى انه سبحانه اثبتها في اللوح المحفوظ لتستدل ملائكته به على انه

عالم لذاته يعلم الاشياء بحقايقها ان ذلك على الله يسير اي اثبات ذلك على كثرته
هين على الله يسير سهل غير عسير ثم بين سبحانه لم فعل ذلك فقال لكيلا تأسوا
على ما فاتكم اي فعلنا ذلك لئلا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا
بما اتاكم اي بما اعطاكم الله منها والذي يوجب نفي الاسى والفرح من هذا ان
الانسان اذا علم ان ما فات منها ضمن الله تعالى العوض عليه في غيره فلا ينبغي ان يحزن
لذلك واذا علم ان ما ناله منها كلف الشكر عليه والحقوق الواجبة فيه فلا ينبغي
ان يفرح به وايضا فاذا علم ان شيئا منها لا يبقى فلا ينبغي ان يهتم له بل يجب ان يهتم
بالامر الاخرة التي تدوم ولا تبيد وفي هذه الاية اشارة الى اربعة اشياء حسن الخلق
لان من استوى عنده وجود الدنيا وعدمها لا يحسد ولا يعادي ولا يتشاح فان
هذه من اسباب سوء الخلق وهي من نتايج حب الدنيا وثانيها استحقار
الدنيا واهلها اذا لم يفرح بوجودها ولم يحزن لعدمها وثالثها
تعظيم الاخرة لما ينال فيها من الثواب الدايم الخالص من الشوايب ورابعها
الافتخار بالله دون اسباب الدنيا ويروى ان علي بن الحسين عليهما السلام جاءه
رجل فقال له ما الزهد فقال الزهد عشرة اجزاء فاعلى درجة الزهد ادنى درجة
الورع واعلى درجة الورع ادنى درجة اليقين واعلى درجة اليقين ادنى
درجة الرضا وان الزهد كله في اية من كتاب الله لكيلا تأسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور وقيل مالك ايها الحكيم
لا تأسف على ما فات ولا تفرح بما هو آت فقال لان الفايت لا يتلافى بالعبرة
والاتي لا يستدام بالحبرة وعن عبد الله بن مسعود قال لان الحس جمرة احرقت
ما احرقت وابقت ما ابقت احب الي من ان اقول لشيء كان ليته لم يكن او لشيء
لم يكن ليته كان والله لا يحب كل مختال فخور اي متكبر بما اوتي فخور على الناس
بالدنيا الذين يبخلون بمنع الواجبات ويأمرون الناس بالبخل وفي الحديث
ان النبي صلى الله عليه واله سال عن سيد بني عوف فقالوا جد بن قيس على انه ر

بالبخل فقال جدّ وای داء ادوی من البخل سيدكم البراء ابن معرور ومعنی
يرد بينهم ويفرق ومن يتولّ ای اعرض عما دعاه الله اليه فان الله هو الغنی
عن طاعته وصدقته الحميد في جميع افعاله ثم اقسم سبحانه فقال لقد ارسلنا
رسلنا بالبينات ای بالدلايل المعجزات وانزلنا معهم الكتاب المكتوب الذی
يتضمن الاحكام وما يحتاج الخلق اليه من الحلال والحرام كالتورية والانجيل
والقرآن والميزان ای وانزلنا معهم من السّماء الميزان ذو الكفتين الذی
يوزن به عن ابن زيد والجبائی ومقاتل بن سليمان وقيل معناه انزلنا صفة
الميزان ليقوم الناس في معاملاتهم بالقسط ای بالعدل والمراد وامرنا بالعدل
كقوله الذی انزل الكتاب بالحق والميزان عن قتاده ومقاتل بن حيان وانزلنا
الحديد روی ابن عمر عن رسول الله صلی الله عليه وآله قال ان الله عزوجل انزل
اربع بركات من السماء الی الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وقال
اهل المعانی معنی انزلنا الحديد انشاناه واحدثناه كقوله وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج والی هذا ذهب مقاتل فكان معناه بامرنا كان الحديد وقال قطرب
معنی انزلنا هنا هيانا وخلقنا من النزول وهو ما هياه للضيف ای انعمنا بالحديد
وهياناه لكم وقيل انزل مع ادم من الحديد العلاة وهی السندان والكلبتان
والمطرقة عن ابن عباس فيه باس شديد ای يمتنع به ويحارب به عن الزجاج
والمعنی انه يتخذ منه آلة للدفع وآلة للضرب كما قال مجاهد فيه جنة
وسلاح ومنافع للناس يعنی ما ينتفعون به في معاشهم مثل السكين والفاس
والابرة وغيرها مما يتخذ من الحديد من الالات وقوله وليعلم الله من ينصره
ورسله بالغيب معطوف علی قوله ليقوم الناس بالقسط ای ليتعاملوا بالعدل
وليعلم الله نصره من ينصره موجودا وجهاده من جاهد مع رسله موجودا
وقوله بالغيب ای بالعلم الواقع بالاستدلال والنظر من غير مشاهدة بالبصر
ان الله قوی علی الانتقام من اعدائه عن ابن ابی منيع من ان يعترض عليه

فی ارضه

فی ارضه وسلطانه النظم وجه اتصال قوله ما اصاب من مصيبة الآية بما قبلها
انه سبحانه لما بين الثواب علی الطاعات عقبه ببيان الاعراض علی مقاساة
المصايب في المهمات فقال لا يذهب علينا عوض من اصابته مصيبة ما فان كانت
من فعلنا فعوضه بالاضعاف من جزائنا وان كان من فعل عبادنا فباستيفائنا
لانه اذا الاسی والحزن فان الحزن كل الحزن في الخسران الذی ليس له جبران ثم عقب
ذلك بقوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات الآية فبين انه سبحانه لطف لعباده بما يدعوا
الی الخشوع والخضوع وترك الخيلاء قوله عزوجل ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون
ثم قفينا علی آثارهم برسلنا وقفينا بعيسی ابن مريم وآتيناه الانجيل
وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا
الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا
تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون
علی شیء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم اربع آيات اللغة التقفية جعل الشیء في اثر شیء علی الاستمرار
فيه والرهبانية اصله من الرهبة وهی الخوف الا انها عبارة مختصة بالنصاری
لقول النبی صلی الله عليه وآله لا رهبانية في الاسلام والابتداع ابتداء امر لم يحذ
فيه علی مثال ومنه البدعة اذ هی احداث امر علی خلاف السنة والكفل الحظ ومنه
الكفل الذی يكتفل به الراكب هو كساء ونحوه يحويها علی الابل اذا ارتدف
فيه فيحفظه من السقوط ففيه حظ من التحرز من الوقوع الاعراب رهبانية
منصوب بفعل مضمر يفسره قوله ابتدعوها التقدير وابتدعوا رهبانية
ابتدعوها وقوله ما كتبناها عليهم في محل النصب لانه صفة الرهبانية ابتغاء

رضوان الله نصب لانه بدل من ها في كتبناها والتقدير كتبناها عليهم الرهبانية
ولا في لئلا يعلم زايده وان في ان لا يقدرون في مخففه من الثقيلة واسمه
محذوف وتقديره انهم لا يقدرون ولا ههنا تدل على الاضمار في ان مع تخفيف
ان المعنى ثم عطف على ما تقدم عن ذكر الانبياء بقصة ابرهيم ونوح فقال
سبحانه ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وانما خصهما بالذكر لفضلهما ولانهما
ابوا الانبياء وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب يعني ان الانبياء كلهم
من نسلهما وذريتهما وعليهم انزل الكتاب ثم اخبر عن حال ذريتهما فقال
فمنهم مهتد الى طريق الجنة وكثير منهم فاسقون اي خارجون من طاعة الله الى معصيته
ثم قفينا على اثارهم برسلنا اي ثم اتبعنا بالارسال على اثارهم من ذكرناهم من الانبياء
برسل اخرين الى قوم اخرين وانفذناهم رسولا بعد رسول وقفينا بعيسى ابن مريم
بعدهم فارسلناه رسولا وآتيناه الانجيل اي واعطينا عيسى بن مريم الانجيل
وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه في دينه يعني الحواريين واتباعهم اتبعوا عيسى ع
رافة وهي اشد الرقة والرحمة ورحمة وانما اضاف الرافة عليه وقيل لانه خلق في قلوبهم
الرافة والرحمة وانما مدحهم على ذلك وان كان من فعله لانهم تعرضوا لهما
ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم وهي الخصلة من العبادة يظهر فيها
معنى الرهبة اما في لبس او انفراده عن الجماعة او غير ذلك من الامور التي يظهر
فيها نسك صاحبه والمعنى ابتدعوا رهبانية لم نكتبها عليهم وقيل ان الرهبانية
التي ابتدعوها هي رفض النساء واتخاذ الصوامع عن قتادة قال والتقدير
رهبانية ما كتبناها عليهم الا انهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها
حق رعايتها وقيل الرهبانية التي ابتدعوها لحاقهم بالبراري والجبال في خبر
مرفوع عن النبي صلى الله عليه وآله فما رعاها الذين بعدهم حق رعايتها وذلك
تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وآله عن ابن عباس وقيل ان الرهبانية هي الانقطاع عن
الناس للانفراد بالعبادة ما كتبناها اي ما فرضناها عليهم وقال الزجاج ان تقديره

ما كتبناها

ما كتبناها عليهم ما كتبنا عليهم الا ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان
الله اتباع ما امر به فهذا وجه قال وفيها وجه آخر جاء في التفسير انهم
كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه فاتخذوا اسرابا وصوامع
وابتدعوا ذلك فلما الزموا انفسهم ذلك التطوع ودخلوا عليه لزمهم
تمامه كما ان الانسان اذا جعل على نفسه صوما لم يفرض عليه لزمه ان يتمه
قال وقوله فما رعوها حق رعايتها على ضربين احدهما ان يكونوا قصروا
فيما الزموه انفسهم والاخر وهو الاجود ان يكونوا حين بعث النبي صلى الله
عليه وآله فلم يؤمنوا به كانوا تاركين لطاعة الله فما رعوا تلك الرهبانية
حق رعايتها ودليل ذلك قوله فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم يعني الذين
آمنوا للنبي صلى الله عليه وآله وكثير منهم فاسقون اي كافرون انتهى كلام
الزجاج ويعضد هذا ما جاءت به الرواية عن ابن مسعود قال كنت رديف
رسول الله صلى الله عليه وآله على حمار فقال يا ابن ام عبد هل تدري
من اين احدثت بنو اسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت
عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بمعاصي الله فغضب اهل الايمان فقاتلوهم
فهزم اهل الايمان ثلث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء
افنونا ولم يبق للدين احد يدعوا اليه فتعالوا نتفرق في الارض الى ان يبعث
الله النبي الذي وعدنا عيسى يعنون محمدا فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا
رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الاية ورهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم الى آخرها ثم قال يا ابن ام عبد تدري ما رهبانية امتي قال
الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلوة والصوم والحج والعمرة وعن ابن
مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا ابن مسعود اختلف من كان
قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها اثنتان وهلك سايرهن فرقة قاتلوا الملوك
على دين عيسى فقتلوهم وفرقة لم يكن لهم طاقة لموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرا

بينهم يدعونهم والى دين الله تعالى ودين عيسى فساحوا فى البلاد وترهبوا وهم الذين
قال الله لهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم قال النبى صلى الله عليه وآله
من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فاولئك
هم الهالكون ثم قال سبحانه يا ايها الذين آمنوا اى اعترفوا بتوحيد الله وصدقوا
بموسى وعيسى اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وآله عن ابن عباس
وقيل معناه يا ايها الذين آمنوا ظاهرا آمنوا باطنا يؤتكم كفلين اى يعطكم
نصيبين من رحمته نصيبا بايمانكم بمن تقدم من الانبياء ونصيبا لايمانكم
بمحمد صلى الله عليه وآله عن ابن عباس ويجعل لكم نورا تمشون به يستحق الضياء الذى
يمشى به يوم القيمة عن ابن عباس ويغفر لكم اى يستر عليكم ذنوبكم والله غفور
رحيم قال سعيد بن جبير بعث رسول الله م جعفرا فى سبعين راكبا الى النجاشى يدعوه
فقدم عليه ودعاه فاستجاب له وآمن به فلما كان عند انصرافه قال ناس ممن آمن
به من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ائذن لنا فنأتى هذا النبى صلى الله عليه وآله
فنسلم به فقدموا مع جعفر فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا
رسول الله وقالوا يا نبى الله ان لنا اموالا ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة
فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا المسلمين بها فاذن لهم فانصرفوا
فاتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين فانزل الله تعالى فيهم الذين آتيناهم الكتاب
من قبله هم به يؤمنون الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فكانت النفقة التى
واسوا بها المسلمين فلما سمع اهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله اولئك يؤتون
اجرهم مرتين بما صبروا فخروا على المسلمين فقالوا يا معشر المسلمين اما من آمن
منا بكتابكم وكتابنا فله اجر كاجوركم فما فضلكم علينا فنزل يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله الاية فجعل لهم اجرين وزادهم النور والمغفرة
ثم قال لئلا يعلم اهل الكتاب قال الكلبى كان هؤلاء اربعة وعشرين رجلا قدموا
من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بمكة لم يكونوا يهودا ولا نصارى

وكانوا

وكانوا على دين الانبياء فاسلموا فقال لهم ابو جهل بئس القوم انتم والوفد لقومكم
فردوا عليه وما لنا لا نؤمن بالله الاية فجعل الله لهم ولمؤمنى اهل الكتاب عبد الله
بن سلام واصحابه اجرين اثنين فجعلوا يفخرون على اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وآله ويقولون نحن افضل لنا اجران ولكم اجر واحد فنزل لئلا يعلم
اهل الكتاب الى اخر السورة وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال
من كانت له امة يعلمها فاحسن تعليمها وادبها فاحسن تاديبها فاعتقها وتزوجها
فله اجران وايما رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وآله
فله اجران وايما مملوك ادى حق الله وحق مواليه فله اجران اورده البخارى
فى الصحيح لئلا يعلم اى لان يعلم ولا مزيدة اهل الكتاب يعنى الذين لم يؤمنوا بمحمد
صلى الله عليه وآله وحسدوا المؤمنين منهم ان لا يقدرون على شىء من فضل
الله وان هذه هى المخففة من الثقيلة والتقدير انهم لا يقدرون على شىء
من فضل ومعناه جعلنا الاجرين لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وآله ليعلم الذين
لم يؤمنوا انهم لا اجر لهم ولا نصيب لهم فى فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء فاتى المؤمنين منهم اجرين والله ذو الفضل العظيم يتفضل على من يشاء
من عباده بالمؤمنين وقيل ان المراد بفضل الله هنا النبوة اى لا يقدرون
على نبوة الانبياء ولا على صرفها عمن شاء الله ان يخصه بها فيصرفوها عن محله
الى من يحبونه بل هى بيد الله يعطيها من يشاء ممن هو اهلها ويعلم انه يصلح لها وقيل
انما يدخل لا صلة فى كل كلام دخل فى اخره او اوله جحد وان لم يكن مصرحا به
نحو قوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون
وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون عن الفناء وقيل ان لا هنا فى حكم
الثبات والمعنى لان لا يعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون ان يؤمنوا لان من لا يعلم
انه لا يقدر يعلم انه يقدر فعلى هذا يكون المراد لكى يعلموا انهم يقدرون على
ان يؤمنوا فيحوزوا الفضل والثواب وقيل ان معناه لئلا يعلم اليهود والنصارى

ان النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنون لا يقدرون على ذلك فقد علموا انهم لا يقدرون
عليه اي منتم كما امركم الله اتاكم الله من فضله فعلم اهل الكتاب ذلك لم يعلموا
اختلافه وعلى هذا فالضمير في يقدرون ليس لاهل الكتاب قال ابو سعيد السيرا
فی معناه ان الله يفعل بكم هذا فالضمير في يقدرون ليس لاهل الكتاب قال ابو سعيد
هذه الاشياء لئلا يعلم اي ليتبين جهل اهل الكتاب انهم لا يعلمون انما يؤتيكم الله
من فضله لا يقدرون على تغيره وازالته عنكم ففي هذه الوجوه لا يحتاج الى زيادة لا

سورة المجادلة مدنية عدد آيها احدى وعشرون آية مكي والمدني الاخير وآيتان
في الباقين اختلافها آية في الاولين غير المكي والمدني الاخير فضلها ابي بن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قرأ سورة المجادلة كتب من حزب
الله يوم القيمة تفسيرها لما ختم الله سورة الحديد بذكر فضله على من يشاء
من عباده افتتح هذه السورة بذكر بيان فضله في اجابة الدعوة كما اجاب
دعاء تلك المراة فقال بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ
إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ
أَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ خمس آيات القراءة قرأ عاصم
يظاهرون بضم الياء وقرأ اهل البصرة وابن كثير يظّهرون بتشديد الظاء
والهاء وفتح الياء وقرأ الباقون يظّاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء وروى

عن بعضهم

عن بعضهم ما هن امهاتُهم برفع التاء الحجة قال ابو علي ظاهر من امراته وظهر مثل
ضاعف وضعّف وتدخل التاء على كل واحد منهما فتصير تظاهر وتظهّر ويدخل
حرف المضارعة فتصير يتظاهر ويتظهّر ثم يدغم التاء في الظاء لمقاربتها
فتصير يظّاهر ويظّهر بفتح الياء التي هي حرف المضارعة لانها للمطاوعة
كما بفتحها في يتدحرج الذي هو مطاوع دحرجته فتدحرج ووجه الرفع في قوله
ما هن امهاتُهم انه لغة تميم قال سيبويه وهو اقيس الوجهين وذلك ان النفي
كالاستفهام فكما لا يغير الاستفهام الكلام عما كان عليه في الواجب ينبغي ان لا يغير
النفي عما كان عليه في الواجب ووجه النصب انه لغة اهل الحجاز والاخذ بلغتهم
في القرآن اولى وعليها جاء ما هذا بشرا الاشتكاء اظهار ما بالانسان من
مكروه والشكاية اظهار ما يصنع به غيره من المكروه والتحاور التراجع
وهي المحاورة يقال حاوره اي راجعه الكلام وتحاورا قال عنترة شعر
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي المحادّة المخا لفة
واصله من الحد وهو المنع ومنه الحد الحاجز بين الشيئين قال النابغة شعر
الا سليمان اذ قال المليك له قم في البرية فاحددها عن الفند الكبت مصدر
كبت الله العدو اي اذله واخزاه النزول نزلت الآيات في امراة من الانصار ثم من
الخزرج واسمها خوله بنت خويلد عن ابن عباس وقيل خوله بنت ثعلبة عن قتاده
والمقاتلين وزوجها اوس بن الصامت وذلك انها كانت حسنة الجسم
فرآها زوجها ساجدة في صلوتها فلما انصرفت ارادها فابت عليه فغضب
عليها وكان امرء فيه سرعة ولمم فقال انت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان
الظهار في طلاق اهل الجاهلية فقال لها ما اظنك الا وقد حرمت علي فقالت
لا تقل ذلك وائت رسول الله صلى الله عليه وآله فاسئله فقال اني اجدني استحيي منه
ان اسئله عن هذا قالت فدعني اسئله فقال سليه فاتت النبي صلى الله عليه وآله
وعائشة تغسل شق راسه فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت

زوجني وانا شابة غانية ذات مال واهل حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي وتفرق
اهلي وكبرت سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه تنعشني به فقال
صلى الله عليه وآله ما اراك الا حرمت عليه فقالت يا رسول والذي انزل عليك
الكتاب ما ذكر طلاقا وانه ابو ولدي واحب الناس الي فقال صلى ما اراك الا حرمت
عليه ولم اؤمر في شانك بشيء فجعلت تراجع رسول الله واذا قال لها رسول الله
حرمت عليه هتفت قالت اشكو الى الله فاقتي وحاجتي وشدة حالي اللهم فانزل
على لسان نبيك وكان هذا اول ظهار في الاسلام فقامت عايشة تغسل شق
راسه الاخر فقالت انظر في امري جعلني الله فداك يا نبي الله فقالت عايشة
اقصري حديثك ومجادلتك اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وآله
اذا انزل عليه اخذه السبات فلما قضي الوحي قال ادعي زوجك فتلا عليه رسول
الله صلى الله عليه وآله قد سمع الله الايات قالت عايشة تبارك الذي
وسع سمعه الاصوات كلها ان المراة لتحاور رسول الله صلى الله عليه وآله
وانا في جنب البيت اسمع بعض كلامها ويخفى علي بعضه اذ انزل الله قد سمع الله
فلما تلا عليه هذه الايات قال له هل تستطيع ان تعتق رقبة قال اذا يذهب مالي كله
والرقبة غالية واني قليل المال فقال له صلى الله عليه وآله فهل تستطيع ان تصوم شهرين
متتابعين قال والله يا رسول الله اني اذا لم اكل في اليوم ثلث مرات كل بصري
وخشيت ان تغشى عيني قال فهل تستطيع ان تطعم ستين مسكينا قال لا والله
الا ان تعينني على ذلك يا رسول الله فقال اني معينك بخمسة عشر صاعا وانا داع
لك بالبركة فاعانه رسول الله صلى الله عليه وآله بخمسة عشر صاعا واجتمع لهما امرهما

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها عن ابي العالية وتشتكي الى الله
اي تظهر شكواها وما بها من المكروه فتقول اللهم انك تعلم حالي فارحمني
فان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا والله يسمع
تحاوركما اي تخاطبكما ومراجعتكما الكلام ان الله سميع بصير يسمع المسموعات

ويرى المرئيات والسميع البصير من هو على حالة تجب لاجلها ان يسمع المسموعات ويبصر
المبصرات اذا وجدنا وذلك يرجع الى كونه حيا لا آفة به ثم قال سبحانه ذم الظهار
الذين يظاهرون منكم من نسائهم اي يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا
ما هن امهاتهم اي ما اللواتي يجعلونهن من الزوجات كالامهات بامهات
اي ليس بامهاتهم الا اللائي ولدنهم اي ما امهاتهم الا الوالدات وانهم يعني المظاهرين
ليقولون منكرا من القول اي لا يعرف في الشرع وزورا اي كذبا لان المظاهر اذا جعل
ظهر امراته كظهر امه وليست كذلك كان كاذبا وان الله لعفو غفور عفا عنهم وغفر لهم
وامرهم بالكفارة ثم بين سبحانه حكم الظهار فقال والذين يظاهرون من نسائهم
يعني الذين يقولون القول الذي حكيناه ثم يعودون لما قالوا اختلف المفسرون
والفقهاء في معنى العود هنا فقيل انه العزم على وطيها عن قتادة وهو مذهب
مالك وابي حنيفة وقيل العود هو ان يمسكها بالعقد ولا يتبع الظهار بطلاق
وذلك انه اذا ظاهر منها فقد قصد التحريم فان وصل ذلك بالطلاق فقد جرى
على ما ابتداه ولا كفارة واذا سكت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلق
فيه فذلك الندم على ما ابتداه وهو عود الى ما كان عليه فحينئذ تجب الكفارة وهذا
مذهب الشافعي واستدل على ذلك بما روي عن ابن عباس انه فسر العود في الاية
بالندم فقال يندمون فيرجعون الى الالفة وقال الفراء يعودون لما قالوا وفيما
قالوا معناه يرجعون عما قالوا يقال عاد لما فعل اي نقض ما فعل ويجوز يقال
عاد لما فعل يريد فعله مرة اخرى وقيل ان العود هو ان يكرر لفظ الظهار عن
ابي العالية وهو مذهب اهل الظاهر واحتجوا بان ظاهر لفظ العود يدل على تكرير القول قال
ابو علي الفارسي ليس في هذا ظاهر كما ادعوا لان العود قد يكون الى شيء لم يكن عليه قبل
وقد سميت الاخرة معادا ولم يكن فيها احد ثم صار اليها وقال الاخفش تقدير
الاية والذين يظهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا ثم يعودون الى نسائهم
فعليهم تحرير رقبة لما نطقوا به من ذكر التحريم والتقديم والتاخير كثير في التنزيل

واما ما ذهب اليه ايمة الهدى من آل محمد عليهم السلم فهو ان المراد بالعود ارادة الوطى
او نقض القول الذى قاله لان الوطى لا يجوز له الا بعد الكفارة ولا يبطل حكم قوله الا
الابعد الكفارة فتحرير رقبة اى فعليهم تحرير رقبة من قبل ان يتماسا اى من قبل ان يجا معها
فيتماسا والتحرير هو ان يجعل الرقبة المملوكة حرة بالعتق بان يقول المالك لمن يملكه
انت حر ذلكم توعظون به اى ذلكم التغليظ فى الكفارة توعظون به اى ان غلظ
الكفارة لكم حتى يتركوا الظهار قاله الزجاج والله بما تعملون خبير اى عليم باعمالكم
فلا يدعوا ما وعظكم به من الكفارة قبل الوطى فيعاقبكم عليه فمن لم يجد فصيام
شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا اى فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين
قبل الجماع والتتابع عند اكثر الفقهاء ان يوالى بين ايام الشهرين الهلاليين او بصوم
ستين يوما وقال اصحابنا اذا صام شهرا ومن الثانى شيئا ولو يوما واحدا ثم افطر
لغير عذر فقد اخطأ الا انه يبنى عليه ولا يلزمه الاستيناف وان افطر قبل ذلك
استانف ومتى بدأ بالصوم وصام بعض ذلك ثم وجد الرقبة لا يلزمه الرجوع اليها
وان رجع كان افضل وقال قوم انه يلزم الرجوع الى العتق قوله فمن لم يستطع فاطعام
ستين مسكينا اى فمن لم يطق الصوم لعلة او كبر فاطعام ستين مسكينا
فعليه اطعام ستين فقيرا لكل مسكين نصف صاع عند اصحابنا فان لم يقدر
فمد ذلك اى افترض ذلك الذى وصفنا لتؤمنوا بالله ورسوله اى لتصدقوا
بما اتى به الرسول وتصدقوا بان الله امر به وتلك حدود الله يعنى ما وصفه
من الكفارات فى الظهار اى هى شرايع الله واحكامه وللكافرين عذاب اليم
اى للجاحدين المتعدين حدود الله عذاب مؤلم فى الآخرة ان الذين يحادون
الله ورسوله اى يخالفون امر الله ويعادون رسوله كبتوا اى اذلوا واخزوا
كما كبت الذين من قبلهم اى كما اخزى الذين من قبلهم من اهل الشرك وقد انزلنا
آيات بينات اى حججا واضحات من القرآن وما فيه من الادلة والبيان وللكافرين
الجاحدين لما انزلناه عذاب مهين يهينهم ويخزيهم فاما الكلام فى مسايل الظهار

دفوعها

دفوعها فى موضعه كتب الفقه قوله عز وجل يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا
احصيه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد الم تر ان الله يعلم ما فى السموات
وما فى الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم
ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة
ان الله بكل شئ عليم الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا
عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جاؤك حيوك
بما لم يحيك به الله ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم
يصلونها فبئس المصير يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون انما
النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله
وعلى الله فليتوكل المؤمنون خمس آيات القراءة قرا ابو جعفر وحده ما تكون بالتاء
والباقون بالياء وقرأ يعقوب وسهل ولا اكثر بالرفع والباقون بالنصب وقرا حمزة ورويس
عن يعقوب وينتجون والباقون يتناجون وقرا رويس ايضا فلا تنتجوا الحجة قال
ابن جنى التذكير فى قوله ما يكون من نجوى ثلثة الا هو الوجه لما هنا من الشياع
وعموم الجنسية كقولك ما جاءنى من امرأة وما حضرنى من جارية واما تكون بالتاء فلا
اعتزام لفظ التانيث حتى كانه قال ما تكون نجوى ثلثة وقوله ولا اكثر بالرفع معطوف على محل
الكلام قبل دخول من فان قوله من نجوى فى محل رفع بانه فاعل يكون ومن زايدة والقراءة
الظاهرة اكثر بالفتح فى موضع الجر وقوله ينتجون يفتعلون من النجوى والنجوى مصدر
كالدعوى والعدوى ومثل ذلك فى قوله انه على فعلى بالتقوى الا انه وفيها مثل
وليست بلام ولما كان مصدرا وقع للجميع على لفظ الواحد فى قوله تعالى اذ يستمعون
اليك واذ هم نجوى اى هم ذوو نجوى وقوله ما يكون من نجوى ثلثة قال ابو على قوله
ثلثة يحتمل جره امرين احدهما ان يكون مجرورا باضافة نجوى اليه كانه ما يكون من سر
ثلثة الا هو رابعهم اى لا يخفى عليه ذلك كما قال الم تعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم

ويجوز ان يكون ثلثة جرا على الصفة على قياس قوله تعالى واذ هم نجوى فيكون المعنى ما يكون
من متناجين ثلثة واما النجى فصفة يقع على الكثرة وكالصديق والرفيق والحميم ومثله
العزى وفي التنزيل خلصوا نجيا واما قول حمزة ينتجون وقول سائرهم يتناجون
قال يفتعلون ويتفاعلون قد يجريان مجرى واحدا ومن ثم قالوا ازدوجوا واعتوروا
فصححوا الواو وان كانت على صورة يجب فيها الاعتلال لما كان به بمعنى تعاودوا
وتزاوجوا كما صح عور وحول لما كان بمعنى افعال ويشهد القراءة حمزة قول
النبي صلى الله عليه وآله في علي عليه السلم لما قال له بعض اصحابه اتناجيه دوننا اما انا
انتجيه بل الله انتجاه   النجوى هي اسرار ما يرفع كل واحد الى الاخر واصله من النجوة
الارتفاع من الارض والنجا الارتفاع في السير والنجاة الارتفاع من البلية
هو رابعهم مبتدا وخبر في محل جر بانه صفة ثلثة ويقول فلان رابع اربعة
اذا كان احد اربعة ورابع ثلثة اذا جعل ثلثة اربعة بكونه معهم ويجوز على هذا ان يقال رابع
ثلثة ولا يجوز رابع اربعة لانه ليس فيه معنى الفعل حسبهم جهنم مبتدا وخبر ويصلونها
في موضع نصب على الحال   قال ابن عباس نزل قوله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى
الاية في اليهود والمنافقين انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المومنين وينظروا
الى المؤمنين ويتغامزون باعينهم فاذا راى المومنون نجواهم قالوا ما نراهم الا وقد
بلغهم عن اقربائنا واخواننا اذا خرجوا في السرايا قتل او مصيبة او هزيمة فيقع
ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فامرهم ان لا
يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا الى مناجاتهم فنزلت   ثم بين
سبحانه وقت ذلك العذاب فقال يوم يبعثهم الله جميعا اي يحشرهم الى ارض المحشر
ويبعثهم احياء فينبئهم بما عملوا اي يخبرهم ويعلمهم بما عملوه من المعاصي في دار الدنيا
احصاه الله عليهم واثبته في كتاب اعمالهم ونسوه والله على كل شيء شهيد ومعناه
انه يعلم الاشياء كلها من جميع وجوهها لا يخفى عليه شيء منها ومنه قوله شهد الله
انه لا اله الا هو اي علم الله ثم بين سبحانه انه يعلم ما يكون في العالم فقال الم تر ان الله

يعلم

يعلم ما في السموات وما في الارض يعني جميع المعلومات والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله
والمراد جميع المكلفين وهو استفهام معناه التقرير اي الم يعلم وقيل الم تر الى
الدلالات المرئية من صنعه الدالة على انه عالم بجميع المعلومات ما يكون من نجوى
ثلثة الا هو رابعهم بالعلم يعني ان نجواهم معلومة عنده كما يكون معلومة عند
الرابع الذي هو معهم وقيل السرار ما كان بين اثنين والنجوى ما كان بين
ثلثة وقال بعضهم النجوى كالحديث سرا كان او علانية وهو اسم للشيء الذي تناجى
به ولا خمسة الا هو سادسهم اي ولا تناجى خمسة الا وهو عالم بسرهم كسادس ولا
ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا المعنى انه عالم باحوالهم وجميع متصرفاتهم
فرادى وعند الاجتماع لا يخفى عليه شيء منها فكانما هو معهم ومشاهد لهم وعلى هذا
يقال ان الله مع الانسان حيث ما كان لانه اذا كان عالما به لا يخفى عليه شيء
من امره حسن هذا الاطلاق لما فيه من البيان فاما ان يكون على طريق المجاورة
فذلك محال لانه من صفات الاجسام وقد دلت الادلة على انه ليس بصفات الاجسام
ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة اي يخبر باعمالهم ان الله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية
الم تر الى الذين نهوا عن النجوى اي الم تعلموا حال الذين نهوا عن المناجاة
واسرار الكلام بينهم دون المسلمين بما يغم المسلمين ويحزنهم وهم اليهود والمنافقون
ثم يعودون لما نهوا عنه يعني الى ما نهوا عنه اي يرجعون الى المناجاة بعد النهي
ويتناجون بالاثم والعدوان في مخالفة الرسول وهو قوله ومعصية الرسول
وذلك انه نهاهم عن النجوى فعصوه ويجوز ان يكون الاثم والعدوان ذلك
السر الذي يجري بينهم لانه شيء يسوء المسلمين ويوصي بعضهم بعضا بترك امر الرسول
والمعصية له واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به وذلك ان اليهود كانوا
ياتون النبي فيقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه انهم يقولون
السلام عليك وكان النبي صلى الله عليه وآله يرد على من قال ذلك فيقول وعليك
وقال الحسن كان اليهود يقولون السام عليك اي انكم ستسامون دينكم هذا وتملونه

فتدعونه ومن قال السام الموت فهو سام للحيوة بذهابها ويقولون في انفسهم
اى يقول بعضهم لبعض قيل معناه انهم لو تكلموا لقالوا هذا الكلام وان لم يكن منهم
قول لولا يعذبنا الله بما يقول اى يقولون لوكان هذا نبيا كما يزعم فلا يعذبنا
الله ولولا يعذبنا الله ولا يستجيب له فينا قوله وعليكم يعنى السام وهو الموت
فقال سبحانه حسبهم اى كافيهم جهنم يصلونها يوم القيمة ويحترقون فيها
فبئس المصير اى فبئس المرجع والمال جهنم لما فيها من انواع العذاب والنكال
ثم نهى المومنين عن مثل ذلك فقال يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا
بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى اى بافعال الخير
والطاعة والخوف من عذاب الله واتقاء معاصى الله واتقوا الله الذى اليه
اى الى جزائه تحشرون يوم القيمة انما النجوى من الشيطان يعنى نجوى المنافقين
والكفار بما يسوء المومنين ويغمهم من وساوس الشيطان وبدعايه واغوايه
يفعل ذلك النجوى ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم شيئا اى نجواهم لا تضرهم
شيئا وقيل ان الشيطان لا يضرهم شيئا الا باذن الله يعنى بعلم الله وقيل بامر الله
لانه سببه بامره وهو الجهاد وخروجهم اليه وقيل بامر الله لانه يلحقهم الالام والامراض
عقيب ذلك وعلى الله فليتوكل المومنون في جميع امورهم دون غيره وقيل الاية
المراد بها احلام المنام التى يراها الانسان فى نوم فيحزنه وورد فى الخبر
عن عبد الله بن مسعود اذا كنتم ثلاثة فلا تتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك
يحزنه وعن ابن عمر عنه صلى الله عليه وآله قال لا تتناج اثنان دون صاحبهما فان
ذلك يحزنه وعن ابن عمر الثالث قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ
لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ
اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا

بين يدى

بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا
قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ خمس ايات
القراة قرا عاصم وحده فى المجالس على الجمع والباقون بالكسر الحجة قال ابو على
فى المجلس زعموا انه مجلس النبى صلى الله عليه وآله واذا كان كذلك فالوجه الافراد
ويجوز ان يجمع على هذا ان يجعل لكل جالس مجلس اى موضع جلوس ويكون المجلس
على ارادة العموم مثل قولهم كثر الدينار والدرهم فيشتمل على هذا جميع المجالس
ومثله قوله ان الانسان لفى خسر وقوله انشزوا اى قوموا والنشز المرتفع من
الارض قال ترى الثعلب الحولى فيها كانه اذا ما علا نشزا حصان مجلل ومنه نشوز
المراة على زوجها وينشزو ينشز مثل يعكف ويعكف ويعرش ويعرش
الفسح الاتساع فى المكان والتوسع والتفسح واحد وقيل فسح له فى المجلس
يفسح فسحا ومكان فسيح وفى صفة النبى صلى الله عليه وآله كان فسيح ما بين المنكبين
اى بعيد ما بينهما لسعة صدره والاشفاق الخوف ورقة القلب والنشوز الارتفاع
عن الشئ بالذهاب عنه قال قتاده كانوا يتنافسون فى مجلس النبى
فاذا راوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجلسهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله
فامرهم رسول الله ع ان يفسح بعضهم لبعض وقال المقاتلون كان رسول الله
فى الصفة وفى المكان ضيق وذلك يوم الجمعة وكان ع يكرم اهل بدر من
المهاجرين والانصار فجاء ناس من اهل بدر وفيهم ثابت بن قيس بن شماس
وقد سبقوا فى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله عليه وآله فقالوا السلام عليك
ايها النبى ورحمة الله وبركاته فرد عليهم السلام ثم سلموا على القوم بعد ذلك
فردوا عليهم فقاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق
ذلك على النبى صلى الله عليه وآله فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار من غير

اهل بدر فقام يا فلان قم يا فلان بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من اهل بدر فشق
ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف الكراهية في وجوههم وقال المنافقون للمسلمين
الستم تزعمون ان صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما عدل على هؤلاء ان قوما اخذوا
مجالسهم واحبوا القرب منه فاقامهم واجلس من ابطاء عنهم مقامهم فنزلت
الاية واما قوله يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول الاية فانها نزلت في
الاغنياء وذلك انهم كانوا ياتون النبي عليه السلام فيكثرون مناجاته فامر الله سبحانه
بالصدقة عند الحاجات فلما راوا ذلك انتهوا عن مناجاته فنزلت آية الرخصة
عن مقاتل بن حيان وقال امير المومنين علي عليه السلام ان في كتاب الله لاية ما عمل بها
احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول
كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم فلما اردت ان اناجي رسول الله صلى الله
عليه وآله قدمت درهما فنسختها الاية الاخرى ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي
نجواكم صدقات الاية وقال علي ع بي خفف الله عن هذه الامة لم ينزل في احد
قبلي ولم ينزل في احد بعدي وقال ابن عمر كان لعلي عليه السلام ثلثة لو كانت لي واحدة
منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية
النجوى وقال مجاهد وقتاده لما نهوا عن مناجاته عليه السلام حتى يتصدقوا لم يناجه احد
الا علي بن ابي طالب عليه السلام قدم دينارا فتصدق به ثم نزلت الرخصة ⁂ لما قدم
سبحانه النهي عن النجوى لما فيه من ايذاء المومنين عقبه بالامر بالتفسح لما في
تركه من ايذائهم ايضا فقال يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس
اي توسعوا فيه وهو مجلس النبي صلى الله عليه وآله عن قتاده ومجاهد وقيل المراد
به مجالس الذكر كلها فافسحوا يفسح الله لكم اي فتوسعوا يوسع الله لكم مجالسكم
في الجنة واذا قيل لكم انهضوا الى الصلوة والجهاد وعمل الخير فانشزوا ولا تقصروا
عن مجاهد وقيل معناه واذا قيل لكم ارتفعوا في المجلس وتوسعوا للداخل فافعلوا
فان الرسول لا يقرب لا يرفع الا باذن الله تعالى وامره وقيل معناه واذا نودي للصلوة

فانهضوا

فانهضوا فان رجالا كانوا يتثاقلون عن الصلوة عن عكرمة والضحاك وقيل نزلت
في قوم كانوا يطيلون المكث عند رسول الله ص فيكون كل واحد منهم يحب ان يكون
آخر خارج فامرهم الله تعالى ان ينشزوا اي يقوموا اذا قيل لهم انشزوا يرفع الله
الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس يرفع الذين
اوتوا العلم من المومنين على الذين لم يوتوا العلم درجات وقيل معناه لكي
يرفع الذين امنوا منكم بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله درجة والذين
اوتوا العلم بفضل علمهم وسابقتهم درجات في الجنة وقيل درجات في مجلس النبي
صلى الله عليه وآله فامر الله سبحانه ان يقرب العلماء من نفسه فوق المومنين الذين
لا يعلمون العلم ليبين فضل العلماء على غيرهم وفي هذه الاية دلالة على فضل العلماء
وجلالة قدرهم وقد روي ايضا في الحديث انه قال عليه السلام فضل العالم على الشهيد
درجة وفضل الشهيد على العابد درجة وفضل النبي على العالم درجة وفضل
القرآن على ساير الكتب كفضل الله على ساير خلقه وفضل العلماء على ساير خلقه
كفضلي على ادناهم رواه جابر بن عبد الله وقال علي عليه السلام من جاءته منيته وهو
يطلب العلم فبينه وبين الانبياء درجة والله بما تعملون خبير اي عليم بما ثم خاطب سبحانه
المومنين مرة اخرى فقال يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة اي اذا ساررتم الرسول فقدموا قبل ان تساروه
صدقة واراد بذلك تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وان يكون ذلك سببا لان
يتصدقوا فيوجروا تخفيفا عنه عليه السلام قال المفسرون فلما نهوا عن المناجاة حتى
يتصدقوا تاخر كثير من الناس فكفوا عن المسئلة فلم يناجه احد الا علي بن ابي
طالب عليه السلام على ما مضى ذكره قال مجاهد وما كان الا ساعة وقال مقاتل بن حيان
كان ليالي عشرا ثم نسخت بما بعدها وكانت الصدقة مفوضة اليهم غير مقدرة
ذلك اي ذلك التصدق بين يدي مناجاة النبي صلى الله عليه وآله خير لكم لان فيه
اداء واجب وتحصيل ثواب واطهر اي وازكى ثم قال سبحانه ناسخا لهذا الحكم ءاشفقتم ان تقدموا

بين يدي نجواكم صدقات اخفتم الفاقة يا اهل الميسرة وغلتم بالصدقة بين يدي نجواكم
وهذا توبيخ لهم على ترك الصدقة اشفاقا من العيلة فان لم تفعلوا ذلك وتاب الله
عليكم بتقصيركم فيه فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الله فيما امركم به ونهاكم
عنه ورسوله اي اطيعوا رسوله ايضا والله خبير بما تعملون اي عالم باعمالكم
من طاعة ومعصية وحسن وقبح فيجازيكم بها ثم قال سبحانه الم تر يا محمد الى
الذين تولوا قوما غضب الله عليهم والمراد به قوم من المنافقين كانوا يولون
اليهود ويفشون اليهم اسرار المومنين ويجتمعون معهم على ذكر مساءة النبي
صلى الله عليه وآله والمومنين عن قتاده وابن زيد ما هم منكم ولا منهم يعني انهم
ليسوا من المومنين في الدين والولاية ولا من اليهود ويحلفون على الكذب
اي يحلفون انهم لم ينافقوا وهم يعلمون انهم منافقون اعد الله لهم عذابا
شديدا اي في الاخرة انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس العمل عملهم هو النفاق
وموالاة اعداء الله قوله عز وجل اتَّخَذُوا اَيمَانَهُم جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ الله
فَلَهُم عَذَابٌ مُهِينٌ لَن تُغنِيَ عَنهُم اَموَالُهُم وَلَا اَولَادُهُم مِنَ الله شَيئًا اُولَئِكَ
اَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ يَومَ يَبعَثُهُمُ الله جَمِيعًا فَيَحلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحلِفُونَ
لَكُم وَيَحسَبُونَ اَنَّهُم عَلَى شَيءٍ اَلَا اِنَّهُم هُمُ الكَاذِبُونَ اِستَحوَذَ عَلَيهِمُ الشَّيطَانُ
فَاَنسَيهُم ذِكرَ الله اُولَئِكَ حِزبُ الشَّيطَانِ اَلَا اِنَّ حِزبَ الشَّيطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ
اِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ الله وَرَسُولَهُ اُولَئِكَ فِي الاَذَلِّينَ كَتَبَ الله لَاَغلِبَنَّ
اَنَا وَرُسُلِي اِنَّ الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ لَا تَجِدُ قَومًا يُومِنُونَ بِالله وَاليَومِ الاخِرِ
يُوَادُّونَ مَن حَادَّ الله وَرَسُولَهُ وَلَو كَانُوا آبَاءَهُم اَو اَبنَاءَهُم اَو اِخوَانَهُم
اَو عَشِيرَتَهُم اُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الاِيمَانَ وَاَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنهُ وَيُدخِلُهُم
جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الاَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ الله عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ
اُولَئِكَ حِزبُ الله اَلَا اِنَّ حِزبَ الله هُمُ المُفلِحُونَ ست آيات القراءة قراء محمد
بن حبيب الشموني عن الاعشى عن ابي بكر او عشيراتهم على الجمع والباقون على التوحيد

وفي الشواذ قراءة الحسن اتخذوا ايمانهم بكسر الهمزة ورواية بعضهم عن عاصم
كتب بضم الكاف في قلوبهم الايمان بالرفع الحجة من قرا ايمانهم حذف المضاف
اي اتخذوا اظهار ايمانهم جنة من قرا كتب في قلوبهم الايمان فهو على حذف المضاف
اي كتب في قلوبهم علامة الايمان ومن اسند الفعل الى الفاعل فليقدم ذكر الاسم
على ذلك ويدل عليه قوله وايدهم بروح منه الجنة السترة التي تقي البلية واصله
الستر ومنه المجن الترس والاستحواذ الاستيلاء على الشيء بالاقتطاع له واصله من حاذه
يحوذه حوذا مثل حازه يحوزه حوزا ثم ذكر سبحانه تمام الخبر فقال اتخذوا ايمانهم
التي يحلفون بها جنة اي سترة وترسا يدفعون بها عن نفوسهم التهمة والظنة
اذا ظهرت منهم الريبة فصدوا انفسهم وغيرهم عن سبيل الله الذي هو الحق والهدى
فلهم عذاب مهين يهينهم ويذلهم ويخزيهم لن تغني عنهم اموالهم التي جمعوها ولا اولادهم
الذين خلفوهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ظاهر يوم
يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي يقسمون لله كما يحلفون لكم في الدنيا بانهم كانوا
مومنين في الدنيا في اعتقادهم وظنهم لانهم كانوا يعتقدون ان ما هم عليه
هو الحق ويحسبون انهم على شيء اي ويحسب المنافقون في الدنيا انهم مهتدون
لان في الاخرة تزول الشكوك وقال الحسن في القيمة مواطن فموطن يعرفون فيه
قبح الكذب ضرورة فيتركونه وموطن يكونون فيه كالمدهوش فيتكلمون بكلام
الصبيان الكذب وغير الكذب يحسبون انهم على شيء في ذلك الموضع الذي
يحلفون فيه بالكذب الا انهم هم الكاذبون في ايمانهم واقوالهم في الدنيا وقيل
معناه اولئك هم الخائبون كما يقال كذب ظنه اي خاب امله استحوذ عليهم
الشيطان اي استولى عليهم الشيطان وغلب عليهم لشدة اتباعهم اياه فانساهم
ذكر الله حتى لا يخافون الله ولا يذكرونه اولئك حزب الشيطان اي جنوده الا
ان حزب الشيطان هم الخاسرون يخسرون الجنة ويحصل لهم بدلها النار ان الذين
يحادون الله ورسوله اي يخالفونه في حدوده ويشاقون وهم المنافقون اولئك

في الاذلين فلا احد اذل منهم في الدنيا ولا في الاخرة قال عطا يريد الذل في الدنيا
والخزي في الاخرة كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي كتب الله في اللوح المحفوظ وما كتبه
فلا بد من ان يكون اجرى قوله كتب الله مجرى القسم فاجابه بجواب القسم قال الحسن
ما امر الله نبيا قط بحرب الا غلب اما في الحال او فيما بعد وقال قتاده كتب الله كتابا
فامضاه لاغلبن انا ورسلي ويجوز ان يكون المعنى قضى الله ووعد لاغلبن
انا ورسلي بالحجج والبراهين وان جاز ان نغلب بعضهم في الحرب ان الله قوي عزيز
اي غالب قاهر لمن نازع اولياءه ويروى ان المسلمين قالوا لما راوا ما يفتح الله
عليهم من القرى ليفتحن الله علينا الروم وفارس فقال المنافقون اتظنون
ان فارس والروم كبعض القرى التي غلبتم عليها فانزل الله هذه الاية ثم قال سبحانه
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله يوالون
من خالف الله ورسوله والمعنى لا يجتمع موالاة الكفار مع الايمان والمراد به الموالاة
في الدين ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اي وان قربت
قراباتهم فانهم لا يوالونهم اذا خالفوهم في الدين وقيل ان الاية نزلت في حاطب بن ابي بلتعة
حين كتب الى اهل مكة ينذر بمجيء رسول الله صلى الله عليه واله اليهم وكان عليهم خفي ذلك
فلما عوتب على ذلك قال اهلي بمكة احببت ان يحوطوهم بيد تكون لي عندهم وقيل انها
نزلت في عبد الله بن ابي وابنه عبد الله وكان ابن عبد الله عند النبي فشرب النبي (ص)
فقال ابق من شرابك سؤرا اسقيها ابي لعل الله يطهر قلبه فاعطاه فاتى بها اباه فقال ما هذا
فقال بقية شراب رسول الله جئتك تشربها لعل الله يطهر قلبك فقال هلا جئتني ببول
امك فرجع الى النبي صلى الله عليه واله فقال ائذن لي في قتله فقال بل ترفق به عن السدي
ثم قال سبحانه اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي ثبت في قلوبهم الايمان بما فعل بهم من
الالطاف فصار كالمكتوب على انهم مؤمنون كما ان قوله في الكفار فطبع الله على قلوبهم
علامة يعلم من شاهدهم من الملائكة على انهم مؤمنون كما ان قوله في الكفار كلمة
عن ابي علي الفارسي وايدهم بروح منه اي قواهم بنور الايمان ويدل عليه قوله وكذلك

اوحينا

اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان عن الزجاج
وقيل معناه وقواهم بنور الحجج والبرهان حتى اهتدوا للحق وعملوا به وقيل قواهم
بالقران الذي هو حيوة القلوب من الجهل عن الربيع وقيل ايدهم بجبرئيل
في كثير من المواطن ينصرهم ويدفع عنهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم باخلاص الطاعة والعبادة منهم ورضوا
عنه بثواب الجنة وقيل ورضوا عنه بقضائه عليهم في الدنيا فلم يكرهوه اولئك
حزب الله اي جند الله وانصار دينه ورعاة خلقه الا ان حزب الله هم المفلحون الا كلمة
تنبيه ان جنود الله واولياءه هم المنجحون الناجون الظافرون بالبغية سورة الحشر
مدنية وهي اربع وعشرون اية بالاجماع فضلها ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله
عليه واله من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا حجاب ولا
السموات السبع والارضون السبع والهوام والطير والشجر والدواب والشمس
والقمر والملائكة الا صلوا عليه واستغفروا له وان مات من يومه او ليلته مات
شهيدا وعن ابي سعيد المكاري عن ابي عبد الله عليه السلام قال من قرأ اذا امسى الرحمن
والحشر وكل الله بداره ملكا شاهرا سيفه حتى يصبح تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة
المجادلة بذكر حزب الشيطان وحزب الله تعالى افتتح هذه السورة بقهر حزب الشيطان
وما نالهم بالجلاء من الخزي والهوان ونصره حزبه من اهل الايمان فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ
وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ
النَّارِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ

العقاب ما قطعتم من لينة او تركتموها قايمة على اصولها فباذن الله وليخزى
الفاسقين خمس آيات القراة قرا ابو عمرو يخربون بالتشديد والباقون
يخربون ساكنة الخاء خفيفة الراء كوفى الشواذ قراة طلحة بن مصرف لتشقق الله
بقافين على الاظهار كالتى فى الانفال يقال خرب الموضع واخربته ان بيّن
الموضع خربًا والتخريب الهدم . الحشر جمع الناس من كل ناحية ومنه الحاشر
الذى يجمع الناس الى ديوان الخراج والجلاء الانتقال عن الديار والاوطان للبلاء
يقال جلا القوم عن منازلهم جلاء واجليتهم اجلاء واللينة النخلة واصله من اللون
قلبت الواو ياء للكسرة قبلها وجمعها ليان قال امرء القيس وسالفة كسحوق الليان
اصرم فيها الغوى لسعر وقال ذو الرمة شعر طراق الخوافى واقع فوق لينة : بذى ليله
فى ريشه يترقرق فكان اللين نوع من النخل اى ضرب منه وقيل هو من اللين للين
ثمرها ما نعتهم حصونهم ارتفع حصونهم بقوله مانعتهم لان اسم الفاعل
جرى خبرًا لان فيرفع ما بعده النزول قيل نزلت السورة فى اجلاء بنى النضير من اليهود
فمنهم من خرج الى الشام عن مجاهد وقتاده وذلك ان النبى صلى الله عليه وآله لما دخل
المدينة صالحه بنو النضير على ان لا يقاتلوا معه فقبل ذلك منهم فلما غزا رسول الله ص
بدرًا وظهر على المشركين قالوا والله انه للنبى الذى وجدنا نعته فى التورية لا ترد له راية
فلما غزا ص غزاة احد وهزم المسلمون ارتابوا ونقضوا العهد فركب كعب الاشرف فى اربعين
راكبًا من اليهود الى مكة فاتوا قريشًا وحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة
على محمد ثم دخل ابو سفين فى اربعين وكعب فى اربعين من اليهود المسجد واخذ
بعضهم على بعض الميثاق بين الاستار والكعبة ثم رجع كعب بن الاشرف واصحابه الى المدينة
ونزل جبرئيل فاخبر النبى صلى الله عليه وآله بما تعاقد عليه كعب وابو سفين وامره بقتل كعب
الاشرف فقتله محمد بن مسلمة الانصارى وكان اخاه من الرضاعة قال محمد بن اسحق
خرج رسول الله الى بنى النضير يستعينهم فى دية القتيلين من بنى عامر اللذين قتلهما
عمرو بن امية الضميرى وكان بين بنى النضير وبنى عامر عقد وحلف فلما اتاهم النبى صلى الله عليه وآله

يستعينهم

يستعينهم فى الدية قالوا نعم يا ابا القسم نعينك على ما احببت ثم خلا بعضهم ببعض
فقال انكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه ورسول الله فى نفر من اصحابه فاتاه الخبر
من السماء بما اراد القوم فقام وقال لا تبرحوا فخرج راجعًا الى المدينة ولما استبطوا
النبى صلى الله عليه وآله قاموا فى طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسالوه عنه فقال
رايته داخلا المدينة فاقبل اصحاب النبى صلى الله عليه وآله حتى انتهوا فاخبرهم الخبر
بما ارادت اليهود الغدر وامر رسول الله ص محمد بن مسلمة بقتل كعب بن الاشرف
فخرج ومعه سلكان بن سلامة وثلثة من بنى الحرث وخرج النبى ص على اثرهم وجلس فى موضع
ينتظر رجوعهم فذهب محمد بن مسلمة مع القوم الى قرب قصره واجلس قومه عند جدار
وناداه يا كعب فانتبه وقال من انت قال محمد بن مسلمة اخوك جئتك استقرض منك دراهم
فان محمدا يسالنا الصدقة وليس معنا الدراهم فقال اقرضك الا بالرهن
قال معى رهن انزل فخذه وكانت له امراة بنى بها تلك الليلة عروسًا فقالت لا ادعك
تنزل لانى ارى حمرة الدم فى ذلك الصوت فلم يلتفت اليها وخرج فعانق محمد بن مسلمة
وهما يتحادثان حتى تباعدا من القصر الى الصحراء ثم اخذ راسه ودعا بقومه وصاح
كعب فسمعت امراته فصاحت وسمع بنو النضير صوتها فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلا
ورجع القوم سالمين الى رسول الله صلى الله عليه وآله اصحابه بقتل كعب ففرحوا وامر رسول
الله ص بحربهم والسير اليهم فسار بالناس حتى نزل بهم فتحصنوا منه فى الحصن وامر رسول
الله بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه يا محمد قد كنت تنهى عن الفحشاء فما بالك
تقطع النخل وتحرقها فانزل الله سبحانه ما قطعتم من لينة او تركتموها الاية وهى
البويرة فى قول حسان شعر وهان على سراة بنى لوى : حريق بالبويرة مستطير
والبويرة تصغير بورة وهى ارة النار اى حفرتها وقال ابن عباس كان النبى صلى الله
عليه وآله حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فاعطوه ما اراد منهم فصالحهم على ان يحقن
لهم دماءهم وان يخرجهم من ارضهم واوطانهم وان يسيرهم الى اذرعات
بالشام وجعل لكل ثلثة منهم بعيرًا وسقاء فخرجوا الى اذرعات واريحا الا اهل بيتين

منهم الى اذرعات الشام قال ابن عباس تسمى هذه السورة سورة بنى النضير وامره ان يؤجلهم في الجلاء ثلث
ليال عن محمد بن اسحق كان اجلاء بنى النضير مرجع النبي م من احد وكان فتح قريظة
مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان وكان الزهري يذهب الى ان جلاء بنى النضير كانت
قبل احد على راس ستة اشهر من وقعه بدر سبح لله ما فى السموات وما في الارض
وهو العزيز الحكيم مضى تفسيره وهو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
يعنى يهود بنى النضير من ديارهم لاول الحشر اختلف في معناه فقيل كان جلاؤهم ذلك
اول حشر اليهود الى الشام ثم يحشر الناس يوم القيمة الى ارض الشام ايضا وذلك
الحشر الثانى عن ابن عباس والزهري والجبائي قال ابن قال لهم النبي صلى الله عليه وآله
اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر وقيل معناه لاول الجلاء عن البلخى لانهم كانوا اول
من اجلى من اهل الذمة من جزيرة العرب ثم اجلى اخوانهم من اليهود لئلا يجتمع
في بلاد العرب دينان وقيل انما قال لاول الحشر لان الله تعالى فتح على نبيه في اول ما قاتلهم
عن يمان بن رياب ما ظننتم ان يخرجوا ان لم تظنوا ايها المؤمنون انهم يخرجون
من ديارهم لشدتهم وشوكتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اى وظن
بنوا النضير ان حصونهم لوثاقتها تمنعهم من سلطان الله وانزال العذاب
بهم على يد رسول الله حيث حصنوها وهيئوا الات الحرب فيها فاتاهم الله اى امر الله
وعذابه من حيث لم يحتسبوا اى لم يتوهموا انه يأتيهم لما قدروا في انفسهم
من المنعة جعل الله سبحانه امتناعهم من رسوله امتناعا منه وقذف في قلوبهم
الرعب بقتل سيدهم كعب بن الاشرف يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين
اى يهدمون بيوتهم بايديهم من داخل ليهربوا لانهم خربوا ما استحسنوا منها حتى لا يكون
للمسلمين ويخربها المؤمنون من خارج ليصلوا اليهم عن الحسن وقيل ان معنى تخريبها
بايدى المؤمنين انهم عرضوها لذلك عن الزجاج وقيل انهم كانوا يخربون بيوتهم
بايديهم لنقض الموادعة وبايدى المؤمنين بالمقاتلة فاعتبروا يا اولى الابصار
اى فاتعظوا يا اولى العقول والبصائر وتدبروا وانظروا فيما نزل بهم ومعنى الاعتبار

النظر في الامور ليعرف بها شىء اخر من جنسها والمراد اسناد هذا بك على صدق الرسول
عليه السلام اذ كان وعد المؤمنين ان الله سبحانه سيورثهم ديارهم واموالهم بغير قتال
فقال الجاء المخبر ما اخبر وكان اية دالة على نبوته ولا دليل في الاية على صحة القياس في
الشريعة لان الاعتبار ليس من القياس في شىء لما ذكرناه ولانه لا سبيل لاهل القياس الى
العلم بالترجيح ولا يعلم كل من الفريقين علة الاصل للاخر فان علة الربا عند احدهما
الكيل والوزن والجنس وعند الاخر الطعم والجنس وفي الدراهم والدنانير انها
جنس الاثمان وقال الاخرون اشياء اخر وليس هذا باعتبار اذ لا سبيل الى المعرفة به
ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اى حكم عليهم انهم يخلون وينقلون عن اوطانهم لعذبهم
في الدنيا بعذاب الاستيصال والقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة لانه سبحانه علم ان
الامرين في المصلحة سواء وقد سبق حكمه بالجلاء ولهم في الاخرة مع الجلاء عن
الاوطان عذاب النار لان احدا منهم لم يؤمن وقيل ان ذلك مشروط بالاصرار
وترك التوبة ذلك الذى فعلنا بهم بانهم شاقوا الله اى خالفوا الله ورسوله
فقال ومن يشاق الله اى يخالفه فان الله شديد العقاب يعاقبهم على مشاقتهم
اشد العقاب ما قطعتم من لينة اى نخلة كبيرة من انواع النخل عن مجاهد وابن زيد
وقيل كل نخلة سوى العجوة عن ابن عباس وقتاده او تركتموها قائمة على اصولها
فلم يقطعوها ولم يقلعوها فباذن الله اى بامره كل ذلك سائغ لكم علم الله تعالى
ذلك واذن فيه ليذل به اعداءه وليخزى الفاسقين من اليهود يهينهم بذلك لانهم
اذا رأوا عدوهم يتحكم في اموالهم كان ذلك خزيا عليهم قوله عز وجل وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ
عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ
فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ
دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ

وَاَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللّٰهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ اُولٰئِكَ
هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْاِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ
اِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا اُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى اَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ
بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِاِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْاِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
غِلًّا لِلَّذِينَ اٰمَنُوا رَبَّنَا اِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ خمس آيات القراءة قرأ ابو جعفر كيلا تكون
بالتاء دوله بالرفع والباقون يكون بالياء دوله بالنصب الحجة قال ابن جنى منهم
من لا يفصل بين الدوله والدوله ومنهم من يفصل بينهما فقال الدولة بالفتح
للانتقال الدولة في الملك وتكون هنا هي التامة اى كيلا تقع دولة وتحدث دولة
بين الاغنياء ان شئت كانت صفة لدولة وان شئت كانت متعلقة بنفس دولة
اى تداول بين الاغنياء وان شئت علقتها بنفس يكون اى لا يحدث بين الاغنياء منهم
وان شئت جعلتها كان الناقصة وجعلت بين خبرا عندها والاول اوجه معناه
ومعناه كيلا يقع دولة فيه او غلبة يعنى على الفقراء من عند الله الفىء رد ما كان
للمشركين على المسلمين بتمليك الله اياهم ذلك على ما شرط فيه فقال فاء يفيء فيئا اذا
رجع وافأته انا عليه اى رددته عليه والايجاف الايضاح وهو تسيير الخيل والركاب من وجف
يجف وجفا وهو تحرك باضطراب فالايجاف الازعاج للسير والركاب الابل والخصاصة
الاملاق والحاجة واصله الاختصاص وهو الانفراد بالامر فكانه انفراد الانسان
عما يحتاج اليه وقيل اصله الفرجه يقال للقمر بدا من خصاص الغيم اى فرجته
ومنه الخص البيت من القصب لما فيه من الفرج والشح والبخل واحد وقيل ان الشح
بخل مع حرص قال ابن عباس نزل قوله ما افاء الله على رسوله من اهل
القرى الاية في اموال كفار اهل القرى وهما قريظه والنضير وهما بالمدينه
وفدك وهي من المدينه على ثلثة اميال وخيبر وقرى عرينه وينبع جعلها
الله لرسوله صلى الله عليه وآله يحكم فيها ما اراد واخبر انها كلها له فقال ناس

فهلا قسمتها فنزلت الاية وقيل ان الاية الاولى بيان اموال بنى النضير خاصة
لقوله وما افاء الله على رسوله منهم الاية الثانية بيان الاموال التى اصيبت
بغير قتال وقيل انهما واحد والاية الثانيه بيان قسم المال الذي ذكره
الله في الاية الاولى قال انس بن مالك اهدى لبعض الصحابة راس مشوى
وكان مجهودا فوجه به الى جار له فتداولته تسعة انفس ثم عاد الى الاول
فنزل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الاية وعن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بنى النضير للانصار ان شئتم قسمتم
للمهاجرين من دياركم واموالكم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت
لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقال الانصار بل نقسم لهم
اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزل ويؤثرون على انفسهم الاية
وقيل نزلت في سبعة عطشوا يوم احد فجيء بما يكفى لاحدهم فقال واحد منهم
ناول فلانا حتى طيف على سبعتهم وماتوا ولم يشرب احد منهم فاثنى الله سبحانه عليهم
وقيل نزلت في رجل جاء الى النبى صلى الله عليه وآله وقال اطعمنى فانى جائع فبعث الى اهله
فلم يكن عندهم شيء فقال من يضيفه هذه الليلة فاضافه رجل من الانصار واتى به
منزله ولم يكن عنده الا قوت صبية له فاتوا بذلك اليه واطفوا السراج وقامت
المراة الى الصبية فعللتهم حتى ناموا وجعلا يمضغان السنتهما للضيف فظن
الضيف انهما ياكلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين فلما اصبحا عدوا الى رسول
الله فنظر اليهما وتبسم وتلا عليهما هذه الاية ثم بين سبحانه حال اموال بنى
النضير فقال وما افاء الله على رسوله منهم اى من اليهود الذين اجلاهم وان كان
الحكم ساريا في جميع الكفار الذين حكمهم حكمهم فما اوجفتم عليه والايجاف من السير
وقيل الايجاف في الخيل والايضاع في الابل وقيل هما مستعملان فيهما جميعا اى فما اوجفتم
عليه خيلا ولا ابلا والمعنى لم تسيروا اليها على خيل ولا ابل وانما كانت ناحية من المدينة
مشيتم اليها مشيا وقوله عليه اى على ما افاء الله والركاب الابل التى تحمل القوم واحدها

راجله ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اي يمكنهم من عدوهم من غير قتال بانه
يقذف الرعب في قلوبهم جعل الله اموال بني النضير لرسول الله خالصة يفعل بها
ما يشاء فقسمها رسول الله صلعم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلثة
نفر كانت بهم خصاصة ابو دجانة وسهيل بن حنيف والحرث بن الصمة والله
على كل شيء قدير ثم ذكر سبحانه حكم الفيء فقال ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
اي من اموال كفار اهل القرى فلله يامركم فيه بما احب وللرسول بتمليك الله اياه
ولذي القربى يعني اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وقرابته وهم بنو هاشم واليتامى
والمساكين وابن السبيل منهم لان التقدير ولذي قرباه ويتامى اهل بيته ومساكينهم وابن
السبيل منهم روى المنهال بن عمرو عن علي بن الحسين عليهما السلم قال قلت قوله ولذي القربى
واليتامى وابن السبيل قال وهم قربائنا ومساكيننا وابناء سبيلنا وقال جميع الفقهاء
هم يتامى الناس عامة وكذلك المساكين وابن السبيل وقد روي ايضا ذلك عنهم
عليهم السلام وروى محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلم قال كان ابي يقول لنا سهم الرسول
وسهم ذي القربى ونحن شركاء الناس فيما بقي والظاهر يقتضي ان ذلك لهم سواء كانوا
اغنياء او فقراء وهو مذهب الشافعي وقيل ان مال الفيء للفقراء من قرابة الرسول
وهم بنو هاشم وبنو المطلب روي عن الصادق انه قال نحن قوم فرض الله طاعتنا ولنا
الانفال ولنا صفو المال يعني ما كان يصطفي رسول الله صلى الله عليه وآله من فراه الدواب
وحسان الجواري والدرة الثمينة والشيء الذي لا نظير له ثم بين سبحانه انه لم فعل
ذلك فقال كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم والدولة اسم للشيء الذي
يتداوله القوم بينهم يكون لهذا مرة ولهذا مرة اي لئلا يكون الفيء متداولا
بين الرؤساء منكم يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية وهذا خطاب للمؤمنين دون
الرسول واهل بيته عليهم السلام قال الكلبي نزلت في رؤساء المسلمين قالوا له
يا رسول الله خذ صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية
وانشدوه لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول فنزلت الاية

فقال الصحابة سمعا وطاعة لامر الله وامر رسوله ثم قال سبحانه وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا اي ما اعطاكم الرسول من الفيء فخذوه وارضوا به
وما امركم به فافعلوه وما نهاكم عنه فانه لا يامر ولا ينهى الا عن امر الله وهذا
عام في كل ما امر به النبي صلى الله عليه وآله ونهى عنه وان نزل في آية الفيء وروى
زيد الشحام عن ابي عبد الله عليه السلم قال ما اعطى الله نبيا من الانبياء الا وقد
اعطى محمدا عليه السلم قال لسليمان فامنن او امسك بغير حساب وقال لرسول الله
ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله في ترك المعاصي
وفعل الواجبات ان الله شديد العقاب لمن عصاه وترك اوامره وفي هذه
الاية اشارة الى ان تدبير الامة الى النبي والى الائمة القائمين مقامه ولهذا قسم
رسول الله صلى الله عليه وآله اموال خيبر ومن عليهم في رقابهم واجلى بني النضير
وبني قينقاع واعطاهم شيئا من المال وقتل رجال بني قريظة وسبى ذراريهم ونساءهم وقسم
اموالهم على المهاجرين ومن على اهل مكة ثم قال سبحانه للفقراء المهاجرين هاجروا من مكة
الى المدينة ومن دار الحرب الى دار الاسلام الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم
التي كانت لهم يبتغون اي يطلبون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله
اي ينصرون دين الله ورسوله اولئك هم الصادقون في الحقيقة عند الله
العظيم المنزلة عنده قال الزجاج بين سبحانه من المساكين الذين لهم الحق فقال
للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم ثم ثنى سبحانه بوصف
الانصار ومدحهم حتى طابت انفسهم عن الفيء فقال والذين تبوؤا الدار يعني المدينة
وهي دار الهجرة تبوأها الانصار قبل المهاجرين وتقدير الاية والذين تبوؤا
الدار من قبلهم والايمان لان الانصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين وعطف الايمان
على الدار في الظاهر لا في المعنى لان الايمان ليس بمكان يتبوأ والتقدير وآثروا
الايمان وقيل من قبلهم اي من قبل قدوم المهاجرين عليهم وقيل معناه قبل ايمان
المهاجرين والمراد به اصحاب ليلة العقبة وهم سبعون رجلا بايعوا رسول الله

على حرب الابيض والاحمر يحبون من هاجر اليهم لانهم احسنوا الى المهاجرين واسكنوهم
دورهم واشركوهم في اموالهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا يجدون
في قلوبهم حسدا وحزازة وغيظا مما اعطي المهاجرون دونهم من مال بني النضير
ويؤثرون على انفسهم اي يؤثرون المهاجرين ويقدمونهم على انفسهم باموالهم
ومنازلهم ولو كان بهم خصاصة اي فقر وحاجة بين الله سبحانه ان ايثارهم
لم يكن عن غنى عن المال ولكن كان عن حاجة فيكون ذلك لاجرهم وثوابهم
عند الله ويروى ان انس بن مالك كان يحلف بالله عز وجل ما في الانصار بخيل
ويقرأ هذه الاية ومن يوق شح نفسه اي ومن يدفع عنه ويمنع عنه بخل نفسه فاولئك
هم المفلحون اي المنجحون الفائزون بثواب الله ونعيم جنته وقيل لم ياخذ شيئا
الله بادائه فقد وقي شح نفسه عن ابن زيد وقيل شح النفس هو اخذ الحرام ومنع
الزكوة عن سعيد بن جبير وفي الحديث لا يجتمع الشح والايمان في قلب رجل مسلم
ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف رجل مسلم وقيل في موضع والذين
تبوءوا الدار قولان احدهما انه رفع على الابتداء وخبره يحبون من هاجر اليهم
الى اخره لان النبي صلى الله عليه وآله يقسم لهم شيئا من الفيء الا الرجلين او ثلاثة على
اختلاف الرواية والاخر في موضع جر عطفا على الفقراء المهاجرين وعلى هذا فيكون
قوله يحبون من هاجر اليهم وما بعده في موضع نصب على الحال ثم ثلث سبحانه بوصف
التابعين فقال والذين جاءوا من بعدهم يعني من بعد المهاجرين والانصار
وهم جميع التابعين فقال والذين جاءوا من بعدهم الى يوم القيمة عن الحسن
وقيل هم كل من اسلم قبل انقطاع الهجرة وبعد ايمان الانصار عن الاصم وابي مسلم
والظاهر ان المراد والذين خلفوهم ويجوز ان يكون المراد من بعدهم في الفضل
وقد يعبر بالقبل والبعد عن الفضل كقول النبي صلى الله عليه وآله نحن الاخرون
السابقون يعني الاخرون في الزمان السابقون في الفضل يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان يدعون ويستغفرون لانفسهم ولمن سبقهم بالايمان

ولا تجعل

ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا اي حقدا وغشا وعداوة سألوا الله سبحانه
ان يزيل ذلك بلطفه وههنا اسرار لطيفة وهو انهم احسنوا الدعاء للمؤمنين
ولم يرسلوا القول ارسالا والمعنى اعصمنا ربنا انك رءوف رحيم اي متعطف
على العباد منعم عليهم قوله عز وجل الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم
الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم
احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا
لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار
ثم لا ينصرون لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم
لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر بأسهم
بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون
كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم خمس آيات
القراءة قرأ ابن كثير وابو عمرو من وراء جدار على التوحيد والباقون من وراء
جدر على الجمع وفي الشواذ قراءة ابي رجاء وابي حيوة جدر بسكون الدال الحجة قال
ابو علي المعنى في الجمع انهم لا يصحرون معكم للقتال ولا يبرزون ولا يقاتلونكم تقاتلونهم
من وراء جدار واحد ولكن من وراء جدر كما لا يقاتلونكم الا في قرى محصنة
فكما ان القرى جماعة كذلك الجدر ينبغي ان يكون جمعا وكان المراد في الافراد
الجمع لانه يعلم انهم لا يقاتلونهم من وراء جدار واحد قال ابن جني ويجوز ان يكون
جدر بكسر جدار فيكون الف جدار في الواحد كالف كتاب في الجمع كالف ظراف
وكرام ومثله ناقة هجان ونوق هجان ودرع دلاص وادرع دلاص قال ومثله
قوله سبحانه واجعلنا للمتقين اماما يكون اماما جمع امام على ما شرحناه
لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله اي من رهبة الله اي رهبتهم الله فحذف
كمثل الذين من قبلهم اي مثلهم كمثل الذين من قبلهم فحذف المبتدأ وكذلك قوله
كمثل الشيطان   لما وصف سبحانه المهاجرين الذين هاجروا الديار والاوطان

يستحقون

ثم مدح الانصار الذين تبوا الدار والايمان ثم ذكر التابعين باحسان وما
من النعيم فى الجنان عقب ذلك بذكر المنافقين وما اسروه من الكفر و
العصيان فقال الم تر يا محمد الى الذين نافقوا فابطنوا الكفر واظهروا الايمان
يقولون لاخوانهم فى الكفر يعنى يهود بنى النضير لين اخرجتم من دياركم وبلادكم
لنخرجن معكم مساعدين لكم ولا نطيع فيكم اى فى قتالكم ومخاصمتكم احدا ابدا
يعنون محمدا واصحابه وعدوهم النصر بقولهم وان قوتلتم لننصرنكم اى لندفعن و
عنكم ثم كذبهم الله فى ذلك بقوله والله يشهد انهم لكاذبون فيما يقولون
من الخروج معهم والدفاع عنهم ثم اخبر سبحانه انهم يخلفونهم ما وعدوهم
من النصر والخروج بقوله لين اخرجوا لا يخرجون معهم ولين قوتلوا لا ينصرونهم
ولين نصروهم اى ولين قدر وجود نصرهم لان ما نفاه الله تعالى لا يجوز
وجوده ليولن الادبار اى ينهزمون ويسلمونهم وقيل معناه ولين نصرهم
من بقى منهم ليولوا الادبار فعلى هذا لا ينافى بين قوله ولا ينصرونهم وقوله
ولين نصروهم وقد اخبر الله سبحانه فى هذه الاية عما لا يكون منهم ان لو كان
كيف يكون ثم لا ينصرون اى ولو كان هذه القوة وفعلوا لم ينتفع اولئك
بنصرتهم نزلت الاية قبل اخراج بنى النضير واخرجوا بعد ذلك وقوتلوا فلم
يخرج معهم منافق ولم ينصروهم كما اخبر الله سبحانه بذلك وقيل اراد بقوله
لاخوانهم بنى النضير وبنى قريظة فاخرج بنوا النضير ولم يخرجوا معهم
وقوتل بنو قريظة فلم ينصروهم ثم خاطب سبحانه المومنين فقال لانتم اشد
رهبة اى خوفا فى صدورهم اى فى قلوب المنافقين من الله المعنى ان خوفهم منكم
اشد من خوفهم من الله لانهم يشاهدونكم ويعرفونكم ولا يعرفون الله وهو
قوله ذلك بانهم قوم لا يفقهون الحق ولا يعلمون عظمة الله وشدة عقابه
لا يقاتلونهم معاشر المومنين الا فى قرى محصنة اى ممنعة حصينة المعنى انهم
لا يبرزون لحربكم وانما يقاتلونكم متحصنين بالقرى او من وراء جدر اى يرمونكم

من وراء

من وراء الجدران بالنبل والحجر باسهم بينهم شديد اى عداوة بعضهم لبعض شديدة
يعنى انهم ليسوا بمتفقى القلوب وقيل معناه قوتهم فيما بينهم شديدة فاذا لاقوكم
ويفرقون منكم بما قذف الله فى قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا اى مجتمعين فى
الظاهر وقلوبهم شتى اى مختلفة متفرقة خذلهم الله سبحانه باختلاف كلمتهم وقيل انه
عنى بذلك قلوب المومنين واهل الكتاب عن مجاهد وذلك بانهم قوم لا يعقلون
ما فيه من الرشد مما فيه من الغى وانما كان قلوب من يعمل بالجهل والغفلة شتى
لاختلاف دواعيهم واهوايهم وداعى الحق واحد وهو العقل الذى يدعو الى
طاعة الله والاحسان فى العقل كمثل الذين من قبلهم قوما اى مثلهم فى اغترارهم بعددهم
وبقوتهم ويقول المنافقين كمثل الذين من قبلهم يعنى المشركين الذين قتلوا ببدر
وذلك قبل غزاة بنى النضير بستة اشهر عن الزهرى وغيره وقيل ان الذين من قبلهم
قريبا هم بنوا قينقاع عن ابن عباس وذلك انهم نقضوا العهد مرجع رسول الله
من بدر فامرهم رسول الله ان يخرجوا وقال عبد الله بن ابى لا تخرجوا فانى اتى النبى
فاكلمه فيكم او ادخل معكم الحصن فكان هولاء ايضا فى ارسال عبد الله بن ابى اليهم
ثم ترك نصرتهم كاولئك ذاقوا وبال امرهم اى عقوبة كفرهم ولهم عذاب
اليم فى الاخرة قوله عز وجل كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ اِذْ قَالَ لِلْاِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ اِنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ اِنِّى اَخَافُ اللّٰهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا اَنَّهُمَا
فِى النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا
اتَّقُوا اللّٰهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللّٰهَ فَاَنْسَاهُمْ اَنْفُسَهُمْ اُولٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ لَا يَسْتَوِى اَصْحَابُ النَّارِ وَاَصْحَابُ الْجَنَّةِ اَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ
الْفَائِزُونَ خمس آيات   اصل غد وغدو الا انه لم يات فى القران الا
بحذف الواو وجاء فى الشعر بحذف الواو واثباتها قال الشاعر فى اثباتها وما
الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع وقال اخر لا تقولوا

وادلواهادلوا ان مع اليوم اخاه غدوا . ثم ضرب سبحانه لليهود والمنافقين
مثلا فقال كمثل الشيطان اى مثل المنافقين فى غرورهم بنى النضير وخذلانهم اياهم
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر وهو عابد بنى اسرائيل عن ابن عباس قال كان
عابدا اسمه برصيصا عبد الله زمانا من الدهر حتى كان يوتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم
فيبرؤن على يديه وانه قد اوتى بامرأة ذى شرف قد جنت وكان لها اخوة فاتوه بها
فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها
قتلها ودفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقى احد اخوتها فاخبره الذى فعل الراهب
وانه دفنها فى مكان كذا ثم اتى بقيه اخوتها رجلا رجلا فذكره له فجعل الرجل يلقى
فيقول والله لقد اتانى فذكر لى شيئا يكبر على ذكره فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك
ملكهم فسار الملك والناس فاستنزلوه فاقر لهم بالذى فعل فامر به فصلب فلما رفع
على خشبته تمثل له الشيطان فقال انا الذى القيتك فى هذا فهل انت مطيعى فيما
اقول لك اخلصك مما انت فيه قال نعم قال اسجد لى سجدة واحدة فقال كيف اسجد لك
وانا على هذه الحاله فقال اكتفى منك بالايما فاومى له بالسجود فكفر بالله وقتل
فهو كقوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك ضرب الله
هذه القصة لبنى النضير حين اغتروا بالمنافقين ثم تبروا منهم عند الشدة
واسلموهم وقيل اراد كمثل الشيطان يوم حرب دعا الى حرب رسول الله صلى الله
عليه وآله فلما راى الملائكة رجع القهقرى وقال انى اخاف الله رب العالمين وقيل
اراد بالشيطان وبالانسان اسم الجنس لا العهود فان الشيطان ابدا يدعو الى
الكفر ثم يتبرأ منه وقت الحاجة عن مجاهد وانما يقول الشيطان انى اخاف الله
رب العالمين يوم القيمة ثم ذكر سبحانه انهما صارا الى النار بقوله فكان عاقبتهما
انهما فى النار خالدين فيها يعنى عاقبة الفريقين الداعى والمدعو من الشيطان
ومن اغواه من المنافقين واليهود انهما معذبان فى النار وذلك جزاء الظالمين
اى ذلك جزاؤهم ثم رجع الى موعظة المؤمنين فقال سبحانه يا ايها الذين امنوا اتقوا

الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعنى يوم القيمة والمعنى لينظر كل امرء الذى قدمه
لنفسه اعمالا صالحا ينجيه ام شيئا يوبقه ويرديه فانه وارد عليه قال قتاده
ان ربكم قرب الساعة حتى جعلها كغد وامركم بالتدبر والتفكر فيما قدمتم واتقوا
الله ان الله خبير بما تعملون انما كرر الامر بالتقوى لان الاولى للتوبة عما مضى من
الذنوب والثانيه لاتقاء المعاصى فى المستقبل وقيل ان الثانيه تاكيد للاولى ولا تكونوا
كالذين نسوا الله اى تركوا اداء حق الله فانساهم انفسهم بان حرم حظوظهم من الخير
والثواب وقيل نسوا الله بترك ذكره من الشكر والتعظيم فانساهم انفسهم بالعذاب
الذى نسى به بعضهم بعضا كما قال فسلموا على انفسكم اى ليسلم بعضكم على بعض عن الجبائى
ويريد بنى قريظه وبنى النضير وبنى قينقاع عن ابن عباس اولئك الفاسقون الذين
خرجوا من طاعة الله الى معصيته لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة اى لا يتساويان
هولاء لا يستحقون النار واولئك يستحقون الجنه اصحاب الجنه هم الفايزون ثواب
الله الظافرون بطلبتهم قوله عزوجل لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله
الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو
الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما
يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات
والارض وهو العزيز الحكيم اربع آيات وروى عن انس بن مالك عن النبى صلى الله
عليه وآله قال من قرأ آخر الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وعن معقل بن يسار
ان رسول الله ص قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
وقرأ ثلث آيات من آخر الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسى
فان مات ذلك اليوم مات شهيدا ومن قال حين يمسى كان بتلك المنزلة وعن ابى
هريرة سالت حبيبى رسول الله صلى الله عليه وآله عن اسم الله الاعظم فقال عليك
باخر الحشر واكثر قراءتها فاعدت عليه فعاد على وعن ابى امامه عن النبى صلى الله عليه وآله

قال من قرأ خواتيم الحشر من ليل او نهار فقبض فى ذلك اليوم او الليلة فقد اوجب الجنة
وعن انس عن النبى صلى الله عليه وآله قال من قرأ لو انزلنا هذا القران الى اخرها فمات
من ليلته مات شهيدًا التصدع التفرع بعد التلاؤم ومثله التفطر يقال
صدعه يصدعه ومنه الصداع فى الراس والقدوس المعظم بتطهير صفاته
من ان يدخلها صفة نقص قال ابن جنى ذكر سيبويه فى الصفة السبوح والقدوس
بالفتح والضم وانما باب الفعول الاسم كشبوط وسمود وتنور وسفود والمهيمن اصله
مؤيمن على مفيعل من الامانة فقلبت الهمزة هاء لتفخيم اللفظ كتفخيم المعنى ثم عظم
سبحانه حال القران فقال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعًا متصدعًا
خشية الله تقديره لو كان الجبل مما ينزل عليه القران ويشعر به مع غلظه وجفاء طبعه
وكبر جسمه لخشع لمنزله وانصدع من خشيته تعظيمًا لشانه فالانسان احق بهذا
لو عقل الاحكام التى فيه وقيل معناه لو كان الكلام ببلاغته يصدع الجبل لكان هذا
القران يصدعه وقيل ان المراد به ما يقتضيه الظاهر بدلالة قوله وان منها
لما يهبط من خشية الله وهذا وصف للكافر بالقسوة حيث لم يلن قلبه لمواعظ
القران الذى لو نزل على جبل لخشع ويدل على ان هذا تمثيل قوله وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون اى يتفكروا ويعتبروا ثم اخبر سبحانه بربوبيته
وعظمته فقال هو الله الذى لا اله الا هو المستحق للعبادة الذى لا تحق العبادة
الا له عالم الغيب والشهادة اى عالم بما شاهده العباد وعالم بما يغيب عنهم
علمه وقيل عالم الغيب عالم بما لا يقع عليه الحس من المعدوم او الموجود الذى لا يدرك
مما هو غايب عن الحواس كافعال القلوب وغيرها والشهادة اى عالم بما يصح
عليه الادراك بالحواس وقيل معناه عالم السر والعلانية عن الحسن وفى هذا وصف
سبحانه بانه عالم بجميع المعلومات لانها لا تعد وهذين القسمين وعن ابى جعفر
عليه السلم قال الغيب ما لم يكن والشهادة ما كان هو الرحمن اى المنعم على جميع خلقه الرحيم
بالمؤمنين فيها على وجه ليس لاحد منعه منه وقيل هو الواسع القدرة القدوس

اى الطاهر من كل عيب ونقص وانه المنزه عن القبائح وقيل هو المطهر عن الشريك
والولد لا يوصف بصفات الاجسام ولا بالتجزية والانقسام وقيل هو المبارك
الذى ينزل البركات من عنده عن الحسن السلام اى الذى سلم عباده من ظلمه
وقيل هو المسلم من كل عيب ونقص وآفة وقيل هو الذى من عنده فرجا السلامة
عن الجبائى وهو اسم من السلامة واصله مصدر فهو مثل الجلال والجلالة
المومن الذى امن خلقه من ظلمه لهم اذ قال لا يظلم مثقال ذرة عن ابن عباس
وقيل الذى امن بنفسه قبل ايمان خلقه به عن الحسن واشار بقوله شهد الله انه
لا اله الا هو الاية والمعنى انه بين لخلقه توحيده والهيته بما اقام لهم من الدلايل
وقيل معناه المصدق لما وعده المحقق له كالمومن الذى يصدق قوله فعله
وقيل هو الذى امن اولياءه عذابه وقيل هو الداعى الى الايمان الامر به الموجب
لاهله اسمه عن ابى مسلم المهيمن اى الامين حتى لا يضيع لاحد عنده حق عن ابن
عباس والضحاك والجبائى وقيل هو الشاهد عن مجاهد وقتاده كانه شهد
على الايمان من امن به وقيل هو المومن فى المعنى لان اصله المؤتمن الا انه
اشد مبالغة فى الذى لا يصح القهر وقيل هو الذى لا يرام ولا يمتنع مرام الجبار
وهو العظيم الشان فى الملك والسلطان ولا يستحق ان يوصف على هذا الا
طلاق الا الله تع قال فى صفة العبد فانما يوضع اللفظ فى غير موضعه
ويكون ذما وقيل هو الذى يذل له من دونه ولا تناله يد وقيل هو الذى
يقهر الناس ويجبرهم على ما اراد الله عن السدى ومقاتل وهو اختيار الزجاج
فيكون من جبره على كذا اذا اكرهه وقيل هو الذى يجبر الفقير من قولهم
جبر الكسير اذا اصلحه عن واصل بن عطا المتكبر لصفات التعظيم وقيل
هو الذى يكبر عن كل سوء عن قتاده وقيل هو المتعالى عن صفات المحدثين
المتعظم عما لا يليق به سبحان الله عما يشركون اى تنزيها له عما يشرك به المشركون
من الاصنام وغيرها هو الله الخالق للاجسام والاعراض المخصوصة وقيل المقدر

للاشياء بحكمته المحدث الاشياء على ارادته البارى المنشى للخلق الفاعل للاجسام
والاعراض المصور الذى صور الاجسام على اختلافها من الحيوان والجماد له
الاسماء الحسنى هو الله الرحمن الرحيم القادر العالم الحى وقد مر معناه فى سورة
الاعراف هو العزيز الحكيم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله اسم الله الاعظم فى ست آيات فى آخر سورة الحشر سورة الممتحنة
وقيل سورة المودة مدنية ثلث عشرة اية بالاجماع فضلها ابى بن كعب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الممتحنة كان المومنون له شفعاء يوم القيمة
ابوحمزة الثمالى عن على بن الحسين عليهما السلام قال من قرأ سورة الممتحنة فى فرايضه
ونوافله امتحن الله قلبه للايمان ونور له بصره ولا يصيبه فقر ابدا ولا جنون
فى بدنه ولا فى ولده تفسيرها لما ذكر سبحانه فى سورة الحشر الكفار والمنافقين
افتتح هذه السورة بذلك تحريم موالاتهم وايجاب معاداتهم فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم
بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا
بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم
بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء
السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم
بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة
يفصل بينكم والله بما تعملون بصير قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم
والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله
كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله
وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شىء
ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا

واغفرلنا

واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم خمس آيات القراءة قرأ اهل الحجاز
وابو عمرو يفصل بينكم بضم الياء وفتح الصاد على التخفيف وقرأ اهل الكوفة غير عاصم
يفصل بضم الياء وكسر الصاد مشددا وقرأ عاصم ويعقوب وسهل يفصل بفتح الياء
وكسر الصاد مخففا وقرأ ابن عامر يفصل بضم الياء وفتح الصاد مشددا وفى الشواذ
قراءة عيسى بن عمر انا براء منكم على مثال فعال الحجة قال ابو على ذهب ابو الحسن فى هذا النحو ان الظرف
اقيم مقام الفاعل وترك على الفتح الذى كان يجرى عليه فى الكلام بجريه فى اكثر الكلام منصوبا
ولذلك يقول فى قوله تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك وكذلك يجئ قياس قوله
لقد تقطع بينكم فاللفظ على قوله مفتوح والموضع رفع كما كان اللفظ فى قوله وكفى بالله
وما جاءنى من رجل مجرورا والموضع رفع والقول فى قراءة ابن عامر يفصل مثل القول فى يفصل
وقول عاصم يفصل حسن والضمير يرجع الى اسم الله تعالى ودل عليه قوله وانا اعلم بما اخفيتم
وما اعلنتم وكذلك قول من قرأ يفصل ويرى فى تكسيره اربعة اوجه براء ككريف
وشرفاء وهو قراءة الجماعة وبراء ظريف وظراف وابرياء نحو صديق واصدقاء وبرام
ككتوام ورباب وعليه بيت الحارث بن حلزة فانا من قتلهم لبراء قال الفراء اراد براء
فحذف الهمزة التى هى لام تخفيفا واصل هذا الموضع من ابى الحسن فى قوله ان اشيا اصله
اشياء وهذا المذهب يوجب ترك صرف براء لان همزة التانيث ذهب الزجاج
الى ان التقدير ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى فلا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء
وقيل ان الكلام قد تم عند قوله اولياء ثم قال يلقون اليهم فحذف الهمزة كقوله وتلك
نعمة تمنها على وتقديره وتلك نعمة وقيل ان قوله يلقون اليهم بالمودة فى موضع النصب
على الحال من الضمير فى لا تتخذوا اولياء مزيدة والتقدير يلقون اليهم المودة كما قال
الشاعر فلما رحت بالشرب هزلها العصا شحيح له عند الازاء نهيم اى رحت الشرب
ويجوز ان يكون مفعول يلقون محذوفا والباء متعلق به اى يلقون اليهم ما يريدونه
بالمودة التى بينكم وبينهم وقد كفروا جملة فى موضع نصب على الحال من العدو ومن
الهاء والميم فى يلقون اليهم واياكم منصوب بالعطف على الرسول ان كنتم خرجتم جواب

الشرط محذوف لدلالة ما تقدم من الكلام عليه اى ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى فلا تتخذوا
عدوى وعدوكم اولياء وجهادا مفعول له اى للجهاد ويجوز ان يكون مصدرا واقع
موضع الحال وابتغاء مرضاتى معطوف عليه على الوجهين والتقدير للحال خرجتم مجاهدين
فى سبيلى مبتغين مرضاتى وحده يجوز ان يكون مصدرا محذوف الزوائد والتقدير
يجد وحده والتقدير يحمد وحده والتقدير حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم
منصوب على الاستثناء والمستثنى منه الضمير المستكن فيما يتعلق به اللام فى قوله قد كانت
لكم اسوة والتقدير ثبت لكم فى ابراهيم الا قوله لاستغفرن لك   نزلت فى حاطب بن ابى
بلتعة وذلك ان سارة مولاة ابى عمرو بن صيفى بن هشام اتت رسول الله صلى الله
عليه وآله من مكة الى المدينة بعد بدر بسنتين فقال لها رسول الله ص اسلمة
جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاصل والعشيرة والموالى وقد ذهب موالى
واحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى وتحملونى قال فاين انت من شبان
مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب منى بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله
عليه وآله عليها بنى عبد المطلب فكسوها وحملوها واعطوها نفقة وكان رسول الله
صلى الله عليه وآله يتجهز لفتح مكة فاتاها حاطب بلتعة فكتب معها الى اهل مكة واعطاها
عشرة دنانير عن ابن عباس وعشرة دراهم عن مقاتل بن حيان وكساها بردا على ان توصل
الكتاب الى اهل مكة ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبرئيل
فاخبر النبى ص بما فعل فارسل رسول الله صلى الله عليه وآله عليا وعمارا وعمر والزبير
وطلحة والمقداد بن الاسود وابا مرثد وكانوا كلهم فرسانا وقال انطلقوا حتى تاتوا
روضة خاخ فان بها ظعينة ومعها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها فخرجوا
حتى ادركوها فى ذلك المكان الذى ذكره رسول الله فقالوا لها اين الكتاب فحلفت
بالله ما معها من كتاب فنحوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع
فقال على عليه السلام والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال اخرجى الكتاب والا والله لاضربن
عنقك فلما رأت الجد اخرجته من ذوائبها قد خبأته فى شعرها فرجعوا بالكتاب الى

رسول الله صلى الله عليه وآله فارسل الى حاطب فاتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك
على ما صنعت فقال يا رسول الله والله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ صحبتك
ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته
وكنت عزيزا اى غريبا وكان اهلى بين ظهرانيهم فخشيت على اهلى فاردت ان اتخذ عندهم
يدا وقد علمت ان الله ينزل بهم باسه وان كتابى لا يغنى عنهم شيئا فصدقه رسول الله
صلى الله عليه وآله وعذره فقام عمر بن الخطاب وقال دعنى يا رسول الله وعنق هذا
المنافق فقال رسول الله ص وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على اهل بدر فغفر لهم
فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عبيد
الله بن ابى رافع قال سمعت عليا عليه السلام يقول بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله
انا والمقداد والزبير وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها
كتاب فخرجنا وذكر نحوه   يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم
اولياء ثم خاطب سبحانه ونهاهم ان تتخذوا الكفار اولياء يوالونهم ويستنصرون
بهم وينصرونهم تلقون اليهم بالمودة اى تلقون اليهم المودة وتبذلون لهم النصيحة
يقال القيت اليك سرى وقيل معناه تلقون اليهم اخبار النبى صلى الله عليه وآله
بالمودة التى بينكم وبينهم عن الزجاج وقد كفروا بما جاءكم من الحق وهو القرآن
والاسلام يخرجون الرسول واياكم من مكة ان تؤمنوا بالله ربكم اى لان تؤمنوا
وكراهة ان تؤمنوا وكانه قال تفعلون ذلك لايمانكم بالله ربكم الذى خلقكم
ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى المعنى ان كان غرضكم فى خروجكم
وهجرتكم الجهاد وطلب رضائى فاوفوا خروجكم حقه من معاداتهم ولا تلقوا اليهم
بالمودة ولا تتخذوهم اولياء تسرون اليهم بالمودة اى تعلمونهم فى السر ان بينكم
وبينهم مودة وقيل الباء للتعليل اى تعلمونهم باحوال النبى صلى الله عليه وآله
فى السر بالمودة التى بينكم وبينهم فعل من يظن انه يخفى على ما يفعله وانا اعلم بما اخفيتم
وما اعلنتم لا يخفى على شئ من ذلك فاطلع رسولى عليه ومن يفعله منكم اى ومن يسر اليهم

بالمودة والقى اليهم اخبار رسول منكم يا جماعة المومنين بعد هذا البيان فقد ضل
سواء السبيل اى عدل عن طريق الحق وجاز عن سبيل الرشد وفى هذه الاية دلالة
على ان الكبيرة لا تخرج عن الايمان لان احدا من المسلمين لا يقول ان حاطبا قد خرج
من الايمان بما فعله من الكبيرة الموبقة ان يثقفوكم يعنى ان هولاء الكفار
ان يصادفوكم مقهورين ويظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسوء اى يمدوا اليكم ايديهم بالضرب والقتل ويبسطوا السنتهم
لكم بالشتم والمعنى انهم يعادونكم ولا ينفعكم ما تلقون اليهم ولا يتركون غاية
فى الحاق السوء بكم باليد واللسان وودوا مع ذلك لو تكفرون بالله كما كفروا
وترجعون عن دينكم لن تنفعكم ارحامكم اى ذووا ارحامكم والمعنى قراباتكم
ولا اولادكم اى لا يحملنكم قراباتكم ولا اولادكم التى بمكة لن تنفعكم اى على خيانة
النبى صلى الله عليه وآله والمومنين فلن ينفعكم اولئك الذين عصيتم الله
لاجلهم يوم القيمة يفصل الله بينكم فيدخل اهل الايمان والطاعة الجنة واهل الكفر
والمعصية النار ويميز بعضكم من بعض خلاف اليوم فلا يرى القريب المومن
فى الجنة قريبه الكافر فى النار وقيل معناه يقضى بينكم من فصل القضاء والله
بما تعملون بصير اى عليم باعمالكم علم الله سبحانه من دياركم اى منازلكم واملاككم
وظاهروا على اخراجكم اى عاونوا على ذلك وعاضدوا وهم العوام والاتباع
عاونوا رؤساهم على الباطل ان تولوهم اى ينهاكم عن ان تولوهم وتحبوهم
والمعنى ان مكاتبتهم باظهار سر المسلمين موالاة لهم ومن يتولهم منكم اى يواليهم
وينصرهم فاولئك هم الظالمون يستحقون بذلك العذاب الاليم قوله عز وجل يا ايها
الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم
بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن
حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن
إذا آتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما انفقتم

وليسألوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم شيء
من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا
واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون آيتان القراءة قرا اهل البصرة ولا تمسكوا
بالتشديد والباقون ولا تمسكوا بالتخفيف وفى الشواذ قراءة الاعرج فعقبتم
بالتشديد وقراءة النخعى والزهرى ويحيى بن يعمر بخلاف فعقبتم بفتح حقيقة
القاف من غير الف وقرا مسروق فعقبتم بكسر القاف من غير الف والقراءة المشهورة
فعاقبتم وقرا مجاهد فاعقبتم الحجة حجة من قال ولا تمسكوا فامساك بمعروف
ولا تمسكوهن ضرارا وامسك عليك زوجك وحجة من قال ولا تمسكوا
قوله والذين يمسكون بالكتاب يقال امسكت بالشىء ومسكت به وتمسكت به
قال ابن جنى روينا عن قطرب قال فعاقبتم اصبتم عقبى منهم يقال عاقب الرجل
شيئا اى اخذ شيئا فانشد لطرفة شعر فعقبتم بذنوب غير مرة جمع مرة
فروه على اعطيتم وعد نمر وقال فى قوله ولم يعقب لم يرجع وحكى عن الاعمش
انه قال عقبتم غنمتم وقد يجوز ان يكون عقبتم بوزن غنمتم وبمعناه جميعا
وروى ايضا بيت طرفة فعقبتم بكسر القاف وحكى ابو عوانة عن المغيرة قال
قرأة على ابراهيم فعاقبتم فاخذها على فعقبتم حقيقة ومعنى اعقبتم صنعتم
بهم مثل ما صنعوا بكم   قال ابن عباس صالح رسول الله ص بالحديبية مشركي
مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده عليهم ومن اتى من اهل مكة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله فهو لهم ولم يردوه عليهم وكتبوا بذلك كتابا
وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب
والنبى صلى الله عليه وآله بالحديبية فجاء زوجها مسافر من بنى مخزوم وقال
مقاتل هو صيفى بن الراهب فى طلبها وكان كافرا فقال يا محمد اردد على امراتى فانك
شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فنزلت
الاية يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الكفر

الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانهن ان يستحلفن ما خرجت من بعض
زوج ولا رغبة عن ارض الى ارض ولا التماس دنيا وما خرجت الا حبا لله ولرسوله
فاستحلفها رسول الله ما خرجت بغضا لزوجها ولا عشقا لرجل منا وما خرجت الا رغبة
في الاسلام فحلفت بالله الذي لا اله الا هو على ذلك فاعطى رسول الله زوجها مهرها
وما انفق عليها ولم يردها عليه فتزوجها عمر بن الخطاب فكان رسول الله يرد من جاء
من الرجال ويحبس من جاء من النساء اذا امتحن ويعطي ازواجهن مهورهن قال
الزهري ولما نزلت هذه الاية وفيها قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر طلق عمر بن
الخطاب امراتين كانتا له بمكة مشركتين قريبة بنت ابي امية بن المغيرة فتزوجها
بعد معوية بن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى ام كلثوم بنت عمرو بن
جرول الخزاعية ام عبد الله بن عمر فتزوجها ابو جهم بن حذافة بن غانم رجل من قومه
وهما على شركهما وكانت عند طلحة بن عبيد الله اروى بنت ربيعة بن الحرث
بن عبد المطلب ففرق بينهما الاسلام حين نهى القران عن التمسك بعصم
الكوافر وكان طلحة قد هاجر وهي بمكة عند قومها كافرة ثم تزوجها في
الاسلام بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص بن امية وكانت ممن فر الى رسول
الله صلى الله عليه واله من نساء الكفار فحبسها وزوجها خالدا واميمة بنت
بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة ففرت منه وهو يومئذ كافر الى رسول
الله فزوجها رسول الله سهل بن حنيف فولدت عبد الله بن سهل قال الشعبي
وكانت زينب بنت رسول الله امراة ابي العاص بن الربيع فاسلمت ولحقت
بالنبي صلى الله عليه واله في المدينة واقام ابو العاص مشركا بمكة ثم اتى المدينة
فامنته زينب ثم اسلم فردها عليه رسول الله صلى الله وقال الجبائي لم يدخل
في شرط صلح الحديبية الا رد الرجال دون النساء ولم يجر للنساء ذكر وان ام
كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط مسلمة مهاجرة من مكة فجاء اخواها الى المدينة وسالا
رسول الله ردها عليهما فقال عليه السلم ان الشرط بيننا في الرجال لا في النساء فلم يردها

عليهما قال الجبائي وانما لم يجر هذا الشرط في النساء لان المراة اذا اسلمت لم تحل
لزوجها الكافر فكيف ترد عليه وقد وقعت الفرقة بينهما   لما قطع سبحانه الموالاة
بين المسلمين والكافرين بين حكم النساء المهاجرات وازواجهن فقال يا ايها الذين
امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن بالايمان اي استوصفوهن الايمان
وسماهن مومنات قبل ان يومن لانهن اعتقدن بالايمان الله اعلم بايمانهن
والله يعلم حقيقة ايمانهن في الباطن ثم اختلفوا في الامتحان على وجوه احدها
ان الامتحان ان يشهدن ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله عن ابن عباس
وثانيها ما روي عن ابن عباس في رواية اخرى ان امتحانهن ان يحلفن ما خرجن
الا للدين والرغبة في الاسلام ولحب رسول الله ولم يخرجن لبغض زوج ولا لالتماس
دنيا وروي ذلك عن قتاده وثالثها ان امتحانهن بما في الاية التي بعد وهي
ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين الاية عن عايشة ثم قال سبحانه فان
علمتموهن مومنات يعني في الظاهر فلا ترجعوهن الى الكفار اي لا تردوهن اليهم
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وهذا يدل على وقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة
وان لم يطلق المشرك واتوهم ما انفقوا اي واتوا ازواجهن الكفار ما انفقوا عليهن
من المهر عن ابن عباس لما عمله حاطب من مكاتبة اهل مكه حتى اخبرهم بذلك ثم
ضرب الله سبحانه لهم ابرهيم عليه السلم مثلا في ترك موالاة الكفار فقال قد كانت لكم
اسوة حسنة اي اقتداء حسن في ابرهيم خليل الله والذين معه ممن امن واتبعه
وقيل الذين معه من الانبياء عن ابن زيد اذ قالوا لقومهم الكفار انا برآء منكم
فلا نواليكم ومما تعبدون اي وبرآء من الاصنام التي تعبدونها ويجوز
ان يكون ما مصدرية فيكون المعنى ومن عبادتكم الاصنام كفرنا بكم اي يقولون
جحدنا دينكم وانكرنا معبودكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا فلا يكون
بيننا موالاة في الدين حتى تومنوا بالله وحده اي تصدقوا بوحدانية الله تعالى
واخلاص التوحيد والعبادة له قال الفراء يقول الله افلا تاتيني يا حاطب بابرهيم

وقومه فتبرا من اهلك كما تبرءوا منهم اى من قومهم الكفار الا قول ابرهيم لابيه
لاستغفرن لك اى اقتدوا بابرهيم فى كل امره الا فى هذا القول فلا تقتدوا به فيه
فانه عليه السلم انما استغفر لابيه عن موعدة وعدها اياه بالايمان فلما تبين له انه
عدو لله تبرا منه قال الحسن وانما تبين له ذلك عن موت ابيه ولو لم يستثن
ذلك لظن انه يجوز الاستغفار للكفار مطلقا من غير موعدة بالايمان منهم
فنهوا ان يقتدوا به فى هذا خاصة عن مجاهد وقتاده وابن زيد وقيل كان
ابرهيم فارق اباه وهو يظن انه مسلم وبعد اظهار الاسلام فيستغفر له عن الحسن
والجبائى ثم قال وما املك لك من الله من شئ اذا اراد عقابك ولا يمكنى دفع
ذلك عنك ربنا عليك توكلنا اى كانوا يقولون ذلك واليك انبنا
اى الى طاعتك رجعنا واليك المصير اى الى حكمك المرجع وهذه حكاية لقول
ابرهيم وقومه ويحتمل ان يكون تعليما لعباده اى يقولوا ذلك فيفوضوا
امورهم اليه ويرجعون اليه بالتوبة ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا معناه
لا تعذبنا بايديهم ولا ببلاء من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق
لما اصابهم هذا البلاء عن مجاهد وقيل معناه ولا تسلطهم علينا فيفتنونا
عن دينك وقيل معناه الطف لنا حتى نصبر على اذاهم ولا نتبعهم فنصير
فتنة لهم وقيل معناه اعصمنا من موالاة الكفار فانا اذا واليناهم ظنوا
ظنوا انا صوبناهم وقيل معناه لا تخذلنا اذا حاربناهم فلو خذلتنا لقالوا
لو كان هؤلاء على الحق لما خذلوا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم الذى
لا يغالب الحكيم الذى لا يفعل الا الحكمة والصواب وفى هذا تعليم للمسلمين ان يدعوا
بهذا الدعاء قوله عز وجل لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللّٰهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ عَسَى اللّٰهُ أَنْ يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللّٰهُ قَدِيرٌ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَا يَنْهَاكُمُ
اللّٰهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ

وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي
الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ اربع آيات نزل قوله لا ينهاكم الله فى خزاعة وبنى
مدلج وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا
عليه احدا عن ابن عباس ثم عاد سبحانه الكلام فى ذكر الاسوة فقال لقد كان
لكم فيهم اى فى ابرهيم ومن آمن معه اسوة حسنة اى قدوة حسنة وانما اعاد
ذكر الاسوة لان الثانى منعقد بغير ما انعقد به الاول لان الثانى فيه بيان ان
الاسوة فيهم كان لرجاء ثواب الله وحسن المنقلب والاول فيه بيان ان الاسوة فى
معاداة للكفار وقوله لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر بدل من قوله لكم وهو
بدل البعض من الكل مثل قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه وفيه
بيان ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عقاب الاخرة وهو قوله واليوم الاخر
ومن يتول اى ومن يعرض عن هذا الاقتداء بابرهيم والانبياء والمومنين الذين
معه فقد اخطا حظ نفسه وذهب عما يعود عليه نفعه اليه فحذف لدلالة الكلام
عليه وهو قوله فان الله هو الغنى الحميد اى الغنى عن ذلك المحمود فى جميع افعاله
فلا يضره توليه ولكن ضر نفسه عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم اى من كفار مكة مودة بالاسلام قال مقاتل لما امر الله سبحانه المومنين
بعداوة الكفار عادوا اقرباهم فنزلت هذه الاية والمعنى ان موالاة الكفار
لا ينفع والله سبحانه قادر على ان يوفقهم للايمان ويحصل المودة بينهم
وبينكم فكونوا على رجاء وطمع من الله ان يفعل ذلك وقد فعل ذلك حين
اسلموا عام الفتح فحصلت المودة بينهم وبين المسلمين والله قدير على نقل
القلوب من العداوة الى المودة وعلى كل شئ يصح ان يكون مقدورا له
والله غفور لذنوب عباده رحيم اذا تابوا واسلموا لا ينهاكم الله عن الذين
لا يقاتلونكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم اى لم ينهكم الله من مخالطة

اهل العهد الذين عاهدوكم على ترك القتال برهم ومعاملتهم بالعدل اى هو قوله
ان تبروهم وتقسطوا اليهم اى تعدلوا فيما بينكم فكونوا على من الوفاء بالعهد
عن الزجاج وقيل ان المسلمين استامروا النبي في ان يبروا اقرباهم من المشركين وذلك
قبل ان يومروا بقتال جميع المشركين فنزلت هذه الاية وهي منسوخة بقوله اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم عن ابن عباس والحسن وقتاده وقيل انه عنى بالذين لم يقاتلوكم
من آمن من اهل مكه ولم يهاجر عن قتاده وقيل هي عامة في كل من كان بهذه الصفة
عن ابن الزبير والذى عليه الاجماع ان بر الرجل من يشاء من اهل الحرب قرابة كان او غير
قرابة ليس بمحرم وانما الخلاف في اعطائهم مال الزكوة والفطرة والكفارات فلم يجوزه
اصحابنا وفيه خلاف بين الفقهاء وقوله ان تبروهم في موضع جر بدل من الذين وهو
بدل الاشتمال وتقديره لا ينهاكم الله عن ان تبروا الذين لم يقاتلوكم ان الله يحب
المقسطين اى العادلين وقيل يحب الذين يجعلون لقراباتهم قسطا مما في بيوتهم من المطعومات
ثم قال انما ينهاكم الله عن ان تبروا الذين قاتلوكم في الدين من اهل مكة وغيرهم واخرجوكم
من دياركم عن ابن عباس ومجاهد وقتاده قال الزهري لولا الهدنة لم يرد الى المشركين
الصداق كما كان يفعل قبل ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن اى
ولا جناح عليكم معاشر المسلمين ان تنكحوا المشركات المهاجرات اذا اعطيتموهن اجورهن
مهورهن التى يستحل به فروجهن لانهن بالاسلام قد بن من ازواجهن ولا تمسكوا
بعصم الكوافر اى لا تمسكوا بنكاح الكافرات واصل العصمة المنع وسمي النكاح عصمة
لان المنكوحة يكون في حبال الزوج وعصمته وفي هذا دلالة على انه لا يجوز العقد
على الكافرة سواء كانت حربية او ذمية وعلى كل حال لانه عام في الكوافر وليس لاحد
ان يخص الاية بعابدة الوثن لنزولها بسببهن لان المعتبر بعموم اللفظ لا بالسبب
واسألوا ما انفقتم اى ان لحقت امراة منكم باهل العهد من الكفار مرتدة فاسألوهم
ما انفقتم من المهر اذا منعوها ولم يدفعوها اليكم كما يسالونكم مهور نسائهم
اذا هاجرن اليكم وهو قوله وليسالوا ما انفقوا ذلكم يعنى ما ذكر الله في هذه الاية

حكم الله

حكم الله يحكم بينكم والله عليم بجميع الاشياء حكيم فيما يفعل ويأمر به قال الحسن
كان في صدر الاسلام يكون المسلمة تحت الكافر والكافرة تحت المسلم فنسخته
هذه الاية قال الزهري ولما نزلت هذه الاية امن المومنون بحكم الله تعالى
وادوا ما امروا به من نفقات المشركين على نسائهم وابى المشركين ان يقروا
بحكم الله فيما امرهم به من اداء نفقات المسلمين فنزل وان فاتكم شيء
اى احد من ازواجكم الى الكفار فلحقن بهم مرتدات فعاقبتم معناه فغزوتم
فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة وظفرتم وكانت العاقبة لكم وقيل ثم
خلفتم من بعدهم وصار الامر اليكم عن مورخ وقيل ان عقب وعاقب مثل صغر وصاعر
بمعنى عن الفراء وقيل عاقبتم بصيرا ازواجكم الكفار اليكم اما من جهة سبي
او مجيهن مومنات عن علي بن عيسى فآتوا الذين ذهبت ازواجهم اى نساءهم
من المومنين مثل ما انفقوا من المهور عليهن من راس الغنيمة وكذلك من ذهبت
زوجته الى من بينكم وبينه عهد فنكث عن اعطاء المهر فالذى ذهبت زوجته
يعطى المهر من الغنيمة ولا ينقص شيئا من حقه بل يعطى كملا عن ابن عباس والجبائي
وقيل معناه ان فاتكم احد من ازواجكم الى الكفار الذين بينكم وبينهم عهد
فغنمتم فاعطوا زوجها صداقها الذى كان ساق اليها من الغنيمة ثم نسخ هذا
الحكم في براءه فنبذ الى كل ذى عهد عهده عن قتاده وعلي بن عيسى معناه فاعطوا
الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من المهور كما عليهم ان يردوا عليكم مثل ما
انفقتم لمن ذهب من ازواجكم واتقوا الله الذى انتم به مومنون اى اجتنبوا معاصي الله
الذى انتم تصدقون به ولا تجاوزوا امره وقال الزهري فكان جميع من لحق بالمشركين
من نساء المومنين المهاجرين راجعات عن الاسلام ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان
كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمه بنت ابي اميه بن المغيره اخت ام سلمة كانت
عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس
بن عثمان وعبده بنت عبد العزى بن فضله وزوجها بن عبدود وهند بنت ابي جهل

بن هشام كانت تحت هشام بن وايل وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر فاعطاهم رسول الله مهور
نساهم من الغنيمة قوله عزوجل يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا
يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه
بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان
الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة
كما يئس الكفار من اصحاب القبور اياتان من اصحاب القبور اي من بعث اصحاب
القبور فحذف المضاف ويجوز ان يكون من تبيينا للكفار والتقدير كما يئس الكفار
الذين هم من اصحاب القبور من الاخرة ثم ذكر سبحانه بيعة النساء وكان ذلك
يوم فتح مكة لما فرغ النبي صلى الله عليه وآله من بيعة الرجال وهو على الصفا جاءته
النساء يبايعنه فنزلت هذه الاية فشرط الله سبحانه في مبايعتهن ان ياخذ عليهن
هذه الشروط وهو قوله يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك على هذه
الشرايط وهي ان لا يشركن بالله شيئا من الاصنام والاوثان ولا يسرقن ولا من
ازواجهن ولا من غيرهم ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن على وجه من الوجوه لا بالواده
ولا بالاسقاط ولا ياتين ببهتان يفترينه اي بكذب يكذبنه في مولود يوجد بين
ايديهن وارجلهن اي لا يلحقن بازواجهن غير اولادهن عن ابن عباس قال الفرا
كانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فذلك البهتان
الذي بين ايديهن وارجلهن وذلك ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها
ورجليها وليس المعنى من بهتهن ان ياتين بولد من الزنا فينسبنه الى الازواج
لان الشرط بنهي الزنا قد تقدم ذلك وقيل البهتان الذي نهين عنه قذف المحصنات
والكذب على الناس واضافة الاولاد الى الازواج على البطلان في الحاضر والمستقبل من
الزمان ولا يعصينك في معروف وهو جميع ما يامرهن به لانه عليه السلم لا يامر الا بالمعروف
والمعروف نقيض المنكر وهو كل ما دل العقل والسمع على وجوبه او ندبه وسمي معروفا
لان العقل يعترف به من جهة عظم حسنه ووجوبه وقيل عنى بالمعروف النهي عن النوح

وتمزيق الثوب وجز الشعر وشق الجيب وخمش الوجه والدعا بالويل عن المقاتلين والكلبي و الامل
ان المعروف كل بر وتقوى وامر وافق طاعة الله تعالى فبايعهن على ذلك واستغفر لهن
الله اي اطلب من الله ان يغفر لهن ذنوبهن ويسترها عليهن ان الله غفور رحيم
اي صفوح عنهن منعم عليهن وروي ان النبي صلى الله عليه وآله بايعهن وكان على الصفا
وكان عمر اسفل منه وهند بنت عتبة متنقبة متنكرة مع النساء خوفا ان يعرفها رسول
الله صلى الله عليه وآله فقال ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فقالت هند
انك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال وذلك انه بايع الرجال يومئذ
على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وآله ولا تسرقن فقالت هند ان ابا سفيان
رجل ممسك واني اصبت من ماله هنات فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان
ما اصبت من مالي فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله وعرفها
فقال وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك
فقال ولا تزنين فقالت هند او تزني الحرة فتبسم عمر بن الخطاب لما جرى بينه وبينها
في الجاهلية فقال عليه السلم ولا تقتلن اولادكن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا
فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قتله علي بن ابي طالب يوم بدر فضحك
عمر حتى استلقى وتبسم النبي صلى الله عليه وآله ولما قال ولا ياتين ببهتان قالت هند
والله ان البهتان قبيح وما يامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولما قال ولا يعصينك
في معروف قالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وروى
الزهري عن عروة عن عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وآله يبايع النساء بالكلام
بهذه الاية ان لا يشركن بالله شيئا وما مست يد رسول الله يد امراة قط الا امراة
يملكها رواه البخاري في الصحيح وروي انه صلى الله عليه وآله كان اذا بايع النساء دعا بقدح
ماء فغمس يده فيه ثم اغمسن ايديهن فيه وقيل انه كان يبايعهن من وراء الثوب
عن الشعبي والوجه في بيعة النساء مع انهن لسن من اهل النصرة بالمحاربة
هو اخذ العهد عليهن بما يصلح من شانهن في الدين والانفس والازواج وكان ذلك

في صدر الاسلام لئلا تتشبهن فيما صنع من الاحكام فبايعهن النبي صلى الله عليه وآله
حسما لذلك ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما
غضب الله عليهم اي لا تتولوا اليهود وذلك ان جماعة من فقراء المسلمين كانوا
يخبرون اليهود اخبار المسلمين يتواصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم
فنهى الله عن ذلك عن المقاتلين وقيل اراد جميع الكفار اي لا تتخذوا كافرا
من الكفار اولياء ثم وصف الكفار فقال قد يئسوا من الآخرة اي من ثواب
الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور يعني ان اليهود بتكذيبهم محمدا وهم يعرفون
صدقه وانه رسول يئسوا من ان يكون لهم في الآخرة حظ لانهم قد انقضوا بعذاب
الله عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل كما يئس الكفار العرب من ان يحيى اهل
القبور ابدا عن الحسن وقيل كما يئس الكفار من ان ينالهم خير من اصحاب القبور وقيل
يريد بالكفار ههنا الذين يدفنون الموتى اي يئس هؤلاء الذين غضب عليهم
من الآخرة كما يئس الذين دفنوا الموتى منهم ختم الله سبحانه السورة بالامر بقطع الموالاة
من الكفار كما افتتحها به **سورة عيسى** وتسمى سورة الحواريين وسورة عيسى عليه السلام
مدنية وهي اربعة عشر آية بلا خلاف **فضلها** ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله
قال من قرأ سورة عيسى كان عيسى عليه السلام مصليا مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو
يوم القيمة رفيقه ابو بصير عن ابي جعفر عليه السلام قال من قرأ سورة الصف وادمن
قراءتها في فرائضه ونوافله صفه الله مع ملائكته وانبيائه المرسلين **تفسيرها**
لما ختم سبحانه السورة بقطع موالاة الكفار افتتح هذه السورة بايجاب ذلك ظاهرا
وباطنا ثم امر بالجهاد فقال بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ
إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللّٰهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا

فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ خمس آيات
اللغة البغض في الرص احكام البناء يقال رصصت البناء اي احكمته واصله
من الرصاص اي جعلته كانه بني بالرصاص لتلاؤمه وشدة اتصاله
لم حذفت الالف من ما لشدة الاتصال مع ضعف حرف الاعتلال لاخر الكلام لانه حرف
تغيير في موضع تغيير مقتا نصب على التمييز وان يقولوا في موضع رفع بانه
فاعل كبر والتقدير كبر هذا القول مقتا عند الله وقيل ان الفاعل مضمر فيه
والتقدير كبر المقت مقتا عند الله نحو نعم رجلا زيد والمخصوص بالذم
ان يقولوا صفا مصدر في موضع الحال اي مصطفين نزل قوله لم تقولون
ما لا تفعلون في المنافقين عن الحسن وقيل نزل في قوم كانوا يقولون اذا لقينا
العدو لم نفر ولم نرجع عنهم ثم لم يفوا بما قالوا وانهزموا يوم احد حتى شج
وجه رسول الله وكسرت رباعيته عن مقاتل والكلبي وقيل نزلت في قوم قالوا
جاهدنا وابلينا وفعلنا ولم يفعلوا وهم كذبة عن قتادة وقيل لما اخبر الله
سبحانه رسوله بثواب شهداء بدر قالت الصحابة لئن لقينا بعده قتالا لنفرغن فيه
وسعنا ثم فروا يوم احد فعيرهم الله بذلك عن محمد بن كعب وقيل كان اناس
من المؤمنين قبل ان يفرض الله الجهاد يقولون وددنا لو ان الله تعالى
دلنا على احب الاعمال اليه فنعمل به فاخبرهم الله تعالى ان افضل الاعمال ايمان لا شك
فيه والجهاد فكره ذلك اناس وشق عليهم وتباطؤوا عنه فنزلت الآية عن ابن عباس
وقيل كان رجل يوم بدر قد آذى المسلمين فقتله صهيب فقال رجل يا رسول الله
قتلت فلانا ففرح رسول الله فقال عمرو عبد الرحمن اخبر النبي ص انك قتلته
وان فلانا ينتحله فقال صهيب انا قتلته لله ولرسوله فنزلت الآية والآية الاخرى عن
سعيد بن المسيب سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم
مر تفسيره وانما اعيد ههنا لانه استفتاح السورة بتعظيم الله تعالى من جهة ما سبح له
بالآية التي فيه كما يستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم واذا دخل المعنى في تعظيم الله حسن الاستفتاح

به يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا يفعلون قيل ان الخطاب للمومنين وتعييرهم
ان يقولوا شيئا ولا يفعلونه قال الجبائي هذا على ضربين احدهما ان يقول سافعل
وعزمه ان لا يفعله فهذا قبيح مذموم والاخر ان يقول سافعل ونيته ان يفعله
والمعلوم انه لا يفعله فهذا قبيح لانه لا يدري ايفعله ام لا وينبغي في مثل هذا
ان يقرن بلفظ ان شاء الله كبر مقتا عند الله ان يقولوا ما لا يفعلون
اي كبر هذا القول وعظم مقتا عند الله وهو ان يقولوا ما لا يفعلونه وقيل معناه
كبر ان يقولوا ما لا يفعلونه وتعدوا من انفسكم ما لا تفون به مقتا عند الله
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله اي يصفون انفسهم عند القتال
صفا وقيل يقاتلون في سبيله مصطفين كانهم بنيان مرصوص كانه بني
بالرصاص لتلاومه وشدة اتصاله وقيل كانه حائط ممدود على رص البناء
اي احكامه واتصاله واستقامته اعلم الله تعالى انه يحب من ثبت في القتال
ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص ومعنى محبة الله اياهم انه يريد ثوابهم
ومنافعهم ثم ذكر سبحانه حديث موسى عليه السلام في صدق نيته وثبات عزيمته
على الصبر في اذى قومه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله في تكذيبهم اياه فقال
واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم
هذا عليهم ايذاءه بعد ما علموا انه رسول الله والرسول يعظم ويبجل ولا يؤذى
وكان قوم اذوه بانواع من الاذى وهو قولهم اجعل لنا الها واذهب انت وربك
فقاتلا وما روي في قصة قارون انه دس اليه امرأة وزعم انه زنا بها ورموه
بقتل هرون وقيل ان ذلك حين رموه بالادرة وقد ذكرنا ذلك عند قوله لا تكونوا
كالذين اذوا موسى الاية فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اي فلما مالوا عن الحق والاستقامة
خلاهم وسوء اختيارهم ومنعهم الالطاف التي يهدي بها قلوب المؤمنين
كقوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه عن ابي مسلم وقيل ازاغ قلوبهم عما يحبون الى ما
يكرهون ولا يجوز ان يكون المراد ازاغ قلوبهم عن الايمان لان الله تعالى لا يجوز

ان يزيغ

ان يزيغ احدا عن الايمان وايضا فانه يخرج الكلام عن الفائدة لانهم اذا زاغوا
عن الايمان فقد حصلوا كفارا فلا معنى لقوله ازاغهم الله عن الايمان
والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى الثواب والكرامة والجنة
التي وعدها للمومنين وقيل لا يفعل بهم الالطاف التي يفعلها بالمؤمنين
بل يخليهم واختيارهم عن ابي مسلم قوله عز وجل وَاِذْ قالَ عيسى ابنُ مريمَ يا بني
اِسْرائيلَ اِنّي رَسُولُ اللهِ اِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرٰيةِ وَمُبَشِّرًا
بِرَسُولٍ يَأْتي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ اَحْمَدُ فَلَمّا جاءَهُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ
مُبينٌ وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعى اِلَى الْاِسْلامِ
وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمينَ يُريدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِاَفْواهِهِمْ
وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ هُوَ الَّذي اَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى
وَدينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ اربع آيات
فتح اهل البصرة والحجاز وابو بكر الياء في قوله من بعدي اسمه ولم يفتحه
الباقون وقرأ ابن كثير واهل الكوفة غير ابي بكر متم نوره مضافا والباقون
متم نوره بالنصب   الاضافة ينوى بها الانفصال كما في قوله انا مرسلوا
الناقة وذائقة الموت والنصب في متم على انه في حال الفعل فيما ياتي
احمد فحذف المضاف في موضع جر لكونه وصفا لرسول كما ان قوله يأتي
في موضع جر وتقديره اسمه قول احمد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وكذلك قوله يجدونه مكتوبا عندهم في التورية اي يجدون ذكره مكتوبا
الا ترى ان الشخص لا يكتب كما ان احمد عبارة عن الشخص والاسم قول والقول
لا يكون الشخص وخبر المبتدأ في المعنى ومفعول قوله يريدون محذوف
وتقديره يريدون ذم الاسلام او يريدون هذا القول ليطفئوا نور الله
والله متم في موضع النصب على الحال   ثم عطف سبحانه بقصة عيسى عليه السلام
على قصة موسى فقال واذ قال عيسى اي واذكر اذ قال عيسى بن مريم لقومه الذين

بعث اليهم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية
المنزلة على موسى عليه السلام ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد يعني نبينا
محمد صلى الله عليه وآله كما قال الا اله الا له ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك
احمد ولهذا الاسم معنيان احدهما ان يجعل احمد مبالغة من الفاعل
اي هو اكبر حمدا لله من غيره والاخر ان يجعل مبالغة من المفعول اي يحمد
بما فيه من الاخلاق والمحاسن اكثر مما يحمد غيره وصحة الرواية عن الزهري
عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان لي اسما
انا احمد وانا محمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر
الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي اورده البخاري في الصحيح
وقد تضمنت الاية ان عيسى بشر قومه بنبوته فاخبرهم برسالته وفي هذه البشرى
معجزة لعيسى عليه السلام عند ظهور محمد صلى الله عليه وآله وامر لامته ان يؤمنوا به عند
مجيئه فلما جاءهم احمد بالبينات اي بالدلالات الظاهرة والمعجزات الباهرة قالوا
هذا سحر مبين اي ظاهر ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب اي من اشد ظلما
ممن اختلق الكذب على الله تعالى وقال المعجزاته سحر وللرسول انه ساحر كذاب وهو
يدعى الى الاسلام الذي فيه نجاته وقيل يدعى الى الاستسلام لامره والانقياد
لطاعته والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا نفوسهم بفعل الكفر
والمعاصي قال ابن جريج هم المشركين والمنافقين وبك عليه في قوله بعد يريدون
ليطفئوا نور الله بافواههم اي يريدون اذهاب نور الايمان والاسلام بفاسد
الكلام الجاري مجرى تراكم الظلام فمثلهم فيه مثل من حاول اطفاء نور الشمس بفيه
والله متم نوره اي مظهر كلمته ومؤيد نبيه ومعلن دينه وشريعته ومبلغ ذلك
غايته ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وآله بالهدى
من التوحيد واخلاص العبادة له ودين الحق وهو دين الاسلام وما تعبد به
الخلق ليظهره على الدين كله بالحجة والتاييد والنصرة ولو كره المشركون وفي هذا

دلالة على صحة نبوة نبينا عليه السلام لانه سبحانه قد اظهر دينه على جميع الاديان بالاستعلاء
والقهر واعلاء الشأن كما وعده ذلك في حال الضعف وقلة الاعوان وارادة الدين
خير الايمان فلذلك ادخل الالف واللام وروى العياشي بالاسناد عن عمران بن ميثم
عن عباية انه سمع امير المؤمنين عليه السلام هو الذي ارسل عبده بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله اظهر ذلك بعد قالوا نعم قال كلا فوالذي نفسي بيده حتى لا يبقى
قرية الا وينادى فيها بشهادة ان لا اله الا الله بكرة وعشيا قوله عز وجل يا ايها
الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات
عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر
المؤمنين يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم
للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة
من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين
خمس آيات القراءة قرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد والباقون تنجيكم بالتخفيف وقرأ اهل
الحجاز وابو عمرو انصارا بالتنوين لله بغير الف والباقون انصار الله بالاضافة
الى الله الحجة قال ابو علي حجة من قرأ تنجيكم بالتشديد قوله ونجينا الذين آمنوا
وحجة التخفيف فانجاه الله من النار اللغة التجارة طلب الربح في شراء المتاع واستعير
ههنا لطلب الربح في اعمال الطاعة والجهاد مقاتلة العدو والاعراب انما جاز يؤمنون
بالله مع انه محمول على تجارة وخبر عنها ولا يصلح ان يكون يقال للتجارة يؤمنون
وانما يقال ان يؤمنوا بالله لانه جاء على طريق ما يدل على خبر التجارة لا على نفس الخبر اذ الفعل
يدل على مصدره وانما انعقاده بالتجارة في المعنى لا في اللفظ وفي ذلك توطية لما يبنى
على المعنى في الايجاز والعرب تقول لهلاك خير يقوم الى فلان فقعوده وان تقوم
اليه وقوله يغفر لكم ذنوبكم في كونه مجزوما وجهان احدهما انه جواب هل ادلكم وهو قول الفراء

وانكره اصحابنا البصريون قالوا ان الدلالة على التجارة لا توجب المغفرة فهو امر جاء
على لفظ الخبر يدل على ذلك قراءة عبد الله بن مسعود امنوا بالله وجاهدوا ولا يمتنع
ان ياتى الامر بمعنى الخبر كما اتى الخبر بلفظ الامر فى قوله فليمدد له الرحمن مدا المعنى
فيمد له الرحمن مدا لان التقدير تعالى لا يامر نفسه ومثل ذلك اسمع بهم وابصر
لفظه امر ومعناه خبر ويجوز ان يكون قوله يؤمنون مرفوعا بسقوط ان
والموصول والصلة فى موضع جر على البدل من تجاره وتقديره هل ادلكم على
تجارة ايمان بالله وقوله واخرى فى موضع جر وبانه صفة لموصوف محذوف
مجرور بالعطف على تجارة تقديره وعلى تجارة اخرى محبوبة قال الزجاج تقديره
ولكم تجارة اخرى فعلى هذا يكون اخرى صفة موصوف محذوف مرفوع بالابتداء و
تحبونها صفة بعد صفة ونصر خبر مبتداء محذوف تقديره هى نصر من الله
من انصارى الى الله الى هاهنا بمعنى مع اى مع الله المعنى لما تقدم ذكر الرسول
عقبه سبحانه بذكر الدعاء الى قبول قوله ونصرته والعمل بشريعته فقال يا ايها الذين
امنوا وهو خطاب للمؤمنين على العموم وقيل هو خطاب لمن تقدم ذكرهم فى اول
السورة هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم صورته صورة العرض والمراد
الامر على سبيل التلطف فى الاستدعاء الى الاخلاص فى الطاعة والمعنى هل ترغبون
فى تجاره منجيه من العذاب الاليم وهى الايمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيل الله
بالمال والنفس فى ذلك قوله يؤمنون بالله ورسوله ويجاهدون فى سبيل الله
باموالكم وانفسكم وانما انزل هذا لما قالوا لو نعلم اى الاعمال افضل واحب
الى الله فجعل سبحانه ذلك العمل بمنزلة التجارة لانهم يربحون فيها رضى الله
والفوز بالثواب والجنه من العقاب ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اى ما وصفته
وذكرته لكم انفع لكم وخير عاقبة لو علمتم ذلك واعترفتم بصحته وقيل معناه
ان التجارة التى دللتكم عليها خير من التجارة التى كنتم تشتغلون بها لانها
تؤدى الى الربح الازلى الابدى وهذه تؤدى الى ربح يزول ويبيد ان كنتم تعلمون

مضار

مضار الاشياء ومنافعها يغفر لكم ذنوبكم اى فانكم ان علمتم بذلك يغفر لكم
ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة اى
مواضع تسكنونها مستلذه مستطابه فى جنات عدن اى اقامة لا يبغون
عنها حولا ذلك الفوز العظيم لا ما يعده الناس فوزا من طول البقاء
وولاية للدنيا وسال الحسن عمران بن حصين وابا هريره عن تفسير
قوله ومساكن طيبة فى جنات عدن فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول
الله ص عن ذلك فقال قصر من لولوء فى الجنه فى ذلك القصر سبعون دارا
من ياقوتة حمرا فى كل دار سبعون بيتا من زمرده خضرا فى كل بيت سبعون
سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش امراه من الحور
العين فى كل بيت سبعون مايدة على كل مايدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت
سبعون وصيفا ووصيفة قال ويعطى الله المومن من القوة فى غداة واحدة
ما ياتى على ذلك كله ثم قال سبحانه واخرى تحبونها نصر من الله اى وتجارة
اخرى وخصلة اخرى تحبونها عاجلا مع ثواب الاجل وهذا من الله تعالى
زياده ترغيب اذ علم سبحانه ان فيهم من يحاول عاجل النصر اما رغبة فى الدنيا
واما تاييد للدين فوعدهم ذلك بان قال نصر من الله وفتح قريب اى تلك الخصلة
وتلك التجارة نصر من الله لكم على اعدايكم وفتح قريب لبلادهم يعنى النصر على قريش
وفتح مكة عن الكلبى وقيل يريد فارس والروم وساير فتوح الاسلام على العموم
عن عطا وقريب معناه قريب كونه وقيل قريب منكم بقرب الرجوع منه الى اوطانكم
وبشر المومنين اى بشرهم بهذين الثوابين عاجلا واجلا على الجهاد وهو النصر
فى الدنيا والجنه فى العقبى ثم حض سبحانه المومنين على نصرة دينه فقال
يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله اى انصار دينه واعوان نبيه وانما
اضاف الى نفسه كما يقال للكعبة بيت الله وقيل الحمزه بن عبد المطلب اسد الله
والمعنى دوموا على ما انتم عليه من النصرة كما قال عيسى بن مريم اى مثل قول عيسى بن مريم

للحواريين وهم خاصة الانبياء وسموا بذلك لانهم اخلصوا من كل عيب عن الزجاج
وقيل سموا بذلك لبياض ثيابهم وقيل انهم كانوا قصارين من انصاري الى الله
والمعنى قل يا محمد انى ادعوكم الى هذا الامر كما دعا عيسى عليه السلم قومه فقال من انصاري
مع الله ينصرني مع نصرة الله اياي وقيل الى الله اى فيما يقرب الى الله كما يقال اللهم
منك واليك قال الحواريون نحن انصار الله اى انصار دين الله واوليائه
وقيل انما سموا نصارى لقولهم نحن انصار الله فامنت طايفة من بني اسرائيل
اى صدقت بعيسى عليه السلم وكفرت طايفة اخرى به قال ابن عباس يعنى فى زمن عيسى
عليه السلم وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فارتفع وفرقة
منهم طايفة من الناس فاقتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على المومنين حتى بعث
محمد صلى الله عليه واله فظهرت الفرقة المومنة على الكافرين وذلك قوله فايدنا
الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اى عالين غالبين وقيل معناه
اصبحت حجة من امن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ص بان عيسى كلمة الله وروحه
عن ابرهيم وقيل بل ايدوا فى زمانهم على من كفر بعيسى عن مجاهد وقيل معناه

فامنت طايفة من بنى اسرائيل بمحمد وكفرت طايفة

فاصبحوا ظاهرين لعدوهم بالحجة والقهر

والغلبة وبالله التوفيق

تم الجزء التاسع من تفسير القران

بعون الملك الديان ويتلوه

فى الجزء العاشر ان شاء الله

تعالى تفسير سورة

الجمعه

سورة الجمعه مدنيه وهي احدى عشرة آيه بالاجماع فضلها ابي بن كعب عن النبي ص
قال من قرأ سورة الجمعة اعطي عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من لم
يأتها فى امصار المسلمين منصور بن حازم عن ابي عبد الله عليه السلم قال من الواجب
على كل مومن اذا كان لنا شيعة ان يقرأ فى ليلة الجمعة بالجمعة وسبح باسم ربك
وفى صلوة الظهر بالجمعة والمنافقين فاذا فعل فكانما يعمل بعمل رسول الله صلى الله
عليه واله وكان ثوابه وجزاؤه على الله الجنة تفسيرها لما ختم سبحانه سورة الصف بالترغيب
فى عبادته والدعاء اليها وذكر تاييد المومنين بالنصر والظهور على الاعداء افتتح
هذه السورة ببيان قدرته على ذلك وعلى جميع الاشياء فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ هُوَ الَّذِي
بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَثَلُ
الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ خمس آيات اللغة الاسفار
الكتب واحدها سفر وانما سمي بذلك لانه يكشف عن المعنى باظهاره يقال سفر الرجل عمامته
اذا كشفها وسفرت المراة عن وجهها فهي سافرة ومنه والصبح اذا اسفر الاعراب
وان كانوا من قبل لفي ضلال لان هذه مخففه من الثقيلة ولهذا لزمها اللام الفارقة فى خبر
كان لئلا يلتبس بان النافيه واخرين مجرور لانه صفة محذوف وهو معطوف على الاميين فى اى
قوم آخرين ويحتمل ان يكون منصوبا بالعطف على هم فى يعلمهم يحمل اسفارا فى موضع
النصب على الحال بئس مثل المخصوص بالذم محذوف وتقديره بئس مثل القوم الذين
كذبوا بايات الله مثلهم فيكون الذين فى موضع جر ويجوز ان يكون التقدير
بئس مثل القوم الذين كذبوا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعلى هذا

يكون الذين في موضع دفع وهو المخصوص بالذم المعنى يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه كل شيء ويشهد له بالوحدانية وللربوبية بما ركب فيها من بدايع الحكم وعجايب الصنعة الدالة على انه قادر عالم حي قديم سميع بصير حكيم لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء وانما قال مرة سبح ومرة يسبح اشارة الى دوام تنزيهه في الماضي والمستقبل الملك اي القادر على تصريف الاشياء القدوس اي المستحق للتعظيم الطاهر عن كل نقص العزيز القادر الذي لا يمتنع عليه شيء الحكيم العالم الذي يضع الاشياء مواضعها هو الذي بعث في الاميين يعني العرب وكانت امة امية لا تكتب ولا تقرأ ولم يبعث اليهم نبي عن مجاهد وقتاده وقيل يعني اهل مكة لان مكة تسمى ام القرى رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه واله نسبه نسبهم وهو من جنسهم كما قال لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ووجه النعمة في انه جعل النبوة في امي موافقته لما تقدمت البشارة به في كتب الانبياء السالفة ولانه ابعد من توهم الاستعانة على ما اتى به من الحكمة بالحكم التي تلاها والكتب التي قراها واقرب الى العلم بان ما يخبرهم به من اخبار الامم الماضية من السنن الخالية على وفق ما في كتبهم ليس ذلك الا بالوحي يتلو عليهم اياته اي يقرأ عليهم القران المشتمل والفروض والحرام والحج والاحكام ويزكيهم اي ويطهرهم من الكفر والذنوب ويدعوهم الى ما يصيرون به ازكياء ويعلمهم الكتاب والحكمة الكتاب القران والحكمة الشرايع وقيل ان الحكمة تعم الكتاب والسنة وكل ما اراده الله تعالى فان الحكمة هي العلم الذي يعمل عليه فيما يجتبوا ويجتنب من امور الدين والدنيا وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين معناه وما كانوا من قبل بعثه اليهم الا في عدول عن الحق وذهاب عن الدين بين ظاهر واخرين منهم اي ويعلم اخرين من المومنين لما يلحقوا بهم وهم كل من بعد الصحابة الى يوم القيمة فان الله سبحانه بعث النبي اليهم وشريعته تلزمهم وان لم يلحقوا بزمان الصحابة عن مجاهد وابن زيد وقيل هم الاعاجم ومن لا يتكلم بلغة العرب

فان النبي صلى الله عليه واله مبعوث الى من شاهده والى من بعدهم من العرب والعجم عن ابن عمر وسعيد بن جبير وروى ذلك عن ابي جعفر عليه السلام وروى ان النبي صلى الله عليه واله قرأ هذه الاية فقيل له من هولاء فوضع يده على كتف سلمان وقال لو كان الايمان في الثريا لنالته رجال من هولاء وعلى هذا فانما قال منهم لانهم اذا اسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم يد واحدة على من سواهم وامة واحدة وان اختلفت اجناسهم كما قال سبحانه والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض ومن لم يومن بالنبي صلى الله عليه واله فانهم ليسوا ممن عناهم الله بقوله واخرين منهم وان كان عليه السلام مبعوثا اليهم بالدعوة لقوله سبحانه ويزكيهم ويعلمهم ومن لم يومن فليس ممن زكاه وعلمه القران والسنة وقيل ان قوله لما يلحقوا بهم يعني في الفضل والسابقة فان التابعين لا يدركون شان السابقين من الصحابة وخيار المومنين وهو العزيز الذي لا يغالب الحكيم في جميع افعاله ذلك فضل يعني النبوة التي خص الله بها رسوله عن مقاتل يوتيه اي يعطيه من يشاء بحسب ما يعلمه من صلاحه للبعثة وتحمل اعباء الرسالة والله ذو الفضل العظيم ذي المن العظيم على خلقه ببعث محمد صلى الله عليه واله وروى محمد بن ابي عمير عن هشام بن سالم يرفعه قال جاء الفقراء الى رسول الله ص فقالوا يا رسول الله ان للاغنياء ما يتصدقون وليس لنا ما نتصدق ولهم ما يحجون وليس لنا ما نحج ولهم ما يعتقون وليس لنا ما نعتق فقال من كبر الله مائة مرة كان افضل من عتق رقبة ومن سبح الله مائة مرة كان افضل من مائة فرس في سبيل الله يسرجها ويلجمها ومن هلل الله مائة مرة كان افضل الناس عملا في ذلك اليوم الا من زاد فبلغ ذلك الاغنياء فقالوه فرجع الفقراء الى النبي صلى الله عليه واله فقالوا يا رسول الله قد بلغ الاغنياء ما قلت فصنعوا فقال رسول الله ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ثم ضرب سبحانه لليهود الذين تركوا العمل بالتورية مثلا فقال مثل الذين حملوا التورية اي كلفوا القيام بها والعمل بما فيها ثم لم يحملوها حق حملها من اداء حقها والعمل بموجبها

لانهم حفظوها ودونوها كتبهم ثم لم يعملوا بما فيها كمثل الحمار الذي يحمل اسفارا
لان الحمار الذي يحمل كتب الحكمة على ظهره لا يحس بما فيها فمثل من يحفظ الكتاب ولا يعمل
بموجبه كمثل من لا يعلم ما فيها بجملة قال ابن عباس فسواء حمل على ظهره او جحده
اذا لم يعمل به وعلى هذا من تلا القرآن ولم يفهم معناه واعرض عنه اعراض
من لا يحتاج اليه كان هذا المثل لاحقا به وان حفظه وهو طالب لمعناه فليس من هذا
المثل وانشد ابو سعيد الضرير في ذلك شعر زوامل للاسفار لا علم عندهم بجيدها
الا كعلم الاباعر لعمرك ما يدري المطي اذا غدى باسفاره او راح ما في الغرائر
بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله معناه بئس القوم قوم هذا مثلهم لانه سبحانه
ذم مثلهم والمراد به ذمهم واليهود كذبوا بالقرآن والتورية حين لم يومنوا
بمحمد صلى الله عليه وآله والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يفعل بهم من الالطاف
التي يفعلها بالمومنين الذين بها يهتدون وقيل لا يثيبهم ولا يهديهم الى الجنة
وعن ميمون بن مهران قال يا اهل القرآن اتبعوا القرآن قبل ان يتبعكم وتلا هذه
الاية قوله عز وجل قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ
النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا
مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا
انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ
وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ست آيات الزعم قول عن ظن او علم ولذلك صار
من باب الظن والعلم وعمل ذلك العمل قال الشاعر فان تزعميني كنت اجهل فيكم فاني شريت
الحلم بعدك بالجهل والاولياء جمع ولي هو الحقيق بالنصرة التي يوليها عند الحاجة

والله

والله ولي المومنين لانه يوليهم النصرة عند حاجتهم والمومن ولي الله لهذه العلة
ويجوز ان يكون لانه ولي المطيع له بنصره عند حاجته والتمني هو قول القائل لما كان
ليته لم يكن ولما لم يكن ليته كان فهو يتعلق بالماضي والمستقبل وهو جنس الكلام
عند الجبائي والقاضي وقال ابو هاشم هو معنى في النفس يوافق هذا القول والجمعة
والجمعة لغتان وجمعها جمع وجمعات قال الفراء وفيها لغة ثالثة جمعة بفتح الميم
كضحكة وهمزة وانما سميت جمعة لانه تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء فاجتمعت فيه
المخلوقات وقيل لانه يجتمع فيه الجماعات وقيل ان اول من سماها جمعة كعب بن
لوي وهو اول من قال اما بعد وكان يقال للجمعة العروبة عن ابي مسلم وقيل
ان اول من سماها جمعة الانصار قال ابن سيرين جمع اهل المدينة قبل ان يقدم
النبي صلى الله عليه وآله المدينة وقيل قبل ان نزل الجمعة قالت الانصار لليهود
يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى يوم ايضا مثل ذلك فلنجعل يوما
نجتمع فيه فنذكر الله عز وجل ونشكره او كما قالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد
للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ
وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا اليه فذبح لهم اسعد بن زرارة شاة
فتغدوا وتعشوا من شاة واحدة وذلك لقلتهم فانزل الله تعالى في ذلك
اذا نودي للصلوة الاية فهذه اول جمعة جمعت في الاسلام فاما اول جمعة
جمعها رسول الله باصحابه فقيل انه قدم رسول الله صلى الله عليه وآله
مهاجرا حتى نزل قباء على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة
ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين الضحى فاقام بقباء يوم الاثنين والثلثا
والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا
الى المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ
اليوم في ذلك المسجد وكانت هذه الجمعة اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله
عليه وآله في الاسلام فخطب في هذه الجمعة وهي اول جمعة خطبها بالمدينة فيما قيل

فقال عليه السلم الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره
واعادي من يكفره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله ارسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم
وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل
من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا
اوصيكم بتقوى الله فانه خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الاخرة وان يامره
بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه وان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة
من ربه عون صدق على ما تبغون من امر الاخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من امره
في السر والعلانية لا ينوي بذلك الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت
يفتقر المرء الى ما قدم وما كان من سوى ذلك يود لو ان بينه وبين امدا بعيدا ويحذركم
الله نفسه والله رؤف بالعباد والذي صدق قوله ونجز وعده لا خلف لذلك فانه
يقول ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم واجله في السر
والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز
فوزا عظيما وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه
فان تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا
في جنب الله فقد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين
فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم
وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة
الا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم فانه من يصلح ما بينه وبين الله
يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون
عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا قوة الا بالله العلي العظيم
فلهذا صارت الخطبة شرطا في انعقاد الجمعة   قال جابر بن عبد الله اقبل عير
ونحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله الجمعة فانفض الناس اليها فما بقي غير

اثنى عشر رجلا انا فيهم فنزلت الاية واذا راوا تجارة او لهوا وقال الحسن وابو مالك
اصاب المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي
يخطب يوم الجمعة فلما راوه قاموا اليه بالبقيع خشية ان يسبقوا اليه فلم يبق
مع النبي الا رهط فنزلت الاية فقال صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده لو تتابعتم
حتى لا يبقى احد منكم لسال بكم الوادي نارا وقال المقاتلان بينا رسول الله صلى الله
عليه وآله يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ثم احد بني الخزرج
ثم احد بني زيد بن مناة من الشام بتجارة وكان اذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق
الا اتته وكان يقدم اذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق او بر او غيره فنزل عند
احجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه
فيخرج اليه الناس ليبتاعوا معه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل ان يسلم
ورسول الله قائم على المنبر يخطب فخرج الناس فلم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا
وامراة فقال صلى الله عليه وآله لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء وانزل الله هذه الاية
وقيل لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط عن الكلبي عن ابن عباس وقيل الا احد عشر رجلا
عن ابن كيسان فقيل انهم فعلوا ذلك ثلث مرات في كل يوم مرة لعير تقدم
من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة عن قتادة ومقاتل   لما تقدم ذكر اليهود
في انكارهم بما في التورية امر سبحانه نبيه ان يخاطبهم بما يفحمهم فقال قل يا محمد
يا ايها الذين هادوا اي سموا يهود ان زعمتم انكم اولياء الله اي ان كنتم تظنون
على زعمكم انكم انصار الله وان الله ينصركم من دون الناس فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين انكم ابناء الله واحباؤه فان الموت هو الذي يوصلكم
اليه ثم اخبر سبحانه عن حالهم في كذبهم واضطرابهم في دعواهم وانهم غير واثقين
بذلك فقال ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم من الكفر والمعاصي والله عليم
بالظالمين اي عالم بافعالهم واحوالهم وقد تقدم تفسير الايتين في سورة البقرة
وفيه معجزة الرسول صلى الله عليه وآله لانه اخبرانهم لا يتمنون الموت ابدا لما يعرفون من صدق

النبي صلى الله عليه وآله وكذبهم فكان الامر كما قال وروي انه ص قال لو تمنوا لماتوا عن آخرهم
قل يا محمد ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم اي انكم وان فررتم من الموت
وكرهتموه فانه لابد ان ينزل بكم ويلقاكم ويدرككم ولا ينفعكم الهرب منه وانما قال
فانه ملاقيكم بالفاء وسواء فروا منه او لم يفروا منه فانه يلاقيهم مبالغة في الدلالة
على انه لا ينفع الفرار منه لانه اذا كان الفرار بمنزلة السبب في ملاقاته فلا معنى للتعرض
للفرار لانه لم يباعد منه والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين عليه السلام في قوله
كل امرئ لاق ما يفر منه والاجل مساق النفس والهرب منه موافاته وقال زهير ؛ ومن هاب
اسباب المنايا ينلنه ؛ ولو نال اسباب السماء بسلم ؛ ولا يشك انه ينالها هابها او لم
يهبها ولكنه اذا كانت هيبته بمنزلة السبب للمنية فالهيبة لا معنى لها وقيل ان التقدير
قل ان الموت هو الذي تفرون منه فجعل الذي في موضع الخبر لا صفة للموت ويكون فانه
مستانفا ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي ترجعون الى الله الذي يعلم سركم وعلانيتكم
يوم القيمة فينبئكم بما كنتم تعملون في دار الدنيا ويجازيكم بحسبها ثم خاطب سبحانه المؤمنين
فقال يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة اي اذا اذن لصلوة
الجمعة وذلك اذا جلس الامام على المنبر يوم الجمعة وذلك لانه لم يكن على عهد رسول
الله صلى الله عليه وآله نداء سواه قال السايب بن زيد كان لرسول الله ص موذن واحد
بلال وكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام للصلوة ثم كان ابو بكر
وعمر كذلك حتى اذا كان عثمن وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد اذانا فامر بالتاذين
الاول على سطح دار له بالسوق يقال له الزوراء وكان يوذن له عليها فاذا جلس
عثمن على المنبر اذن موذنه فاذا نزل قام للصلوة فلم يعب ذلك عليه فاسعوا
الى ذكر الله اي فامضوا الى الصلوة مسرعين غير متثاقلين عن قتادة وابن زيد والضحاك
وقال الزجاج معناه فامضوا الى السعي الذي هو الاسراع وقرأ عبد الله بن مسعود
فامضوا الى ذكر الله وروي ذلك عن علي بن ابي طالب وعمر بن الخطاب وابي بن كعب وابن عباس
وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم وقال ابن مسعود لو علمت الاسراع لاسرعت

حتى يقع

حتى يقع ردائي من كتفي وقال الحسن ما هو السعي على الاقدام وقد نهوا ان ياتوا الصلوة
الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وقيل المراد بذكر الله الخطبة
التي تتضمن ذكر الله والمواعظ وذروا البيع اي دعوا المبايعة قال الحسن كل بيع
يفوت فيه الصلوة يوم الجمعة فانه بيع حرام وهو الذي يقتضيه ظاهر الاية لان النهي
يدل على فساد المنهي عنه ذلكم يعني ما امرتكم به من حضور الجمعة واستماع الذكر واداء
الفريضة وترك البيع خير لكم وانفع لكم عاقبة ان كنتم تعلمون منافع الامور ومضارها
ومصالح انفسكم ومفاسدها وقيل معناه اعلموا ذلك عن الجبائي وفي هذه الاية
دلالة على وجوب الجمعة وتحريم جميع التصرفات عند سماع اذان الجمعة لان البيع
انما خص بالنهي عنه لكونه من اعم التصرفات في اسباب المعاش وفيها دلالة على ان
الخطاب للاحرار لان العبد لا يملك البيع وعلى اختصاص الجمعة بمكان ولذلك
اوجب السعي اليه وفرض الجمعة لازم جميع المكلفين الا اصحاب الاعذار من السفر او المرض
او العمى او العرج او ان تكون امراة او شيخا هما لا حراك به او عبدا او يكون
على راس اكثر من فرسخين من الجامع وعند حصول هذه الشرايط لا يجب الا عند
حضور السلطان العادل او من نصبه السلطان للصلوة والعدد يتكامل
عند اهل البيت عليهم السلام سبعة وقيل ينعقد بثلثة سوى الامام عند ابي حنيفة
والثوري وقيل انما ينعقد باربعين رجلا احرارا بالغين مقيمين عن الشافعي
وقيل تنعقد باثنين سوى الامام عن ابي يوسف وقيل ينعقد بواحد كسائر
الجماعات عن الحسن وداود والاختلاف بين الفقهاء في مسائل الجمعة كثير موضعه
كتب الفقه فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض يعني اذا صليتم الجمعة وفرغتم
منها فتفرقوا في الارض وابتغوا من فضل الله اي واطلبوا الرزق في الشراء
والبيع وهذا اباحة وليس بامر ايجاب روى انس عن النبي صلى الله عليه وآله
قال في قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا الاية ليس بطلب دنيا ولكن عيادة
مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله وقيل المراد بقوله وابتغوا من فضل الله

ارايت لو ان رجلا دخل بيتا وطين عليه بابه ثم قال رزقي ينزل علي كان يكون هذا
احد الثلثة الذين لا يستجاب لهم قال قلت من هؤلاء قال رجل يكون عنده
المراة فيدعوا عليها فلا يستجاب له لان عصمتها في يده لو شاء ان خل سبيلها والرجل
يكون له الحق على الرجل فلا يشهد عليه فيجحده حقه فيدعوا عليه فلا يستجاب له لانه
ترك ما امر به والرجل يكون عنده الشيء فيجلس في بيته فلا ينتشر ولا يطلب ولا
يلتمس حتى ياكله ثم يدعوا فلا يستجاب واذكروا الله اي اذكروه على احسانه و
اشكروه على نعمه وعلى ما وفقكم من طاعته واداء فرضه وقيل المراد بالذكر
هنا الفكر كما قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة وقيل معناه اذكروا
الله في تجاراتكم واسواقكم كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من ذكر
الله في السوق مخلصا عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب له الف حسنة
ويغفر الله له يوم القيمة مغفرة لم تخطر على قلب بشر لعلكم تفلحون اي لتفلحوا
وتفوزوا بثواب النعيم علق سبحانه الفلاح بالقيام بما تقدم ذكره من اعمال
الجمعة وغيرها وصح الحديث عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
من اغتسل يوم الجمعة فاحسن غسله ولبس صالح ثيابه ومس من طيب بيته
او دهنه ثم لم يفرق بين اثنين له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة
ثلثة ايام بعدها اورده البخاري في الصحيح وروى سلمان التيمي عن النبي صلى الله
عليه وآله قال ان الله عز وجل في كل يوم جمعة ستماية الف عتيق من النار كلهم قد استوجب
النار ثم اخبر سبحانه عن جماعة قابلوا الكرام باللوم فقال واذا راوا تجارة
او لهوا اي عاينوا ذلك وقيل معناه اذا علموا بيعا او شراء او لهوا وهو الطبل
عن مجاهد وقيل المزامير عن جابر انفضوا اليها اي تفرقوا عنك خارجين
اليها والضمير للتجارة وانما خصت برد الضمير اليها لانها كانت اهم اليهم وهم
بها اسر من الطبل لان الطبل انما دل على التجارة عن الفرا وقيل عاد الضمير الى
احدهما اكتفاء به وكانه على حذف والمعنى واذا راوا تجارة انفضوا اليها واذا راوا

لهوا انفضوا

لهوا انفضوا اليه فحذف اليه لان اليها تدل عليه وروي عن ابي عبد الله عليه السلام انه
قال انصرفوا اليها وتركوك قايما تخطب على المنبر قال جابر بن سمرة ما رايت رسول
الله خطب الا وهو قايم فمن حدثك انه خطب وهو جالس فكذبه وسئل عبد الله
بن مسعود اكان النبي صلى الله عليه وآله يخطب قايما فقال اما تقرا وتركوك قايما وقيل
اراد قايما في الصلوة ثم قال قل يا محمد لهم ما عند الله من الثواب على سماع الخطبة
وحضور الموعظة والصلوة والثبات مع النبي صلعم خير واحمد عاقبة وانفع
من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين يرزقكم وان لم تتركوا الخطبة و الجمعة
وحضور الموعظة والصلوة والثبات مع النبي صلى الله عليه وآله خير واحمد عاقبة
وانفع من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين يرزقكم وان لم تتركوا
الخطبة والجمعة **سورة المنافقين** مدنية بالاجماع وهي احدى عشرة آية **فضلها**
ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال ومن قرا سورة المنافقين بري من
النفاق **تفسيرها** لما ختم الله سورة الجمعة بما هو من علامات النفاق من ترك
النبي صلى الله عليه وآله قايما في الصلوة او في الخطبة والاشتغال باللهو وطلب
الارتفاق افتتح هذه السورة بذكر المنافقين ايضا فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول والله يعلم انك لرسوله
والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا
عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا
فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان
يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم
هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم
رسول الله لووا رؤوسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون خمس آيات
القراءة قرا ابو عمرو وغير عباس والكسائي خشب ساكنة الشين والباقون خشب وقرا

نافع وروح عن يعقوب وسهل لووا بتخفيف الواو والباقون لووا بتشديدها
وهو اختيار ابي عبيد وفي الشواذ قراءة الحسن ايمانهم بالكسر الجنة قال ابو علي قراء من
خشب جعله مثل بدنة وبدن ومثله اسد واسد ووثن ووثن في قوله ان يدعون
من دونه الا اثنا قال سيبويه هي قراءة والتقبل ان فعل فقد جاء في نظيره قالوا اسد
كما قالوا في جمع ثمرة ثمر قال الشاعر شعر يقدم اقداما عليكم كالاسد قال ابو الحسن التحريك
في خشب لغة اهل الحجاز وقراءة من قرأ لووا بالتخفيف قوله ليا بالسنتهم فاللي مصدر
لوى مثل طوى طيا والتعيل لان الفعل للجماعة فهو كقوله مفتحة لهم الابواب وقد جاء
ملوية الحاو رب المعذر وانشد ابو زيد وقوله ايمانهم بالكسر هو على حذف المضاف
اي اتخذوا اظهار ايمانهم جنة وقد مر امثال ان اللغة الجنة السترة المتخذة لدفع
الجراح والجنة البستان الذي يجنه الشجر والجنة الجنون الذي يستر العقل والفقه العلم
بالشيء فقهت الحديث افقهه وكل علم فقه الا انه اختص به علم الشريعة وكل من علمها
يقال انه فقيه وافقهتك الشيء بينته لك وفقه الرجل بالضم صار فقيها
قال ابن دريد الجسم كل شخص مدرك وكل عظيم الجسم جسيم وجسام والاجسم
العظيم الجسم قال الشاعر واجسم من عاد جسوم رجالهم واكثر ان عدوا لها عدد
من الرمل واختلف المتكلمون في حد الجسم فقال المحققون منهم هو الطويل
العريض العميق ولذلك متى ازداد ذهابا في هذه الجهات قيل اجسم وجسيم
وقيل هو المؤلف وقيل هو القايم بالنفس ومعناه انه لا يحتاج الى محل والصحيح
القول الاول والاجسام تأتلف من الجواهر وهي اجزاء لا تتجزى اي تتألف بمعان
يقال لها التاليفات فاذا رفعت عنها بقيت اجزاء لا تتجزى واختلف في اقل
الاجسام والصحيح انه لا يحتاج الى محل ما يألف من ثمانية اجزاء وقيل من ستة
اجزاء عن ابي الهذيل وقيل من اربعة اجزاء عن البلخي ساء ما كانوا
يعملون تقديره ساء العمل عملهم فقوله ما كانوا يعملون موصول وصلته
في موضع رفع بانه مبتداء او خبر مبتداء محذوف وهو المخصوص بالذم اى بو فكونه

انى فى موضع

انى في موضع نصب على الحال بمعنى كيف والتقدير بل جاحدين يؤفكون ويجوز ان يكون في محل
النصب على المصدر والتقدير اي افك يؤفكون وقيل معناه من اين يؤفكون اي يصرفون
عن الحق بالباطل عن الزجاج فعلى هذا يكون منصوبا على الظرف ويصد ون في موضع
نصب على الحال خاطب الله سبحانه نبيه فقال اذا جاءك يا محمد المنافقون
وهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر واشتقاقه من النفق والنافقا
كما قال الشاعر للمؤمنين امور غير مخزية وللمنافق سر دونه نفق قالوا
نشهد انك لرسول الله اي اخبروا بانهم يعتقدون انك لرسول الله والله يعلم
يا محمد انك لرسوله على الحقيقة وكفى بالله شهيدا والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
في قولهم انهم يعتقدون انك رسول الله فكان اكذابهم في اعتقادهم وانهم يشهدون
ذلك بقلوبهم ولم يكذبوا فيما يرجع الى السنتهم لانهم شهدوا بذلك وهم صادقون
فيه وفي هذا دلالة على ان حقيقة الايمان انما هو بالقلب ومن قال شيئا واعتقد خلافه
فهو كاذب اتخذوا ايمانهم جنة اي سترة يستترون بها من الكفر لئلا يقتلوا ولا يسبوا
ولا يؤخذ اموالهم فصدوا عن سبيل الله اي فاعرضوا بذلك عن دين الاسلام وقيل معناه
منعوا غيرهم عن اتباع سبيل الحق بان دعوهم الى الكفر في الباطن وهذا من خواص
المنافقين يصدون العوام عن الدين كما يفعل المبتدعة انهم ساء ما كانوا
يعملون اي بئس الذي يعملونه من اظهار الايمان مع ابطان الكفر والصد عن السبيل
ذلك بانهم امنوا بالسنتهم عند الاقرار بلا اله الا الله محمد رسول الله ثم كفروا
بقلوبهم لما كذبوا بهذا عن قتاده وقيل معناه امنوا ظاهرا عند النبي والمسلمين
ثم كفروا اذا خلوا بالمشركين وانما قال ثم كفروا لانهم جددوا الكفر بعد اظهار الايمان
فطبع على قلوبهم اي ختم عليها بسمة تميز بها الملائكة بينهم وبين المؤمنين على الحقيقة
وقيل لما القوا الكفر والعناد ولم يصغوا الى الحق ولا فكروا في المعاد خلاهم الله واختيارهم
وخذلهم فصار ذلك طبعا على قلوبهم وهو الفهم لما اعتادوه من الكفر عن ابي مسلم
فهم لا يفقهون اي لا يعلمون الحق من حيث انهم لا يتفكرون حتى يميزوا بين الحق والباطل

واذا رايتهم يعجبك اجسامهم بحسن منظرهم وتمام خلقتهم وجمال تزيينهم وان يقولوا
تسمع لقولهم اى واذا قالوا شيئا اصغيت الى كلامهم لحسن منطقهم وفصاحة لسانهم
وبلاغة بيانهم كانهم خشب مسندة اى كانهم بلا ارواح شبههم الله فى خلوهم
من العقول والافهام بالخشب المسندة الى شىء لا ارواح فيها وقيل انه شبههم
بنخل متاكلة لا خير فيها فيحسب من راها انها صحيحة سليمة من حيث ان ظاهرها
يروق وباطنها لا يفيد فكذلك المنافق ظاهره معجب رايع وباطنه عن الخير زايع
يحسبون كل صيحة عليهم وصفهم الله تعالى بالجور والهلع اى يظنون كل صيحة
يسمعونها كاينة عليهم والمعنى يحسبون انها مهلكتهم وانهم المقصودون
بها جبنا ووجلا وذلك مثل ان ينادى منادى فى العسكر او يصيح احد بصاحبه
او انفلتت دابة او نشدت ضالة وقيل معناه اذا سمعوا صيحة ظنوا انها
اية منزلة فى شانهم وفيها الكشف عن حالهم لما عرفوا من الغش والخيانة فى صدورهم
ولذلك قيل المريب خايف ثم اخبر سبحانه بعداوتهم فقال هم العدو لك
وللمؤمنين فى الحقيقة فاحذرهم ان تامنهم على سرك وتوقهم قاتلهم الله
اى اخزاهم الله ولعنهم وقيل انه دعاء عليهم بالهلاك لانه من قاتله الله فهو مقتول
ومن غالبه فهو مغلوب انى يوفكون اى انى يصرفون عن الحق مع كثرة الدلالات
وهذا توبيخ وتقريع وليس باستفهام عن ابى مسلم وقيل معناه كيف يكذبون
من الافك واذا قيل لهم تعالوا اى هلموا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم اى اكثروا
تحريكها بالهزلها استهزاء بدعائهم الى ذلك وقيل اما لوها اعراضا عن الحق
وكراهة لذكر النبى صلى الله عليه وآله وذلك لكفرهم واستكبارهم ورايتهم يا محمد
يصدون عن سبيل الحق وهم مستكبرون اى متكبرون مظهرون انه لا حاجة
بهم الى استغفاره قوله عز وجل سَواءٌ عَلَيْهِمْ اَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ اَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
لَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ اِنَّ اللّٰهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّٰهِ حَتّى يَنْفَضُّوا وَلِلّٰهِ خَزائِنُ السَّمواتِ وَالْاَرْضِ

ولكن

وَلكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا اِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْاَعَزُّ مِنْها
الْاَذَلَّ وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ يا اَيُّها
الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ اَمْوالُكُمْ وَلا اَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَاُولئِكَ
هُمُ الْخاسِرُونَ وَاَنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِىَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ
رَبِّ لَوْلا اَخَّرْتَنِى اِلى اَجَلٍ قَرِيبٍ فَاَصَّدَّقَ وَاَكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ
اللّٰهُ نَفْسًا اِذا جاءَ اَجَلُها وَاللّٰهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ ست ايات القراءة قراء
ابو عمرو واكون بالنصب والباقون واكن بالجزم وقرا حماد ويحيى بما يعملون بالياء و
الباقون بالتاء الحجة من قرا واكن عطف على موضع قوله فاصدق لانه فى موضع
فعل مجزوم الا ترى انك اذا قلت اخرنى اصدق كان جزما فانه جواب الجزاء وقد اغنى
السؤال عن ذكر الشرط والتقدير اخرنى فانك ان تؤخرنى اصدق فلما كان الفعل المنتصب
بعد الفاء فى موضع فعل مجزوم بانه جواب الشرط حمل قوله واكن عليه ومثل ذلك قوله
ومن يضلل الله فلا هادى له ويذرهم لما كان فلا هادى له فى موضع فعل مجزوم حمل
ويذرهم ذلك قول الشاعر شعر فابلونى بليتكم لعلى: اصالحكم واستدرج نويا:
حمل واستدرج فى موضع الفاء المحذوفة وما بعدها من لعلى وكذلك قوله
ايا سلكت فاننى لك كاشح: وعلى انتقاصك فى الحيوة وازدد: حمل وازدد على موضع
الفاء وما بعدها واما قول ابى عمرو واكون فانما حمله على اللفظ دون الموضع وكان
الحمل على اللفظ اولى لظهوره فى اللفظ وقربه وزعموا ان فى حرف ابى فاتصدق واكون
ومن قرا بما يعملون بالتاء كان خطابا شايعا   الانفضاض التفرق وفض الكتاب
اذا فرقه ونشره وسميت الفضة فضة لتفرقها فى اثمان الاشياء المشتراه
وكل شىء يشغلك عن شىء فقد الهاك عنه قال الهى بنى جشم عن كل مكرمة قصيدة قالها
عمرو بن كلثوم وقال امرؤ القيس شعر فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع: فالهيتها عن ذى
تمايم محول النزول نزلت الايات فى عبد الله بن ابى المنافق واصحابه وذلك ان رسول الله ص
بلغه ان بنى المصطلق يجمعون لحربه وقائدهم الحرث بن ابى ضرار ابو جويرية زوج النبى ص

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وآله خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم من قتل ونفل رسول الله ابناءهم ونساءهم واموالهم فبينا الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان الجهني من بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الانصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن ابي لجعال وانك لهناك فقال وما يمنعني ان افعل ذلك واشتد لسان جعال على عبد الله فقال عبد الله والذي يحلف به لاذرنك ويهمك غير هذا وغضب ابن ابي وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن ارقم حديث السن فقال ابن ابي قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله ثم اقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا من بلادكم ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن ومودة من المسلمين والله لا احبك بعد كلامك هذا فقال عبد الله اسكت انما كنت العب فمشى زيد بن ارقم الى رسول الله وذلك بعد فراغه من الغزو فاخبره الخبر فامر رسول الله بالرحيل وارسل الى عبد الله فاتاه فقال ما هذا الذي بلغني عنك فقال عبد الله والذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك قط وان زيدا لكاذب فقال من حضر من الانصار يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا يصدق عليه كلام غلام من غلمان الانصار عسى ان يكون هذا الغلام وهم في حديثه فعذره صلى الله عليه وآله وفشت الملامة من الانصار لزيد ولما استقل رسول الله فسار لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة ثم قال يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله اوما بلغك

ماقال

ما قال صاحبكم زعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل فقال اسيد فانت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وانت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه وانه ليرى انك قد استلبته ملكا وبلغ عبد الله بن عبد الله بن ابي ما كان من امر ابيه فاتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله انه قد بلغني انك تريد قتل ابي فان كنت لا بد فاعلا فمرني به فانا احمل اليك راسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالديه مني واني اخشى ان تامر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل عبد الله ابي ان يمشي في الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال صلى الله عليه وآله بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله بالناس يومهم ذلك حتى امسى وليلتهم حتى اصبح وصدر يومهم حتى اذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشتغل الناس عن الحديث الذي خرج من عبد الله بن ابي ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له بقعاء فهاجت ريح شديدة اذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك ليلا فقال عليه السلام مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة قيل من هو قال رفاعة فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته الا يخبره الذي ياتيه بالوحي فاتاه جبرئيل فاخبره بقول المنافق وبمكان الناقة واخبر صلى الله عليه وآله بذلك اصحابه وقال ما ازعم اني اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله تعالى اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب فاذا هي كما قال فجاؤوا بها وآمن ذلك المنافق فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد في التابوت احد بني قينقاع وكان من عظماء اليهود قد مات ذلك اليوم قال زيد بن ارقم فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله ثم اخذ رسول الله باذن زيد فرفعه عن الرحل ثم قال يا غلام صدق فوك ووعت اذناك ووعى قلبك وقد انزل الله فيما قلت قرآنا وكان

عبد الله بن ابي بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله
بن ابي حتى اناخ على مجامع طرق المدينة فقال ما لك ويلك قال لا والله لا تدخلها
الا باذن رسول الله ولتعلمن اليوم من الاعز من الاذل فشكا عبد الله ابنه الى رسول
الله صلى الله عليه وآله فارسل اليه ان خل عنه يدخل فقال اما اذا جاء امر رسول الله
فنعم فدخل فلم يلبث الا اياما قلايل حتى اشتكى ومات فلما نزلت هذه الايات وبان
كذب عبد الله قيل له نزل فيك اي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وآله
يستغفر لك فلوى راسه ثم قال امرتموني ان او من فقد امنت وامرتموني ان اعطي
زكاة مالي لقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا الى قوله
ولكن المنافقين لا يعلمون المعنى ثم ذكر سبحانه ان استغفاره عليه السلم لا ينفعهم
فقال سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم اي تساوي الاستغفار لهم
وعدم الاستغفار لن يغفر الله لهم لانهم يبطنون الكفر وان اظهروا الايمان ان الله لا يهدي
القوم الفاسقين اي لا يهدي القوم الخارجين عن الدين والايمان الى طريق الجنة
قال الحسن اخبره سبحانه انهم يموتون على الكفر فلم يستغفر لهم وقد كان النبي صلى الله
عليه وآله يستغفر لهم على ظاهر الحال بشرط حصول التوبة وان يكون الباطن مثل الظاهر
فبين الله تعالى ان ذلك لا ينفع مع ابطانهم الكفر والنفاق ثم قال سبحانه سما ورسول
الله تشريفا له وتعظيما لقدره ولله خزاين السموات والارض وما بينهما من الارزاق
والاموال والاعلاق فلو شاء لاغناهم ولكنه تع يفعل ما هو الاصلح لهم ويمتحنهم بالفقر
ويتعبدهم بالصبر ليصبروا فيوجروا وينالوا الثواب وكريم الماب ولكن المنافقين
لا يفقهون ذلك على الحقيقة لجهلهم بوجوه الحكمة وقيل لا يفقهون ان امره اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون يقولون لين رجعنا الى المدينة من غزوة بني المصطلق
ليخرجن الاعز يعنون نفوسهم منها الاذل يعنون رسول الله والمومنين فرد
الله سبحانه عليهم بان قال ولله العزة ولرسوله باعلاء الله كلمته واظهاره دينه
على الاديان وللمومنين بنصرته اياهم في الدنيا وادخالهم الجنة في العقبى وقيل ولله

العزة بالربوبية ولرسوله بالنبوة وللمومنين بالعبودية اخبر سبحانه بذلك
ثم حققه بان اعز رسوله والمومنين وفتح عليهم مشارق الارض ومغاربها وقيل
عز الله خمسة عز الملك والبقاء وعز العظمة والكبريا وعز البذل والعطا وعز
الرفعة والعلا وعز الجلال والبها وعز الرسول خمسة عز السبق والابتداء وعز
الاذان والندا وعز قدم الصدق على الانبياء وعز الاختيار والاصطفا وعز الظهور
على الاعدا وعز المومنين خمسة عز التاخير بانه نحن الاخرون السابقون
وعز التيسير بانه ولقد يسرنا القران للذكر يريد الله بكم اليسر وعز التبشير
بانه وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وعز التوقير بانه وانتم
الاعلون وعز التكثير بانه انهم اكثر الامم ولكن المنافقين لا يعلمون فيظنون
ان العزة لهم وذلك لجهلهم بصفات الله سبحانه وما يستحقه اولياوه ووجه
الجمع بين هذه الاية وبين قوله ولله العزة جميعا ان عز الرسول والمومنين
من جهته عز اسمه وانما يحصل به وبطاعته فلله العز باجمعه ثم خاطب سبحانه
المومنين فقال يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اي لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله اي عن الصلوات الخمس المفروضة وقيل ذكر الله جميع طاعاته عن
ابي مسلم وقيل ذكره شكره على نعمايه والصبر على بلايه والرضا بقضايه وهو
اشارة الى انه لا ينبغي ان يغفل المومن عن ذكر الله في بوس كان او نعمة فان احسانه
في الحالات لا ينقطع ومن يفعل ذلك اي من يشغله ماله وولده عن ذكر الله
فاولئك هم الخاسرون خسروا ثواب الله ورحمته وانفقوا مما رزقناكم في
سبيل الله ويدخل فيه الزكوة وساير الحقوق الواجبة من قبل ان ياتي احدكم الموت
اي اسباب الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب اي هلا اخرتني وذلك اذا
عاين علامات الاخرة فيسال الرجعة الى الدنيا ليتدارك الفايت قالوا وليس في الزجر
عن التفريط في حقوق الله اية اعظم من هذه وقوله الى اجل قريب اي مثل ما اجلت
في دار الدنيا فاصدق اي فاتصدق وازكي مالي وانفقه في سبيل الله واكن من الصالحين

من الذين يعملون الاعمال الصالحة وقيل من الصالحين اى من المومنين والاية فى
المنافقين عن مقاتل وقيل من المطيعين لله والاية فى المومنين عن ابن عباس
قال ما من احد يموت وكان له مال فلم يود زكوته واطاق الحج فلم يحج الا سال الرجعة
عند الموت قال يا ابن عباس اتق الله فانما نرى هذا الكافر يسال الرجعة فقال انا اقرأ
عليكم قرأنا ثم قرأ هذه الاية الى قوله من الصالحين قال الصلاح هنا الحج وروى
ذلك عن ابى عبد الله عليه السلم ولن يوخر الله نفسا اذا جاء اجلها يعنى الاجل المطلق
الذى حكم بان الحى يموت عنده والاجل المقيد هو الاجل المحكوم بان العبد يموت عنده
ان لم يقتطع دونه او لم يزد عليه او لم ينقص منه على ما يعلم الله من المصلحة والله خبير
بما تعملون اى عليم باعمالكم يجازيكم بها النظم وجه اتصال هذه الاية الاخيرة بما قبلها
ان معناه انه سبحانه لو علم انكم تتوبون لجعل فى اجالكم تاخيرا الى وقت آخر ولكنه علم
انكم لا تتوبون سورة التغابن مدنية وقال ابن عباس مكية غير ثلث آيات من آخرها
نزلن بالمدينة يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم الى اخر السورة عدد آيها ثمانى عشرة آية
بالاجماع فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة التغابن دفع عنه
موت الفجاءة ابن ابى العلاء عن ابى عبد الله عليه السلم قال من قرأ التغابن فى فريضة كانت شفيعة
له يوم القيمة وشاهد عدل عند من يجيز شهادتها ثم لا يفارقه حتى يدخله الجنة
تفسيرها لما ختم تلك السورة بذكر الامر بالطاعة والنهى عن المعصية افتتح هذه السورة
ببيان حال المطيع والعاصى فقال بسم الله الرحمن الرحيم
يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ
وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَاَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَاِلَيْهِ الْمَصِيرُ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ
وَالْاَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ اَلَمْ يَأْتِكُمْ
نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ اَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ خمس آيات
يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض تسبيح المكلفين بالقول وتسبيح الجمادات

بالدلالة له الملك منفردا دون غيره والالف واللام لاستغراق الجنس والمعنى
انه المالك لجميع ذلك والمتصرف فيه كيف يشاء وله الحمد على جميع ذلك لان خلق
ذلك اجمع الغرض فيه الاحسان الى خلقه والنفع لهم به فاستحق بذلك الحمد والشكر
وهو على كل شيء قدير يوجد المعدوم ويفنى الموجود ويغير الاحوال كما يشاء
هو الذى خلقكم اى انشأكم واوجدكم عن عدم كما اراد والخطاب للمكلفين عن
الجبائى وقيل بل عام وقد تم الكلام هنا ثم ابتدأ فقال فمنكم كافر لم يقر بان الله
خلقه كالدهرية ومنكم مؤمن مقر بان الله خلقه عن الزجاج وقيل معناه فمنكم كافر
فى السر مؤمن فى العلانية كالمنافقين ومنكم مؤمن فى السر كافر فى العلانية
كعمار ونحوه عن الضحاك وقيل فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله
كافر بالكواكب يريد فى شأن الانواء عن عطاء بن ابى رباح والمراد بالاية ظاهر فلا معنى
للاسترواح الى مثل هذه التاويلات والمعنى ان المكلفين جنسان منهم كافر فيدخل
فيه بانواع الكفر ومنهم مؤمن ولا يجوز حمله على ان الله سبحانه خلقهم مومنين وكافرين
لانه لم يقل كذلك بل اضاف الكفر والايمان اليهم والى فعلهم ولدلالة العقول على
ذلك يقع على حسب قصورهم واحوالهم ولذلك يصح الامر والنهى والثواب والعقاب
وبعثة الانبياء على انه سبحانه لو جاز ان يخلق الكفر والقبائح لجاز ان يبعث رسولا
يدعوا الى الكفر والضلال ويؤيده بالمعجزات تعالى عن ذلك وتقدس هذا وقد
قال سبحانه فطرة الله التى فطر الناس عليها وقال النبى صلى الله عليه وآله كل مولود
يولد على الفطرة تمام الخبر وقال عليه السلم حكاية عن الله سبحانه خلقت عبادى كلهم
حنفاء ونحو ذلك من الاخبار كثير والله بما تعملون بصير اى خلق الكافر وهو عالم بما يكون
منه من الكفر وخلق المؤمن وهو عالم بما يكون منه من الايمان فيجازيهما بحسب اعمالهما
خلق السموات والارض بالحق اى بالعدل وباحكام الصنعة وصحة التقدير وقيل معناه
للحق وهو انه خلق العقلاء تعريضا اياهم للثواب العظيم وخلق ما عداهم تبعا لهم
لما فى خلقها لهم من اللطف وصوركم من حيث قبول الطبع لان ذلك هو المفهوم من حسن

الصور فهو كقوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وان كان من جملتهم من هو مشوه
الخلقة لان ذلك عارض لا يعتد به فى هذا الوصف فالله سبحانه خلق الانسان على احسن صور
الحيوان كله والصورة عبارة عن بنية مخصوصة واليه المصير اى اليه المرجع والمآل
يوم القيمة يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون اى يسره بعضكم
الى بعض وما يخفيه فى صدره عن غيره والفرق بين الاسرار والاخفاء ان الاخفاء
اعم لانه قد يخفى شخصه ويخفى المعنى فى نفسه والاسرار يكون فى المعنى دون الشخص
والله عليم بذات الصدور اى باسرار الصدور وبواطنها ثم اخبر سبحانه ان القرون
الماضية جوزوا باعمالهم فقال الم ياتكم نبؤا الذين كفروا من قبل اى من قبل هولاء الكفار
فذاقوا وبال امرهم اى وخيم عاقبة كفرهم وثقل امرهم بما نالهم من العذاب بالاهلاك و
الاستيصال ولهم عذاب اليم اى مولم يوم القيمة قوله عز وجل ذلك بانه كانت تاتيهم
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ
غَنِيٌّ حَمِيدٌ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ
بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ
صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ
فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ خمس آيات القراءة قرا رويس عن يعقوب يوم نجمعكم بالنون
والباقون بالياء وقرا اهل المدينة وابن عامر نكفر عنه وندخله بالنون فيهما والباقون
بالياء الحجة حجة الياء ان الاسم الظاهر قد تقدم ووجه النون انه كقوله سبحان الذى
اسرى بعبده ثم جاء واتينا موسى الكتاب الاعراب ذلك بانه الهاء ضمير الامر والشان ابشر
مبتدا وانما جاز ان يكون مع كونه نكرة لان الاستفهام سوغ ذلك كما ان النفى ايضا كذلك
لكونهما غير موجبين يقال الا رجل فى الدار ام امراة ولا رجل فى الدار ولا امراة وقيل انه فاعل
فعل مضمر يفسره قوله يهدوننا كانه قال ايهدينا بشر يهدوننا وانما اضمر لان الاستفهام

بالفعل اولى قوله ان لن يبعثوا تقديره انهم لن يبعثوا فسدت الجملة عن المفعولين بما جرى
فيها من ذكر الحديث والمحدث عنه ولما كانت لن فى لن يبعثوا دليل الاستقبال تعينت
ان قبلها لان يكون مخففة من الثقيلة لان لن يمنعها من ان يكون ناصبة للفعل يوم
يجمعكم ظرف لتبعثن المعنى لما قرر سبحانه خلقه بانهم اتاهم اخبار من مضى من الكفار وما حل بهم
عقيب بيان سبب اهلاكهم فقال ذلك اى ذلك العذاب الذى نالهم فى الدنيا والذى ينالهم فى الآخرة
بانه كانت تاتيهم اى بسبب انه كانت تجيئهم رسلهم من عند الله بالبينات اى بالدلالات
الواضحات والمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا لفظه واحد والمراد به الجمع على طريق
الجنس بدلالة قوله يهدوننا والمعنى اخلق مثلنا يهدينا الى الحق ويدعونا الى غير
دين آبائنا استصغارا منهم للبشر ان يكونوا رسلا من الله الى امثالهم واستكبارا وانفة
من اتباعهم فكفروا بالله وجحدوا رسله وتولوا اى اعرضوا عن القبول منهم والتفكر
فى آياتهم واستغنى الله بسلطانه عن طاعة عباده وانما كلفهم لنفعهم لا لحاجة منه
الى عبادتهم وقيل معناه واستغنى الله بما اظهر لهم من البرهان واوضحه من البيان
عن زيادة تدعو الى الرشد وهدى الى الايمان والله غنى حميد عن اعمالكم مستحق الحمد
لكم بما ينعم به عليكم وقيل حميد اى محمود على جميع افعاله لانها كلها احسان ثم حكى سبحانه
ما تقوله الكفار فقال زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قال ابن عمر زعموا زاملة
الكذب وقال شريح زعم كنية الكذب بين الله سبحانه بعض ما لاجله اختاروا الكفر على
الايمان وهو انهم كانوا لا يقرون بالبعث والنشور فامر النبى صلى الله عليه وآله ان يكذبهم
فقال قل يا محمد بلى وربى اى وحق ربى على وجه القسم لتبعثن اى لتحشرن اكد تكذيبهم
بقوله بلى وباليمين ثم اكد اليمين باللام والنون ثم لتنبؤن بما عملتم اى لتخبرن
وتحاسبن باعمالكم وتجازون عليها وذلك البعث والحساب مع الجمع والجزاء
على الله يسير اى سهل هين لا يلحقه مشقة ولا معاياة فيه فامنوا معاشر العقلاء
بالله ورسوله والنور الذى انزلنا وهو القرآن سماه نورا لما فيه من الادلة والحجج
الموصلة الى الحق فشبه بالنور الذى يهتدى به الى الطريق والله بما تعملون خبير

اى عليم يوم يجمعكم ليوم الجمع وهو يوم القيمة اى ذلك البعث والجزاء يكون فى يوم يجمع فيه
خلق الاولين والاخرين ذلك يوم التغابن وهو تفاعل من الغبن وهو اخذ شر
وترك خير او اخذ خير وترك شر فالمؤمن ترك حظه من الدنيا واخذ حظه من الاخرة
فترك ما هو شر له واخذ ما هو خير له فكان غابنا والكافر ترك حظه من الاخرة
واخذ حظه من الدنيا فترك الخير واخذ الشر فكان مغبونا فيظهر فى ذلك
الغابن والمغبون وقيل يوم التغابن غبن اهل الجنة اهل النار عن قتادة ومجاهد
وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله فى تفسير هذا قوله ما من عبد مؤمن يدخل
الجنة الا ارى مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا ارى
مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته
اى معاصيه ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا اى مؤبدين
فيها ولا يفنى ما هم فيه من النعيم ابدا ذلك الفوز العظيم اى النجاح الذى ليس وراءه شئ
من العظمة والذين كفروا بالله وكذبوا باياتنا اى بحججنا ودلائلنا اولئك اصحاب النار
خالدين فيها وبئس المصير اى المال والمرجع قوله عز وجل مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ
عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ
عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ثمانى آيات القراءة فى الشواذ قراءة طلحة بن
مصرف نهد قلبه بالنون وقراءة السلمى يهد قلبه بضم الياء والفاء على ما لم يسم
فاعله وقراءة عكرمة وعمرو بن دينار يهدأ قلبه بالالف وقراءة مالك بن دينار يهدا

بالالف

بالالف الخفيفة من قرأ يهدأ مهموز فمعناه يطمئن قلبه كما قال سبحانه وقلبه مطمئن بالايمان
ومن قرأ بالالف فانه لين الهمزة تخفيفا النزول نزل قوله ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم فى قوم ارادوا الهجرة فثبطهم نساؤهم واولادهم عنها عن ابن عباس
ومجاهد المعنى ثم قال سبحانه ما اصاب من مصيبة اى ليس تصيبكم مصيبة الا باذن الله
والمصيبة المضرة التى تلحق صاحبها كالرمية التى تصيبه وانما عم ذلك سبحانه وان كان
فى المصائب ما هو ظلم وهو سبحانه لا ياذن فى الظلم لانه ليس منها الا ما اذن الله فى وقوعه
او التمكين منه وذلك اذن للملك الموكل به كانه قيل لا يمنع من وقوع هذه المصيبة
وقد يكون ذلك بفعل التمكين من الله فكانه ياذن له ان يكون وقيل معناه الا بتخلية
الله بينكم وبين من يريد فعلها عن البلخى وقيل انه خاص فيما يفعله الله تعالى او يامر به
وقيل معناه بعلم الله اى لا يصيبكم مصيبة الا والله تعالى عالم بها ومن يؤمن بالله
اى يصدق به ويرضى بقضائه يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه فبعلم الله فيصبر عليه ولا يجزع
لينال الثواب والاجر وقيل معناه من يؤمن بتوحيد الله ويصبر لامر الله يعنى عند
نزول المصيبة يهد قلبه للاسترجاع حتى يقول انا لله وانا اليه راجعون عن ابن عباس
وقيل ان المعنى يهد قلبه فان ابتلى صبر وان اعطى شكر وان ظلم غفر عن مجاهد وقال
بعضهم فى معناه ويؤمن بالله عند النعمة فيعلم انها فضل من الله يهد قلبه للشكر
ومن يؤمن بالله عند البلاء فيعلم انه عدل من الله يهد قلبه للصبر ومن يؤمن بالله
عند نزول القضاء يهد قلبه للاستسلام والرضى والله بكل شئ عليم فيجازى كل امرئ
باعماله واطيعوا الله فى جميع ما امركم به واطيعوا الرسول فى جميع ما اتاكم به ودعاكم
اليه وفيما امركم به ونهاكم عنه فان توليتم اى فان اعرضتم عن القبول منه
فانما على رسولنا البلاغ المبين اى ليس عليه الا التبليغ للرسالة وقد فعل والمراد
ليس عليه قهركم على الرد الى الحق وانما عليه البلاغ الظاهر المبين فحذف ذلك للاختصار
الله لا اله الا هو ولا يحق العبادة الا له وعلى الله فليتوكل المؤمنون والتوكل
تفويض الامور اليه والرضى بتقديره والثقة بتدبيره وقد امر الله عباده بذلك

فينبغي لهم ان يستشعروا ذلك في سائر احوالهم يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم فاحذروهم يعني ان لبعضهم بهذه الصفة ولذلك اتى بلفظة من وهي للتبعيض
يقول ان من هؤلاء من هو عدو لكم في الدين فاحذروهم ان تطيعوهم وقيل انه
سبحانه انما قال ذلك لان من الازواج من تتمنى موت الزوج ومن الاولاد من يتمنى موت
الوالد ليرث ماله وما من عدو اعدى ممن يتمنى موت غيره لياخذ ماله
وكذلك يكون من يحملك على معصية الله لمنفعة نفسه ولا عدو اشد عداوة
ممن يختار ضررك لمنفعته قال عطاء يعني قوما ارادوا الغزو فمنعهم هؤلاء وقال
مجاهد يريد قوما ارادوا طاعة الله فمنعوهم وان تعفوا اي تتركوا عقابهم وتصفحوا
اي تجاوزوا عنهم وتستروا ما سبق منهم ان عادوا الى الحال الجميلة وذلك ان الرجل
من هؤلاء اذا هاجر ورأى الناس قد سبقوه بالهجرة وفقهوا في الدين هم ان يعاقب
زوجته وولده الذين ثبطوه عن الهجرة وان لحقوا به في دار الهجرة لم ينفق عليهم
فامر سبحانه بالعفو والصفح فان الله غفور رحيم يغفر لكم ذنوبكم ويرحمكم وقيل
هو عام اي تعفوا وتصفحوا عمن ظلمكم فان الله يغفر بذلك كثيرا من ذنوبكم عن الجبائي
انما اموالكم واولادكم فتنة اي محنة وابتلاء وشدة للتكليف عليكم وشغل عن امر الآخرة
فان الانسان بسبب المال والولد يقع في الجرائم وعن ابن مسعود قال لا يقولن احدكم
اللهم اني اعوذ بك من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى مال واهل وولد الا وهو
مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن وروى عن عبد الله
بن بريدة عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب فجاء الحسن والحسين
عليهما السلام وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله
عليه وآله اليهما فاخذهما فوضعهما في حجره على المنبر وقال صدق الله عز وجل
انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران
فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ في خطبته والله عنده اجر عظيم اي ثواب
جزيل وهو الجنة يعني فلا تعصوه بسبب الاموال والاولاد ولا تؤثروهم على ما عند الله

من الاجر

من الاجر الذخر فاتقوا الله ما استطعتم اي ما اطقتم والاتقاء الامتناع من الردى
باجتناب ما يدعوا اليه الهوى ولا تنافي بين هذا وبين قوله اتقوا الله حق تقاته
لان كل واحد منهما الزام لترك جميع المعاصي فمن فعل ذلك فقد اتقى عقاب الله
لان من لم يفعل قبيحا ولا اخل بواجب فلا عقاب عليه الا ان في احد الكلامين تبيينا
ان التكليف لا يلزم العبد الا فيما يطيق وكل امر امر الله به فلا بد ان يكون مشروطا
بالاستطاعة وقال قتادة قوله فاتقوا الله ما استطعتم ناسخ لقوله اتقوا الله
حق تقاته وكانه يذهب الى ان فيه رخصة لحال التقية وما جرى مجراها مما تعظم فيه
المشقة وان كانت القدرة حاصلة معه وقال غيره ليس هذا بناسخ وانما هو
مبين لامكان العمل بهما جميعا وهو الصحيح واسمعوا من الرسول ما يتلوا عليكم
وما يعظكم به ويامركم وينهاكم واطيعوا الله والرسول وانفقوا من اموالكم
في حق الله خيرا لانفسكم مثله فآمنوا خيرا لكم وانتهوا خيرا لكم وقد مضى ذكر ذلك
قال الزجاج معناه قدموا خيرا لانفسكم من اموالكم ومن يوق شح نفسه حتى
يعطي حق الله من ماله فاولئك هم المفلحون اي المنجحون الفائزون بثواب
الله وقال الصادق عليه السلام من ادى الزكوة فقد وقي شح نفسه ان تقرضوا الله
قرضا حسنا قد مضى معناه واطلاق اسم القرض هنا تلطف في الاستدعاء الى الانفاق
يضاعفه لكم اي يعط بدله اضعاف ذلك من واحد الى سبعماية الى ما لا يتناهى
لان ثواب الصدقة يدوم ويغفر لكم ذنوبكم والله شكور اي مثيب مجازي على
الشكر حليم لا يعاجل العباد بالعقوبة وهذا غاية الكرم عالم الغيب والشهادة اي السر
والعلانية وقيل المعدوم والموجود وقيل غير المحسوس والمحسوس العزيز القادر الحكيم
العالم وقيل المحكم لافعاله

سورة الطلاق

وتسمى سورة النساء القصرى قال ابن مسعود
في حديث لاعنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد قوله و
الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وانما اراد قوله واولات الاحمال اجلهن
ان يضعن حملهن فاذا كانت حاملة فعدتها وضع الحمل وهي مدنية بالاجماع

عدد آيها احدى عشرة آية بصري واثنتا عشرة آية في الباقين اختلافها ثلاث آيات يجعل له مخرجا كوفي مكي المدني الاخير واليوم الاخر شامي يا اولي الالباب المدني الاول فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرا سورة الطلاق والتحريم في فريضة اعاذه الله تعالى من ان يكون يوم القيمة ممن يخاف او يحزن وعوفي من النار وادخله الله الجنة بتلاوته اياهما ومحافظته عليهما لانهما للنبي صلى الله عليه وآله تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة التغابن بذكر النساء والتحذير منهن افتتح هذه السورة بذكرهن وذكر احكامهن واحكام فراقهن فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا

خمس آيات القراءة قرا حفص عن عاصم بالغ بغير تنوين امره بالجر على الاضافة والباقون بالغ بالتنوين امره بالنصب في الشواذ قراءة داود ابي هند ان الله بالغ بالتنوين امره بالرفع وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وابن عباس وابي بن كعب وجابر بن عبد الله وعلي بن الحسين وزيد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد فطلقوهن في قبل عدتهن الحجة ابو علي قوله بالغ امره

على سبيلغ

على سبيلغ امره فيما يريد فيكم فهذا هو الاصل وهو حكاية حال ومن اضاف حذف التنوين استخفافا والمعنى معنى ثبات النون مثل عارض ممطرنا واما قوله في قبل عدتهن فانه نفس القراءة المشهورة فطلقوهن لعدتهن اي عند عدتهن ومثله قوله لا يجليها لوقتها اي عند وقتها ومن قرا بالغ امره فالمعنى امره بالغ ما يريد الله وقد بلغ امر الله ما اراده والمفعول على ما رايت محذوف الاعراب واللائي لم يحضن مبتداء خبره محذوف لدلالة الكلام عليه فاذا جاز حذف الجملة باسرها جاز حذف بعضها وقد جاء ايضا في الصفة وان قل نحو قوله واوتيت من كل شيء تقديره من شيء توتاه المعنى نادى سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال يا ايها النبي ثم خاطب امته فقال اذا طلقتم النساء لانه السيد المقدم فاذا نودي وخوطب خطاب الجمع كانت امته داخلة في ذلك الخطاب عن الحسن وغيره وقيل ان تقديره يا ايها النبي قل لامتك اذا طلقتم النساء عن الجبائي فعلى هذا يكون النبي صلى الله عليه خارجا من الحكم وعلى القول الاول حكمه حكم امته في امر الطلاق وعلى هذا انعقد الاجماع والمعنى اذا اردتم طلاق النساء مثل قوله سبحانه اذا قمتم الى الصلوة وقوله فاذا قرات القرآن فطلقوهن لعدتهن اي لزمان عدتهن وذلك ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد وابن سيرين وقتادة والضحاك والسدي فهذا هو الطلاق للعدة لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق فالمعنى فطلقوهن لطهرهن الذي يحصينه من عدتهن ولا تطلقوهن لحيضهن الذي لا يعتددن به من قروئهن فعلى هذا يكون العدة الطهر على ما ذهب اصحابنا وهو مذهب الشافعي وقيل ان المعنى قبل عدتهن اي في طهر لم يجامعها فيه والعدة الحيض كما يقال توضات للصلوة ولبست السلاح للحرب هو مذهب ابي حنيفة واصحابه وقيل ان اللام للسبب فكانه قال فطلقوهن ليعتددن ولا شبهة ان هذا الحكم للمدخول بها لان المطلقة قبل المسيس لا عدة عليها وقد ورد به التنزيل في سورة الاحزاب وهو قوله

فالكم عليهن من عدة تعتدونها وظاهر الاية يقتضي انه اذا طلقها في الحيض او في طهر
قد جامعها فيه لا يقع الطلاق لان الايجاب في به قال سعيد بن المسيب وذهب اليه
الشيعة الامامية وقال باقي الفقهاء يقع الطلاق وان كان بدعة وخلاف
المامور به وكذلك ان جمع بين التطليقات الثلاث فانها بدعة عند ابي حنيفة
واصحابه وكانت واقعة وعند المحققين من اصحابنا تقع واحدة عند حصول
شرايط صحة الطلاق والطلاق في الشرع عبارة عن تخلية المرأة بحل عقدة من عقد
النكاح وذلك ان يقول انت طالق يخاطبها او يقول هذه طالق ويشير اليها
او يقول فلانة بنت فلان طالق ولا يقع الطلاق عندنا الا بهذا اللفظ لا بشيء من كنايات
الطلاق سواء اراد بها الطلاق ام لم يرد بها وفي تفصيل ذلك اختلافات بين الفقهاء
ليس هنا موضعه وقد يحصل الفراق بغير الطلاق كالارتداد واللعان وكالخلع
عند كثير من اصحابنا وان لم يسم ذلك طلاقا ويحصل ايضا بالفسخ للنكاح باشياء
مخصوصة وبالرد بالعيوب وان لم يكن ذلك طلاقا وروى البخاري ومسلم عن قتيبة
عن الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر انه طلق امراته وهي حائض تطليقة
واحدة فامره رسول الله صلى الله عليه وآله ان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر وتحيض
عنده حيضة اخرى ثم يمهلها حتى تطهر من حيضها فاذا اراد ان يطلقها فليطلقها
حين تطهر من قبل ان يجامعها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وروى
البخاري عن سليمان بن حرب وروى مسلم بن عبد الرحمن بن بشر عن بهز وكلاهما عن شعبة
عن انس بن سيرين قال سمعت ابن عمر يقول طلق ابن عمر امراته وهي حائض فذكر
ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وآله فقال مره فليراجعها فاذا طهرت فليطلقها ان شاء
وجاءت الرواية عن علي بن ابي طالب عليه السلام عن النبي ص انه قال تزوجوا ولا تطلقوا فان
الطلاق يهتز منه العرش وعن ثوبان يرفعه الى النبي صلى الله عليه وآله قال ايما امراة
سالت زوجها الطلاق في غير ما باس فحرام عليها رائحة الجنة وعن ابي موسى الاشعري
عن النبي صلى الله عليه وآله قال لا تطلقوا النساء الا من ريبة فان الله لا يحب الذواقين والذواقات

وعن انس عن النبي صلى الله عليه انه قال ما حلف بالطلاق ولا استحلف به الا منافق
هذه الاحاديث الاربعة منقولة في تفسير الثعلبي ثم قال سبحانه واحصوا
العدة اي عدوا الاقراء التي تعتد بها وقيل معناه عدوا اوقات الطلاق
لتطلقوا للعدة وانما امر سبحانه باحصاء العدة لان لها فيها حقا وهي النفقة
والسكنى وللزوج فيها حقا وهي المراجعة ومنعها عن الازواج لحقه وثبوت
نسب الولد فامر باحصائها ليعلم وقت المراجعة ووقت فوت المراجعة
وتحريمها عليه ودفع النفقة والسكنى ولكي لا تطول العدة لاستحقاق زيادة النفقة
او تنقصها لطلب الزوج والعدة هي قعود المرأة عن الزوج حتى تنقضي المدة
المرتبة في الشريعة وهي على ضروب فضرب يكون بالاقراء لمن تحيض وضرب يكون
بالاشهر للصغيرة التي لم تبلغ المحيض ومثلها تحيض وهي التي بلغت تسع سنين
واذا كان سنها اقل من ذلك فلا عدة عليها عند اكثر اصحابنا وقال بعضهم
عدتها بالشهور وبه قال الفقهاء وكذلك الكبيرة الايسة من المحيض
ومثلها تحيض عدتها بالشهور وحده اصحابنا بان سنها اقل من خمسين
سنة ومن ستين للقرشيات وان كان سنها اكثر من ذلك فلا عدة عليها
عند اكثر اصحابنا والمتوفى عنها زوجها عدتها بالشهور ايضا والضرب
الثالث من العدة يكون بوضع الحمل في الجميع الا في المتوفى عنها زوجها فان عدتها
عند اصحابنا ابعد الاجلين وفي ذلك اختلاف بين الفقهاء ثم ان عدة
الطلاق للحائل ثلثة قروء او ثلثة اشهر وللامة قرءان او شهر ونصف ووضع
الحمل لا يختلف ثم قال سبحانه واتقوا الله ربكم فلا تعصوه فيما امركم به ولا تخرجوهن
من بيوتهن ولا يخرجن ايضا يعني في زمان العدة لا يجوز ان يخرج المطلقة
المعتدة من مسكنه الذي كان يسكنها فيه قبل الطلاق وعلى المرأة ايضا
ان لا تخرج في عدتها الا لضرورة ظاهرة فان خرجت اثمت الا ان ياتين بفاحشة
مبينة اي ظاهرة ومن قرأ بفتح الياء فالمراد بفاحشة مطهرة اظهرتها واختلف

في الفاحشة فقيل انها الزنا فتخرج لاقامة الحد عليها عن الحسن ومجاهد والشعبي وابن زيد
وقيل هي البذاء على اهلها فيحل لهم اخراجها عن ابن عباس وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد
الله عليهما السلام وروى علي بن اسباط عن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال الفاحشة
ان تؤذي اهل زوجها وتسبهم وقيل هي النشوز فاذا طلقها على نشوز فلها ان تتحول
من بيت زوجها عن قتادة وقيل هي خروجها قبل انقضاء العدة عن ابن عمر وفي
رواية اخرى عن ابن عباس انه قال ان كل معصية لله تعالى ظاهرة فهي فاحشة
وتلك حدود الله يعني ما ذكره سبحانه من احكام الطلاق وشروطه ومن يتعد
حدود الله بان يطلق على غير ما امر الله تع به فقد ظلم نفسه اي اثم فيما بينه
وبين الله عز وجل وخرج عن الطاعة الى المعصية وفعل ما يستحق به العقاب
لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اي يغير راي الزوج في محبة الطلاق
ويوقع في قلبه المحبة لرجعتها فيما بين الطلقة الواحدة والثانية وفيما بين
الثانية والثالثة قال الضحاك والسدي وابن زيد لعل الله يحدث الرجعة
في العدة وقال الزجاج واذا طلقها ثلاثا في وقت واحد فلا معنى لقوله لعل الله
يحدث بعد ذلك امرا وفي هذه الاية دلالة على ان الواجب في التطليق ان الله ربكم
فيما امركم فلا تعتدوه ثم قرر سبحانه حق الزوج في المراجعة بقوله لا تخرجوهن
من بيوتهن فان الزوجة اذا لم ترم بيتها تمكن الزوج من مراجعتها ثم دل بقوله
وتلك حدود الله على ان من تعدى حدود الله تعالى في الطلاق بطل حكمه وصار ما
قوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا توكيدا لحدود الله في الطلاق واعلاما
بان حق الرجعة لا ينقطع بجميع الطلاق فكانه قال كونوا على رجاء الفائدة
بالرجعة فقد يحدث الله الرغبة بعد الطلاق فان قالوا قد امر الله
سبحانه في الاية بطلاق العدة فكيف تقدمون انتم طلاق السنة على طلاق
العدة فالجواب ان طلاق السنة ايضا طلاق العدة الا ان اصحابنا قد اصطلحوا
على ان يسموا الطلاق الذي لا يزاد عليه بعد المراجعة طلاق السنة والطلاق

الذي

الذي يزاد عليه بعد المراجعة طلاق السنة والطلاق الذي يزاد عليه بشرط المراجعة
طلاق العدة ومما يعضد ما ذكرناه ما اشتهر من الاخبار في كتبهم ورواياتهم
ونقل عن متقدميهم مثل زرارة بن اعين وبكير بن اعين ومحمد بن مسلم
وغيرهم فمن ذلك ما رواه يونس عن بكير بن اعين عن ابي جعفر عليه السلام قال الطلاق
ان يطلق الرجل المرأة على طهر من غير جماع ويشهد رجلين عدلين على تطليقه
ثم هو احق برجعتها ما لم تمض ثلاثة قروء فهذا الطلاق الذي امر الله به في القرآن
وامر به رسول الله في سنته وكل طلاق لغير العدة فليس بطلاق وعن حريز
قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن طلاق السنة فقال على طهر من غير جماع بشاهدي
عدل ولا يجوز الطلاق الا بشاهدين والعدة وهو قوله فطلقوهن لعدتهن
واحصوا العدة الاية وروى الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن زرارة
عن ابي جعفر عليه السلام انه قال كل طلاق لا يكون على السنة او طلاق على العدة
فليس بشيء قال زرارة قلت لابي جعفر عليه السلام فسر لي طلاق السنة وطلاق العدة
فقال اما طلاق السنة فهو ان الرجل اذا اراد ان يطلق امرأته فلينتظر بها
حتى تطمث وتطهر فاذا خرجت من طمثها طلقها تطليقة من غير جماع ويشهد
شاهدين على ذلك ثم يدعها حتى تمضي اقراؤها وقد بانت منه وكان
خاطبا من الخطاب ان شاءت تزوجته وان شاءت لم تتزوجه وعليه نفقتها
والسكنى ما دامت في العدة وهما يتوارثان حتى تنقضي العدة واما طلاق العدة
فاذا اراد الرجل ان يطلق امرأته طلاق العدة فلينتظر بها حتى تحيض وتخرج
من حيضها ثم يطلقها تطليقة من غير جماع ويشهد شاهدين عدلين ويراجعها
من يومه ذلك ان احب او بعد ذلك بايام قبل ان تحيض ويشهد على رجعتها
ويواقعها وتكون معه حتى تحيض فاذا حاضت وخرجت من حيضها طلقها تطليقة
اخرى من غير جماع ويشهد على ذلك ايضا متى شاء قبل ان تحيض ويشهد على
رجعتها ويواقعها ويكون معه حتى تحيض الحيضة الثالثة فاذا خرجت من حيضها طلقها

الثالثة بغير جماع ويشهد على ذلك فاذا فعل ذلك فقد بانت منه ولا تحل له حتى
تنكح زوجاً غيره والروايات في هذا كثيرة عن ائمة الهدى عليهم السلام فعلى هذا فانه
تركها في طلاق السنة حتى تعتد ثلثة قروء فاذا مضى ثلثة قروء فانها تبين منه
بواحدة واذا تزوجها بعد ذلك بمهر جديد كانت عنده على تطليقتين باقيتين
فان طلقها اخرى طلاق السنة وتركها حتى تمضي اقراؤها حتى يراجعها فقد بانت
منه بايتين فان تزوجها بعد ذلك وطلقها لم تحل حتى تنكح زوجاً غيره ولو شاء
ان يراجعها بعد الطلقة الاولى والثانية لكان ذلك اليه فقد تبين ان هذا
الطلاق ايضاً هو للعدة ايضاً الا ان الفرق بينهما ما ذكرناه فاذا بلغن اجلهن
معناه فاذا قاربن اجلهن الذي هو الخروج من العدة فامسكوهن بمعروف اي
راجعوهن بما يجب لهن من النفقة والكسوة والمسكن وحسن الصحبة او فارقوهن
بمعروف بان يتركوهن حتى يخرجن من العدة فتبين منكم ولا يجوز ان يكون المراد
بقوله فاذا بلغن اجلهن اذا انقضى اجلهن لان الزوج لا يملك الرجعة بعد انقضاء
العدة بل هي تملك نفسها وتبين منه بواحدة ولها ان تتزوج من شاءت من الرجال
واشهدوا ذوي عدل منكم قال المفسرون امروا ان يشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة
شاهدي عدل حتى لا تجحد المراة المراجعة بعد انقضاء العدة ولا الرجل الطلاق
وقيل معناه واشهدوا على الطلاق صيانة لدينكم وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام
وهذا اليق بالظاهر لانا اذا حملناه على الطلاق كان امراً يقتضي الوجوب وهو من شرائط
صحة الطلاق ومن قال ان ذلك راجع الى المراجعة حمله على الندب واقيموا الشهادة
لله هذا خطاب للشهود اي اقيموها لوجه الله واقصدوا بادائها التقرب الى الله
لا الطلب لرضا المشهود له والاشفاق من المشهود عليه ذلكم الامر بالحق يا معشر المكلفين
يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اي يؤمر به المؤمنون لينزجروا به
عن الباطل وخص المؤمنين لانهم الذين انتفعوا به فالطاعة الواجبة فيها
وعظ بان رغب فيها باستحقاق الثواب وفي تركها بالعقاب والمندوب فيها وعظ

باستحقاق

باستحقاق المدح والثواب على فعلها والمعاصي فيها وعظ بالزجر عنها والتخويف
من فعلها باستحقاق العقاب والترغيب في تركها بما يستحق على الاخلال بها من
الثواب ومن يتق الله فيما امره ونهاه عنه يجعل له مخرجاً من كل كرب في الدنيا
والآخرة عن ابن عباس وروي عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال قرأ رسول الله
صلى الله عليه وآله ومن يتق الله يجعل له مخرجاً قال من شبهات الدنيا ومن غمرات
الموت وشدايد يوم القيمة وعنه ص قال من اكثر الاستغفار جعل الله من كل
هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً وقيل معناه ومن يطلق للسنة يجعل الله له مخرجاً في
الرجعة ويرزقه من حيث لا يحتسب عن عكرمة والشعبي والضحاك وقيل انها نزلت
في عوف بن مالك الاشجعي اسر العدو ابناً له فاتى النبي صلى الله عليه وآله فذكر له
ذلك وشكا اليه الفاقة فقال له اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله
ففعل الرجل ذلك فبينا هو في بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب
ابلاً جاء بها الى ابيه فذلك قوله ويرزقه من حيث لا يحتسب وروي عن الصادق ع
انه قال ويرزقه من حيث لا يحتسب اي يبارك له فيما آتاه عن ابي ذر الغفاري عن النبي ص
قال اني لاعلم آية لو اخذ بها الناس لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقولها ويعيدها
ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي ومن يفوض امره الى الله ووثق بحسن تدبيره
وتقديره فهو كافيه امر دنياه ويعطيه ثواب الجنة ويجعله بحيث لا يحتاج الى غيره
وفي الحديث من سره ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ان الله بالغ امره
اي يبلغ ما اراد من قضاياه وتدابيره على ما اراده لا يقدر احد على منعه
عما يريده وقيل معناه انه منفذ امره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه قد جعل الله
لكل شيء قدراً اي قدر الله لكل شيء مقداراً واجلاً لا زيادة فيها ولا نقصان
وقيل بين لكل شيء مقداراً بحسب المصلحة في الاباحة والايجاب والترغيب والترهيب
كما بين في الطلاق والعدة وغيرهما وقيل قد جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء
وقتاً وغاية ومنتهى ينتهي اليه ثم بين سبحانه اختلاف احكام العدة باختلاف احوال

النساء فقال واللائي يئسن من المحيض من نسائكم فلا تحيض ان ارتبتم فلا تدرون لكبر ارتفع حيضهن ام لعارض فعدتهن ثلثة اشهر وهن اللواتي مثلهن يحيض لانهن لو كن في سن من لا يحيض لم يكن للارتياب معنى وهذا هو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وقيل معناه ان شككتم فلم تدروا ادمهن دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلثة اشهر عن مجاهد والزهري وابن زيد وقيل معناه ان ارتبتم في حكمهن فلم تدروا الحكم فيهن واللائي لم يحضن تقديره واللائي لم يحضن ان ارتبتم فعدتهن ايضا ثلثة اشهر وحذف لدلالة الكلام الاول عليه وهن اللاتي لم يبلغن المحيض ومثلهن يحيض على ما مر بيانه واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن قال ابن عباس كانت هي في المطلقات خاصة وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام فاما المتوفى عنها زوجها اذا كانت حاملا فعدتها ابعد الاجلين فان مضت بها اربعة اشهر وعشر ولم تضع انتظرت وضع الحمل وقال ابن مسعود وابي بن كعب وقتادة واكثر الفقهاء انه عام في المطلقات والمتوفى عنها زوجها فعدتهن وضع الحمل فان كانت المراة حاملا باثنين ووضعت واحدا لم تحل للازواج حتى تضع جميع الحمل لقوله ان يضعن حملهن وروى اصحابنا انها اذا وضعت واحدا انقطعت عصمتها من الزوج ولا يجوز لها ان تعقد على نفسها لغيره حتى تضع الاخر فاما اذا كانت قد توفي عنها زوجها فوضعت قبل الاشهر الاربعة والعشر وجب عليها ان تستوفي اربعة اشهر وعشرا ومن يتق الله في جميع ما امره بطاعته فيه يجعل له من امره يسرا اي يسهل عليه امور الدنيا والاخرة اما بفرج عاجل وعوض اجل وقيل يسهل عليه فراق اهله ويزيل الهموم عن قلبه ذلك يعني ما ذكره سبحانه من الاحكام في الطلاق والرجعة والعدة امر الله انزله اليكم ومن يتق الله بطاعته يكفر عنه سيئاته من الصلوة الى الصلوة ومن الجمعة الى الجمعة قال الربيع ان الله قد قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن امن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به انجاه ومن دعاه اجابه ولباه وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم

ومن يعتصم

ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب الاية ويعظم له اجرا في الاخرة وهو ثواب الجنة قوله عز وجل اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن واتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا خمس ايات القراءة قرا روح عن يعقوب مختلفا عنه من وجدكم بكسر الواو والقراءة بضم الواو وقرا ابن كثير وكاين بالمد والهمز والباقون وكاين بالهمز والتشديد الحجة يقال وجدت في المال جدة ووجدا ووجدا ووجدا تتعاقب الحركات الثلث على الواو ووجدت الضالة وجدانا ووجدت من الحزن وجدا ومن الغضب موجدة ووجدانا وكاين اصله اي دخلت الكاف الجارة كما دخلت على ذا في كذا فموضع كاين رفع بالابتداء كما ان كذا كذلك ولا موضع للكاف كما ان الكاف في كذا كذلك قال ابو علي ومثل هذا في انه دخل على المبتدا حرف الجر فصار مع المجرور في موضع رفع قولهم بحسبك ان تفعل كذا يريدون حسبك فعل كذا فالجار مع المجرور في موضع رفع وانشد ابو زيد ۝ بحسبك في القوم ان يعلموا ۝ بانك فيهم غني مضر واكثر العرب يستعملها مع من وكذلك ما جاء في التنزيل وما جاء منه في الشعر قوله ۝ وكاين بالاباطح من صديق ۝ يراني ان اصبت هو المصابا ۝ وقول الاخر ۝ وكاين اليكم قاد من راس فتنة ۝ جنودا وامثال الجبال كتائبه المعنى ثم بين سبحانه حال المطلقة في النفقة والسكنى فقال اسكنوهن اي في بيوتكم من حيث سكنتم من المساكن من وجدكم

اى ملككم وما يقدرون عليه عن السدى وابى مسلم وقيل هو من الوجدان اى مما تجدون
من المساكن عن الحسن والجبائى وقيل من سعتكم وطاقتكم من الوجدان الذى هو المقدرة
قال الفراء يقول على ما يجد فان كان موسعًا وسع عليها فى المسكن والنفقة وان كان
فقيرًا فعلى قدر ذلك وتجب السكنى والنفقة للمطلقة الرجعية بلا خلاف فاما المبتوتة
ففيها خلاف فذهب اهل العراق الى ان لها السكنى والنفقة معًا وروى ذلك عن عمر بن
الخطاب وابن مسعود وذهب الشافعى الى ان لها السكنى بلا نفقة وذهب الحسن وابو ثور
الى انه لا سكنى لها ولا نفقة وهو المروى عن ائمة الهدى عليهم السلام ذهب اليه اصحابنا
ويدل عليه ما رواه الشعبى قال دخلت على فاطمة بنت قيس بالمدينة فسالتها عن قضاء
رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت طلقنى زوجى البتة فخاصمته الى رسول الله
فى السكنى والنفقة فلم يجعل لى سكنى ولا نفقة وامرنى ان اعتد فى بيت ام مكتوم وروى
الزهرى عن عبد الله ان فاطمة بنت قيس كانت تحت ابى عمرو بن حفص بن مغيرة
المخزومى انه خرج مع على بن ابى طالب عليه السلام الى اليمن حين امر رسول الله صلى الله عليه وآله
على اليمن فارسل الى امراته فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت لها من طلاقها فامر
عياش بن ابى ربيعة والحرث بن هشام ان ينفقا عليها فقالا والله ما لك من نفقة
فاتت النبى صلى الله عليه وآله فذكرت له قولهما فلم يجعل لها نفقة الا ان تكون حاملا
واستاذنته فى الانتقال فاذن لها فقالت اين انتقل يا رسول الله قال عند ابن ام مكتوم
وكان اعمى تضع ثيابها عنده ولا يراها فلم تزل هناك حتى مضت عدتها فانكحها
النبى صلى الله عليه وآله اسامة بن زيد قال فارسل اليها مروان بن الحكم قبيصة بن ذويب
فسألها عن هذا الحديث ثم قال مروان لم يسمع هذا الحديث الا من امرأة وسناخذ
بالعصمة التى وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان بينى وبينكم
القرآن قال الله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن الى قوله لعل الله يحدث بعد ذلك
امرا قالت هذا لمن كانت له مراجعة فاى امر يحدث بعد الثلاث ثم قال سبحانه
ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن اى لا تدخلوا الضرر عليهن بالتقصير فى السكنى والنفقة

والكسوة

والكسوة طالبين بالاضرار التضييق عليهن ليخرجن وقيل المعنى اعطوهن من المسكن
ما يكفيهن لجلوسهن ومبيتهن وطهارتهن ولا تضايقوهن حتى يتعذر عليهن
السكنى عن ابى مسلم وان كن اولات حمل اى ان كن حوامل فانفقوا عليهن حتى يضعن
حملهن لان عدتهن انما تنقضى بوضع حملهن امر سبحانه بالانفاق على المطلقة الحامل
سواء كانت رجعية او مبتوتة فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن اى فان ارضعن
الولد لاجلكم بعد البينونة فاعطوهن اجر الرضاع يعنى اجرة المثل وائتمروا بينكم
بمعروف وهذا خطاب للرجل والمرأة والايتمار قبول الامر وملاقاته بالتقبل امر الله
تعالى المرضعة والمرضع له بالتلقى لامره عز وجل ولامر صاحبه اذا كان حسنا وقيل معناه
ليامر بعضكم بعضًا بالجميل فى ارضاع الولد اى يتراضى الوالد والوالدة بعد
وقوع الفرقة فى الاجرة على الاب وارضاع الولد بحيث لا يضر بمال الوالد ولا بنفس الولد
فلا يزاد على الاجر المتعارف ولا ينقص الولد عن الرضاع المعتاد قال الكسائى اصله
التشاور ومنه يأتمرون بك اى يتشاورون والاقوى عنده ان يكون المعنى
دبروا بالمعروف بينكم فى امر الولد ومراعاة امه حتى لا يفوت الولد شفقتها وغير ذلك
ويدل عليه قول امرئ القيس شعر احار بن عمرو كانى خمر ويعدو على المرء ما يأتمر يعنى
ما يدبره فى نفسه لان الرجل يبادر بامر ليس برشد فيعود عليه ويهلكه وان
تعاسرتم فسترضع له اخرى والمعنى فان اختلفتم فى الرضاع وفى الاجر فسترضع
له امرأة اخرى اجنبية اى فليسترضع الوالد غير والدة الصبى ثم قال سبحانه
لينفق ذو سعة من سعته امر سبحانه اهل التوسعة ان يوسعوا على نسائهن المرضعات اولادهن
على قدر سعتهم ومن قدر عليه رزقه اى ضيق عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله والمعنى ومن كان
رزقه بمقدار القوت فلينفق على قدر ذلك وعلى حسب امكانه وطاقته لا يكلف الله نفسًا
الا ما آتاها اى الا بقدر ما اعطاها من الطاقة وفى هذا دلالة على انه سبحانه لا يكلف
احدا ما لا يقدر عليه ولا يطيقه سيجعل الله بعد عسر يسرًا اى بعد ضيق سعة وبعد
فقر غنى وبعد صعوبة الامر سهولة وفى هذا تسلية للصحابة فان الغالب على اكثرهم فى ذلك

الوقت الفقر ثم فتح الله تعالى عليهم البلاد فيما بعد وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله
وكم من اهل قرية عتوا على الله وعلى انبيائه يعني جاوزوا الحد في العصيان والمخالفة فحاسبناها
حسابا شديدا بالمناقشة والاستقصاء باستيفاء الحق وايعاب قال مقاتل حاسبها الله
بعملها في الدنيا فجازاها في العذاب وهو قوله وعذبناها عذابا نكرا فجعل المجازاة
بالعذاب محاسبة وهو عذاب الاستيصال وقيل هو عذاب النار فان اللفظ ماض بمعنى
المستقبل والنكر المنكر الفظيع الذي لم ير مثله وقيل ان في الاية تقديما وتاخيرا
تقديره فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وساير المصايب والبلايا و
حاسبناها في الاخرة حسابا شديدا وقيل الحساب الشديد هو الذي ليس فيه عفو
فذاقت وبال امرها اي ثقل عاقبة كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اي خسرانا في
الدنيا والاخرة وهو قوله اعد الله لهم عذابا شديدا يعني عذاب النار وهذا يدل
على ان المراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا ثم قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي يا
اصحاب العقول ولا تفعلوا مثل ما فعلوا وليلا فينزل بكم مثل ما نزل بهم ثم وصف
اولي الالباب بقوله الذين امنوا وخص المؤمنين لانهم المنتفعون بذلك دون
الكفار ثم ابتداء سبحانه فقال قد انزل الله اليكم ذكرا يعني القران وقيل يعني الرسول
صلى الله عليه وآله عن الحسن وروى ذلك عن ابي عبد الله عليه السلام النظم الوجه في اتصال
قوله وكاين من قرية عتت عن امر ربها الاية بما قبله انه سبحانه بين ان الخوف
في مقابلة الرجا وسبيل العاقل ان يحترس من المخوف على الرجا والذي يقوي
جانب الخوف انه اهلك جانب الامم الماضية بسبب عصيانها وتمردها على امر ربها
قوله عز وجل رسولا يتلوا عليكم ايات الله مبينات ليخرج الذين امنوا وعملوا
الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا الله الذي
خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله
على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما آيات القراءة قرا اهل المدينة

والشام

والشام ندخله بالنون والباقون بالياء لتقدم الاسم على لفظ
الغيبة والنون معناها بمعنى الياء الاعراب رسولا ينتصب على ثلثة
اوجه احدها ان يكون بدلا من ذكرا بدل الكل من الكل فعلى هذا
يجوز ان يكون الرسول جبرئيل ويجوز ان يكون محمدا صلى الله
عليه وآله والثاني ان يكون مفعول فعل محذوف تقديره
ارسل رسولا ويدل على اضماره قوله انزل الله اليكم ذكرا فعلى هذا
يكون الرسول معناه محمد صلى الله عليه وآله والثالث ان يكون
مفعول قوله ذكرا ويكون تقديره انزل الله اليكم ان ذكر
رسولا ويكون الرسول يحتمل الوجهين المعنى رسولا اذا كان المراد
به الوجه الاول وهو ان يكون بدلا من ذكرا والمراد به النبي ص
وجبرئيل عليهما السلام فيجوز ان يكون المراد بالذكر الشرف اي ذا ذكر
رسولا يتلوا عليكم ايات الله مبينات اي واضحات ليخرج الذين
امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات اي ظلمات الكفر الى النور
نور الايمان وقيل من ظلمات الجهل الى نور العلم وانما شبه الايمان بالنور
لانه يؤدي الى نور القبر والقيامة والجنة وشبه الكفر بالظلمة لانه يؤدي
الى ظلمة القبر وظلمة جهنم ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له
رزقا اي يعطيه احسن ما يعطي احدا وذلك مبالغة في وصف نعيم الجنة
الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن اي خلق في الارض
مثلهن في العدد لا في الكيفية لان كيفية السماء مخالفة لكيفية الارض وليس في
القران آية تدل على ان الارضين سبع مثل السموات الا هذه الاية
ولا خلاف في السموات انها سماء فوق سماء واما الارضون فقال
قوم انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض كالسموات لانها لو كانت

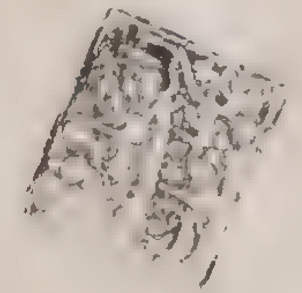
منضمة لكانت ارضاً واحدة وفي كل ارض خلق خلقهم الله تعالى كما شاء روى ابو صالح
عن ابن عباس انها سبع ارضين ليس بعضها فوق بعض تفرق بينهن البحار
وتظل جميعهن السماء والله سبحانه اعلم بصحة ما استأثر بعلمه واشتبه
على خلقه وقد روى العياشي باسناده عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن ع
قال بسط كفه ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه الارض الدنيا والسماء الدنيا
عليها قبة والارض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة
والارض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة حتى ذكر
الرابعة والخامسة والسادسة فقال والارض السابعة فوق السماء السادسة
والسماء السابعة فوقها قبة وعرش الرحمن فوق السماء السابعة وهو قوله
سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن وانما صاحب الامر النبي ص
وهو على وجه الارض وانما يتنزل الامر من فوق من بين السموات والارضين
فعلى هذا يكون المعنى تنزل الملائكة باوامره الى الانبياء وقيل معناه
يتنزل الامر بين السموات والارضين من الله سبحانه بحيوة بعض وموت
بعض وسلامة حي وهلاك آخر وغنى انسان وفقر آخر وتصريف الامور على
الحكمة ليعلموا ان الله على كل شيء قدير بالتدبير في خلق السموات والارض
والاستدلال بذلك على ان صانعهما قادر لذاته وذلك قوله وان الله
قد احاط بكل شيء علماً ومعناه ان معلوماته متميزة له بمنزلة ما قد احاط به فلم يفته
شيء منه وكذلك قوله ولا يحيطون به علماً معناه انه ليس بمنزلة ما يحصن
العلم بمكانه فيكون كانه قد احاط به **سورة التحريم** مدنية اثنتا عشرة آية
بالاجماع **فضلها** ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال ومن قرأ سورة
يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اعطاه الله توبة نصوحاً **تفسيرها**
لما تقدم في تلك السورة احكام النساء في الطلاق وغيره وافتتح هذه
السورة باحكامهن فقال بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله
غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم
الحكيم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثاً فلما نبأت به واظهره
الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من
انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما
وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين
والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجاً
خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات
ثيبات وابكاراً خمس آيات القراءة قرأ الكسائي وحده عرف بالتخفيف و
الباقون عرف بالتشديد واختار التخفيف ابو بكر بن عياش وهو من الحروف
العشرة التي قال اني ادخلتها في قراءة عاصم من قراءة علي بن ابي طالب عليه السلام حتى
استخلصت قراءته يعني قراءة علي وهي قراءة الحسن وابي عبد الرحمن السلمي وكان ابو
عبد الرحمن اذا قرأ انسان بالتشديد حصبه وقرأ اهل الكوفة تظاهرا
عليه بتخفيف الظاء والباقون تظاهرا بالتشديد الحجة قال ابو علي وجه التخفيف
في عرف انه جازى عليه ولا يكون الا كذلك ولا يجوز ان يكون بمعنى العلم لان النبي
صلى الله عليه وآله اذا اظهره الله على ما كان اسر اليه علم ذلك ولم يجز ان يعلم
من ذلك بعضه مع اظهار الله اياه عليه ولكن يعلم جميعه وهذا كما يقول
لمن يسيء او يحسن انا اعرف لاهل الاحسان واعرف لاهل الاساءة اي لا يخفى
علي ذلك ولا مقابلته بما يكون وفقاً له فالمعنى جازى على بعض ذلك واغضى
عن بعض ومثله ما تفعلوا من خير يعلمه الله فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره
اي يرى جزاءه وقوله يرى من رؤية العين وكان ما جازى عليه تطليقه
حفصة واحدة واما عرف بالتشديد فمعناه عرف بعضه واعرض عن بعض
فلم يعرفه اياها على وجه التكرم والاغضاء واما تظاهرا فالاصل فيه تتظاهرا

بتائين خفف في القراة الاولى بالحذف وفي القراة الاخرى بالادغام اللغة الحرام
القبيح الممنوع منه بالنهي ونقيضه الحلال وهو الحسن المطلق بالاذن فيه والتحريم
التبيين ان الشي حرام لا يجوز والتحريم ايجاب المنع والابتغاء الطلب ومنه البغي
طلب الاستعلاء بغير حق والتحلة والتحليل بمعنى وهما مصدران لقولهم حللت له
كذا وتحلة اليمين فعل ما يسقط التبعية فيه واليمين واحد الايمان وهو الحلف وكانه
ماخوذ من القوة لانه يقوى كلامه بالحلف وقيل انه ماخوذ من الجارحة لان
عادتهم كان عند الحلف ضرب الايدي على الايدي والاسرار القاء المعنى الى نفس
المحدث على وجه الاخفاء عن غيره والتظاهر التعاون والظهير المعين واصله
من الظهر والسائح الجاري والعرب تصف بذلك الماء الجاري الدائم الجرية
ثم تصف به الرجل الذي يضرب في الارض ويقطع البلاد فيقال سائح وسياح
والثيب الراجعة من عند الزوج بعد الاقتضاض من ثاب يثوب اذا رجع والبكر
هي التي على اول حالها قبل الاقتضاض الاعراب قيل في جمع القلوب في قوله صغت قلوبكما
وجوه احدها ان التثنية جمع في المعنى فوضع الجمع موضع التثنية كما قال وكنا
لحكمهم شاهدين وانما هو داود وسليمان عليهما السلام والثاني ان اكثر ما في الانسان
اثنان اثنان نحو اليدين والرجلين والعينين واذا جمع اثنان الى اثنين
صار جمعا فيقال ايديهما وعينهما ثم حمل ما كان في الانسان واحد على ذلك لئلا
يختلف حكم لفظ اعضاء الانسان والثالث ان المضاف اليه مثنى فكرهوا ان يجمعوا
بين تثنيتين وصرفوا الاول منهما الى لفظ الجمع اخف لانه اشبه بالواحد فانه يعرب
باعراب الواحد ويستانف كما يستانف الواحد وليست التثنية كذلك لانها لا يكون
الا على حد واحد ولا يختلف ومن العرب من يثني فيقول قلباهما قال الراجز
ظهراهما مثل ظهور الترسين وقال الفرزدق بما في فؤادينا
من البث والهوى فيبرأ منهاض الفؤاد المسقف ومن العرب من يفرد ويروى
ان بعضهم قرأ فقد صغت لهما سوأتهما والوجه في الافراد ان الاضافة الى التثنية

يعنى عن تثنية المضاف وفي جبرئيل اربع لغات جبريل على وزن قنديل وجبرئيل
على وزن عندلب وجبرئل على وزن جحمرش وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير
همز وهو خارج عن اوزان العرب لانه ليس في العربية مثل قنديل وقد مر ذكره كله
وقد ذكرنا اختلاف القراءة فيه في سورة البقرة ومن العرب من يقول جبرال
بتشديد اللام ومنهم من يبدل من اللام نونا وقوله هو مولاه يجوز في هو
وجهان احدهما ان يكون فصلا دخل ليفصل بين النعت والخبر والكوفيون
يسمونه عمادا والثاني ان يكون مبتدأ ومولاه الخبر والجملة خبر ان ومن جعل
مولاه بمعنى السيد والخالق كان الوقف على قوله مولاه وجبرئيل مبتدأ وصالح
المومنين عطف عليه والملائكة عطف ايضا وظهير خبره وجاز ذلك لان فعيلا
يقع على الواحد والجمع كفعول قال سبحانه خلصوا نجيا فظهير كنجي وقال فانهم
عدو لي ومن جعل مولاه بمعنى ولي وناصر جاز ان يكون الوقف على قوله وجبرئيل
وعلى صالح المومنين ويبتدئ والملائكة بعد ذلك ظهير فيكون ظهير عائدا
الى الملائكة النزول اختلف اقوال المفسرين في سبب نزول الايات فقيل ان رسول الله
صلى الله عليه واله كان اذا صلى الغداة يدخل على ازواجه امرأة امرأة وكان قد اهديت
لحفصة بنت عمر بن الخطاب عكة من عسل فكانت اذا دخل عليها رسول الله صلى الله
عليه واله حبسته وسقته منها وان عائشة انكرت احتباسه عندها فقالت لجويرية
حبشية عندها اذا دخل رسول الله صلى الله عليه واله على حفصة فادخلي عليها
فانظري ما تصنع فاخبرتها الخبر وشان العسل فغارت عائشة وارسلت
الى صواحبها فاخبرتهن وقالت اذا دخل عليكن رسول الله صلى الله عليه واله
فقلن انا نجد منك ريح المغافير وهو صمغ العرفط كريه الرائحة وكان رسول
الله ص يكره ويشق عليه ان يوجد منه ريح غير طيبة لانه يأتيه الملك قال
فدخل رسول الله صلى الله عليه واله على سودة قالت فما اردت ان اقول ذلك
لرسول الله ع ثم اني فرقت من عائشة فقلت يا رسول الله ما هذه الريح



التي اجدها منك اكلت المغافير فقال لا ولكن حفصة سقتني عسلا ثم دخل على امراة
وامراة وهن يقلن له ذلك فدخل على عايشة فاخذت بانفها فقال لها ما شانك
قالت اجد ريح المغافير اكلتها يا رسول الله قال لا بل سقتني حفصة عسلا فقالت
جرست اذا نحلها العرفط فقال صلى الله عليه وآله والله لا اطعمه ابدا فحرمه
على نفسه وقيل التي كانت تسقي رسول الله صلى الله عليه وآله العسل ام سلمة عن عطا
بن ابي مسلم وقيل بل كانت زينب بنت جحش و يشرب عندها عسلا فتواطيت انا
وحفصة ايتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وآله فلتقل اني اجد منك ريح المغافير
اكلت مغافير فدخل على احديهما فقالت له ذلك فقال لا بل شربت عسلا عند زينب
بنت جحش لن اعود اليه فنزلت الايات وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وآله
قسم الايام بين نسايه فلما كان يوم حفصة قالت يا رسول الله ان لي الى ابي
حاجة فاذن لي ازوره فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله صلى الله عليه وآله
الى جاريته مارية القبطية وكان قد اهداها له المقوقس فادخلها بيت حفصة
فوقع عليها فاتت حفصة فوجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج
رسول الله صلى الله عليه وآله ووجهه يقطر عرقا فقالت حفصة انما اذنت لي
من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي اما رايت
لي حرمة وحقا فقال صلى الله عليه وآله اليس هي جاريتي قد احل الله ذلك لي
اسكتي فهي حرام علي التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امراة منهن وهو عندك
امانة فلما خرج صلعم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عايشة فقالت
الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد حرم امته مارية وقد اراحنا
الله منها واخبرت عايشة بما رات وكانتا متصافيتين متظاهرتين
على ساير ازواجه فنزلت يا ايها النبي لم تحرم فطلق حفصة واعتزل نساءه
تسعة وعشرين يوما وقعد في مشربة ام ابرهيم مارية حتى نزلت اية التخيير
عن قتادة والشعبي ومسروق وقيل ان النبي صلى الله عليه وآله خلا في يوم لعايشة

مع جاريته

مع جاريته ام ابرهيم مارية القبطية فوقفت حفصة على ذلك فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وآله لا تعلمي عايشة ذلك وحرم مارية على نفسه فاعلمت حفصة عايشة
الخبر واستكتمتها اياه فاطلع الله نبيه على ذلك وهو قوله واذ اسر النبي الى بعض
ازواجه حديثا يعني حفصة عن الزجاج قال ولما حرم مارية القبطية اخبر حفصة
انه يملك من بعده ابو بكر وعمر وعرفها بعض ما افشت من الخبر واعرض
عن بعض ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي وقريب من ذلك ما رواه العياشي
بالاسناد عن عبد الله بن عطاء المكي عن ابي جعفر عليه السلم الا انه زاد في ذلك
ان كل واحد منهما حدثت اباها بذلك فعاتبهما في امر مارية وما افشتا
عليه من ذلك واعرض عن ان يعاتبهما في الامر الاخر المعنى يا ايها النبي ناداه
سبحانه بهذا النداء تشريفا له وتعليما لعباده كيف يخاطبونه في ابنا محاوراتهم
ويذكرونه في خلال كلامهم لم تحرم ما احل الله لك من الملاذ تبتغي مرضات
ازواجك تطلب به رضا نسائك وهن احق بطلب مرضاتك منك وليس في هذا
دلالة على وقوع ذنب منه صغيرا وكبيرا لان تحريم الرجل بعض نسائه او بعض
الملاذ لسبب ولغير سبب ليس بقبيح ولا داخل في جملة الذنوب ولا يمتنع ان يكون
خرج هذا القول مخرج التوجع له عليه السلم اذ بالغ في ارضا ازواجه وتحمل في ذلك
المشقة ولو ان انسانا ارضى بعض نسائه بتطليق بعضهن لجاز ان يقال له
لم فعلت ذلك وتحملت فيه المشقة وان كان لم يفعل قبيحا ولو قلنا انه ص
عوتب على ذلك لان ترك التحريم كان افضل من فعله لم يمتنع لانه يحسن ان يقال
لتارك النفل لم لم تفعله ولم عدلت عنه ولان تطييب قلوب النساء مما لا ينكره
العقول وقد روي ان عبد الله بن رواحة وكان من النقبا كانت له جارية
فاتهمته زوجته ليلة فقال قولا بالتعريض فقالت ان كنت لم تقربها فاقرا
القران فانشدت شعر شهدت فلم اكذب بان محمدا رسول الذي فوق السموات
من عل وان ابا يحيى ويحيى كلاهما له عمل في دينه متقبل وان التي بالجزع من بطن نخلة

ومن دانها قل عن الخير معزل فقالت زدني فانشدت شعر وفينا رسول الله
يتلو كتابه اذا لاح معروف من الصبح ساطع اتى بالهدى بعد العمى فنفوسنا
به موقنات ان ما قال واقع يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا رقدت بالكافرين
المضاجع فقالت زدني فانشدت شعر شهدت بان وعد الله حق وان النار
مثوى الكافرينا وان محمدا يدعوا بحق وان الله مولى المومنينا فقالت
اما اذا قرات القران فقد صدقتك فاخبرت به رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال بعد ان تبسم خيركم خيركم لنسائه واختلف العلماء فيمن قال لامرأته انت علي حرام
فقال مالك هو ثلث تطليقات وقال ابو حنيفة ان نوى به الظهار فهو ظهار وان نوى
الايلاء فايلاء وان نوى الطلاق فهو طلاق باين وان نوى ثلاثا كان ثلاثا وان نوى
ثنتين فواحدة باينة وان لم يكن له نية فهو يمين وقال الشافعي ان نوى الطلاق
كان طلاقا او الظهار كان ظهارا وان لم يكن له نية فهو يمين وروي عن ابن
مسعود وابن عباس وعطا انه يمين وقال اصحابنا انه لا يلزم به شيء ووجوده
كعدمه وهو قول مسروق وانما اوجب الله فيه الكفارة لان النبي صلى الله عليه وآله
كان حلف لا يقرب جاريته او لا يشرب الشراب المذكور فاوجب عليه ان يكفر
عن يمينه ويعود الى استباحة ما كان حرمه وبين ان التحريم لا يحصل
الا بامر الله ونهيه ولا يصير الشيء حراما بتحريم من يحرمه على نفسه الا اذا حلف
على تركه والله غفور لعباده رحيم بهم اذا رجعوا الى ما هو الاولى والاليق
بالتقوى يرجع لهم الى المتولى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي قد قدر الله تع
لكم ما تحللون به ايمانكم اذا فعلتموها وشرع لكم الحنث فيها لان اليمين تحل بالحنث
فسمي ذلك تحلة وقيل معناه قد بين الله لكم كفارة ايمانكم في سورة المائدة عن مقاتل
قال امر الله نبيه ان يكفر يمينه ويراجع وليدته فاعتق رقبة وعاد الى مارية
وقيل معناه فرض الله عليكم كفارة ايمانكم كما قال وان اسأتم فلها اي فعليها
وسمي الكفارة تحلة لانها تجب عند انحلال اليمين وفي هذا دلالة على انه عليه السلم

قد حلف لم يقتصر على قوله هي علي حرام لان هذا القول ليس بيمين والله مولاكم
اي وليكم يحفظكم وينصركم وهو اولى بكم واولى بان تبتغوا رضاه وهو العليم
بمصالحكم الحكيم في اوامره ونواهيه لكم وقيل هو العليم بما قالت حفصة لعائشة
الحكيم في تدبيره واذ اسر النبي الى بعض ازواجه وهي حفصة حديثا اي كلاما امرها
باخفائه فالاسرار نقيض الاعلان فلما نبات به اي اخبرت غيرها به فافشت سره
واظهره الله عليه اي واطلع الله نبيه على ما جرى من افشاء سره عرف بعضه واعرض
عن بعض اي عرف النبي صلى الله عليه وآله حفصة بعض ما ذكرت واخبرها ببعض
ما ذكرت واعرض عن بعض ما ذكرت اي عن بعض ما جرى من الامر فلم يخبرها وكان
صلى الله عليه وآله قد علم جميع ذلك لان الاعراض انما يكون بعد المعرفة لكنه اخذ
بمكارم الاخلاق والتغافل من خلق الكرام قال الحسن ما استقصى كريم قط وانما عرف
بالتخفيف معناه غضب عليها وجازاها بان طلقها تطليقة ثم راجعها بامر الله
وقيل جازاها بان هم بطلاقها فلما نباها به اي فلما اخبر رسول الله صلى الله
عليه وآله بانه العليم بجميع الامور الخبير بسرائر الصدور ثم خاطب سبحانه عائشة
وحفصة فقال ان تتوبا الى الله من التعاون على النبي صلى الله عليه وآله بالايذاء
والتظاهر عليه فقد حق عليكما التوبة ووجب عليكما الرجوع الى الحق فقد صغت
قلوبكما اي مالت قلوبكما الى الاثم عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ضاقت قلوبكما
عن سبيل الاستقامة وعدلت عن الصواب الى ما يوجب الاثم وقيل تقديره ان تتوبا
الى الله تقبل توبتكما وقيل ان شرط في معنى الامر اي توبا الى الله فقد صغت قلوبكما
وان تظاهرا عليه اي تتعاونا على النبي صلى الله عليه وآله بالايذاء وعن ابن عباس
قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله قال
عائشة وحفصة اورده البخاري في الصحيح فان الله هو مولاه الذي يتولى حفظه
وحياطته ونصرته وجبريل ايضا معين له وناصر يحفظه وصالح المؤمنين يعني
خيار المؤمنين عن الضحاك وقيل يعني الانبياء عن قتاده قال الزجاج صالح هنا ينوب

عن الجميع كما يقول يفعل هذا الخير من الناس يريد كل خير وقال ابو مسلم هو صالحوا
المومنين على الجمع وسقطت الواو في المصحف لسقوطها في اللفظ ووردت الرواية
من طريق الخاص والعام ان المراد بصالح المومنين امير المومنين علي عليه السلم
وهو قول مجاهد وفي كتاب شواهد التنزيل بالاسناد عن سدير الصيرفي عن ابي جعفر
عليه السلم قال لقد عرف رسول الله صلى الله عليه وآله عليا اصحابه مرتين اما مرة
فحيث قال من كنت مولاه فعلي مولاه واما الثانية فحيث نزلت هذه الاية فان الله
هو مولاه وجبريل وصالح المومنين الاية اخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد
علي فقال ايها الناس هذا صالح المومنين وقالت اسماء بنت عميس سمعت النبي ص
يقول وصالح المومنين علي بن ابي طالب والملائكة بعد ذلك اي بعد الله وجبريل
وصالح المومنين عن مقاتل ظهير اي اعوان للنبي صلى الله عليه وآله وهذا من الواحد
الذي يؤدي معنى الجمع كقوله وحسن اولئك رفيقا عسى ربه اي واجب من الله ربه
ان طلقكن يا معاشر ازواج النبي صلى الله عليه وآله ان يبدله ازواجا خيرا منكن
اي اصلح له منكن ثم نعتهن الازواج اللاتي كان يبدله بهن لو طلق نساءه
فقال مسلمات اي مستسلمات لما امر الله به مؤمنات اي مصدقات لله ورسوله
مستحقات للثواب والتعظيم وقيل مصدقات في افعالهن واقوالهن قانتات
اي مطيعات لله تع ولازواجهن وقيل خاضعات متذللات لامر الله وقيل
ساكنات عن الخنا والفضول عن قتاده تائبات عن الذنوب وقيل راجعات
الى امر الرسول تاركات لمحاب انفسهن وقيل نادمات على تقصير وقع منهن عابدات
لله تعالى بما تعبدهن به من الفرايض والسنن على الاخلاص وقيل متذللات
للرسول صلى الله عليه وآله بالطاعة سايحات اي ماضيات في طاعة الله تعالى وقيل
صايمات عن ابن عباس وقتاده والضحاك وقيل مهاجرات عن ابن زيد وابيه زيد
بن اسلم والجبائي وانما قال للصايم سايح لانه يستمر في الامساك عن الطعام كما يستمر
السايح في الارض ثيبات وهن الراجعات من عند الازواج بعد اقتضاضهن

وابكارا

وابكارا اي عذارى لم يكن لهن ازواج قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم
انما تجزون ما كنتم تعملون يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماويهم جهنم وبئس المصير
ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين
من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا
النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون اذ قالت
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم
الظالمين ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا
وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين سبع ايات القراءة
قرا حماد ويحيى عن ابي بكر نصوحا بضم النون والباقون بفتح النون وقرا
اهل البصرة وحفص وكتبه بضم الكاف والتاء على الجمع والباقون وكتابه
على الواحد الحجة قال ابو علي يشبه ان يكون النصوح بالضم مصدرا وذلك
ان ذا الرمة قال احبك حبا خالطته نصاحه فالنصاحه على فعاله وما كان
على فعال من المصادر فقد يكون منه الفعول نحو الذهاب والذهوب ويكون
قد وصف بالمصدر نحو عدل ورضا وقال ابو الحسن نصحته في معنى صدقته
وتوبة نصوح اي صادقة والفتح كلام العرب ولا اعرف الضم وحجة من قال
وكتبه انه في موضع جمع الا ترى انها قد صدقت بجميع كتب الله تع ومن قال وكتابه
اراد الكثرة والشياع وقد يجيء ذلك في الاسماء المضافة كما يجيء في الاسماء المفردة

كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها في الاعراف والذين امنوا معه مبتداء نورهم
مبتداء ثان ويسعى بين ايديهم في موضع الجر والجملة خبر المبتداء الاول وقوله امرأة
فرعون تقديره مثل امراه فرعون فحذف المضاف وهو يكن من قوله مثله المعنى
لما ادب سبحانه نساء النبي صلى الله عليه وآله امر عقيبه المومنين بتاديب نسائهم
فقال مخاطبا لهم يا ايها الذين امنوا قوا اي احفظوا واحرسوا وامنعوا انفسكم
واهليكم نارا والمعنى قوا انفسكم النار بالصبر على طاعة الله وعن معصيته وعن اتباع
الشهوات وقوا اهليكم النار بدعائهم الى الطاعة وتعليمهم الفرايض ونهيهم عن
القبايح وحثهم على افعال الخير وقال مقاتل بن حيان وهو ان يودب الرجل المسلم نفسه
واهله ويعلمهم الخير وينهاهم عن الشر فذلك حق على المسلم ان يفعل بنفسه واهله
وعبيده وامائه في تاديبهم وتعليمهم ثم وصف سبحانه النار التي حذرهم
منها فقال وقودها الناس والحجارة اي حطب تلك النار الناس وحجارة الكبريت
وهي تزيد في قوة النار وقد مر تفسيره عليها ملائكة غلاظ القلوب لا يرحمون
اهل النار اقويا يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يومرون وفي هذا دلالة على ان الملائكة الموكلين بالنار معصومون عن القبايح
لا يخالفون الله في اوامره ونواهيه وقال الجبائي انما عنى انهم لا يعصونه ويفعلون
ما يامرهم به في دار الدنيا لان الاخرة ليست بدار تكليف وانما هي دار جزاء وانما
امرهم بتعذيب اهل النار على وجه الثواب لهم بان جعل سرورهم ولذاتهم في تعذيب
اهل النار كما جعل سرور المومنين ولذاتهم في الجنة ثم حكى سبحانه ما يقال للكفار
يوم القيمة فقال يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم وذلك انهم اذا عذبوا
ياخذون في الاعتذار فلا يلتفت الى معاذيرهم ويقال لهم لا تعتذروا فهذا جزاء
فعلكم وذلك قوله انما تجزون ما كنتم تعملون ثم عاد سبحانه الى خطاب المومنين
في دار التكليف فقال يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله من معاصيه وارجعوا
الى طاعته توبة نصوحا اي خالصة لوجه الله وروى عكرمة عن ابن عباس قال قال

معاذ بن جبل يا رسول الله ما التوبة النصوح قال ان يتوب التايب ثم لا يرجع في ذنب
كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال ابن مسعود التوبة النصوح هي التي تكفر كل سيئة
وهو في القران ثم تلا هذه الاية وقيل ان التوبة النصوح هي التي يناصح الانسان
فيها نفسه باخلاص الندم مع العزم على ان لا يعود الى مثله في القبح وقيل هي
ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود فيه عن الحسن وقيل هي الصادقة
الناصحة عن قتادة وقيل هي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن
عن الكلبي عن قتاده وقيل هي التوبة المقبولة لا يقبل ما لم يكن فيها ثلث خوف ان لا
يقبل ورجاء ان يقبل وادمان الطاعة عن سعيد بن جبير وقيل هي ان يكون
الذنب نصب عينيه ولا يزال كانه ينظر اليه وقيل هي من النصح وهو الخياطة لان
العصيان يخرق الدين والتوبة ترقعه وقيل لانها جمعت بينه وبين اولياء
الله كما جمع الخياط الثوب والصق بعضه ببعض وقيل لانها احكمت طاعته واوثقتها
كما احكم الخياط الثوب واوثقه عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الانهار اي يحطها عنكم ويدخلكم الجنة وعسى من الله واجب ثم قال
يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه اي لا يعذبهم الله بدخول النار ولا يذلهم
بذلك بل يعزهم بادخالهم الجنة وقيل لا يخزي الله النبي اي لا يشوره فيما يريده
من الشفاعة بل يشفعه في ذلك نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم مفسر في سورة
الحديد وقال ابو عبد الله عليه السلم يسعى ايمة المومنين يوم القيمة بين ايديهم
وبايمانهم حتى ينزلوهم منازلهم في الجنة يقولون ربنا وهو في موضع نصب على الحال
تقديره قايلين ربنا اتمم لنا نورنا وقيل ان قوله والذين امنوا معه مبتدأ
ونورهم يسعى خبره ويقولون اتمم لنا نورنا خبر اخر من الذين امنوا وحال
منهم وفيه وجه آخر ذكرناه في الاعراف وقيل اتمم لنا نورنا معناه وفقنا للطاعة
التي هي سبب النور واغفر لنا اي استر علينا معاصينا ولا تهلكنا بها انك على كل
شيء قدير من اطفاء نور المنافقين واثبات نور المومنين ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله

فقال يا ايها النبى جاهد الكفار بالقتال والحرب والمنافقين بالقول الرداع عن القبيح
بالحرب لانه فيه بذل المجهود فذلك سماه جهادا وروى عن ابى عبد الله عليه السّلم
انه قرأ جاهد الكفار بالمنافقين قال ان رسول الله لم يقاتل منافقا قط انما كان
يتالفهم واغلظ عليهم اى شدد عليهم من غير محاباه وقيل اشدد عليهم فى اقامة الحد
عليهم قال الحسن اكثر ما كان نصيب الحدود فى ذلك الزمان المنافقين فامر الله تع
ان يغلظ عليهم فى اقامة الحد وماواهم اى مال الكفار والمنافقين جهنم وبئس المصير
اى المال والمستقر ثم ضرب الله المثل لازواج النبى صلى الله عليه وآله مثالهم على الطاعة
وبيانا لهن ان مصاحبة الرسول مع مخالفته لا تنفعهن فقال ضرب الله مثلا للذين
كفروا امرأة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا اى نبيين من انبيائنا
صالحين فخانتاهما قال ابن عباس كانت امراة نوح كافرة تقول للناس انه مجنون
واذا امن بنوح احد اخبرت الجبابرة من قوم نوح به وكانت امراة لوط تدل
على اضيافه فكان ذلك خيانتهما لهما وما بغت امراة نبى قط وانما كانت خيانتهما
انهما كانتا كافرتين وقيل كانتا منافقتين وقال الضحاك خيانتهما النميمة اذا
اوحى الله اليهما افشياه الى المشركين فلم يغنيا عنهما من الله شيئا اى فلم يغن نوح
ولوط مع نبوتهما عن امرأتيهما من عذاب الله شيئا وقيل اى يقال لهما يوم القيمة
ادخلا النار مع الداخلين وقيل ان اسم امرأة نوح واغلة واسم امرأة لوط
واهلة وقال المقاتل والفة وواهلة وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون
وهى آسيه بنت مزاحم وقيل انها لما عاينت المعجز من عصى موسى وغلبة السحرة اسلمت
فلما ظهر لفرعون ايمانها نهاها فابت فاوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد
والقاها فى الشمس ثم امر ان يلقى عليها صخرة عظيمة فلما قرب اجلها قالت رب ابن لى
عندك بيتا فى الجنة فرفعها الله تعا الى الجنة فهى فيها تاكل وتشرب عن الحسن وابن كيسان
وقيل انها ابصرت بيتها فى الجنة من دره وانتزع الله روحها فالقيت الصخرة على جسدها
وليس فيه روح فلم تجد الما من عذاب فرعون وقيل انها كانت تعذب بالشمس واذا انصرفوا

عنها

عنها اظلتها الملائكة وجعلت ترى بيتها من الجنة عن سلمان ونجنى من فرعون
وعمله اى دينه وقيل وجماعة عن ابن عباس ونجنى من القوم الظالمين من اهل مصر
قالوا فقطع الله تعا بهذه الاية طمع من ركب المعصية رجا ان ينفعه صلاح غيره
واخبر ان معصية الاخر لا تضر من كان مطيعا قال المقاتل يقول الله سبحانه لعائشة
وحفصة لا تكونا بمنزلة امراة نوح وامراة لوط فى المعصية وكونا بمنزلة امراة
فرعون ومريم وهو قوله ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها اى منعت فرجها
من دنس المعصية وعفت عن الحرام وقيل معناه منعت فرجها من الازواج لم تبتغ
زوجا وغيره فنفخنا فيه من روحنا اى فنفخ جبرئيل فى جيبها من روحنا عن قتاده
قال الفرا كل شئ فهو فرج واحصنت فرجها منعت جيب درعها من جبرئيل عليه السّلم
وقيل نفخ جبرئيل فى فرجها وخلق الله منه المسيح وهو الظاهر ولذلك ذكره وقال
فى سورة الانبيا فيها وعاد الضمير الى التى احصنت فرجها وقيل معناه خلقنا المسيح
فى بطنها ونفخنا فيه الروح حتى صار حيا فالضمير فى فيه يعود الى المسيح وصدقت بكلمات
ربها بكلام الله تعا به واوحاه الى انبيائه وملائكته وقيل صدقت بوعد الله
ووعيده وامره ونهيه وكتبه اى وصدقت بكتب الله المنزله على انبيائه مثل التوريه
والانجيل ومن وحد فالمراد به الانجيل وكانت من القانتين اى المطيعين لله سبحانه
والدايمين على طاعة ويجوز ان يكون من القنوت فى الصلوة ويجوز ان يكون
يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها الذين كانت مريم منهم وكانوا اهل بيت
صلاح وطاعة ولم يقل من القانتات لتغليب المذكر على المونث وجاءت الرواية
عن معاذ بن جبل قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجه وهى تجود نفسها
فقال اكره ما نزل بك يا خديجه وقد جعل الله فى الكره خيرا كثيرا فاذا قدمت
على ضراتك فاقريهن منى السلام قالت يا رسول الله ومن هن قال مريم بنت
عمران وآسيه بنت مزاحم وكليمة وحكيمة اخت موسى شك الراوى فقالت بالرفاء
والبنين وعن ابى موسى عن النبى صلى الله عليه وآله قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل

من النساء الاربع آسية بنت مزاحم امراة فرعون ومريم بنت عمران وخديجه
بنت خويلد وفاطمه بنت محمد سورة الملك وتسمى المنجية لانها تنجي صاحبها من عذاب
القبر وقد ورد به الخبر وتسمى الواقية لما روى عن النبي صلى الله عليه وآله انها
الواقية من عذاب القبر وهي مكية عدد آيها احدى وثلثون آية مكي والمدني
الاخير وثلثون آية في الباقين اختلافها آية واحدة قد جاءنا نذير مكي والمدني
الاخير فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال ومن قرأ سورة تبارك
فكانما احيا ليلة القدر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وددت
ان تبارك الملك في قلب كل مؤمن وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله
قال ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلثون آية شفعت لرجل فاخرجته يوم القيمة من النار
وادخلته الجنة وهي سورة تبارك وعن ابن مسعود قال اذا وضع الميت في قبره
يؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل لانه قد كان يقرء بسورة الملك ثم يؤتى
من قبل راسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل لانه قد كان يقرأ بي سورة الملك ثم قال
هي المانعة من عذاب القبر وهي في التورية سورة الملك من قرأها في ليلة فقد اكثر واطاب
وروى الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح عن سدير الصيرفي عن ابي جعفر عليه السلم
قال سورة الملك هي المانعة تمنع من عذاب القبر وهي مكتوبة في التورية سورة الملك
ومن قرأها في ليلة فقد اكثر واطاب ولم يكن من الغافلين واني لاركع بها بعد عشاء
الاخرة وانا جالس وان الذي يقرأها في حيوته في يومه وليلته اذا دخل عليه في قبره
ناكر ونكير من قبل رجليه قالت رجلاه لهما ليس لكما الى ما قبلي سبيل قد كان هذا
العبد يقوم علي فيقرأ سورة الملك في كل يوم وليلة فاذا اتياه من قبل جوفه قال
لهما ليس لكما الى ما قبلي سبيل كان هذا العبد قد وعاني سورة الملك واذا اتياه
من قبل لسانه قال لهما ليس لكما الى ما قبلي سبيل قد كان هذا العبد يقرأ بي في كل يوم
وليلة سورة الملك ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلم قال من قرأ تبارك الذي
بيده الملك في المكتوبة قبل ان ينام لم يزل في امان الله حتى يصبح وفي امانه يوم القيمة

حتى يدخل الجنة انشاء الله تفسيرها لما ختم سبحانه تلك السورة بان الوصلة لا تنفع الا
بالطاعة واصل الطاعة المعرفة والتصديق بالكلمات الالهية افتتح هذه السورة
بدلايل المعرفة وآيات الربوبية فقال بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحيوة
ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور الذي خلق سبع سموات طباقا
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر
خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير خمس آيات القراءة قرأ حمزة والكسائي
من تفوت بتشديد الواو من غير الف وهي قراءة الاعمش والباقون تفاوت
بالالف الحجة قال ابو الحسن تفاوت اجود لانهم يقولون تفاوت الامر ولا يكادون
يقولون تفوت الامر قال وهي ظن لغة قال سيبويه قد يكون فاعل وفعل بمعنى
ضاعف وضعف وتفاعل مطاوع فاعل كما ان تفعل مطاوع فعل فعلى هذا القياس
تفاعل وتفعل بمعنى وتفاوت وتفوت بمعنى اللغة تبارك اصله من البركة
وهو ثبوت الطاير على الماء والبركة ثبوت الخير بنمائه وقوله طباقا مصدر
طوبقت طباقا اي طبق بعضها فوق بعض عن الزجاج وقيل هو جمع طبق مثل
جمل وجمال والتفاوت الاختلاف في الاضطراب والفطور الشقوق والصدوع
من الفطر وهو الشق الخاسئ الذليل الصاغر وقيل هو البعيد مما يريده
ومنه قيل للكلب اخسأ والحسير من الابل المعيي الذي لا فضل فيه للسير قال شعر
بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب والسعير النار
المستعرة واعتدنا اصله اعددنا اي هيأنا فابدلت الدال تاء الاعراب الذي
خلق بدل من الذي بيده الملك ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف فعلى هذا
الوجه يجوز الوقف على ما قبله وعلى الوجه الاول لا يجوز وقوله ايكم احسن عملا وارتفع
اي بالابتداء وانما لم يعمل فيه ما قبله لانه على اصل الاستفهام وطباقا نصب على الحال

اذا اردنا فی سموات معنی الالف واللام وان جعلناها نکرة کان طباقا صفتها وقوله
کرتین منصوب علی المصدر ای رجعتین المعنی اخبر سبحانه عن عظمته وعلو شانه
وکمال قدرته فقال تبارک ای تعالی وجل عما لا یجوز علیه فی ذاته وافعاله عن ابی مسلم
وقیل معناه تعالی بانه الثابت الذی لم یزل ولا یزال وقیل معناه تعاظم بالحق من ثبوت
الاشیاء به اذ لولاه لبطل کل شیء لانه لا یصح سواه شیء الا وهو مقدوره او مقدور
مقدوره الذی هو القدرة وقیل معناه تعالی من جمیع البرکات منه الا ان هذا المعنی
مضمر فی الصفة غیر مصرح به وانما المصرح به انه تعالی باستحقاق التعظیم الذی بیده الملک
هو اتساع المقدور لمن له السیاسة والتدبیر ومعناه الذی هو المالک وله الملک
یؤتیه من یشاء ویتصرف فیه کما یشاء وانما ذکر الید تاکیدا ولان اکثر التصرفات والعطایا
بالید وهو علی کل شیء قدیر من انعام وانتقام وقیل معناه انه قادر علی کل شیء یصح ان یکون
مقدورا له وهو اخص من قولنا وهو بکل شیء علیم لانه لا شیء الا ویجب ان یعلمه لانه لا شیء
الا ویصح ان یکون معلوما فی نفسه ولا یوصف سبحانه بکونه قادرا علی ما لا یصح ان یکون
مقدورا فی نفسه مثل ما تقصوره ثم لما بین ثم وصف سبحانه نفسه فقال الذی خلق
الموت والحیوة ای خلق الموت للتعبد بالصبر علیه والحیوة بالتعبد للشکر علیها وقیل
خلق الموت للاعتبار والحیوة للتزود وقیل انما قدم ذکر الموت علی الحیوة لانه الی القهر
اقرب کما قدم البنات علی البنین فی قوله یهب لمن یشاء اناثا الایة وقیل انما قدمه لانه اقدم
فان الاشیاء فی الابتداء کانت فی حکم الاموات کالنطفة والتراب ثم اعترضت الحیوة
لیبلوکم ایکم احسن عملا ای لیعاملکم معاملة المختبر بالامر والنهی فیجازی کل عامل
بقدر عمله وقیل لیبلوکم ایکم اکثر للموت ذکرا واکثر له استعدادا واحسن صبرا
علی موته وموت غیره وایکم اکثر امتثالا للاوامر واجتنابا عن النواهی فی حال حیوته قال
ابو قتادة سالت النبی صلی الله علیه وآله عن قوله تع ایکم احسن عملا ما عنی به فقال یقول
ایکم احسن عقلا واشدکم لله خوفا واحسنکم فیما امر الله به ونهی عنه نظرا وان کانوا
اقلکم تطوعا وعن ابن عمر عن النبی صلی الله علیه وآله انه تلا تبارک الذی بیده الملک

الی قوله

الی قوله ایکم احسن عملا ثم قال ایکم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع
فی طاعة الله وعن الحسن ایکم ازهد فی الدنیا واترک لها وهو العزیز فی انتقامه
ممن عصاه الغفور لمن تاب الیه او لمن اراد التفضل علیه باسقاط عقابه و
التکلیف انما یصح بالترغیب والترهیب لان معناه تحمیل المشقة فی الامر والنهی ثم عاد
سبحانه الی وصف نفسه فقال الذی خلق سبع سموات ای انشاهن واخترعهن
طباقا واحدة فوق الاخری وقیل اراد بالمطابقة المشابهة ای یشبه بعضها بعضا
فی الاتقان والاحکام والاتساق والانتظام ما تری فی خلق الرحمن من تفاوت
ای اختلاف وتناقض من طریق الحکمة بل تری افعاله کلها سواء فی الحکمة وان کانت
متفاوتة فی الصور والهیات یعنی فی خلق الاشیاء علی العموم وفی هذا دلالة علی ان
الکفر والمعاصی لا یکون فی خلق الله تعالی لکثرة التفاوت فی ذلک وقیل معناه
ما تری یا ابن آدم فی خلق السموات من عیب واعوجاج بل هی مستقیمة مستویة کلها
مع عظمها فارجع البصر ای فرد البصر واردده فی خلق الله واستقص فی النظر مرة
بعد اخری والتقدیر انظر ثم ارجع النظر فی السماء هل تری من فطور ای شقوق
وفتوق عن سفیان وقیل من وهی وخلل عن ابن عباس وقتادة ثم ارجع البصر
کرتین ای ثم کرر النظر مرتین لان من نظر فی الشیء کرة بعد اخری بان له ما لم یکن
بان له وقیل معناه ادم النظر والتقدیر ارجع النظر مرة بعد اخری ولا یرید
ولا یرید حقیقة التثنیة لقوله وهو حسیر ولا یصیر حسیرا بمرتین ونظیره قوله
لبیک وسعدیک ای البابا بعد الباب واسعادا بعد اسعاد یعنی کلما دعوتنی
فانا ذو اجابة بعد اجابة وذو ثبات بعد ثبات من قولهم لب بالمکان والب
اذا ثبت واقام وهو نصب علی المصدر ای احببتک اجابة بعد اجابة ینقلب الیک
البصر خاسئا ای یرجع الیک بصرک بعیدا عن نیل المراد ذلیلا صاغرا عن
ابن عباس کانه ذلک له من طلب شیئا فلم یجده وابعد عنه وهو حسیر ای کال معی
عن قتادة والتحقیق ان بصر هذا الناظر بعد الاعیاء یرجع الیه بعیدا عن طلب ما

في بعثته ثم اقسم سبحانه فقال ولقد زينا السماء الدنيا لان هذه اللام هي التي تلقى
بها القسم اي حسنا السماء الدنيا يعني التي هي ادنى الى الارض التي يراها الناس
بمصابيح واحدها مصباح يعني الكواكب سماها مصابيح لاضائتها وهي السرج
وجعلناها رجوما للشياطين الذين يسترقون السمع وقيل تنفصل من الكواكب
شهب يكون رجوما للشياطين فاما الكواكب انفسها فليست تزول الى ان يريد الله تعالى
افناها عن الجنائي واعتدنا لهم عذاب السعير يعني انا مع جعلنا الكواكب رجوما
للشياطين هيانا لهم وادخرنا لاجلهم عذاب النار المسعرة المشتعلة وفي هذا دلالة
على ان الشياطين مكلفة قوله عز وجل وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير
إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها
فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا
ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا
في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير ست آيات القراءة قرأ ابو جعفر
والكسائي فسحقا بضمتين والباقون بالتخفيف الحجة سحق وسحق مثل عنق وعنق
وطنب وطنب ونحو ذلك وكلاهما حسن اللغة الشهيق صوت يقطع النفس كالنزع
اذا اشتد لهيب النار سمع منها ذلك الصوت كانها تطلب الوقود قال رؤبة شعر
حشرج في الجوف سحيلا او شهق حتى يقال ناهق وما نهق وقيل الشهيق في الصدر
والزفير في الحلق والفور ارتفاع الشيء بالغليان يقال فارت القدر تفور
ومنها الفوارة لارتفاعها بالماء ارتفاع الغليان ومنه فار الدم من الجرح وفار
الماء من الارض والسحق البعد يقال اسحقهم الله اسحاقا وسحقا اي الزمهم الله سحقا
عن الخير فجاء المصدر على غير لفظه كما قال والله انبتكم من الارض نباتا وتقديره
فاسحقهم اسحاقا واما سحقته سحقا فمعناه باعدته بالتفريق عن حال الاجتماع حتى صار
كالغبار المعنى لما تقدم وعيد الشياطين الذين دعوا الى الكفر والضلال اتبعه
سبحانه بذكر الكفار الضلال فقال والذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير

اى بئس المآل والمرجع وانما وصف ببئس وهو من صفات الذم والعقاب حسن لما في ذلك
من الضرر الذي يجب على كل عاقل ان ينفيه بغاية الجهد ولا يجوز قياسا على ذلك ان يوصف
به فاعل العقاب لانه لا يقال فبئس الرجل الا على وجه الذم ووجه الحكمة في فعل العقاب ما فيه
من الزجر المتقدم للمكلف ولا يمكن ان يكون مزجورا الا به ولولاه لكان مغرى بالقبيح
اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا اي طرحوا في النار سمعوا للنار صوتا فظيعا مثل
صوت القدر عند فورانها وغليانها فيعظم بسماع ذلك عذابهم لما يرد على قلوبهم
من هوله وهي تفور اي تغلي بهم كغلي المرجل تكاد تميز اي تنقطع وتتفرق من الغيظ اي شدة
الغضب سمى سبحانه شدة التهاب النار غيظا على الكفار لان المغتاظ هو المتقطع مما يجد
من الالم الباعث على الانتقام بغيره فحال جهنم كحال المتغيظ كلما القي فيها اي كلما
طرح في النار فوج من الكفار سألهم خزنتها الم يأتكم نذير اي يقول لهم الملائكة الموكلون
بالنار على وجه التبكيت لهم في صيغة الاستفهام الم يجيئكم مخوف من جهة الله سبحانه
يخوفكم عذاب هذه النار قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء
اي فيقولون من جوابهم بلى قد جاءنا مخوف فلم نصدقه وكذبناه ولم نقبل منه بل قلنا له
ما نزل الله شيئا مما تدعونا اليه وتحذرنا منه فيقول لهم الملائكة ان انتم الا في ضلال
كبير اي لستم اليوم الا في عذاب عظيم وقيل معناه قلنا للرسل ما انتم الا في ضلال اي ذهاب
عن الصواب كبير في قولكم انزل الله علينا كتابا وقالوا لو كنا نسمع او نعقل من النذر
ما جاؤنا به ودعونا اليه وعملنا بذلك ما كنا في اصحاب السعير وقال الزجاج لو كنا
نسمع سمع من يعي ويفكر ونعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من اهل النار وفي الحديث
عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وآله قال ان الرجل ليكون من اهل الجهاد ومن اهل
الصلوة والصيام وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وما يجزى يوم القيمة الا على قدر
عقله وعن انس بن مالك قال اثنى قوم على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال رسول الله ص كيف عقل الرجل قالوا يا رسول الله نخبرك عن اجتهاده في العبادة
واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر

وانما ينفع العباد غدا في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم ثم قال سبحانه فاعترفوا بذنبهم في ذلك الوقت الذي لا ينفعهم فيه الاقرار والاعتراف والاقرار مشتق من قر الشيء يقر قرارا اذا ثبت والاعتراف ماخوذ من المعرفة والذنب مصدر لا يثنى ولا يجمع ومتى جمع فلاختلاف جنسه فسحقا لاصحاب السعير هذا دعاء عليهم اي اسحقهم الله وابعدهم من النجاة سحقا واذا قيل ما وجه اعترافهم بالذنب مع ما عليهم من الفضيحة فالجواب انهم قد علموا حصولهم على الفضيحة اعترفوا ام لم يعترفوا فليس يدعوهم الى احد الامرين الا مثل ما يدعوهم الى الآخر في انه لا فرج فيه فاستوى الامران عليهم الاعتراف وترك الاعتراف والجزع وترك الجزع قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ القراءة قرأ ابن كثير النشور وامنتم وقرأ ابو جعفر ونافع وابو عمرو ويعقوب بهمزة ممدودة وهو تحقيق الهمزة الاولى وتخفيف الثانية بان يجعل بين بين وقرأ الباقون اامنتم بهمزتين الحجة اما الاول فهو تخفيف الهمزة الاولى بان جعلت واوا وهذا في المنفصل نظير قولهم في المتصل التؤده وجون في جمع جونة فاما الهمزة التي هي فاء من قوله اامنتم بعد تخفيف الاولى بقلبها واوا فانه يجوز فيه التحقيق والتخفيف فان حقق كان لفظه النشور وامنتم وان خفف كان القياس ان يجعل بين بين اعني بين الالف والهمزة وتحركها بالفتحة ومن قال الا هنا لك

المرفع وقلبها الفا كان القياس ان يقول هنا النشور وامنتم بقلبها الفا محضة وسيبويه يجيز هذا القلب في الشعر وعن حال السعة وكان قياس قول ابي عمرو على ما حكاه عنه سيبويه من انه اذا اجتمع همزتان خفف الاولى منهما دون الثانية ان تقلب الاولى منهما هنا واوا كما فعله ابن كثير فاما الثانية فان شاء حققها وان شاء خففها وتخفيفها ان يجعل بين الهمزة والالف ولعل ابا عمرو ترك هذا القول في هذا الموضع فاخذ فيه بالوجه الآخر وهو تخفيف الثانية منهما اذا التقتا دون الاولى اللغة اللطف من الله الرأفة والرحمة والرفق واللطيف الرفيق بعباده يقال لطف به يلطف لطفا اذا رفق به والذلول من المراكب ما لا صعوبة فيه ومناكب الارض ظهورها ومنكب كل شيء اعلاه واصله الجانب ومنه منكب الرجل والريح النكباء والنشور الحيوة بعد الموت يقال نشر الميت ينشر نشورا اذا عاش وانشره الله احياه قال الاعشى حتى يقول الناس مما راوا يا عجبا للميت الناشر واصله من النشر ضد الطي والحاصب الحجارة التي يرمى بها كالحصباء وحصبه بالحصاة يحصبه حصبا اذا رماه بها ويقال للذي يرمى به حاصب اي ذو حصب الاعراب بالغيب في موضع نصب الا يعلم من خلق فيه وجوه احدها ان يكون من خلق في موضع رفع بانه فاعل يعلم والتقدير الا يعلم من خلق الخلق ما يصدر منهم والثاني ان يكون من خلق في موضع نصب بانه مفعول به وتقديره الا يعلم الله من خلقه والثالث ان يكون من استفهاما في موضع نصب بانه مفعول خلق وفاعل خلق الضمير المستكن فيه العائد الى الله تعالى والاول اصح الوجوه وقوله ان يخسف بكم الارض في موضع نصب بانه بدل من في قوله من في السماء وهو بدل الاشتمال فاذا هي تمور اذا ظرف المفاجاة وهو معمول قوله تمور وهي تمور جملة في موضع نصب على الحال من يخسف بكم الارض وذو الحال الارض وان يرسل بدل ايضا مثل قوله ان يخسف وقوله كيف نذيري مبتداء وخبر والخبر مقدم والجملة معلقة بقوله فستعلمون والتقدير فستعلمون المحذور انذاري ام لا وقوله فكيف كان نكيري كيف هنا خبر كان وقوله ويقبضن معطوف على صافات ثم عطف الفعل على الاسم ومن الاصل المقرر ان الفعل لا يعطف الا على الفعل كما ان الاسم لا يعطف الا على

الاسم لانه وان كان فعلا فهو في موضع الحال فتقديره تقدير اسم فاعل وصافات حال
فجاز ان يعطف عليه فكانه قال صافات وقابضات وقد جاء مثل هذا في الشعر قال شعر بات يغشيها
بعضب باتر ٭ يقصد في اسوقها وجاير ٭ امن هذا الذي هو جند لكم من ههنا استفهام
في موضع رفع بالابتداء دخل عليه ام المنقطعة وهذا مبتدأ ثان والذي خبره وقد وصل
بالمبتداء والخبر وهو قوله هو جند لكم وينصركم صفة لجند المعنى لما تقدم الوعيد
عقبه سبحانه بالوعد فقال ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافون عذاب ربهم باتقاء
معاصيه وفعل طاعاته على وجه الاستسرار بذلك لان الخشية متى كانت بالغيب على ما ذكرنا
كانت بعيدة من الريا خالصة لوجه الله وخشية الله بالغيب تنفع بان يستحق عليها الثواب
وخشيته في الظاهر بترك المعاصي لا يستحق بها الثواب فاذا الخشية بالغيب افضل لا محالة
وقيل بالغيب معناه انهم يخشونه ولم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه وقيل يخافون
حيث لا يراهم مخلوق لان اكثر ما يرتكب المعاصي انما يرتكب في حال الخلوة فهم يتركون المعصية
لئلا يجعلوا الله سبحانه اهون الناظرين اليهم ولان من تركها في هذه الحال تركها في
العلانية ايضا لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اي عظيم في الاخرة لا فناء له ثم قال سبحانه
متهددا للعصاة واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور يعني انه عالم
باخلاص المخلص ونفاق المنافق فان شئتم فاظهروا القول وان شئتم فابطنوه فانه
عليم بضماير القلوب ومن علم اضمار القلب علم اسرار القول قال ابن عباس كانوا ينالون
من رسول الله فيخبره به جبرئيل فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع اله
محمد فنزلت الاية الا يعلم من خلق وقيل في معناه وجوه احدها الا يعلم ما في الصدور
من خلق الصدور وثانيها الا يعلم سر العبد من خلقه اي من خلق العبد فعلى
الوجهين يكون من خلق بمعنى الخالق وثالثها يعلم ان يكون من خلق بمعنى المخلوق
والمعنى الا يعلم الله مخلوقه وهو اللطيف اي العالم بما لطف ودق وقيل اللطيف بعباده
من حيث يدبرهم بالطف التدبير واللطيف التدبير من يدبر تدبيرا نافذا لا يخفى
عن شيء يدبره به وقيل اللطيف من كان فعله في اللطف بحيث لا يهتدي اليه غيره وهو

بمعنى فاعل

بمعنى فاعل كالقدير والعليم وقيل هو بمعنى ملطف كالبديع بمعنى المبدع وقيل اللطيف
الذي لا يكلف اليسير ويعطي الكثير الخبير العالم بالعباد واعمالهم ثم عدد سبحانه
انواع نعمه ممتنا على عباده بذلك فقال هو الذي جعل لكم الارض ذلولا اي سهلة
ساكنة مسخرة يعملون فيها ما يشتهون وقيل ذلولا لم يجعلها بحيث يمتنع
المشي فيها بالحزونة والغلظ وقيل ذلولا موطاة للتصرف فيها والمسير عليها
ويمكنكم زراعتها فامشوا في مناكبها اي في طرقها وفجاجها عن مجاهد وقيل
في جبالها لان منكب كل شيء اعلاه عن ابن عباس وقتادة ثم ان كان هذا امر ترغيب
فالمراد فامشوا في طاعة الله وان كان للاباحة فقد اباح فيها الطلب للمنافع
في التجارات وكلوا من رزقه اي كلوا مما انبت الله في الارض والجبال من الزروع
والاشجار حلالا واليه النشور اي والى حكمه المرجع في القيمة وقيل معناه واليه الاحياء
للمحاسبة فهو مالك النشور القادر عليه عن الجبائي ثم هدد سبحانه الكفار زاجرا
لهم عن ارتكاب معصيته والجحود لربوبيته فقال ءامنتم من في السماء اي ءامنتم عذاب
من في السماء سلطانه وامره ونهيه وتدبيره لا بد ان يكون هذا معناه لاستحالة
ان يكون الله جل جلاله في مكان او جهة وقيل يعني بقوله من في السماء الملك
الموكل بعذاب العصاة ان يخسف بكم الارض يعني ان يشق الارض فيغيبكم فيها
اذ عصيتموه فاذا هي تمور اي تضطرب وتتحرك والمعنى ان الله يحرك الارض
عند الخسف بهم حتى يضطربوا فوقهم وهم يخسفون فيها حتى يلقيهم الى اسفل
والمور التردد في الذهاب والمجيء مثل الموج ام امنتم من في السماء ان يرسل
عليكم حاصبا اي ريحا ذات حجارة كما ارسل على قوم لوط حجارة من السماء وقيل
سحابا يحصب عليكم الحجارة فستعلمون حينئذ كيف نذير اي كيف انذاري اذا عاينتم
العذاب ولقد كذب الذين من قبلهم رسلي وجحدوا وحدانيتي فكيف كان نكير
اي عقوبتي وتغييري ما بهم من النعم وقيل كيف رايتم انكاري عليهم باهلاكهم
واستيصالهم ثم نبه سبحانه على قدرته على الخسف وارسال الحجارة فقال اولم يروا

الى الطير فوقهم صافات تصف اجنحتها في الهواء فوق رؤسهم ويقبضن با[جنحتهن]
بعد البسط وهذا معنى الطيران وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط اى [يضربن]
باجنحتهن ويبسطن اجنحتهن تارة ويقبضن اخرى فالجو للطاير كالماء للسابح
وقيل معناه ان من الطير ما يضرب بجناحيه فيصف ومنه ما يمسك فيدف
ومنه الصفيف والدفيف ما يمسكهن الا الرحمن بتوطية الهواء لهن ولولا ذلك
لسقطن وفي ذلك اعظم دلالة واوضح برهان وحجة بان من سخر الهواء هذا
التسخير على كل شيء قدير والصف وضع الاشياء المتوالية على خط مستقيم والقبض
جمع الاشياء عن حال البسط والامساك اللزوم المانع من السقوط عن علي بن [عيسى]
انه بكل شيء بصير اى بجميع الاشياء عليم امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم
من دون الرحمن ... يمنعكم من عذابي ان اردت عذابكم عن ابن عباس ولفظ الجند موحد ولذلك
قال هذا الذى وكانه سبحانه يقول للكفار باى قوة تعصوني الكم جند يدفع عنكم
عذابي بين بذلك ان الاصنام لا يقدرون على نصرتهم ان الكافرون الا في غرور من
الشيطان يغرهم بان العذاب لا ينزل بهم وقيل معناه ما هم الا في امر لا حقيقة له
من عبادة الاوثان يتوهمون ان ذلك ينفعهم والامر بخلافه ام من هذا الذى
يرزقكم ان امسك رزقه اى من الذى يرزقكم ان امسك الله الذى هو رازقكم
اسباب رزقه عنكم وهو المطر ههنا بل لجوا في عتو ونفور اى ليسوا يعتبرون و
ينظرون بل تمادوا واستمروا في اللجاج وجاوزوا الحد في تماديهم ونفورهم عن الحق
وتباعدهم عن الايمان لما كان للمشركين صور كثيرة عن عبادة الاوثان وهم كانوا
يتحمون بذلك على العصيان فقد لجوا في عتوهم قال الفراء قوله ام من هذا
الذى يرزقكم الاية تعريف حجة الزمها الله العباد فعرفوا فاقروا بها ولم يردوا
لها جوابا فقال الله سبحانه بل لجوا في عتو ونفور قوله عز وجل افمن يمشي مكبا
على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم قل هو الذى انشاكم
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذى ذراكم

في الارض

في الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند
الله وانما انا نذير مبين فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذى
كنتم به تدعون قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين
من عذاب اليم قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين
قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين تسع آيات القراءة قرا
يعقوب تدعون ساكنة الدال خفيفة وهو قراءة الحسن والضحاك وقتاده والباقون تدعون
بالتشديد وقرا الكسائي فسيعلمون بالياء والباقون بالتاء الحجة اما قوله تدعون فالمعنى
هذا الذى كنتم به تدعون الله كقوله تع سال سائل بعذاب واقع واما تدعون بالتشديد
فمعناه تداعون بوقوعه قال ابن جني كانت الدعوى بوقوعه فاشية بينكم كقوله تع
في معنى العموم ولا تنابزوا بالالقاب اى لا يغش هذا فيكم وليس معنى يدعون هنا من
ادعاء الحقوق وانما هو بمعنى يتداعون من الدعاء لا من الدعوى كما في قول الشاعر شعر
فما برحت خيل تثوب وتدعى يعني يتداعى بينهما بالفلان اللغة يقال كبيته فاكب وهو
نادر مثل قشعت الريح السحاب فاقشعت ونزفت البير فانزفت اى ذهب ماؤها ونسلت
ريش الطاير فانسل والزلفة القربة وهو مصدر يستوي فيه الواحد والجمع ومنه المزدلفة
لقربه من مكه وقد تجمع الزلفة زلفى قال العجاج ناج طواه الاين مما وجفا طي الليالي
زلفا فزلفا وساءه الامر يسوءه سوءا اى غمه وحزنه ومنه اساء يسيء اذا فعل ما يؤدي الى
الغم وماء غور اى غاير وصف بالمصدر مبالغة كما يقال هؤلاء زور فلان وضيفه
والمعين قيل انه مفعول ماخوذ من العين فعلى هذا يكون مثل مبيع من البيع وقيل انه
من الامعان في الجري فعلى هذا يكون على وزن فعيل فكانه قيل ممعن في الاسراع و
الظهور الاعراب قليلا صفة مصدر محذوف اى يشكرون شكرا قليلا وما مزيدة
فستعلمون من هو في ضلال مبين يحتمل ان يكون من استفهاما فيكون تعليقا ويحتمل
ان يكون اسما موصولا قال ابو علي دخلت الفاء في قوله فمن يجير وقوله فمن ياتيكم لان
ارايتم بمعنى انتهوا فمن يجير وانتهوا فمن ياتيكم كما يقول قم فزيد قايم قال ولا يكون الفاء

جواب الشرط وانما يكون جواب الشرط مدلول ارايتم قال وان شئت كانت الفاء زائدة
مثلها في قوله فلا يحسبنهم ويكون الاستفهام سادا مسد مفعولى ارايتم كقولك ارايت
زيدا ما فعل وهذا من دقايقه المعنى ثم ضرب سبحانه مثلا للكافر والمومن فقال افمن
يمشى مكبا على وجهه اى منكسا راسه الى الارض فهو لا يبصر الطريق ولا من يستقبله ولا ينظر
امامه ولا يمينه ولا شماله وهو الكافر المقلد لا يدرى احق هو ام مبطل اهذا اهدى ام
من يمشى سويا اى مستويا قايما يبصر الطريق وجميع جهاته كلها فيضع قدمه حيث لا يعثر
وهو المومن الذى سلك طريق الحق وعرفه واستقام عليه وامكنه دفع المضار عن نفسه وجلب
المنافع اليها على صراط مستقيم اى على طريق واضح قيم وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد
وقيل ان هذا فى الاخرة يحشر الله الكافر مكبا على وجهه يوم القيمة كما قال ونحشرهم يوم القيمة
على وجوههم عن قتادة قل يا محمد لهولاء الكفار هو الذى انشاكم بان اخرجكم من العدم الى
الوجود وجعل لكم السمع تسمعون به المسموعات والابصار تبصرون بها المبصرات والافئدة
يعنى القلوب يعقلون بها ويتدبرون فاعطاكم الات التفكر والتميز والوصول الى العلم
قليلا ما تشكرون اى تشكرون قليلا وقيل معناه قليلا شكركم فتكون ما مصدرية قل
لهم يا محمد هو الله تع الذى ذراكم اى خلقكم فى الارض واليه تحشرون منها اى تبعثون اليه يوم
القيمة فيجازيكم على اعمالكم ثم حكى سبحانه ما كان يقوله الكفار مستبطئين عذاب الله تع
بذلك فقال ويقولون متى هذا الوعد من الخسف والحاصب او البعث والجزاء ان كنتم
صادقين فى ان ذلك يكون قل يا محمد انما العلم عند الله يعنى علم الساعة وانما انا نذير اى
مخوف لكم به مبين اى مبين لكم ما انزل الله الى من الوعد والوعيد والاحكام ثم ذكر سبحانه
حالهم عند نزول العذاب ومعاينته فقال فلما راوه زلفة اى فلما راوا العذاب قريبا
يعنى يوم بدر عن مجاهد وقيل معاينه عن الحسن وقيل ان اللفظ ماض والمراد به المستقبل
والمعنى اذا بعثوا وراوا القيمة قد قامت وراوا ما اعد لهم من العذاب وهذا قول اكثر المفسرين
سيئت وجوه الذين كفروا اى اسودت وجوههم وعلتها الكابه يعنى قبحت وجوههم بالسواد
وقيل معناه ظهرت على وجوههم اثار الغم والحسرة ونالهم السوء والخزى وقيل لهولاء الكفار

اذا شاهدوا العذاب هذا الذى كنتم به تدعون قال الفراء تدعون وتدعون واحد مثل
تدخرون وتدخرون والمعنى كنتم به تستعجلون وتدعون الله بتعجيله وهو قولهم ان
كان هذا هو الحق من عندك الاية عن ابن زيد وقيل هو تدعون من الدعوى اى تدعون
ان لا جنة ولا نار عن الحسن وروى الحاكم ابو القسم الحسكانى بالاسانيد الصحيحة عن شريك
عن الاعمش قال لما راوا ما لعلى ابن ابى طالب ع عند الله من الزلفى سيئت وجوه الذين كفروا
وعن ابى جعفر فلما راوا مكان على من النبى سيئت وجوه الذين كفروا يعنى الذين كذبوا بفضله
قل لهولاء الكفار ارايتم ان اهلكنى الله ومن معى بان يميتنا او رحمنا بتاخير اجالنا فمن يجير
الكافرين من عذاب اليم استحقوه بكفرهم وما الذى ينفعهم فى دفع العذاب عنهم
وقيل ان الكفار كانوا يتمنون موت النبى ص وموت اصحابه فقيل له قل لهم ان اهلكنى الله
ومن معى وذلك بان يميتنى ويميت اصحابى فما الذى ينفعكم وينجيكم من العذاب فانه واقع
بكم لا محالة وقيل معناه ارايتم ان عذبنى الله ومن معى او رحمنا وغفر لنا فمن يجيركم اى نحن
مع ايماننا بين الخوف والرجاء فمن يجيركم مع كفركم من العذاب ولا رجاء لكم كالمومنين عن ابن عباس
وابن كيسان ثم قال قل لهولاء الكفار على وجه التوبيخ لهم هو الرحمن اى ان الذى ادعوكم اليه هو الرحمن
الذى عمت نعمته جميع الخلايق امنا به وعليه توكلنا اى عليه اعتمدنا وجميع امورنا اليه فوضنا
فستعلمون معاشر الكفار يوم القيمة من هو فى ضلال مبين اليوم انحن ام انتم ومن قرا بالياء فمعناه
فسيعلم الكفار ذلك قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا اى غائرا ناضبا فى الابار والعيون فمن ياتيكم
بماء معين اى ظاهر للعيون عن ابى مسلم والجبائى وقيل بماء جار عن ابن عباس وقتاده اراد سبحانه
انه المنعم بالارزاق فاشكروه واعبدوه ولا تشركوا به شيئا وذكر مقاتل انه اراد بقوله ماؤكم
بئر زمزم وبئر ميمون وهى بئر عادية قديمة وكان ماؤهم منهما بين البئرين والمعين الذى تناله
الدلاء وتراه العيون سورة القلم وتسمى ايضا سورة نون وهى مكية عن الحسن وعكرمة وعطا
وقال ابن عباس وقتاده من اولها الى قوله سنسمه على الخرطوم مكى وما بعده الى قوله لو كانوا يعلمون
مدنى وما بعده الى قوله يكتبون مكى وما بعده مدنى وهى اثنتان وخمسون آية بالاجماع فضلها
ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قرا سورة ن والقلم اعطاه الله ثواب الذين

حسن اخلاقهم علي بن ميمون عن ابي عبد الله ع قال من قرا سورة ن والقلم في فريضة او نافلة
امنه الله ان يصيبه في حيوته فقر ابدا واعاذه اذا مات من ضمة القبر ان شاء الله تفسيرها
ختم الله سبحانه سورة الملك بذكر تكذيب الكفار ووعيدهم وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال

بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون
ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر
ويبصرون بأيكم المفتون ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف
مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال
وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين سنسمه على الخرطوم ست عشرة آية

القراءة مضى ذكر اختلاف القراء في اظهار النون واخفائها من نون في سورة يس فلا وجه لاعادته
وقرا ابو جعفر وابن عامر ويعقوب في سهل ان كان بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام وقرا
ابو بكر عن عاصم وحمزة ءان كان بهمزتين وقرا الباقون ان كان بفتح الهمزة من غير استفهام
الحجة قال ابو علي ان كان ذا مال لا يخلو من ان يكون العامل فيه تتلى من قوله اذا تتلى عليه اياتنا
او قال من قوله قال اساطير الاولين او شيء ثالث فلا يجوز ان يعمل واحد منهما فيه الا ترى
ان تتلى قد اضيف اذا اليه والمضاف اليه لا يعمل فيما قبله لا يقول القتال زيدا حين يأتي ولا
يجوز ان يعمل فيه قال ايضا لان قال جواب اذا وحكم الجواب ان يكون بعد ما هو جواب له
ولا يتقدم عليه فكما لم يعمل فيه الفعل الاول فكذلك لا يعمل فيه الثاني واذا لم يعمل فيه
واحد من هذين الفعلين وليس في الكلام غيرهما علمت انه محمول على شيء آخر مما دل ما بقي
الكلام عليه والذي يدل عليه هذا الكلام من المعنى هو يجحد او كفر او يستكبر عن قبول الحق
ونحو ذلك وانما جاز ان يعمل فيه المعنى وان كان متقدما عليه لشبهه بالظرف وقد تعمل فيه
المعاني وان تقدم عليها ويدلك على مشابهة الظرف تقدير اللام معه وان من النحويين
من يقول انه في موضع جر كما انه لو كانت اللام معه ظاهرة كان كذلك وان قراء بهمزة ممدودة
فانه يزيد همزة بعدها همزة مخففة اللغة السطر الكتابة وهو وضع الحروف على خط مستقيم

واستطر

واستطر اكتتب والمسطرة آلة التسطير والممنون المقطوع يقال منه السير منه منا واليمين
الضعيف الخلق المروة في الفعل على عادة فالخلق الكريم الصبر على الحق وتدبير الامور على الحق وتدبير
الامور على مقتضى العقل وفي ذلك الاناة والرفق والحلم والمداراة والمفتون المبتلى بتخييل الرأي
كالمجنون يقال فتن فلان بفلانة واصل الفتنة الابتلاء والاختبار والمهين الضعيف
الذليل والمهانة الذلة والقلة والهماز الوقاع في الناس بما ليس له ان يعيبهم والاصل فيه
الدفع بشدة اعتماد ومنه الهمزة حرف من الحروف المعجمة فهي نبرة تخرج من الصدر بشدة
اعتماد والنميم التضريب بين الناس بنقل الكلام الذي يغيظ بعضهم على بعض والنميم
والنميمة بمعنى ومنه النمام المشموم لانه يجد ريحه كالمخبر عن نفسه والعتل الجافي الغليظ
واصله الدفع عتله يعتله اذا زعزعه بغلظ وجفاء والزنيم الدعي الملصق بالقوم
وليس منهم واصله الزنمة وهي الهنية المتدلية تحت حلق الجدي ويقال للتيس له زنمتان
قال الشاعر شعر زنيم ليس يعرف من ابوه بغي الام ذو حسب لئيم وقال حسان شعر وانت
زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد ويقال وسمه يسمه وسما وسمة
والخرطوم ما نتا من الانف هو الذي يقع به الشم وقيل خرطوم الفيل وخرطمه اذا قطع
انفه الاعراب بأيكم المفتون فيه وجوه احدها ان المفتون مصدر بمعنى الفتنة كما يقال
ليس له معقول وما له محصول قال الراعي شعر حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده
معقولا وثانيها ان يكون المفتون اسم المفعول والباء مزيدة والتقدير ايكم المفتون
فيكون مبتدأ وخبرا ويكون الجملة معلقة بقوله يبصرون وثالثها ان الباء بمعنى
في والمعنى في ايكم المفتون اي في اي الفريقين في فرقة الاسلام او في فرقة الكفر المجنون
وهذا قول الفراء وقال الراجز في زيادة الباء شعر نحن بنو جعدة اصحاب الفلج نضرب
بالسيف ونرجو بالفرج اي ونرجو الفرج المعنى ن اختلفوا في معناه فقيل هو اسم
من اسماء السورة مثل حم وص وما اشبه ذلك وقد ذكرنا ذلك مع غيره في الاقوال
في مفتتح سورة البقرة وقيل هو الحوت الذي عليه الارضون عن ابن عباس ومجاهد
ومقاتل والسدي وقيل هو حرف من حروف الرحمن في رواية اخرى عن ابن عباس وقيل

هو الدواة عن الحسن وقتادة والضحاك وقيل نون لوح من نور روي مرفوعاً الى النبي
صلى الله عليه وآله وقيل هو نهر في الجنة قال الله له كن مداداً فجمد وكان ابيض من اللبن
واحلى من الشهد ثم قال للقلم اكتب فكتب القلم ما كان وما هو كائن الى يوم القيمة عن ابي جعفر
الباقر عليهما السلام وقيل المراد به الحوت في البحر وهو من آيات الله تع اذ خلقها في الماء فاذا
فارق الماء مات كما ان حيوان البر اذا خالط الماء مات والقلم الذي يكتب به اقسم
الله به لمنافع الخلق اذ هو احد لساني الانسان يؤدي عنه ما في جنانه ويبلغ البعيد
عنه ما يبلغ القريب بلسانه وبه يحفظ احكام الدين وبه يستقيم امور العالمين
وقد قيل ان البيان بيانان بيان اللسان وبيان البنان وبيان اللسان تدرسه
الاعوام وبيان الاقلام باق على مر الايام وقيل ان قوام امور الدين والدنيا
بشيئين القلم والسيف والسيف تحت القلم وقد نظمه بعض الشعراء واحسن فيما قال شعر
ان يخدم القلم السيف الذي خضعت ؛ له الرقاب ودانت حذره الامم ؛ فالموت والموت
لا شيء يغالبه ؛ ما زال يتبع ما يجري به القلم ؛ كذا قضى الله للاقلام مذ بريت ؛ ان السيوف
لها مذ رهفت خدم ؛ وما يسطرون اي وما يكتبه الملائكة مما يوحى اليهم وما يكتبونه
من اعمال بني آدم فكان القسم بالقلم وما يسطر بالقلم وقيل ان ما مصدرية وتقديره والقلم
وسطرهم فيكون القسم بالكتابة وعلى القول الاول يكون القسم بالمكتوب ما انت بنعمة
ربك بمجنون هو جواب القسم ومعناه لست يا محمد بمجنون بنعمة ربك وقيل كما يقول
ما انت بنعمة ربك بجاهل وجاز تقديم معمولها بعد الباء لانها زائدة مؤكدة
وتقديره انتفى عنك الجنون بنعمة ربك وقيل كما يقال ما انت بمجنون بحمد الله وقيل
معناه بما انعم عليك ربك من كمال العقل والنبوة والحكمة لست بمجنون اي لا يكون
مجنوناً من انعمنا عليه بهذه النعم وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لربك كما يقال
سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لك وهذا تقرير لنفي الجنون عنه وقالوا ان هذا
جواب لقول المشركين يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وان لك يا محمد
لاجراً اي ثواباً من الله على قيامك بالنبوة وتحملك اعباء الرسالة غير ممنون اي غير مقطوع

وهو ثواب

وهو ثواب الجنة يعني لا تنال بكلامهم ما لك عند الله من الثواب الدائم والاجر العظيم
وقيل غير ممنون اي لا يمن به عليك عن ابي مسلم والمعنى غير مكدر بالمن الذي يقطع عن لزوم
الشكر فقد قيل المنة تكدر الصنيعة وقال ابن عباس ليس من نبي الا وله مثل اجر من آمن
به ودخل في دينه ثم وصف النبي صلى الله عليه وآله فقال وانك يا محمد لعلى خلق عظيم اي على دين
عظيم وهو دين الاسلام عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل معناه انك متخلق باخلاق
الاسلام وعلى طبع كريم وحقيقة الخلق ما يأخذ به الانسان نفسه من الآداب وانما سمي
خلقاً لانه يصير كالخلقة فيه فاما ما طبع عليه من الآداب فانه الخيم فالخلق هو الطبع المكتسب
والخيم الطبع الغريزي وقيل الخلق العظيم الصبر على الحق وسعة البذل وتدبير
الامور على مقتضى العقل بالصلاح والرفق والمداراة وتحمل المكاره في الدعاء الى
الله والتجاوز والعفو وبذل الجهد في نصرة المؤمنين وترك الحسد والحرص
ونحو ذلك عن الجبائي قالت عائشة كان خلق النبي ص ما تضمنه العشر الاول من المؤمنين
ومن مدحه الله سبحانه بانه على خلق عظيم فليس وراء مدحه مدح وقيل سمي
خلقه عظيماً لانه عاشر الخلق بخلقه وزايلهم بقلبه فكان ظاهره مع الخلق وباطنه
مع الحق وقيل لانه امتثل تاديب الله سبحانه اياه بقوله خذ العفو وأمر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وقيل سمي خلقه عظيماً لاجتماع مكارم الاخلاق فيه ويعضده
ما روي عنه ع انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال ادبني ربي فاحسن تاديبي
وقال ع ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار وعن
ابي الدرداء قال قال النبي صلى الله عليه وآله ما شيء اثقل في الميزان من خلق حسن
وعن الرضا علي بن موسى عليهما السلام عن ابائه عن النبي ص قال عليكم بحسن الخلق فان حسن
الخلق في الجنة لا محالة واياكم وسوء الخلق فانه في النار لا محالة وعن ابي هريرة
عنه ع قال احبكم الى الله احاسنكم اخلاقاً الموطئون اكنافاً الذين يألفون ويؤلفون
وابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء
العثرات فستبصر ويبصرون اي فسترى يا محمد ويرونه يعني الذين رموه

بالجنون بايكم المفتون اى ايكم المجنون الذى فتن بالجنون انتم ام هم وقيل بايكم
الفتنه وهو الجنون يريد انهم يعلمون عند العذاب اى المجنون كان بهم حين كذبوك
وتركوا دينك لا بك وقيل معناه فستعلم ويعلمون فى اى الفريقين المجنون الذى
فتنه الشيطان ثم اخبر سبحانه انه عالم بالفريقين فقال ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
الذى هو سبيل الحق وعدل عنه وجار عن السلوك فيه وهو اعلم بالمهتدين الى
العالمين بموجبه فيجازى كلا بما يستحقه ويستوجبه اخبرنا السيد ابو الحمد مهدى
بن نزار الحسينى القائنى رحمه الله قال حدثنا الحاكم ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله
الحسكانى قال اخبرنا ابو عبد الله الشيرازى قال حدثنا ابو بكر الجرجانى قال حدثنا
ابو احمد البصرى قال حدثنى عمرو بن محمد بن تركى قال حدثنا محمد بن الفضل قال
حدثنا محمد بن شعيب عن عمرو بن شمر عن دلهم بن صالح عن الضحاك بن مزاحم قال لما رات
قريش تقديم النبى صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام واعظامه له نالوا من على وقالوا
قد افتتن به محمد فانزل الله تعالى ن والقلم وما يسطرون قسم اقسم الله به ما انت
بنعمة ربك بمجنون وانك لعلى خلق عظيم يعنى القرآن الى قوله بمن ضل عن سبيله وهم
النفر الذين قالوا ما قالوا وهو اعلم بالمهتدين على بن ابى طالب عليه السلام ثم قال سبحانه
للنبى ص فلا تطع المكذبين بتوحيد الله عز وجل الجاحدين لنبوتك ولا تجبهم
الى ما يلتمسون منك ولا توافقهم فيما يريدون ودوا لو تدهن فيدهنون
اى ود هولاء الكفار ان تلين لهم فى دينك فيلينون فى دينهم شبه التليين
فى الدين بتليين الدهن عن ابن عباس وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون
عن الضحاك وعطاء وابن عباس فى رواية اخرى وقيل معناه ودوا لو تركن الى
عبادة الاصنام فيمالونك والادهان الجريان فى ظاهر الحال على المقاربة مع اضمار
العداوة وهو مثل النفاق وقيل ودوا لو تصانعهم فى دينك فيصانعونك عن
الحسن ثم قال ولا تطع يا محمد كل حلاف اى كثير الحلف بالباطل لقلة مبالاته بالكذب
مهين فعيل من المهانة وهى القلة فى الراى والتمييز وقيل ذليل عند الله وعند الناس

وقيل كذاب

وقيل كذاب لان من عرف بالكذب كان ذليلا حقيرا عن ابن عباس قيل يعنى الوليد
بن المغيرة عن مقاتل قال عرض على النبى ص المال ليرجع عن دينه وقيل يعنى الاخنس
ابن شريق عن عطاء وقيل يعنى الاسود بن عبد يغوث عن مجاهد هماز اى وقاع
فى الناس مغتاب عن ابن عباس مشاء بنميم اى قتات يسعى بالنميمة فيفسد بين
الناس ويضرب بعضهم على بعض مناع للخير اى بخيل بالمال وقيل مناع عشيرته عن الاسلام
بان يقول من دخل دين محمد لا انفعه بشىء ابدا عن ابن عباس معتد فى فعله
اثيم فى معتقده وقيل معتد فى ظلم نفسه عتل بعد ذلك اى هو عتل مع كونه مناعا
للخير معتديا اثيما وهو الفاحش السىء الخلق روى ذلك فى خبر مرفوع وقيل هو القوى
فى كفره عن عكرمة وقيل الجافى الشديد الخصومة بالباطل عن الكلبى وقيل الاكول
المنوع عن الخليل وقيل هو الذى يعتل الناس فيجرهم الى حبس وعذاب ومنه قول
الشاعر شعر فيا ضيعة الفتيان اذ يعتلونه ببطن الشرى مثل الفنيق المسدم
زنيم اى دعى ملصق الى قوم ليس منهم فى النسب قال الشاعر شعر زنيم تداعاه الرجال
تداعيا كما زيد فى عرض الاديم الاكارع وقيل هو الذى له علامة فى الشر فهو معروف
بذلك فاذا ذكر بالشر سبق القلب اليه كما ان العنز يعرف من بين الاغنام بالزنمة
فى عنقه عن الشعبى وقيل هو الهجين المعروف بالشر عن سعيد بن جبير وقيل
هو الذى لا اصل له عن على عليه السلام وقيل هو المعروف بلومه كما تعرف الشاة بزنمتها
عن عكرمة وروى انه سئل النبى صلى الله عليه وآله عن العتل الزنيم فقال هو السىء
الخلق الشحيح الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس الرحيب
الجوف عن شداد بن اوس قال قال رسول الله ص لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظرى
ولا عتل زنيم قلت فما الجواظ قال كل جماع مناع قلت فما الجعظرى قال الفظ
الغليظ قلت فما العتل الزنيم قال كل رحب الجوف سىء الخلق اكول شروب غشوم ظلوم
قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله وصف احدا وبلغ من ذكر عيوبه ما بلغ من ذكر عيوب الوليد
بن المغيرة لانه وصفه بالحلف والمهانة والعيب للناس والمشى بالنمائم والبخل والظلم والاثم

والجفا والدعوة فالحق به عار الابد فارقه في الدنيا والاخرة ان كان ذا مال وبنين يعني
لماله وبنيه عن الزجاج والفراء ومن قرأ بالاستفهام فلا بد ان يكون صلة مما بعده
لان الاستفهام لا يقدم عليه ما كان في خبره فيكون المعنى الان كان ذا مال وبنين يجحد
اياتنا اي جعل مجازاة النعم التي خولها من البنين والمال الكفر باياتنا وهو قوله اذا تتلى
عليه اياتنا قال اساطير الاولين اي احاديث الاوايل التي سطرت في كتبت لا اصل لها ثم اوعده
سبحانه فقال سنسمه على الخرطوم اي سنسمه يوم القيمة بسمة تشوه خلقته فيعرف من راه انه
من اهل النار وانما خص الانف لان الانسان يعرف بوجهه والانف في وسط الوجه وهذا
على عادة العرب فانهم يقولون شمخ فلان بانفه وارغم الله انفه وحمي فلان انفه
وقيل معناه سنجعل له في الاخرة العلم الذي يعرف به اهل النار من اسوداد وجوههم
وجايز ان يفرد بسمة لمبالغته في عداوة النبي عليه السلام فيخص من التشويه بما يتبين به
من غيره كما كانت عداوته للرسول عداوة يتبين بها من غيره عن الزجاج قال و
الفرا الخرطوم قد خص بالسمة لانه في مذهب الوجه فان بعض الوجه يؤدي عن الكل
وقيل ان المعنى سنخطمه بالسيف في القتال حتى يبقى اثره ففعل ذلك يوم بدر عن
ابن عباس وقيل سنعلمه بشين يبقى على الابد عن قتاده وقال القتيبي العرب تقول
قد وسمه ميسم سوء يريدون الصقه عارا لا يفارقه بما وسمه به من العيوب التي
هي كالوسم في الوجه وقيل ان الخرطوم الخمر فالمعنى سنسمه على شرب الخمر قال الشاعر شعر
انا اناس من يزله يعرف ناوه ، ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا ، قوله عز وجل
إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ
فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ
أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا
الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ
بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا
إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ

عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ سبع عشرة اية القراءة قرا اهل المدينه وابو عمرو ان تبدلنا
بالتشديد والباقون بالتخفيف وقد مر ذكره في سورة الكهف اللغة الصرام و الجداد
في النخل بمنزلة الحصاد والقطاف في الزرع والكرم يقال صرمت النخلة وجددتها
واصرم النخل واجدت جاء ذلك منها والصريم الليل الاسود وانشد ابو عمرو شعر
الا بكرت وعاذلني بلوم ، تجهلني وما انكشف الصريم ، وقال الاخر شعر تطاول ليلك
الجون البهيم ، فما ينجاب عن صبح صريم ، اذا ما قلت اقشع او تناهى جرت من كل ناحية
غيوم ويسمى النهار ايضا صريما فهو من الاضداد لان الليل ينصرم عند مجي النهار
والنهار ينصرم عند مجي والصريم ايضا المصروم اي صرم جميع ثمارها وقيل
الصريم منقطع الرمل الذي لا نبات فيه قال امرؤ القيس شعر وظل لصيران
الصريم غماغم ، يدعسها بالسمهري المعلب ، الطايف الطارق بالليل واذا قيل
اطاف به صلح في الليل والنهار وانشد الفراء شعر اطفت بها نهارا غير ليل والهى
ربها طلب الرخال ، والرخال الاناث من اولاد الضان واحدتها رخل والحرد
المنع من قولهم حاردت السنة اذا منعت قطرها وحاردت الناقة اذا منعت
لبنها قال الكميت شعر وحاردت النكد الجلاد ولم يكن ، لعقبة قدر المستعير
معقب ، ويروى النكد وهي النوق الغزيرات الالبان وقيل ان اصل الحرد القصد
قال الاقبل سيل جاء من عند الله يحرد حرد الجنة المغلة اي يقصد وحرد يحرد
حردا وقيل الحرد الغضب والحنق قال الاشهب بن رميلة اسود شرى لاقت اسود
خفيه تساقوا على حرد دماء الاساود ، المعنى ثم قال سبحانه انا بلوناهم يعني اهل مكه
اي اختبرناهم بالجوع والقحط كما بلونا اصحاب الجنة اي البستان الذي فيه الشجر
قال سعيد بن جبير وهذه الجنة حديقة كانت باليمن من قرية يقال لها صروان بينها
وبين صنعا اثنا عشر ميلا كانت لشيخ وكان يمسك منها قدر كفايته وكفاية اهله
ويتصدق بالباقي فلما مات قال بنوه نحن احق بها لكثرة عيالنا ولا يسعنا ان نفعل

كما فعل ابونا وعزموا على حرمان المساكين فصارت عاقبتهم الى ما قص الله تع فى كتابه
وهو قوله اذ اقسموا اى حلفوا فيما بينهم ليصرمنها مصبحين اى ليقطعن ثمرتها اذا دخلوا
فى وقت الصباح ولا يستثنون اى غير مستثنين فى ايمانهم فلم يقولوا ان شاء الله
فان قول القايل لافعلن كذا الا ان شاء الله استثناء ومعناه الا ان يشاء الله
منعى او تمكين مانعى فطاف عليها طايف من ربك اى احاطت بها النار فاحترقت
عن ابن عباس وقيل معناه طرقها طارق من امر الله عن قتاده وهم نايمون اى فى
نومهم قال مقاتل بعث الله نارا بالليل على جنتهم فاحرقتها حتى صارت مسودة فذلك
قوله فاصبحت كالصريم اى كالليل المظلم والصريمان الليل والنهار لانصرام احدهما
من الاخر عن ابن عباس وابى عمرو بن العلا وقيل الصريم المصروم ثماره اى المقطوع
والمعنى انها صارت كان جميع ثمارها قطعت عن الجبائى وقيل الصريم الذى
صرم عنه الخير فليس فيه شىء منه عن الحسن وقيل كالصريم اى كالرملة انصرمت من معظم
الرمل عن مورج وقيل كالرماد الاسود بلغة خزيمة فتنادوا مصبحين اى نادى
بعضهم بعضا وقت الصباح واصل التنادى من الندى بالقصر لان النداء
الدعاء بندى الصوت الذى يمتد على طريقة يا فلان لان الصوت انما يمتد للانسان
بندى حلقه ان اغدوا على حرثكم اى تنادوا بان اغدوا معناه قال بعضهم لبعض
اغدوا على حرثكم اى تنادوا بان اغدوا معناه قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم
والحرث الزرع والاعناب ان كنتم صارمين اى قاطعين النخل فانطلقوا اى فمضوا
اليها وهم يتخافتون يتسارون بينهم واصله من خفت فلان يخفت اذا اخفى نفسه
ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين هذا ما كانوا يتخافتون به وغدوا على حرد اى على قصد
منع الفقراء قادرين عند انفسهم وفى اعتقادهم على منعهم واحرازها فى جنتهم
وقيل على حرد اى على جد وجهد من امرهم عن مجاهد وقتاده وابى العاليه وقيل على
جد فى المنع عن ابى عبيده وقيل على حنق وغضب من الفقرا عن سفيان وقيل
قادرين مقدرين موافاتهم الجنة فى الوقت الذى قدروا صرامها فيه وهو وقت

الصبح

الصبح والتقدير قصد والجنة للوقت الذى قدروا صرامها فيه عن ابى مسلم فلما
راوها اى راوا الجنة على تلك الصفة قالوا انا لضالون ضللنا عن الطريق ما
هذا بستاننا عن قتاده وقيل معناه انا لضالون عن الحق فى امرنا فلذلك عوقبنا
بذهاب ثمر جنتنا ثم استدركوا فقالوا بل نحن محرومون المعنى انه هذه جنتنا ولكن
حرمنا نفعها وخيرها لمنعنا حقوق المساكين وتركنا الاستثناء قال اوسطهم
اى اعدلهم قولا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل معناه افضلهم واعقلهم وقيل
اوسطهم فى السن الم اقل لكم لولا تسبحون كانه كان حذرهم سوء فعالهم فقال لولا
تستثنون عن مجاهد لان فى الاستثناء التوكل على الله والتعظيم لله والاقرار
بانه لا يقدر احد على فعل شىء الا بمشية الله فلذلك سماه تسبيحا وقيل معناه هلا
تعظمون الله بعبادته واتباع امره وقيل معناه هلا تذكرون نعم الله عليكم
فتؤدوا شكرها بان تخرجوا حق الفقراء من اموالكم وقيل معناه هلا تنزهونه
تعالى عن الظلم واعترفتم بان الله لا يظلم ولا يرضى منكم بالظلم وقيل معناه لم لا تصلون
ثم حكى عنهم انهم قالوا سبحان ربنا انا ظالمين فى عزمنا على حرمان المساكين
من حصتهم عند الصرام فحرمنا قطعها والانتفاع بها والمعنى انه سبحانه منزه
عن الظلم فلم يفعل بنا ما فعله ظلما وانما الظلم وقع منا حيث منعنا الحق فاقبل بعضهم
على بعض يتلاومون اى يلوم بعضهم بعضا على ما فرط منهم قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين
قد علونا فى الظلم وتجاوزنا الحد فيه والويل غلظ المكروه الشاق على النفس والبوس
دونه والويح بينهما قال عمرو بن عبيد يجوز ان يكون ذلك منهم توبة ويجوز ان يكون
على حد ما يقول الكافر اذا وقع فى الشدة عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها اى لما
تابوا ورجعوا الى الله قالوا لعل يخلف علينا ويولينا خيرا من الجنة التى هلكت
انا الى ربنا راغبون اى نرغب الى الله ونساله ذلك ونتوب اليه مما فعلناه
وقرى يبدلنا بالتشديد والتخفيف ومعناهما واحد كذلك العذاب فى الدنيا
للعاصين ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون والاكبر هو الذى يصغر مقدار غيره

بالاضافة اليه وروى عن عبد الله ابن مسعود انه قال بلغني ان القوم اخلصوا عز وجل
الله تعالى منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها
عنقودا وقال ابو خالد اليماني رايت تلك الجنة ورايت كل عنقود منها كالرجل الاسود
القايم قوله عز وجل إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ
عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ
شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ
إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ
إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ اثنتا عشرة اية اللغة الزعيم والكفيل والضمين
والقبيل نظاير والساق للانسان وساق الشجرة ما يقوم عليه وكل نبت له ساق يبقى صيفا
وشتاء فهو شجرة قال الطرفة شعر للفتى عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه ويقول
العرب قامت الحرب على ساق وكشفت عن ساق يريدون شدتها وقال الجد ابن طرفة شعر
كشفت لكم عن ساقها وبدا من الشر الصراح وقال الاخر شعر قد شمرت عن ساقها فشدوا
وجدت الحرب بكم فجدوا والقوس فيها وتر عرد الاعراب كيف في محل النصب على الحال
تقديره امايرين تحكمون ام عادلين ويجوز ان يكون في محل المصدر وتقديره اي حكم
تحكمون وتحكمون في موضع النصب على الحال من معنى الفعل في قوله لكم لان معنى قوله ما لكم
اي شي ثبت لكم وام في جميع ذلك منقطعة ان لكم فيه لما تخيرون كسرت ان لمكان اللام
في لما ولولاها لوجب فتحها لانه مفعول تدرسون وهو كقوله والله يعلم انك لرسوله
وقوله ان لكم لما تحكمون مثله فان شئت قلت انما كسرت ان لان ما قبله يمين
وهي تكسر في جواب القسم وقوله يوم يكشف عن ساق العامل في الظرف قوله فليأتوا
وخاشعة ابصارهم حال ومن يكذب يجوز ان يكون مفعولا معه ويجوز ان يكون
عطفا على ضمير المتكلم من ذرني لما ذكر سبحانه ما اعده في الاخرة للكافرين عقبه

بذكرما اعده للمتقين فقال ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم يتنعمون فيها
ويختارونها على جنان الدنيا التي يحتاج صاحبها الى المشقة والعناء ثم استفهم
سبحانه على وجه الانكار فقال افنجعل المسلمين كالمجرمين اي لا نجعل المسلمين كالمشركين
في الجزاء والثواب وذلك انهم كانوا يقولون ان كان بعث وجزاء كما يقوله محمد فان
حالنا يكون افضل في الاخرة كما في الدنيا فاخبر سبحانه ان ذلك لا يكون ابدا ما لكم كيف
تحكمون هذا تهجين لهم وتوبيخ ومعناه اي عقل يحملكم على تفضيل الكفار حتى صار سببا
لاصراركم على الكفر ولا يحسن في الحكمة التسوية بين الاولياء والاعداء في دار الجزاء
ام لكم كتاب فيه تدرسون معناه بل الكم كتاب تدرسون فيه ذلك وانتم متمسكون
به لا تلتفتون الى خلافه فاذا قد عدمتم الثقة بما انتم عليه في الكتاب الذي هو القران
عليكم اكبر الحجة لانه الدلالة القايمة الى وقت قيام الساعة والمعجزة الشاهدة لنبوة
من ظهرت على يديه ان لكم فيه لما تخيرون فيه وجهان احدهما ان تقديره ام لكم كتاب
فيه تدرسون بان لكم فيه ما تخيرون الا انه حذف الباء وكسرت ان لدخول اللام
في الخبر والثاني ان معناه ان لكم ما تخيرونه عند انفسكم والامر بخلاف ذلك ولا يجوز
ان يكون ذلك على سبيل الخبر المطلق ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة اي بل الكم
عهود ومواثيق علينا عاهدناكم بها فلا ينقطع ذلك الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون
لانفسكم به من الخير والكرامة عند الله تعالى وقيل بالغة معناها موكدة وكل شي
متناه في الجودة والصحة فهو بالغ ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه واله وسلم
يا محمد سلهم ايهم بذلك زعيم يعني ايهم كفيل لهم بان لهم في الاخرة ما للمسلمين ام لهم شركاء
فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين معناه ام لهم شركاء في العبادة مع الله
وهي الاصنام فليأتوا بهولاء الشركاء ان كانوا صادقين في انها شركاء لله
وقيل معناه ام لهم شهداء يشهدون لهم بالصدق فتقوم به الحجة فليأتوا بهم
يوم القيمة يشهدون لهم على صحة دعواهم ان كانوا صادقين في دعواهم يوم
يكشف عن ساق اي فليأتوا بهم في ذلك اليوم الذي تظهر فيه الاهوال والشدايد

وقيل معناه يوم يبدو عن الامر الشديد الفظيع عن ابن عباس والحسن ومجاهد
وقتاده وسعيد بن جبير قال عكرمه سئل ابن عباس عن قوله يوم يكشف عن ساق
فقال اذا خفى عليكم شى فى القران فاتبعوه فى الشعر فانه ديوان العرب اما
سمعتم قول الشاعر شعر وقامت الحرب بنا على ساق هو يوم كرب شده قال
القتيبى اصل هذا ان الرجل اذا وقع فى امر عظيم يحتاج الى الجد فيه شمر عن ساقه
فاستعير الكشف عن الساق فى موضع الشدة وانشد لدريد بن الصمة
شعر كميش الازار خارج يصف ساقه بعيد من الافات طلاع انجد فتاويل
الاية يوم يشتد الامر كما يشتد ما يحتاج فيه الى ان يكشف عن ساق ويدعون
الى السجود اى يقال لهم على وجه التوبيخ اسجدوا فلا يستطيعون وقيل معناه
ان شدة الامر وصعوبة ذلك اليوم تدعوهم الى السجود وان كانوا لا ينتفعون به
ليس انهم يومرون به وهذا كما يفزع الانسان الى السجود اذا اصابه هول
من اهوال الدنيا خاشعة ابصارهم اى ذليله ابصارهم لا يرفعون نظرهم
عن الارض خشوعا له ومهانة ترهقهم ذله اى تغشاهم ذلة الندامة والحسرة وقد كانوا
يدعون الى السجود وهم سالمون اى اصحا يمكنهم السجود فلا يسجدون
يعنى انهم كانوا يومرون بالصلوة فى الدنيا فلم يفعلوا قال سعيد بن جبير
كانوا يسمعون حى على الفلاح فلا يجيبون وقال كعب الاحبار والله ما نزلت
هذه الاية الا فى الذين يتخلفون عن الجماعات وورد عن الربيع بن خيثم انه
عرض له الفالج فكان يهادى بين رجلين الى المسجد فقيل يا زيد لو جلست
فان لك رخصة فقال من سمع حى على الفلاح فليجب ولو حبوا وروى عن ابى جعفر
وابى عبد الله عليهما السلم انهما قالا فى هذه الاية افحم القوم ودخلتهم الهيبة
وشخصت الابصار وبلغت القلوب الحناجر لما رهقهم من الندامة والخزى
والذله وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون اى يستطيعون الاخذ
بما امروا به والترك لما نهوا عنه ولذلك ابتلوا وقال مجاهد وقتاده

يؤذن

يؤذن المؤذن يوم القيمة فيسجد المومن وتصلب ظهور المنافقين فيصير
سجود المسلمين حسرة على المنافقين وندامة وفى الخبر انه يصير ظهور المنافقين
كالسفافيد ثم قال سبحانه فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث هذا تهديد
ومعناه فذرنى والمكذبين اى كل امرهم الى كما يقول القايل دعنى واياه يقول
خل بينى وبين من يكذب بهذا القران ولا تشغل قلبك به فانى اكفيك امره سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون اى سناخذهم الى العقاب حالا بعد حال وقد مر تفسيره
فى سورة الاعراف وروى عن ابى عبد الله عليه السلم انه قال اذا احدث العبد
ذنبا جدد له نعمة فيدع الاستغفار فهو الاستدراج واملى لهم ان كيدى
متين اى واطيل اجالهم ولا ابادر الى عذابهم مبادرة من يخشى الفوات فانما
يعجل من يخاف الفوات ان عذابى شديد قوله عز وجل ام تسالهم اجرا فهم
من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك
ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه
لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتبيه ربه فجعله من الصالحين وان يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه
لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين ست ايات القراة قرا اهل المدينه ليزلقونك
بفتح الياء والباقون ليزلقونك بضم الياء الحجة من قرا بفتح الياء من زلق
وزلقته انا مثل حزن وحزنته وشترت عينه وشترتها قال ابو على و
الخليل يذهب فى ذلك الى ان المعنى جعلت فيه شترا وجعلت فيه حزنا كما انك
اذا قلت كحلته ودهنته اردت جعلت ذلك فيه ومن قرا ازلقته نقل
الفعل بالهمزة ومعنى يزلقونك بابصارهم ينظرون اليك نظر البغضا
كما ينظر الاعداء ومثله قول الشاعر شعر يتقارضون اذا التقوا فى مجلس
نظرا يزيل مواقع الاقدام اللغة المغرم ما يلزم من الدين الذى يلح
فى اقتضائه واصله اللزوم بالالحاح ومنه قوله ان عذابها كان غراما

اى لانهما ملجأً قال الشاعر شعر يوم الحفار ويوم النسار كانا عذاباً وكانا غراما
والمثقل المحمل الثقل وهو مثقل بالدين ومثقل بالعيال ومثقل بما عليه من الحقوق
اللازمة والامور الواجبة والمكظوم المحبوس عن التصرف في الامور ومنه
كظمت راس القربة اذا شددته وكظم غيظه اذا حبسه بقطعه عما يدعو اليه وكظم
خصمه اذا اجابه بالسكت والعراء الارض العارية من النبات قال قيس بن
جعدة شعر دفعت رجلا لما اقاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابي
المعنى ثم خاطب سبحانه النبي صلى الله عليه وآله فقال على وجه التوبيخ للكفار
ام تسالهم اجرا هذا عطف على قوله ام لكم كتاب فيه تدرسون ذكر سبحانه
جميع ما يحتج به فقال ام تسال يا محمد هولاء الكفار اجرا على اداء الرسالة والدعاء
الى الله فهم من مغرم اى هم من لزوم ذلك مثقلون اى يحملون الاثقال ام عندهم
الغيب فهم يكتبون اى اعلم عندهم علم بصحة ما يدعونه اختصوا به لا يعلمه غيرهم
فهم يكتبونه ويتوارثونه فينبغي ان يبرزوه ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله
فاصبر لحكم ربك في ابلاغ الرسالة وترك مقابلتهم بالقبيح وقيل اللام تجري مجرى
الى والمعنى اصبر الى ان يحكم الله بنصر اوليائك وقهر اعدائك وقيل معناه
فاصبر لحكم ربك في التخلية بين الظالم والمظلوم حتى يبلغ الكتاب اجله ولا تكن
كصاحب الحوت يعنى يونس عليه السلام يعنى لا يكن مثله في استعجال عقاب قومه
واهلاكهم ولا تخرج من بين قومك قبل ان ياذن الله لك كما خرج هو اذ نادى
وهو مكظوم اى دعا ربه في جوف الحوت وهو محبوس عن التصرف في الامور
والذى نادى به قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل مكظوم
اى مختنق بالغم اذ لم يجد لغيظه شفاء لولا ان تداركه نعمة من ربه اى لولا ان
ادركته رحمة من ربه باجابة دعائه وتخليصه من بطن الحوت وتبقيته فيه
حيا واخراجه منه حيا لنبذ اى طرح بالعراء اى بالفضاء وهو مذموم ملوم
مليم قد اتى بما يلام عليه لكن الله تعالى تداركه بنعمة من عنده فطرح بالعراء

وهو غير

وهو غير مذموم فاجتباه ربه اى اختاره الله نبيا فجعله من الصالحين اى من جملة
المطيعين لله التاركين لمعاصيه وان يكاد الذين كفروا ان هذه المخففة
من الثقيلة والتقدير وانه يكاد اى يقارب الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم
اى ليرهقونك اى ليقتلونك ويهلكونك عن ابن عباس وكان يقراها
كذلك وقيل ليصرعونك عن الكلبي وقيل يصيبونك باعينهم عن السدى والكل
يرجع في المعنى الى الاصابة بالعين والمفسرون كلهم على انه المراد في الاية وانكر
الجبائي ذلك وقال ان اصابة العين لا تصح قال على بن عيسى الرماني وهذا الذى
ذكره غير صحيح لانه غير ممتنع ان يكون الله تعالى اجرى العادة بصحة ذلك لضرب
من المصلحة وعليه اجماع المفسرين وجوزه العقلاء فلا مانع منه وجاء في الخبر
ان اسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان بنى جعفر تصيبهم العين فاسترقى
لهم قال نعم فلو كان شئ يسبق القدر لسبقه العين وقيل ان الرجل منهم كان اذا
اراد ان يصيب صاحبه بالعين تجوع ثلثة ايام ثم كان يصفه فيصرعه بذلك
وذلك بان يقول للذى يريد ان يصيبه بالعين لا ارى كاليوم ابلا او شاء
او ما اراد اى كابل اراها اليوم فقالوا للنبي عليه السلام كما كانوا يقولون لما يريدون
ان يصيبوه بالعين عن الفراء والزجاج وقيل معناه انهم ينظرون اليك
عند تلاوة القران والدعاء الى التوحيد نظر عداوة وبغض وانكار
لما يسمعونه وتعجب منه فيكادون يصرعونك بحدة نظرهم ويزيلونك عن
موضعك هذا مستعمل في الكلام يقولون نظر فلان الى نظرا يكاد يصرعنى
ونظرا يكاد ياكلني فيه وتاويله انه نظر الى نظرا لو امكنه معه اكلى او ان يصرعنى
لفعل عن الزجاج وقوله لما سمعوا الذكر يعنى القران ويقولون مع ذلك
انه لمجنون اى مغلوب على عقله مع علمهم بوقاره ووفور عقله تلددا عليه
ومعاندة له وما هو اى وما القران الا ذكر اى شرف للعالمين الى ان يقوم الساعة
وقيل معناه وما محمد الا شرف للخلق حيث هداهم الى الرشد وانقذهم من الضلالة

لما نسبوه الى الجنون وصفته بما سبق ذلك عنه وقيل المراد بالذكر انه يذكرهم امر آخرتهم والثواب والعقاب والوعد والوعيد قال الحسن دواء اصابة العين ان يقرء الانسان هذه الاية سورة الحاقة مكية عدد آيها احدى وخمسون آية بصرى شامى واثنتان فى الباقين اختلافها آيتان الحاقة الاولى كوفى كتابه بشماله حجازى فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال ومن قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا وروى جابر الجعفى عن ابى جعفر عليه السلم قال اكثروا من قراءة الحاقة فان قرأتها فى الفرايض والنوافل من الايمان بالله ورسوله ولم يسلب قاريها دينه حتى يلقى الله تفسيرها لما ذكر فى آخر سورة القلم حديث القيمة ووعيد الكفار افتتح هذه السورة بذكر القيمة ايضا واحوال اهل النار فقال بسم الله الرحمن الرحيم

اَلْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا اَدْرٰيكَ مَا الْحَاقَّةُ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ فَاَمَّا ثَمُودُ فَاُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَاَمَّا عَادٌ فَاُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ اَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعٰى كَاَنَّهُمْ اَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرٰى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَاَخَذَهُمْ اَخْذَةً رَابِيَةً عشر آيات القراءة قرأ اهل البصرة والكسائى ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء والباقون ومن قبله بفتح القاف وسكون الباء الحجة قال سيبويه قيل لما ولى الشئ بقوله ذهبت قبل السوق ولى قبلك حق اى فيما يليك واتسع فيه حتى صار بمنزلة لى عليك حق وحجة من قرأ انهم زعموا ان فى قرأة ابى وجاء فرعون ومن معه فهذا يقوى ومن قبله من الامم التى كفرت كما كفر هو اللغة قال ابن الانبارى الحاقة الواجب حق اى وجب يحق حقا وحقوقا فهو حاق وقال الفراء يقول العرب لما عرفت الحق منى هربت والحقة والحاقة بمعنى وقيل سميت القيمة الحاقة لانها تحق الكفار من قولهم حاققته فحققته مثل خاصمته فخصمته وسميت القارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة الى ان يصير المومنون الى الامن ودريت الشئ درايته

ودريته

ودريته علمته وادريته اعلمته والطاغية الطغيان مصدر مثل العافية والعاقبة والصرصر الريح الشديدة الصوت والحسوم المتوالية ماخوذ من حسم الداء بمتابعة الكى عليه فكانه تتابع الشر عليهم حتى استاصلهم وقيل هو من القطع فكانها حسمتهم حسوما اى ذهبتهم وافنتهم وقطعت دابرهم والخاوية الخالية التى لا شئ فى اجوافها الاعراب العامل فى الحاقة احد شيئين اما الابتداء والخبر ما الحاقة كما يقول زيد ما زيد واما ان يكون خبر مبتداء محذوف اى هذه الحاقة ثم قيل اى شئ الحاقة تفخيما لشانها وحسوما نصب على المصدر الموضوع موضع الصفة الثمانية اى تحسمهم حسوما ويجوز ان يكون جمع حاسم فيكون مثل راقد ورقود وساجد وسجود وعلى هذا فيكون منصوبا على انه صفة لثمانية ايضا وصرعى نصب على الحال وقوله كانهم اعجاز نخل خاوية جملة فى موضع الحال من صرعى اى صرعوا امثال نخل خاوية ومن مزيدة على قوله من باقية المعنى الحاقة اسم من اسماء القيمة فى قول جميع المفسرين وسميت بذلك لانها ذات الحواق من الامور وهى الصادقة الواجبة الصدق لان جميع احكام القيمة واجبة الوقوع صادقة الوجود ما الحاقة استفهام معناه التفخيم لحالها والتعظيم لشانها ثم زاد سبحانه فى التهويل فقال وما ادريك ما الحاقة اى كانك لست تعلمها اذ لست تعاينها ولم تر ما فيها من الاهوال قال الثورى يقال للمعلوم ما ادريك ولما ليس بمعلوم ما يدريك فى جميع القرآن وانما قال لمن يعلمها ما ادريك لانه انما يعلمها ما ادريك لانه انما يعلمها بالصفة ثم اخبر سبحانه عن المكذبين بها فقال كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بيوم القيمة وانما حسن ان توضع القارعة موضع الكناية ليذكر بهذه الصفة الهايلة بعد ذكرها بانها الحاقة والا فقد كان يكفى ان يقول كذبت ثمود وعاد بها ثم اخبر سبحانه عن كيفية اهلاكهم فقال فاما ثمود وهم قوم صالح فاهلكوا بالطاغية اى اهلكوا بطغيانهم وكفرهم عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه

اهلكوا بالصيحة الطاغية وهي التي جاوزت المقدار حتى اهلكتهم عن قتاده
والجبائي وابي مسلم وقال الزجاج اهلكوا بالرجفة الطاغية وقيل بالخصلة
المتجاوزة لحال غيرها في الشدة التي اهلك الله بها اهل الفساد واما عاد
فاهلكوا بريح صرصر اي باردة عن ابن عباس وقتاده كانت تصطك الاسنان
بما يسمع من صوتها لشدة بردها وقيل الصرصر الشديدة العصوف المتجاوزة
لحدها المعروف عاتية اعتت على خزانها في شدة الهبوب روى الزهري
عن قبيصة بن ذويب انه قال ما يخرج من الريح شيء الا عليها خزان يعلمون
قدرها وعددها وكيلها حتى كانت التي ارسلت على عاد فاندفق منها فهم لا يعلمون
قدر غضب الله فلذلك سميت عاتية سخرها عليهم اي سلطها الله وارسلها
عليهم سبع ليال وثمانية ايام قال وهب هي التي تسميها العرب ايام العجوز ذات برد ورياح
شديدة وانما نسبت هذه الايام الى العجوز لان عجوزا دخلت سربا فتبعتها الريح
فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب في اليوم الثامن وقيل
سميت ايام العجوز لانها في عجز الشتاء ولها اسامي مشهورة قالوا لليوم الاول
صن وللثاني صنبر وللثالث وبر وللرابع مطفئ الجمر وللخامس مكفئ الظعن وقيل
للسادس الآمر وللسابع المؤتمر وللثامن المعلل وقال في ذلك شاعرهم شعر
كسع الشتاء بسبعة غبر ... ايام شهلتنا مع الشهر فبامر واخيه مؤتمر ومعلل وبمطفئ
الجمر فاذا انقضت ايام شهلتنا بالصن والصنبر والوبر ذهب الشتاء موليا هربا
واتتك واقدة من الحر حسوما اي ولاء متتابعة ليست لها فترة عن ابن عباس
وابن مسعود والحسن ومجاهد وقتاده كانت تتابع عليهم الشر حتى استاصلهم وقيل دائمة
عن الكلبي ومقاتل وقيل قاطعة قطعتهم قطعا حتى اهلكتهم عن الخليل وقيل مشائيم
نكدا قليلة الخير حسمت الخير عن اهلها عن عطيه فترى القوم فيها اي في تلك
الايام والليالي صرعى اي مصروعين هلكى كانهم اعجاز نخل خاوية اي اصول نخل
بالية نخرة عن قتاده وقيل خاوية فارغة خالية الاجواف عن السدي وقيل ساقطة

مثل قوله اعجاز نخل منقعر فهل ترى لهم من باقية اي من نفس باقية وقيل من بقاء
والباقية بمعنى المصدر مثل العافية والطاغية والمعنى هل ترى لهم من بقية
اي لم يبق منهم احد وجاء فرعون ومن قبله من معناه والمؤتفكات اي وجاء
اهل القرى المؤتفكات اي المنقلبات باهلها عن قتاده وهي قرى قوم لوط
يريد الامم والجماعات الذين ائتفكوا بالخاطئة بخطيئتهم التي هي الشرك والكفر
والخاطئة مصدر كالخطاء والخطيئة وقيل معناه بالافعال الخاطئة او بالنفس الخاطئة
فعصوا رسول ربهم فيما امرهم به وقيل ان المراد بالرسول الرسالة كما في قول الشاعر
شعر لقد كذب الواشون ما فهت عندهم ... بسر ولا ارسلتهم برسول اي برسالة
عن ابي مسلم وقيل رابية زائدة على عذاب الامم وقيل عالية مذكورة خارجة عن العادة
قوله عز وجل إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا
أُذُنٌ وَاعِيَةٌ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ
وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ
يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ
هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ
فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ
الْخَالِيَةِ اربع عشرة آية القراءة قرأ ابن كثير في رواية القواس وتعيها
بسكون العين مختلسا وهو بين الكسر والسكون والباقون بكسر العين
وقرأ حمزة والكسائي لا يخفى بالياء والباقون بالتاء الحجة في سكون العين
من تعيها انه جعل حرف المضارعة مع ما بعده بمنزلة فخذ فاسكن لان حرف
المضارعة لا تنفصل من الفعل فصار كقولك فهو وفهي والياء والتاء
في قوله لا يخفى حسن اللغة الجارية السفينة التي من شانها ان تجري على الماء
والجارية المراة الشابة لانها يجري فيها ماء الشباب يقال وعيت العلم اعيه وعيا

واوعيت المتاع جعلته في الوعا قال شعر اذا لم تكن حافظا واعيا فجمعك للكتب لا ينفع
والدك البسط ومنه الدكان واندك سنام البعير اذا انفرش على ظهره والارجا
النواحي واحدها رجا مقصور والتثنية رجان وهاوم اسم للجماعة بمنزلة هاكم
يقول للواحد ها يا رجل وللاثنين هاوما يا رجلان وللجماعة هاوم يا رجال
وللمرأة هاء يا امرأة بكسر الهمزة وليس بعدها ياء وللمرأتين هاؤما وللنساء
هاؤن هذه لغة اهل الحجاز وتميم وقيس يقولون ها يا رجل مثل اهل الحجاز وللاثنين
هاءا وللثلثة هاؤوا وللمرأة هائي وللنساء هان وبعض العرب يجعل مكان الهمزة
كافا فيقول هاك هاكما هاكم هاك هاكما هاكن ومعناه خذ وتناول ويؤمر بها
ولا ينهى ووقف الكسائي على هاؤم وابتداء اقرأوا كتابيه اعلاما منه انه لا يذهب
الى اعمال الفعل الاول وانما العمل للثاني والراضية المرضية فاعلة بمعنى مفعول
لانها في معنى ذات رضى كما قيل لابن وتامر اي ذو لبن وذو تمر قال النابغة شعر كليني
لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطي الكواكب يعني ذو نصب فكان العيشة اعطيت
حتى رضيت لانها بمنزلة الطالبة للمشتهى وقيل هو مثل ليل نائم وسر كاتم وماء
دافق على وجه المبالغة في الصفة من غير التباس في المعنى والقطوف جمع قطيف
وهو ما يقطف من الثمر والقطف بالفتح المصدر الاعراب كتابي مفعول اقرأوا
لانه يليه قطوفها دانية جملة مجرورة الموضع لانها صفة جنة المعنى ثم بين سبحانه
قصة نوح فقال انا لما طغى الماء اي جاوز الحد المعروف حتى عرفت الارض بمن عليها
الا من شاء الله نجاته حملناكم في الجارية اي حملنا اباكم في الجارية السفينة عن
ابن عباس وابن زيد لنجعلها لكم تذكرة اي لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها
من اغراق قوم نوح ونجاة من حملناه عبرة لكم وموعظة يتذكرون بها
نعم الله تعالى ويشكرونه عليها ويتفكرون فيها فيعرفون كمال قدرته وحكمته
وتعيها اذن واعية اي وتحفظها اذن حافظة لما جاء من عند الله عن ابن
عباس وقيل سامعة ما سمعت عن قتادة وقال الفراء لتحفظها كل اذن فيكون عظة

لمن يأتي

لمن يأتي بعد وروى الطبري باسناده عن مكحول انه لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وآله
اللهم اجعلها اذن علي ثم قال علي عليه السلم فما سمعت شيئا من رسول الله فنسيته
وروى باسناده عن عكرمة عن بريدة الاسلمي ان رسول الله صلى الله عليه وآله
قال لعلي عليه السلم يا علي ان الله تعالى امرني ان ادنيك ولا اقصيك وان اعلمك
وتعي وحق على الله ان تعي فنزل وتعيها اذن واعية اخبرني فيما كتب الي بخط المفيد
ابو الوفا عبد الجبار بن عبد الله بن علي الرازي قال حدثني الشيخ السعيد
ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي والرئيس ابو الجوائز الحسن بن علي بن محمد
الكاتب والشيخ ابو عبد الله الحسين بن احمد بن حبيب الفارسي قالوا حدثنا ابو بكر
محمد بن احمد بن محمد المفيد الجرجاني قال سمعت ابا عمرو عثمن بن الخطاب المعمر
المعروف بابي الدنيا الاشج قال سمعت علي بن ابي طالب عليه السلم يقول لما نزلت وتعيها
اذن واعية قال النبي صلى الله عليه وآله سألت الله عز وجل ان يجعلها اذنك يا علي
فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وهي النفخة الاولى عن عطا وقيل النفخة الاخيرة عن مقاتل
والكلبي وحملت الارض والجبال اي رفعت من اماكنها فدكتا دكة واحدة اي كسرتا
كسرة واحدة لا تثنى حتى تستوي ما عليها من شيء مثل الاديم الممدود وقيل ضرب
بعضها ببعض حتى تفتت الجبال ونسفتها الرياح وبقيت الارض شيئا واحدا لا جبل
ولا رابية بل تكون قطعة مستوية وانما قال دكتا لانه جعل الارض جملة واحدة والجبال
جملة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة اي قامت القيمة وانشقت السماء اي انفرج
بعضها من بعض فهي يومئذ واهية اي شديدة الضعف بانتقاض بنيتها
وقيل هو ان السماء تنشق بعد صلابتها فتصير بمنزلة الصوف في الوهي والضعف
والملك على ارجائها على اطرافها ونواحيها عن الحسن وقتادة والملك اسم يقع
على الواحد والجمع والسماء مكان الملائكة فاذا وهت صارت في نواحيها وقيل
ان الملائكة يومئذ على جوانب السماء تنتظر ما تؤمر به في اهل النار من السوق
اليها وفي اهل الجنة من التحية والتكرمة فيها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ فوق

الخلايق يومئذ يعني يوم القيمة ثمانية من الملائكة عن ابن زيد وروى ذلك
عن النبي صلى الله عليه وآله انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم باربعة
اخرى فيكونون ثمانية وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تع
عن ابن عباس يومئذ تعرضون يعني يوم القيمة يعرضون معاشر المكلفين
لا يخفى منكم خافية اي نفس خافية او فعلة خافية وقيل الخافية مصدر اي خافية واحد
وروى في الخبر عن ابن مسعود وقتاده ان الخلق يعرضون ثلث عرضات ثنتان
فيها معاذير وجدال والثالثة تطير الصحف من الايدي فاخذ بيمينه واخذ
بشماله وليس يعرض الله الخلق ليعلم من حالهم ما لم يعلم فانه عز اسمه العالم لذاته
يعلم جميع ما كان منهم ولكن ليظهر ذلك لخلقه ثم قسم سبحانه حال المكلفين
في ذلك اليوم فقال فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول لاهل القيمة هاؤم اي تعالوا
اقرؤا كتابيه وانما يقوله سرورا به لعلمه بانه ليس فيه الا الطاعات فلا يستحيي
ان ينظر فيه غيره واهل اللغة يقولون انه معنى هاؤم خذوا اني ظننت اي علمت
وايقنت في الدنيا انى ملاق حسابيه والهاء لنظم رؤس الآي وهي هاء الاستراحة
والمعنى اني كنت مستيقنا في دار الدنيا باني القى حسابي يوم القيمة عالما باني اجازى
على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب فكنت اعمل بما اصل به الى هذه المثوبة
في عيشة راضية اي حالة من العيش برضاها بان لقي الثواب وامن العقاب في جنة
عالية اي رفيعة القدر والمكان قطوفها دانية اي ثمارها قريبة ممن يتناولها
قال البراء بن عازب يتناول الرجل من الثمرة وهو نائم وقد ورد الخبر عن عطاء بن يسار
عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يدخل الجنة احد الا بجواز بسم الله
الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية
وقيل معناه لا يرد ايديهم عن ثمرها بعد ولا شوك عن قتاده كلوا اي يقال لهم كلوا
واشربوا في الجنة هنيئا بما اسلفتم اي قدمتم من اعمالكم الصالحة في الايام الخالية الماضية
يعني ايام الدنيا ويعني بقوله هنيئا اي انه ليس فيها ما يؤذي فلا يحتاج فيها الى الخراج فضل

لغايط وبول قوله عز وجل وَاَمَّا مَنْ اُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ اُوتَ كِتَابِيَهْ
وَلَمْ اَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا اَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي
سُلْطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ
ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ اِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ
فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ اِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ اِلَّا الْخَاطِئُونَ
ثلث عشرة آية اللغة القاضية الفاصلة بالاماتة يقال قضى فلان اذا مات واصله
فصل الامر ومنه قضية الحاكم ومنه قضاء الله وهو الاخبار بما يكون على القطع
والتصلية الزام النار ومنه الاصطلاء وهو القعود عند النار للدفاء والجحيم
النار العظيمة والسلسلة حلق منتظمة كل واحدة منها في الاخرى ويقال سلسل
كلامه اذا عقد شيئا منه بشيء وتسلسل الشيء اذا استمر على الولاء شيئا
على شيء وذرع الثوب يذرعه ذرعا ماخوذ من الذراع والغسلين
الصديد الذي ينغسل بسيلانه من ابدان اهل النار ووزنه فعلين
من الغسل الاعراب قوله كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه قال الزجاج
الوجه ان يوقف على هذه الهاءات ولا يوصل لانها ادخلت للوقف وقد
حذفها قوم في الوصل ولا احب مخالفة المصحف ولا ان اقراء واثبتها
في الوصل وهذه رؤس آيات فالوجه ان يوقف عندها وكذلك
قوله ماهيه فليس له اليوم ههنا حميم الجار والمجرور خبر ليس ليصح قوله
ولا طعام اي ولا له طعام ولا يكون الخبر ههنا لان التقدير يصير ولا طعام
ههنا الا من غسلين وهذا غير جائز اذ هنا طعام غير غسلين ولا يكون
الخبر اليوم لان حميم جثة وظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة المعنى ثم ذكر
سبحانه حال اهل النار فقال واما من اوتي كتابه اي اعطي كتابه الذي هو
صحيفة اعماله بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه اي يتمنى انه لم يؤته لما يرى
فيه من مقابح اعماله التي تسود لها وجهه ولم ادر ما حسابيه اي ولم ادر

اى شى حسابى لانه لا حاصل له فى ذلك الحساب وانما هو كله عليه يا ليتها كانت القاضية الها
فى ليتها كناية عن الحال التى هم فيها وقيل هو كناية عن الموتة الاولى فالقاضية القاطعة
للحيوة اى ليت الموتة الاولى التى متنا لم نحى بعدها عن الفراء تمنى دوام الموت
وانه لم يبعث للحساب وقال قتاده تمنى يومئذ الموت ولم يكن فى الدنيا شىء عنده
اكره من الموت ما اغنى عنى ماليه اى ما دفع عنى مالى من عذاب الله شيئا وقيل معناه
انى قصرت همتى على تحصيل المال لكشف الكرب عنى فما نفعنى اليوم هلك عنى سلطانيه
اى حجتى عن ابن عباس ومجاهد اى ضل عنى ما كنت اعتقده حجة وقيل معناه هلك
عنى تسلطى وامرى ونهيى فى دار الدنيا على ما كنت مسلطا عليه فلا امر لى ولا نهى ثم اخبر
سبحانه انه يقول للملائكة خذوه فغلوه اى اوثقوه بالغل وهو ان تشد احدى
يديه او رجليه الى عنقه بجامعة ثم الجحيم صلوه اى ثم ادخلوه النار العظيمة والزموه
اياها ثم فى سلسلة ذرعها اى طولها سبعون ذراعا فاسلكوه اى اجعلوه فيها
لانه يوخذ عنقه بها ثم يجر بها قال الضحاك انما يدخل فى فيه ويخرج من دبره فعلى
هذا يكون المعنى ثم اسلكوا السلسلة فيه فقلب كما يقال ادخلت القلنسوة فى راسى وقول
الاعشى شعر اذا ما السراب ارتدى بالاكم وانما ارتدى الاكم بالسراب ولكنه قلب
وقال نوف البكالى كل ذراع سبعون باعا الباع ابعد مما بينك وبين مكة وكان
فى رحبة الكوفة وقال الحسن الله اعلم باى ذراع هو قال سويد بن نجيح ان جميع اهل النار
فى تلك السلسلة ولو ان حلقة منها وضعت على جبل لذاب من حرها ثم قال سبحانه
انه كان لا يومن بالله العظيم شانه اى لم يكن يوحد الله فى دار التكليف ولا يصدق
به ولا يحض على طعام المسكين وهو المحتاج الفقير والمعنى انه كان يمنع الزكوة
والحقوق الواجبة فليس له اليوم ههنا حميم اى صديق ينفعه ولا طعام اى ولا له
اليوم طعام الا من غسلين وهو صديد اهل النار وما يجرى منهم فالطعام هو ما هىء
للاكل ولذلك لا يسمى التراب طعاما للانسان فلما هىء الصديد لاكل اهل النار
كان ذلك طعاما لهم وقيل ان اهل النار طبقات فمنهم من طعامه الغسلين ومنهم

من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الضريع لانه قال فى موضع اخر ليس لهم طعام
الا من ضريع وقيل يجوز ان يكون الضريع هو الغسلين فعبر عنه بعبارتين عن قطرب
وقيل يجوز ان يكون المراد ليس لهم طعام الا من ضريع ولا شراب الا من غسلين كما
قال الشاعر شعر علفتها تبنا وماء باردا لا ياكله اى لا ياكل هذا الغسلين الا الخاطئون
وهم الجائرون عن طريق الحق عامدين والفرق بين الخاطى والمخطى قد يكون من غير
تعمد والخاطى المذنب المتعمد الجائر عن الصراط المستقيم قال امرؤ القيس شعر
بالهف هند اذ خطئن كاهلا القاتلين الملك الحلاحلا قوله عز وجل فلا اقسم
بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر
قليلا ما تومنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين
ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم
مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم
خمس عشرة اية القراءة قرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب وسهل يومنون ويذكرون
بالياء كناية عن الكفار والباقون بالتاء خطابا لهم وكلاهما حسن اللغة الوتين
نياط القلب واذا انقطع مات الانسان قال الشماخ بن ضرار شعر اذا بلغتنى وحملت
رحلى عرابة فاشرقى بدم الوتين الاعراب قليلا فى الموضعين صفة مصدر محذوف
وما مزيدة تقديره ايمانا قليلا يومنون وتذكرا قليلا تذكرون ويجوز ان يكون
صفة لظرف محذوف اى وقتا قليلا تومنون ووقتا قليلا تذكرون ويجوز
ان يكون ما مصدرية ويكون التقدير قليلا ايمانكم وقليلا تذكركم يكون
فى موضع رفع بقليل وقوله من احد فى موضع رفع لانه اسم ما ومن مزيدة لتاكيد
النفى تقديره فما منكم احد والاصل فما احد منكم فمنكم فى موضع رفع بكونه صفة
على الموضع او فى موضع جر على اللفظ فلما تقدم الموصوف صار فى موضع النصب
على الحال وحاجزين منصوب بانه خبر ما ولم يبطل قوله منكم عمل ما وان فصل بينهما

لانه ظرف والفصل بالظرف في هذا الباب كلا وصل قال ابو علي ان جعلت منكم مستقرا كان
حاجزين صفة احد وان جعلت منكم غير مستقر كان حاجزين خبر ما وعلى الوجهين
فقوله حاجزين محمول على المعنى واقول في بيانه ان كان في منكم ضمير لاحد ويكون
خبرا له متقدما عليه فيكون حاجزين مجرورا حملا على اللفظ وكونه غير مستقر
هو ان يكون قوله لا رد الكلام المشركين فكانه قال ليس الامر كما تقول المشركون اقسم
بالاشياء كلها ما يبصر منها وما لا يبصرون يدخل فيها جميع المكونات انه لقول
رسول كريم يعني محمدا صلى الله عليه وآله عن الفرا وقتاده وثانيها ان لا مزيدة موكدة
والتقدير فاقسم بما ترون وما لا ترون وثالثها انه نفي للقسم ومعناه لا يحتاج
الى القسم لوضوح الامر في انه قول رسول كريم فانه اظهر من ان يحتاج في اثباته
الى القسم عن ابي مسلم ورابعها انه كقول القايل لا والله لا افعل ذلك ولا والله
لا افعل ذلك ولا والله لافعلن ذلك وقال الجبائي انما اراد انه لا يقسم بالاشياء
المخلوقات ما يرى وما لا يرى وانما يقسم بربها لان القسم لا يجوز الا بالله انه
لقول رسول كريم قال انه قول الله على الحقيقة وانما الملك وجبرئيل والرسول
يحكون ذلك وانما اسنده اليهم من حيث ان لا يسمع منهم كلامهم فلما كان
حكاية كلام الله قيل هو كلام الله على الحقيقة في العرف قال الجبائي والرسول الكريم
جبرئيل والكريم الجامع لخصال الخير وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون
ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون قول الشاعر ما الفه بوزن وجعله
مقفى وله معنى وقول الكاهن السجع وهو كلام متكلف يضم الى معنى يشاكله طهر
الله سبحانه من الشعر والكهانه وعصمه عنهما وانما منعه سبحانه من الشعر ونزهه
عنه لان الغالب من حال الشعراء ان يدعوا الى الهوى ويبعث على الشهوة والنبي
انما ياتي بالحكم التي يدعوا اليها العقل للحاجة الى العمل عليها والاهتداء بها
وايضا فانه سبحانه منعه من قول الشعر دلالة على ان القران ليس بصفة الكلام
المعتاد بين الناس وانه ليس بشعر بل هو صنف من الكلام خارج عن الانواع المعتادة

واذا بعد عما جرت به العادة في تاليف الكلام فذلك ادل على اعجازه وقوله قليلا
ما تومنون معناه لا تصدقون بان القران من عند الله تع وتريد بالقليل
نفي ايمانهم اصلا كما تقول لمن لا يزورك قلما تاتينا وانت تريد ان لا تاتينا
اصلا فالمعنى لا تومنون به ولا تتذكرون ولا تتفكرون فتعلموا المعجز وتفصلوا
بينه وبين الشعر والكهانه تنزيل من رب العالمين بين انه منزل من عنده
على لسان جبرئيل حتى لا يتوهم انه كلام جبرئيل ولو تقول علينا محمد بعض الاقاويل
معناه لو كذب علينا واختلق ما لم نقله اي لو تكلف القول واتى به من عند
نفسه لاخذنا منه باليمين اي لاخذنا بيده التي هي اليمين على وجه الاذلال
كما يقول السلطان يا غلام خذ بيده فاخذها هانة له عن ابن جرير وقيل معناه
لقطعنا يده اليمنى عن الحسن وابي مسلم فعلى هذا يكون الباء مزيدة اي لاخذنا منه
اليمين وقيل معناه لاخذنا منه بالقوة والقدرة اي لاخذناه ونحن قادرون
عليه مالكون له عن الفراء والمبرد والزجاج وانما اقام اليمين مقام القوة
والقدرة لان قوة كل شئ في ميامنه عن ابن قتيبه ثم لقطعنا منه الوتين
اي ولكنا نقطع وتينه ونهلكه قال مجاهد وقتاده وهو عرق في القلب متصل
بالظهر وهو حبل القلب فما منكم من احد عنه حاجزين اي فما منكم احد يحجزنا عنه
والمعنى انه لا يتكلف الكذب لاجلكم مع علمه انه لو تكلف ذلك لعاقبناه ثم لم تقدروا
انتم على دفع عقوبتنا عنه ثم ذكر سبحانه ان القران ما هو فقال وانه لتذكرة
للمتقين اي وانه لعظة لمن اتقى عقاب الله بطاعته وانا لنعلم ان منكم مكذبين
بالقران اي علمنا ان بعضكم يكذب به اشار سبحانه الى ان منهم من يصدق
ومنهم من يكذب وانه لحسرة على الكافرين اي ان هذا القران حسرة عليهم
يوم القيمة حيث لم يعملوا به في الدنيا وانه لحق اليقين ومعناه وان القران
لليقين حق اليقين والحق هو اليقين وانما اضافه الى نفسه كما يقال مسجد
الجامع ودار الاخرة وبارحة الاولى ويوم الخميس وما اشبه ذلك فيضاف الشئ

الى نفسه اذا اختلف لفظه وقيل ان الحق هو الذى معتقده على ما اعتقده اليقين
هو الذى لا شبهة فيه فسبح باسم ربك العظيم الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله
والمراد به جميع المكلفين ومعناه نزه الله سبحانه عما لا يجوز عليه من الصفات
والعظيم هو الجليل الذى يصغر شان غيره فى شانه ويتصاغر كل شى لعظمته
وسلطانه سورة المعارج مكية قال الحسن الا قوله والذين فى اموالهم حق معلوم
عدد آيها اربع واربعون آية غير الشامى ثلاث شامى اختلافها اية الف سنه
غير الشامى فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال ومن قرأ سورة
سال سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم
على صلواتهم يحافظون وعن جابر عن ابى جعفر عليه السلام قال من ادمن قرأة سال
سائل لم يساله الله يوم القيمة عن ذنب عمله واسكنه جنته مع محمد صلى الله
عليه وآله تفسيرها لما ختم سبحانه سورة الحاقة بوعيد الكفار افتتح هذه السورة
بمثل ذلك فقال بسم الله الرحمن الرحيم
سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ
الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَاصْبِرْ
صَبْرًا جَمِيلًا إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ
كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا عشر آيات القراءة قرأ
اهل المدينة وابن عامر سال بغير همز والباقون بالهمز وقرأ الكسائى يعرج
بالياء والباقون بالتاء وقرأ ابن كثير فى رواية البزى وعاصم فى رواية
البرجمى عن ابى بكر ولا يُسأل بضم الياء والباقون لا يَسأل بفتح الياء الحجة قال
ابو على من قرأ سال جعل الالف منقلبة عن الواو التى هى غير مثل قال وخاف وحكى
ابو عثمن عن ابى زيد انه سمع من يقول هما يتساولان فمن قال سال كان على هذه
اللغة ومن قرأ سأل جعل الهمزة عين الفعل فان حقق قال سأل وان خفف
جعلها بين الالف والهمزة فاما قول الشاعر شعر سالت هذيل رسول الله فاحشة

ضلت

ضلت هذيل بما قالت ولم تصب فيمكن فيه الوجهان وكل القراء على همز سائل لانه
لا يخلو اما ان يكون من يتساولان او من اللغة الاخرى فان كان من الاول لم يكن
فيه الا الهمز كما يكون فى قائل وخائف لان العين اذا اعتلت فى الفعل اعتلت فى اسم
الفاعل واعتلالها لا يكون بالحذف لالتباس فقلب الى الهمزة وان كانت فى لغة
من همز وليس فيه الا الهمز كما يكون فى ثائر الا انك ان شئت خففت الهمزة فجعلتها
بين بين وكذلك فى الوجه الاخر واما يعرج وتعرج فالياء والتاء فيه حسنتان
ومن ضم قوله ولا يسال حميم حميما فالمعنى والله اعلم لا يسال حميم عن حميمه ليعرف
شانه من جهته كما يتعرف خبر الصديق من جهة صديقه والقريب عن قريبه
فاذا كان كذلك فالكلام اذا بنيت الفعل للفاعل قلت سالت زيدا عن حميمه
فاذا بنيت الفعل للمفعول به قلت سئل زيد عن حميمه وقد يحذف الجار فيصل
الفعل الى الاسم الذى كان مجرورا قبل حذف الجار فينتصب بانه مفعول الاسم
الذى اسند اليه الفعل المبنى للمفعول به وعلى هذا انتصاب قوله حميما ويدل
على هذا المعنى قوله يبصرونهم اى يبصر الحميم الحميم يقول بصرت به فاذا ضعفت
عين الفعل صار الفاعل مفعولا فتقول بصرنى زيد بكذا فاذا حذفت الجار
قلت بصرنى زيد كذا فاذا بنيت الفعل للمفعول به وقد حذفت الجار قلت
بصرت زيدا فعلى هذا قوله يبصرونهم فاذا ابصروهم لم يحتج الى تعرف
بيان الحميم من حميمه وانما جمع فقيل يبصرونهم لان الحميم وان كان مفردا
فى اللفظ فالمراد به الكثرة والجمع يدلك على ذلك قوله فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم ومن قرأ ولا يسال حميم حميما فالمعنى لا يسال الحميم عن حميمه
فى ذلك اليوم لانه يذهل عن ذلك ويشتغل عنه بشانه كما قال يوم يفر المرء من اخيه
الى قوله لكل امرء منهم يومئذ شان يغنيه اللغة المعارج مواضع العروج
وهو الصعود مرتبة بعد مرتبة ومنه الاعرج لارتفاع احدى رجليه عن الاخرى
قال الزجاج المهل دردى الزيت وقيل هو الجارى بغلظه وعكره عن رفق من امهله

امهالا والعهن الصوف المنقوش والحميم القريب النسيب الى صاحبه واصله
من القرب قال الشيخ احم الله ذلك من لقائه اطاد اطاد في الشهر الحلال
الاعراب بعذاب الباء يتعلق بسال لان معناه دعا داع بعذاب وقيل ان
الباء بمعنى عن وتقديره عن عذاب قال الشيخ دع المقحم لا تسأل بمصرعه
واسأل بمصقلة البكري ما فعلا يريد عن مصرعه وعن مصقلة واللام
من قوله للكافرين بمعنى على ويتعلق بواقع اي واقع على الكافرين وقيل انه
يتعلق بمحذوف فيكون صفة لسائل تقديره سال سائل كائن للكافرين اي منهم
المعنى سال سائل بعذاب واقع قيل ان هذا السائل هو الذي قال اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك الاية وهو النضر بن الحرث بن كلدة فيكون المعنى
دعا داع على نفسه بعذاب واقع مستعجلا له وهو واقع بهم لا محالة عن مجاهد
وقيل سال المشركون فقالوا لمن هذا العذاب الذي تذكر يا محمد فجاء جوابه
بانه للكافرين ليس له دافع عن الحسن وقيل معناه دعا داع بعذاب على الكافرين
وذلك الداعي هو النبي صلى الله عليه وآله عن الجبائي ويكون الباء في بعذاب
مزيدة على التوكيد كما في قوله وهزي اليك بجذع النخلة والتقدير سال
سائل عذابا واقعا وقيل هي بمعنى عن وعليه تاويل قول الحسن لانهم سألوا
عن العذاب لمن هو وقيل الباء للتعدي اي بانزال عذاب وعليه تاويل قول
مجاهد وقيل ان معنى سال سائل على قراءة من قرا بالالف من سال يسيل سيلا
والتقدير سال سيل سائل بعذاب واقع وقيل سائل اسم واد في جهنم سمي به لانه
يسيل بالعذاب عن ابن زيد واخبرنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القسم
الحسكاني قال اخبرنا ابو عبد الله الشيرازي قال اخبرنا ابو بكر الجرجاني
قال حدثنا محمد بن سهل قال حدثنا سهل قال حدثنا زيد بن اسمعيل مولى
الانصار قال حدثنا محمد بن ايوب الواسطي قال حدثنا سفين بن عيينه
عن جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عليهم السلام قال لما نصب رسول الله صلى الله عليه وآله

علياً عليه السلام يوم غدير خم وقال من كنت مولاه فعلي مولاه طار ذلك في البلاد فقدم على
النبي النعمن بن الحرث الفهري فقال امرتنا عن الله ان تشهد ان لا اله الا الله وانك
رسول الله وامرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلوة والزكوة فقبلناها ثم لم
ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك او امر
من عند الله فقال والله الذي لا اله الا هو ان هذا من الله فولى النعمن بن الحرث
وهو يقول اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
فرماه الله بحجر على راسه فقتله وانزل الله تعالى سال سائل بعذاب واقع وقوله
ليس له دافع من الله ذي المعارج اي ليس لعذاب الله دافع من الله وقيل معناه
بعذاب للكافرين واقع من الله اي وقوعه من الله وذو المعارج صفة الله سبحانه
وقيل فيه وجوه احدها ان معناه ذي الفواضل العالية والدرجات التي يعطيها
الانبياء والاولياء في الجنة لانه يعطيهم المنازل الرفيعة والدرجات العلية
وهو معنى قول قتادة والجبائي وثانيها انها معارج السماء اي مواضع عروج
الملائكة عن ابن عباس و مجاهد قال الكلبي معناه ذي السموات لان الملائكة
تعرج فيها وثالثها انه يعني به ذي الملائكة اي مالك الملائكة التي تعرج الى السماء
ومنه ليلة المعراج لانه عرج بالنبي صلى الله عليه وآله الى السماء فيها يعرج الملائكة
والروح اي تصعد الملائكة وتصعد الروح ايضا معهم وهو جبرئيل عليه السلام
خصه بالذكر من بين الملائكة تشريفا له اليه اي الى الموضع الذي لا يجري لاحد
سواه فيه حكم جعل سبحانه عروجهم الى ذلك الموضع عروجا اليه كقول ابرهيم اني ذاهب
الى ربي اي الى الموضع الذي وعدني ربي في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
اختلف في معناه فقيل تعرج الملائكة الى الموضع الذي يامرهم الله به في يوم
كان مقداره من عروج غيرهم خمسين الف سنة وذلك من اسفل الارضين
الى فوق السموات السبع وقوله في سورة السجدة في يوم كان مقداره الف سنة
هو لما بين سماء الدنيا والارض في الصعود والنزول خمس مائة سنة في الصعود

وخمسمائة سنة في النزول عن مجاهد والمرادات الادميين لو احتاجوا الى قطع
هذا المقدار الذي قطعته الملائكة في يوم واحد لقطعوه في هذه المدة وقيل
انه يعني يوم القيمة وانه يفعل فيه من الامور ويقضي فيه من الاحكام بين العباد
ما لو فعل في الدنيا لكان مقداره خمسين الف سنة عن الجبائي وهو معنى قول
قتادة وعكرمة وروى ابو سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله ما اطول هذا
اليوم فقال والذي نفس محمد بيده انه ليخف على المومن حتى يكون اخف عليه
من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وروي عن ابي عبد الله انه قال لو ولي الحساب
غير الله لمكثوا فيه خمسين الف سنة من قبل ان يفرغوا والله سبحانه يفرغ من ذلك
في ساعة وعنه ايضا قال لا ينتصف ذلك اليوم حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار
في النار وقيل معناه ان اول الملائكة في الدنيا الى مدة وهي قضائه بين الخلائق
الى اخر عروجهم الى السماء وهو القيمة هذه المدة فيكون مقدار الدنيا خمسين
الف سنة لا يدري كم مضى وكم بقي وانما يعلمها الله عز وجل وقال الزجاج يجوز
ان يكون قوله في يوم من صلة واقع فيكون المعنى سأل سائل بعذاب واقع في يوم
كان مقداره خمسين الف سنة وذلك العذاب يقع يوم القيمة فاصبر يا محمد
على تكذيبهم اياك صبرا جميلا لا جزع فيه ولا شكوى على ما تقاسيه انهم يرونه بعيدا
ونراه قريبا اخبر سبحانه انه مجيء يوم القيمة وحلول العقاب بالكفار قريبا ويظنه
الكفار بعيدا لانهم لا يعتقدون صحته وكل ما هو ات فهو قريب دان والرؤية
الاولى بمعنى الظن والثانية بمعنى العلم ثم اخبر سبحانه عن متى يقع العذاب بهم
فقال يوم يكون السماء كالمهل اي كدردي الزيت عن ابن عباس وقيل كعكر القطران
عن عطا وقيل مثل الفضة اذا اذيبت عن الحسن وقيل مثل الصفر المذاب عن ابي مسلم
ويكون الجبال كالعهن اي كالصوف المصبوغ وقيل كالصوف المنفوش عن مقاتل
وقيل كالصوف الاحمر عن الحسن بمعنى انها تلين بعد الشدة وتتفرق بعد الاجتماع
قال الحسن انها تصير اولا كثيبا مهيلا ثم تصير عهنا منفوشا ثم هباء منثورا

ولايسأل

ولا يسأل حميم حميما لشغل كل انسان بنفسه عن غيره عن مجاهد وقيل لا يسأل
حميم حميما ان يحمل من اوزاره ليأسه من ذلك في الاخرة عن الحسن وقال الاخفش
الحميم من يخصه الرجل بوده وشفقته من قريب الرحم وبعيده والحامة الخاصة
وقيل معناه انه لا يحتاج الى سؤاله لانه يكون لكل علامة يعرف بها فعلامة
الكافرين سواد الوجه وزرقة العيون وعلامة المومنين نضارة اللون
وبياض الوجوه قوله عز وجل يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ
يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ
فَأَوْعَى إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا
إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوتِهِمْ دَائِمُونَ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ
لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ
رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ
إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ
وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ
فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ خمس وعشرون آية القراءة قرأ حفص ويعقوب وسهل بشهاداتهم
على الجمع والباقون بشهادتهم وكلهم قرأوا على صلواتهم على التوحيد الحجة قال
ابو علي من قرأ انها لظى نزاعة للشوى فرفع نزاعة جاز في رفعه ما جاز في قولك
هذا زيد منطلق وهذا بعلي شيخ ومن نصب فعلى وجهين احدهما ان يكون حالا
والاخر ان يحمل على فعل فحمله على الحال يبعد لانه ليس في الكلام ما يعمل في الحال فان قلت
في قوله لظى معنى التلظي والتلهب فانه ذلك لا يستقيم لان لظى معرفة لا تنتصب عنها الاحوال
الا ترى ان ما استعمل استعمال الاسماء من اسم الفاعل او مصدر لم يعمل هذا النحو
من حيث جرى مجرى الاسماء فان لا يعمل الاسم المعرفة عمله اولى وبدل ذلك على تعريف هذا

الاسم وكونه علما ان التنوين لم يلحقه فاذا كان كذلك لم ينتصب الحال عنه فان جعلتها مع تعريفها قد صارت معروفة بشدة التلظي جاز ان ينتصب بهذا المعنى الحادث في العلم وعلى هذا قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض علقت الظرف بما دل عليه الاسم من التدبير والالطاف فان علقت الحال بالمعنى الحادث في العلم كما علقت الظرف بما دل عليه الاسم من التدبير والالطاف لم يمتنع لان الحال كالظرف في تعلقها بالمعنى كتعلق الظرف به وكان وجها وان علقت نزاعة بفعل مضمر نحو اعنيها نزاعة للشوى لم يمتنع ايضا واما قوله لاماناتهم على الافراد وان كان مضافا الى الجماعة ولكل واحد منهم امانة فلانه مصدر يقع على جميع الجنس وتثنيته ولمن جمع فلاختلاف الامانات وكثرة ضروبها فاشبهت بذلك الاسماء التي ليست بالجنس والقول في الشهادة والشهادات مثل القول في الامانة والامانات

اللغة المودة مشتركة بين التمني والمحبة يقال وددت الشيء اي تمنيته ووددته اي احببته اود فيهما جميعا والافتداء افتداء الضرر عن الشيء ببذل عنه والفصيلة الجماعة المنقطعة عن جملة القبيلة برجوعها الى ابوة خاصة عن ابوة عامة ولظى اسم من اسماء جهنم ماخوذ من التوقد والنزاعة الكثيرة النزع وهو اقتلاع عن شدة ضم والاقتلاع اخذ بشدة اعتماد والشوى جلدة الراس واحدتها شواة قال الاعشى شعر قالت قتيلة ما له قد جللت شيبا شواته والشوى الاكارع والاطراف والشوى ما عدا المقاتل من كل حيوان يقال رماه فاشواه اي اصاب غير مقتله ورمى فاصمى اي اصاب المقتل والشوى ايضا الخسيس من المال والهلوع الشديد الحرص الشديد الجزع والاشفاق رقة القلب عن تحمل ما يخاف من الامور فاذا قسا قلب الانسان بطل الاشفاق والعادي الخارج عن الحق يقال عدا فلان اذا اعتدى وعدا في مشيته اذا اسرع وهو الاصل فالعادي الظالم بالاسراع الى الظلم الاعراب

يجوز ان يكون العامل في الظرف من قوله يوم تكون السماء كالمهل قوله تبصرونهم وقوله يود المجرم يجوز ان استينافا كلام ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من تكون

السماء

السماء كالمهل هلوعا ومنوعا وجزوعا اذا مسه الشر منوعا اذا مسه الخير والمصلين منصوب على الاستثناء وقوله الا على ازواجهم قيل ان هذه محمولة على المعنى والتقدير فانهم يلامون على غير ازواجهم ويدل عليه قوله فانهم غير ملومين عن الزجاج وقيل تقديره الا من ازواجهم فيكون على معنى من المعنى لما وصف سبحانه القيمة واضرب ان الجحيم فلا يسال حميما لشغله بنفسه قال يبصرونهم اي يعرف الكفار بعضهم بعضا ساعة ثم لا يتعارفون ويفر بعضهم من بعض عن ابن عباس وقتاده وقيل يعني المؤمنون عن مجاهد اي يبصر المؤمن اعداءه على حالهم من العذاب فيشمت بهم ويسر وقيل يعرف اتباع الضلالة رؤساهم وقيل ان الضمير يعود الى الملائكة وقد تقدم ذكرهم اي تعرفهم الملائكة ويجعلون بصراء بهم فيسوقون فريقا الى الجنة وفريقا الى النار يود المجرم اي يتمنى العاصي لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه يتمنى سلامته من العذاب النازل به باسلام كل كريم عليه من اولاده الذين هم اعز الناس عليه وصاحبته اي زوجته التي كانت سكنا له وربما على ابويه واخيه الذي كان ناصرا له ومعينا وفصيلته اي عشيرته التي تؤويه في الشدائد وتضمه وياوي اليها في النسب ومن في الارض جميعا اي ويجمع الخلائق يقول يود لو يفتدي بجميع هذه الشدائد ثم ينجيه ذلك الفداء كلا لا ينجيه ذلك قال الزجاج كلا ردع وتنبيه اي لا يرجع احد من هؤلاء فاردتدعوا انها لظى يعني ان نار جهنم او القصة لظى نزاعة للشوى وسميت لظى لانها تتلظى اي تشتعل وتتلهب على اهلها وقيل لظى اسم من اسماء جهنم وقيل هي الدركة الثانية منها وهي نزاعة للشوى تنزع الاطراف فلا تترك لحما ولا جلدا الا احرقته عن مقاتل وقيل تنزع الجلد وام الراس عن ابن عباس وقيل تنزع الجلد واللحم عن الضحاك وقال الكلبي يعني تاكل الدماغ كله ثم يعود كما كان وقال ابو صالح الشوى لحم الساق وقال سعيد بن جبير العصب والعقب وقال ابو العالية محاسن الوجه تدعوا من ادبر وتولى يعني النار تدعوا الى نفسها من ادبر عن الايمان وتولى عن طاعة الله ورسوله عن قتاده والمعنى انه لا يفوت

هذه النار كافر فكانها تدعوه فيجيبها كرهاً وقيل ان الله تعالى ينطق النار حتى
تدعوهم اليها وقيل معناه وتدعوا زبانية النار من ادبر وتولى عن الحق فجعل ذلك
سبحانه دعاء من النار عن الجبائي وقيل تدعوا اى تعذب رواه المبرد عن الخليل
قال يقال دعاك الله اى عذبك وجمع المال فاوعى اى امسكه فى الوعاء ولم ينفقه
فى طاعة الله اى فلم يؤد زكوة ولا يصل رحماً وقيل جمعه من باطل ومنعه عن الحق ان
الانسان خلق هلوعاً اى ضجوراً شحيحاً جزوعاً من الهلع وهو شدة الحرص وقال اهل
البيان تفسيره فيما بعده اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً يعنى اذا
اصابه الفقر لا يحتسب ولا يصبر واذا اصابه الغنى منعه من البر ثم استثنى سبحانه الموحدين
المطيعين فقال الا المصلين الذين هم على صلوتهم دائمون مستمرون على اداءها
لا يخلون بها ولا يتركونها وروى عن ابى جعفر عليه السلام ان هذا فى النوافل وقوله
والذين هم على صلوتهم يحافظون فى الفرايض والواجبات وقيل هم الذين لا يزيلون
وجوههم عن سمت القبلة عن عقبة بن عامر والزجاج والذين هم فى اموالهم حق معلوم
للسائل والمحروم يعنى الزكوة المفروضة والسائل الذى يسأل والمحروم الفقير الذى
يتعفف ولا يسأل وقد سبق تفسير هذا وروى عن ابى عبد الله عليه السلام انه قال الحق
المعلوم ليس الزكوة وهو الشىء الذى تخرجه من مالك ان شئت كل جمعة وان شئت
كل يوم ولكل ذى فضل فضله وروى عنه ايضاً انه قال هو ان تصل القرابة وتعطى
من حرمك وتصدق على من عاداك والذين يصدقون بيوم الدين اى يوقنون
بان يوم الجزاء والحساب حق لا يشكون فى ذلك والذين هم من عذاب ربهم مشفقون
اى خائفون ان عذاب ربهم غير مأمون اى لا يؤمن حلوله بمستحقيه من العصاة
وقيل معناه يخافون ان لا تقبل حسناتهم ويؤخذون بسيئاتهم وقال غير مأمون
لان المكلف لا يدرى هل ادى الواجب كما امر به وهل انتهى عن المحظور على ما نهى عنه
ولو قدرنا ان انساناً يعلم ذلك من نفسه لكان امناً والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم يعنى الذين يحفظون فروجهم عن المناكح على كل وجه

وسبلا على

وسبيل الا على الازواج او ملك الايمان من الاماء فانهم غير ملومين على ترك
حفظ الفروج عنهم فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون اى من
طلب وراء ما اباحه الله من الفروج فاولئك هم الذين تعدوا حدود
الله وخرجوا عما اباحه لهم ومعنى وراء ذلك ما خرج عن حده اى من اى وجه
كان والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون اى حافظون والامانة ما يؤتمن
المرء عليه مثل الوصايا والودايع والحكومات ونحوها وقيل الامانة الايمان
وما اخذ الله على عباده من التصديق بما اوجبه عليهم والعمل بما يجب عليهم العمل
به والذين هم بشهاداتهم قائمون اى يقيمون الشهادات التى تلزمهم اقامتها
والشهادة الاخبار بالشىء انه على ما شاهده وذلك انه قد يكون مشاهدة عن
ما يدعوا اليه والذين هم على صلوتهم يحافظون اى يحفظون اوقاتها واركانها
فيؤدونها بتمامها ولا يضيعون شيئاً منها وروى محمد بن الفضيل عن ابى
الحسن عليه السلام انه قال اولئك اصحاب الخمسين صلوة من شيعتنا وروى زرارة
عن ابى جعفر عليه السلام قال هذه الفريضة من صلاها لوقتها عارفاً بحقها لا يؤثر
عليها غيرها كتب الله بها براءة لا يعذبه ومن صلاها لغير وقتها
مؤثراً عليها غيرها فان ذلك اليه ان شاء غفر له وان شاء عذبه اولئك
الذين وصفوا بهذه الصفات فى جنات اى بساتين تحفها الشجر مكرمون
معظمون مبجلون بما يفعل بهم من الثواب قوله عز وجل فما للذين
كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ايطمع كل امرئ
منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا اقسم برب
المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيراً منهم وما نحن
بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون
يوم يخرجون من الاجداث سراعاً كانهم الى نصب يوفضون خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون تسع آيات

القراءة قرأ ابن عامر وحفص وسهل الى نُصُب بضمتين والباقون الى نَصْب بفتح النون
وسكون الصاد. الحجة قال ابو علي يجوز ان يكون نُصُب مثل سُقُف وسَقف وورد
وورد ومن ثقل فقال النصب كانه بمنزلة اسد ويمكن ان يكون النصب والنصب لغتين
كالضعف والضعف وما اشبه ذلك ويكون التثقيل كشغل وشغل وطنب وطنب. اللغة
قال الزجاج المهطع المقبل ببصره على الشيء لا يزايله وذلك من نظر العدو وابو عبيدة
الانقطاع الاسراع وعزين جماعات في تفرقة واحدهم عزة وانما جمع بالواو والنون
لانه عوض مثل سنة وسنون واصل عزة عزوة من عزاه يعزوه اذا اضافه الى غيره
فكل جماعة من هذه الجماعات مضافة الى الاخرى قال الراعي شعر اخليفة الرحمن
ان عشيرتي: امسى سراتهم عزين فلولا: وقال عنترة شعر وقرن قد تركت لدى
مكرّ: عليه الطير كالعصب العزينا: وقيل ان المحذوف من عزة هاء والاصل عزهة
وهو من العزهاة وهو المنقبض عن النساء وعن اللهو ومنه قال الاحوص
شعر اذا كنت عزهاة عن اللهو والصبى: فكن حجرا من يابس الصخر جلدا: وعن
ابي هريرة قال خرج النبي صلى الله عليه وآله على اصحابه وهم حلق حلق متفرقون فقال
مالي اراكم عزين والاجداث القبور واحدها جدث وجدف بمعناه والايفاض
الاسراع والنصب الصنم الذي كانوا يعبدونه قال الاعشى شعر وذا النصب المنصوب
لا تنسكنه: لعاقبة والله ربك فاعبدا: الاعراب فما للذين كفروا ما رفع بالابتداء
واللام خبره وفيه ضمير وقبلك في موضع الحال من كفروا من والمجرور على
تقديرهم فما لهم ثابتين قبلك ومهطعين حال من الضمير من قبلك ويجوز
في قبلك ان يكون ظرفا للام وان يكون ظرفا لمهطعين ويجوز ان يكون مهطعين
حالا بعد حال وعن اليمين يتعلق به وعزين حال بعد حال ويجوز ان يتعلق عن اليمين
بعزين ومعناه مجتمعين عن اليمين وعن الشمال كانهم الى نصب يوفضون جملة
منصوبة الموضع على الحال من قوله سراعا خاشعة ابصارهم حال من الضمير
في يوفضون المعنى ثم قال سبحانه على وجه الانكار على الكفار فما للذين كفروا يعني

اي شيء

اي شيء للذين كفروا بتوحيد الله اي ما بالهم وما حملهم على ما فعلوا قبلك اي عندك
يا محمد مهطعين مسرعين اليك عن ابي عبيدة وقيل متطلعين عن الحسن وقيل مقبلين عليك
بوجوههم لا يلتفتون عنك اي ناظرين اليك بالعداوة والمراد بالذين كفروا هنا
المنافقون عن اليمين وعن الشمال اي عن يمينك وعن شمالك عزين اي جماعات متفرقين
عصبة عصبة وجماعة جماعة ايطمع كل امرء منهم اي من هولاء المنافقين ان يدخل جنة
نعيم كما يدخلها اولئك الموصوفون قبل هذا وانما قال هذا لانهم كانوا يقولون ان كان
الامر على ما قال محمد فان لنا في الاخرة عند الله افضل مما للمومنين كما اعطانا في الدنيا
افضل مما اعطاهم كلا اي لا يكون ذلك ولا يدخلونها انا خلقناهم مما يعلمون اي من النطفة
عن الحسن اي ما كان اصله من هذا الماء المهين فكيف يستوجب الجنة باصله وبنفسه وانما
يستوجبها بالاعمال الصالحة نبه سبحانه بهذا على ان الناس كلهم من اصل واحد وانما يتفاضلون
بالايمان والطاعة وتحقيقه انا خلقناهم من المقادر والانجاس فمتى يدخلون الجنة
ولم يومنوا بي ولم يصدقوا رسولي وقيل معناه خلقناهم من الجنس الذي يعلمون
او من الخلق الذين يعلمون ويفقهون ويلزمهم الحجة ولم يخلقهم من الجنس الذي
لا يفقه كالبهائم والطير وقيل معناه خلقناهم من اجل ما يعلمون من الثواب
والعقاب والتكليف للطاعات تعريضا للثواب كما يقول القائل غضبت عليك مما تعلم
اي من اجل ما تعلم قال الاعشى شعر أأزمعت من آل ليلى ابتكارا: وشطت على ذي
هوى ان تزارا: اي من اجل ليلى ولقوله وشطت على ذي هوى انه لم يزمع
من عندهم وانما ازمع من اجلهم للمصير اليهم فلا اقسم هو مفسر في سورة الحاقة برب
المشارق والمغارب يعني مشارق الشمس ومغاربها فان لها ثلثماية وثلثة وستين
مطلعا لكل يوم مطلع لا تعود اليه الى قابل عن ابن عباس انا لقادرون على ان نبدل
خيرا منهم هذا جواب القسم يعني انا نقدر على ان نهلكم ونأتي بدلهم بقوم اخرين
خير منهم وما نحن بمسبوقين هذا عطف على جواب القسم اي وان هولاء الكفار
لا يقولون بان يتقدموا على وجه يمنع من لحاق العذاب بهم فانهم لم يكونوا سابقين

ولا العقاب مسبوقا منهم والتقدير وما نحن بمسبوقين بفوت عقوبتنا اياهم
فانهم لو سبقوا عقابنا لسبقونا وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عن ابي مسلم فذرهم
يخوضوا في باطلهم ويلعبوا فان وبال ذلك عائد عليهم حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون يعني يوم القيمة يوم يخرجون من الاجداث اي القبور سراعا مسرعين
لشدة السوق كانهم الى نصب يوفضون اي كانهم يسعون فيسرعون الى علم نصب
لهم عن الجبائي وابي مسلم وقيل كانهم الى اوثانهم يسعون للتقرب اليها عن ابن عباس
وقتاده خاشعة ابصارهم اي ذليلة خاضعة لا يستطيعون النظر من هول ذلك
اليوم ترهقهم ذله اي تغشاهم مذلة ذلك اليوم الذي وصفه اليوم الذي كانوا
يوعدون في دار التكليف فلا يصدقون به ويجحدونه قد شاهدوه في تلك الحال
سورة نوح عليه السلام مكية عدد آيها ثمان وعشرون آية كوفي تسع بصري شامي
ثلثون وفي الباقين اختلافها اربع آيات سواعا فادخلوا نارا كلاهما غير الكوفي
ونسرا كوفي والمدني الاخير اضلوا كثيرا مكي والمدني الاول فضلها ابي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه وآله قال ومن قرأ سورة نوح عليه السلام كان من المؤمنين الذين
تدركهم دعوة نوح ابو عبد الله عليه السلام قال من كان يؤمن بالله ويقرأ كتابه فلا يدع
ان يقرأ سورة انا ارسلنا نوحا فاي عبد قرأها محتسبا صابرا في فريضة او نافلة
اسكنه الله مساكن الابرار واعطاه ثلاث جنان مع جنته كرامة من الله له وزوجه
مائتي حوراء واربعة الف ثيب انشاء الله تفسيرها لما ختم الله سبحانه تلك السورة
بوعيد اهل التكذيب فتح هذه السورة بذكر قصة نوح وقومه وما نالهم بالتكذيب
تسلية للنبي صلى الله عليه وآله فقال بسم الله الرحمن الرحيم
إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ يَا قَوْمِ
إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَ
يُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ
قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا

أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ثُمَّ إِنِّي
دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ
جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا اربع
عشر آية اللغة الاستغشاء طلب التغشي والاصرار الاقامة على الامر بالعزيمة عليه والمدرار
الكثير الدرور بالغيث والمطر والامداد الحاق الثاني بالاول على النظام حالا بعد حال
يقال امده بكذا ومد النهر نهر آخر والاموال جمع المال وهو عند العرب النعم واصل
الوقار الثبوت وما به يكون الشيء عظيما من الحلم الذي يمتنع معه الخرق والرجاء
بمعنى الخوف قال ابو ذويب شعر اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب
عواسل الاعراب ان انذر قومك في موضع نصب بارسلنا لان الاصل بان انذر
قومك فلما سقطت الباء افضى الفعل وقيل ان موضعه جر وان سقطت الباء
وقد تقدم بيانه ويجوز ان يكون ان هي المفسرة بمعنى اي وجهارا مصدر وضع
موضع الحال اي دعوتهم مجاهرا لهم بالدعاء الى التوحيد وقوله مدرارا نصب
على الحال وقوله لا ترجون لله وقارا جملة في موضع الحال ايضا والعامل في الحال
ما في لكم من معنى الفعل ووقارا منصوب بانه مفعول يرجون المعنى اخبر الله سبحانه
عن نفسه فقال انا ارسلنا اي بعثنا نوحا رسولا الى قومه ان انذر قومك من قبل
ان يأتيهم عذاب اليم معناه ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا قال الحسن
امره ان ينذرهم عذاب الدنيا قبل عذاب الاخرة ثم حكى ان نوحا امتثل ما امره
سبحانه بان قال يا قوم اضافهم الى نفسه فكانه قال انتم عشيرتي يسوءني ما يسوءكم
اني لكم نذير مبين اي مخوف مبين وجوه الادلة في الوعيد وبيان الدين والتوحيد
ان اعبدوا الله واتقوه اي اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتقوا
معاصيه واطيعون فيما امركم به لان طاعتي مقرونة بطاعة الله وطاعة الله واجبة
عليكم لمكان النعم السابغة التي لا يوازيها نعمة منعم يغفر لكم من ذنوبكم اي فانكم

ان فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ومن مزيدة وقيل ان من هنا للتبعيض والمعنى يغفر لكم
ذنوبكم السالفة وهي بعض الذنوب التي تضاف اليكم ولما كانت ذنوبهم التي استانفوها
لا يجوز الوعد بغفرانها على الاطلاق لما يكون في ذلك من الاغراء بالقبيح قيد سبحانه
هذا التقييد ويؤخركم الى اجل مسمى وفي هذا دلالة على ثبوت اجلين لانه شرط في الوعد
بالاجل المسمى عبادة الله والتقوى فلما لم يقع ذلك منهم اقتطعوا بعذاب الاستيصال
قبل الاجل الاقصى بالاجل الادنى ثم قال ان اجل الله يعني الاقصى اذا جاء لا يؤخر لو كنتم
تعلمون صحة ذلك وتؤمنون به وقال الحسن يعني باجل الله يوم القيمة جعله
اجلا للبعث ويجوز ان يكون هذا حكاية عن قول نوح لقومه ويجوز ان يكون اخبارا
منه سبحانه عن نفسه قال نوح رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الى عبادتك وخلع
الانداد من دونك والى الاقرار بنبوتي فلم يزدهم دعائي الا فرارا اي لم يزدادوا بدعائي
اياهم الا فرارا من قبوله ونفارا منه وادبارا عنه وانما سمي كفرهم عند دعائه زيادة
في الكفر لانهم كانوا على كفر وضلال فلما دعاهم نوح الى الاقلاع عن ذلك والاقرار به
ولم يقبلوه فكفروا بذلك كان ذلك زيادة في الكفر لان الزيادة هي اضافة الشيء
الى مقدار قد كان حاصلا ولو حصلا جميعا في وقت واحد لم يكن احدهما زيادة
على الاخر واني كلما دعوتهم الى الاخلاص عبادتك لتغفر لهم سيئاتهم جعلوا اصابعهم في اذانهم
لئلا يسمعوا كلامي ودعائي واستغشوا ثيابهم اي غطوا بها وجوههم لئلا يروني
واصروا اي داموا على كفرهم واستكبروا استكبارا اي تكبروا وانفوا عن قبول
الحق والاصرار الاقامة على الامر بالعزيمة عليه فلما كانوا عازمين على الكفر كانوا مصرين
وقيل ان الرجل منهم كان يذهب بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا لا يغوينك
فان ابي قد ذهب بي اليه وانا مثلك فحذرني مثل ما حذرتك عن قتادة ثم اني
دعوتهم جهارا اي باعلى صوتي عن ابن عباس وقيل مجاهرة يرى بعضهم بعضا اي ظاهرا
غير خفي ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم في العلانية وفي السر
وقيل معناه اني اعلنت لهم جماعة بالدعوة واسررت جماعة ثم اعلنت للذين

اسررت لهم

اسررت لهم واسررت للذين اعلنت لهم ومعناه اني سلكت لهم في الدعوة
كل مذهب وتلطفت لهم في ذلك غاية التلطف فلم يجيبوا فقلت استغفروا
ربكم اي اطلبوا منه المغفرة على كفركم ومعاصيكم انه كان غفارا لكل من طلب
منه المغفرة متى رجعتم عن كفركم واطعتموه يرسل السماء عليكم مدرارا
اي كثيرة الدرور بالغيث وقيل انهم كانوا قد قحطوا واشفقوا وهلكت
اموالهم واولادهم فلذلك رغبهم في رد ذلك الاستغفار مع الايمان والرجوع
الى الله قال الشعبي قحط المطر على عهد عمر بن الخطاب فصعد المنبر ليستسقي
فلم يذكر الا الاستغفار حتى نزل فلما نزل قيل له ما سمعناك استسقيت قال
لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي بها يستنزل القطر ثم قرا هذه الاية
ويمددكم باموال وبنين اي يكثر اموالكم واولادكم الذكور عن عطا ويجعل
لكم جنات اي بساتين في الدنيا ويجعل لكم انهارا تسقون بها جناتكم قال
قتادة علم نبي الله نوح انهم كانوا اهل حرص على الدنيا فقال هلموا الى الطاعة
فان فيها درك الدنيا والاخرة وروى الربيع بن صبيح ان رجلا اتى الحسن
فشكا اليه الجدوبة فقال له الحسن استغفر الله واتاه اخر فشكا اليه الفقر
فقال له استغفر الله واتاه اخر فقال ادع الله ان يرزقني ابنا فقال
له استغفر الله فقلنا اتاك رجال يشكون ابوابا ويسالون انواعا
فامرتهم كلهم بالاستغفار فقال ما قلت ذلك من ذات نفسي انما اعتبرت فيه
قول الله تعالى حكاية عن نبيه نوح انه قال لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا
الى اخره وروى علي بن مهزيار عن حماد بن عيسى عن محمد بن يوسف عن ابيه
قال سال رجل ابا جعفر عليه السلم وانا عنده فقال له جعلت فداك اني كثير المال
وليس يولد لي ولد فهل من حيلة قال نعم استغفر ربك سنة في اخر الليل
مائة مرة فان ضيعت ذلك بالليل فاقضه بالنهار فان الله يقول استغفروا
ربكم الى اخره ثم قال نوح لهم على وجه التبكيت ما لكم معاشر الكفار لا ترجون

لله وقارا اى لا تخافون لله عظمة فالوقار العظمة اسم من التوقير وهو التعظيم
والرجا الخوف هنا والمعنى لا يعظمون الله حق عظمته فتوحدوه وتطيعوه عن ابن
عباس ومجاهد وقيل معناه ما لكم لا ترجون لله عاقبة عن قتاده اى لا ترجون
فى عاقبة لعظمة الله وقيل معناه ما لكم لا تخافون لله عقابا ولا ترجون منه
ثوابا فى رواية اخرى عن ابن عباس وقيل معناه ما لكم لا ترجون عاقبة الايمان
وتوحدون الله عن الزجاج وقيل معناه ما لكم لا تعتقدون لله اثباتا
عن ابى مسلم وقد خلقكم اطوارا اى خلقكم طورا نطفة ثم طورا علقة ثم مضغة
ثم عظما ثم كسى العظم لحما ثم انشاناه خلقا اخر انبت له الشعر وكمل له الصورة
عن ابن عباس ومجاهد وقتاده وقيل اطوارا احوالا حالا بعد حال وقيل معناه
صبيانا ثم شبابا ثم شيوخا وقيل خلقكم مختلفين فى الصفات اغنياء وفقراء
وزمنى واصحا وطوالا وقصارا والاية محتملة للجميع قوله عز وجل الم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا
والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله
جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا قال نوح رب انهم
عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا
وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق
ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا مما خطيئاتهم
اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا وقال نوح رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا
يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين
والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا اربع عشرة اية القراءة قرا اهل المدينة
ودا بالضم والباقون بالفتح وقرا ابو عمرو مما خطاياهم والباقون مما خطيئاتهم
بالتاء والمد والهمز وقد ذكرنا الاختلاف فى ولده فى سورة مريم الحجة قال ابو عبيدة

زعموا ان ودا صنم كان لهذا الحى من كلب حكاه بالفتح قال وسمعت قول الشاعر شعر
حياك ود من هداك لفتية وخوص باعلى ذى فضالة مجد وقال لى ابو الحسن ضم
اهل المدينة الواو وعسى ان يكون لغة فى اسم الصنم وسمعت هذا البيت شعر
حياك ود فانا لا يحل لنا لهو النساء وان الدين قد عزما الواو مضمومة
وخطاياهم جمع التكسير وخطيئات جمع التصحيح وما زائدة كالتى فى قوله فبما
رحمة من الله وقوله فبما نقضهم ميثاقهم اللغة الفجاج الطرق المتسعة
المتفرقة واحدها فج وقيل الفج المسلك بين جبلين والسواع هنا صنم وفى
غيره الساعة من الليل ومثله السعواء والكبار الكبير جدا يقال كبير ثم كبار
ثم كبار ومثله عجيب وعجاب وعجاب وحسن وحسان وحسان ويروى اعرابيا سمع
النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقرا ومكروا مكرا كبارا فقال ما افصح ربك يا محمد
وهذا من جفاة الاعراب لان الله سبحانه لا يوصف بالفصاحة والديار فيعال
من الدوران ونحوه القيام والاصل قيوام وديوار فقلبت الواو ياء وادغمت
احديهما فى الاخرى قال الزجاج يقال ما بالدار ديار اى ما بها احد يدور فى الارض
قال الشاعر شعر وما نبالى اذا ما كنت جارتنا ان لا يجاورنا الاك ديار اى الا
اياك فجعل المتصل موضع المنفصل ضرورة الاعراب طباقا منصوب على احد
وجهين ان يكون على تقدير خلقهن طباقا وان يكون نعتا لسبع اى سبع سموات
ذات طباق نباتا مصدر فعل محذوف تقديره انبتكم فنبتم نباتا وقال الزجاج
هو محمول على المعنى لان معنى انبتكم جعلكم تنبتون نباتا وما من قوله مما خطاياهم
مزيدة لتاكيد الكلام المعنى ثم خاطب سبحانه المكلفين منبها لهم على توحيده
فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اى واحدة فوق الاخرى كالقباب
وجعل القمر فيهن نورا قيل فيه وجوه احدها ان المعنى وجعل القمر نورا فى
السموات والارض عن ابن عباس قال يضئ ظهره لما يليه من السموات ويضئ
وجهه لاهل الارض وكذلك الشمس وثانيها ان معنى فيهن معهن يعنى وجعل القمر

اى مع خلق السموات نورا لاهل الارض و نالنهما ان معنى فيهن فى ضمنهن وانكان
فى واحدة منها كما تقول ان فى هذه الدور كبيرا وان كانت فى واحدة منها لان
ما كان فى احدهن كان فيهن وكما تقول اتيت بنى تميم وانما اتيت بعضهم وجعل
الشمس سراجا اى مصباحا يضئ لاهل الارض كما كانت الشمس جعل فيها النور لاستضاء
به كانت سراجا فهى سراج العالم كما ان المصباح سراج الانسان والله انبتكم
فى الارض بالكبر بعد الصغر و بالطول بعد القصر ثم يعيدكم من الارض نباتا
يعنى مبتدا خلق ادم وادم خلق من الارض والناس ولده وهذا كقوله تعالى
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وقيل معناه انه انشا جميع الخلق باغتذاء ما تنبته
الارض و نمى فيها وقيل معناه انبتكم فى الارض بالكبر بعد الصغر و بالطول بعد
القصر ثم يعيدكم اى فى الارض امواتا ويخرجكم منها عند البعث احياء اخراجا
وانما ذكر المصدر تاكيدا والله جعل لكم الارض بساطا اى مبسوطة ليمكنكم المشى
عليها والاستقرار فيها ثم بين انه انما جعلها كذلك ليسلكوا فيها سبلا فجاجا
اى طرقا واسعة وقيل طرقا مختلفة عن ابن عباس وقيل سبلا فى الصحارى و فجاجا
فى الجبال وانما عدد سبحانه هذه الضروب من النعم امتنانا على خلقه وتنبيها
لهم على استحقاقه للعبادة خالصة من كل شرك ودلالة لهم على انه عالم بمصالحهم
ومدبر لهم على ما يقتضيه الحكمة فيجب ان لا يقابلوا هذه النعم الجليلة بالكفر والجحود
ثم عاد سبحانه الى ذكر نوح عليه السلم بقوله قال نوح على سبيل الدعا رب انهم عصونى
فيما امرتهم به ونهيتهم عنه يعنى قومه واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا
اى واتبعوا اغنياء قومهم اغترارا بما اتيهم الله من المال والولد فقالوا
لو كان هذا رسول الله لكان له ثروة وغنى وقرى ولده بالضم والفتح فالولد
الجماعة من الاولاد والولد الواحد وقيل هما سواء والخسار الهلاك بذهاب
راس المال وقيل معناه اتبع الفقراء والسفلة الرؤساء الذين لم يزدهم
كثرة المال والاولاد الا هلاكا فى الدنيا وعقوبة فى الاخرة ومكروا فى دين الله مكرا

كبّارًا

كبارا اى كبيرا عظيما عن الحسن وقيل معناه قولوا قولا عظيما عن ابن عباس وقيل
اخبروا على الله وكذبوا رسله عن الضحاك وقيل مكرهم تحريضهم سفلتهم على قتل
نوح وقالوا لهم لا تذرن الهتكم اى لا تتركوا عبادة اصنامكم ثم خصوا اصناما لهم
معروفة بعد دخولها فى الجملة الاولى تعظيما لها فقالوا لا تذرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا وهذه اسماء اصنام كانوا يعبدونها ثم عبدتها
العرب فيما بعد عن ابن عباس وقتاده وقيل ان هذه اسماء قوم صالحين كانوا
بين آدم ونوح فنشا قوم بعدهم ياخذون اخذهم فى العبادة فقال لهم ابليس
لو صورتم صورهم كان انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا فنشا بعدهم
قوم فقال لهم ابليس ان الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فبدا عبادة
الاوثان كان ذلك الوقت عن محمد بن كعب وقيل كان نوح يحرس جسد ادم على جبل
بالهند ويحول بينه وبين الكفار لئلا يطوفوا بقبره فقال لهم ابليس ان هولاء يفخرون
عليكم ويزعمون انهم بنو ادم دونكم وانما هو جسد وانا اصور لكم مثله تطيفون به
فنحت خمسة اصنام وحملهم على عبادتها وهى ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر
فلما كان ايام الغرق دفن الطوفان تلك الاصنام وطمها التراب فلم تزل مدفونة
حتى اخرجها الشيطان لمشركى العرب فاتخذت قضاعه ودا فعبد وها بدومة
الجندل ثم توارثها بنوه الاكابر فالاكابر حتى صارت الى كلب فجاء الاسلام
وهو عندهم واخذ بطنان من طى يغوث فذهبوا به الى مراد فعبدوه زمانا
ثم ان بنى ناجية ارادوا ان ينزعوه منهم ففروا به الى بنى الحرث بن كعب واما يعوق
فكان لكهلان ثم توارثه بنوه الاكبر حتى صار الى همدان واما نسر فكان لخثعم
يعبدونه واما سواع فكان لال ذى الكلاع يعبدونه عن ابن عباس وقيل ان اوثان
قوم نوح صارت الى العرب فكان ود بدومة الجندل وسواع برهط لهذيل وكان يغوث
لبنى غطيف من مراد وكان يعوق لهمدان وكان نسر لال ذى الكلاع من حمير وكان
اللات لثقيف واما العزى فلسليم وغطفان وجشم ونصر وسعد بن بكر فاما مناة

فكانت لقد يد واما اساف ونايله وهبل فلاهل مكة فكان اساف حيال الحجر الاسود
وكانت نايله بحيال الركن اليمانى وكان هبل فى جوف الكعبة ثمانية عشر ذراعا عن عطا
وقتاده والثمالى وقال الواقدى كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة
ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير
وقد اضلوا كثيرا اى ضل بعبادتها وبسببها كثير من الناس نظيره رب انهن
اضللن كثيرا من الناس وقيل معناه وقد اضل كبرا وهم كثير من الناس
عن مقاتل وابى مسلم وعلى هذا فان الضمير فى اضلوا يعود الى الاكابر قوم نوح
ولا تزد الظالمين الا ضلالا اى هلاكا كما فى قوله ان المجرمين فى ضلال وسعر
وقيل الا فتنة بالمال والولد وقيل الا ذهابا عن الجنة والثواب قال البلخى الا تزدهم
الا منعا من لطافات عقوبة لهم على كفرهم فانهم اذا ضلوا استحقوا منع الالطاف
التى تفعل بالمومنين فيطيعون عندها ويكون امر الله ولا يجوز ان يفعل
بهم الضلال عن الحق والايمان لان ذلك لا يجوز فى صفة الحكيم تعالى الله عن ذلك
مما خطاياهم اغرقوا اى من خطياتهم وما مزيدة والتقدير من اجل ما ارتكبوا
من الخطايا والكباير اغرقوا على وجه العقوبة فادخلوا نارا بعد ذلك ليعذبوا فيها
فيها فلم يجدوا احدا يمنعهم من عذاب الله وانما اتى سبحانه بالفاظ الماضى على معنى
الاستقبال لصدق الوعد به وقال الضحاك اغرقوا فادخلوا نارا فى الدنيا
فى حالة واحدة كانوا يغرقون من جانب ويحترقون فى النار من جانب وانشد
ابن الانبارى نحن الخلق مجتمع طوفا ومحترق والحادثات فنون ذات اطوار
لا تعجبن لاضداد اذا اجتمعت فالله يجمع بين الماء والنار وقال نوح رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اى نازل دار يعنى لا تدع منهم احدا الا اهلكته
قال قتاده ما دعا بهذا عليهم بعد ان انزل عليه انه لن يومن من قومك
الا من قد امن فلذلك قال انك ان تذرهم يضلوا عبادك اى ان تركتهم
ولم تهلكهم يضلوا عبادك عن الدين بالاغواء والدعاء الى خلافه ولا يلدوا

الا فاجرا كفارا والا فلم يعلم نوح الغيب وانما قال ذلك بعد ان لم علمه الله اياه وانهم لا يلدوا الا من يكون عند بلوغه كافرا لانه لا يذم على الكفر من لم يقع منه فعل
الكفر وقال مقاتل والربيع وعطا انما قال ذلك نوح عليه السلم لان الله تعالى اخرج
من اصلابهم كل من يكون مومنا واعقم ارحام نسائهم وايبس اصلاب
رجالهم قبل العذاب باربعين سنة واخبر الله تعالى نوحا انهم لا يومنون ولا
يلدون مومنا فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعاه فاهلكهم كلهم ولم يكن
فيهم صبى وقت العذاب ثم دعا لنفسه وللمومنين والمومنات فقال رب اغفر لى
ولوالدى واسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه سمحا بنت انوش وكانا مومنين
وقيل يريد آدم وحوا ولمن دخل بيتى مومنا اى دخل دارى وقيل مسجدى وقيل
سفينتى وقيل يريد بيت محمد صلى الله عليه واله عن الكلبى ولا تزد الظالمين
الا تبارا اى هلاكا ودمارا قال اهل التحقيق دعا نوح عليه السلم دعوتين دعوة
على الكافرين ودعوة للمومنين فاستجاب الله دعوته على الكافرين فاهلك
من كان منهم على وجه الارض ونرجوا ان يستجيب ايضا دعوته للمومنين فيغفر لهم
سورة الجن مكية ثمان وعشرون آية فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه
واله قال من قرأ سورة الجن اعطى بعدد كل جنى وشيطان صدق بمحمد وكذب
به عتق رقبة حنان بن سدير عن ابى عبد الله عليه السلم قال من كثر قراة قل اوحى
لم يصبه فى حيوة الدنيا شى من اعين الجن ولا من نفثهم ولا من كيدهم
وكان مع محمد واله فيقول يا رب لا اريد بهم بدلا ولا اريد بدر حتى حولا تفسيرها
لما تقدم فى سورة نوح اتباع قومه الكابرهم افتتح سبحانه فى هذه السورة
اتباع الجن نبينا عليه السلم ليعلم الفرق بين من ربحت صفقته ومن خسرت صفقته:

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا
يهدى الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا وانه تعالى جد ربنا

ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا
وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال
من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وانهم ظنوا كما
ظننتم ان لن يبعث الله احدا وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا
شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان
يجد له شهابا رصدا وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
ام اراد بهم ربهم رشدا عشر آيات القراة قرا ابو جعفر قل
اوحي الي انه استمع بفتح الالف ولم يختلفوا فيه ثم قرا في الاية الثالثة
وانه تع بالفتح وفي الرابعة انه كان يقول بالفتح وفي السادسة وانه
كان رجال بالفتح ويقرا ما سواها بالكسر الا قوله وان لو استقاموا
وان المساجد وانه لما قام فانه يقرا هذه الثلثة بالفتح وقال الرواه
عنه ما كان مردودا على الوحي فهو انه بالفتح وما كان من قول الجن فهو
بالكسر وهذا قول غير مستقيم على قراته يمكن ان يكون قد وقع خلل في روايته
وقرا ابن عامر واهل الكوفة غير ابي بكر بالفتح من قوله وانه تع الى قوله
وانا منا المسلمون وقرا الباقون كله بالكسر الا قوله وان لو استقاموا وان
المساجد فانهما بالفتح لم يختلفوا فيه وقرا نافع وعاصم برواية ابي بكر
وانه لما قام بالكسر والباقون بالفتح وقرا يعقوب ان لن تقول بتشديد
الواو وفتحها وفتح القاف وروي ذلك عن الجحدري والحسن والباقون
لن يقول بالتخفيف وفي الشواذ قراة جويه بن عابد قال احي الي على وزن فعل
الحجة قال ابو علي اما قوله ان لو استقاموا فانه يجوز فيه امران احدهما
ان يكون المخففه عن الثقيلة فيكون محمولا على الوحي كانه اوحي الي ان لو استقاموا
وفصل لو بينهما وبين الفعل كفصل السين ولا في قوله افلا يرون ان لا يرجع
وعلم ان سيكون والاخر ان يكون ان قبل لو بمنزلة اللام في قوله لين لم ينته

المنافقون الى قوله لنغرينك بهم وقوله لين لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين فيلحق مرة وتسقط اخرى لان لو بمنزله فعل الشرط فكما لحقت اللام
زايدة قبل ان الداخلة على الشرط كذلك لحقت ان هذه قبل لو ومعنى ان لو استقاموا
على الطريقة قد قيل فيه قولان احدهما لو استقاموا على طريقة الهدى والاخرى
استقاموا على طريقة الكفر ويستدل على القول الاول بقوله تع ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم وقوله ولو ان اهل
القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ويستدل على القول
الاخر بقوله تعا ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة واما قوله المساجد لله فزعم سيبويه ان المفسرين
حملوه على اوحي كانه واوحي الي ان المساجد لله ومذهب الخليل انه على قوله
ولان المساجد لله فلا تدعوا كما ان قوله وان هذه امتكم على قوله ولان
هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون اي لهذا فاعبدون ونحو مثله
في قول الخليل ليلاف قريش كانه قال لهذا فليعبدوا قال سيبويه ولو قرى وان
المساجد بالكسر لكان جيدا فاما قوله وانه لما قام عبد الله فانه على اوحي
الي ويكون ان يقطع من قوله اوحي ويستانف كما جوز سيبويه من اوحي
في قوله وان المساجد لله وعلى هذا يحمل قراة من كسر ان من قوله وانه لما قام
عبد الله من قرا كل ذلك بالفتح فانه للحمل على اوحي ويجوز ان يكون على غيره
كما حمل المفسرون وان المساجد لله على الوحي وحمله الخليل على ما ذكرناه عنه فاما ما
جاء من ذلك بعد قول فحكاية كما حكي قوله قال الله اني منزلها عليكم ولذلك
ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء ولذلك حمل سيبويه ومن عاد فينتقم الله منه
ومن كفر فامتعه ومن يومن بربه فلا يخاف على ان الابتداء فيها مضمر ومثال
ذلك في هذه السورة ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم ومن قرا
لن يقول فيكون قوله كذبا منصوبا على المصدر من غير حذف موصوف وذلك

ان يقول في معنى يكذب فجرى مجرى تبسمت وميض البرق فانه منصوب بفعل مضمر دل عليه
تبسمت اي اومضت فكانه قال ان لن يكذب الانس والجن على الله كذبا قال ابن جني ومن
راء ان ينتصب وميض البرق بنفس تبسمت لانه في معنى اومضت نصب ايضا كذبا بنفس
يقول لانه بمعنى يكذب ومن قراء ان لن يقول على وزن يقوم فانه كذبا وصف مصدر محذوف
اي قولا كذبا فكذب ههنا وصف لا مصدر كما في قوله وجاؤا على قميصه بدم كذب اي كاذب
فان جعلته هنا مصدرا نصبته نصب المفعول به اي لن يقول كذبا كقولك قلت
حقا وقلت شعرا ولا يحسن ان يجعله مع يقول وصفا اي تقول تقولا كذبا لان التقول
لا يكون الا كذبا فلا فائدة فيه ومن قراء أحي فهو من وحيت اليه بمعنى اوحيت واصله
وحي فلما انضمت الواو ضما لازما همزت ونحوه واذا الرسل اقتت اي وقتت قال
العجاج وحي لها القرار فاستقرت الجد اصله القطع ومنه الجد العظمة لانقطاع
كل عظمة عنها لعلوها عليه ومنه الجد ابو الاب لانقطاعه بعلو ابوته وكل من فوقه
لهذا الولد اجداد والجد الحظ لانقطاعه بعلو شانه والجد خلاف الهزل لانقطاعه
من السخف ومنه الجديد لانه حديث عهد بالقطع في غالب الامر والرهق لحاق الاسم واصله
اللحوق ومنه راهق الغلام اذا لحق حال الرجال قال الاعشى شعر لا شيء ينفعني من دون
رؤيتها هل يشتفي وامق ما لم يصب رهقا اي لم يغش اثما الاعراب حرسا منصوب على
التمييز وهو جمع حارس ويجوز ان يكون جمع حرسي فيكون مثل عربي وعرب شديدا
مذكر محمول على اللفظ ويمكن ان يكون على النسب اي ذات شدة ومقاعد نصب لانه ظرف
مكان اشر اريد مبتدا وخبره وانما جاز ان يكون النكرة مبتداء من غير تخصيص لاجل
همزة الاستفهام كما يجوز ذلك بعد حرف النفي لان كليهما يفيد معنى العموم المعنى امر سبحانه
نبيه ان يخبر قومه بما لم يكن لهم به علم فقال قل يا محمد اوحي الي انما ذكره على لفظ ما لم يسم
فاعله تفخيما وتعظيما والله سبحانه اوحى اليه وانزل الملك عليه انه استمع نفر من الجن
اي استمع القران طائفة من الجن وهو جيل رقاق الاجسام خفية على صورة مخصوصة
بخلاف صورة الناس والملائكة فان الملك مخلوق من النور والانس من الطين والجن

من النار فقالوا اي قالت الجن بعضها لبعض انا سمعنا قرانا عجبا والعجب ما يدعو الى التعجب منه
لخفاء سببه وخروجه عن العادة في مثله فلما كان القران قد خرج بتأليفه المخصوص عن
العادة في الكلام وخفي سببه عن الانام كان عجبا لا محالة وايضا فانه كان مباينا لكلام
الخلق في المعنى والفصاحة والنظام لا يقدر احد على الاتيان بمثله قد تضمن اخبار الاولين
والاخرين وما كان وما يكون اجراه الله على يدي رجل امي من قوم اميين فاستعظموه وسموه
عجبا يهدي الى الرشد اي يدل على الهدى ويدعو الى الرشد ضد الضلال فامنا به
اي صدقنا به انه من عند الله ولن نشرك فيما بعد بربنا احدا فنوجه العبادة اليه
بل نخلص العبادة لله تعالى والمعنى انا قد بدانا بانفسنا فقبلنا الرشد والحق وتركنا
الشرك واعتقدنا التوحيد وفي هذا دلالة على انه صلى الله عليه وآله كان مبعوثا
الى الجن والانس وعلى ان الجن عقلاء مخاطبون وبلغات العرب عارفون وعلى انهم
يميزون بين المعجز وغير المعجز وانهم دعوا قومهم الى الاسلام واخبروهم باعجاز
القرآن وانه كلام الله تعالى لان كلام العباد لا يتعجب منه وروى الواحدي باسناده
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله على الجن
وما رآهم انطلق رسول الله في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل
بين الشياطين وبين خبر السماء فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا
حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك الا من شيء حدث
فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبي
وهو بنخل عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلوة الفجر فلما سمعوا القران
استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم
وقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا فاوحى
الله تعالى الى نبيه عليه السلام قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن ورواه البخاري ومسلم
ايضا في الصحيح وعن علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله بن مسعود من كان منكم مع النبي
صلى الله عليه وآله ليلة الجن فقال ما كان منا معه احد فقدناه ذات ليلة ونحن بمكة

فقلنا اغتيل رسول الله واستطير فانطلقنا نطلبه من الشعاب فلقيناه
مقبلا من نحو حراء فقلنا يا رسول الله اين كنت لقد اشفقنا عليك وقلنا
له بتنا الليلة بشر ليلة بات بها قوم حين فقدناك فقال لنا انه اتاني
داعي الجن فذهبت اقرئهم القران فذهب بنا فارانا اثارهم واثار نيرانهم
فاما ان يكون صحبه منا احد فلم نصحبه وعن ابي روق قال هم تسعة نفر
من الجن قال ابو حمزة الثمالي وبلغنا انهم من بني الشيصبان وهم اكثر الجن
عددا وهم عامة جنود ابليس وقيل كانوا سبعة نفر من جن نصيبين راهم
النبي صلى الله عليه وآله فامنوا به وارسلهم الى سائر الجن وانه تعالى جد ربنا
ما اتخذ صاحبة ولا ولدا الاختيار كسر ان لانه من قول الجن لقومهم وهو
معطوف على قوله قالوا انا سمعنا قرانا عجبا اي وقالوا انه تعالى جد ربنا وقال
الفراء من فتح فتقديره فامنا به وامنا بانه تعالى جد ربنا وكذلك كل ما كان
بعده ففتح ان بوقوع الايمان عليه والمعنى تعالى جلال ربنا وعظمته عن اتخاذ
الصاحبة والولد عن الحسن ومجاهد وقيل معناه تعالت صفات الله
التي هي له خصوصا وهي الصفات العالية التي ليست للمخلوقين عن ابي مسلم
وقيل معناه جل ربنا في صفاته فلا يجوز عليه صفات الاجسام والاعراض
عن الجبائي وقيل تعالى قدرة ربنا عن ابن عباس وقيل تعالى ذكره عن مجاهد
وقيل فعله وامره عن الضحاك وقيل علا ملك ربنا عن الاخفش وقيل
الاؤه ونعمه على الخلق عن القرظي والجميع يرجع الى معنى واحد وهو العظمة
والجلال على ما تقدم ذكرهما ومنه قول انس بن مالك كان الرجل اذا قرا
البقرة جد في اعيننا اي عظم وقال الربيع بن انس انه قال ليس لله تعالى جد وانما
قالته الجن بجهالة فحكاه سبحانه كما قالت وروي ذلك عن ابي جعفر الباقر
عليه السلام وابي عبد الله الصادق عليهما السلام وانه كان يقول سفيهنا
اي جاهلنا على الله شططا ارادوا بسفيههم ابليس عن مجاهد وقتادة والشطط

السرف في ظلم النفس والخروج عن الحق فاعترفوا بان ابليس كان يخرج عن الحد في اغواء
الخلق ودعاهم الى الضلال وقيل شططا اي قولا بعيدا من الحق وهو الكذب في التوحيد
والعدل وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعترفوا بانهم ظنوا
ان لن يقول احد من الانس والجن كذبا على الله في اتخاذ الشريك معه والصاحبة
والولد اي حسبنا ان ما يقولونه من ذلك صدق وانا على حق حتى سمعنا القران
وتبينا الحق به وفي هذا دلالة على انهم كانوا مقلدة حتى سمعوا الحجة وانكشف
لهم الحق فرجعوا عما كانوا عليه وفيه اشارة الى بطلان التقليد ووجوب اتباع الدليل
وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن اي يعتصمون ويستجيرون
وكان الرجل من العرب اذا نزل الوادي في سفره ليلا قال اعوذ بعزيز هذا الوادي
من شر سفهاء قومه عن الحسن ومجاهد وقتادة وكان هذا منهم على حسب اعتقادهم
ان الجن يحفظهم قال مقاتل واول من تعوذ بالجن قوم من اليمن ثم بنو حنيفة
ثم فشا في العرب وقيل معناه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من اجل
الجن ومن معرة الجن عن البلخي قال لان الرجال لا يكون الا في الناس وقال الاولون
في الجن رجال مثل ما في الناس فزادوهم رهقا اي فزاد الجن الانس اثما الى اثمهم
الذي كانوا عليه من الكفر والمعاصي عن ابن عباس وقتادة وقيل رهقا اي طغيانا
عن مجاهد وقيل فرقا وخوفا عن الربيع وابن زيد وقيل شرا عن الحسن وقيل زادوهم ذلة
وضعفا قال الزجاج يجوز ان تكون الانس الذين كانوا يستعيذون بالجن زادوا
الجن رهقا وذلك ان الجن كانوا يزدادون طغيانا في قولهم بهذا التعوذ فيقولون
سدنا الجن والانس ويجوز ان يكون الجن زادوا الانس رهقا وانهم ظنوا كما ظننتم
ان لن يبعث الله احدا وقيل معناه قالوا مؤمنوا الجن لكفارهم ان كفار الانس
يعوذون برجال من الجن في الجاهلية حسبوا كما حسبتم يا معشر الجن ان لن يبعث الله
رسولا بعد موسى وعيسى وراء هذا ان الجن مع تمردهم وعتوهم لما سمعوا القران
امنوا واهتدوا به فانتم معاشر العرب اولى بالتفكر والتدبر ولتؤمنوا وتهتدوا

مع ان الرسول من جنسكم ولسانه لسانكم وقيل ان هذه الاية مع ما قبلها اعتراض من اخبار الله تعالى يقول ان الجن ظنوا كما ظننتم معاشر الانس ان الله لا يحشر احدا يوم القيمة ولا يحاسبه عن الحسن وقيل يعنى لن يبعث الله احدا رسولا ثم حكى عن الجن قولهم وانا لمسنا السماء اى مسسناها وقيل معناه طلبنا الصعود الى السماء فعبر عن ذلك باللمس مجازا عن الجبائى وقيل التمسنا قرب السماء لاستراق السمع عن ابى مسلم فوجدناها ملئت حرسا شديدا اى حفظة من الملائكة شدادا وشهبا والتقدير ملئت السماء من الحرس والشهب وهو جمع شهاب وهو نور يمتد من السماء كالنار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع اى لاستراق السمع اى كان يتهيا لنا فيما قبل القعود فى موضع الاستماع فنسمع منها صوت الملائكة وكلامهم فمن يستمع الان منا ذلك يجد له شهابا رصدا يرمى به ويرصد له شهابا مفعول به ورصدا صفته قال معمر قلت للزهرى كان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم قلت فرايت قوله انا كنا نقعد منها الاية قال غلظ وشدد امرها حين بعث النبى صلى الله عليه وآله قال البلخى ان الشهب كانت لا محالة فيما مضى من الزمان غير انه لم يكن يمنع بها الجن عن صعود السماء فلما بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم منع منها الجن من الصعود وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض اى بحدوث الرجم بالشهب وحراسة السماء جوزوا انقطاع التكليف او تغيير الامور بتصديق نبى من الانبياء وذلك قوله ام اراد بهم ربهم رشدا اى صلاحا وقيل معناه ان هذا المنع لا ندرى العذاب سينزل باهل الارض ام النبى يبعث ويهدى الى الرشد فان مثل هذا لا يكون الا لاحد امرين وسمى العذاب شرا لانه مضرة وسمى بعثة الرسول رشدا قوله عز وجل وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا وانا لما سمعنا الهدى امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وان لو استقاموا على الطريقة

لأسقيناهم

لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا عشر ايات القراءة قرا اهل العراق عن ابى عمرو يسلكه بالياء والباقون بالنون وقرا ابن عامر برواية هشام لبدا بضم اللام والباقون بكسرها وقرا ابو جعفر وعاصم وحمزة قل انما ادعو والباقون قال وفى الشواذ قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب لو استقاموا بضم الواو وقراءة الحسن والجحدرى لبدا بالتشديد وفى رواية اخرى عن الجحدرى لبدا بضمتين الحجة من قرا يسلكه بالياء فلتقدم ذكر الغيبة فى قوله ومن يعرض عن ذكر ربه ومن قرا بالنون فهو مثل قوله تعالى وآتينا موسى الكتاب بعد قوله سبحان الذى اسرى ومن قرا قال انما ادعو فلتقدم ذكر الغيبة ايضا فى قوله وانه لما قام عبد الله ومن قرا قل فلان بعده قل انى لا املك قل انى لن يجيرنى من الله احد ومن قرا لبدا فان اللبد الكثير من قوله مالا لبدا وكانه قيل اللبد لركوب بعضه على بعض ولصوق بعضه لبعض لكثرته واللبد جمع لبدة وهى الجماعة وقد يقال ذلك للجراد الكثير قال بعض الهذليين صابوا بستة ابيات وواحدة حتى كان عليهم جابئا لبدا قال الجبائى هو الجراد لانه يجبى كل شئ ياكله وقال الزجاج اللبدة واللبد بمعنى واحد ومن قرا لبدا بالتشديد فانه وصف على فعل كالجبائى والزمل ويجوز ان يكون جمع لابد فيكون مثل راكع وركع واللبد من الاوصاف التى جاءت على فعل كناقة سرح ورجل طلق ومن قرا لو استقاموا فانه على التشبيه بواو الجماعة نحو قوله اشتروا الضلالة كما شبهت تلك بهذه فقيل اشتروا الضلالة وقد مضى هذا فى سورة البقرة اللغة الصالح عامل الصلاح الذى يصلح به حاله فى دينه واما المصلح فهو فاعل الصلاح الذى يقوم به امر من الامور ولهذا يوصف سبحانه بانه مصلح ولا يوصف بانه صالح والطرائق جمع طريقة وهى الجهة المستمرة مرتبة بعد مرتبة والقدد جمع قدة وهى المستمرة بالقد فى جهة واحدة والرهق لحاق السرف فى الامر

وهو الظلم والقاسط الجاير والمقسط العادل ونظيره الترب الفقير والمترب
الغنى واصله التراب فالاول ذهب ماله حتى لصق بالتراب والاخر كثر ماله حتى صار
بعدد التراب فكذلك القاسط هو العادل عن الحق والمقسط العادل الى الحق قال
شعر قوم هم قتلوا ابن هند عنوة عمروا وهم قسطوا على النعمان وقال آخر قسطنا
على الاملاك فى عهد تبع ومن قبل ما اردى النفوس عقابها والتحرى تعمد اصابة
الحق واصله طلب الشى والقصد له قال امرء القيس شعر ديمة هطلاء فيها وطف
طبق الارض تحرى وتدر وماء غدق كثيرة وغدق المكان يغدق غدقا كثر فيه
الماء والندى هو غدق عن الزجاج وقال امية بن ابى الصلت شعر مزاجها سلسبيل
ماؤها غدق عذب المذاقة لاملح ولا كدر والصعد الغليظ الصعب وهو المتصعد
فى العظم ومنه تنفس الصعداء والصعود العقبة الكوود الشاقة المعنى ثم قال سبحانه
فى تمام الحكاية عن الجن الذين امنوا عند سماع القرآن وانا منا الصالحون وهم
الذين عملوا الصالحات المخلصون ومنا دون ذلك اى دون الصالحين فى الرتبة
عن ابن عباس وقتاده ومجاهد كنا طرايق قددا اى فرقا شتى على مذاهب مختلفة واهواء
متفرقة من مسلم وكافر وصالح ودون صالح عن ابن عباس ومجاهد وقيل قددا
الوانا شتى مختلفين عن سعيد بن جبير والحسن وقيل فرقا مباينة كل فرقة تباين
صاحبتها كما يبين المقدود بعضه من بعض قال السدى الجن امثالكم فيهم قدرية
ومرجئة ورافضة وشيعة وانا ظننا اى علمنا وتيقنا ان لن نعجز الله فى الارض
اى لن نفوته ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا اى انه يدركنا حيث كنا وانا لما
سمعنا الهدى امنا به اعترفوا بانهم لما سمعوا القران الذى فيه الهدى صدقوا
به ثم قالوا فمن يومن بربه اى يصدق بتوحيد ربه وعرفه على صفاته فلا يخاف
تقديره فانه لا يخاف بخسا اى نقصا قليلا ولا كثيرا وذلك انه اجره وثوابه موفر
عليه اتم ما يمكن فيه وقيل معناه فلا يخاف نقصا من حسناته ولا زيادة فى سياته عن ابن
عباس وقتاده والحسن وابن زيد قالوا لان البخس النقصان والرهق العدوان وهذا حكاية

عن قوة ايمان

عن قوة ايمان الجن وصحة اسلامهم ثم قالوا وانا منا المسلمون الذين استسلموا
لما امرهم الله سبحانه به وانقادوا لذلك ومنا القاسطون اى الجايرون
عن طريق الحق فمن اسلم لما امره الله به فاولئك تحروا رشدا اى توجهوا الى الرشد
والتمسوا الصواب الهدى وتعمدوا اصابة الحق وليسوا كالمشركين الذين
الغوا ما يدعوهم اليه الهوى وزاغوا عن طريق الهدى واما القاسطون
العادلون عن طريق الحق والدين وكانوا فى علم الله وحكمه لجهنم حطبا يلقون
فيها فتحرقهم كما تحرق النار الحطب او يكون معناه فيكونون لجهنم حطبا
توقد بهم كما توقد النار بالحطب وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم
ماء غدقا هذا ابتداء حكم من الله تع اى لو استقام الجن والانس على طريقة
الايمان عن ابن عباس والسدى وقيل اراد به مشركى مكة اى لو امنوا واستقاموا
وعلى الهدى لاسقيناهم ماء كثيرا من السماء وذلك بعد ما دفع المطر عنهم سبع سنين
عن مقاتل وقيل لو امنوا واستقاموا لوسعنا عليهم فى الدنيا وضرب الماء الغدق
مثلا لان الخير كله والرزق يكون فى المطر وهذا كقوله ولو انهم اقاموا التورية
الى قوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقوله لفتحنا عليهم بركات من السماء
والارض وقيل معناه لو استقاموا على طريقة الكفر فكانوا كفارا كلهم لاعطيناهم
مالا كثيرا ولوسعنا عليهم تغليظا للمحنة فى التكليف ولذلك قال لنفتنهم فيه
اى لنختبرهم بذلك عن الفراء وهو قول الربيع والكلبى والثمالى وابو مسلم وابن مجاز
ودليله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم الاية وقيل لنفتنهم معناه لنعاملهم
معاملة المختبر فى شدة التعبد بتكليف الانصراف عما تدعوا شهواتهم
اليه وفى ذلك المحنة الشديدة وهى الفتنة والمثوبة على قدر المشقة
فى الصبر عما تدعوا اليه الشهوة وروى عن عمر بن الخطاب انه قال فى هذه الاية
اينما كان الماء كان المال واينما كان المال كانت الفتنة وقيل معناه لنختبرهم
كيف يكون شكرهم للنعم عن سعيد بن المسيب وقتاده ومقاتل والحسن قالوا ولان يكون

الاستقامة على الطريقة محمولة على الاستقامة في الدين والايمان لانها لا تطلق
الا على ذلك ولانها في موضع التلطف في الاستدعاء الى الايمان والحث على الطاعة
وفي تفسير اهل البيت عليهم السلام عن ابي بصير قال قلت لابي جعفر عليه السلام قول الله
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هو والله ما انتم عليه ولو استقاموا
على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن بريد العجلي عن ابي عبد الله عليه السلام
قال معناه لافدناهم علما كثيرا يتعلمونه من الائمة ثم قال سبحانه على وجه التهديد
والوعيد ومن يعرض عن ذكر ربه اي ومن يعدل عن الكفر فيما يؤديه الى
معرفة الله وتوحيده والاخلاص في عبادته وقيل عن شكر الله وطاعته يسلكه
عذابا صعدا اي يدخله عذابا شاقا شديدا متصعدا في العظم وانما قال نسلكه
لانه تقدم ذكر الطريقة وقيل معناه عذابا صعدا اي ذا مشقة وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا تقديره ولان المساجد لله فلا تدعوا مع الله
احدا سوى الله عن الخليل والمعنى لا تذكروا مع الله في المواضع التي بنيت للعبادة
والصلوة احدا على وجه الاشراك في عبادته كما يفعل النصارى في بيعهم والمشركون
في الكعبة قال الحسن من السنة عند دخول المسجد ان يقال لا اله الا الله
لا ادعو مع الله احدا وقيل المساجد مواضع السجود من الانسان وهي
الجبهة والكفان واصابع الرجلين وعينا الركبتين وهي لله تعالى اذ خلقها
وانعم بها فلا ينبغي ان يسجد بها لاحد سوى الله عن سعيد بن جبير والزجاج
والفراء وروي ان المعتصم سال ابا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا عليهم السلام
عن قوله وان المساجد لله فقال هي الاعضاء السبعة التي يسجد عليها
وقيل المراد بالمساجد البقاع كلها وذلك لان الارض كلها جعلت للنبي صلى الله
عليه وآله مسجدا عن الحسن وقال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي ص كيف لنا ان ناتي
المسجد ونشهد معك الصلوة ونحن ناؤون عنك فنزلت الآية وروي عن
الحسن ايضا ان المساجد الصلوة وهي لله والمراد اخلصوا لله العبادة واقروا له

بالتوحيد

بالتوحيد ولا تجعلوا فيها لغير الله نصيبا وانه لما قام عبد الله يريد محمدا صلى الله
عليه وآله يدعوه بقول لا اله الا الله ويدعو اليه ويقرأ القرآن كادوا يكونون
عليه لبدا اي كاد الجن يركب بعضهم بعضا يزدحمون عليه حرصا منهم على استماع القرآن
عن ابن عباس والضحاك وقيل هو من قول الجن لاصحابهم حين رجعوا اليهم والمراد
ان اصحاب النبي صلى الله عليه وآله يزدحمون عليه لاستماع القرآن منه يود كل واحد
منهم ان يكون اقرب من صاحبه فيتلبد بعضهم على بعض عن سعيد بن جبير وقيل
هو من جملة ما اوحى الله الى النبي صلى الله عليه وآله بما كان من حرص الجن
على استماع القرآن وقيل معناه انه لما دعا قريشا الى التوحيد كادوا
يتراكبون عليه بالرجمة جماعات متكاثرات ليزيلوه بذلك عن الدعوة
وابى الله الا ان يظهره وينصره على من ناواه عن قتاده والحسن وعلى
هذا فيكون ابتداء كلام قال انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا وذلك
انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله انك جئت بامر عظيم لم نسمع مثله فارجع
عنه فاجابهم بهذا عن مقاتل وامره سبحانه بان يجيبهم بهذا فقال قل انما ادعوا
ربي وهذا يعضد قول الحسن وقتاده ولانه كالذم لهم على ذلك قوله عز وجل
قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا
قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا إِلَّا بَلَاغًا
مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ
عَدَدًا قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا عَالِمُ الْغَيْبِ
فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ
وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ثماني آيات القراءة قرأ يعقوب ليعلم بضم الياء والباقون
بفتح الياء والمعنيان متقاربان اللغة الملتحد الملتجأ بالميل اليه جهة والرصد

جمع راصد وهو الحافظ الاعراب بلاغا منصوب لانه بدل من ملتحدا اى لن اجد
ملجا الا ان ابلغ عن الله ما ارسلني به فهو ملجاى ورسالاته منصوب بالعطف
على محذوف التقدير الا بلاغا من الله اياته ورسالاته وقوله من اضعف
ناصرا جملة من مبتدا وخبر هي تعليق وناصرا نصب على التمييز وكذلك
قوله عددا وقوله اقريب ما توعدون الاستفهام معا وخبره تعليق
الا من ارتضى يجوز ان يكون مبتدا وقوله فانه يسلك خبره ويجوز ان يكون
استثناء منقطعا وعددا انتصابه على ضربين احدهما على معنى واحصى كل شيء
في حال العدد فلم يخف عليه سقوط ورقة ولا حبة ولا رطب ولا يابس والاخر ان يكون
في موضع المصدر لان معناه وكل شيء عددا عن الزجاج المعنى ثم خاطب سبحانه
نبيه عليه السلام فقال قل يا محمد للمكلفين اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اى لا اقدر
على دفع الضر عنكم ولا ايصال الخير اليكم وانما القادر على ذلك هو الله تعالى
ولكني رسول ليس علي الا البلاغ والدعاء الى الدين والهداية الى الرشاد
وهذا اعتراف بالعبودية واضافة الحول والقوة اليه سبحانه ثم قال قل لهم يا محمد
اني لن يجيرني من الله احد اى لا يمنعني احد مما قدره الله علي ولن اجد ايضا
من دونه ملتحدا اى ملجا اليه اطلب فيه السلامة الا بلاغا من الله اى تبليغا
من الله اياته ورسالاته فانه ملجاى ومنجاى وملتحدى ولي فيه الامن والنجاة
عن الحسن والجبائي وقيل معناه لا املك لكم ضرا ولا رشدا فما علي الا البلاغ عن الله
فكانه قال لا املك شيئا سوى تبليغ وحي الله بتوفيقه وعونه عن قتادة وقيل
ان قوله الا بلاغا يحتمل معنيين احدهما الا ما بلغني من الله اى لا يجيرني شيء الا ما
اتاني من الله فلا فرق بين ان يقول بلغني كتابه وان يقول اتاني كتابه والثاني
الا تبليغ ما انزل الي فاما القبول والايمان فليس الي وانما ذلك اليكم عن ابي مسلم
وقيل انه عطف رسالاته على البلاغ فوجب ان يكون غيره فالاولى ان يكون اراد
بالبلاغ ما بلغه من توحيد الله وعدله وما يجوز عليه وما لا يجوز واراد بالرسالة

ما ارسل

ما ارسل لاجله من بيان الشرايع ولما بين سبحانه انه لا ملجا من عذابه الا طاعته
عقبه بوعيد من فارق معصيته فقال ومن يعص الله ورسوله اى خالف
امره في التوحيد وارتكب الكفر والمعاصي فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا
جزاء على ذلك حتى اذا راوا في الاخرة ما يوعدون به من العقاب في الدنيا وقيل
هو عذاب الاستيصال فسيعلمون عند ذلك من اضعف ناصرا واقل عددا انا ام
المؤمنون وقيل احزب الله ام الذي عبده المشركون وانما قال من اضعف
ناصرا ولا ناصر لهم في الاخرة لانه جاء على جواب من توهم انه ان كانت الاخرة فناصرهم
اقوى وعددهم اكثر وفي هذا دلالة على ان المراد بقوله ومن يعص الله ورسوله
الكفار وكانوا يفتخرون على النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة جموعهم ويصفونه
بقلة العدد فبين سبحانه ان الامر سينعكس عليهم قل يا محمد ان ادري اى لست
اعلم اقريب ما توعدون به من العذاب ام يجعل له ربي امدا اى مهلة وغاية
ينتهي اليها قال عطا اراد انه لا يعرف يوم القيمة الا الله وحده عالم الغيب
يعلم متى يكون القيمة فلا يظهر على غيبه احدا اى لا يطلع على الغيب احدا من عباده
ثم استثنى فقال الا من ارتضى من رسول يعني الرسل فانه يستدل على نبوتهم
بان يخبروا بالغيب ليكون اية معجزة لهم ومعناه ان من ارتضاه واختاره للنبوة
والرسالة فانه يطلعه على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحة
وهو قوله فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا والرصد الطريق
اى يجعل له الى علم ما كان قبله من الانبياء والسلف وعلم ما يكون بعده طريقا
وقيل معناه انه يحفظ الذي يطلع عليه الرسول فيجعل بين يديه وخلفه رصدا
من الملائكة يحوطون الوحي من ان يسترقه الشياطين فتلقيه الى الكهنة
وقيل رصدا من بين يدي الرسول ومن خلفه وهم الحفظة من الملائكة يحرسونه
عن شر الاعداء وكيدهم فلا يصل اليهم شرهم وقيل المراد به جبرئيل عليه السلام
اى يجعل من بين يديه ومن خلفه رصدا كالحجاب تعظيما لما يحمله من الرسالة

كما جرت عادة الملوك بان يضموا الى الرسول جماعة من خواصهم تشريفا لهم وهذا
كما روى ان سورة الانعام نزلت ومعها سبعون الف ملك ليعلم الرسول ان قد
ابلغوا يعنى الملائكة قال سعيد بن جبير ما نزل جبرئيل بشئ من الوحى الا ومعه
اربعة من الملائكة حفظه فيعلم الرسول ان قد بلغ الرسالة على الوجه الذى
قدامر به وقيل ليعلم من كذب الرسل ان الرسل قد ابلغوا رسالات الله عن مجاهد
وقيل ليعلم محمد ان الرسل قبله قد بلغوا جميعهم رسالات ربهم كما ابلغ هو واذا كانوا
محروسين محفوظين بحفظ الله عن قتاده وقيل ليعلم الله ان قد ابلغوا عن
الزجاج ومعناه ليظهر المعلوم على ما كان سبحانه عالما به وبعلمه واقعا كما كان
يعلم انه سيقع وقيل اراد ليبلغوا فجعل بدل ذلك قوله ليعلم ابلاغهم توسعا
عن الجبائى وهذا كما يقول الانسان ما علم الله ذلك منى اى ما كان ذلك اصلا
لانه لو كان لعلمه الله كذلك فوضع العلم موضع الكون واحاط بما لديهم اى احاط
الله علما بما لدى الانبياء والخلائق وهم لا يحيطون الا بما يطلعهم الله عليه
ما هو عند الله واحصى كل شئ عددا اى احصى ما خلق وعرف ما خلق لم يفته علم
شئ حتى مثاقيل الذر والخردل عن ابن عباس وقيل معناه عد جميع المعلومات
المعدومة والموجودة عدا فعلم صغيرها وكبيرها وقليلها وكثيرها وما يكون
وما لا يكون وما كان ولو لم يكن لو كان كيف كان وقيل معناه لا شئ يعلمه
عالم او يذكره ذاكر الا وهو تعالى عالم به ومحص اياه عن الجبائى قال الاحصاء فعل
وليس هو بمنزلة العلم فلا يجوز ان يقال احصى ما لا يتناهى كما لا يجوز ان يقال علم
ما لا يتناهى فان حمل على العلم تناول جميع المعلومات وان حمل على العد تناول الموجودات

سورة المزمل مكية وقيل مدنية وقيل بعضها مكى وبعضها مدنى عدد آيها
ثمانى عشرة آية المدنى الاخير وتسع عشرة بصرى عشرون فى الباقين اختلافها
ثلاث آيات المزمل كوفى شامى والمدنى الاول شيبا غير المدنى الاخير اليكم رسولا
مكى فضلها ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قرا المزمل دفع عنه

العشر فى الدنيا والاخرة منصور بن حازم عن ابى عبد الله عليه السلم قال ومن قرا سورة
المزمل فى العشاء الاخرة او فى اخر الليل كان له الليل والنهار شاهدين مع
السورة واحياه الله حيوة طيبة واماته ميتة طيبة تفسيرها لما ختم الله
سورة الجن بذكر الرسل افتتح هذه السورة بذكر نبينا خاتم الرسل صلعم فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد
عليه ورتل القران ترتيلا انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ان ناشئة الليل
هى اشد وطأ واقوم قيلا ان لك فى النهار سبحا طويلا واذكر اسم
ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا
واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا عشر آيات القراءة قرا ابو عمرو
وابن عامر وطاء بكسر الواو والمد والباقون وطا بفتح الواو وسكون الطاء
مقصورا وقرا اهل الكوفة غير حفص وابن عامر ويعقوب رب المشرق بالجر
والباقون بالرفع وفى الشواذ قراءة عكرمة المزمل والمدثر خفيفة الزاى
والدال مشددة الميم والثاء وقرا ابو السمال قم الليل بضم الميم الحجة من قرا
اشد وطاء فمعناه مواطاة اى موافقة وملائمة ومنه ليواطئوا عدة
ما حرم الله اى ليتوافقوا والمعنى ان صلوة ناشئة الليل وعمل ناشية الليل
يواطى السمع القلب فيها اكثر مما يواطى فى ساعات النهار ولان البال
افرغ لانقطاع كثير مما يشغل بالنهار ومن قال وطأ فالمعنى انه اشق على
الانسان من القيام بالنهار لان الليل للدعة والسكون وجاء فى الحديث
اللهم اشدد وطاتك على مضر واقوم قيلا اى اشد استقامة وصوابا
بفراغ البال وانقطاع ما يشغله قال له ولها وقع بكل قراره ووقع
بمستن الفضا قويم اى مستقيم والناشئة ما يحدث وينشا من ساعات
الليل والرفع فى رب المشرق يحتمل امرين احدهما انه لما قال واذكر اسم ربك قطعه

من الاول فقال هو رب المشرق فيكون خبر مبتدا محذوف والاخر ان يكون مبتدا
وخبره الجملة التى هى لا اله الا هو ومن جر فعلى اتباعه قوله اسم ربك واما قوله
المزمل بتخفيف الزاى فعلى حذف المفعول به يا ايها المزمل نفسه والمدثر نفسه
وحذف المفعول كثير قال الحطيئه شعر منعمه تصون اليك منها: كصونك من رداء
شرعبى: اى تصون حديثا وتخزنه كقول الشنفرى شعر كان لها فى الارض نسيا تقصه
على امها وان تكلمك تبلت ومن قرا المزمل وضم فيمكن ان يكون ضمه للاتباع اللغة
المزمل المتزمل فى ثيابه ادغم التاء فى الزاى لان الزاء قريبة المخرج من التاء
وهى اندى فى المسموع من التاء وكل شئ لفف فقد زمل قال امرء القيس شعر كان ثبيرا
فى عرانين وبله: كبير اناس فى بجاد مزمل والنصف احد قسمى الشئ المتساوى للاخر
فى المقدار كما ان الثلث جزء من ثلثه والربع جزء من اربعة وهذه من صفات
الاجسام فاذا رفعنا لتالفات عنها بقيتا اجزاء لا توصف بان لها نصفا
او ثلثا او ربعا والعرض لا يوصف بالنصف والجزء والقديم لا يوصف ايضا بذلك
لان هذه عبارات تتغير مولفات على وجه فان قيل فاذا يجب ان لا يكون وصف القديم
سبحانه بانه واحد مدحا فالجواب ان معنى قولنا انه واحد اختصاصه بصفات
لا يستحقها غيره وهى كونه قادرا عالما لذاته قديما ونحو ذلك واذا قيل انه لا يجزى
لم يمدح الا ان يقال انه حى لا يجزى بخلاف غيره من الاحياء والترتيل ترتيب
الحروف على حقها فى تلاوتها تثبت فيها والحدر هو الاسراع فيها وكلاهما حسن الا
ان الترتيل هنا هو المرغب فيه والالقا مثل التلقيه تقول لقيت على فلان مسئلة
والاقوام الاخلص استقامة والسبح التقلب ومنه السابح فى الماء لتقلبه فيه وقرا
يحيى بن يعمر والضحاك سبخا طويلا بالخاء ومعناه التوسعة يقال سبخت القطن
اذا وسعته للندف ومنه قول النبى صلى الله عليه وآله لعايشه وقد سمعها تدعو على
سارق لا تسبخى عنه بدعائك عليه اى لا تخففى ويقال لقطع القطن اذا ندف سبائخ
قال الاخطل يصف القناص والكلاب شعر فارسلوهن يذرين التراب كما يذرى سبائخ
قطن ندف

قطن ندف اوتار وقال ثعلب السبخ التردد والاضطراب والسبخ السكون ومنه
قول النبى صلى الله عليه وآله الحمى من فيح جهنم فسبخوها بالماء اى اسكنوها
والتبتل الانقطاع الى الله عز وجل واخلاص العبادة له قال امرؤ القيس
شعر يضئ الظلام بالعشى كانه: منارة ممسى راهب متبتل: فاصله من تبتلت
الشئ قطعته وصدقة بتة بتله اى بائنة مقطوعة من صاحبها الاسبيل
له عليها ومنها البتول عليها السلام لانقطاعها الى عبادة الله عز وجل الاعراب
الليل نصب على الظرف الا قليلا نصب على الاستثناء تقديره الا شيئا قليلا منه
لا يقوم فيه تم بين القدر فقال نصفه قال الزجاج ان نصفه بدل من الليل
كما تقول ضربت زيدا راسه فانما ذكرت زيدا لتوكيد الكلام وهو اوكد من قولك
ضربت راس زيد فالمعنى قم نصف الليل الا قليلا او انقص من النصف وزد على
النصف وذكر او انقص منه قليلا بمعنى الا قليلا ولكنه ذكر مع الزيادة فالمعنى
قم نصف الليل او انقص من نصف الليل او زد على نصف الليل المعنى يا ايها المزمل
معناه يا ايها المتزمل بثيابه المتلفف بها عن قتاده وقيل يا ايها المتزمل بعب النبوة
اى المتحمل لاثقالها عن عكرمه وقيل معناه يا ايها النائم وكان قد تزمل للنوم
عن السدى وقيل كان يتزمل بالثياب فى اول ما جاءه جبرئيل عليه السلام خوفا حتى
انس به وانما خوطب بهذا فى بدء الوحى ولم يكن قد بلغ شيئا ثم خوطب بعد ذلك
بالنبى والرسول قم الليل للصلوة الا قليلا والمعنى صل بالليل قليلا من الليل فان
القيام بالليل عبارة عن الصلوة بالليل نصفه بدل من الليل فيكون بيانا للمستثنى
منه اى قم نصف الليل ومعناه صل من الليل النصف الا قليلا وهو قوله او انقص
منه قليلا اى من النصف وزد عليه على النصف قال المفسرون او انقص من النصف قليلا
الى الثلث وزد على النصف الى الثلثين وقيل ان نصفه بدل من القليل فيكون بيانا
للمستثنى والمعنى فيهما سواء ويويد هذا القول ما روى عن الصادق عليه السلام قال
القليل النصف او انقص من القليل قليلا او زد على القليل قليلا وقيل معناه قم نصف الليل

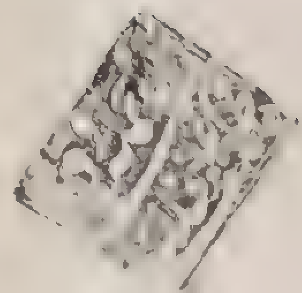
النصف

الا قليلاً من الليالي وهي ليالي العذر كالمرض وغلبة العين ونحوها او انقص منه
قليلاً او زد عليه ذكره الامام علي بن ابي طالب رحمه الله خير الله سبحانه نبيه
في هذه الساعات للقيام بالليل وجعله موكولاً الى رايه وكان النبي صلى الله
عليه وآله وطايفة من المؤمنين معه يقومون على هذه المقادير وشق ذلك عليهم
وكان الرجل منهم لا يدري كم صلى وكم بقي من الليل وكان يقوم الليل كله مخافه
ان لا يحفظ القدر الواجب حتى خفف الله عنهم باخر هذه السورة وعن قتاده
عن زراره بن اوفى عن سعد بن هشام قال قلت لعايشه انبئيني عن قيام رسول
الله صلى الله عليه وآله فقالت الست تقرا يا ايها المزمل قلت بلى قالت فان الله
افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام نبي الله عليه السلام واصحابه حولا وامسك الله
خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء حتى انزل الله في اخر هذه السورة التخفيف فصار
قيام الليل تطوعاً بعد ان كان فريضة وقيل كان بين اول السورة واخرها
الذي نزل فيه التخفيف عشر سنين عن سعيد بن جبير وقيل كان هذا بمكه
قبل فرض الصلوات الخمس ثم نسخ بالخمس عن ابن كيسان ومقاتل وقيل لما نزل اول
المزمل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان فكان بين اولها واخرها
سنه عن ابن عباس وقيل ان الاية الاخيرة نسخت الاولى عن الحسن وعكرمه وليس في ظاهر
الايات ما يقتضي النسخ فالاولى ان يكون الكلام على ظاهره فيكون القيام بالليل
سنه موكدة مرغبا فيه وليس بفرض ورتل القران ترتيلا اي بينه بيانا واقراه
على هينتك ثلث ايات واربعا وخمسا عن ابن عباس قال الزجاج والبيان لا يتم
بان تعجل في القران انما يتم بان تبين جميع الحروف وتوفيها حقها من الاشباع قال
ابو حمزة قلت لابن عباس اني رجل في قراتي وكلامي عجلة فقال ابن عباس لان اقرا
البقرة ارتلها احب الي من ان اقرا القران كله وقيل معناه ترسل فيه ترسلا عن مجاهد
وقيل معناه تثبت فيه تثبيتا عن قتاده وروي عن امير المؤمنين عليه السلام في معناه
انه قال بينه تبيانا ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن اقرع به القلوب

القاسية ولا يكونن هم احدكم اخر السورة وعن ابي عبد الله ع قال اذا مررت
باية فيها ذكر الجنة فسل الله الجنة واذا مررت باية فيها ذكر النار فتعوذ
بالله من النار وقيل الترتيل هو ان تقرا على نظمه وتواليه ولا تغير لفظا
ولا تقدم موخرا وهو ماخوذ من ترتل الاسنان اذا استوت وحسن انتظامها
وثغر رتل اذا كانت اسنانه مستوية لا تفاوت فيها وقيل رتل معناه ضعف
والرتل اللين عن قطرب قال والمراد بهذا تحزين القران اي اقراه بصوت حزين
ويعضده ما رواه ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام في هذا قال هو ان تتمكث
فيه وتحسن به صوتك وروي عن ام سلمه انها قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وآله يقطع قراته اية اية وعن انس قال كان يمد صوته مدا وعن عبد الله
بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل
كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند اخر اية تقراها انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا اي سنوحي اليك قولاً يثقل عليك وعلى امتك اما ثقله عليه فلما فيه من تبليغ
الرسالة وما يلحقه من الاذى فيه وما يلزمه من قيام الليل ومجاهدة النفس
وترك الراحة والدعة واما ثقله على امته فلما فيه من الامر والنهي والحدود
وهذا معنى قول قتاده ومقاتل والحسن قال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك
وكما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيمة وقيل ثقيلا لا يحمله الا قلب مويد
بالتوفيق ونفس مويده بالتوحيد وقيل ثقيلا ليس بالسفساف الخفيف لانه
كلام ربنا جلت عظمته عن الفراء وقيل معناه قولا عظيم الشان كما يقال
هذا كلام رصين وهذا كلام له وزن اذا كان واقعا موقعه وقيل قولا
ثقيلا نزوله فانه صلعم كان يتغير حاله عند نزوله ويعرق واذا كان
راكبا يبرك راحلته ولا يستطيع المشي وسال الحرث بن هشام رسول الله
صلى الله عليه وآله فقال يا رسول كيف ياتيك الوحي فقال صلى الله عليه وآله
احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس فهو اشد علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال

واحيانا يتمثل الملك رجلا فاعي ما يقول قالت عايشه انه ليوحى الى رسول الله
وهو على راحلته يضرب بجرانها قالت ولقد رايته ينزل عليه في اليوم الشديد
البرد فينفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وقيل ثقيلا على الكفار لما فيه
من الكشف عن جهلهم وضلالهم وسفه احلامهم وقبح فعالهم ان ناشية الليل
هي اشد وطأ معناه ان ساعات الليل لانها ساعة بعد ساعة وتقديره
ان جماعات الليل الناشية وقال ابن عباس هو الليل كله لانه ينشا بعد النهار
وقيل مجاهد هي ساعات التهجد من الليل وقيل هي بالحبشية قيام الليل عن ابن مسعود
وسعيد بن جبير وقيل هي القيام بعد النوم عن عايشه وقيل هي ما كان بعد العشاء
الاخرة عن الحسن وقتاده والمروى عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالا هي القيام
في اخر الليل لصلوة الليل هي اشد وطأ اى اكثر ثقلا وابلغ مشقه لان الليل وقت
الراحة والعمل يشق فيه ومن قال وطاء فالمعنى اشد مواطاة للسمع والبصر يتوافق
فيها قلب المصلي ولسانه وسمعه على التفهم والتفكر اذ القلب غير مشتغل بشيء
من امور الدنيا واقوم قيلا اى اصوب للقراءة واثبت للقول لفراغ البال وانقطاع
ما يشغل القلب عن انس ومجاهد وابن زيد وقال ابو عبد الله عليه السلام هو قيام
الرجل عن فراشه لا يريد به الا الله تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا معناه
ان لك يا محمد في النهار منصرفا ومنقلبا الى ما يقتضي فيه حوايجك عن قتاده
والمراد ان مذاهبك في النهار ومشاغلك كثيرة فانك تحتاج فيه الى تبليغ
الرسالة ودعوة الخلق وتعليم الفرايض والسنن واصلاح المعيشة لنفسك
وعيالك وفي الليل يفرغ القلب للتذكر والقراءة فاجعل ناشية الليل لعبادة ربك
لتاخذ بحظك من خير الدنيا والاخرة وفي هذا دلالة على انه لا عذر لاحد
في ترك صلوة الليل لاجل التعليم والتعلم لان النبي صلى الله عليه واله كان يحتاج
الى التعليم اكثر مما يحتاج الواحد منا اليه ثم لم يرض سبحانه منه ان يترك
حظه من قيام الليل واذكر اسم ربك يعني اسماء الله تعالى التي تعبد بالدعاء بها

وقيل اقرا



وقيل اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلوتك توصلك بركة قراتها الى ربك
وتقطعك من كل ما تكره وقيل واقصد بعملك وجه ربك وتبتل اليه تبتيلا
اى اخلص له اخلاصا عن ابن عباس وغيره يعني في الدعاء والعبادة وقيل
انقطع اليه انقطاعا عن عطا وهو الاصل وقيل توكل عليه توكلا عن شقيق وقيل
تفرغ لعبادته عن ابن زيد وقد جاء في الحديث النهي عن التبتل والمراد الانقطاع
عن الناس والجماعات وكان يجب ان يقول تبتلا الا ان المراد بتلك الله
عن المخلوقين واصطفاك لنفسه تبتيلا فتبتل انت ايضا اليه وقيل انما قال
تبتيلا ليطابق اواخر ايات السورة وروى محمد بن مسلم وزراره وحمران عن ابي جعفر
وابي عبد الله عليهما السلام ان التبتل هنا رفع اليدين في الصلوة وفي رواية ابي بصير قال
هو رفع يدك الى الله وتضرعك اليه رب المشرق والمغرب اى رب العالم بما فيه
لانه بين المشرق والمغرب وقيل رب مشرق الشمس ومغربها والمراد اول النهار واخره
فاضاف النصف الاول من النهار الى المشرق والنصف الاخر منه الى المغرب وقيل
مالك المشرق والمغرب اى المتصرف فيما بينهما والمدبر لما بينهما لا اله الا هو
اى لا احد تحق له العبادة سواه فاتخذه وكيلا اى حفيظا للقيام بامرك
وقيل معناه فاتخذه كافيا لما وعدك به واعتمد عليه وفوض امرك اليه تجده
خير حفيظ وكاف واصبر على ما يقولون لك يعني الكفار من التكذيب والاذى و
النسبة الى السحر والكهانة واهجرهم هجرا جميلا والهجر الجميل اظهار الموجدة عليهم
من غير ترك الدعاء الى الحق على وجه المناصحة قال الزجاج هذا يدل على انه نزل
قبل الامر بالقتال وقيل بل هو امر بالتلطف في استدعائهم فيجب مع القتال ولا نسخ
وفي هذا وجوب الصبر على الاذى لمن يدعو الى الدين والمعاشرة باحسن الاخلاق
واستعمال الرفق ليكونوا اقرب الى الاجابة قوله عز وجل وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا
أَلِيمًا يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ

من سمآء جهنم وقيل يعني نارا عظيمة ولا يسمى القليل به وطعاما ذا غصة
اى ذا شوك ياخذ الحلوق فلا يدخل ولا يخرج عن ابن عباس وقيل طعاما باخذ بالحلقوم
لخشونته وشدة تكرهه وقيل يعني الزقوم والضريع وروى عن حمران بن اعين
عن عبد الله بن عمران النبي صلى الله عليه وآله سمع قاريا يقرا هذا فصعق وعذابا
اليما اى عقابا موجعا مولما ثم بين سبحانه متى يكون ذلك فقال يوم ترجف الارض
اى تحرك باضطراب شديد والجبال اى وترجف الجبال معها ايض وتضطرب
بمن عليها وكانت الجبال كثيبا مهيلا اى رملا سايلا متناثرا عن ابن عباس
وقيل المهيل الذى اذا وطئته القدم زل من تحتها واذا اخذت اسفله انهار
اعلاه عن الضحاك والمعنى ان الجبال تنقلع من اصولها فتصير بعد صلابتها
كالرمل السايل ثم اكد سبحانه الحجة على اهل مكة فقال انا ارسلنا اليكم رسولا يعني محمدا
صلى الله عليه وآله شاهدا عليكم اى يشهد عليكم فى الاخرة بما يكون منكم فى الدنيا
كما ارسلنا الى فرعون بمصر رسولا يعني موسى بن عمران عليه السلام فعصى فرعون
الرسول ولم يقبل منه ما دعاه اليه فاخذناه بالعذاب اخذا وبيلا اى ثقيلا
شديدا مع كثرة جنوده وسعة ملكه يعني الغرق حذرهم سبحانه ان ينالهم
مثل ما نال فرعون وقومه وكيف تتقون ان كفرتم ولم تومنوا برسولكم يوما
اى عقاب يوم يجعل الولدان شيبا وهو جمع اشيب وهذا وصف لذلك اليوم
وشدته كما يقال هذا امر يشيب منه الوليد وتشيب منه النواصى اذا كان عظيما
شديدا والمعنى باى شئ تحصنون من عذاب ذلك اليوم ان كفرتم وكيف
تدفعون عنكم ذلك قال النابغة شعر سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته
واتقينا باليد اى دفعتنا ثم زاد سبحانه فى وصف شدة ذلك اليوم فقال
السمآء منفطر به الهاء تعود الى اليوم وهذا كما يقال فلان بالكوفة اى هو فيها
والمعنى ان السمآء تنفطر وتنشق فى ذلك اليوم من هوله وقيل بسبب ذلك
اليوم وهوله وشدته وقيل بامر الله وقدرته ولم يقل منفطرة لان لفظة السمآء

رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ
فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا
السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ
إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا تسع آيات اللغة تذر وتدع بمعنى ترك ولا يقال وذر ولا ودع
واستغنى بترك عن ذلك لان الابتداء بالواو عندهم مكروه ولذلك ابدلوا
منها الهمزة فى اقتت والتاء فى تخمه وتراث والنعمة بفتح النون لين الملمس وضدها
الخشونة والنعمة الثروة والمنة ايض والنعمة بضم النون المسرة يقال نعم ونعمة
عين والانكال القيود واحدها نكل والغصة تردد اللقمة فى الحلق لا يسيغها
الكلها يقال غص بريقه يغص غصصا وفى قلبه غصة من كذا وهى كالذعرة التى
لا يسوغ معها الطعام والشراب قال عدى بن زيد لو بغير الماء حلقى شرق
كنت كالغصان بالمآء اعتصارى والكثيب الرمل المجتمع الكثير وهلت الرمل اهيله
هيلا فهو مهيل اذا حركت اسفله فسال اعلاه ومنه الحديث كيلوا ولا تهيلوا وكل ثقيل
وبيل ومنه كلاء مستوبل اى مستوخم لا يستمرا لثقله ومنه الوبل والوابل وهو المطر
العظيم القطر ومنه الوبال وهو ما يغلظ على النفس والوبيل ايض الغليظ من العصى قال طرفة
فمرت كهاة ذات خيف جلالة عقيلة شيخ كالوبيل يلندد المعنى ثم قال سبحانه
مهددا للكفار وذرنى يا محمد والمكذبين الذين يكذبونك فيما تدعوهم اليه
من التوحيد والعبادة وفى البعث والجزآء وهذا كما يقول القايل دعنى واياه
اذا اراد ان يهدده وهو نصب على انه مفعول معه اولى النعمة يعنى المتنعمين
ذوى الثروة فى الدنيا اى كل جزاءهم الى ولا تشغل قلبك بمجازاتهم ومهلهم
قليلا وهذا ايض وعيد لهم ولو لم يكن الا يسيرا حتى كانت وقعة بدر وقيل المعنى
واخرهم فى المدة قليلا قال مقاتل نزلت فى المطعمين ببدر وهم عشرة ذكرناهم
فى الانفال وقيل نزلت فى صناديد قريش والمستهزين ان لدينا انكالا اى عندنا
فى الاخرة قيودا عظاما لا تفك ابدا عن مجاهد وقتاده وقيل اغلالا وجحيما وهو اسم

مذكر فيجوز ان يذكر ويونث فمن ذكر اراد السقف وقيل معناه ذات انفطار
كما يقال امراة مطفل اى ذات اطفال ومرضع اى ذات رضاع فيكون على طريق
النسبة كان وعده مفعولاً اى كائناً لا خلف فيه ولا تبديل ان هذه الصفة التى
ذكرناها وبيناها تذكرة اى عظة لمن انصف من نفسه والتذكرة الموعظة
التى يذكر بها ما يعمل عليه فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اى فمن شاء من المكلفين
اتخذ الى ثواب ربه سبيلا لانه قادر على الطاعة التى لو فعلها وصل الى الثواب
وقد رغبه الله تع فيه ودعاه الى فعل ما يوصله اليه وبعث رسولاً يدعوا
اليه فمن لم يصل اليه فنسبوا اختياره الضرر عنه قوله عز وجل ان ربك
يَعْلَمُ اَنَّكَ تَقُومُ اَدْنٰى مِنْ ثُلُثَىِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ
مَعَكَ وَاللّٰهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ اَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ
فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْاٰنِ عَلِمَ اَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضٰى وَاٰخَرُونَ يَضْرِبُونَ
فِى الْاَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ وَاٰخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ فَاقْرَؤُا
مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ وَاَقْرِضُوا اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا
وَمَا تُقَدِّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّٰهِ هُوَ خَيْرًا وَاَعْظَمَ اَجْرًا
وَاسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اية واحدة القراءة قرا ابن كثير
واهل الكوفة ونصفه وثلثه بالنصب والباقون بالجر الحجة قال ابو على من نصب
حمله على ادنى وادنى فى موضع نصب قال ابو عبيدة ادنى اقرب فكانه ان ربك
يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل وتقوم نصفه وثلثه ومن جر فانه
يحمله على الجار قال ابو الحسن وليس المعنى عليه فيما بلغنا ان المعنى يكون على ادنى
من نصفه وادنى من ثلثه قال وكان الذى افترض الثلث واكثر من الثلث
قال فاما الذين قروا بالجر فعلى ان يكون المعنى انكم لم تودوا ما فرض الله
عليكم فتقوموا ادنى من ثلثى الليل ومن نصفه ومن ثلثه المعنى ثم خاطب
سبحانه نبيه عليه السلام فقال ان ربك يا محمد يعلم انك تقوم ادنى اى اقرب واقل

من ثلثى الليل

من ثلثى الليل ونصفه وثلثه اى واقل من نصفه ومن ثلثه والهاء
تعود الى ثلثى الليل اى نصف الليل وثلث الليل والمعنى انك تقوم فى
بعض الليالى قريبا من الثلثين وفى بعضها قريبا من نصف الليل
وقريبا من ثلثه وقيل ان الهاء تعود الى الثلثين واقرب من نصف
الثلثين ومن ثلث الثلثين واذا نصبت فالمعنى تقوم نصفه
وثلثه وتقوم طائفة من الذين معك على الايمان وروى الحاكم ابو
القسم ابرهيم الحسكانى باسناده عن الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس
فى قوله وطآئفة من الذين معك قال على وابوذر والله يقدر الليل
والنهار اى يقدر اوقاتهما لتعملوا فيها على ما يامركم به وقيل معناه لا يفوته
علم ما تفعلون عن عطا والمراد انه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر
الذى تقومونه من الليل علم ان لن تحصوه قال مقاتل كان الرجل يصلى
الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر به من القيام فقال سبحانه علم ان لن
تحصوه اى لن تطيقوا معرفة ذلك وقال الحسن قاموا حتى انتفخت اقدامهم وقال
سبحانه انكم لا تطيقون احصاءه على الحقيقة وقيل معناه لن تطيقوا المداومة
على قيام الليل ويقع منكم التقصير فيه فتاب عليكم بان جعله تطوعا ولم
يجعله فرضا عن الجبائى وقيل معناه لم يلزمكم اثما كما لا يلزم التائب اى رفع
التبعة فيه كرفع التبعة عن التائب وقيل فتاب عليكم اى فخفف عليكم فاقرؤا
ما تيسر من القران الان يعنى من صلوة الليل عن اكثر المفسرين واجمعوا
ايضا على ان المراد بالقيام المتقدم فى قوله قم الليل هو القيام الى الصلوة
الا ابا مسلم فانه قال اراد القيام لقراءة القران لا غير وقيل معناه فصلوا
ما تيسر من الصلوة وعبر عن الصلوة بالقران لانها تتضمنه ومن قال
المراد به قراءة القرآن فى غير الصلوة فهو محمول على الاستحباب عند الاكثرين
دون الوجوب لانه لو وجبت القراءة لوجب الحفظ وقال بعضهم هو محمول على الوجوب

لان القارى يقف على اعجاز القرآن وما فيه من دلائل التوحيد وارسال الرسل
ولا يلزم حفظ القرآن لانه من القرب المستحبة المرغب فيها ثم اختلفوا فى القدر
الذى تضمنه هذا الامر من القراءة فقال سعيد بن جبير خمسون آية وقال
ابن عباس مائة آية وعن الحسن قال ومن قرا مائة آية فى ليلة لم يحاجه القرآن
وقال كعب من قرا مائة آية فى ليلة كتب من القانتين وقال السدى مائتا آية
وقال جويبر ثلث القرآن لان الله يسره على العباد والظاهر ان معنى ما تيسر
مقدار ما اردتم واحببتم علم ان سيكون منكم مرضى وذلك يقتضى التخفيف
عنكم واخرون اى ومنكم قوم آخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل
الله اى يسافرون للتجارة وطلب الارباح عن ابن عباس وآخرون اى ومنكم
قوم آخرون يقاتلون فى سبيل الله فكل ذلك يقتضى التخفيف عنكم فاقرؤا
ما تيسر منه وروى عن الرضا عليه السلم عن ابيه عن جده قال ما تيسر منه لكم فيه
جمع القلب وصفا السر واقيموا الصلوة بحدودها التى اوجبها الله عليكم
واتوا الزكوة المفروضة واقرضوا الله قرضا حسنا اى وانفقوا فى سبيل الله
والجهات التى امركم الله وندبكم الى النفقة فيها وقد مر معنى القرض
فيما تقدم وما تقدموا لانفسكم من خير اى طاعة تجدوه اى تجدوا ثوابه
عند الله هو خيرا لكم من الشح والتقصير واعظم اجرا اى افضل ثوابا وهو هنا
يسمى فصلا عند البصريين وعمادا عند الكوفيين ويجوز ان يكون هو
صفة للهاء فى تجدوه واستغفروا الله اى اطلبوا مغفرته ان الله غفور رحيم
اى ستار لذنوبكم صفوح عنكم رحيم بكم منعم عليكم وقال عبد الله بن مسعود
ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه
كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرا وآخرون يضربون فى الارض الاية وقال
ابن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل فى سبيل الله احب الى من ان اموت
بين شعبتى رحلى اضرب فى الارض ابتغى من فضل الله وقيل ان هذه الاية مدنية وقيل

عليه ان الصلوة والزكوة لم توجبا بمكة وقيل وجبتا بمكة والاية مكية

سورة المدثر مكية وهى خمسون وست آيات عراقى والبزى والمدنى الاول
وخمس شامى والمدنى الاخير والمكى غير البزى اختلافها آيتان يتساءلون
غير المدنى الاخير عن المجرمين غير الشامى والمكى الا البزى فضلها ابى بن كعب
عن النبى صلى الله عليه وآله قال ومن قرا سورة المدثر اعطى من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة محمد بن مسلم عن ابى جعفر عليه السلم قال من قرا
فى الفريضة سورة المدثر كان حقا على الله ان يجعله مع محمد فى درجته ولا يدركه
فى حيوة الدنيا شقاء ابدا تفسيرها لما امر سبحانه نبيه فى اخر المزمل بالصلوة وغيرها
امره فى مفتتح هذه السورة بالانذار فكانه امره ان يبدا بنفسه ثم بالناس فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ
وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ
يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ عشر آيات القراءة قرا ابو جعفر و
يعقوب وسهل والرجز بالضم والباقون بكسر الراء وقرا الحسن تستكثر بالجزم وقرا
الاعمش تستكثر بالنصب والقراءة بالرفع الحجة الرجز بالضم قراءة الحسن وهو اسم
صنم فيما زعموا وقال قتادة هما صنمان اساف ونايلة ومن كسر فهو العذاب
والمعنى ذات العذاب فاهجر لان عبادتها تودى الى العذاب ويجوز ان يكون
الرجز والرجز لغتين كالذكر والذكر وقال ابن جنى الجزم فى يستكثر يحتمل
امرين احدهما ان يكون بدلا من تمنن فكانه قال لا تستكثر فان قيل فغير
البدل ان تصلح لاقامة الثانى مقام الاول وان تستكثر لا يدل لك النهى على
المن للاستكثار وانما المعنى لا تمنن من مستكثر قيل قد يكون البدل على حذف
الاول قد يكون على نية ثباته وذلك كقولك زيد مررت به ابى محمد فبدل
ابا محمد من الهاء ولو قلت زيد مررت بابى محمد كان قبيحا فقوله ولا تمنن تستكثر

من هذا القبيل وانكر ابو حاتم الجزم على البدل والاخران يكون اراد تستكثر
فاسكن الراء لثقل الضمة مع كثرة الحركات كما حكى ابو زيد من قولهم بلى ورسلنا
باسكان اللام واما تستكثر بالنصب فبان مضمرة وذلك ان يكون بدلا من قوله
فلا تمنن في المعنى الا ترى ان معناه لا يكن منك من فاستكثار فكانه قال لا يكن
منك من ان تستكثر فتضمر ان ليكون مع الفعل المنصوب بها بدلا من المن في
المعنى الذي دل عليه الفعل ومما وقع فيه الفعل موقع المصدر قوله فقالوا اما انما
فقلت الهوا الى الاصباح اثردى اي ثيرا اراد فقلت الدهو فوضع الهو موضع الدهو
اللغة المدثر المتفعل من الدثار الا ان التاء ادغمت في الدال وهو المتغطي
بالثياب عند النوم والتكثير وصف الاكثر على اعتقاد معناه كتكثير المكبر في
الصلوة بقوله الله اكبر والتكبير نقيض التصغير والكبير الشان هو المختص
باتساع المقدور والمعلوم والطهارة النظافة بانتفاء النجاسة لان النظافة
قد يكون بانتفاء الوسخ من غير نجاسة وقد يكون بانتفاء النجاسة فالطهارة
في الاية هو القسم الاخير والمن ذكر النعمة بما يكدرها ويقطع حق الشكر بها
يقال من بعطائه بمن منا اذا فعل ذلك فاما المن على اليسير فهو اطلاقه
بقطع اسباب الاعتقال عنه والاستكثار طلب الكثرة وهو ههنا طلب ذكر الاستكثار
للعطيه والناقور فاعول من النقر كالغاسوم من الهضم والحاطوم من الحطم
وهو الذي من شانه ان ينقر فيه للتصويت به واليسير القليل الكلف ومنه
اليسار وهو كثرة المال لقلة الكلفة به في الانفاق ومنه تيسير الامر لسهولته
الاعراب ربك فكبر تقديره قم فكبر ربك وكذلك ما بعده وفايدة
تقديم المفعول هنا التخصيص لانك اذا قلت وكبر ربك لم يدل ذلك على انه
لا يجوز تكبير غير الرب واذا قلت ربك فكبر دل على انه لا يجوز تكبير غيره ويستكثر
في موضع نصب على الحال فذلك مبتدأ ويوم عسير خبره ويومئذ يجوز ان يكون
نصبا فاذا كان رفعا فانما بني على الفتح لاضافته الى اذ لان اذ غير متمكنة واذا كان

نصبا فعلى الظرف وتقديره فذلك عسير في يوم ينفخ في الصور قاله الزجاج وقال
ابو علي في بعض كتبه لا يجوز ان ينتصب يومئذ بقوله عسير لان الصفة لا تعمل
فيما قبل الموصوف قال وانما انتصب يومئذ على انه صلة قوله فذلك لان ذلك
كناية عن المصدر فكانه قال فذلك النقر يومئذ وعلى هذا فيكون التقدير
فذلك النقر في ذلك الوقت نقر يوم عسير وقوله على الكافرين غير يسير
على يتعلق بعسير ولا يتعلق بيسير لان ما يعمل فيه المضاف اليه لا يتقدم على المضاف
على انهم قالوا ان غير في حكم حرف النفي ويجوز ان يعمل ما بعده فيما قبله نحو
ان تقول انت زيدا غير ضارب ولا يجوز ان يقول انت زيدا مثل ضارب فيعمل
ضاربا في زيد وانما اجازوا انت زيدا غير ضارب حملا على انت زيدا لا ضارب
المعنى خاطب سبحانه نبيه عليه السلم فقال يا ايها المدثر اي المدثر بثيابه قال الاوزاعي
سمعت يحيى بن كثير يقول سالت ابا سلمه اي القران انزل من قبل فقال يا ايها
المدثر فقلت او اقرا باسم فقال سالت جابر بن عبد الله اي القران انزل قبل
قال يا ايها المدثر فقلت او اقرا فقال جابر احدثكم ما حدثنا رسول الله ص
قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي فنوديت
فنظرت امامي وخلفي وعن يميني وشمالي فلم ار احدا ثم نوديت فرفعت راسي فاذا هو
على العرش في الهواء يعني جبرئيل عليه السلم فقلت دثروني دثروني فصبوا على ماء
فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر قم فانذر اي ليس بك ما تخاف من الشيطان
انما انت نبي فانذر الناس وادعهم الى التوحيد وفي هذا ما فيه لان الله تعالى
لا يوحي الى رسوله الا بالبراهين النيرة والايات البينة الدالة على ان ما يوحى
اليه انما هو من الله تعالى فلا يحتاج الى شيء سواها ولا يفزع ولا يفرق وقيل معناه
يا ايها الطالب صرف الاذى بالدثار اطلبه بالانذار وخوف قومك بالنار ان لم يؤمنوا
وقيل انه كان قد تدثر بشملة صغيرة لينام فقال يا ايها النائم قم من نومك فانذر
قومك وقيل ان المراد به الجد في الامر والقيام بما ارسل به وترك الهوينا فيه فكانه

قيل له لا تنم عما امرتك به وهذا كما يقول العرب فلان لا ينام في امره اذا وصف بالجد
والانكماش وصدق العزيمة وكانهم يخطرون النوم على ذي الحاجة حتى يبلغ حاجته وبذلك
نطقت اشعارهم كما قيل شعر الا ايها الناهي فزارة بعدما اجدت لامر انما انت
حالم ادى كل ذي وتر يقوم بوتره ويمنع عند النوم اذا انت نايم ويقال الحر ادرك
ثاره هذا هو الثار المنيم وقال الشاعر يصف من اورد ابلا له شعر اوردها ع
وسعد مشتمل يا سعد لا تروى بهذاك الابل والاشتمال مثل التدثر وربك فكبر
اي عظمه ونزهه عما لا يليق به وقيل كبره في الصلوة فقل الله اكبر وثيابك فطهر
اي وثيابك الملبوسة فطهرها من النجاسة للصلوة وقيل معناه ونفسك فطهر
من الذنوب والثياب عبارة عن النفس عن قتاده ومجاهد وعلى هذا فيكون التقدير
وذا ثيابك فطهر فحذف المضاف ومما يؤيد هذا القول قول عنترة شعر فشككت
بالرمح الاصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم وقيل معناه طهر ثيابك من لبسها
على معصية او غدرة كما قال سلامة بن غيلان الثقفي انشده ابن عباس رض اني بحمد
الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع قال الزجاج معناه لا تكن غادرا
ويقال للغادر دنس الثياب وفي معناه قول من قال وعملك فاصلح قال السدي
يقال للرجل اذا كان صالحا طاهر الثياب واذا كان فاجرا انه لخبيث الثياب وقيل
معناه فثيابك فقصر عن طاوس وروي ذلك عن ابي عبد الله عليه السلام قال
الزجاج لان تقصير الثوب ابعد من النجاسة فانه اذا انجر على الارض لم يؤمن
ان يصيبه ما ينجسه وقيل معناه فثيابك فاغسلها عن النجاسة بالماء
لان المشركين كانوا لا يتطهرون عن ابن زيد وابن سيرين وقيل لا تكن ثيابك
من حرام عن ابن عباس رض وقيل معناه ازواجك فطهرهن عن الكفر والمعاصي
حتى يصرن مومنات صالحات والعرب تكني بالثياب عن النساء عن ابي مسلم
وروى ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال امير المومنين عليه السلام
غسل الثياب يذهب الهم والحزن وهو طهور للصلوة وتشمير الثياب طهور لها

وقد قال الله

وقد قال الله سبحانه وثيابك فطهر اي فشمر والرجز فاهجر اي اهجر الاصنام
والاوثان عن ابن عباس رض ومجاهد وقتاده والزهري وقيل معناه اجتنب
المعاصي عن الحسن قال الكسائي الرجز بالكسر العذاب وبالضم الصنم وقال
المعنى اهجر ما يودي الى العذاب ولم يفرق غيره بينهما وقيل معناه جانب الفعل
القبيح والخلق الذميم عن الجبائي وقيل معناه اخرج حب الدنيا من قلبك لانه
راس كل خطيئة ولا تمنن تستكثر اي لا تعط عطية لتعطى اكثر منها وهذا
للنبي خاصة ادبه الله سبحانه باكرم الاداب واشرفها عن ابن عباس وقتاده
ومجاهد والنخعي والضحاك وقيل معناه ولا تمنن حسناتك على الله تعالى
مستكثرا لها فينقصك ذلك عند الله عن الحسن والربيع بن انس وقيل معناه
لا تمنن ما اعطاك الله من النبوة والقران مستكثرا به الاجر من الناس
عن ابن زيد وقيل هو نهي عن الربا المحرم اي لا تعط شيئا طالبا ان يعطى اكثر مما اعطيت
عن ابي مسلم وقيل لا تضعف في عملك مستكثرا لطاعتك عن مجاهد وقيل ولا تمنن
بعطائك على الناس مستكثرا ما اعطيته فان متاع الدنيا قليل ولان
المن يكدر الصنيعة وقيل معناه اذا اعطيت عطية فاعطها لربك واصبر
حتى يكون هو الذي يثيبك عليها عن زيد بن اسلم وقيل معناه لا تمنن بابلاغ
الرسالة على امتك عن الجبائي ولربك اي لوجه ربك فاصبر على اذى المشركين
عن مجاهد وقيل فاصبر على ما امرك الله به من اداء الرسالة وتعليم الشريعة
وعلى ما ينالك من التكذيب والاذى لتنال الفوز والذخر وقيل فاصبر عن المعاصي
وعلى الطاعات والمصائب وقيل فاصبر لله على ما حملت من الامور الشاقة في محاربة
العرب والعجم عن ابن زيد فاذا نقر في الناقور معناه اذا نفخ في الصور وهي كهيئة
البوق عن مجاهد وقيل ان ذلك في النفخة الاولى وهي اول الشدة الهايلة الغامة
وقيل انه النفخة الثانية وعندها يحيي الله الخلق ويقوم القيمة وهي صيحة الساعة
عن الجبائي فذلك يومئذ قد تم معناه في الاعراب يوم عسير اي شديد على الكافرين

لنعم الله الجاحدين لا بانه غير يسير هين ولا سهل وهو بمعنى قوله عسير الا انه
اعاده بلفظ اخر للتاكيد كما تقول انا واد لفلان غير مبغض وقيل معناه عسير
في نفسه غير عسير على المومنين لما يرون من حسن العاقبة قوله عز وجل
ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا
وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا سَأُرْهِقُهُ
صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ
ثُمَّ عَبَسَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ
الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ
عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ
إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ
آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا
كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ
إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ احدى وعشرون اية اللغة التمهيد
والتوطئة والتذليل والتسهيل نظاير والعنيد الذاهب عن الشيء على طريق
العداوة له يقال عند العرق يعند عنودا فهو عاند اذا نفر والمعاندة
منافرة المضادة وكذلك العناد وبعير عنود اي نافر قال الشاعر بيت
اذا نزلت فاجعلوني وسطا اني كبير لا اطيق العندا والارهاق الاعجاز بالعنف
والصعود العقبة التي يصعب صعودها وهي الكود وعبس يعبس عبوسا اذا
قبض وجهه والعبوس والتكلح والتقطيب نظاير وضدها الطلاقة والبشاشة
والبسور بدو التكرة في الوجه واصله من بسر بالامر اذا عجل به ومنه البسر لتعجيل حاله
قبل الا طاب قال توبة قد رابني منها صدود رايته واعراضها عن حاجتي وبسورها
والاصلاء الزام موضع النار يقال اصليته فاصطلى وسقر اسم من اسماء جهنم

لم يصرف

لم يصرف للتانيث والتعريف واصله من سفرته الشمس سقرا اذا المت دماغه والابقا
ترك شيء مما اخذ والتلويح تغيير اللون الى الاحمرار ولوحته الشمس تلويحا فهي لواحة
على المبالغة والبشر جمع بشرة وهي ظاهر الجلد بتعريه من الوبر والريش والصوف الذي
يكون في غيره من الحيوان الاعراب وحيدا منصوب على الحال وهو على وجهين احدهما
ان يكون من صفة الله اي ذرني ومن خلقته وحدي والاخر ان يكون من صفة
المخلوق النزول نزلت الايات في الوليد بن المغيرة المخزومي وذلك ان قريشا
اجتمعت في دار الندوة فقال لهم الوليد انكم ذوو احساب وذوو احلام وان العرب
ياتونكم فينطلقون من عندكم على امر مختلف فاجمعوا امركم على شيء واحد ما تقولون
في هذا الرجل قالوا القول انه شاعر فعبس عندها وقال قد سمعت الشعر فما يشبه
قوله الشعر فقالوا نقول انه كاهن قال اذا اتونه فلا تجدونه يحدث بما تحدث به الكهنة
قالوا نقول انه مجنون فقال اذا اتونه فلا تجدونه مجنونا قالوا نقول انه ساحر
قال وما الساحر فقالوا بشر يحببون بين المتباغضين ويبغضون بين المتحابين
قال فهو ساحر فخرجوا فكان لا يلقى احد منهم النبي عليه السلم الا قال له يا ساحر يا ساحر
واشتد ذلك عليه فانزل الله يا ايها المدثر الى قوله الا قول البشر عن مجاهد
ويروى ان النبي صلعم لما انزل عليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
غافر الذنب وقابل التوب قام الى المسجد والوليد بن المغيرة قريب فسمع قراءته
فلما فطن النبي عليه السلم لاستماعه لقراءته اعاد قراءة الاية فانطلق الوليد حتى
اتى مجلس قومه بني مخزوم فقال والله لقد سمعت محمدا انفا كلاما ما هو من كلام الانس
ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وانه ليعلوا وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقال قريش صبا والله الوليد
والله لتصبان قريش كلهم وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال لهم ابو جهل انا
اكفيكموه فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزينا فقال له ما لي اراك حزينا يا ابن اخي
قال هذه قريش يعيبونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد فقام

حتى اتى مجلس قومه فقال تزعمون ان محمدا صلى الله عليه وآله مجنون فهل رايتموه يخنق
قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رايتم عليه شيئا من ذلك قالوا اللهم
لا وكان يسمى الصادق الامين قبل النبوة من صدقه فقالت لقريش للوليد فما هو
فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس فقال ما هو الا ساحر ما رايتموه يفرق بين الرجل
واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يوثر المعنى ثم قال
سبحانه لنبيه على وجه التهديد للكافر الذي وصفه ذرني ومن خلقت
وحيدا اي دعني واياه فاني كافيه في عقابه كما يقول القايل دعني واياه
ومعناه دعني ومن خلقته متوحدا بخلقه لا شريك لي في خلقه وان حملته
على صفة المخلوق فمعناه دعني ومن خلقته في بطن امه وحده لا مال له
ولا ولد يعني الوليد بن المغيرة قال مقاتل معناه خل بيني وبينه فانا انفرد
بهلكته وقال ابن عباس كان الوليد يسمى الوحيد في قومه وروى العياشي
باسناده عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم
ان الوحيد ولد الزنا قال زرارة ذكر لابي جعفر عليه السلم عن بني هشام انه
قال في خطبته انا ابن الوحيد فقال ويله لو علم ما الوحيد ما فخر بها
فقلنا له وما هو قال من لا يعرف له اب ثم ذكر سبحانه رزقه المال والولد
فقال وجعلت له مالا ممدودا اي ما بين مكة الى الطايف من الابل المؤبلة
والخيل المسومة والنعم المرحلة والمستغلات التي لا تنقطع غلتها والجواري
والعبيد والعين الكثيرة عن عطا عن ابن عباس وقيل الممدود الكثير
الذي لا ينقطع غلته عنه سنة حتى يدرك غلته سنة اخرى فهو ممدود
على الايام وكان له بستان بالطايف لا ينقطع خيره في شتاء ولا صيف
وعشرة بنين ومائة الف دينار وعن سفين وبنين شهودا اي حضورا
معه بمكة لا يغيبون عنه لغناهم عن ركوب السفر للتجارة قال سعيد بن جبير
كانوا ثلثة عشر وقال مقاتل كانوا سبعة الوليد وخالد وعماره وهشام

والعاص

والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعماره قالوا فما زال الوليد
بعد هذه الاية في نقصان من ماله وولده حتى هلك ومهدت له تمهيدا
اي بسطت له في العيش بسطا حتى صار يكفي المونه من كل وجه حتى صارت
احواله متناسبة عن الحسن وغيره وقيل سهلت له التصرف في الامور تسهيلا
ثم يطمع ان ازيد اي لم يشكر على هذه النعم بل كفر نعماي وهو مع ذلك يطمع
ان ازيد في انعامه ثم قال على وجه الردع والزجر كلا اي لا يكون كما ظن ولا ازيده
مع كفره وقيل كلا معناه ازجروا رتدع فليس الامر على ما يتوهم بين سبحانه
كفره فقال انه كان لاياتنا عنيدا اي انما لم نفعل به ذلك لانه كان يجحد ايادينا
معاندا منكرها مع معرفته لها وقيل عنيدا جحودا عن ابن عباس وقتاده سارهقه
صعودا اي ساكلفه مشقة من العذاب لا راحة فيه وقيل صعودا جبل في جهنم
من نار يوخذ بارتقائه فاذا وضع يده عليه ذابت فاذا رفعها عادت وكذلك
رجله في خبر مرفوع وقيل هو جبل من صخرة ملساء في النار يكلف ان يصعدها
حتى اذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها ثم يكلف ايضا ان يصعدها فذلك دابه
ابدا يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع الحديد
فيصعدها في اربعين سنه عن الكلبي انه فكر وقدر ماذا يقول في القران
وقدر القول في نفسه وانما فكر ليحتال به للباطل لانه لو فكر على وجه طلب الرشاد
لكان ممدوحا وقدر فقال ان قلنا شاعر كذبتنا العرب باعتبار ما اتى به وان قلنا
كاهن لم يصدقونا لان كلامه لا يشبه كلام الكهان فنقول ساحر يوثر ما اتى
عن غيره من السحر فقتل اي لعن وعذب وقيل لعن بما يجري مجرى القتل وقيل
استحق العذاب عن الجبائي كيف قدر قال صاحب النظم معناه لعن على اي حال
وقيل قدر ما قدر من الكلام كما يقال في الكلام لاضربنه كيف صنع اي على اي حال
كان منه ثم قتل كيف قدر هذا تكرير للتاكيد وقيل معناه كيف قدر في اياتنا
ما قدر مع وضوح الحجة ثم لعن وعوقب بعقاب اخر كيف قدر في ابطال الحق تقديرا

أدخ قيل معناه عوقب في الاخرة مرة بعد مرة ثم نظر في طلب ما يدفع به القران فرده
ثم عبس وبسر اي كلح وكره وجهه ونظر بكراهة شديدة كالمهتم المتفكر في الشي ثم ادبر
عن الايمان واستكبر اي تكبر حين دعي اليه فقال ان هذا اي ما هذا القرآن
الا سحر يوثر اي يروى عن السحرة وقيل هو من الايثار اي سحر يوثره النفوس
ويختاره لحلاوته وترفيها ان هذا الا قول البشر اي ما هذا الا كلام الانس وليس
من عند الله ولو كان القران سحرا او من كلام البشر كما قاله الملعون لامكن
السحرة ان ياتوا بمثله ولقدر هو وغيره مع فصاحتهم على الاتيان بسورة
مثله ثم قال سبحانه مهددا له ساصليه سقر اي سادخله جهنم والزمه
اياها وقيل سقر دركة من دركات جهنم وقيل باب من ابوابها وما ادريك
ايها السامع ما سقر في شدتها وهولها وضيقها ثم وصف سبحانه بعض صفاتها
فقال لا تبقي ولا تذر اي لا تبقي لهم لحما الا اكلته ولا تذرهم الا اعيدوا خلقا
جديدا عن مجاهد وقيل لا تبقي شيئا الا احرقته ولا تذر اي لا ابقا عليهم بل يبلغ
مجهودهم في انواع العذاب عن الجبائي لواحة للبشر اي مغيرة للجلود وقيل لا
فحة للجلود حتى تدعها اشد سوادا من الليل عليها تسعة عشر من الملائكة
هم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي
يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة يسع كف احدهم
مثل ربيعة ومضر نزعت منهم الرحمة يرفع احدهم سبعين الفا فيرميهم
حيث اراد من جهنم وقيل معناه على سقر تسعة عشر ملكا فهم خزان سقر و
للنار دركات الاخر خزان اخرون وقيل انما خصوا بهذا العدد ليوافق
المخبر الخبر لما جاء به الانبياء قبله وما كان في الكتب المتقدمة ويكون
في ذلك مصلحة للمكلفين وقال بعضهم في تخصيص هذا العدد ان تسعة عشر
يجمع اكثر القليل من العدد واقل الكثير منه لان العدد احاد وعشرات ومائون
والوف فاقل العشرات عشرة واكثر الاحاد تسعة قالوا ولما نزلت هذه الاية

قال ابو جهل

قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اتسمعون ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة
النار تسعة عشر وانتم الدهم الشجعان افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل
من خزنة جهنم فقال ابو الاسد الجمحي انا اكفيكم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة
على بطني فاكفوني انتم اثنين فنزل وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة الاية
عن ابن عباس وقتادة والضحاك في معناه وما جعلنا الموكلين بالنار
المتولين تدبيرها الا ملائكة جعلنا شهوتهم في تعذيب اهل النار ولم نجعلهم
من بني ادم كما تعهدون انتم فتطيعونهم وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين
كفروا اي لم نجعلهم على هذا العدد الا محنة وتشديدا في التكليف للذين كفروا
نعم الله وجحدوا وحدانيته حتى يتفكروا فيعلموا ان الله سبحانه حكيم لا يفعل
الا ما هو حكمة ويعلموا انه قادر على ان يزيد في قواهم ما يقدرون به على تعذيب
الخلائق ولو راجع الكفار عقولهم لعلموا ان من سلط ملكا واحدا على كافة بني ادم
لقبض ارواحهم فلا يغلبونه قادر على سوق بعضهم الى النار وجعلهم فيها
بتسعة عشر من الملائكة ليستيقن الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى
انه حق وان محمدا صادق من حيث اخبر بما هو في كتبهم من غير قراءة لها ولا
تعلم منهم ويزداد الذين امنوا ايمانا اي يقينا بهذا العدد وبصحة نبوة
محمد اذ اخبرهم اهل الكتاب انه مثل ما في كتابهم ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
والمومنون اي ولئلا يشك هولاء في عدة الخزنة والمعنى وليستيقن من لم
يومن بمحمد ومن امن به صحة نبوته اذا تدبروا وتفكروا وليقول الذين
في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا اللام هنا لام العاقبة
اي عاقبة امر هولاء ان يقولوا هذا يعني المنافقين والكافرين وقيل معناه
ولا يقولوا ماذا اراد الله بهذا الوصف والعدد ويتدبروه فيوديهم
التدبر في ذلك الى الايمان كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء اي مثل
ما جعلنا خزنة النار ملائكة ذوي عدد محنة واختبارا تكليف الخلق ليظهر

الضلال والهدى واضافهما الى نفسه لان سبب ذلك التكليف وهو من جهته وقيل
يضل عن طريق الجنة والثواب من يشاء ويهدي من يشاء اليه وما يعلم
جنود ربك الا هو اي ما يعلم جنود ربك من كثرتها احد الا هو ولم يجعل
خزنة النار تسعة عشر لقلة جنوده ولكن الحكمة اقتضت ذلك وقيل هذا جواب
ابي جهل حين قال اما لمحمد اعوان الا تسعة عشر عن مقاتل وقيل معناه وما يعلم
عدة الملائكة الذين خلقهم الله لتعذيب اهل النار الا الله عن عطا والمعنى
ان التسعة عشر هم خزنة النار ولهم من الاعوان والجنود ما لا يعلمه الا الله
رجع الى ذكر سقر فقال وما هي الا ذكرى للبشر اي تذكرة وموعظة للعالم ليذكروا
فيتجنبوا ما يستوجبون به ذلك وقيل معناه وما هذه النار في الدنيا الا تذكرة
للبشر من نار الاخرة حتى يتفكروا فيها فيحذروا نار الاخرة وقيل ما هذه السورة
الا تذكرة للناس وقيل وما هذه الملائكة التسعة عشر الا عبرة للخلق يستدلون
بذلك على كمال قدرة الله تع وينزجرون عن المعاصي قوله عز وجل
كَلَّا وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ نَذِيرًا
لِلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا
أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا
لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ
وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ
فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ بَلْ يُرِيدُ
كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ
فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ
الْمَغْفِرَةِ خمس وعشرون آية القراءة قرا نافع وحمزة وحفص ويعقوب وخلف
اذ بغير الف ادبر بالالف وقرا الباقون اذا بالالف دبر بغير الف وقرا اهل
المدينة وابن عامر مستنفرة بفتح الفاء والباقون بكسر الفاء وفي الشواذ قراءة

بعضهم

بعضهم برويه عن ابن كثير انها لحدى الكبر بلا همزة وقرا سعيد بن جبير
صحفا منشرة بسكون الحاء والنون الحجة ابو علي قال يونس دبر انقضى
وادبر تولى وقال قتادة والليل اذا ادبر اذا ولى ويقال دبر وادبر
قال والتخفيف في لاحدى الكبر ان يجعل فيها الهمزة بين بين نحو سيم فاما
حذف الهمزة فليس بقياس ووجه ذلك ان الهمزة حذف فتحذف كما حذفت
في قوله شعر ويلمها في هواء الجو طالبة ولا كهذا الذي في الارض مطلوب
وقد جاء ذلك في مواضع من الشعر قال ابو الاسود لزيادة يا با المغيرة
رب امر معضل فرجته بالمكر مني والدها وقال الاخر ان لم اقاتل فالبسوني
برقعا وفتخات في اليدين اربعا وانشد احمد بن يحيى شعر ان كان خزنك
انا فقيمة باعك عبدا باخس قيمة وقال الفرزدق شعر فعليك اثم عطية بن
الخطفى وانم الذي زجرتك ان لم تجهد قال والكسر في مستنفرة اولى لقوله
فرت من قسورة فهذا يدل على انها هي استنفرت ويقال نفر واستنفر مثل سخر
واستسخر وعجب واستعجب ومن قال مستنفرة فكان القسورة استنفرتها
والرامي قال ابو عبيدة مستنفرة مذعورة وانشد الزجاج شعر امسك حمارك
انه مستنفر في اثر احمرة عمدن لغرب روي بالكسر ايضا قال ابن سلام
سالت ابا سوار الغنوي وكان اعرابيا فصيحا قاريا للقرآن فقلت كانهم
حمر ماذا فقال حمر مستنفرة طردها قسورة قلت انما هو فرت من قسورة
فقال افرت قلت نعم فقال مستنفرة قال ابن جني اما سكون الحاء من صحف فلغة
تميمية واما منشرة بسكون النون فان المعروف في الاستعمال نشرت الثوب وغيره
وانشر الله الموتى فنشروا هم وقد جاء عنهم ايضا نشر الله الميت قال التيمي
ردت صنايعه اليه حياته فكانها من نشرها منشورا ونعلهم قالوا نشرت
الثوب ونحوه الا انه يجوز ان يشبه شيء بشيء وكما جاز ان يشبه الميت بالشيء
المطوي حتى قال التيمي منشورا فكذلك يجوز ان يشبه المطوي بالميت فيقال صحف منشرة

اي كانها بطيتها ميتة فلما نشرت قيل منشرة اللغة اليقين العلم الذي يوجد
برد الثقة به في الصدر يقال وجد فلان برد اليقين وثلج اليقين في صدره
ولذلك لا يوصف سبحانه بانه متيقن والقسورة الاسد وقيل هم الرماة من قسره
يقسره قسرا اذا قهره واصل الفرار الانكشاف عن الشيء ومنه يقال فر الفرس
يفره فرا اذا كشف عن سنه والصحف جمع صحيفة وهي الورقة التي من شانها
ان تقلب من جهة الى جهة لما فيها من الكتابة ومنه المصحف وجمعه مصاحف
الاعراب نذيرا للبشر اختلف في وجه انتصابه فقيل نصب على الحال وهو اسم فاعل
بمعنى منذر وذو الحال الضمير في احدى الكبر العائد على الهاء في انها وهي كناية
عن النار فالمعنى انها لكبيرة في حال الانذار وانما ذكره لان معناه معنى العذاب
ويجوز ان يكون التذكير على قولهم امراة طالق اي ذات طلاق وكذلك نذير
بمعنى ذات انذار وقيل هو حال يتعلق باول السورة فكانه قال يا ايها المدثر
قم نذيرا للبشر فانذر وقيل ان النذير هنا بمعنى الانذار وتقديره انذار
البشر فيكون نصبا على المصدر لانه لما قال انها لاحدى الكبر دل على انه انذرهم
بها انذارا وقوله معرضين منصوب على الحال مما في اللام من قوله فما لهم
من معنى الفعل والتقدير اي شيء ثبت لهم معرضين في التقدير التذكرة
وكانهم حمر مستنفرة جملة في موضع الحال من معرضين اي حال من حال وحال
بعد حال اي متشابهين حمرا المعنى ثم اقسم سبحانه على عظيم ما ذكره من الوعيد
فقال كلا اي حقا وقيل معناه ليس الامر على ما يتوهمونه من انهم يمكنهم دفع
خزنة النار وغلبتهم والقمر اقسم بالقمر لما فيه من الايات العجيبة في طلوعه
وغروبه ومسيره وزيادته ونقصانه والليل اذ ادبر واقسم بالليل
اذا ولى وذهب عن قتاده وقيل دبر اذا جاء بعد غيره وادبر اذا ولى مدبرا
فعلى هذا يكون المعنى في اذ دبر اذا جاء الليل في اثر النهار وفي اذا ادبر اذا ولى
الليل فجاء الصبح عقيبه وعلى القول الاول فهما لغتان معناهما ولى وانقضى والصبح

اذا اسفر

اذا اسفر اي اضاء وانار عن قتاده وهو قسم اخر وقيل معناه اذا كشف الظلام
واضاء الاشخاص وقال قوم التقدير في هذه الاقسام ورب هذه الاشياء لان اليمين
لا يكون الا بالله تعالى انها لاحدى الكبر هذا جواب القسم يعني ان سقر التي هي النار
لاحدى العظائم والكبر جمع الكبرى وهي العظمى عن ابن عباس ومجاهد وقتاده
وقيل معناه ان ايات القران لاحدى الكبر في الوعيد نذيرا للبشر اي منذرا
ومخوفا معلما مواضع المخافة والنذير الحكيم بالتحذير عما ينبغي ان يحذر منه فكل نبي نذير
لانه حكيم بتحذيره عقاب الله تعالى على معاصيه واختلف فيه فقيل انه من صفة النار عن الحسن
وقيل من صفة النبي عليه السلام فكانه قال قم نذيرا عن ابن زيد وقيل من صفة الله عن ابي
رزين وعلى هذا يكون حالا من فعل القسم المحذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر
اي يتقدم في طاعة او يتاخر عنها بالمعصية عن قتاده والمشية هي الارادة فيكون
المعنى ان هذا الانذار متوجه الى من يمكنه ان يتقي عذاب النار بان يتجنب المعاصي ويفعل
الطاعات فيقدر على التقدم والتاخر في امره بخلاف قول اهل الجبر القائلين بتكليف
ما لا يطاق وقيل انه سبحانه عبر عن الايمان والطاعة بالتقدم لان صاحبه متقدم
في العقول والدرجات وعن الكفر والمعصية بالتاخر لانه متاخر في العقول والدرجات
وروى محمد بن الفضيل عن ابي الفضل عن ابي الحسن عليه السلام قال كل من تقدم الى
ولايتنا تاخر عن سقر وكل من تاخر عن ولايتنا تقدم الى سقر كل نفس بما كسبت رهينة
اي مرهونة بعملها محبوسة به مطالبة بما كسبته من طاعة او معصية فالرهن
اخذ الشيء بامر على ان لا يرد الا بالخروج منه قال زهير شعر وفارقتك برهن
لا فكاك له يوم الوداع فامسى الرهن قد غلقا فكذلك هؤلاء الضلال
قد اخذوا وارتهنوا لا فكاك له والكسب هو كل ما يجتلب به نفع او يدفع به ضرر
ويدخل فيه الفعل وان لا يفعل ثم استثنى سبحانه اصحاب اليمين فقال الا اصحاب اليمين
فهم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين يسلك بهم ذات اليمين قال
قتاده علق الناس كلهم الا اصحاب اليمين وهم الذين لا ذنب لهم فهم ميامين

على انفسهم وقيل هم المؤمنون المستحقون الثواب عن الحسن وقيل هم الملائكة عن ابن
عباس وقال الباقر عليه السلام نحن وشيعتنا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون اى
يسال بعضهم بعضا وقيل يسالون عن المجرمين اى عن حالهم وعن ذنوبهم التى
استحقوا بها النار ما سلككم في سقر هذا سوال توبيخ اى تطلع اهل الجنة على اهل
النار فيقولون لهم ما اوقعكم في النار قالوا لم نك من المصلين اى كنا لا نصلى
الصلوات المكتوبة على ما قررها الشرع وفى هذا دلالة على ان الاخلال بالواجب يستحق
به الذم والعقاب لانهم علقوا استحقاقهم العقاب بالاخلال بالصلوة وفيه دلالة
ايضا على ان الكفار مخاطبون بالعبادات الشرعية لانه حكاية عن الكفار بدلالة قوله
وكنا نكذب بيوم الدين وقوله ولم نك نطعم المسكين معناه لم نك نخرج الزكوات
التى كانت واجبة علينا والكفارات التى وجب دفعها الى المساكين وهم الفقراء وكنا
نخوض مع الخائضين اى كلما غوى غاو بالدخول فى الباطل غوينا معه عن قتاده والمعنى
كنا نلوث انفسنا بالمرور فى الباطل كتلويث الرجل بالخوض فلما كان هولاء يجرون مع من
يكذب بالحق مشيعين لهم فى القول كانوا خائضين معهم وكنا نكذب بيوم الدين مع
ذلك اى نجحد يوم الجزاء وهو القيمة والجزاء هو الايصال الى كل من له شيء ام عليه
شيء ما يستحقه فيوم الدين هو يوم اخذ المستحق بالعدل حتى اتانا اليقين اى اتانا
الموت على هذه الحالة وقيل حتى جاءنا العلم اليقين من ذلك بان عايناه فما تنفعهم شفاعة
الشافعين اى شفاعة الملائكة والنبيين كما نفعت الموحدين عن ابن عباس فى رواية
عطا وقال الحسن لا تنفعهم شفاعة ملك ولا شهيد ولا مومن ويعضد هذا الاجماع على ان عقاب
الكفر لا يسقط بالشفاعة وقد صحت الرواية عن عبد الله بن مسعود قال يشفع نبيكم
عليه السلام رابع اربعة جبرئيل ثم ابرهيم ثم موسى او عيسى ثم نبيكم ص لا يشفع احد اكثر مما يشفع
فيه نبيكم ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم فى جهنم فيقال لهم ما سلككم
فى سقر الى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال ابن مسعود فهولاء الذين يبقون
فى جهنم وعن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يقول الرجل من اهل الجنة يوم القيمة

اى رب عبد

اى رب عبدك فلان سقانى شربة من ماء فى الدنيا فشفعنى فيه فيقول اذهب فاخرجه
من النار فيذهب فيتجسس فى النار حتى يخرجه منها وقال عليه السلام ان من امتى من سيدخل الله
الجنة بشفاعته اكثر من مضر فما لهم عن التذكرة معرضين اى اى شيء لهم ولم اعرضوا
وتولوا عن القران فلم يومنوا به والتذكرة التذكير بمواعظ القران والمعنى لا شيء لهم
فى الاخرة اذا اعرضوا عن القران ونفروا عنه كانهم حمر مستنفرة اى كانهم حمر وحشية
نافرة فرت من قسورة يعنى الاسد عن عطا والكلبى قال ابن عباس الحمر الوحشية
اذا عاينت الاسد هربت منه كذلك هولاء الكفار اذا سمعوا النبى صلى الله عليه وآله يقرأ القران
هربوا منه وقيل القسورة الرماة رجال القنص عن ابن عباس بخلاف والضحاك ومقاتل
ومجاهد وقال سعيد بن جبير هم القناص بل يريد كل امرء منهم ان يوتى صحفا منشرة اى كتبا
من السماء تنزل اليهم باسمائهم ان امنوا بمحمد عن الحسن وقتاده وابن زيد وقيل انهم يريدون
صحفا من الله تعالى بالبراءة من العقوبة واسباغ النعمة حتى يومنوا والا اقاموا على كفرهم
وقيل يريد كل واحد ان يكون رسولا يوحى اليه متبوعا وانف من ان يكون تابعا وقيل هو
تفسير ما ذكره الله تع فى قوله ولن نومن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه فقال
سبحانه كلا اى حقا ليس الامر على ما قالوه ولا يكون كذلك بل لا يخافون الاخرة بجحدهم
صحتها ولو خافوا عذاب الاخرة لما اقترحوا الايات بعد قيام الدلالات والمعجزات
كلا اى حقا انه تذكرة اى ان القران تذكير وموعظة فمن شاء ذكره اى اتعظ به
لانه قادر عليه وما يذكرون الا ان يشاء الله هذه المشية غير الاولى اذ لو كانتا واحدة
لتناقض فالاولى مشية اختيار والثانية مشية اكراه واجبار والمعنى ان هولاء الكفار
لا يذكرون الا ان يجبرهم الله على ذلك وقيل معناه الا ان يشاء الله من حيث امر به
ونهى عن تركه ووعد الثواب على فعله واوعد بالعقاب ان لم يفعله فكانت
مشيته سابقة اى لا تشاؤن الا والله قد شاء ذلك هو اهل التقوى واهل المغفرة
اى هو اهل ان يتقى محارمه واهل ان يغفر الذنوب عن قتاده وروى مرفوعا عن انس
قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا هذه الاية فقال قال الله سبحانه انا اهل

ان اتقى فلا يجعل معى اله فمن اتقى ان يجعل معى الها فانا اهل ان اغفر له وقيل معناه هو اهل
ان يتقى عقابه واهل ان يعمل له ما يؤدى الى مغفرته سورة القيمة مكية اربعون آية
كوفى تسع وثلثون في الباقين اختلافها آية لتعجل به كوفى فضلها ابي بن كعب قال قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن قرأ سورة القيمة شهدت انا وجبرئيل يوم القيمة
انه كان مؤمنا بيوم القيمة وجاء ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيمة
ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال من ادمن قراءة لا اقسم وكان يعمل بها بعثه
الله معه من قبره في احسن صورة تبشره وتضحك في وجهه حتى يجوز الصراط والميزان
تفسيرها لما ختم سبحانه سورة المدثر بذكر القيمة وان الكافر لا يؤمن بها
افتتح هذه السورة بالقيمة وذكر اهوالها فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيٰمَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ
عِظَامَهُ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ يَسْأَلُ
أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيٰمَةِ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ
يُنَبَّؤُا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ
وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ خمس عشرة آية القراءة قرأ القواس لاقسم والباقون لا اقسم
ولم يختلفوا في الثاني انه ولا اقسم وقرأ اهل المدينة برق البصر بفتح الراء والباقون
برق بالكسر وفي الشواذ قراءة ابن عباس وعكرمة وايوب السختياني والحسن المفر
بفتح الميم وكسر الفاء وقراءة الزهري المفر بكسر الميم وفتح الفاء الحجة قال ابو علي
من قرأ لا اقسم بيوم القيمة كانت لا على قوله صلة كالتي في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب
وان قلت لا وما والحروف التي هي زوائد انما تكون بين كلامين كقوله مما خطيئاتهم
وفبما رحمة من الله وفبما نقضهم ولا تكاد تزاد اولا فقد قالوا ان مجاز القرآن
مجاز الكلام الواحد والسورة الواحدة قالوا والذي يدل على ذلك انه قد يذكر الشيء

في سورة

في سورة ويجيء جوابه في سورة اخرى كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون
جاء جوابه في سورة اخرى ما انت بنعمة ربك بمجنون فلا فصل على هذا بين قوله
لئلا يعلم وبين قوله لا اقسم فاما من قرأ لاقسم فان اللام يجوز ان يكون التي
يصحبها احدى النونين في اكثر الامر وقد حكى ذلك سيبويه واجازه وكما لم يلحق
النون مع الفعل الآتي في لاقسم كذلك لم يلحق اللام نحو مع النون في نحو قول الشاعر
وقتيل مرة اثأرن فانه فرغ وان اخاكم لم يثأر لم يريد لاثأرن فحذف
اللام ويجوز ان يكون اللام لحقت قول الحال واذا كان المثال للحال
لم يتبعها النون لان هذه النون التي تلحق الفعل في اكثر الامر انما هي
للفصل بين فعل الحال وفعل الآتي وقد يمكن ان يكون لا رد الكلام
وزعموا ان الحسن قرأ لاقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة
وقال اقسم بالاولى ولم يقسم بالثانية وحكي نحو ذلك عن ابي اسحق ايضا
وذكر ابو علي في غير كتاب الحجة ان اللام زيادة لان القسم لا يدخل
على القسم وقال ابن جني ينبغي ان يكون هذه اللام لام الابتداء اي لانا
اقسم بيوم الدين القيمة وحذف المبتدأ للعلم به وقال ابو الحسن برق
البصر اكثر في كلام العرب والمفتوحة لغة قال الزجاج من قرأ برق
فمعناه فزع وتحير ومن قرأ برق فهو من بريق العينين وقال ابو عبيدة
اذا برق البصر اذا شخص وانشد شعر لما اتاني ابن صبيح راغبا اعطيته
عبسا منها فبرق و[illegible] الفرار والمفر بكسر الفاء الموضع الذي يفر
اليه والمفر بكسر الميم وفتح الفاء الانسان الجيد الفرار قال امرؤ القيس
شعر مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل الاعراب
قادرين نصب على الحال والتقدير بلى نجمعها قادرين فالعامل في الحال محذوف
لدلالة ما تقدم عليه كما في قوله فان خفتم فرجالا اي فصلوا رجالا ومفعول
يريد محذوف تقديره بل يريد الانسان الحيوة ليفجر امامه ويسأل الجملة في موضع

الحال ولا وزر خبره محذوف وتقديره ولا وزر في الوجود وقوله بل الانسان
على نفسه بصيرة اقوال احدها ان المعنى بل الانسان على نفسه عين بصيرة
والثاني حجة بصيرة اي بينة والثالث ان الهاء للمبالغة كما يقال رجل
علامة ونسابه وقال علي بن عيسى تقديره بل الانسان على نفسه من نفسه
اي جوارحه شاهدة عليه يوم القيمة فانث بصيرة لانه حمل الانسان
على النفس وجواب لو محذوف تقديره ولو القى معاذيره لم ينفعه ذلك
ويجوز ان يكون جوابه فيما سبق المعنى لا اقسم بيوم القيمة قيل ان لا صلة
ومعناه اقسم بيوم القيمة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل ان لا رد
على الذين انكروا البعث والنشور من المشركين وكانه قال لا كما تظنون
ثم ابتدا القسم فقال اقسم بيوم القيمة انكم مبعوثون ليكون فرقا بين
اليمين التي تكون جحدا وبين اليمين المستانفة وقيل معناه لا اقسم بيوم
القيمة لظهورها بالدلائل العقلية والسمعية وقيل معناه لا اقسم بيوم القيمة
فانكم لا تقرون بها ولا اقسم بالنفس اللوامة فانكم تقرون بان النفس تلوم
صاحبها يوم القيمة ولكن استخبركم فاخبروني هل قدر على ان اجمع العظام
المتفرقة وهذان الوجهان عن ابي مسلم وقيل معناه اقسم بيوم القيمة
ولا اقسم بالنفس اللوامة اقسم بالاول ولم يقسم بالثاني عن الحسن قال علي بن عيسى
وهذا ضعيف لانه يخرج عن تشاكل الكلام والاولى ان يكونا قسمين وهو قول
الاكثر وجواب القسم محذوف وتقديره ما الامر على ما يتوهمون او انكم
تبعثون او لتبعثن ومن قرا لاقسم فانه يجعلها جواب قسم وحذف التنوين
لانه اراد الحال وقد ذكرنا ما قيل فيه والنفس اللوامة الكثيرة اللوم وليس
من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها يوم القيمة ان كانت عملت خيرا
قالت هلا ازددت وان كانت عملت سوءا قالت يا ليتني لم افعل عن ابن عباس
في رواية عطا وقال مجاهد تلوم على ما مضى تقول لم فعلت ولم لم افعل وقيل

النفس اللوامة

النفس اللوامة الكافرة الفاجرة عن قتادة ومجاهد ومعناه ذات اللوم الكثير
لما سلف منها وقيل هي النفس المؤمنة تلوم نفسها في الدنيا وتحاسبها فتقول
ماذا فعلت ولم قصرت فتكون مفكرة في العواقب ابدا والفاجر لا يفكر
في امر الآخرة ولا يحاسب نفسه عن الحسن ايحسب الانسان صورته صورة الاستفهام
ومعناه الانكار على منكري البعث ومعناه ايحسب الكافر بالبعث والنشور يعني
جنس الكفار ان لن نجمع عظامه اي انه لن نعيده الى ما كان اولا عليه خلقا جديدا
بعد ان صار رفاتا فكنى عن البعث بجمع العظام ثم قال سبحانه بلى نجمعها
قادرين على ان نسوي بنانه على ما كانت وان قل عظامها وصغرت فنردها
كما كانت ونولف بينها حتى يستوي البنان ومن قدر على جمع صغار العظام فهو
على جمع كبارها اقدر عن الزجاج والجبائي وابي مسلم وقيل معناه نقدر على ان نجعل
بنانه كالخف والحافر فيتناول الماكول بفيه ولكنا مننا عليه بالانامل لتتكمل بها
المنفعة ويتهيا له القبض والبسط والارتفاق بالاعمال اللطيفة كالكتابة
وغيرها عن ابن عباس وقتادة بل يريد الانسان يريد الكافر ليفجر امامه هذا
اخبار منه تع ان الانسان يمضي قدما في معاصي الله تعالى راكبا راسه لا ينزع
عنها ولا يتوب عن مجاهد والحسن وعكرمة والسدي اي فهذا هو الذي يحمله على
الاعراض عن مفقد وذات ربه فلذلك لم يقر بالبعث وينكر النشور وقيل
ليفجر امامه اي ليكفر بما قدامه من البعث ويكذب به فالفجور هو التكذيب
عن الزجاج قال ويجوز ان يريد انه يسوف التوبة ويقدم الاعمال السيئة وقال
ابن الانباري يريد ان يفجر ما امتد عمره وليس في نيته ان يرجع عن ذنب يرتكبه
وقيل معناه انه يقول اعمل ثم اتوب عن عطية والمراد انه يتعجل المعصية
ثم يسوف التوبة يقول غدا او بعد غد يسال ايان يوم القيمة معناه ان
الذي يفجر امامه يسال متى يكون القيمة فان معنى ايان متى الا ان السوال بمتى اكثر
من السوال بايان فلذلك حسن ان يفسر بها وانما يسال عن ذلك تكذيبا به

واشتغالا بالدنيا من غير تفكر في العاقبة فاذا خوف بالقيمة قال متى يكون
ذلك ثم قال سبحانه فاذا برق البصر اى تحير البصر عند معاينة ملك
الموت فلا يطرف من شدة الفزع وقيل اذا فزع وتحير لما يرى من اهوال
القيمة واحوالها ما كان يكذب به في الدنيا وهذا كقوله لا يرتد اليهم
طرفهم عن قتاده وابي مسلم وخسف القمر اى ذهب نوره وضوءه وجمع الشمس
والقمر اى جمع بينهما في ذهاب ضوءهما بالخسوف ليتكامل ظلام الارض على
اهلها حتى يراها كل واحد بغير نور وضياء عن مجاهد وهو اختيار
الفراء والزجاج والجمع على ثلثة اقسام جمع في المكان وجمع في الزمان
وجمع الاعراض في المحل فاما جمع الشيئين مع الاخر وقيل جمع بينهما في طلوعهما
من المغرب كالبعيرين القرينين عن ابن مسعود تقول الانسان المكذب
بالقيمة يومئذ اين المفر اى اين الفرار ويجوز ان يكون معناه اين موضع
الفرار عن الفرا وقال الزجاج المفر بالفتح الفرار والمفر بالكسر مكان الفرار
وقال الله سبحانه كلا لا وزر اى لا مهرب ولا ملجا لهم يلجاون اليه والوزر
ما يتحصن به من جبل او غيره ومنه الوزير الذي يلجا اليه في الامور وقيل لا
لا حصن عن الضحاك الى ربك يومئذ المستقر اى المنتهى عن قتاده او ينتهي
الخلق يومئذ الى حكمه وامره فلا نهي ولا امر لاحد غيره وقيل المستقر المكان
الذي يستقر فيه المومن والكافر وذلك الى الله لا الى العباد وقيل المستقر
المصير والمرجع عن ابن مسعود والمستقر على وجهين مستقر الى امد ومستقر
الى الابد ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر اى يخبر الانسان يوم القيمة
باول عمله واخره فيجازى به عن مجاهد وقيل معناه بما قدم من العمل في حيوته
وما سنه فعمل به بعد موته من خير او شر وقيل بما قدم من المعاصي
واخر من الطاعات عن ابن عباس وقيل بما اخذ وترك عن ابن زيد وقيل
بما قدم من طاعة الله واخر من حق الله فضيعه عن قتاده وقيل بما قدم

من ماله لنفسه وما خلفه لورثته بعده عن زيد بن اسلم وحقيقة البناء
الخبر بما يعظم شانه وانما حسن في هذا الموضع لان ما جرى مجرى المباح
لا يعتد به في هذا الباب وانما هو ما يستحق عليه الجزاء فاما ما وجوده
كعدمه فلا اعتبار به بل الانسان على نفسه بصيرة اى ان جوارحه تشهد
عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه عليه عن ابن عباس
وعكرمه ومقاتل قال القتيبي اقام جوارحه مقام نفسه وكذلك انث لان المراد
بالانسان ههنا الجوارح وقال الاخفش هو كقولك فلان حجة وعبرة ودليله
قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقيل معناه ان الانسان بصير
بنفسه وعمله وروى العياشي باسناده عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله
عليه السلم قال ما يصنع احدكم ان يظهر حسنا ويسر سيئا اليس اذا رجع الى نفسه
يعلم انه ليس كذلك والله سبحانه يقول بل الانسان على نفسه بصيرة
ان السريرة اذا صلحت قويت العلانية وعن عمر بن يزيد عن ابي عبد الله
عليه السلم انه تلا هذه الاية ثم قال ما يصنع الانسان ان يعتذر الى الناس
خلاف ما يعلم الله منه ان رسول الله صلعم كان يقول من اسر سريرة رداه
الله رداها ان خيرا فخير وان شرا فشر وعن زراره قال سالت ابا عبد الله
عليه السلم ما حد المرض الذي يفطر صاحبه قال بل الانسان على نفسه بصيرة
هو اعلم بما يطيق وفي رواية اخرى هو اعلم بنفسه ذاك اليه ولو القى معاذيره
اى ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه ذلك يقال معذرة ومعاذر
ومعاذير وهي ذكر موانع تقطع عن الفعل المطلوب وقيل معناه ولو ارخى
الستور واغلق الابواب عن الضحاك والسدي قال الزجاج معناه ولو ادلى
بكل حجة عنده وجاء في التفسير المعاذير الستور واحدها معذار وقال
المبرد هي لغة طائية والمعنى على هذا القول وان اسبل الستر ليخفي ما يعمل
فان نفسه شاهدة عليه قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا

جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة
وتذرون الاخرة وجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة
عشر آيات القراءة قرا اهل المدينة والكوفة تحبون وتذرون بالتاء
والباقون بالياء الحجة من قرا بالتاء فعلى معنى قل لهم بل تحبون وتذرون ومن قرا
بالياء فعلى معنى هم يحبون ويذرون قال ابو علي الياء على ما تقدم من ذكر الانسان
فان المراد به الكثرة والعموم كقوله ان الانسان خلق هلوعا ثم قال الا المصلين
اللغة التحريك تصيير الشيء من مكان الى مكان او من جهة الى جهة بفعل الحركة
فيه والحركة ما به يتحرك المتحرك والمتحرك هو المنتقل من جهة الى غيرها واللسان
آلة الكلام والعجلة طلب عمل الشيء قبل وقته الذي هو له وضده الاناة والقرآن
اصله الضم والجمع وهو مصدر كالرجحان والنقصان والبيان اظهار المعنى
للنفس بما يتميز به من غيره ونقيض البيان الاخفاء والاغماض والنضرة مثل
البهجة والطلاقة وضده العبوس والبسور ونضر وجهه ينضر نضارة
ونضرة فهو ناضر والنظر تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلبا لرؤيته
ويكون النظر بمعنى الانتظار كما قال عز شانه واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة
اي منتظرة وقال الشاعر شعر وجوه يوم بدر ناظرات * الى الرحمن منتظر الفلاح
ثم تستعمل في التفكر فيقال نظرت في هذه المسالة اي تفكرت ومنه المناظرة
ويكون من المقابلة يقال دور بني فلان تتناظر اي تتقابل والفاقرة الكاسرة
لفقار الظهر شدة وقيل الفاقرة الداهية والآبدة المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه
عليه السلم فقال لا تحرك به لسانك لتعجل به قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وآله
اذا نزل عليه القران عجل بتحريك لسانه لحبه اياه وحرصه على اخذه وضبطه مخافة
ان ينساه فنهاه الله عن ذلك وفي رواية سعيد بن جبير عنه انه عليه السلم كان يعالج
من التنزيل شدة وكان يشتد عليه حفظه وكان يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبرئيل
من قراءة الوحي فقال سبحانه لا تحرك به اي بالوحي او بالقران لسانك يعني بالقراءة لتعجل به

اي لتاخذه

اي لتاخذه كما قال ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه ان علينا جمعه
وقراءته عليك حتى تحفظه ويمكنك تلاوته فلا تخف فوت شيء منه عن ابن عباس
والضحاك فاذا قراناه اي قراءة جبرئيل عليك بامرنا فاتبع قرانه اي قراءته عن ابن
عباس والمعنى اقراه اذا فرغ جبرئيل عن قراءته قال فكان النبي صلى الله عليه وآله
بعد هذا اذا نزل عليه جبرئيل اطرق فاذا ذهب قراه وقيل فاتبع قرانه اي فاعمل بما فيه
من الاحكام والحلال والحرام عن قتادة والضحاك وقال البلخي الذي اختاره انه
لم يرد القران وانما اراد قراءة العباد لكتبهم يوم القيمة يدل على ذلك ما قبله
وما بعده وليس فيه شيء يدل على انه القران ولا شيء من احكام الدنيا وفي
ذلك تقريع للعبد وتوبيخ له حين لا تنفعه العجلة يقول لا تحرك لسانك بما تقراه
من صحيفتك التي فيها اعمالك يعني اقرا كتابك ولا تعجل فان هذا هو الذي هو على
نفسه بصيرة اذا راى سيئاته ضجر واستعجل فيقال له توبيخا لا تعجل وتثبت
لتعلم الحجة عليك فانها بجمعها لك فاذا جمعناه فاتبع ما جمع عليك بالانقياد
لحكمه والاستسلام للتبعة فيه فانه لا يمكنك انكاره ثم ان علينا بيانه لو انكرت
قال الحسن معناه ثم ان علينا بيان ما انباناك انا فاعلون في الآخرة وتحقيقه
وقيل يريد انا نبين لك معناه اذا حفظته عن قتادة وقيل معناه ثم ان علينا
ان نحفظه عليك حتى تبين للناس بتلاوتك اياه عليهم وقيل معناه علينا
ان ننزله قرانا عربيا فيه بيان للناس عن الزجاج وفي هذا دلالة على انه لا تعمية
في القرآن ولا الغاز ولا دلالة فيه على جواز تاخير البيان عن وقت الحاجة وانما
يدل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب كلا اي لا يتدبرون القران وما فيه
من البيان بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة اي تختارون الدنيا على العقبى
فيعملون للدنيا لا للآخرة جهلا منهم وسوء اختيار ثم بين سبحانه حال الناس
في الآخرة فقال وجوه يومئذ يعني يوم القيمة ناضرة اي ناعمة بهجة حسنة عن ابن
عباس والحسن وقيل مسرورة عن مجاهد وقيل مضيئة بيض يعلوها النور عن السدي

ومقاتل جعله الله سبحانه وجوه المؤمنين المستحقين للثواب بهذه الصفة علا
للخلق والملائكة على انهم الفائزون الى ربها ناظرة اختلف فيه على وجهين
احدهما ان معناه نظر العين والثانى انه الانتظار ثم اختلف من حمله على
نظر العين على قولين احدهما ان المراد الى ثواب ربها ناظرة اى هى ناظرة
الى نعيم الجنة حالا بعد حال فيزداد بذلك سرورها وذكر الوجوه وروى ذلك
عن جماعة من علماء المفسرين من الصحابة والتابعين وغيرهم فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه كما فى قوله تعالى وجاء ربك اى امر ربك وقوله
وانا ادعوكم الى العزيز الغفار اى الى طاعة العزيز الغفار وتوحيده وقوله
ان الذين يوذون الله اى اولياء الله والاخر ان النظر بمعنى الروية والمعنى
ينظر الى الله معاينة رووا ذلك عن الكلبى ومقاتل وعطا وغيرهم وهذا
لا يجوز لان كل منظور اليه بالعين مشار اليه بالحدقة واللحاظ والله تعالى عن
ان يشار اليه بالعين كما يجل سبحانه ان يشار اليه بالاصابع وايضا فان
الروية بالحاسة لا تتم الا بالمقابلة والتوجه والله تعالى عن ذلك بالاتفاق
وايضا فان روية الحاسة لا تتم الا باتصال الشعاع بالمرئى والله منزه عن
اتصال الشعاع به على ان النظر لا يفيد الروية فى اللغة فانه اذا علق بالعين
افاد طلب الروية كما انه اذا علق بالقلب افاد طلب المعرفة بدلالة قولهم نظرت الى
الهلال فلم اره فلو افاد النظر الروية لكان هذا القول مناقضا وقولهم ما زلت
انظر اليه حتى رايته والشىء لا يجعل غاية لنفسه فلا يقال ما زلت اراه حتى
رايته ولكنا نعلم الناظر ناظرا بالضرورة ولا نعلمه رائيا بالضرورة
بدلالة انا نسأله هل رايت ام لا واما من حمل النظر فى الاية على الانتظار
فانهم اختلفوا فى معناه على اقوال احدها ان المعنى منتظرة لثواب ربها
وروى ذلك عن مجاهد والحسن وسعيد بن جبير والضحاك وهو المروى عن على ع
ومن اعترض على هذا بان قال ان النظر بمعنى الانتظار لا يتعدى بالى فلا يقال انتظرت

اليه وانما يقال انتظرته فالجواب عنه على وجوه منها انه قد جاء فى الشعر بمعنى الانتظار
معدى بالى كما فى البيت الذى سبق ذكره ناظرات الى الرحمن وكقول جميل بن معمر
شعر واذا نظرت اليك من ملك ۞ والبحر دونك جدتنى نعما ۞ وقول الاخر
شعر انى اليك لما وعدت لناظر ۞ نظر الفقير الى الغنى الموسر ۞ ونظاير
كثيرة ان يحمل الى فى قوله الى ربها ناظرة على انها اسم فهو واحد الالاء التى
هى النعم فان فى واحدها اربع لغات إلى وإلى مثل معيا وقفا وألى وإلى مثل
جدى وجنى وسقط التنوين بالاضافة وقال اعشى وايل شعر ابيض لا يرهب
الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون إلى ۞ اى لا يخون نعمة من انعم عليه وليس لاحد ان يقول
ان هذا من اقوال المتاخرين قد سبقهم الاجماع فانا لا نسلم ذلك لما ذكرناه من
ان عليا عليه السلام ومجاهد والحسن وغيرهم قالوا المراد بذلك ينتظر الثواب
ومنها ان لفظ النظر يجوز ان يعدى بالى فى الانتظار على المعنى كما ان الروية
عديت بالى فى قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل فاجرى الكلام على المعنى
ولا يقال رايت الى فلان ومن اجراء الكلام على المعنى قول الفرزدق شعر ولقد عجبت
الى هوازن اصبحت ۞ منى تلوذ ببطن ام جرير ۞ فعدى عجبت بالى لان المعنى نظرت
وثانيها ان معناه مؤملة لتجديد الكرامة كما يقال عينى ممدودة الى الله تعالى
والى فلان وانا شاخص الطرف الى فلان ولما كانت العيون بعض اعضاء
الوجوه اضيف النظر الذى يقع بالعين اليها عن ابى مسلم وثالثها ان المعنى
انهم قطعوا امالهم واطماعهم عن كل شىء سوى الله تعالى ورجوه دون غيره
فكنى سبحانه عن الطمع بالنظر الا ترى ان الرعية تتوقع نظر السلطان وتطمع
فى افضاله عليها واسعافها فى حوائجها ونظر الناس مختلف فناظر الى السلطان
وناظر الى التجارة وناظر الى الزراعة وناظر الى ربه يومله وهذه الاقوال متقاربة
فى المعنى وعلى هذا فان هذا الانتظار متى يكون فقيل انه بعد الاستقرار فى الجنة
او النار وكل فريق ينتظر ما هو له اهل وهذا اختيار القاضى عبد الجبار وذكر

جمهور اهل العدل ان النظر يجوز ان يحمل على المعنيين جميعا ولا مانع من حمله على المعنيين
فكانه سبحانه اراد انهم ينظرون الى الثواب المعد لهم في الحال من انواع النعيم وينتظرون
امثالها حالا بعد حال ليتم لهم ما يستحقونه من الاجلال ويسأل على هذا فيقال اذا كان
بمعنى النظر بالعين حقيقة وبمعنى الانتظار مجازا فكيف يحمل عليهما والجواب ان عند
اكثر المتكلمين في اصول الفقه يجوز ان يراد بلفظة واحدة اذ لا تنافي بينهما
وهو اختيار المرتضى قدس الله روحه ولم يجوز ذلك ابو هاشم الا اذا تكلم به مرتين
مرة يريد النظر ومرة يريد الانتظار واما قولهم ان المنتظر لا يكون نعيمه خالصا
فكيف يوصف اهل الجنة بالانتظار والجواب عنه ان من ينتظر شيئا لا يحتاج
اليه في الحال وهو واثق بوصوله اليه عند حاجته فانه لا يهتم بذلك ولا يتنغص
سروره به بل ذلك زايد في نعيمه وانما يلحق الهم المنتظر اذا كان يحتاج الى ما ينتظره
في الحال ويلحقه بفوته مضرة وهو غير واثق بالوصول اليه وقد قيل في اضافة النظر
الى الوجوه ان الغم والسرور انما يظهران في الوجوه فبين الله سبحانه ان المؤمن
اذا ورد القيمة تهلل وجهه وان الكافر العاصي يخاف مغبة افعاله القبيحة فيكلح
وجهه وهو قوله ووجوه يومئذ باسرة اي كالحة عابسة متغيرة يظن ان يفعل
بها فاقرة اي تعلم وتستيقن انه يعمل بها داهية تفقر ظهورهم اي تكسرها وقيل
انه على حقيقة الظن اي يظنون حصولها جملة ولا يعلمون تفصيلها وهذا
اولى من الاول لانه لو كان بمعنى العلم لكان ان بعده مخففة من ان الثقيلة
على ما ذكر في موضع وذكر سبحانه هذه الوجوه الظانة في مقابلة الوجوه الناظرة
فهؤلاء يرجون تجديد الكرامة وهؤلاء يظنون طول الفاقة فيكون حال
الوجوه الراجية للاحوال السارة على الضد من حال الوجوه الظانة الفاقرة
النظم وجه اتصال قوله لا تحرك به لسانك بما قبله انما لما تقدم ذكر القيمة
والوعيد خاطب سبحانه نبيه فقال لا تحرك به لسانك لتعجل قرائته بل كررها
عليهم ليتقرر في قلوبهم فانهم غافلون عن الادلة الهاهم حب العاجلة فاحتاج

الى زيادة

الى زيادة تنبيه وتقرير قوله عز وجل كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق
وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ
المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله
يتمطى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ايحسب الانسان ان يترك
سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل
منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى
خمس عشرة آية القراءة قرا حفص ورويس يمنى بالياء والباقون بالتاء
الحجة قال ابو علي من قرا بالتاء حمله على النطفة اي لم يك نطفة تمنى من مني
ومن قرا بالياء حمله على المني اي من مني يمنى بقدر خلق الانسان وغيره
منها قال شعر منت لك ان يلقى ان هند منية وفارس ميا س اذ ما تلبيا
وقال الآخر شعر لعمرو ابي عمرو لقد ساقه المنى الى جدث يوزى له بالاهاضب
اي ساقه القدر اللغة التراقي جمع ترقوة وهو مقدم الحلق من اعلى الصدر
تترقى اليه النفس عند الموت واليها يترقى البخار من الجوف وهناك تقع
الحشرجة قال ذو الرمة شعر ورب عظيمة دافعت عنها وقد بلغت نفوسهم
التراقي والراقي طالب الشفاء رقاه يرقيه رقية اذا طلب له شفاء باسماء الله
الشريفة وآيات كتابه العظيمة واما المعوذة فهو دفع البلية بكلمات الله
تعالى وتقول العرب قامت الحرب على ساق يعنون شدت الامر قال شعر
فاذ شمرت لك عن ساقها فويها ربيع ولا تسأم والتمطي تمدد البدن
من الكسل واصله ان يلوي مطاه اي ظهره وقيل اصله يتمطط فجعل
احدى الطائين تاء وهو من المط بمعنى المد كقولهم تظنيت وامليت ونحو
ذلك ونهى عن مشي المطيطا وذلك ان يلقي الرجل يديه مع التكفي في مشيته
اولى لك كلمة وعيد وتهديد قالت الخنساء شعر هممت بنفسي كل الهموم فاولى
لنفسي اولى لها والسدى المهمل والعلقة القطعة من الدم المنعقد الاعراب

في اعرابه اوجوه احدها ان يكون مبتدا، وخبره لك والاخر ان يكون خبر
مبتدا محذوف تقديره الشر اولى لك فعلى هذا يكون اللام في لك للاختصاص
كانه الشر اولى لك من الخير ويجوز ان يكون بمعنى من تقديره الشر
اقرب منك وسدى منصوب على الحال من قوله يترك المعنى ثم بين سبحانه
حالهم عند النزع فقال كلا اي ليس يؤمن الكافر بهذا وقيل معناه حقا
اذا بلغت النفس او الروح ولم يذكره لدلالة الكلام عليه كما قال ما ترك
على ظهرها من دابة يعني على ظهر الارض التراقي اي العظام المكتنفة بالحلق
وكني بذلك عن الاشفاء على الموت وقيل من راق اي وقال من حضره من اهله
من راق اي طبيب شاف يرقيه ويداويه فلا يجدونه عن ابي قلابة والضحاك
وقتادة وابن زيد قال قتادة التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من عذاب الله
شيئا وقيل ان معناه قالت الملائكة من يرقى بروحه املائكة الرحمة ام
ملائكة العذاب عن ابن عباس ومقاتل قال ابو العالية تختصم فيه ملائكة
الرحمة وملائكة العذاب ايهم يرقى بروحه وقال الضحاك اهل الدنيا يجهزون
البدن واهل الاخرة يجهزون الروح وظن انه الفراق اي وعلم عند ذلك
هذا الذي بلغت روحه تراقيها انه الفراق من الدنيا والاهل والمال
والولد والفراق ضد الوصال وهو تباعد الالاف وجاء في الحديث ان العبد
ليعالج كرب الموت وسكراته ومفاصله يسلم بعضها على بعض تقول عليك
السلام تفارقني وافارقك الى يوم القيمة والتفت الساق بالساق قيل فيه
وجوه احدها التفت شدة امر الاخرة بامر الدنيا عن ابن عباس ومجاهد
والثاني التفت حال الموت بحال الحيوة عن الحسن والثالث ساقاه عند
الموت عن الشعبي وابي مالك لانه تذهب القوة فتصير كجلد يلتف بعضه ببعض
وقيل هو ان يضطرب فلا يزال يمد احدى رجليه ويرسل الاخرى ويلف احداهما
بالاخرى عن قتاده وقيل هو التفاف الساقين في الكفن والرابع التف ساق

الدنيا بساق الاخرة وهو شدة كرب الموت بشدة هول المطلع والمعنى في الجميع
انه تتابعت عليه الشدائد فلا يخرج من شدة الا جاءه اشد منها الى ربك
يومئذ المساق اي مساق الخلائق الى المحشر الذي لا يملك فيه الامر والنهي غير الله
تعالى وقيل يسوق الملك بروحه الى حيث امر الله به ان كان من اهل الخير
فالى عليين وان كان من اهل النار فالى سجين والمساق موضع السوق فلا صدق
ولا صلى اي لم يتصدق بشيء ولم يصل لله ولكن كذب بالله وتولى عن طاعته
عن الحسن وقيل معناه لم يتصدق بكتاب الله ولا صلى لله ولكن كذب بالكتاب
والرسول واعرض عن الايمان عن قتاده ثم ذهب الى اهله يتمطى اي رجع اليهم
يتبختر ويختال في مشيته وقيل ان المراد بذلك ابو جهل بن هشام اولى لك
فاولى هذا تهديد من الله له والمعنى وليك المكروه يا ابا جهل وقرب منك
وجاءت الرواية ان رسول الله صلى الله عليه وآله اخذ بيد ابي جهل ثم قال
له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ابو جهل باي شيء تهددني لا تستطيع
انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا واني لاعز اهل هذا الوادي فانزل الله سبحانه
كما قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل معناه الذم اولى لك من تركه
الا انه حذف وكثر في الكلام حتى صار بمنزلة الويل لك وصار من المحذوف
الذي لا يجوز اظهاره وقيل هو وعيد على وعيد عن قتاده ومعناه وليك
الشر في الدنيا وليك ثم وليك الشر في الاخرة وليك والتكرار للتاكيد
وقيل بعدا لك من خيرات الدنيا وبعدا لك من خيرات الاخرة عن الجبائي
وقيل اولى لك ما تشاهده يا ابا جهل يوم بدر فاولى لك في القبر ثم اولى لك
يوم القيمة ولذلك ادخل ثم فاولى لك في النار ايحسب الانسان يعني ابا جهل
ان يترك سدى مهملا لا يؤمر ولا ينهى عن ابن عباس ومجاهد والالف
للاستفهام والمراد الانكار اي لا ينبغي ان يظن ذلك وقيل انه عام اي يظن
الانسان الكافر بالبعث الجاحد لنعم الله ان يترك هملا من غير امر يؤخذ به

ويكون فيه تقويم له واصلاح لما هو اعود عليه في عاقبة امره واجمل به في دنياه وآخرته
الزمان نطفة من مني يمنى اي كيف يظن ان يهمل وهو يرى في نفسه من تنقل الاحوال
ما يمكنه ان يستدل به على ان له صانعا حكيما اكمل عقله واقدره وخلق فيه
الشهوة فيعلم انه لا يجوز ان يخليه من التكليف وفي معنى قوله تمنى ان يقدر وقيل
معناه يصب في الرحم ثم كان علقة فخلق منها فخلقا في الرحم فسوى خلقه
وصورته واعضاءه الباطنة والظاهرة في بطن امه وقيل فسواه انسانا بعد
الولادة واكمل قوته وقيل معناه فخلق الاجسام فسواها للافعال وجعل لكل جارحة
ما تختص بها فجعل منه اي من الانسان الزوجين الذكر والانثى وقيل من المني وهو
اخبار منه سبحانه انه لم يخلق الانسان من المني ولم ينقله من حال الى حال ليتركه
مهملا فانه لا بد من غرض في ذلك وهو التعريض للثواب والتكليف اليس ذلك الذي
فعل هذا بقادر على ان يحيي الموتى وهذا تقرير لهم على ان من قدر على الابتداء قدر
على البعث والاحياء فان من قدر على جعل النطفة علقة والعلقة مضغة الى ان
يجعلها حيا سليما مركبا فيه الحواس الخمس والاعضاء الشريفة التي يصلح كل منها لما لا
يصلح له الآخر وخلق الذكر والانثى اللذين يصح بهما التناسل فانه يقدر على
اعادته بعد الموت الى ما كان عليه من كونه حيا وجاء في الحديث عن البراء بن
عازب قال لما نزلت هذه الآية اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى قال رسول
الله صلى الله عليه وآله سبحانك اللهم بلى وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلام وفي الآية دلالة على صحة القياس العقلي فانه سبحانه اعتبر النشاة الثانية
بالنشاة الاولى

سورة هل اتى

وتسمى سورة الدهر وتسمى سورة الابرار ومنهم
من يسميها بفاتحتها واختلفوا فيها فقيل مكية كلها وقيل مدنية كلها عن مجاهد
وقتادة وقيل انها مدنية الا قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا فانه مكي عن الحسن وعكرمة
والكلبي وقيل ان قوله انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا الى آخر السورة مكي والباقي
مدني **عدد آيها** احدى وثلثون آية بالاجماع **فضلها** ابي بن كعب عن النبي صلى الله

عليه وآله قال ومن قرا سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا وقال ابو جعفر
من قرا سورة هل اتى في كل غداة خميس زوجه الله من الحور العين مائة عذراء
واربعة آلاف ثيب وكان مع محمد صلى الله عليه وآله **تفسيرها** ختم الله سبحانه
سورة القيمة بان دل على صحة البعث بخلق الانسان من نطفة وافتتح هذه السورة
بمثل ذلك فقال بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان
من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل
اما شاكرا واما كفورا انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا
ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد
الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا
ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا عشر آيات

القراءة قرا اهل المدينة وابو بكر عن عاصم سلاسلا بالتنوين كذلك قواريرا
قواريرا ويقفون بالالف على الجميع وقرا ابن كثير وخلف سلاسل بغير تنوين
وقواريرا قواريرا الاول بالتنوين والثاني بغير تنوين ويقفان على سلاسل وقوارير
الثانية بغير الف وقرا حمزة ويعقوب بغير تنوين في الجميع ويقفان بغير الف
عليها وقرا ابو عمرو وابن عامر وحفص بغير تنوين فيها ايضا الا انهم يقفون
على سلاسلا وقواريرا الاولى بالالف وعلى قواريرا الثانية بغير الف غير
ان شجاعا يقف على سلاسل ايضا بغير الف **الحجة** قال ابو علي حجة من صرف
سلاسلا وقواريرا في الوصل والوقف امران احدهما ان ابا الحسن قال سمعنا
من العرب من يصرف هذا ويصرف جميع ما لا ينصرف وقال هذه لغة الشعراء لانهم
اضطروا اليه في الشعر فصرفوه فجرت السنتهم على ذلك واحتملوا ذلك في الشعر
لانه يحتمل الزيادة كما يحتمل النقص فاحتملوا التنوين والامر الآخر ان هذه الجموع

اشبهت الاحاد لانهم قالوا صوابجات يوسف فلما جمعت جمع الاحاد انصرف وجعلوه
في حكمها فصرفوها قال ابو الحسن وكثير من العرب يقول مواليات يريد الموالي وانشد
للفرزدق شعر فاذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم ❊ خضع الرقاب نواكس الابصار ❊ فهذا
كانه جمع نواكس من قرأ بغير تنوين ولا الف فانه جعله كقوله لهدمت صوامع
وبيع وصلوات ومساجد والحاق الالف في سلاسل وقواريرا كالحاق في قوله
الظنونا والسبيلا والرسولا يشبه ذلك بالاطلاق في القوافي من حيث كانت مثلها
في انها كلام تام اللغة الدهر مرور الليل والنهار وجمعه ادهر ودهور
واصل النطفة الماء القليل وقد يقع على الماء الكثير وقال امير المؤمنين ع
حين ذكر الخوارج مصارعهم دون النطفة يريد النهروان والجمع نطاف
ونطف قال الشاعر شعر وما النفس الا نطفة بقرارة ❊ اذا لم تكدر كان صفوا غديرها
وواحد الامشاج مشج ومشجت هذا بهذا اي خلطته وهو ممشوج ومشيج
وواحد الابرار بار نحو ناصر وانصار ورب وارباب والكاس الاناء اذا كان فيه
شراب قال عمرو بن كلثوم شعر صددت الكاس عنا ام عمرو ❊ وكان الكاس مجراها
اليمينا ❊ واوفى بالعقد ووفى به فاوفى لغة اهل الحجاز ووفى لغة تميم واهل نجد
والنذر عقد على فعل بر يوجبه الانسان على نفسه نذر ينذر قال عنترة
شعر الشاتمي عرضي ولم اشتمهما ❊ والناذرين اذا لم القهما دمي ❊ اي يقولان لئن
لقينا عنترة لنقتلنه والمستطير المنتشر قال الاعشى شعر فبانت وقد اسأدت
في الفواد ❊ صدعا على نأيها مستطيرا ❊ والقمطرير الشديد في الشر وقد اقمطر
اليوم اقمطرارا ويوم قمطرير وقماطر كانه قال التف شره بعضه على بعض
قال الشاعر شعر بني عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم اذا ما كان يوم قماطر الاعرب
قيل ان هل هنا بمعنى قد قال الشاعر شعر ام هل كبير بكى لم يقض عبرته ❊ اثر الاحبة
يوم البين مشكوم ❊ لم يكن شيئا جملة في محل الرفع لانها صفة حين والتقدير
لم يكن شيئا مذكورا وامشاج يجوز ان يكون صفة لنطفة ويجوز ان يكون بدلا

والوصف بالجمع مثل قولهم برمة اعشار وثوب اسمال ونبتليه في موضع نصب على الحال
اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء في هديناه اي هديناه شاكرا او كفورا
وقوله عينا في انتصابه وجوه احدها ان يكون بدلا من كافورا اذا جعلت الكافور
اسم عين فيكون بدل الكل من الكل والثاني ان يكون بدلا من قوله كاس من
اي يسقون من عين ثم حذف الجار فوصل الفعل اليه فنصبه والثالث
ان يكون منصوبا على المدح والتقدير اعني عينا يشرب بها الباء مزيدة
اي يشربها والمعنى يشرب ماءها لان العين لا تشرب وانما يشرب ماءها النزول
قد روى الخاص والعام ان الايات من هذه السورة وهي قوله ان الابرار
يشربون الى قوله وكان سعيكم مشكورا نزلت في علي وفاطمه والحسن والحسين
عليهم السلام وجارية تسمى فضة وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وابي صالح
والقصة طويلة جملتها انهم قالوا مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما ووجوه
العرب وقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولديك نذرا فنذر صوم ثلثة ايام
ان شفاهما الله سبحانه ونذرت فاطمه عليها السلم وكذلك فضة فبرءا وليس عندهم
شيء فاستقرض علي عليه السلم ثلثة اصوع من شعير من يهودي وروي انه اخذها
ليغزل له صوفا وجاء به الى فاطمه فطحنت صاعا فاختبزته وصلى علي عليه السلم
المغرب وقربته اليهم فاتاهم مسكين يدعولهم وسالهم فاعطوه ولم يذوقوا
الا الماء فلما كان اليوم الثاني اخذت صاعا وطحنته واختبزته وقدمته الى
علي عليه السلم فاذا اسير بالباب يستطعم فاعطوه ولم يذوقوا الا الماء فلما كان
اليوم الرابع وقد قضوا نذورهم اتى علي ومعه الحسن والحسين الى النبي ص
وبهما ضعف فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله ونزل جبرئيل بسورة هل اتى
وفي رواية عطاء عن ابن عباس ان علي بن ابي طالب اجر نفسه ليسقي نخلا
بشيء من شعير ليلة حتى اصبح فلما اصبح وقبض الشعير طحن ثلثه فجعلوا منه شيئا
لياكلوه يقال له الحريرة فلما تم انضاجه اتى مسكين فاخرجوا اليه الطعام

ثم عمل الثلث الثاني فلما تم انضاجه اتى يتيم فسال فاطعموه ثم عمل الثلث الثالث
فلما تم انضاجه اتى اسير من المشركين فسال فاطعموه وطووا يومهم ذلك ذكره
الواحدي في تفسيره وذكر علي بن ابرهيم ان اباه حدثه عن عبد الله بن ميمون
عن ابي عبد الله عليه السلم قال كان عند فاطمه عليها السلم شعيرا فجعلوه عصيدة
فلما انضجوها ووضعوها بين ايديهم جاء مسكين فقال المسكين رحمكم الله
فقام علي فاعطاه ثلثها فلم يلبث ان جاء يتيم فقال اليتيم رحمكم الله فقام علي
فاعطاه الثلث ثم جاء اسير فقال الاسير رحمكم الله فاعطاه علي الثلث الباقي
وما ذاقوها فانزل الله سبحانه الايات فيهم وهي جارية في كل مومن فعل ذلك
لله عز وجل وفي هذا دلالة على ان السورة مدنيه وقال ابو حمزة الثمالي في تفسيره
حدثني الحسن بن الحسن ابو عبد الله بن الحسن انها مدنيه نزلت في علي وفاطمه عليهما السلم
السورة كلها حدثنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القاشي قال اخبرنا
ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا ابو نصر المفسري قال حدثني
عمي ابو حامد املاء قال حدثني الفزاري ابو يوسف يعقوب بن محمد المقري قال
حدثنا ابو نصر محمد بن يزيد السلمي قال حدثنا زيد بن ابي موسى قال حدثنا عمرو بن
هرون عن عثمان بن عطا عن ابيه عن ابن عباس قال اول ما انزل بمكة اقرا باسم
ربك ثم نون والقلم ثم المزمل ثم المدثر ثم تبت يدا ثم اذا الشمس كورت
ثم سبح اسم ربك الاعلى ثم والليل اذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم الم نشرح
ثم والعصر ثم والعاديات ثم انا اعطيناك الكوثر ثم الهيكم التكاثر
ثم ارايت الذي ثم الكافرون ثم الم تر كيف ثم قل اعوذ برب الفلق ثم قل اعوذ
برب الناس ثم قل هو الله احد ثم والنجم ثم عبس ثم انا انزلناه ثم والشمس
ثم البروج ثم والتين ثم لايلاف ثم القارعة ثم القيمة ثم همزه ثم والمرسلات
ثم ق ثم الفرقان ثم الملايكة ثم كهيعص ثم طه ثم الواقعه ثم الشعرا ثم النمل
ثم القصص ثم بني اسرايل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم الصافات

ثم لقمن

ثم لقمن ثم القمر ثم سبا ثم الزمر ثم حم المومن ثم حم السجده ثم حم عسق
ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثيه ثم الاحقاف ثم الذاريات
ثم الغاشيه ثم الكهف ثم النحل ثم نوح ثم ابرهيم ثم الانبياء ثم
المومنون ثم الم تنزيل ثم الطور ثم الملك ثم الحاقه ثم ذي المعارج
ثم عم يتساءلون ثم النازعات ثم انفطرت ثم انشقت ثم الروم
ثم العنكبوت ثم المطففين فهذه ما انزلت بمكة وهي خمس وثمانون سوره
ثم انزلت بالمدينه البقرة ثم الانفال ثم ال عمران ثم الاحزاب ثم الممتحنه
ثم النساء ثم اذا زلزلت ثم الحديد ثم سوره محمد ثم الرعد ثم
سوره الرحمن ثم هل اتى ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم اذا جاء نصر الله
ثم النور ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادله ثم الحجرات ثم لم تحرم
ثم الجمعه ثم التغابن ثم سورة الصف ثم سورة الفتح ثم سورة المايده
ثم سورة التوبه فهذه ثمانيه وعشرون سورة وقد رواه بالاسناد احمد
الزاهد باسناده عن عثمن بن عطاء عن ابيه عن ابن عباس في كتاب
الايضاح وزاد فيه وكانت اذا نزلت فاتحه سورة بمكه كتبت بمكه ثم
يزيد الله فيها ما يشاء بالمدينه وباسناده عن عكرمه والحسن بن ابي الحسن
البصري ان اول ما انزل الله من القران بمكه على الترتيب اقرا باسم ربك
ون والمزمل الى قوله وما نزلت بالمدينه ويل للمطففين والبقرة والانفال
وال عمران والاحزاب والمايده والممتحنه والنساء واذا زلزلت والحديد
وسوره محمد والرعد والرحمن وهل اتى على الانسان الى اخره وباسناده
عن سعيد بن المسيب عن علي بن ابي طالب عليه السلم انه قال سالت النبي صلى الله
عليه واله عن ثواب القران فاخبرني بثواب سورة سوره على نحو ما نزلت من
السماء فاول ما نزل عليه بمكة فاتحه الكتاب ثم اقرا باسم ربك ثم ن
الى ان قال واول ما انزل بالمدينه سورة البقرة ثم الانفال ثم ال عمران

ثم الاحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم اذا زلزلت ثم الحديد ثم سورة محمد ثم الرعد
ثم سورة الرحمن ثم هل اتى الى قوله فهذا ما انزل بالمدينة ثم قال النبي صلى
الله عليه وآله جميع سور القران مائة واربع عشرة سورة وجميع ايات
القران ستة الاف اية ومائتا اية وست وثلثون آية وجميع حروف القران
ثلثمائة الف حرف واحد وعشرون الف حرف ومائتان وخمسون حرفا لا يرغب
في تعلم القرآن الا السعداء ولا يتعهد قراءته الا اولياء الرحمن اقول قد اتسع
نطاق الكلام في هذا الباب حتى كاد ان يخرج عن اسلوب الكتاب وربما انتهى
به الى الاطناب لكن الغرض فيه ان بعض اهل العصبية قد طعن في هذه
القصة بان قال هذه السورة مكية فكيف يتعلق بها ما كان بالمدينة فاستدل
بذلك على انها مخترعة جرأة على الله وعداوة لاهل بيت رسوله فاحببت
ايضاح الحق في ذلك وايراد البرهان في معناه وكشف القناع عن عناد هذا
المعاند في دعواه على انه كما تراه يحتوي على السر المخزون والدر المكنون
من هذا العلم الذي يستضاء بنوره ويتلألأ بزهوره وهو معرفة ترتيب
السور في التنزيل وحصر عددها على الجملة والتفصيل اللهم امددنا بتاييدك
وايدنا بتوفيقك فانت الرجاء والامل وعلى فضلك المعول والمتكل المعنى
هل اتى معناه قد اتى على الانسان اي المرات على الانسان حين من الدهر
وقد كان شيئا الا انه لم يكن مذكورا لانه كان ترابا وطينا الى ان نفخ فيه
الروح عن الزجاج وعلى هذا فهل هنا استفهام يراد به التقرير قال الجبائي وهو
تقرير على الطف الوجوه وتقديره ايها المنكر للصانع وقدرته اليس قد اتى
عليك دهور لم تكن شيئا مذكورا ثم ذكرت وكل احد يعلم من نفسه انه لم يكن
موجودا ثم وجد فاذا تفكر في ذلك علم ان له صانعا صنعه ومحدثا احدثه
واوجده والمراد بالانسان آدم عليه السلام وهو اول من سمي به عن الحسن وقتاده
وسفيان والجبائي وقيل ان المراد به كل انسان والالف واللام للجنس عن ابي مسلم

وقيل انه

وقيل انه اتى على آدم اربعون سنة لم يكن شيئا مذكورا لا في السماء ولا في الارض
بل كان جسدا ملقى من طين قبل ان ينفخ فيه الروح وروى عطاء عن ابن عباس
انه تم خلقه بعد عشرين ومائة سنة وروى العياشي باسناده عن عبد الله
بن بكير عن زرارة قال سالت ابا جعفر عليه السلام عن قوله لم يكن شيئا مذكورا
قال كان شيئا ولم يكن مذكورا وباسناده عن سعيد الحداد عن ابي جعفر ع
قال كان مذكورا في العلم ولم يكن مذكورا في الخلق وعن عبد الاعلى مولى آل سام
عن ابي عبد الله عليه السلام مثله وعن حمران بن اعين قال سالته عن قوله لم يكن
شيئا مذكورا فقال كان شيئا مقدورا ولم يكن مكونا وفي هذا دلالة
على ان المعدوم معلوم وانه لم يكن مذكورا وان المعدوم يسمى شيئا
فاذا حملت الانسان على الجنس فالمراد انه قبل الولادة لا يعرف ولا يذكر ولا يدري
من هو وما يراد به بل يكون معدوما ثم يوجد في صلب ابيه ثم في رحم امه
الى وقت الولادة وقيل المراد به العلماء لانهم كانوا لا يذكرون فصيرهم الله
سبحانه بالعلم مذكورين بين الخاص والعام في حياتهم وبعد مماتهم وسمع
عمر بن الخطاب رجلا يقرأ هذه الاية فقال ليت ذلك تم يعني ليت آدم بقي على
ما كان فكان لا يلد ولا يبتلى اولاده ثم قال سبحانه انا خلقنا الانسان يعني
ولد آدم من نطفة وهي ماء الرجل والمراة الذي يخلق منه الولد امشاج اي اخلاط
من ماء الرجل وماء المراة في الرحم فايهما غلب على ماء صاحبه كان الشبه له
عن ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد وقيل امشاج اطوارا طورا نطفة وطورا
علقة وطورا مضغة وطورا عظاما الى ان صار انسانا عن قتادة وقيل اراد
اختلاف الوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المراة خضراء وحمراء
فهي مختلفة الالوان عن مجاهد والضحاك والكلبي وروي ايضا عن ابن عباس
وقيل نطفة مشيجة بدم الحيض فاذا حبلت ارتفع الحيض عن الحسن وقيل هي العروق
التي تكون في النطفة عن ابن مسعود وقيل امشاج اخلاط من الطبايع التي تكون

في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة جعلها الله في النطفة
ثم بناه البنية الحيوانية المعدلة الاخلاط ثم جعل فيه الحيوة ثم شق له السمع
والبصر فتبارك الله رب العالمين وذلك قوله فجعلناه سميعا بصيرا وقوله
نبتليه اي نختبره بما نكلفه من الافعال الشاقة ليظهر اما طاعته واما عصيانه
فنجازيه بحسب ذلك قال الفراء معناه فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه اي لنتعبده ونامره
وننهاه والمراد فاعطيناه الة السمع والبصر ليتمكن من السمع والبصر ومعرفة
ما كلفناه هديناه السبيل اي بينا له الطريق ونصبنا له الادلة وازحنا له
العلة حتى يتمكن من معرفة الحق والباطل وقيل هو طريق الخير والشر عن قتاده
وقيل السبيل هو معرفة الدين الذي به يتوصل الى ثواب الابد ويلزم كل مكلف
سلوكه وهو دلالة العقل والشرع التي تعم جميع المكلفين اما شاكرا واما كفورا
قال الفراء معناه ان شكر وان كفر على الجزاء وقال الزجاج معناه ليختار اما السعادة
واما الشقاوة والمراد اما ان يختار بحسن اختياره والشكر لله تعالى والاعتراف
بنعمة فيصيب الحق واما ان يكفر نعم الله ويجحد احسانه فيكون ضالا عن الصواب
فايما اختار جوزي عليه بحسبه وهذا كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
وفي الاية دلالة على ان الله قد هدى جميع خلقه لان اللفظ عام ثم بين سبحانه
ما اعد للكافرين فقال انا اعتدنا للكافرين اي هيئنا وادخرنا لهم جزاء على كفرانهم
وعصيانهم سلاسل يعني في جهنم كما قال في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا
واغلالا وسعيرا نارا موقدة نعذبهم بها ونعاقبهم فيها ثم ذكر ما اعد
للشاكرين المطيعين فقال ان الابرار وهو جمع البر المطيع لله المحسن في افعاله
وقال الحسن هم الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الشر وقيل هم الذين يقضون
الحقوق اللازمة والنافلة وقد اجمع اهل البيت عليهم السلم وموافقوهم
وكثير من مخالفيهم ان المراد بذلك علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلم
فالاية مع ما بعدها متعينة فيهم وايضا فقد انعقد الاجماع على انهم كانوا

ابرارا

ابرارا وفي غيرهم خلاف يشربون من كاس انا فيه شراب كان مزاجها اي ما يمازجها
كافورا وهو اسم عين ماء في الجنة عن عطاء والكلبي واختاره الفراء قال
ويدل عليه قوله عينا وهي كالمفسرة للكافور وقيل يعني الكافور الذي له
رايحة طيبة والمعنى بارجه ريح الكافور وليس ككافور الدنيا عن مجاهد
ومقاتل قال قتاده يمزج بالكافور ويختم بالمسك قيل معناه طيب
بالكافور والمسك والزنجبيل عن ابن كيسان عينا يشرب بها عباد
الله اي اولياؤه عن ابن عباس اي هذا الشراب من عين يشربها
اولياء الله وخصهم بانهم عباد الله تشريفا وتبجيلا قال الفرا
شربها وشرب بها سواء في المعنى كما يقولون تكلمت بكلام حسن
وكلاما حسنا قال عنتره شعر شربت بماء الدحرضين فاصبحت
عسرا على طلابها ابنة محرم وانشد الفرا شعر شربن بماء البحر ثم
ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج يفجرونها تفجيرا اي يقودون تلك
العين حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم عن مجاهد والتفجير
تشقيق الارض بجري الماء قال وانهار الجنة تجري بغير اخدود
فاذا اراد المؤمن ان يجري نهرا خطه خطا فنبع الماء من ذلك الموضع
ويجري بغير تعب ثم وصف سبحانه هولاء الابرار فقال يوفون بالنذر
اي كانوا في الدنيا بهذه الصفة والايفاء بالنذر هو ان يفعل ما نذر
عليه فاذا نذر طاعة تممها ووفى بها عن مجاهد وعكرمة وقيل يتمون
ما فرض الله عليهم من الواجبات عن قتاده ويخافون يوما كان شره
مستطيرا اي فاشيا منتشرا ذاهبا في الجهات بلغ اقصى المبالغ وسمي العذاب
شرا لانه لا خير فيه للعاقبين وان كان في نفسه حسنا لكونه مستحقا وقيل
المراد بالشر هنا اهوال يوم القيمة وشدايده ويطعمون الطعام
على حبه اي على حب الطعام والمعنى يطعمون الطعام اشد ما يكون حاجتهم

اليه وصفهم سبحانه للاثره على انفسهم وفى الحديث عن ابى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلم اطعم على جوع الا اطعمه الله من ثمار الجنة وما من مسلم كسى اخاه
على عرى الا كساه الله من خضر الجنة ومن سقى مسلما على ظماء سقاه الله من
الرحيق قال ابن عباس يطعمون الطعام على شهوتهم له ومحبتهم اياه وقيل الهاء
كناية عن الله تع اى يطعمون الطعام على حب الله مسكينا وهو الفقير الذى
لا شئ له ويتيما وهو الذى لا والد له من الاطفال واسيرا وهو الماخوذ
من اهل دار الحرب عن قتاده وقيل هو المحبوس من اهل القبله عن مجاهد
وسعيد بن جبير وقيل الاسير المراة انما نطعمكم لوجه الله اى لطلب رضاء الله
خالصا لله مخلصا من الرياء وطلب الجزاء وهو قوله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
وهو مصدر مثل القعود والجلوس قيل انهم لم يتكلموا بذلك ولكن علم الله
سبحانه ما فى قلوبهم فاثنى به عليهم ليرغب فى ذلك الراغب عن سعيد بن جبير ومجاهد
والمراد لا نطلب بهذا الاطعام مكافاة عاجلة ولا نريد ان تشكرونا عليه عند
الخلق بل فعلناه لله انا نخاف من ربنا يوما اى عذاب يوم عبوسا اى مكفهرا
تعبس فيه الوجوه ووصف اليوم بالعبوس توسعا لما فيه من الشدة وهذا كما يقال
يوم صائم وليل نائم ثم قال ابن عباس يعبس فيه الكافر حتى يسيل من بين عينيه
عرق مثل القطران قمطريرا اى صعبا شديدا عن ابى عبيدة والمبرد وقال
الحسن سبحان الله ما اشد اسمه وهو من اسمه اشد وقيل القمطرير الذى يقلص
الوجوه وتقبض الجباه وما بين الاعين من شدته عن قتاده ومجاهد
قوله تعا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقيهم نضرة وسرورا وجزاهم
بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا
ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف
عليهم بانية من فضة واكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها
تقديرا ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا

ويطوف

ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا
واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر
واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقيهم ربهم شرابا طهورا ان
هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا اثنتا عشرة آية القراة قرا الشعبى
وعبيد بن عمير قدروها بضم القاف والقراة المشهورة قدروها بفتح القاف
وقرا اهل المدينة وحمزة عاليهم ساكنة الياء والباقون عاليهم بفتح الياء
وقرا اهل البصرة وابو جعفر وابن عامر خضر بالرفع واستبرق بالجر وقرا ابن كثير
وابو بكر خضر بالجر واستبرق بالرفع وقرا نافع وحفص بالرفع فيهما وقرا حمزة والكسائى
وخلف بالجر فيهما الحجة من قرا قدروها بالفتح فالمعنى قدروها فى انفسهم فجاءت
كما قدروها ومن قرا بالضم اراد ان ذلك قدر لهم اى قدره الله لهم كذلك
قال ابو على الضمير فى قدروها للخزان والملائكة اى قدروها على ربهم لا ينقص
من ذلك ولا يزيد عليه ومن قرا قدروها فهو هذا المعنى يريد وكان اللفظ
قدروا عليها فحذف الجار كما حذف من قوله شعر كانه واضح الاقراب فى لقح اسمى
بهن وعزته الاناصيل فلما حذف الحرف وصل الفعل فكذلك قوله قدروها
الا ان المعنى قدرت عليهم اى على ربهم فقلت كما قال شعر لا تحسبن دراهما سرقتها
تمحو مخازيك التى بعمان وعلى هذا يتاول قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة
ومثل هذا ما حكاه ابو زيد اذا طلعت الجوزاء او فى العود الحرباء قال ومن نصب
عاليهم فان النصب يحتمل امرين احدهما ان يكون حالا والاخر ان يكون ظرفا فاما
الحال فيحتمل ان يكون العامل فيها احد شيئين احدهما لقاهم والاخر جزاهم
ومثله فى كونه حالا متكئين فيها على الارائك فان قلت لم لا يكون متكئين صفة
جنة وفيها ذكر لها قيل لا يجوز ذلك الا ترى انه لو كان كذلك للزمك ان تبرز
الضمير الذى فى اسم الفاعل من حيث كان صفة للجنة وليس الفعل لها فاذا لم يجز
ذلك كان حالا وكذلك قوله ودانية عليهم ظلالها الا انه يجوز فى قوله ودانية

عليهم ظلالها امران احدهما الحال والاخران ينتصب على انه مفعول به ويكون المعنى
وجزاهم جنة وحريرا اى لبس حرير ودخول جنة دانية عليهم ظلالها فيكون على
هذا التقدير كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان فان لم يحمله على هذا وقلت انه
يعرض اقامة الصفة مقام الموصوف فان ذلك ليس بالمطرح فى كلامهم
واذا حملته على الحال يكون مثل ما عطفته عليه من قوله متكئين ودانية عليهم
وكذلك يكون عاليهم ثياب سندس معطوفا على ما انتصب على الحال فى السورة
ويكون ثياب سندس مرتفعه باسم الفاعل والضمير عايدا الى ذى الحال من قوله
عاليهم وفى الشواذ عاليتهم قراة الاعمش ويكون بمنزلة قوله خاشعا ابصارهم
وخاشعة ابصارهم ومن جعله ظرفا فانه لما كان بمعنى فوق جرى مجراه فى هذا
ومن قرا عاليهم بسكون الياء جعله مبتداء وثياب سندس خبره ويكون
عاليهم المبتداء فى موضع الجماعة كما ان الخبر جماعة وقد جاء اسم الفاعل
فى موضع جماعة قال شعر الا ان جيران العشيه رايح ٭ دعتهم دواع من هوى
ومنادح ٭ وفى التنزيل مستكبرين به سامرا تهجرون ويقطع دابر
القوم الذين ظلموا وكانه افرد من حيث جعل بمعنى المصدر من نحو قوله
ولا خارجا من فى زور كلام وقد قال الجامل والباقر يراد بهما الكثرة واخذ
على البصير النحوى الملقب بجامع العلوم هذا الكلام ونسبه فيه الى سوء التامل
وقال عاليهم بسكون الياء صفة لولدان اى يطوف عليهم ولدان عاليهم ثياب
سندس فيرتفع ثياب سندس باسم الفاعل الجارى صفة على الموصوف
واقول وبالله التوفيق انى لارى نظر هذا الفاضل قد اختل كما ان بصره
قد اعتل فرمى ابا على بدايه وانه لم ينظر فى خاتمة هذه الاية الى قوله
سبحانه وسقاهم ربهم شرابا طهورا ثم قوله عقيب ذلك ان هذا كان لكم
جزاء فيعرف ان الضمير فى عاليهم هو بعينه فى وسقاهم وهو ضمير المخاطبين
فى لكم وهذا الضمير لا يمكن ان يعود الا الى الابرار المثابين الجازين دون الولدان

المخلدين

المخلدين الذين هم من جملة ثوابهم وجزائهم اللهم لك الحمد على تاييدك وتسديدك
رجعنا الى كلام ابى على قال ويجوز على قياس قول ابى الحسن فى قايم اخوانك واعمال اسم
الفاعل عمل الفعل وان لم يعتمد على شى ان يكون ثياب سندس مرتفعة بعاليهم
وافردت عاليا لانه فعل متقدم قال ابو على والاوجه قراة من قال خضر بالرفع
واستبرق بالجر لان خضرا صفة مجموعة لموصوف مجموع وهو ثياب واما استبرق
فجر من حيث كان جنسا اضيفت اليه الثياب كما اضيفت الى سندس كما يقال ثياب
خز وكتان ويدل على ذلك قوله ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق
ومن قرا خضر واستبرق فانه اجرى الخضر وهو جمع على السندس لما كان
المعنى ان الثياب من هذا الجنس واجاز ابو الحسن وصف هذه الاجناس بالجمع
فقال يقول اهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض على استقباح له
ومن رفع استبرق فانما اراد عطف الاستبرق على الثياب كانه ثياب سندس و
ثياب استبرق فحذف المضاف الذى هو ثياب واقام استبرق مقامه كما انك
اذا قلت عليه خز فالمعنى عليه ثوب خز وليس المعنى ان عليه الدابة الذى هو الخز
وعلى هذا قوله كان خزا تحته وقزا وفرشا محشوة اوزا اللغة الوقاية الحفظ
والمنع من الاذى وقاه يقيه وقاية ووقاه يوقيه قال وبه ~ ان الموقى مثل
ما وقيت ومنه اتقاه وتوقاه واصل النشر الظهور فهو ظهور الضر ومنه
نشرت الثوب اذا اظهرته للشمس والريح قال ~ وحتى نشرت بالاكف المصاحف
اى اظهرت ومنه نشر النار لظهوره بنظايره والنضرة حسن الالوان وبنت ناضر
ونضير ونضر والسرور اعتقاد وصول المنافع اليه فى المستقبل وقال قوم هو
لذة فى القلب بحسب متعلقه بما فيه النفع وكل سرور فلا بد له من متعلق كالسرور بالمال
والولد والسرور بالاكرام والاجلال والسرور بالحمد والشكر والسرور بالثواب
والارايك الحجال فيها الاسرة واحدتها اريكه قال الزجاج الاريكة كل ما يتكا
عليه من مسورة او غيرها والزمهرير اشد ما يكون من البرد والزنجبيل ضرب من القرفة

طيب الطعم يحذو اللسان ويربى بالعسل فيستدفع المضار واذا مزج به الشراب فاق
من الالذاذ والعرب تستطيب الزنجبيل جدا قال الشاعر شعر كان القرنفل والزنجبيل
باتا بفيها واريا مشورا والسلسبيل الشراب السهل اللذيذ يقال شراب سلسل
وسلسال وسلسبيل والولدان الغلمان جمع وليد والسندس الديباج
الرقيق الفاخر الحسن والاستبرق الديباج الغليظ الذى له بريق الاعراب
واذا رايت ثم قال الزجاج العامل فى ثم معنى رايت المعنى واذا رميت ببصرك
ثم قال الفرا واذا رايت ثم وغلطه الزجاج فى ذلك وقال لان ما يكون موصولة
بقوله ثم على هذا التفسير ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة ولكن رايت
متعدى فى المعنى الى ثم وقيل يجوز ان يكون مفعول رايت محذوفا ويكون
ثم ظرفا والتقدير واذا رايت ما ذكرناه ثم المعنى ثم اخبر سبحانه بما اعد للابرار
الموصوفين فى الايات الاولى من الجزاء فقال فوقاهم الله شر ذلك اليوم اى
كفاهم الله ومنع منهم اهوال يوم القيمة وشدايده ولقاهم نضرة وسرورا
اى استقبلهم بذلك وجزاهم اى كافاهم بما صبروا اى بصبرهم على طاعته و اجتناب
معاصيه وتحمل محن الدنيا وشدايدها جنة يسكنونها وحريرا من لباس الجنة
يلبسونه ويفترشونه متكئين اى جالسين جلوس الملوك فيها اى فى الجنة على الارائك
اى الاسرة فى الحجال عن ابن عباس وقتاده ومجاهد وقيل كلما يتكا عليه فهو
اريكة عن الزجاج وقيل الارائك الفرش فوق الاسرة عن ابى مسلم لا يرون فيها
اى فى تلك الجنة شمسا يتاذون بحرها ولا زمهريرا يتاذون ببرده ودانية
عليهم ظلالها يعنى ان افياء اشجار تلك الجنة قريبة منهم وقيل ان ظلال الجنة
لا تنسخها الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا وذللت قطوفها تذليلا اى وسخرت
وسهل اخذ ثمارها تسخيرا ان قام ارتفعت بقدره وان قعد نزلت عليه
حتى ينالها وان اضطجع نزلت حتى ينالها بيده عن مجاهد وقيل معناه لا يرد ايديهم
عنها بعد ولا شوك ويطاف عليهم اى على هولاء الابرار الموصوفين قبل بانية من فضة

واكواب

واكواب جمع كوب وهو اناء الشراب من غير عروة وقيل الاكواب الاقداح عن مجاهد
كانت تلك الاكواب قواريرا اى زجاجا قوارير من فضة قال الصادق عليه السلم ينفذ
البصر فى فضة الجنة كما ينفذ فى الزجاج والمعنى ان اصلها من فضة فاجتمع لها
بياض الفضة وصفاء القوارير فيرى من خارجها ما فى داخلها قال ابو على
فقيل كيف يكون القوارير من فضة وانما القوارير من الرمل دون الفضة فالقول فى ذلك
ان الشئ اذا قاربه شئ واشتدت ملابسته له قيل انه من كذا وان لم يكن منه
فى الحقيقة كقول البعيث شعر الا اصبحت خنساء جاذمة الوصل وضنت علينا
والضنين من البخل وصدت فاعدانا بهجر صدودها وهن من الاخلاف
قبلك والمطل وقال شعر الا فى سبيل الله تغيير لمتى ووجهك مما فى القوارير اصفر
فعلى هذا يجوز قوارير من فضة اى هى من صفاء الفضة ونقائها ويجوز تقدير
حذف المضاف اى من صفاء الفضة وقوارير الثانية بدل من الاولى وليست بتكرار
وقيل ان قوارير كل ارض من تربتها وارض الجنة فضة فلذلك كانت قواريرها مثل
الفضة عن ابن عباس قدروها تقديرا اى قدروا الكاس على قدر ريهم لا يزيد ولا ينقص
من الرى والضمير فى قدروها للسقاة والخدم الذين يسقون فانهم يقدرونها
ثم يسقون وقيل قدروها على قدر ملء الكف اى كانت الاكواب على قدر ما اشتهوا
لم يعظم ولم يثقل الكف حملها عن الربيع والقرظى وقيل قدروها فى انفسهم
قبل مجيئها على صفة فجاءت على ما قدروا والضمير فى قدروا للشاربين ويسقون فيها
اى فى الجنة كاسا كان مزاجها زنجبيلا قال مقاتل لا يشبه زنجبيل الدنيا وقال ابن عباس
كل ما ذكر الله فى القران مما فى الجنة وسماه ليس له مثل فى الدنيا ولكن سماه الله بالاسم
الذى يعرف والزنجبيل مما كانت العرب تستطيبه فلذلك ذكره الله فى القران ووعدهم
انهم يسقون فى الجنة الكاس الممزوجة بزنجبيل الجنة عينا فيها تسمى سلسبيلا اى يمزج الخمر
بالزنجبيل والزنجبيل من عين تسمى تلك العين سلسبيلا قال ابن الاعرابى لم اسمع السلسبيل
الا فى القران وقال الزجاج هو صفة لما كان فى غاية السلاسة يعنى انها سلسلة يتسلسل فى الحلق

وقيل سميت سلسبيلاً لانها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن
الى اهل الجنان عن ابي العالية ومقاتل وقيل سميت بذلك لانها ينقاد ماؤها لهم يصرفونها
حيث شاؤوا عن قتاده ويطوف عليهم ولدان مخلدون مر تفسيره اذا رايتهم يعني اذا رايت
اولئك الولدان حسبتهم لولؤا منثورا من الصفا وحسن المنظر والكثرة فذكر كونهم
وكثرتهم وقيل انما شبههم بالمنثور لانتشارهم في الخدمة فلو كانوا صفا لشبهوا بالمنظوم فاذا رايت
ثم اذا رميت ببصرك ثم يعني الجنة وقيل ان تقديره واذا رايت الاشياء ثم رايت نعيما
خطيرا وملكا كبيرا لا يزول ولا يفنى عن الصادق عليه السلم وقيل كبيرا اي واسعا يعني ان نعيم
الجنة لا يوصف كثرة وانما يوصف بعضها وقيل الملك الكبير استيذان الملائكة عليهم وتحيتهم
بالسلام وقيل انهم لا يريدون شيئا الا قدروا عليه وقيل ان ادناهم منزلة ينظر في ملكه من مسيرة
الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل هو الملك الدايم الابدي في نفاذ الامر وحصول الاماني
عاليهم ثياب سندس وهو ما رق من الثياب فيلبسونها خضر واستبرق وهو ما غلظ
منها ولا يراد بها الغلظ في السلك انما يراد به الثخانة في النسج قال ابن عباس اما رايت
الرجل عليه ثياب والذي يعلوها افضلها وحلوا اساور من فضة الفضة الشفافة وهي
التي يرى ما وراءها كما يرى من البلورة وهي افضل من الدر والياقوت وهما افضل
من الذهب والفضة والذهب والفضة اثمان الاشياء وقيل انهم يحلون بالذهب تارة وبالفضة
اخرى ليجمعوا محاسن الحلية كما قال تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب والفضة وان كانت
دنية ثمن في الدنيا فهي في غاية الحسن خاصة اذا كانت بالصفة التي ذكرها والغرض في الاخرة
ما يكثر الاستلذاذ والسرور به لا ما يكثر ثمنه لانه ليست هناك اثمان وسقاهم
ربهم شرابا طهورا اي طاهرا من الاقذار والاقذاء لم تدنسها الايدي ولم تدسه
الارجل كخمر الدنيا وقيل طهورا لا يصير بولا ولا نجسا ولكن يصير رشحا في ابدانهم كريح
المسك وان الرجل من اهل الجنة يقسم له شهوة مائة رجل من اهل الدنيا واكلهم
ونهمتهم فاذا اكل ما شاء سقي شرابا طهورا فتطهر بطنه وتصير ما اكل رشحا يخرج
من جلده اطيب ريحا من المسك الاذفر وتضمر بطنه وتعود شهوته عن ابراهيم التيمي وابي قلابة

وقيل يطهرهم عن كل شيء سوى الله اذ لا طاهر من تدنس بشيء من الاكوان الا الله رووه
عن جعفر بن محمد عليهما السلم ان هذا يعني ما وصف من النعيم وانواع الملاذ كان لكم جزاء اي مكافاة
على اعمالكم الحسنة وطاعاتكم المبرورة وكان سعيكم في مرضاة الله وقيامكم بما امركم الله
به مشكورا اي مقبولا مرضيا جوزيتم عليه فكان شكر لكم فعلكم قوله عز وجل إِنَّا نَحْنُ
نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ
وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا
أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ
يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا تسع آيات القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وما يشاؤون
بالياء والباقون بالتاء وفي الشواذ قراءة عبد الله بن الزبير وابان بن عثمان
والظالمون بالواو الحجة وجه الياء قوله تعالى فمن شاء اتخذ ووجه التاء
انه خطاب للكافة وما تشاؤون الطاعة والاستقامة الا ان يشاء الله او يكون
محمولا على الخطاب واما قوله والظالمون فانه رفع الجملة مستانفة قال ابن جني كانه
قال الظالمون اعد لهم عذابا اليما ثم انه عطف الجملة على ما قبلها وقد سبق الرفع
الى المبتدا ها غير ان قراءة الجماعة اسبق وهو النصب لان معناه ويعذب الظالمين
فلما اضمر هذا الفعل فسره بقوله اعد لهم عذابا اليما وهذا اكثر من ان يورد له شاهد
قال الزجاج يقولون النحويون اعطيت زيدا وعمرا اعددت له برا فيختارون
النصب على معنى وبررت عمرا اعددت له برا وانشد عنترة شعر اصبحت لا احمل
السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا والذيب اخشاه ان مررت به وحدي
واخشى الرياح والمطرا اللغة الاسر اصله الشد ومنه قتب ماسور اي مشدود
ومنه الاسير لانهم كانوا يشدونه بالقد وقولهم خذه باسره اي شده قبل ان يحل
ثم كثر حتى صار بمعنى خذه جميعه قال الاخطل شعر من كل مجتنب شديد اسره سلس القياد

تعالى مختالاً الاعراب قال الزجاج في قوله ولا تطع منهم اثما او كفورا او هٰهنا اوكد من الواو وكا لواو ولان الواو اذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فاطاع احدهما كان غير عاص لانك امرته ان لا تطيع الاثنين واذا قال فلا تطع منهم اثما او كفورا فقد دلت على ان كل واحد منهما اهل ان يعصى وانهما اهل ان يعصيا كما انك اذا قلت جالس الحسن او ابن سيرين فقد قلت كل واحد منهما اهل ان يجالس قال البصير النحوي وهذه التي للتخيير اذا قلت اضرب زيدا او عمرا فمعناه اضرب احدهما فاذا قلت لا تضرب احدهما فيحرم عليه ضربهما لان احدهما في النفي يعم وابن كيسان يحمل النهي على الامر فيقول اذا قال لا تضرب احدهما لم يحرم عليه ضربهما وانما حرم في الاية طاعتهما لان احدهما بمنزلة الاخر في امتناع الطاعة له الا يرى ان الاثم مثل الكفور في هذا المعنى قال سيبويه ولو قال لا تطع اثما ولا تطع كفورا لانقلب المعنى اذ ذاك لانه حينئذ لا تحرم طاعتهما كليهما المعنى ثم اخبر سبحانه نبيه فقال انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فيه شرف وتعظيم لك وقيل معناه فصلناه في الانزال اية بعد اية ولم ننزله جملة واحدة عن ابن عباس فاصبر يا محمد على ما امرتك به من تحمل اعباء الرسالة لحكم ربك ان تبلغ الكتاب وتعمل به وقيل انه امر لنبينا صلى الله عليه وآله بالصبر وان كذب فيما اتى به وعيد لمن كذبه ولا تطع منهم اي مشركي مكة اثما يعني عتبة بن ربيعة او كفورا يعني الوليد بن المغيرة فانهما قالا له ارجع عن هذا الامر ونحن نرضيك بالمال والتزويج عن مقاتل وقيل الكفور ابو جهل نهى النبي صلى الله عليه وآله عن الصلوة وقال لئن رايت محمدا يصلي لاطان عنقه فنزلت الاية عن قتاده وقيل ان ذلك عام في كل عاص فاسق وكافر منهم اي من الناس اي لا تطع من يدعوك الى اثم او كفر وهذا اولى لتناوله الغاية وعدم التكرير واذكر اسم ربك بكرة واصيلا اقبل على شانك من ذكر الله والدعاء اليه وتبليغ الرسالة صباحا ومساء اي دائما فان الله ناصرك ومؤيدك ومعينك البكرة اول النهار والاصيل العشي وهو اصل الليل ومن الليل

فاسجد له

فاسجد له دخلت من للتبعيض والمعنى فاسجد له في بعض الليل لانه لم يامر بقيام الليل كله وقيل فاسجد له يعني المغرب والعشا وسبحه ليلا طويلا اي في ليل طويل يريد التطوع بعد المكتوبة وروي عن الرضا عليه السلم انه ساله احمد بن محمد عن هذه الاية وقال ما ذلك التسبيح قال صلوة الليل ان هؤلاء يحبون العاجلة اي يؤثرون اللذات والمنافع العاجلة في دار الدنيا ويذرون وراهم اي ويتركون امامهم يوما ثقيلا اي عسرا شديدا والمعنى انهم لا يؤمنون به ولا يعملون له وقيل معنى وراهم خلف ظهورهم وكلاهما محتمل ثم قال سبحانه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم اي قوينا واحكمنا خلقهم عن قتاده ومجاهد وقيل اسرهم اي مفاصلهم عن الربيع وقيل اوصالهم بعضها الى بعض بالعروق والعصب عن الحسن ولولا احكامه اياها على هذا الترتيب لما امكن العمل بها والانتفاع منها وقيل شددنا اسرهم جعلناهم اقوياء عن الجبائي وقيل معناه كلفناهم فشددناهم بالامر والنهي كما يجاوز واحد ود الله كما يشد الاسير بالقيد لئلا يهرب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اي اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم ولكن نبقيهم اتماما للحجة ان هذه السورة تذكرة اي تذكير وعظة يتذكر بها امر الاخرة عن قتاده وقيل ان هذه الرسالة التي تبلغها فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي فمن اراد اتخذ الى رضاء ربه طريقا بان يعمل بطاعته وينتهي عن معصيته وفي هذا دلالة على ان الاستطاعة قبل الفعل وما تشاؤن الا ان يشاء الله اي وما تشاؤن اتخاذ الطريق الى مرضاة الله اختيارا الا ان يشاء الله اجباركم عليه والجاكم اليه فحينئذ تشاؤن ولا ينفعكم ذلك والتكليف زايل ولم يشا الله هذه المشية بل شاء ان يختاروا الايمان ليستحقوا الثواب عن ابي مسلم وقيل معناه وما تشاؤن شيئا من العمل بطاعته الا والله يشاءه ويريده وليس المراد بالاية انه سبحانه يشا كل ما يشاؤه العبد من المعاصي والمباحات وغيرها لان الدلايل الواضحة قد دلت على انه سبحانه لا يجوز ان يريد القبايح ويتعالى عن ذلك وقد قال سبحانه ولا يريد بكم العسر وما الله يريد ظلما

للعباد ان الله كان عليماً حكيماً مر معناه يدخل من يشاء فى رحمته اى جنته
يعنى المؤمنين والظالمين يعنى ويجزى الكافرين والمشركين اعد لهم عذاباً
اليماً سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية بلا خلاف فضلها ابى بن كعب
عن النبى صلى الله عليه وآله قال ومن قرأ سورة والمرسلات كتب ليس من المشركين
وروى عن ابى عبد الله عليه السلام قال من قرأها عرف الله بينه وبين محمد صلى الله
عليه وآله تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة هل اتى بذكر القيمة وما اعد فيها
للظالمين افتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَارِقَاتِ
فَرْقًا فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ فَإِذَا النُّجُومُ
طُمِسَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ لِأَيِّ
يَوْمٍ أُجِّلَتْ لِيَوْمِ الْفَصْلِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ خمس عشرة آية القراءة قرأ اهل الحجاز والشام وابو بكر ويعقوب
وسهل عذراً ساكنة الذال ونذراً بضمها وروى محمد بن الحبيب عن الاعشى
عُذراً بسكون الذال او نذراً بضمها مثل رواية حماد ويحيى بن ابى بكر وقرأ
الباقون بسكون الذال وقرأ ابو جعفر وقتت بالواو والتخفيف وقرأ اهل
البصرة غير رويس بالواو والتشديد وقرأ الباقون اقتت بالالف وتشديد
القاف الحجة قال ابو على النذر بالتثقيل والنذير مثل المنكر والنكير وهما
جميعاً مصدران ويجوز فى النذير ضربان احدهما ان يكون مصدراً
كالنكير وعذير الحى والآخر ان يكون فعيلاً يراد به المنذر كما ان الاليم
بمعنى المؤلم ويجوز تخفيف النذر على حد التخفيف فى العنق والعنق والاذن
والاذن قال ابو الحسن عذراً ونذراً اى اعذاراً وانذاراً وقد خففتا جميعاً
وهما لغتان فاما انتصاب عذراً فعلى ثلثة اضرب احدها ان يكون بدلاً من الذكر

فى قوله

فى قوله فالملقيات ذكراً والآخر ان يكون مفعول ذكراً اى فالملقيات ان تذكر
عذراً او نذراً والثالث ان يكون منصوباً على انه مفعول له ويجوز فى قول
من ضم عذراً او نذراً ان يكون عذر جمع عاذر وعذر ونذر جمع نذير
قال حاتم اماوى قد طال التجنب والهجر وقد عذرتنى فى طلابكم العذر فيكون
عذراً او نذراً على هذا حالاً من الالقاء كانهم يلقون الذكر فى حال العذر
والانذار ومن قرأ وقتت بالواو فلان الكلمة اصلها من الوقت ومن
ابدل منها الهمزة فلانضمام الواو والواو اذا انضمت ولا فى نحو وجوه
ووعد وثالثة فى نحو ادور فانها تبدل على الاطراد همزة لكراهتهم الضمة
على الواو الاعراب والمعنى والمرسلات عرفاً يعنى الرياح ارسلت متتابعة
كعرف الفرس عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وابى صالح فعلى
هذا يكون عرفاً نصباً على الحال من قولهم جاؤا اليه عرفاً واحداً اى متتابعين
وقيل انها الملائكة ارسلت بالمعروف من امر الله ونهيه فى رواية اخرى
عن ابن مسعود عن ابى حمزة الثمالى عن اصحاب على عنه عليه السلام وعلى هذا يكون
مفعولاً له وقيل المراد بها الانبياء جاءت بالمعروف والارسال نقيض
الامساك فالعاصفات عصفاً يعنى الرياح الشديدات الهبوب والعصوف
مرور الريح بشدة والناشرات نشراً وهى الرياح التى تاتى بالمطر تنشر
السحاب نشراً للغيث كما تلقحه للمطر وقيل انها الملائكة تنشر الكتب عن الله
تعالى عن ابى حمزة الثمالى وابى صالح وقيل انها الامطار تنشر النبات عن
ابى صالح فى رواية اخرى وقيل الرياح ينشرها الله نشراً بين يدى رحمته
عن الحسن وقيل الرياح تنشر السحاب فى الهواء عن الجبائى فالفارقات فرقاً
يعنى الملائكة تاتى بما تفرق به بين الحق والباطل والهدى والضلال
عن الحسن وابى حمزة وقتادة وقيل انها الرياح التى تفرق بين السحاب
فتبدده عن مجاهد فالملقيات ذكراً يعنى الملائكة تلقى الذكر الى الانبياء

وتلقيه الانبياء الى الامم عن ابن عباس وقتاده وكانه الحاملات للذكر الطاردات
له ليأخذه من خوطب به والالقاء طرح الشيء على غيره عذرا او نذرا اى للاعذار
والانذار ومعناه اعذارا من الله وانذارا الى خلقه وقيل عذرا يعتذر الله
به الى عباده في العقاب انه لم يكن الا على وجه الحكمة ونذرا اى اعلاما للموضع
المخافة عن الحسن وهذه اقسام ذكرها الله تع وقيل اقسم الله سبحانه برب
هذه الاشياء تنبيها على عظم موقعها انما توعدون لواقع هذا جواب
القسم والمعنى ان الذى وعدكم الله تعالى به من البعث والنشور والثواب
والعقاب لكاين لا محاله وقيل ان الفرق بين الواقع والكاين ان الواقع
لا يكون الا حادثا تشبيها بالحايط الواقع لانه من ابين الاشياء في الحدوث
والكاين اعم منه لانه بمنزلة الوجود الثابت يكون حادثا وغير حادث ثم بين
سبحانه وقت وقوعه فقال فاذا النجوم طمست اى محيت آثارها واذهب
نورها وازيل ضوؤها واذا السماء فرجت اى شقت وصدعت فصار
فيها فروج واذا الجبال نسفت اى قلعت من مكانها كقوله سبحانه
ينسفها ربي نسفا وقيل نسفت اى ذهبت بسرعة حتى لا يبقى لها اثر في الارض
واذا الرسل اقتت اى جمعت لوقتها وهو يوم القيمة لتشهد على الامم وهو
قوله لاي يوم اجلت اى اخرت وضرب لهم الاجل لجمعهم تعجب العباد من ذلك
عن ابرهيم ومجاهد وابن زيد وقيل اقتت معناه عرفت وقت الحساب
والجزاء لانهم في الدنيا لا يعرفون متى يكون الساعة وقيل عرفت ثوابها
في ذلك اليوم وقال الصادق عليه السلم اقتت اى بعثت في اوقات مختلفة ثم بين
سبحانه ذلك اليوم فقال ليوم الفصل اى يوم يفصل الرحمن بين الخلايق
ثم عظم ذلك اليوم فقال وما ادريك ما يوم الفصل ثم اخبر سبحانه بحال
من كذب به فقال ويل يومئذ للمكذبين هذا تهديد ووعيد وانما خص الوعيد
بمن جحد يوم القيمة وكذب به لان التكذيب بذلك تبع خصال المعاصي كلها

وان لم يذكر

وان لم يذكر معه والعامل في الظرف محذوف يدل عليه قوله انما توعدون
لواقع والتقدير فاذا طمست النجوم وفرجت السماء ونسفت الجبال واقتت
الرسل وقعت القيمة قوله عز وجل الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين
كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين
فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون
ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا
فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين
ثلث عشرة آية القراة قرا اهل المدينة والكسائي فقدرنا بالتشديد
والباقون فقدرنا بالتخفيف وفي الشواذ قراة الاعرج نتبعهم بالجزم
الحجة قد تقدم ان قدر وقدر بمعنى والتخفيف اليق بقوله فنعم القادرون
ومن شدد اراد ان يجي باللغتين كما يقال جاد مجد وكقوله سبحانه فمهل
الكافرين امهلهم ومن جزم نتبعهم فانه يحتمل امرين احدهما انه اسكن
العين استثقالا لتوالي الحركات والثاني ان يكون عطفا على نهلك كما يقول
الرجل الم ازرك ثم احسن اليك فيكون معنى هذه القراة انه يريد قوما اهلكهم
الله سبحانه بعد قوم قبلهم على اختلاف اوقات المرسلين اليهم نبيا بعد
نبي واما الرفع على القراة المشهورة فلاستيناف الكلام او على ان يجعل
خبر ابتداء محذوف اللغة القرار المكان الذى يمكن طول المكث فيه
والقدر المقدار المعلوم الذى لا زيادة ولا نقصان والقدر المصدر
عن قولهم قدر يقدر قدرا وقدرا اى قدر فمن شدد جمع بين اللغتين
كما قال الاعشى وانكرتني وما كان الذى نكرت من الحوادث الا الشيب
والصلعا وكفت الشيء يكفته كفتا وكفاتا اذا ضمه ومنه الحديث
اكفتوا صبيانكم اى ضموهم الى انفسكم ومثله ضموا مواشيكم حتى تذهب
فحمة العشاء ويقال للوعاء كفت وكفيت قال ابو عبيد كفاتا اى اوعية

والرواسي الثوابت والشامخات العاليات ومنه شمخ بانفه اذا رفعه كبرا
وماء فراتا زلالا وعذبا بمنزلة من العذب وبرد والطيب ومنه سمي النهر
العظيم المعروف بالفرات قال الشاعر شعر اذا غاب عنا غاب عنا فراتنا وان شهد
اجدى نيله وفواضله قال ابن عباس اصول الانهار العذبة اربعة
جيحان ومنه دجلة وسيحان نهر بلخ وفرات الكوفة ونيل مصر الاعراب
احيا منصوب بانه مفعول قوله كفاتا معناه ان يكفت احياء وامواتا
فعلى هذا يكون كفات مصدرا وان جعلته جمع كفت فيكون العامل في احياء
معناه والتقدير واعية احياء او تجمع احياء المعنى ثم ذكر سبحانه ما فعله
بالمكذبين الاولين فقال الم نهلك الاولين يعني بالعذاب في الدنيا يريد
قوم نوح وعاد وثمود حين كذبوا رسلهم ثم نتبعهم الاخرين قوم لوط وابراهيم
لم يعطف نتبعهم على نهلك فيجزم بل استانف وقال المبرد تقديره ثم نحن
نتبعهم لا يجوز غيره لان قوله الم نهلك ماض وقوله ثم نتبعهم مستقبل ويو
قول الحسن ان الاخرين هم الذين يقوم عليهم القيمة كذلك نفعل بالمجرمين
اي كما فعلنا بمن تقدم نفعل بالمكذبين من اهل مكة وقد فعل ذلك بهم
فقتلوا يوم بدر وقد يكون الاهلاك بتصيير الشيء الى حيث لا يدري اين هو
اما باعدامه او باخفاء مكانه وقد يكون بالاماتة وقد يكون بالنقل الى
الجمادية ويل يومئذ يعني يوم الجزاء للمكذبين فانهم يجازون باليم العقاب
الم نخلقكم من ماء مهين اي حقير قليل الغناء وفي خلق الانسان على هذا الكمال
من الحواس الصحيحة والعقل الشريف والتمييز والنطق من ماء ضعيف اعظم
الاعتبار وابين الحجة على ان له صانعا مدبرا حكيما والجاحد لذلك كالمكابر
لبداية العقول فجعلناه اي فجعلنا ذلك الماء المهين في قرار مكين يعني
الرحم الى قدر معلوم اي الى مقدار من الوقت معلوم يعني الحمل فقدرناه
اي قدرنا خلقه كيف يكون قصيرا ام طويلا ذكرا ام انثى فنعم القادرون

ای فنعم

اي فنعم المقدرون نحن ويجوز ان يكون المعنى اذا خفف من القدرة اي قدرنا
على جميع ذلك فنعم القادرون على تدبير ذلك وما لا يقدر عليه احد الا نحن فحذف
المخصوص بالمدح ويل يومئذ للمكذبين بانا قد خلقنا الخلق وانا نعيدهم
الم نجعل الارض كفاتا للعباد تكفتهم احياء على ظهورها في دورهم ومنازلهم
وتكفتهم امواتا في بطنها اي تحوزهم وتضمهم عن قتادة ومجاهد والشعبي
قال بيان خرجنا في جنازة مع الشعبي فنظر الى الجبان فقال هذه كفات الاموات
ثم نظر الى البيوت فقال هذه كفات الاحياء وروي ذلك عن امير المؤمنين ع
وقيل كفاتا اي وعاء وهذه كفته اي وعاؤه وقوله احياء وامواتا اي منه ما ينبت
ومنه ما لا ينبت فعلى هذا يكون احياء وامواتا نصبا على الحال وعلى القول
الاول على المفعول به وجعلنا فيها رواسي شامخات اي جبالا ثابتة عالية
واسقيناكم ماء فراتا اي جعلنا لكم سقيا من الماء العذب عن ابن عباس
ويل يومئذ للمكذبين بهذه النعم وانها من جهة الله وقيل بالانبياء و
القرآن وانما كرر لانه عدد النعم فذكره عند كل نعمة فلا يعد ذلك تكرارا وقد
تقدم الوجه في التكرار في سورة الرحمن قوله عز وجل انطلقوا الى ما كنتم
به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب
انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين
هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين
هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون
ويل يومئذ للمكذبين اثنتا عشرة آية القراءة قرا رويس عن يعقوب
انطلقوا الثانية بفتح اللام والباقون من القراء على كسر اللام فيهما
وقرا اهل الكوفة غير ابي بكر جمالة بغير الف و يعقوب جمالات بالالف
وضم الجيم وروي ذلك عن ابن عباس و سعيد بن جبير وغيرهما وقرا
الباقون جمالات بالالف وكسر الجيم وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن جبير

بخلاف كالقصر بفتح القاف والصاد من قرأ انطلقوا الثانية بالفتح فلانه حمل الاول على الامر
والثاني على الخبر وجمالات جمع جمال جمع بالالف والتاء على تصحيح البناء كما جمع على تكسيره
في قولهم جمائل قال ذو الرمة شعر وقربن بالزرق الجمائل بعد ما تقوب عن غربان اوراكها
الخطر واما جمالة فان التاء لحقت جمالا لتانيث الجمع كما لحقت في فحل وفحالة وذكر
وذكارة ومن قرأ جمالات بالضم فهي جمع جمالة وهو القلس من قلوس سفن البحر ويقال
من قلوس الجسر قال الزجاج ويجوز ان يكون جمع جمل وجمال وجمالات كما قيل رجال
جمع رجل ومن قرأ كالقصر بفتح الصاد فهو جمع قصرة اي كانها اعناق الابل وقيل القصر
اصول الشجر واحدتها قصرة وكذا قرأها مجاهد وقال هي حزم الشجر قال الحسن القصرة
وقصر مثل جمرة وجمر وهي اصول الشجر قال والعامة يجعلونها على القصور قال ابن جني
وحدثنا ابو علي ان القصر هنا بمعنى القصور وقال هي بيوت من أدم كانوا يضربونها
بها اذا نزلوا على الماء المعنى ثم بين سبحانه ما يقال لهم جزاء على تكذيبهم قال
انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اي يقول لهم الخزنة اذهبوا وصيروا الى النار
التي كنتم تجحدونها وتكذبون بها ولا تعترفون بصحتها في الدنيا والانطلاق
الانتقال من مكان الى مكان من غير مكث ثم ذكر الموضع الذي امرهم بالانطلاق
اليه فقال انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب سماها ظلا لسواد نار جهنم وقيل هو دخان
جهنم له ثلث شعب يحيط بالكافر شعبة يكون فوقه وشعبة عن يمينه وشعبة عن شماله
فسمي الدخان ظلا كما قال احاط بهم سرادقها اي من الدخان الآخذ بالانفاس
عن مجاهد وقتادة وقيل يخرج من النار لسان فيحيط بالكافر كالسرادق
فيتشعب ثلث شعب يكون فيها حتى يفرغ من الحساب ثم وصف سبحانه ذلك
الظل فقال لا ظليل اي غير مانع من الاذى بستره عنه ومثله الكنين فالظليل
من الظلة وهي السترة والكنين من الكن فظل هذا الدخان لا يغني الكفار
شيئا من حر النار وهو قوله لا يغني من اللهب اي اللهب ما يعلو على النار اذا اضطرمت
من احمر واصفر واخضر يعني انهم اذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر

اللهب

اللهب ثم وصف النار فقال انها ترمي بشرر وهو ما تطاير من النار في
الجهات كالقصر اي مثله في عظمه وتخويفه تتطاير على الكفار من كل
جهة نعوذ بالله منه وهو واحد القصور من البنيان عن ابن عباس
ومجاهد والعرب تشبه الابل بالقصور قال الاخطل شعر كانه برج رومي
يشيده لز بجص وآجر واحجار وقال عنترة شعر فوقفت فيها ناقتي وكانها
فدن لاقضي حاجة المتلوم والفدن القصر وقيل كالقصر اي كاصول
الشجر العظام عن قتادة والضحاك وسعيد بن جبير ثم شبهه في لونه بالجمالات
الصفر فقال كانه جمالات صفر اي كانها اينق سود لما يعتري سوادها من
الصفرة عن الحسن وقتادة قال الفراء لا ترى سود الابل الا وهو مشرب صفرة
ولذلك سمت العرب سود الابل صفرا وقيل هو من الصفرة لان النار يكون
صفراء عن الجبائي ويل يومئذ للمكذبين بنار هذه صفتها هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون قيل في معناه قولان احدهما انهم لا ينطقون بنطق
ينتفعون به وكانهم لم ينطقوا والثاني ان في القيمة مواقف ففي بعضها يختصمون
ويتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم فلا يتكلمون وعن قتادة قال جاء رجل
الى عكرمة فقال ارايت قول الله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقوله ثم انكم
يوم القيمة عند ربكم تختصمون قيل انها مواقف فاما موقف منها فتكلموا
واختصموا ثم ختم على افواههم فتكلم ايديهم وارجلهم فحينئذ لا ينطقون
واجاز النحويون هذا يوم لا ينطقون بالنصب على انه يشير الى الجزاء
ولا يشير الى اليوم وقوله فيعتذرون رفع عطفا على قوله لا يؤذن
لهم تقديره فلا يعتذرون ولو قيل فلا يعتذروا فنصب لكان المعنى ان
الاذن سبب لعذرهم ولكن المعنى لا يؤذن لهم في الاعتذار وهم لا يعتذرون
ويل يومئذ للمكذبين بهذا الخبر هذا يوم الفصل بين اهل الجنة والنار
وقيل هذا يوم الحكم والقضاء بين الخلق والانتصاف للمظلوم من الظالم

ر

وفصل القضاء يكون في الاخرة على ظاهر الامر وباطنه بخلاف الدنيا الا ان القاضى
يحكم على ظاهر الامر في الدنيا ولا يعرف البواطن جمعناكم والاولين يعنى مكذبى
هذه الامة مع مكذبى الامم قبلها جمع الله سبحانه الخلايق في يوم واحد فان كان
لكم كيد فكيدون اى ان كانت لكم حيلة فاحتالوا لانفسكم وقيل ان هذا توبيخ
من الله تع للكفار وتقريع لهم واظهار لعجزهم عن الدفع عن انفسهم فضلا
ان يكيدوا غيرهم وانما هو على انكم كنتم تعملون في دار الدنيا ما يغضبنى فالان
عجزتم عن ذلك وحصلتم على وبال ما عملتم ويل يومئذ للمكذبين بهذا قوله عز وجل
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ كُلُوا
وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا
لَا يَرْكَعُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ عشر آيات
المعنى ثم ذكر سبحانه المومنين ان المتقين الذين اتقوا الشرك والفواحش
في ظلال من اشجار الجنة وعيون جارية بين ايديهم في غير اخدود لان ذلك
امتع لهم بما يرونه من حسن مباهها وصفايها وقيل عيون اى ينابيع مما يجرى
خلال الاشجار وفواكه جمع فاكهه وهى ثمار الاشجار مما يشتهون اى من جنس
ما يشتهونه والشهوة معنى في القلب اذا صادف المشتهى كان لذة وضده النفار
ثم قال كلوا واشربوا صورته صورة الامر والمراد الاباحة وقيل انه امر على الحقيقة
وهو سبحانه يريد منهم الاكل والشرب في الجنة فانهم اذا علموا ذلك ازداد سرورهم
فلا يكون ارادته لذلك عبثا هنيئا بما كنتم تعملون في دار الدنيا اى خالصا
من التكدير والهنىء النفع الخالص من شائب الاذى وقيل هو الذى لا اذى
يتبعه انا كذلك نجزى المحسنين هذا ابتداء اخبار من الله تعا ويقال لهم
ذلك ايضا ويل يومئذ للمكذبين بهذا الوعد ثم عاد الكلام الى ذكر المكذبين
فقال سبحانه كلوا اى يقال لهم كلوا وتمتعوا في الدنيا قليلا اى تمتعا قليلا او زمانا

قليلا

قليلا فان الموت كاين لا محاله انكم مجرمون اى مشركون مستحقون للعذاب
ويل يومئذ للمكذبين بهذا الوعيد واذا قيل لهم اركعوا اى صلوا لا يركعون
اى لا يصلون قال مقاتل نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه واله
بالصلوة فقالوا لا نجنى والرواية لا نجبى فان ذلك مسبة علينا فقال عليه السلم
لا خير في دين ليس فيه ركوع وسجود وقيل ان المراد بذلك يوم القيمة حين
يدعون الى السجود فلا يستطيعون عن ابن عباس ويل يومئذ للمكذبين
بوجوب الصلوة والعبادات فباى حديث بعده يومنون اى باى بعد القران
يصدقون ولم يصدقوا به مع اعجازه وحسن نظمه فان لم يؤمن به
مع ما فيه من الحجة الظاهرة والاية الباهرة لا يؤمن بغيره سورة عم يتساءلون
تسمى سورة النباء وسورة المعصرات ومنهم من يقول سورة التساؤل
وهى مكية عدد اياتها احدى واربعون آية مكى بصرى اربعون في الباقين
اختلافها اية عذابا قريبا مكى بصرى فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله
عليه واله قال ومن قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيمة
وروى عن ابى عبد الله عليه السلم انه قال من قرأ عم يتساءلون لم تخرج سنته
اذا كان يدمنها في كل يوم حتى يزور البيت الحرام تفسيرها لما ختم الله
سبحانه تلك السورة بذكر القيمة ووعيد المكذبين بها افتتح هذه السورة
بذكرها وذكر دلايل القدرة على البعث والاعادة فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ
ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ
أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ
مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا وَأَنْزَلْنَا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ست عشرة آية

القراة فى الشواذ قرأة عكرمه وعيسى ابن عمر عما يتسآءلون وقراه ابن الزبير
وابن عباس وقتاده وانزلنا بالمعصرات الجماة قال ابن جنى اثبات
الالف فى ما الاستفهامية اذا دخل عليها حرف جر اضعف اللغتين ودونها
عن قطرب لحسان بيت على ما قام يستمنى لئيم كخنزير تمرغ فى رماد
وقال فى قوله بالمعصرات اذا انزل بها كقولهم اعطيته من يدى
شيئا وبيدى شيئا المعنى واحد ومعنى من هنا ابتداء الغاية اى كان مبتدا
العطية من يده اللغة النبأ الخبر العظيم الشان ومنه النبى على مذهب
من يهمزه والمهاد الوطاء ومهد الشئ تمهيدا اى وطاه توطية والوتد
المسمار الا انه اغلظ منه والسبات لقطع العمل للراحة ومنه سبت انفه
اذا قطعه ومنه يوم السبت اى يوم قطع العمل على ما جرت به العادة فى شرع
موسى والوهاج الوقاد وهو المشتعل بالنور العظيم والمعصرات السحاب
يعتصر بالمطر كان السحاب يحمل الماء ثم تعصره الرياح فترسله كارسال الماء
بعصر الثوب وعصر القوم مطروا والثجاج الدفاع فى انصبابه كثج دماء
البدن يقال ثججت دمه اثجه ثجا وقد ثج الدم يثج ثجوجا وفى الحديث
افضل الحج العج والثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج اساله دم الهدى
والالفاف الاخلاط المتداخلة يدور بعضها على بعض واحدها الف ولفيف
وقيل شجرة لغاء واشجار لف بضم اللام وجنات لفافا الاعراب عم اصله
عن ما جعل النون ميما وادغم الميم فى الميم وحذفت الالف لاتصال ما بحرف
الجر حتى صارت كالجزء منه وليحصل الفرق بين الاستفهام والخبر وهذه الحروف
التى تسقط معها هذه الالف ثمانية عن تقول عم ومن نحو مم والباء بم واللام
نحو لم وفى نحو فيم والى نحو الام وعلى نحو علام وعلى نحو حتام قال البصير
جامع العلوم النحوى عن النباء لا يكون بدلا من عم لانه لو كان بدلا لوجب تكرار
ما لان الجار المتصل بحرف الاستفهام اذا اعيد اعيد مع الحرف المستفهم به

كقولك

كقولك بكم ثوبك بعشرين ام بثلثين ولا يجوز بعشرين من غير همزه فاذا كان كذلك
كان قوله عن النباء متعلقا بفعل اخر دون هذا الظاهر المعنى عم يتسآءلون
قالوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله واخبرهم بتوحيد الله تعا وبالبعث
بعد الموت وتلا عليهم القران جعلوا يتساءلون بينهم اى يسال بعضهم بعضا
على طريق الانكار والتعجب فيقولون ماذا جاء به محمد وما الذى اتى به فانزل الله تعا
عم يتساءلون اى عن اى شئ يتساءلون قال الزجاج اللفظ لفظ استفهام والمعنى
تفخيم القصة كما تقول اى شئ زيد اذا عظمت شانه ثم ذكر ان تسالهم عماذا فقال
عن النباء العظيم وهو القران ومعناه الخبر العظيم الشان لانه ينبئ عن التوحيد
وتصديق الرسول والخبر عما يجوز وعما لا يجوز وعن البعث والنشور وقيل
يعنى نباء يوم القيمة عن الضحاك وقتاده ويؤيده قوله ان يوم الفصل كان
ميقاتا وقيل النباء العظيم ما كانوا يختلفون فيه من اثبات الصانع وصفاته
والملايكه والرسل والبعث والجنة والنار والرسالة والخلافة فان النباء
معروف يتناول الكل الذى هم فيه مختلفون فمصدق به ومكذب كلا ليس الامر كما قالوا
سيعلمون عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الامور ثم كلا سيعلمون هذا وعيد على اثر
وعيد وقيل كلا اى حقا سيعلمون اى سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المومنون
عاقبة تصديقهم عن الضحاك وقيل كلا سيعلمون ما ينالهم يوم القيمة ثم كلا
سيعلمون ما ينالهم فى جهنم من العذاب فعلى هذا لا يكون تكرارا ثم نبههم سبحانه
على وجه الاستدلال على صحة ذلك فقال الم نجعل الارض مهادا اى وطاء وقرارا
مهياء للتصرف فيه من غير اذية وقيل مهادا اى بساطا عن قتاده والجبال اوتادا
للارض لئلا تميد باهلها وخلقناكم ازواجا اى اشكالا كل واحد شكل الاخر
وقيل معناه ذكرانا واناثا حتى يصح منكم التناسل ويتمتع بعضكم ببعض وقيل
اصنافا اسود وابيض وصغيرا وكبيرا الى غير ذلك وجعلنا نومكم سباتا اختلف
فى معناه على وجوه احدها ان معناه جعلنا نومكم راحة ودعة لاجسادكم وثانيها

ان المعنى جعلنا نومكم قطعا لاعمالكم وتصرفكم عن ابن الانبارى وثالثها
جعلنا نومكم سباتا ليس بموت على الحقيقة ولا مخرج عن الحيوة والادراك
وجعلنا الليل لباسا اى غطاء وسترة يستر كل شىء بظلمته وسواده
وجعلنا النهار معاشا المعاش العيش اى جعلناه مطلب معاش او مسعى
معاش وقيل معناه جعلنا النهار وقت معاشكم تتصرفون فى معايشكم
او موضع معاشكم تبتغون فيه من فضل ربكم وبنينا فوقكم سبعا اى سبع
سموات شدادا محكمة احكمنا صنعها واوثقنا بناها وجعلنا سراجا
وهاجا يعنى الشمس جعلها سبحانه سراجا للعالم وقادا متلاليا بالنور يستضيئون
به فالنعمة عامة بجميع الخلق قال مقاتل جعل فيه نورا وحرا والوهج يجمع
النور والحر وانزلنا من المعصرات اى الرياح ذوات الاعاصير عن مجاهد
وقتاده والكلبى قال الازهرى ومن معناه الباء فكانه قال بالمعصرات
وذلك ان الريح تستدر المطر وقيل المعصرات السحاب تحلب بالمطر عن الربيع
وابى العالية وهو رواية الوالبى عن ابن عباس ماء ثجاجا اى صبابا دفاعا
فى انصبابه وقيل مدرارا عن مجاهد وقيل متتابعا يتلو بعضه بعضا عن قتاده
لنخرج به اى بالماء حبا ونباتا فالحب كل ما تضمنه كمام الزرع الذى يحصد
والنبات الكلأ من الحشيش والزرع ونحوها فجمع الله سبحانه بين جميع
ما يخرج من الارض وقيل حبا تاكله الناس ونباتا تنبته الارض مما تاكله
الانعام وجنات اى بساتين الفافا اى ملتفة بالشجر والتقدير ويخرج به
شجر جنات الفافا فحذف لدلالة الكلام عليه وانما سمى جنة لان الشجرة تجنها
اى تسترها قوله عز وجل ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ فى الصور
فتاتون افواجا وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت الجبال فكانت
سرابا ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها احقابا
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا

لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شىء احصيناه كتابا فذوقوا
فلن نزيدكم الا عذابا اربع عشرة آية القراءة قرأ اهل الكوفة غير الاعشى
والبرجمى وفتحت بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ حمزة لبثين بغير
الف والباقون لابثين بالالف والخلاف فى غساق مذكور فى ص وروى
عن على عليه السلم وكذبوا بآياتنا كذابا بالتخفيف والقراءة المشهورة كذبوا بآياتنا
كذابا بالتثقيل وحكى ابو حاتم فى الشواذ عن عبد الله بن عمر كذابا بضم الكاف
وتشديد الذال الحجة قال ابو على فتحت بالتشديد اوفق لقوله مفتحة
لهم الابواب ومن حجة التخفيف قوله ففتحنا عليهم ابواب كل شىء وحجة من قرأ
لابثين بالالف مجىء المصدر على اللبث فهو من باب شرب يشرب ولقم يلقم وليس
من باب فرق يفرق اذ لو كان منه لكان المصدر مفتوح العين فلما اسكن وجب
ان يكون اسم الفاعل فاعلا وقد جاء غير حرف من هذا النحو على فاعل وفعل
والكذاب مصدر كذب كما ان الكلام مصدر كلم وكذا القياس فيما زاد على
الثلاثة ان ياتى بلفظ الفعل وتزيد فى اخره الالف كقولك اكرمته اكراما فاما
التكذيب فزعم سيبويه ان التاء عوض من التضعيف والياء التى قبل الاخر
كالالف فاما الكذاب فمصدر كذب قال الاعشى فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه
كذابه فهو مثل كتاب فى مصدر كتب واما الكذاب بضم الكاف فقد قال
ابو حاتم لا وجه له الا ان يكون كذاب جمع كاذب فنصبه على الحال اى وكذبوا
بآياتنا فى حال كذبهم قال الطرفة اذا اتاه ما لابد منه فرحبا به حين ياتى
لا كذاب ولا علل اللغة الميقات منتهى المقدار المضروب لحدوث امر من الامور
وهو من الوقت كما ان الميعاد من الوعد والمقدار من القدر والمرصاد
هو المعتد لامر على ارتقاب الوقوع فيه قال الازهرى المرصاد المكان الذى
يرصد فيه العدو والاحقاب واحدها حقب من قوله او امضى حقبا اى دهرا
طويلا وقيل واحده حقب بفتح القاف وواحد الحقب حقبة قال وكنا كندمانى جذيمة

حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصد عما الاعراب يوم ينفخ منصوب لانه بدل
من يوم الفصل او افواجا نصب على الحال لا يذوقون فيها بردا جملة يجوز ان يكون
حالا من لابثين والتقدير يلبثون غير ذائقين ويجوز ان يكون صفة
لقوله احقابا والتقدير احقابا غير مذوق فيها وجزاء مصدر وضع
موضع الحال وكل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره قوله احصيناه وكتابا منصوب
على المصدر لان نكتب في معنى احصي ويجوز ان يكون في موضع الحال اي مكتوبه
والتقدير واحصيناه كتابا لتبين المعنى ثم ذكر سبحانه الاعادة والبعث تنبيها
على انه دل بذكر الايات فيما تقدم على صحة البعث فقال ان يوم الفصل كان
اي يوم القضاء الذي يفصل الله فيه الحكم بين الخلايق كان ميقاتا لما وعد الله
من الجزاء والحساب والثواب والعقاب يوم ينفخ في الصور وقد مر معناه
فتاتون افواجا اي جماعة جماعة الى ان تتكاملوا في القيمة وقد زمرا زمرا
من كل مكان للحساب كل فريق ياتي مع شكله وقيل ان كل امة تاتي مع نبيها
فكذلك جاؤوا افواجا وفتحت السماء اي شقت لنزول الملايكة فكانت
ابوابا اي ذات ابواب وقيل صار فيها طرق ولم تكن كذلك قبل وسيرت
الجبال اي ازيلت عن اماكنها وذهب بها فكانت سرابا اي كالسراب يظن
انها جبال وليست اياها وفي الحديث عن البراء بن عازب قال كان معاذ
بن جبل جالسا قريبا من رسول الله صلى الله عليه وآله في منزل ابي ايوب
الانصاري فقال معاذ يا رسول الله ارايت قول الله تع يوم ينفخ في الصور
فتاتون افواجا الايات فقال يا معاذ سالت عن عظيم من الامر ثم ارسل
عينيه ثم قال تحشر عشرة اصناف من امتي اشتاتا قد ميزهم الله تع من المسلمين
وبدل صورهم فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم
منكسون ارجلهم من فوق ووجوههم من تحت ثم يسحبون عليها وبعضهم
عمي يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون السنتهم فيسيل

القيح من افواههم لعابا يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم
وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم
يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة
فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما
المنكسون على رؤوسهم فاكلة الربا والعمي الجايرون في الحكم والصم البكم
المعجبون باعمالهم والذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالف
اعمالهم اقوالهم والمقطعة ايديهم وارجلهم الذين يؤذون الجيران والمصلبون
على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان والذين هم اشد نتنا
من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله تعا
فادو الحميم والذين هم يلبسون الجباب فاهل الفخر والخيلاء ان جهنم كانت مرصادا
يرصدون به اي معدة لهم يرصد بها خزنتها الكفار عن المبرد وقيل مرصادا
محبسا اي يحبس فيه الناس عن مقاتل :: العاصين فهو موردهم
ومنهلهم وهذا اشارة الى جهنم للعصاة على الرصد :: للطاغين مابا اي للذين
جاوزوا حدود الله وطغوا في معصية الله مرجعا يرجعون اليه ::
المجرم قد كان باجرامه فيها ثم رجع اليها لابثين فيها احقابا اي ماكثين فيها
ازمانا كثيرة وذكر فيه اقوال احدها ان المعنى احقابا لا انقطاع لها كلما
مضى حقب جاء بعده حقب اخر والحقب ثمانون سنة من سني الاخرة عن قتاده و
الربيع وثانيها ان الاحقاب ثلثة واربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف
سبعماية سنة كل سنة ثلثماية وستون يوما كل يوم الف سنة عن مجاهد وثالثها
ان الله تعا لم يذكر شيئا الا وجعل مدة ينقطع اليها ولم يجعل لاهل النار مدة
بل قال لابثين فيها احقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل اخر ثم اخر كذلك
الى ابد الابدين فليس للاحقاب عدة الا الخلود في النار ولكن قد ذكروا ان الحقب
الواحد سبعون الف سنة كل يوم من تلك السنين الف سنة مما تعدون عن الحسن ورابعها

حميما

اى مجاز الاية لابثين فيها احقابا لا يذوقون فى تلك الاحقاب بردا ولا شرابا الا
وغساقا ثم يلبثون فيها لا يذوقون غير الحميم والغساق من انواع العذاب
فهذا توقيت لانواع العذاب لا لمكثهم فى النار وهذا احسن الاقوال وظاهرها
انه يعنى به اهل التوحيد عن خالد بن معدان وروى نافع عن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يخرج من النار من دخلها حتى يمكث فيها
احقابا والحقب بضع وستون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم
كالف سنة مما تعدون فلا يتكلن احد على ان يخرج من النار وروى العياشى
باسناده عن حمران قال سالت ابا جعفر عليه السلام عن هذه الاية فقال هذه فى
الذين يخرجون من النار وروى عن الاحول مثله وقوله لا يذوقون فيها
بردا ولا شرابا يريد النوم والماء عن ابن عباس قال ابو عبيدة البرد النوم
هٰهنا وانشد فيصدنى عنها وعن قبلاتها البرد اى النوم وقيل لا يذوقون
فى جهنم بردا ينفعهم من حرها ولا شرابا ينفعهم من عطشها عن مقاتل الا حميما
وهو الماء الحار الشديد الحر وغساقا وهو صديد اهل النار جزاء وفاقا
اى وافق عذاب النار الشرك لانهما عظيمان فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب
اعظم من النار عن مقاتل وقيل جوزوا جزاء وافق اعمالهم عن الزجاج وهو المروى
عن ابن عباس ومجاهد وقتاده والوفاق الجارى على المقدار فالجزاء وفاق
لانه جار على مقدار الاعمال فى الاستحقاق انهم كانوا لا يرجون حسابا اى فعلنا
ذلك بهؤلاء الكفار لانهم كانوا لا يخافون ان يحاسبوا والمعنى كانوا لا يؤمنون
بالبعث ولا بانهم محاسبون عن الحسن وقتاده وقيل لا يرجون المجازاة على الاعمال
ولا يظنون ان لهم حسابا عن ابى مسلم وقال الهذلى فى الرجاء بمعنى الخوف
شعر اذا لسعته النحل لم يرج لسعها ۞ وخالفها فى بيت نوب عوامل ۞ وكذبوا
باياتنا اى بما جاءت به الانبياء وقيل بالقران وقيل بحجج الله لم يصدقوا
بها كذابا اى تكذيبا وكل شئ احصيناه كتابا اى وكل شئ من الاعمال بيناه

فى اللوح

فى اللوح المحفوظ ومثله وكل شئ احصيناه فى امام مبين وقيل معناه
وكل شئ من اعمالهم حفظنا ليجازيهم به ثم بين ان ذلك الاحصاء والحفظ
وقع بالكتابة لان الكتابة ابلغ من حفظ الشئ من الاحصاء ويجوز ان يكون
كتابا حالا موكدة اى احصيناه فى حال كونه مكتوبا عليهم والكتاب بمعنى المكتوب
فذوقوا اى فقيل لهؤلاء الكفار ذوقوا ما انتم فيه من العذاب فلن نزيدكم
الا عذابا لان كل عذاب ياتى بعد الوقت الاول فهو زائد عليه قوله عز وجل
إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا وَكَأْسًا دِهَاقًا
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا رَبِّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا يَوْمَ
يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ
وَقَالَ صَوَابًا ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ
عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِى
كُنْتُ تُرَابًا احدى عشرة آية القراءة قرء الكسائى ولا كذابا بتخفيف الذال
والباقون بالتشديد وقرء اهل الحجاز وابو عمرو رب السموات بالرفع
والباقون بالجر وقرء عاصم وابن عامر ويعقوب وسهل الرحمن بالجر والباقون
بالرفع الحجة ولا كذابا يجوز ان يكون مصدر كذب فيكون معناه
ولا كذبا ويجوز ان يكون مصدر كاذبه مكاذبة وكذابا وبالتشديد
يكون مصدر كذب قال الفراء قال اعرابى فى طريق مكة يا با زكريا
القصار احب اليك ام الحلق يريد اقصر شعرى ام احلق ومن قرا رب
السموات والارض وما بينهما الرحمن قطع الاسم الاول من الجر الذى
قبله فى قوله جزاء من ربك فابتداء وجعل الرحمن خبره ثم استانف
لا يملكون منه ومن قرا رب السموات وما بينهما الرحمن اتبع الاسمين
الجر الذى قبلهما فى قوله من ربك ومن قرا رب السموات الرحمن اتبع رب

السموات بالجر الذي في قوله من ربك واستأنف بقوله الرحمن ويجعل
قوله لا يملكون خبر قوله الرحمن اللغة الحديقة الجنة المحفوظة والجمع
الحدائق ومنه احدق القوم بفلان اذا اطافوا به ومنه الحدقة لانه يحيط
بها جفنها والاعناب جمع عنب وهو ثمر الكرم قبل ان يجف فاذا جف
فهو الزبيب والكواعب جمع الكاعب وهي الجارية التي نهد ثدياها والاتراب
جمع ترب وهي اللدة التي تنشأ مع لدتها على سن الصبي الذي يلعب
بالتراب والدهاق الكاس الممتلية التي لا مزيد عليها واصل الدهق شدة
الضغط ادهقت الكاس ملأتها قال ع بلذة بكاسه الدهاق عطاء
حسابا اي كثيرا كافيا يقال احسبت فلانا اي اعطيته ما يكفيه حتى قال
حسبي قال شعر ونقفي وليد الحي ان كان جائعا ونحسبه ان كان ليس بجائع
قال الاصمعي يقال حسبت الرجل بالتشديد اذا اكرمته وانشد اذا اتاه ضيفه
يحسبه من حاقن او من صريح بجلبه الاعراب حدائق بدل من قوله مفازا
بدل البعض من الكل وكذلك ما بعده واترابا صفة لكواعب جزاء منصوب
بمعنى ان للمتقين مفازا اي جازاهم بذلك جزاء واعطاهم عطاء فان معنى
جازاهم واعطاهم واحد يوم يقوم الروح ظرف لقوله لا يملكون وقوله
صفا منصوب على الحال ويوم ينظر ظرف لقوله عذابا الانذار بمعنى التعذيب
المعنى ثم عقب سبحانه وعيد الكفار بالوعد للمتقين الابرار فقال ان للمتقين
الذين يتقون الله باجتناب الشرك والمعاصي مفازا اي فوزا ونجاة
الى حال السلامة والسرور وقيل المفاز موضع الفوز وقالوا للمهلكة مفازة
على طريق التفاؤل كانهم قالوا منجاة وقيل مفازا منجى الى متنزه وهو النجاة
من النار الى الجنة ثم بين ذلك الفوز فقال حدائق واعنابا بمعنى اشجار
الجنة وثمارها وكواعب اترابا اي جواري تكعبت ثديهن مستويات في السن
عن قتاده ومعناه استواء الخلقة والقامة والصورة والسن عن ابي علي

الجبائي وكأسا دهاقا اي مترعة مملوة عن ابن عباس والحسن وقتاده وقيل
متتابعة على شاربها اخذ من متابعة الشد في الدلو عن مجاهد وسعيد
بن جبير وقيل دما دم عن ابي هريره وقيل على قدر ربهم عن مقاتل لا يسمعون
فيها اي في الجنة لغوا اي كلاما لا فائدة فيه ولا كذابا اي يكذب بعضهم لبعض
ومن قرأ بالتخفيف يريد ولا مكاذبة عن ابي عبيده وقيل كذابا عن ابي علي الفارسي
جزاء من ربك اي فعل بالمتقين ما فعل جزاء من ربك على تصديقهم بالله
وبنبيه عطاء اي اعطاهم الله عطاء حسابا اي كافيا عن ابي عبيده والجبائي وقيل
حسابا اي كثيرا وقيل حسابا على قدر الاستحقاق وبحسب العمل وقال الزجاج
معناه ما يكفيهم اي ان فيه ما يشتهون رب السموات والارض وما بينهما
الرحمن مر ذكره والمعنى ان الذي يفعل بالمومنين ما تقدم ذكره وهو
رب السموات والارض ومدبرهما ومدبر ما بينهما والمتصرف فيهما على ما
يشاء الرحمن المنعم على خلقه مؤمنهم وكافرهم لا يملكون منه خطابا اي لا يملكون
ان يسألوا الا فيما اذن لهم فيه كقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله لا تكلم
نفس الا باذنه والخطاب توجيه الكلام الى مدرك له بصيغة مبينة عن المراد
على طريقة انت وربك قال مقاتل لا يقدر الخلق على ان يكلموا الرب الا باذنه
يوم يقوم الروح والملائكة صفا اي في ذلك اليوم اختلف في معنى الروح
هنا على اقوال احدها ان الروح خلق من خلق الله عز وجل على صورة بني آدم
وليسوا بناس وليسوا بملائكة يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند
وهؤلاء جند عن مجاهد وقتاده وابي صالح قال هما سماطا رب العالمين
يوم القيمة سماط من الروح وسماط من الملائكة وثانيها ان الروح ملك
من الملائكة ما خلق مخلوقا اعظم منه فاذا كان يوم القيمة قام هو وحده
صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثل صفهم عن ابن مسعود
وعن عطاء عن ابن عباس وثالثها ان ارواح الناس تقوم مع الملائكة

فيما بين النفختين قبل ان ترد الارواح الى الاجسام عن عطية عن ابن عباس
ورابعها انه جبرئيل عليه السلم عن الضحاك وقال وهب جبرئيل ع واقف بين يدى
الله عز وجل ترعد فرايصه يخلق الله من كل رعدة ماية الف ملك والملائكة
صفوف بين يدى الله عز وجل منكسوا رؤسهم فاذا اذن الله لهم فى الكلام
قالوا لا اله الا انت وقالوا صوابا اى لا اله الا الله وروى على بن ابرهيم باسناده
عن الصادق عليه السلم قال الملك هو ملك اعظم من جبرئيل وميكائيل وخامسها
ان الروح بنو آدم عن الحسن وقوله صفا معناه مصطفين لا يتكلمون الا من اذن
له الرحمن وهم المومنون والملائكة وقال فى الدنيا صوابا اى شهد بالتوحيد
وقال لا اله الا الله وقيل ان الكلام هنا الشفاعة اى لا يشفعون الا من اذن
له الرحمن ان تشفع عن الحسن والكلبى وروى معوية بن عمار عن ابى عبد الله ع
قال سئل عن هذه الاية فقال نحن والله الماذون لهم يوم القيمة والقايلون صوابا
قال جعلت فداك ما تقولون قال نمجد ربنا ونصلى على نبينا ونشفع لشيعتنا
فلا يردنا ربنا رواه العياشى مرفوعا ذلك اليوم الحق الذى لا شك فى كونه
وحصوله يعنى يوم القيمة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا اى مرجعا بالطاعة
والمعنى فمن شاء عمل عملا صالحا يؤوب الى ربه فقد ازيحت العلل واوضحت
السبل وبلغت الرسل والمآب مفعل من الاوب هو الرجوع قال عبيد وكل ذى
غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال انا
انذرناكم عذابا قريبا يعنى العذاب فى الاخرة فان كل ما هو آت قريب يوم ينظر
المرء ما قدمت يداه اى ينتظر جزاء ما قدمه فان قدم طاعة انتظر الثواب
وان قدم المعصية انتظر العقاب وقيل معناه ان كل احد ينظر الى عمله فى ذلك
اليوم من خير وشر مثبتا عليه فى صحيفته فيرجوا ثواب الله على صالح عمله ويخاف
العقاب على سوء عمله ويقول الكافر فى ذلك اليوم يا ليتنى كنت ترابا اى يتمنى
انه لو كان ترابا يا ليتنى لم ابعث وقال عبد الله بن عمر اذا كان يوم القيمة مدت الارض

مد الاديم وحشر الدواب والبهايم والوحوش ثم يجعل القصاص بين الدواب
حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها قال مجاهد يقال يوم القيمة
للمنطوحة من الناطحة وقال المقاتل ان الله تع يجمع الوحوش والهوام والطير
وكل شىء غير الثقلين فيقول من ربكم فيقولون الرحمن الرحيم فيقول لهم الرب
بعد ما يقضى بينهم حتى تقتص للجماء من القرناء انا خلقتكم وسخرتكم لبنى آدم
وكنتم مطيعين ايام حيوتكم فارجعوا الى الذى كنتم كونوا ترابا فيكونون ترابا
فاذا التفت الكافر الى شىء صار ترابا يتمنى فيقول يا ليتنى كنت فى الدنيا على صورة
خنزير رزقى كرزقه وكنت اليوم اى فى الاخرة ترابا وقيل ان المراد بالكافر هنا ابليس
عاب آدم بان خلق من تراب وافتخر بالنار فيوم القيمة اذا راى كرامة آدم وولده
المؤمنين قال يا ليتنى كنت ترابا **سورة والنازعات مكية عدد آيها** ست واربعون
آية كوفى خمس فى الباقين اختلافها ايتان والانعامكم حجازى كوفى طمى عراقى شامى
فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال ومن قرأ سورة والنازعات
لم يكن حبسه وحسابه يوم القيمة الا كقدر صلوة مكتوبة حتى يدخل الجنة وقال
ابو عبد الله عليه السلم من قرأها لم يمت الا ريان ولم يبعثه الله الا ريان ولم يدخل
الجنة الا ريان **تفسيرها** لما ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر احوال القيمة واهوالها
افتتح هذه السورة بمثله فقال بسم الله الرحمن الرحيم
وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ
سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ
وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ أَإِذَا كُنَّا
عِظَامًا نَخِرَةً قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ
بِالسَّاهِرَةِ اربع عشرة آية القراءة قرأ اهل الكوفة غير حفص وقتيبة وبصير
ورويس غير يعقوب ناخرة بالالف والباقون نخرة بغير الف وروى ابن عمر والدورى
وحمدون عن الكسائى ناخرة ونخرة لا يبالى كيف قرأ وفى الشواذ قراءة ابى حيوة الحفرة

بغير الف وقرأ نافع غير قالون ويعقوب ائنا لمردودون بهمزة واحدة غير ممدودة
اذا كنا بغير استفهام وقرأ ابن عامر والكسائي ائنا لمردودون بهمزتين
اذا كنا كما تقدم وقرأ ابن كثير ائنا اذا بالاستفهام فيهما بهمزة واحدة غير
ممدودة وقرأ ابو عمرو بالاستفهام فيهما بهمزة ممدودة وقرأ عاصم وحمزة وخلف
فيهما بهمزتين وقد تقدم ذكر هذا مشروحا في مواضع الحجة نخرة وناخرة لغتان
وقال الفراء النخرة البالية والناخرة المجوفة قال الزجاج ناخرة اكثر واجود
لتشبه اواخر الاي بعضها ببعض نحو الخاسرة والحافرة واما الوجه في نخرة
فهو ان يكون زاد الحافرة كقراءة الجماعة فحذف الالف تخفيفا كما في قوله
شعر اصبح قلبي صردا لا يشتهي ان يردا الا عرادا عردا اي عاردا اللغة
الغرق اسم اقيم مقام المصدر وهو الاغراق يقال اغرق في النزع اذا استوفى
في مد القوس وبالغ فيه والنشط النزع ايضا ومنه حديث ام سلمة فجاء عمار
وكان اخاها من الرضاعة ونشط زينب من حجرها اي نزعها ونشط
الوحش من بلد الى بلد اذا خرج بنشاط والهموم تنشط بصاحبها اي تخرج به
من حال الى حال قال هميان بن قحافة شعر امست همومي تنشط المناشطا الشام
بي طورا وطورا واسطا وانشطت العقد حللتها ونشطتها عقدتها قالوا
كانما انشطت من عقال والانشوطة العقدة تحل اذا مد طرفاه يقال ما عقاله
بانشوطة والرجف حركة الشيء من تحت غيره بترديد واضطراب والرجفة
الزلزلة العظيمة وارجفوا اي زعجوا الناس باضطراب الامور وكل شيء تبع
شيئا فقد ردفه وارداف النجوم تواليها يتبع بعضها بعضا وارداف الملوك
في الجاهلية الذين يخلفون الملوك والردفان الليل والنهار والوجيف
شدة الاضطراب وقلب واجف مضطرب والوجيف سرعة السير واوجف
في السير وابع الركاب فيه الحافرة بمعنى المحفورة مثل ماء دافق بمعنى مدفوق
وقيل الحافرة الارض المحفورة ورجع الشيخ في حافرته اي رجع من حيث جاء

وذلك الرجوع القهقرى قال شعر احافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار
اي ارجوعا الى حال الشباب اوله ويقال النقد عند الحافرة اي لا يزول حافر
الفرس حتى تنقد الثمن لانه لكرامته لا يباع نسيئة ثم كثر حتى قيل في غير الحافر
والساهرة وجه الارض والعرب تسمي وجه الارض من الفلاة ساهرة اي ذات
سهر لانها يسهر فيها خوفا منها قال امية بن ابي الصلت شعر وفيها لحم
ساهرة وبحر وما فاهوا به لهم مقيم اي وفيها صيد البر والبحر وقال آخر
شعر فانما قصرك ترب الساهرة ثم تعود بعدها في الحافرة الاعراب
جواب القسم محذوف على تقدير لتبعثن وقيل الجواب ان في ذلك لعبرة يوم
ترجف الراجفة نصب باذكر وان شئت كان نصبا بمدلول قوله قلوب
يومئذ واجفة على تقدير يوم ترجف الراجفة رجفت قلوبهم ويكون
يومئذ بدلا من يوم ترجف الراجفة المعنى والنازعات غرقا اختلف
في معناه على وجوه احدها انه يعني به الملائكة الذين ينزعون ارواح
الكفار عن ابدانهم بالشدة كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية
المد وروي ذلك عن علي عليه السلم ومقاتل وسعيد بن جبير وقال مسروق
هي الملائكة ينزع نفوس بني آدم وقيل هو الموت ينزع النفوس عن مجاهد
وروي ذلك عن الصادق عليه السلم وثانيها انها النجوم تنزع من افق
الى افق اي تطلع ثم تغيب عن الحسن وقتادة وابي عبيدة والاخفش والجبائي
قال ابو عبيدة تنزع من مطالعها وتغرق في مغاربها وثالثها
النازعات القسي تنزع بالسهم والناشطات الاوهاق عن عطاء وعكرمة
وعلى هذا فالقسم بفاعلها وهم الغزاة المجاهدون في سبيل الله والناشطات
نشطا في معناها اقوال احدها ما ذكرناه وثانيها انها الملائكة تنشط
ارواح الكفار ما بين الجلد والاظفار حتى تخرجها من اجوافهم بالكرب والغم
عن علي عليه السلم والنشط الجذب يقال نشطت الدلو نزعته وثالثها انها

الملائكة تنشط انفس المؤمنين فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير اذا حل
عنها عن ابن عباس وحكى الفراء هذا القول ثم قال والذي سمعت من العرب
ان يقولوا كانما انشط من عقال ونشطت الحبل ربطته وانشطته حللته
ورابعها انها انفس المؤمنين عند الموت تنشط للخروج وذلك انه ليس
من مؤمن يحضره الموت الا عرضت عليه الجنة قبل ان يموت فيرى موضعه
فيها وازواجه من الحور العين فنفسه تنشط اي تخرج عن ابن عباس
ايضا وخامسها انها النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب يقال حمار
ناشط عن قتادة والاخفش والجبائي والسابحات سبحا فيها اقوال احدها
انها الملائكة يقبضون ارواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها
حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرمي عن علي عليه السلام والكلبي وثانيها
انها الملائكة ينزلون من السماء مسرعين وهذا كما يقال للفرس الجواد سابح
اذا اسرع في جريه عن مجاهد وابي صالح وثالثها انها النجوم تسبح في فلكها
عن قتادة والجبائي وقيل هي خيل الغزاة تسبح في عدوها كقوله والعاديات
ضبحا عن ابي مسلم وقيل هي السفن تسبح في الماء عن عطا فالسابقات سبقا
فيها اقوال ايضا احدها انها الملائكة لانها سبقت ابن آدم بالخير
والايمان والعمل الصالح عن مجاهد وقيل انها تسبق الشياطين بالوحي
الى الانبياء وقيل انها تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة عن علي عليه السلام
ومقاتل وثانيها انها انفس المؤمنين تسبق الى الملائكة الذين
يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا الى رحمة الله ولقاء ثوابه
وكرامته عن ابن مسعود وثالثها انها النجوم تسبق بعضها بعضا
في السير عن قتادة والجبائي ورابعها انها الخيل تسبق بعضها بعضا
في الحرب عن عطا وابي مسلم فالمدبرات امرا فيها اقوال ايضا احدها
انها الملائكة تدبر امر العباد من السنة الى السنة عن علي عليه السلام

وثانيها

وثانيها ان المراد بذلك جبرئيل وميكائيل وملك الموت واسرافيل
يدبرون امر الدنيا فاما جبرئيل فموكل بالرياح والجنود واما ميكائيل
فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الانفس واما
اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم عن عبد الرحمن بن سابط وثالثها
انها الافلاك يقع فيها امر الله تعالى فيجري به القضاء في الدنيا رواه علي بن
ابراهيم اقسم الله تعالى بهذه الاشياء التي عددها وقيل تقديره ورب
النازعات وما ذكر بعدها وهذا ترك للظاهر بغير دليل وقد قال
الباقر والصادق عليهما السلام ان لله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه
وليس لخلقه ان يقسموا الا به والوجه في ذلك انه سبحانه يقسم بخلقه
للتنبيه على موضع العبرة فيه لان القسم يدل على عظم شان المقسم به وجواب
القسم محذوف فكانه سبحانه اقسم فقال وهذه الاشياء لتبعثن و
لتحاسبن يوم ترجف الراجفة يعني النفخة الاولى التي يموت فيها جميع الخلق
والراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد اذا تمخض تتبعها الرادفة
يعني النفخة الثانية تعقب النفخة الاولى وهي التي يبعث معها الخلق وهو
كقوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء
الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ويوم منصوب على معنى قلوب
يومئذ واجفة يوم ترجف الراجفة ومعنى الراجفة الشديدة الاضطراب
ايضا وهذا معنى قول الحسن وقتادة وغيرهما وقيل معناه يوم تضطرب
الارض اضطرابا شديدا وتحرك تحريكا عظيما يعني يوم القيمة تتبعها
الرادفة اي اضطرابة اخرى كائنة بعد الاولى في موضع الردف من الراكب
فلا تزال تضطرب حتى يفني كلها قال ابن عباس معنى واجفة خائفة والمراد
بذلك اصحاب القلوب والمراد انها قلقة غير هادئة ولا ساكنة لما عاينت
من اهوال يوم القيمة ابصارها خاشعة اي ذليلة من هول ذلك اليوم

قال عطا يريد بصار من مات على غير الاسلام يقولون ئنا لمردودون في الحافرة
اي يقول هولاء المنكرون للبعث من مشركي قريش وغيرهم في الدنيا اذا قيل لهم
انكم مبعوثون من بعد الموت انرد الى اول حالنا وابتداء امرنا فنصير
احياء كما كنا والحافرة عند العرب اسم لاول الشي وابتداء الامر قال ابن عباس
والسدي الحافرة الحياة الثانية وقيل الحافرة الارض المحفورة والمعنى انرد
في قبورنا بعد موتنا احياء ااذا كنا عظاما نخرة او ناخرة اي بالية متفتتة
والمعنى انهم انكروا البعث فقالوا انرد احياء اذا متنا وتفتت عظامنا
يقال نخر العظم ينخر فهو ناخر ونخر قالوا تلك اذا كرة خاسرة اي قال الكفار
تلك الكرة الكاينة بعد الموت كرة خسران ومعناه ان اهلها خاسرون
لانهم نقلوا من نعيم الدنيا الى عذاب النار والخاسر الذاهب راس ماله وانما
قالوا كرة خاسرة على معنى انه لا يجي منها شي كالخسران الذي لا يجي منه فايدة
فكانهم قالوا هي كالخسران بذهاب راس المال الا يجي به تجاره فكذلك لا يجي
تلك الكرة حيوة وقيل معناه ان كان الامر على ما يقوله محمد من انا نبعث
ونعاقب فتلك كرة ذات خسران علينا ثم اعلم الله سبحانه سهولة البعث
عليه فقال فانما هي يعني النفخة الاخيرة زجرة واحدة اي صيحة واحدة من اسرافيل
يسمعونها وهم اموات في بطون الارض فيحيون وهو قوله فاذا هم بالساهرة
وهي وجه الارض وظهرها عن الحسن وقتاده ومجاهد وغيرهم وقيل انما سميت الارض
ساهرة لان عملها بالنبت بالليل والنهار دايب ولذلك قيل خير المال
عين خرارة في ارض خوارة تسهر اذا نمت وتشهد اذا غبت ثم صارت اسما
لكل ارض وقيل المراد بذلك عرصة القيمة لانها اول مواقف الجزاء وهم في سهر
لا نوم فيه قوله عز وجل هَلْ اَتيٰكَ حَدِيثُ مُوسيٰ اِذْ نَادٰهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ
طُوًى اِذْهَبْ اِليٰ فِرْعَوْنَ اِنَّهُ طَغيٰ فَقُلْ هَلْ لَكَ اِليٰ اَنْ تَزَكّٰى وَاَهْدِيَكَ اِليٰ رَبِّكَ
فَتَخْشيٰ فَاَرٰهُ الْاٰيَةَ الْكُبْرٰى فَكَذَّبَ وَعَصيٰ ثُمَّ اَدْبَرَ يَسْعيٰ فَحَشَرَ فَنَادٰى فَقَالَ اَنَا

رَبُّكُمُ الْاَعْليٰ

رَبُّكُمُ الْاَعْليٰ فَاَخَذَهُ اللّٰهُ نَكَالَ الْاٰخِرَةِ وَالْاُوليٰ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشيٰ
اثنتا عشرة آية القراة قرا اهل الحجاز والبصره طوى غير منونة والباقون
بالتنوين وقرا اهل الحجاز وعباس ويعقوب تزكى بتشديد الزاء والباقون
بتخفيفها الحجة قال ابو علي قال ابو عبيدة طوى مضمومة الاول ومكسورة
فمن لم ينون جعله اسما مونثا ومن نون جعله مثل ثنى على معنى المقدس
مرة بعد مرة وروي عن الحسن انه قرا طوى بكسر الطاء وقال طوى بالبركة و
التقديس مرتين كما قال طرفة اعاذل ان اللوم في غير كنهه علي طوى من غيك
المتردد اي ان لوم مكرر علي قال ابو علي من لم يصرف طوى احتمل قوله
امرين احدهما انه جعله اسم بلدة او بقعة او يكون معدولا كزفر وعمر
ومن صرف احتمل ايضا امرين احدهما ان يكون جعله اسم موضع او بلد
او مكان والاخر ان يكون مثل رجل وحطم ولكع وقوله تزكى معناه تطهر من الكفر
فالمبتدا محذوف من اللفظ مراد في المعنى والتقدير هل لك الى ذلك حاجة
او ارب قال الشاعر شعر فهل لكم فيها الي فانني طبيب بما اعيا النطاسي حذيما
ومن قال تزكى اراد تتزكى فادغم تاء التفعل في الزاء لتقاربهما ومن خفف حذف
التاء التي اثبتها من ادغم وتخفيفها بالحذف اشبه المعنى ثم ذكر سبحانه قصه
موسى عليه السلام فقال هل اتيك يا محمد حديث موسى استفهام يراد به التقرير
اذ ناداه ربه اي حين ناداه الله فدعاه فالنداء الدعا بطريقة يا فلان
فالمعنى قال له يا موسى بالواد المقدس اي المطهر طوى اسم واد عن مجاهد
وقتاده وقيل طوى بالتقديس مرتين وهو الموضع الذي كلم الله فيه موسى
اذهب الى فرعون انه طغى اي علا وتكبر وكفر بالله وتجاوز الحد في الاستعلاء
والتمرد والفساد فقل هل لك الى ان تزكى ان تتطهر من الشرك وتشهد ان لا اله
الا الله عن ابن عباس وهذا تلطف في الاستدعاء ومعناه هل لك رغبة
الى ان تسلم وتصلح وتطهر واهديك الى ربك اي وادلك الى معرفة ربك

وانه خلقك وربّاك وقيل واهديك الى رشدك الى طريق الحق الذى اذا سلكته
وصلت الى رضى الله وثوابه فتخشى اى فتخافه فتفارق ما نهاك عنه وفى
الكلام حذف تقديره فاتاه فدعاه فاراه الاية الكبرى يعنى العصا وقال
الحسن هى اليد البيضاء فكذب بانها من الله وعصى نبى الله وجحد نبوته
ثم ادبر فرعون اى ولى الدبر ليطلب ما يكسر به حجة موسى فى المعجزة العظيمة
مما ازداد الاغوا به يسعى اى يعمل بالفساد فى الارض وقيل انه لما راى الحية
فى عظمها خاف منها فادبر وسعى هربا عن الجبانى فحشر اى فجمع قومه وجنوده
ونادى فيهم انا ربكم الاعلى اى لا رب فوقى وقيل معناه انا الذى انال بالضرر
من شئت ولا ينالنى غيرى وكذب اللعين انما هذه صفة الله الذى
خلقه وخلق جميع الخلايق وقيل انه جعل الاصنام اربابا فقال انا ربها
وربكم فاخذه الله نكال الاخرة والاولى نكال مصدر موكد لان معنى اخذه
الله نكل الله بها نكال الاخرة والاولى بان اغرقه فى الدنيا ويعذبه
فى الاخرة وقيل معناه فعاقبه الله بكلمته الاخرة وكلمته الاولى فالاخرة قوله
انا ربكم الاعلى والاولى قوله ما علمت لكم من اله غيرى فنكل به نكال هاتين الكلمتين
وجاء فى التفسير عن ابى جعفر عليه السلم انه كان بين الكلمتين اربعون سنه
وقيل انه لما ناداهم وقال انا ربكم الاعلى فامنعونى من هذا الثعبان ولم يعلم
الجهال ان من يخاف ضر حية ويستعين بامثاله لا يكون الها وعن وهب
عن ابن عباس قال قال موسى عليه السلم امهلت فرعون اربعماية سنه وهو يقول
انا ربكم الاعلى ويجحد رسالتى ويكذب باياتك فاوحى الله اليه انه كان حسن الخلق
سهل الحجاب فاحببت ان اكافيه وروى ابو بصير عن ابى جعفر عليه السلم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله قال جبرئيل قلت يا رب تدع فرعون وقد قال
انا ربكم الاعلى فقال انما يقول هذا مثلك من يخاف الفوت ان فى ذلك لذى
فعل بفرعون حين كذب وعصى لعبرة اى لعظة لمن يخشى الله ويخاف عقابه ونقمته

ودلاله

ودلاله يمكن ان تعتبر بها العاقل وتميز بها الحق والباطل النظم وجه اتصال
قصه موسى بما قبلها انه لما تقدم ذكر المكذبين للانبياء المنكرين للبعث عقبه
بحديث موسى وتكذيب قومه اياه وما قاساه من الشدايد تسلية لنبينا عليه السلم
وعدة له بالنصر وحثا اياه على الصبر اقتداء بموسى وتحذيرا لقومه ان ينزل
بهم ما نزل باوليائه وعظا لهم وتاكيدا للحجة عليهم قوله عز وجل أَأَنتُمْ أَشَدُّ
خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا
مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ
مَا سَعَىٰ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ
هِيَ الْمَأْوَىٰ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ
هِيَ الْمَأْوَىٰ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا إِلَىٰ
رَبِّكَ مُنتَهَاهَا إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا
إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا عشرون آية القراة قرا ابو جعفر والعباس عن ابى عمرو
وانما انت منذرٌ بالتنوين والباقون بغير تنوين وفى الشواذ قراة الحسن
وعمرو بن عبيد والجبال ارساها بالرفع وقرا مجاهد والارض مع ذلك
دحاها وقراة عكرمه وبرزت الجحيم لمن ترى بالتاء الحجة قال ابو على حجة
التنوين فى قوله انما انت منذر ان اسم الفاعل هنا للحال ويدل عليه قوله
قل انما انذركم بالوحى وليس المراد انذر فى المستقبل وانما يقول انذر فى الحال
واسم الفاعل على قياس الفعل ومن اضاف استخف فحذف التنوين كما حذف
من قوله فلما راوه عارضًا مستقبل اوديتهم ونحو ذلك مما جاء على لفظ الاضافه
والمراد به الانفصال ويجوز ان يكون منذر من على نحو هذا ضارب زيدًا
امس لانه قد فعل الانذار ومن قرا والجبال ارساها بالرفع فانه مثل قراة
من قرا والظالمون اعدلهم وقد تقدم بيانه ومن قرا والارض مع ذلك فلعله

قال ذلك تفسيرا للقراءة المشهورة لانه ليس الغرض فيه ترتيب الزمان وانما الغرض
اجتماعهما اعنى السموات والارض فى الخلق لا فى ان زمان الفعلين واحد وهذا
كقولك فلان كريم فيقول السامع وهو مع ذلك شجاع اى قد اجتمع له
الوصفان واما قوله لمن ترى بالتاء المفتوحة فيمكن ان يكون خطابا للنبى
والمراد لمن ترى يا محمد من الناس فاشار الى البعض وغرضه الجنس والجميع
كقول لبيد شعر ولقد سئمت من الحيوة وطولها وسؤال هذا الناس كيف
لبيد فاشار الى جنس الناس ونحن نعلم انه ليس جميعهم مشاهدا حاضرا له
ويمكن ان تكون التاء فى ترى للجحيم اى لمن تراه النار اللغة السمك الارتفاع
وهو مقابل العمق لانه ذهاب الجسم بالتاليف الى جهة العلو وبالعكس صفة
العمق والمسموكات السموات لارتفاعها ومنه قول امير المؤمنين عليه السلام
يا داعم المسموكات قال الفرزدق شعر ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه
اعز واطول والتسوية جعل احد الشيئين على مقدار الآخر فى نفسه او فى حكمه
والغطش الظلمة واغطشه الله اظلمه والاغطش فى عينيه شبه العمش وفلاة
غطشا لا يهتدى فيها والدحو البسط دحوت ادحو دحوا ودحيت ادحى دحيا
لغتان قال امية بن ابى الصلت بيت دار دحاها ثم اعمر بابها واقام بالاخرى
التى هى مجد وقال اوس شعر ينفى الحصى عن جديد الارض مبترك كانه
فاحص او لاعب داحى الطامة الغالية يقال طم من هذا اى اعلاه
وطم الطاير الشجرة علاها وتسمى الداهية والتى لا يستطاع دفعها طامة الاعراب
والارض منصوب بفعل مضمر الذى ظهر تفسيره وكذا قوله والجبال ارساها
متاعا لكم مفعول له لان المعنى لامتاعكم ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر
لان معنى قوله اخرج منها ماءها ومرعاها امتع بذلك وقوله فان الجحيم
هى الماوى تقديره هى الماوى له قال الزجاج وقال قوم الالف واللام
بدل من الضمير الغايب اى هى ماواه والمراد ان المعنى يؤول الى التى

هى ماواه

هى ماواه لان الالف واللام بدل من الهاء وهذا كما تقول للانسان غض الطرف
يا هذا فليس الالف واللام بدلا من الكاف وان كان المعنى غض طرفك لان المخاطب
يعرف انك لا تامره بغض طرف غيره قال شعر فغض الطرف انك من نمير
فلا سعدا بلغت ولا كلابا فكذلك المعنى فى الاية وجواب اذا فى قوله فاذا جاءت
الطامة الكبرى فى قوله فاما من طغى وما بعده فان المعنى اذا جاءت
الطامة فان الامر كذلك وقوله وضحيها اضاف الضحى الى العشية والغداة
والعشى وضحوة والضحى لليوم الذى يكون فيه فاذا قلت اتيتك صباحا
ومساءً ومساءً وصباحه فالمعنى اتيتك صباحا ومساء يلى الصباح
واتيتك مساءً وصباحا يلى المساء وتقول اتيتك العشية وغداتها
لما قدم سبحانه ما اتى به موسى وما قابله به فرعون وما عوقب به فى الدارين
عظة لمن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه واله وتحذيرا لهم من
المثلات خاطب عقيب ذلك منكرى البعث فقال أانتم ايها المشركون المنكرون
للبعث اشد خلقا ام السماء يعنى اخلقكم بعد الموت اشد عندكم وفى
تقديركم ام السماء وهما فى قدرة الله تعالى واحد وهذا كقوله لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس ثم ابتداء فبين سبحانه كيف
خلق السماء فقال بناها الله تعالى الذى لا يكبر عليه خلق شئ رفع سمكها
اى سقفها وما ارتفع منها فسواها بلا شقوق ولا فطور ولا تفاوت
قيل سواها احكمها وجعلها متصرفا للملائكة واغطش ليلها اى اظلم
ليلها عن ابن عباس ومجاهد وقتاده واخرج ضحاها اى ابرز نهارها
وانما اضيف الليل والضحى الى السماء لان منها منشأ الظلام والضياء
بغروب الشمس وطلوعها على ما دبره الله عز اسمه والارض بعد ذلك
دحاها اى بعد خلق السماء بسطها من الدحو وهو البسط قال ابن عباس
ان الله تعالى دحا الارض بعد السماء وان كانت الارض خلقت قبل السماء وكانت ربوة

مجتمعة تحت الكعبة فبسطها وقال مجاهد والسدى معناه والارض مع ذلك دحاها كما قال عتل بعد ذلك زنيم اى مع ذلك اخرج منها اى من الارض ماءها والمعنى فجر البحار والانهار والعيون عن ابن عباس ومرعاها ما تاكل الناس والانعام ثم بين سبحانه بذلك جميع المنافع المتعلقة بالارض من المياه التى بها حيوة كل شىء من الحيوانات والاشجار والثمار والحبوب والعيون عن ابن عباس وبها حصل جميع الارزاق والنبات التى يصلح للمواشى فهى ترعاه بان تاكله فى موضعه والجبال ارساها اى اثبتها فى اوساط الارض متاعا لكم ولانعامكم اى اخرج سبحانه الارض واخرج منها المياه والمراعى وانبت الجبال بما فيها من انواع المعادن لمنفعتكم ومنفعة انعامكم تنتفعون بها ولما دل سبحانه بهذه الاشياء على صحة البعث وصف يوم البعث فقال فاذا جاءت الطامة الكبرى وهى القيمة لانها تطم على كل داهية هائلة اى تعلو وتغلب من ذلك يقال ما من طامة الا وفوقها طامة والقيمة فوق كل طامة فهى الداهية العظمى قال الحسن وهى النفخة الثانية وقيل هى الغاشية الغليظة الجللة التى تدفق الشىء بالغلظ وقيل ان ذلك حين يساق اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى اى يجى الطامة فى يوم يتذكر الانسان ما عمله من خير او شر وبرزت الجحيم اى اظهرت لمن يرى فيراها الخلق مكشوفا عنها الغطاء ويبصرونها مشاهدة فاما من طغى اى تجاوز الحد الذى حده الله له وارتكب المعاصى واثر الحيوة الدنيا على الاخرة فان الجحيم هى الماوى له والايثار ارادة الشىء على طريقة التفضيل له على غيره واما من خاف مقام ربه اى خاف مقام مسئلة ربه عما يجب عليه فعله او تركه ونهى النفس عن الهوى اى عن المحارم التى تشتهيها وتهواها وقيل انه الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها عن مقاتل فان الجنة هى الماوى اى هى مقره وماواه ثم خاطب نبيه عليه السلم فقال يسالونك عن الساعة ايان مرساها اى متى يكون قيامها ثابتة على ما وصفها فيم انت من ذكراها اى لست

فى شىء من علمها

فى شىء من علمها وذكرها والمعنى لا يعلمها قال الحسن اى ليس عندك علم بوقتها وانما تعلم انها تكون لا محالة وقيل معناه ليس هذا مما يتصل بما بعثت لاجله فانما بعثت داعيا وقيل ان هذا من حكاية قولهم والمعنى انك قد اكثرت من ذكرها متى تكون الى ربك منتهاها اى قلهم الى الله اجراوها والمنتهى موضع بلوغ الشىء فكانه قيل الى ربك منتهى امرها باقامتها لان منتهى امرها بذكرها ووصفها والاقرار بها الى الرسول ومنتهى امرها باقامتها الى الله لا يقدر عليها الا هو سبحانه وقيل معناه الى ربك منتهى علمها اى لا يعلم وقتها الا هو عن الحسن انما انت منذر من يخشاها اى انما يخوف من يخاف مقامها اى انما ينفع انذارك من يخافها فاما من لا يخشاها فكانك لم تنذرهم كانهم يوم يرونها اى يعاينون القيمة لم يلبثوا فى الدنيا الا عشية او ضحاها الا قدر اخر نهار او اوله ومثله كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقد مر بيانه وقيل معناه انهم اذا راوا الاخرة صغرت الدنيا فى اعينهم حتى كانهم لم يقيموا بها الا مقدار عشية ومقدار ضحى تلك العشية عن قتاده **سورة عبس** وتسمى سورة السفرة مكية **عدة آيها** اثنان واربعون آية حجازى كوفى واحدى واربعون بصرى واربعون شامى والمدنى الاول اختلافها ثلاث ايات ولانعامكم حجازى كوفى الى طعامه غير يزيد الصاخة غير الشامى **فضلها** ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال ومن قرا سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر وروى معوية بن وهب عن ابى عبد الله عليه السلم قال من قرا عبس وتولى واذا الشمس كورت كانت تحت الله من الجنان اى فى ظل الله وكرامته فى جنانه ولا يعظم ذلك على ربه عز وجل **تفسيرها** لما ختم سبحانه تلك السورة بذكر انذار من يخشى القيمة افتتح هذه السورة بذكر انذاره قوما يرجوا سلامهم واعراضه عمن يخشى فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ

الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك
يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف
مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة قتل الانسان ما اكفره
من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته
فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض ما امره ثلث وعشرون آية القراءة
قرأ عاصم غير الاعشى والبرجمي فتنفعه بالنصب والباقون بالرفع وقرأ اهل الحجاز
تصدى بالتشديد والباقون تصدى بتخفيف الصاد وفي الشواذ قراءة الحسن
ان جاءه وقراءة ابي جعفر الباقر عليه السلام تصدى بضم التاء وفتح الصاد وتلهى بضم
التاء ايضا وقراءة ابي حيوة وشعيب بن ابي حمزة نشره بغير الف الحجة قال ابو علي
من قرأ فتنفعه بالرفع عطفه على ما تقدم من الرفع وقرأ بالنصب فعلى انه جواب
بالفاء لان المتقدم غير موجب فكان قوله تع يذكر المعطوف على تزكى في معنى لعله
يكون منه يذكروا نتفاع وكذا قوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع
فاطلع وقوله تصدى اي تعرض فمن قرأ بتشديد الصاد ادغم التاء في الصاد
ومن قرأ بالتخفيف اراد تتصدى فحذف التاء ولم يدغمها وقراء ابن فليح والبزي
عن ابن كثير تلهى بتشديد التاء على انه شبه المنفصل بالمتصل وجاز وقوع الساكن
بعد حرف اللين كما جاز تمود الثوب في المتصل وحكى سيبويه فلا تناجوا ومن قرأ
ان جاءه الاعمى بلفظ الاستفهام فتقديره الان جاءه كان ذلك منه فعلق
ان بفعل محذوف دل عليه عبس وتولى واما على القراءة المشهورة فان جاءه في موضع
نصب بتولى لانه الفعل الاقرب منه فكانه قال تولى لمجيء الاعمى وهو مفعول له ومن قرأ
تصدى فالمعنى يدعوك داع من زينة الدنيا وشارتها الى التصدي له
والاقبال عليه وعلى ذلك قوله تلهى ايضا اي تصرف عنه ومن قرأ نشره فعلى انه
لغة في انشره اللغة التصدي التعرض للشيء كتعرض الصديان للماء والصحف
جمع صحيفة والعرب تسمي كل مكتوب فيه صحيفة كما تسميه كتابا رقا كان او غيره والسفرة الكتبة

لاسفار

لاسفار الحكمة واحدهم سافر وواحد الاسفار سفر واصله الكشف من قولهم سفرت
المرأة اذا كشفت عن وجهها وسفرت بين القوم اذا اصلحت بينهم قال شعر وما ادع
السفارة بين قومي وما امشي بغش ان مشيت والبررة جمع بار وهو فاعل
البر والبر فعل النفع اجتلابا للمودة واصله اتساع النفع ومنه البر سمي به تفاؤلا
باتساع النفع به واقبره جعل له قبرا والاقبار جعل القبر لدفن الميت فيه ويقال
اقبرني فلانا اي اجعلني اقبره والقابر الدافن للميت بيده قال الاعشى شعر لو اسندت
ميتا الى نحرها عاش ولم ينقل الى قابر حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبا للميت الناشر
والانشار الاحياء للتصرف بعد الموت كنشر الثوب بعد الطي الاعراب ثم السبيل يسره
انتصب السبيل بفعل مضمر فسره هذا الظاهر تقديره ثم يسر السبيل يسره له اي للانسان
ثم حذف الجار والمجرور وقوله كلا لما يقض ما امره به فحذف الباء فصار التقدير
ما امرهه فحذف الهاء الاول فصار ما امره فالهاء الباقية لما الموصولة والهاء
المحذوفة للانسان النزول قيل نزلت الايات في عبد الله بن ام مكتوم وهو عبد
الله ابن سرح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لوي وذلك انه اتى
رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يناجي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس
بن عبد المطلب وابيا وامية ابني خلف يدعوهم الى الله ويرجو اسلامهم فقال يا رسول
الله اقرئني وعلمني مما علمك الله فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري انه مشتغل
مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله لقطعه كلامه وقال في نفسه
يقول هؤلاء الصناديد انما اتباعه العميان والعبيد فاعرض عنه واقبل على القوم
الذين يكلمهم فنزلت الايات وكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك
يكرمه واذا رآه قال مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة
واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين قال انس بن مالك فرأيته
يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء قال المرتضى علم الهدى
قدس الله روحه ليس في ظاهر الاية دلالة على توجهها الى النبي عليه السلام

بل هي خبر محض لم يصرح المخبر عنه وفيها ما يدل على ان المعنى بها غيره لان العبوس
ليس من صفات النبي صلى الله عليه وآله مع الاعداء المباينين فضلا عن المؤمنين
المسترشدين ثم الوصف بانه يتصدى للاغنياء ويتلهى عن الفقراء لا يشبه اخلاقه
الكريمة ويؤيد هذا القول قوله سبحانه في وصفه ع وانك لعلى خلق عظيم وقوله ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فالظاهر ان قوله عبس وتولى المراد به غيره وروى
عن الصادق ع انها نزلت في رجل من بني امية كان عند النبي صلى الله عليه وآله فجاء
ابن ام مكتوم فلما راه تقذر منه وعبس وجمع نفسه واعرض بوجهه عنه فحكى الله
سبحانه ذلك وانكره عليه فان قيل فلو صح الخبر الاول هل يكون العبوس ذنبا ام لا فالجواب
ان العبوس والانبساط مع الاعمى سواء اذ لا يشق عليه ذلك فلا يكون ذنبا فيجوز ان يكون
عاتب الله سبحانه بذلك نبيه لياخذه باوفر محاسن الاخلاق وينبهه بذلك على عظم
حال المؤمن المسترشد ويعرفه ان تالف المؤمن ليقيم على ايمانه اولى من تالف المشرك
طمعا في ايمانه وقال الجبائي في هذا دلالة على ان الفعل يكون معصية فيما بعد لمكان
النهي فاما الماضي فلا يدل على انه كان معصية قبل ان ينهى عنه والله سبحانه لم ينهه
الا في هذا الوقت وقيل ان ما فعله الاعمى كان من سوء الادب فحسن تاديبه بالاعراض
عنه الا انه كان يجوز ان يتوهم انه انما اعرض عنه لفقره واقبل عليهم لرياستهم
تعظيما لهم فعاتبه الله على ذلك وروي عن الصادق عليه السلم قال كان رسول الله
صلى الله عليه وآله اذا راى عبد الله ابن ام مكتوم قال مرحبا مرحبا لا والله
لا يعاتبني الله فيك ابدا وكان يصنع به من اللطف حتى كان يكف عن النبي صلى الله
عليه وآله مما يفعل به المعنى عبس اي بسر وقبض وجهه وتولى اي اعرض بوجهه
ان جاءه الاعمى اي لان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى اي لعل هذا الاعمى يزكى
اي يتطهر بالعمل الصالح وما يتعلمه منك او يذكر اي يتذكر فيتعظ بما تعلمه
من مواعظ القران فتنفعه الذكرى في دينه قالوا وفي هذا لطف من الله تع
عظيم لنبيه عليه السلم اذ لم يخاطبه في باب العبوس فلم يقل عبست فلما جاوز العبوس

عاد الى الخطاب

عاد الى الخطاب فقال وما يدريك ثم قال اما من استغنى اي من كان عظيما
في قومه واستغنى بالمال فانت له تصدى اي تتعرض له وتقبل عليه بوجهك
وما عليك ان لا يزكى اي اي شيء يلزمك ان لم يسلم ولم يتطهر من الكفر فانه
ليس عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى اي يعمل في الخير يعني ابن ام مكتوم
وهو يخشى الله عز وجل فانت عنه تلهى اي تتغافل وتشتغل عنه بغيره كلا اي لا
تعد لذلك وانزجر عنه انها تذكرة اي ان آيات القران تذكير وموعظة
للخلق فمن شاء ذكره اي ذكر التنزيل او القران او الوعظ والمعنى فمن شاء
ان يذكره ذكره وفي هذا دلالة على ان العبد قادر على الفعل مخير فيه وقوله
كلا فيه دلالة على انه ليس له ان يفعل ذلك في المستقبل فاما الماضي فلم يتقدم
النهي عن ذلك فيه فلا يكون معصية ثم اخبر سبحانه بجلالة قدر القرآن
عنده فقال في صحف مكرمة اي هذا القران او هذه التذكرة في كتب معظمة
عند الله في اللوح المحفوظ عن ابن عباس وقيل يعني كتب الانبياء المنزلة
عليهم لقوله ان هذا لفي الصحف الاولى مرفوعة في السماء السابعة وقيل مرفوعة
قد رفعها الله عن دنس الانجاس مطهرة لا يمسها الا المطهرون وقيل
مصونة عن ان تنالها ايدي الكفار لانها في ايدي الملائكة في اعز مكان
عن الجبائي وقيل مطهرة من كل دنس عن الحسن وقيل مطهرة عن الشك والشبهة
والتناقض بايدي سفرة يعني الكتبة من الملائكة عن ابن عباس ومجاهد
وقيل يعني السفراء بالوحي بين الله تعالى وبين رسله من السفارة وقال
قتادة هم القراء يكتبونها ويقرؤونها وروى فضيل بن يسار عن الصادق
عليه السلم قال الحافظ للقران العامل به مع السفرة الكرام البررة ثم اثنى
عليهم فقال كرام على ربهم بررة مطيعين وقيل كرام عن المعاصي يرفعون
انفسهم عنها بررة اي صالحين متقين وقال مقاتل كان القران ينزل من اللوح
المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر الى الكتبة من الملائكة ثم ينزل به

وهي

جبرئيل الى النبي عليه السلام ثم ذكر سبحانه المكذبين بالقران فقال قتل الانسان
ما اكفره اي عذب ولعن الانسان وهو اشارة الى كل كافر عن مجاهد وقيل هو
امية بن خلف عن الضحاك وقيل هو عتبة بن ابي لهب اذ قال كفرت برب النجم اذا
هوى ما اكفره اي ما اشد كفره وما ابين ضلاله وهذا تعجيب منه كانه قال
تعجبوا منه ومن كفره مع كثرة الشواهد على التوحيد والايمان وقيل ان
ما للاستفهام اي اي شيء اكفره واوجب كفره عن مقاتل والكلبي فكانه قال
ليس هاهنا شيء يوجب الكفر ويدعو اليه فما الذي دعاه اليه مع كثرة نعم الله
عليه ثم بين سبحانه من امره ما كان ينبغي معه ان يعلم ان الله خالقه فقال من اي شيء
خلقه استفهام ومعناه التقرير وقيل ان معناه لم لا ينظر الى اصل خلقته
من اي شيء خلقه الله ليدله على وحدانية الله ثم فسر فقال من نطفة
خلقه فقدره اطوارا نطفة ثم علقة الى اخر خلقه وعلى حد معلوم من طوله
وقصره وسمعه وبصره وحواسه واعضائه ومدة عمره ورزقه وجميع
احواله ثم السبيل يسره اي ثم يسر سبيل الخروج من بطن امه حتى خرج
منه عن ابن عباس وقتادة وذلك ان راسه كان الى راس امه وكذلك
رجلاه كانا الى رجليها فقلبه الله عند الولادة ليسهل خروجه منها وقيل
ثم السبيل اي سبيل الدين يسره وطريق الخير والشر بين له وخيره ومكنه
من فعل الخير واجتناب الشر ونظيره وهديناه النجدين عن مجاهد
والحسن وابن زيد ثم اماته اي خلق الموت فيه وقيل ازال عنه حيوته
فاقبره اي صيره بحيث يقبر وجعله ذا قبر عن ابي مسلم وقيل جعله
مقبورا ولم يجعله ممن يلقى الى السباع والطير عن الفراء وقيل امر
بان يقبر عن ابي عبيدة ثم اذا شاء انشره اي احياه من قبره وبعثه
اذا شاء تعالى ان يحييه للجزاء والحساب والثواب والعقاب عن الحسن
كلا اي حقا لما يقض ما امره الله به من اخلاص عبادته ولم يؤد حق الله تعالى

عليه مع كثرة

عليه مع كثرة نعمه عليه عن مجاهد هو على العموم في الكافر والمسلم لم يعبده
احد حق عبادته قوله عز وجل فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا
الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا
وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ
وَلِأَنْعَامِكُمْ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ
وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا
غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ تسع عشرة اية
القراءة قرا اهل الكوفة انا صببنا بالفتح والباقون بالكسر وفي الشواذ
قراءة ابن محيصن يعنيه بالعين وبفتح الياء الحجة قال ابو علي من كسر
كان ذلك تفسيرا للنظر الى طعامه كما ان قوله لهم مغفرة تفسير للوعد
ومن فتح فقال انا فالمعنى على البدل بدل الاشتمال لان هذه الاشياء
مشتملة على كون الطعام وحدوثه فهو من يسالونك عن الشهر الحرام
قتال فيه وقتل اصحاب الاخدود النار وقوله وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره لان الذكر كالمشتمل على المذكور ومعنى الى طعامه الى كون طعامه
وحدوثه وهو موضع الاعتبار قال ابن جني قوله يعنيه بالعين
قراءة حسنة الا ان قراءة الجماعة اقوى معنى فان الانسان قد يعنيه الشيء
ولا يغنيه عن غيره الا ترى ان من كان له الف درهم فيؤخذ منها مائة
درهم يعنيه امرها ولا يغنيه عن بقية ماله ان يهتم به ويراعيه فاما اذا
اغناه الامر عن غيره فان ذلك اقوى فاعرفه اللغة الحديقة البستان
المحوط وجمعه الحدائق ومنه قولهم احدق به القوم اذا احاطوا به والغلب
الغلاظ شجرة غلباء غليظة قال الفرزدق شعر عوى فاثار اغلب ضيغما فويل
ابن المراغة ما استثارا والاب المرعى من الحشيش وسائر النبات الذي ترعاه

الانعام والدواب ويقال اب الى سيفه فاستله اى بدر اليه وهب اليه فيكون كبدء
المرعى بالخروج قال الاعشى شعر صرمت ولم اصرمكم وكصارم اخ قد طوى
كشحا وآب ليذهبا وقال فى الاب جذهنا قيس ونجد دارنا ولنا الاب بها
والمكرع والصاخة الصاكة بشدة صوتها الاذان فتصمها والقترة ظلمة
الدخان ومنه القتار ريح الشواء لانه كالدخان الاعراب فاذا جاءت الصاخة
العامل فى الظرف فى قوله لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اى ثبت لكل امرئ
منهم ذلك فى وقت مجى الصاخة المعنى ولما ذكر سبحانه خلق ابن آدم ذكر رزقه
ليعتبر فقال فلينظر الانسان الى طعامه الذى ياكله ويتقوته من الاطعمة ثم
اللذيذة كيف خلقها الله سبحانه وهياها لرزق عباده وليكفر كيف مكنه
من الانتفاع بذلك ثم بين فقال انا صببنا الماء صبا اى انزلنا الغيث انزالا
ثم شققنا الارض شقا بالنبات فانبتنا فيها اى فى الارض حبا اراد جنس الحبوب
التى يتغذى بها وتدخر وعنبا خص العنب لكثرة منافعه وقضبا وهو القت
الرطب يقضب مرة بعد اخرى يكون علفا للدواب عن ابن عباس والحسن وزيتونا
وهو ما يعصر عنه الزيت ونخلا جمع نخلة وحدائق غلبا اى وبساتين محوطة
تشتمل على اشجار غلاظ عظام مختلفة وقيل غلبا ملتفة الشجر عن مجاهد
وفاكهة يعنى ساير الوان الفواكه وابا وهو المرعى والكلاء الذى لم يزرعه
الناس مما تاكله الانعام كالفاكهة للناس متاعا اى منفعة لكم ولانعامكم
مر معناه ثم ذكر القيمة فقال فاذا جاءت الصاخة يعنى صيحة القيمة عن ابن عباس
سميت بذلك لانها تصخ الاذان اى تبالغ فى اسماعها حتى تكاد تصمها وقيل
لانها تصخ لها الخلق اى يستمع وقد قلب حرف التضعيف ياء لكراهية التضعيف
فقال اصاخ كما قالوا تظنيت فى تظننت وتقضى البازى والاصل تقضض
ثم ذكر سبحانه فى اى وقت تجئ الصاخة فقال يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته اى زوجته وبنيه اى اولاده الذكور اى لا يلتفت الى واحد من هولاء

لعظم ماهو

لعظم ما هو فيه وشغله بنفسه وان كان فى الدنيا يعتنى بشانهم وقيل يفر منهم حذرا
من مطالبتهم اياه بما بينه وبينهم من التبعات والمظالم وقيل لعلمه بانهم
لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئا ويجوز ان يكون مومنا واقرباوه من اهل
النار فيعاديهم ولا يلتفت اليهم او يفر منهم لئلا يرى ما نزل بهم من الهوان
لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اى لكل انسان منهم امر عظيم يشغله
عن الاقرباء ويصرفه عنهم ومعنى يغنيه يكفيه من زيادة عليه اى ليس فيه فضل
لغيره لما هو فيه من الامر الذى قد اكتنفه وملا صدره فصار كالغنى عن الشى
فى امر نفسه لا ينازع اليه وروى عن عطاء بن يسار عن سوده زوج النبى ص
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله يبعث الناس حفاة عراة غرلا يلجمهم العرق
ويبلغ شحمة الاذان قالت قلت يا رسول الله واسوتاه ينظر بعضنا الى بعض
اقلفا قال شغل الناس عن ذلك وتلا رسول الله ص لكل امرئ منهم يومئذ شان
يغنيه ثم قسم سبحانه احوال الناس فى ذلك اليوم فقال وجوه يومئذ
مسفرة اى مشرقة مضيئة ضاحكة مستبشرة من سرورها وفرحها بما اعد لها
من الثواب واراد بالوجوه اصحاب الوجوه ووجوه يومئذ عليها غبرة اى غبار
وكآبة للهم ترهقها اى يعلوها ويغشاها قترة اى سواد وكسوف عند معاينة
النار وقيل ان الغبرة ما انحطت من السماء الى الارض والقترة ما ارتفعت
من الارض الى السماء عن زيد بن اسلم اولئك هم الكفرة فى اديانهم الفجرة
واستدلت الخوارج بذلك على ان من ليس بمومن لا بد ان يكون كافرا فان الله
سبحانه قسم الوجوه هذين القسمين ولا تعلق لهم به لانه سبحانه ذكر هنا صنفين
من الوجوه متقابلين وجوه المومنين ووجوه الكفار ولم يذكر وجوه
الفساق من اهل الصلوة فيجوز ان يكون لها صفة اخرى بان يكون عليها غبرة
لا تغشاها قترة او يكون عليها صفرة او لون آخر [illegible] ومنهم من يقول
سورة التكوير مكية تسع وعشرون آية فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله

قال ومن قرأ اذا الشمس كورت اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من احب ان ينظر الى يوم القيمة فليقرأ اذا
الشمس كورت وروى ان ابو بكر قال قلت يا رسول الله اسرع اليك الشيب قال
شيبتني اية لو كان امر يشيب منه انسان لشيب من قرأة هذه السورة وقد روى
ان عليا عليه السلم لما غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وجد في لحيته شعرات بيض
وما لا يظهر الا بعد التفتيش لا يكون شيبا تفسيرها ختم الله سبحانه سورة عبس
بذكر القيمة واهوالها وافتتح هذه السورة ايضا بذكر علاماتها واحوالها
فقال بسم الله الرحمن الرحيم
إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ
عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ
وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ
كُشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ
اربع عشرة اية القراة قرا ابن كثير واهل البصرة سجرت بالتخفيف والباقون
بالتشديد وقرأ اهل المدينة وابن عامر ورويس وعاصم عن حماد ويحيى سعرت
بالتشديد والباقون بالتخفيف وروى عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم
واذا المودة بفتح الميم والواو وروى ذلك عن ابن عباس ايضا وروى عن
امير المؤمنين عليه السلم واذا الموؤدة سالت باي ذنب قتلت وهو قراة ابن عباس
ويحيى بن يعمر ومجاهد وابي الضحى وجابر بن زيد الحجة قال ابو علي حجة سجرت
قوله والبحر المسجور وقيل في البحر المسجور انه الفارغ والمتلى ومن المتلى قول
الشاعر في صفة وعل اذ شاء طالع مسجورة يرى حولها النبع والساسما وحجة
تشددت نشرت قوله صحف منشرة وحجة سعرت في التخفيف قوله وكفى بجهنم
سعيرا فسعير فعيل بمعنى مفعول وهذا انما يجئ من فعل وحجة من قال سجرت
ان الفعل مسند الى ضمير كثرة فهو من باب غلقت الابواب وحجة نشرت خفيفة

قوله في رق

قوله في رق منشور وحجة سعرت مشددة قوله كلما خبت زدناهم سعيرا
فهذا يدل على كثرة شيء بعد شيء فحقه التشديد ومن قرأ واذا المودة سالت
بفتح السين جعل الموؤدة موصوفة بالسؤال وبالقول باي ذنب قتلت ويمكن
ان يكون الله تعالى اكملها في تلك الحال واقدرها على النطق حتى قالت ذلك
القول ويعضده ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه يجي المقتول ظلما يوم القيمة
واوداجه تشخب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك متعلقا بقاتله
يقول يا رب سل هذا فيم قتلني ومن قرأ قتلت بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل
لان المراد بالموؤدة ههنا الجنس فارادة التكرار جائزة واما من قرأ
المودة بفتح الميم والواو فالمراد بذلك الرحم والقرابة وانه يسال
قاطعها عن سبب قطعها وروى عن ابن عباس انه قال هو من قتل في مودتنا
اهل البيت وعن ابي جعفر عليه السلم قال يعني قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله
ومن قتل في جهاد وفي رواية اخرى قال هو من قتل في مودتنا وولايتنا اللغة
التكوير تلفيف على جهة الاستدارة ومنه كور العمامة كورت العمامة على راسي
اكورها وكورتها تكويرا وطعنه فكوره اذا القاه مجتمعا ونعوذ بالله
من الحور بعد الكور اي من النقصان بعد الزيادة والانكدار انقلاب
الشيء حتى يصير اعلاه اسفله بما لو كان ماء لتكدر واصله الانصباب
قال العجاج ابصر خربان قضاء فانكدر والعشار جمع عشراء وهي الناقة
التي قد اتى عليها عشرة اشهر من حملها والناقة ان وضعت لتمام مضى
سنة واصل السجر الملاء قال لبيد فتوسطا عرض السري فصدعا
مسجورة متجاورا قلامها اي مملوة وتنور مسجور اي مملوء بالنار والموؤدة
من قولهم وأد يئد وأدا وكانت العرب تئد البنات خوف الاملاق
قال قتادة جاء قيس بن عاصم التميمي الى النبي صلى الله عليه وآله فقال اني وأدت
ثماني بنات في الجاهلية فقال عليه السلم فاعتق عن كل واحدة رقبة فقال اني صاحب

ابل فاهدا الى من شئت عن كل واحدة بدنة قال الجبائى انما سميت موؤدة لانها
ثقلت بالتراب الذى طرح عليها حتى ماتت وهذا خطأ لان الموؤدة من وئد
يئد معتل الفاء ومن الثقل آده يووده اثقله وهو معتل العين ولو كانت
ماخوذة منه لكانت مؤده على وزن معودة وروى عن النبى صلى الله عليه وآله
انه سئل عن العزل فقال ذاك الواد الخفى قال الفرزدق ❊ ومنا الذى
منع الوائدات ❊ واحيا الوئيد فلم يؤد ❊ وقال ❊ ومنا الذى احيا الوئيد
وغالب ❊ وعمرو ومنا غالب الاقادع ❊ والكشط والقشط واحد فى قرأة
عبد الله واذا السماء قشطت والسعير تهيج النار حتى تتاج ومنه السعر
لانه طال هيج الثمن بالارتفاع او الانحطاط الاعراب ارتفعت الشمس بفعل مضمر
تقديره اذا كورت الشمس ولا يجوز اظهاره لان ما بعده يفسره وانما احتيج الى اضمار
فعل لان فى اذا معنى الشرط والشرط يقتضى الفعل وجواب اذا قوله هو علمت نفس
ما احضرت فاذا فى موضع النصب لانه ظرف لعلمت وعلى هذا يجرى مثاله و الجملة
التى هى الفعل المحذوف مع فاعله بعد اذا فى موضع جر باضافة اذا اليها
والتقدير وقت تكوير الشمس تعلم كل نفس ما عملت ويجرى بر على هذا فهنا
اثنا عشر ظرفا كلها مضافة الى الجمل من قوله اذا الشمس كورت الى قوله
واذا الجنة ازلفت العامل فيها كلها قوله علمت نفس ما احضرت المعنى
اخبر الله سبحانه عن القيمة وشدايدها فقال اذا الشمس كورت اى ذهب
ضوءها ونورها فاظلمت واضمحلت عن ابن عباس وابى ومجاهد وقتاده
وقيل القيت ورو بها عن ابى صالح والربيع بن خيثم وقيل جمع ضوءها
ولفت كما تلف العمامة عن الزجاج والمعنى ان الشمس تكور بانه يجمع نورها حتى يصير
كالكارة الملقاة ويذهب ضوءها ويحدث الله للعباد ضياء غيرها واذا
النجوم انكدرت اى تناقطت وتناثرت عن مجاهد وقتاده والربيع بن خيثم
يقال انكدر الطاير من الهوا اذا انقض وقيل تغيرت من الكدورة عن الجبائى

والاول

والاول اولى لقوله واذا الكواكب انتثرت الا ان يقول يذهب ضوءها ثم تتناثر
واذا الجبال سيرت عن وجه الارض فصارت هباء منبثا وسرابا واذا
العشار وهى النوق الحوامل اتت عليها عشرة اشهر وبعد الوضع تسمى عشار
ايضا وهى انفس مال عند العرب عطلت اى تركت هملا بلا راع وقيل العشار السحاب
تعطل فلا يمطر عن الجبائى وحكى ذلك عن ابى عمرو وقال الازهرى لا اعرف هذا
فى اللغة واذا الوحوش حشرت اى جمعت حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص
من الجماء من القرناء يحشر الله سبحانه الوحوش ليوصل اليها ما يستحقه من الاعواض
على الالام التى نالتها فى الدنيا وينتصف لبعضها من بعض فاذا وصل اليها
ما استحقته من الاعواض فمن قال ان العوض دايم قال تبقى منعمة على الارض
ومن قال تستحق العوض منقطعا فقال يديمه الله تعالى لها تفضلا لئلا يدخل على
المعوض غم بانقطاعه وقال بعضهم اذا فعل الله بها ما استحقته من الاعواض
جعلها ترابا واذا البحار سجرت اى ارسل عذبها على مالحها ومالحها على عذبها
حتى امتلأت وقيل ان المعنى فجر بعضها فى بعض فصارت البحار كلها بحرا واحدا
ويرتفع البرزخ عن مجاهد ومقاتل والضحاك وقيل سجرت اى وقدت نارا
تضطرب عن ابن عباس وقيل يبست وذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة عن الحسن
وقتاده وقيل ملئت من القيح والصديد الذى يسيل من ابدان اهل النار
فى النار واراد بحار جهنم لان بحور الدنيا قد فنيت عن الجبائى واذا النفوس
زوجت اى قرن كل واحد منها الى شكله وضم اليه والنفس يعبر به عن الزوج فالمعنى
قرن كل انسان بشكله من اهل النار وبشكله من اهل الجنة عن عمر بن الخطاب
وابن عباس ومجاهد والحسن وقتاده وقيل معناه ردت الارواح الى الاجساد
فيصير احياء عن عكرمه والشعبى وابى مسلم وقيل يقرن الغاوى بمن اغواه من
انسان او شيطان عن الجبائى وقيل زوجت قرنت نفوس الصالحين من المؤمنين
بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين عن عطا ومقاتل واذا الموؤدة

سئلت يعني الجارية المدفونة حيا وكانت المرأة اذا حان وقت ولادتها حفرت
حفرة وقعدت على رأسها فان ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت
غلاما حبسته عن ابن عباس قال الشاعر: سميتها اذ ولدت تموت والقبر
صهر ضامن زميت ومعنى قوله سئلت باي ذنب قتلت اي الموؤدة تسأل
فيقال لها باي ذنب قتلت ومعنى توبيخ قاتلها لانها تقول قتلت بلا ذنب ويجري
هذا مجرى قوله سبحانه لعيسى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون
الله على سبيل التوبيخ لقومه واقامة الحجة عليهم عن الفراء وقيل ان معنى سئلت
طولب قاتلها بالحجة في قتلها وسئل عن سبب قتلها فكأنه قيل واذا الموؤدة
سئل قاتلها باي ذنب قتلت هذه ونظيره قوله تعالى ان العهد كان مسؤولا
عنه عن ابي مسلم وعلى هذا فيكون القتلة هم المسؤولون على الحقيقة المقتولة
مسؤول عنها واذا الصحف نشرت يعني صحف الاعمال التي كتبت الملائكة فيها اعمال
اهلها من خير وشر تنشر ليقرأها اصحابها وليظهر الاعمال فيجازوا بحسبها
واذا السماء كشطت اي ازيلت عن موضعها كالجلد يزال عن الجزور ثم يطويها
الله وقيل معناه قلعت كما تقلع السقف عن الزجاج وقيل كشفت عمن فيها
ومعنى الكشط رفعك شيئا عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام
واذا الجحيم سعرت اي اوقدت واحمرت حتى ازدادت شدة على شدة وقيل
سعرها غضب الله وخطايا بني آدم عن قتادة واذا الجنة ازلفت اي قربت
من اهلها للدخول وقيل قربت بمن فيها من النعيم فيزداد المؤمنون سرورا
ويزداد اهل النار حسرة علمت نفس ما احضرت اي اذا كانت هذه الاشياء
التي تكون في القيمة علمت في ذلك الوقت كل نفس ما وجدت حاضرا من عمله
كما قالوا احمدته وجدته محمودا وقيل علمت ما احضرته من خير وشر واحضار
الاعمال مجاز لانها لا تبقى والمعنى انه لا يشذ عنها شيء فكان كلها حاضرة
وقيل ان المراد صحائف الاعمال قوله عز وجل فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس

والليل

والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذي قوة عند
ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق
المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم
فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما
تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين خمس عشرة آية القراءة قرأ
اهل البصرة غير سهل وابن كثير والكسائي بظنين بالظاء والباقون بضنين
بالضاد الحجة الظنين المتهم من قولهم ظننت اي اتهمت لا من ظننت المتعدي
الى مفعولين اذ لو كان منه لكان لا بد من ذكر المفعول الثاني وفي هذا اذ لم
يذكر المفعول الآخر دلالة على انه من ظننت بمعنى اتهمت وكان النبي صلى الله
عليه وآله يعرف بالامين وبذلك وصفه ابو طالب في قوله ان ابن آمنة الامين
محمدا عندي بمثل منازل الاولاد ومن قرأ بضنين فهو من البخل والمعنى
انه يخبر بالغيب فيبينه ولا يكتمه كما يمتنع الكاهن من اعلام ذلك حتى يأخذ
عليه حلوانا اللغة الخنس جمع خانس والكنس جمع كانس واصلها الستر والشيطان
خناس لانه يخنس اذا ذكر الله تعالى اي يذهب ويستتر الطير الوحشي بيت ويتخذه
ويختفي فيه والكواكب تكنس في بروجها كالظباء تدخل في كناسها وعسعس الليل
اذا اقبل بين اوله واظلم وعسعس اذا ادبر وهو من الاضداد قال علقمة بن قرط
حتى اذا الصبح بها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا والعرط طلب الشي
بالليل ومنه اصدا لعني ويقال عسعس الليل وسعسع الاعراب انه لقول رسول كريم
جواب القسم ثم وصف الرسول باوصاف الى قوله امين ثم قال وما صاحبكم
وهو معطوف على جواب القسم وكذلك ما بعده وقوله فاين تذهبون
اعتراض قال الفراء تقول العرب الى اين تذهب واين تذهب وتقول ذهبت
الشام وخرجت الشام وانطلقت السوق سمعناه في هذه الاحرف الثلثة وانشد
الفراء تصيح بنا حنيفة اذ رأتنا واي الارض تذهب للصياح يريد الى اي الارض

ولم يحكي سيبويه من هذا الا ذهبت الشام وعلى هذا جاء فاين تذهبون في المعنى الى اين تذهبون وقوله ان هو الا ذكر للعالمين جواب القسم ايضا وقوله لمن شاء منكم بدل من قوله للعالمين بدلا البعض من الكل فاذا السورة كلها مركبة من فعل وفاعل وقسم واجوبة المعنى ثم اكد سبحانه ما تقدم بالقسم فقال فلا اقسم اى فاقسم ولا زايدة وقد ذكرنا اختلاف العلما فيه عند قوله لا اقسم بيوم القيمة بالخنس وهي النجوم تخنس بالنهار وتبدو بالليل والجوارى صفة لها لانها تجرى في افلاكها الكنس من صفتها ايضا لانها تكنس اى تتوارى في بروجها كما تتوارى الظباء في كناسها وهي خمسة انجم زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد عن على عليه السلم وقيل معناه انها تخنس بالنهار فتختفي ولا ترى وتكنس في وقت غروبها فهذا خنوسها وكنوسها وقيل هي بقر الوحش عن ابن مسعود وقيل هي الظباء عن ابن جبير والليل اذا عسعس اذا ادبر بظلامه عن على عليه السلام وابن عباس ومجاهد وقتاده وقيل اقبل بظلامه عن الحسن وقيل اظلم عن الجبائى والصبح اذا تنفس اى اذا اسفر واضاء والمعنى امتد ضوءه حتى يصير نهارا انه لقول رسول كريم هذا جواب القسم اى ان القران قول رسول كريم على ربه وهو جبرئيل وهو كلام الله تع انزله على لسانه اى سمعه محمد من جبرئيل ولم يقله من قبل نفسه عن الحسن وقتاده وقيل انما اضافه الى جبرئيل لان الله تعالى قال لجبرئيل ايت محمدا وقل له كذا ثم وصف جبرئيل فقال ذى قوة اى فيما كلف وامر به من العلم والعمل وتبليغ الرسالة وقيل ذى قدرة في نفسه ومن قوته قلعه ديار قوم لوط بقوادم جناحه حتى بلغ به السما ثم قلبها عند ذى العرش مكين معناه متمكن عند الله صاحب العرش وخالقه رفيع المنزلة عظيم القدرة عنده كما يقال فلان مكين عند السلطان والمكان القرب مطاع ثم اى في السما تطيعه ملئكة السما قالوا ومن طاعة الملائكة لجبرئيل انه امر خازن الجنة ليلة المعراج حتى فتح لمحمد صلى الله عليه وآله ابوابها فدخلها ورأى ما فيها وامر

خازن النار

الخازن النار ففتح له عنها حتى نظر اليها امين اى على وحي الله ورسالته الى انبيائه وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لجبرئيل ما احسن ما اثنى عليك ربك ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين فما كانت قوتك وما كانت امانتك فقال اما قوتي فاني بعثت الى مداين لوط وهي اربع مداين في كل مدينة اربع مائة الف مقاتل سوى الذرارى فحملتهم من الارض السفلى حتى سمع اهل السموات اصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن واما امانتي فاني لم اومر بشيء فعدوته الى غيره ثم خاطب سبحانه جماعة الكفار فقال وما صاحبكم الذى يدعوكم الى الله واخلاص طاعته بمجنون والمجنون المغطى على عقله حتى لا يدرك الامور على ما هي عليه للآفة الغامرة له وبغمور الافة يتميز من النائم لان النوم ليس بافة وهذا ايضا من جواب القسم اقسم الله عز اسمه ان القرآن نزل به جبرئيل وان محمدا ليس على ما يرميه به اهل مكه من الجنون ولقد راه بالافق المبين اى راى محمد جبرئيل على صورته التى خلقه الله عليها حيث تطلع الشمس وهو الافق الاعلى من ناحية المشرق عن قتاده والحسن ومجاهد وما هو على الغيب بظنين اى ليس هو على وحي الله وما يخبر به من الاخبار بمتهم فان احواله ناطقة بالصدق والامانة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وابرهيم بن الضحاك ومن قرا بالضاد فالمعنى انه ليس ببخيل فيما نودى عن الله ان يعلمه كما علمه الله وما هو بقول شيطان رجيم رجمه الله باللعنه عن الحسن وقيل رجم بالشهب طردا من السماء والمعنى وليس القران بقول شيطان القاه اليه كما قال المشركون ان الشيطان يلقى اليه كما يلقى الى الكهنة ثم بكتهم الله سبحانه فقال اين تذهبون اى فاى طريق تسلكون امين من هذه الطريقة التى قد بينت لكم عن الزجاج وقيل معناه فاين تعدلون عن هذا القران وهو الشفا والهدى ان هو الا ذكر للعالمين معناه ما القران الا عظة وتذكرة للخلق يمكنهم ان يتوصلوا به الى الحق والذكر هو ضد السهو والذكر لا يخلو

من ان يكون عالما او جاهلا او مقلدا او شاكا ولا يصح شيء من ذلك من الساهي الذي
يضاد الذكر لمن شاء منكم ان يستقيم على امر الله وطاعته ذكر سبحانه انه ذكر لجميع
الخلق على العموم ثم خص المستقيم لان المنفعة راجعة اليهم كما قال انما تنذر من اتبع
الذكر وخشي الرحمن بالغيب وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين فيه قولان
احدهما ان معناه وما يشاؤون الاستقامة على الحق الا ان يشاء الله ذلك من قبل
حيث خلقكم لها وكلفكم بها فمشيته بين يدي مشيتكم عن الجبائي وثانيهما انه خطاب للكفار
والمراد لا يشاؤون الاسلام الا ان يشاء الله ان يجبركم عليه ويلجئكم اليه لكنه
لا يفعل لانه يريد منكم ان تؤمنوا اختيارا لتستحقوا الثواب ولا يريد منكم ان يحملكم
عليه عن ابي مسلم وثالثها ان المراد وما تشاؤون الا ان يشاء الله ان يلطف لكم
في الاستقامة لما في الكلام من معنى النعمة سورة الانفطار وتسمى سورة الانفطار
مكية تسع عشرة آية فضلها ابي بن كعب قال قال النبي صلى الله عليه وآله من قرأها
اعطاه الله من الاجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرة ماء حسنة واصلح الله
له شانه يوم القيمة وروى الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله عليه السلم قال من قرأ
هاتين السورتين اذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت وجعلهما نصب عينيه
في صلوة الفريضة والنافلة لم يحجبه من الله حجاب ولم يحجزه من الله حاجز ولم يزل
ينظر الى الله وينظر الله اليه حتى يفرغ من حساب الناس تفسيرها لما كانت السورة
المتقدمة في ذكر اهوال القيمة افتتح سبحانه هذه السورة بمثل ذلك لتتصل بها اتصال
النظير بالنظير فقال بسم الله الرحمن الرحيم
إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ
بُعْثِرَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ
الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ كَلَّا بَلْ
تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ
إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا

بغائبين

بِغَائِبِينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ
نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ القراءة قرأ اهل الكوفة وابو جعفر فعدلك
خفيفة والباقون فعدّلك بالتشديد وقرأ ابو جعفر بل يكذبون بالياء والباقون
بالتاء وقرأ ابن كثير واهل البصرة يوم لا يملك بالرفع والباقون بالنصب وفي الشواذ
قرأة سعيد بن جبير ما اغرك بربك الحجة اما عدّلك بالتشديد فمعناه
عدل خلقك فاخرجك في احسن تقويم واما عدلك بالتخفيف فمعناه عدل بعضك
ببعض فكنت معتدل الخلق متناسبها فلا تفاوت فيها وقوله يكذبون بالياء
يكون اخبارا عن الكفار وبالتاء على خطابهم واما وجه الرفع في قوله يوم لا تملك
نفس انه خبر مبتدأ محذوف اي هو يوم لا يملك والمعنى يوم الدين يوم لا تملك
نفس واما النصب فانه لما قال وما ادريك ما يوم الدين جرى ذكر الدين وهو الجزاء
قال يوم لا يملك يعني الجزاء يوم لا يملك فصار يوم لا يملك خبر الجزاء المضمر لانه حدث
فيكون اسماء الزمان اخبارا عن الحدث ويجوز النصب على وجه آخر وهو ان اليوم
لما جرى في اكثر الامر ظرفا ترك على ما كان يكون عليه في اكثر امره والدليل على ذلك ما اجتمع
عليه القراء والعرب في قوله تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك مما تقول في النصب
في ذلك قوله وما ادريك ما القارعة يوم يكون الناس وقوله يسألون ايان
يوم الدين يوم هم على النار يفتنون فالنصب في يوم لا تملك نفس مثل هذا ونحوه
قال ابو الحسن ولو رفع ذلك كله كان جيدا الا انا نختار ما عليه الناس واما من قرأ
ما اغرك فيجوز ان يكون معناه ما الذي دعاك الى الاغترار به ويجوز ان يكون
تعجبا وقد قيل في قوله فما اصبرهم على النار هذان الوجهان واغرك يجوز ان يكون
من الغرو والغرارة فيكون معناه ما اجهلك وما اغفلك عما يراد بك ويجوز ان يكون
من الغرور على غير القياس كما قيل في المثل اشغل من ذات النحيين اللغة الانفطار
والانشقاق والانصداع نظاير والانتثار تساقط الشيء في الجهات والتفجير
خرق بعض مواضع الماء الى بعض على التكثير ومنه الفجور لانخراق صاحبه بالخروج

الى كثير من الذنوب ومنه الفجر لانفجاره بالضياء وبعثرت الحوض وبحثرته
اذا جعلت اسفله اعلاه فالبعثرة والبحثرة اثارة الشيء بقلب باطنه الى ظاهره
والغرور ظهور امر يتوهم به جهلا الامان من المحذور يقال غره غرورا واغتره
اغترارا قال الحرث بن حلزة لم يغروكم غرورا ولكن رفع الال جمعهم والضحاء
الاعراب قوله في اي صورة ما شاء يجوز ان يكون ما مزيدة موكدة والمعنى
في اي صورة ما شاء ركبك اما طويلا واما قصيرا واما كذا وكذا ويكون ركبك
عطفا على عدلك فحذف الواو ويجوز ان يكون ما في معنى الشرط والجزاء فيكون
المعنى في اي صورة ما شاء ان يركبك فيها ركبك ولا يكون على هذا قوله في اي صورة
من صلة ركبك لان سيبويه قال ان تضرب زيدا اضرب عمروا ولا يجوز تقديم
عمرو على ان فوجب ان يكون قوله في اي صورة من صلة مضمر ولا يجوز من صلة عدلك
لانه استفهام فلا يعمل فيه ما قبله يصلونها في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون
في موضع رفع فيكون خبرا لان خبر بعد خبر والتقدير ان الفجار في جحيم
صالون المعنى اذا السماء انفطرت اي انشقت وتقطعت ومثله تشقق السماء
بالغمام الاية واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت وتهافتت قال ابن عباس
سقطت سود الاضوء لها واذا البحار فجرت اي فتح بعضها في بعض عذبها
في ملحها وملحها في عذبها فصارت بحرا واحدا عن قتادة والجبائي وقيل معناه
ذهب ماؤها عن الحسن واذا القبور بعثرت اي قلبت ترابها وبعث الموتى الذين فيها
وقيل معناه بحث عن الموتى فاخرجوا منها يريد عند البعث عن ابن عباس
ومقاتل علمت نفس ما قدمت واخرت هذا كقوله سبحانه ينبؤ الانسان يومئذ
بما قدم واخر وقد مر ذكره وعن عبد الله بن مسعود قال ما قدمت من خير او شر
وما اخرت من سنة حسنة استن بها بعده فله اجر من اتبعه من غير ان ينقص من اجورهم
او سنة سيئة عمل بها بعده فعليه وزر من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم
شيء ويؤيد هذا القول ما جاء في الحديث ان سائلا قام على عهد النبي صلى الله عليه وآله

فامسك

فسال فامسك القوم ثم ان رجلا اعطاه فاعطاه القوم فقال النبي صلى الله
عليه وآله من استن خيرا فاستن فله اجره ومثل اجور من اتبعه غير
منتقص من اجورهم ومن استن شرا فاستن فعليه وزره ومثل وزر
من اتبعه غير منتقص من اوزارهم قال فتلا حذيفة بن اليمان علمت نفس
ما قدمت واخرت يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي اي شيء
غرك بخالقك وخدعك وسول لك الباطل حتى عصيته وخالفته
وروي ان النبي صلى الله عليه وآله لما تلا هذه الاية قال غره جهله واختلف
في معنى الكريم فقيل هو المنعم الذي كل افعاله احسان وانعام لا يجر به
نفعا ولا يدفع ضررا وقيل هو الذي يعطي ما عليه وما ليس عليه ولا يطلب
ما له وقيل هو الذي يقبل اليسير ويعطي الكثير وقيل ان من كرمه سبحانه
انه لم يرض بالعفو عن السيئات حتى يبدلها بالحسنات وقيل للفضيل
ابن عياض لو اقامك الله يوم القيمة بين يديه فقال لك ما غرك بربك
الكريم ما ذا كنت تقول قال اقول غرني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ
لو اقامني الله بين يديه فقال ما غرك بي قلت غرني بك برك بي سالفا وآنفا وقال بعضهم قال
غرني حلمك وعن ابي بكر غرني كرم الكريم وانما قال سبحانه الكريم دون
ساير اسمائه وصفاته لانه كان لقنه الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم
وقال عبد الله بن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم القيمة
فيقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما ذا عملت فيما علمت يا ابن آدم
ما ذا اجبت المرسلين وقال امير المؤمنين عليه السلم كم مغرور بالستر عليه
ومستدرج بالاحسان اليه الذي خلقك من نطفة ولم تك شيئا فسواك
انسانا تسمع وتبصر فعدلك اي جعلك معتدلا وقيل معناه عدل خلقك
في العينين والاذنين واليدين والرجلين عن مقاتل والمعنى عدل بين
ما خلقك من الاعضاء التي في الانسان منها اثنان لا يفضل يد على يد ولا رجل

على رجل في اي صورة ما شاء ركبك اي في اي شبه من اب او ام او خال او عم عن
وروي عن الرضا عليه السلام عن [illegible] النبي صلى الله عليه وآله انه قال للرجل
ما ولد لك قال يا رسول الله وما عسى ان يولد لي اما غلام واما جارية
قال فمن يشبه قال يشبه امه او اباه فقال صلى الله عليه وآله لا تقل هكذا ان النطفة اذا استقرت
في الرحم احضرها الله كل نسب بينها وبين آدم وقيل في اي صورة ما شاء
من صور الخلق ركبك ان شاء في صورة انسان وان شاء في صورة حمار
وان شاء في صورة قرد عن عكرمة وابي صالح قال الصادق عليه السلام لو شاء ركبك
على غير هذه الصورة والمعنى انه سبحانه يقدر على جعلك كيف شاء ولكنه
خلقك في احسن تقويم حتى صرت على صورتك التي انت عليها لا يشبهك شيء
من الحيوان وقيل في اي صورة شاء من ذكر او انثى جسيم او نحيف حسن او ذميم
طويل او قصير كلا اي ليس الامر كما تزعمون انه لا بعث ولا حساب وليس هنا موضع
الانكار للبعث مع وضوح الامر فيه وقيام الدلالة عليه بل يكذبون معاشر
الكفار بالدين الذي هو الجزاء الانكاركم البعث والنشور عن مجاهد
وقتادة وقيل تكذبون بالدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وهو الاسلام
عن الجبائي وان عليكم لحافظين من الملائكة يحفظون عليكم ما تعملونه
من الطاعات والمعاصي ثم وصف الحفظة فقال كراما على ربهم كاتبين يكتبون
اعمال بني آدم يعلمون ما يفعلون من خير وشر فيكتبونه عليكم لا يخفى عليهم
في ذلك شيء وقيل ان الملائكة تعلم ما يفعله العبد اما باضطرار واما باستدلال
وقيل معناه يعلمون ما يفعلون من الظاهر دون الباطن وفي هذا دلالة
على ان افعال العباد حادثة من جهتهم وانهم المحدثون لها دونه تعالى والا فلا
يصح قوله يفعلون ان الابرار لفي نعيم وهو الجنة والابرار اولياء الله المطيعون
في الدنيا وان الفجار لفي جحيم وهو العظيم من النار والمراد بالفجار هنا الكفار
المكذبون للنبي صلى الله عليه وآله لقوله يصلونها يوم الدين اي يلزمونها

يكونهم

يكونهم فيها وما هم عنها بغائبين اي [illegible] غائبين عنها بل يكونون مؤبدين
فيها وقد دل الدليل على ان اهل الكبيرة من المسلمين لا يخلدون في النار
ولانه سبحانه قد ذكر المكذبين بالدين فيما قبل هذه الآية والاولى ان يكون
لفظ الفجار مخصوصة بهم وايضا فاذا احتمل الكلام ذلك بطل تعلق اهل
الوعيد بعموم اللفظة ثم عظم سبحانه يوم القيمة فقال وما ادريك ما يوم
الدين تعظيما لشدته وتنبيها على عظم حاله وكثرة اهواله ثم ما ادريك
ما يوم الدين كرره تاكيدا لذلك وقيل اراد ما ادريك ما في يوم الدين
من النعيم لاهل الجنة وما ادريك ما في يوم الدين من العذاب لاهل النار
عن الجبائي يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اي لا يملك احد الدفاع عن غيره ممن
يستحق العقاب كما يملك كثير من الناس في الدنيا ذلك والامر يومئذ لله
وحده اي الحكم له في الجزاء والثواب والعفو والانتقام وروى عمرو بن شمر
عن جابر عن ابي جعفر عليه السلام انه قال ان الامر يومئذ واليوم كله لله يا جابر
اذا كان يوم القيمة بادت الحكام فلم يبق حاكم الا الله وقيل معناه يوم لا تملك
نفس لنفس كافرة شيئا من المنفعة عن مقاتل والمعنى الصحيح في الآية ان الله سبحانه
قد ملك في الدنيا كثيرا من الناس امورا واحكاما وفي القيمة لا امر لسواه
ولا حكم ومتى قيل فيجب ان لا يصح على هذا شفاعة النبي صلى الله عليه وآله فالجواب
ان ذلك لا يكون الا بامره تعالى وباذنه وهو من تدبيره

سورة المطففين

وتسمى سورة التطفيف مكية وقال المعدل مدنية عن الحسن والضحاك وعكرمة قال وقال
ابن عباس وقتادة الا ثماني آيات منها وهي ان الذين اجرموا الى آخر السورة
عدد آيها ست وثلثون آية بالاجماع **فضلها** ابي بن كعب قال قال النبي صلى الله عليه وآله
ومن قرأها سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة وروى صفوان الجمال
عن ابي عبد الله عليه السلام قال من كانت قراءته من الفريضة ويل للمطففين اعطاه
الله الامن يوم القيمة من النار ولم تره ولا يراها ولا يمر على جسر جهنم ولا يحاسب

يوم القيمة تفخيما ختم سبحانه تلك السورة بذكر القيمة وما اعد فيها للابرار
والفجار وبين في هذه ايضا ذكر احوال الناس في القيمة فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم
يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم
الناس لرب العالمين كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك ما سجين
كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما
يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون
سبع عشرة اية القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم الا يحيى ران بكسر الراء والباقون
بفتحها اللغة التطفيف نقص المكيال والميزان والطفيف الشيء النزر القليل
ماخوذ من طف الشيء وهو جانبه وفي الحديث كلكم بنو ادم طف الصاع لم تملؤه
فليس لاحد فضل الا بالتقوى وطف الصاع قريب من ملؤه وانا طفان اذا لم يكن
ملآن والاكتيال الاخذ بالكيل ونظيره الاتزان وهو الاخذ بالوزن واذا
كالوهم او وزنوهم كان عيسى بن عمر يجعلهم فصلا في موضع رفع او تاكيدا للضمير
في كالوا او وزنوا والباقون يجعلونها ضمير المنصوب وهو الصحيح واهل الحجاز
يقولون وزنتك حقك وكلتك طعامك وعليه جاء التنزيل وغيرهم يقول
وزنت لك وكلت لك ويقال اخسرت الميزان وخسرته اي نقصته في الوزن
والسجين فعيل من السجن قال ابن مقبل شعر ضربا تواصي به الابطال سجينا اي شديدا
وقيل السجين هو السجن على التخليد فيه لان هذا الوزن للمبالغة قال شريب
وسكير وشريب والرقم طبع الخط فيما فيه علامة يقال رقمت الثوب ارقمه
رقما والرين اصله الغلبة ران على قلبه اي غلب الخمر على قلب السكران والموت

برين

يرين على الميت فيذهب به وفي حديث عمر بن الخطاب انه قال شعر في اسيفع جهينة
لما ركبه الدين ادان معرضا فاصبح قد رين به اي احاط الدين بماله حتى غلبه
الاعراب يوم يقوم الناس منصوب بقوله مبعوثون اي لا يظنون انهم
يبعثون يوم القيمة وقيل في اصل كلا قولان احدهما انها كلمة واحدة من غير
تركيب وضعت للردع والزجر وجرت مجرى الاصوات بحوصه ومه ونحوهما
والثاني ان يكون الكاف للتشبيه دخلت على لا وشددت للمبالغة في الزجر
مع الايذان بتركيب اللفظ النزول قيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله
المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله عز وجل ويل للمطففين فاحسنوا
الكيل بعد ذلك عن عكرمة عن ابن عباس وقيل انه عليه السلم قدم المدينة وبها
رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فنزلت الايات
عن السدي المعنى ويل للمطففين وهم الذين ينقصون المكيال والميزان
ويبخسون الناس حقوقهم في الكيل والوزن قال الزجاج وانما قيل له مطفف
لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء اليسير الطفيف ثم فسر
المطففين فقال الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا كالوا ما على
الناس لياخذوه لانفسهم يستوفون عليهم الكيل ولم يذكر اتزنوا لان
الكيل والوزن بهما الشرا والبيع فاحدهما يدل على الاخر واذا كالوهم
او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم يخسرون اي ينقصون والمعنى انهم
اذا كالوا او وزنوا لغيرهم نقصوا يقول كلتك وكلت لك كما تقول
نصحتك ونصحت لك وروي عن ابن مسعود انه قال الصلاة مكيال
من وفى وفى الله له ومن طفف قد سمعتم ما قال الله في المطففين ثم
عجب الله خلقه من غفلة هؤلاء حيث فارقوا امر الله وطريق العدل فقال
الا يظن اي الا يعلم اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم وهو يوم القيمة
يريد الا يستيقن من فعل هذا انه مبعوث محاسب عن ابن عباس ثم اخبر

عن ذلك اليوم اليوم يقوم الناس لرب العالمين ومعنى يوم يقوم الناس
من قبورهم لامر رب العالمين وجزائه او حسابه وجاء فى الحديث انهم يقومون
فى رشحهم الى انصاف اذانهم وفى حديث اخر يقومون حتى يبلغ الرشح الى اطراف
اذانهم ويحتمل ان يكون المراد ايضا الا يحسب اولئك لان من ظن الجزاء والبعث
وقوى ذلك فى نفسه وان لم يكن عالما به فانه يجب عليه ان يحرز خوفا من العقاب
الذى يجوزه ويظنه كما ان من ظن العطب فى سلوك طريق فواجب عليه ان يتجنب
سلوكه وفى الحديث عن سليم بن عامر عن المقداد بن الاسود قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وآله يقول اذا كان يوم القيمة ادنيت الشمس من العباد
حتى يكون الشمس بقدر ميل او ميلين قال سليم فلا ادرى امسافة الارض
ام الميل الذى يكحل به العين ثم قال صهرتهم الشمس فيكونون فى العرق بقدر
اعمالهم فمنهم من تاخذه الى عنقه ومنهم من تلجمه الجاما قال فرايت رسول الله
يشير بيده الى فيه قال يلجمه الجاما اورده مسلم فى الصحيح وروى ان ابن عمر قرا
ويل للمطففين حتى بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين فبكى حتى خر وامتنع
من القراءة كلا هو ردع وزجر اى ارتدعوا وانزجروا عن المعاصى فليس الامر
على ما انتم عليه وتمام الكلام ههنا وعند ابى حاتم سهل كلا ابتداء يتصل بما بعده
على معنى حقا ان كتاب الفجار لفى سجين يعنى كتابهم الذى يثبت اعمالهم من الفجور
والمعاصى عن الحسن وقيل معناه انه كتب فى كتابهم انهم يكونون فى سجين وهى فى
الارض السابعة السفلى عن ابن عباس ومجاهد وقتاده والضحاك عن
البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله سجين اسفل سبع ارضين
ثم قال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرنى عن قول
الله ان كتاب الفجار لفى سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتابى
السماء ان يقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتابى الارض ان تقبلها فتدخل
سبع ارضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس والمعنى فى الآية

ان كتاب

ان كتاب عملهم يوضع هنالك وقيل ان سجين جب فى جهنم مفتوح والفلق جب فى
جهنم مغطى رواه ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وقيل انه [illegible] كتابهم
وهو ظاهر التلاوة اى ما كتبه الله على الكفار بمعنى اوجبه عليهم من الجزاء
فى هذا الكتاب المسمى سجينا ويكون لفظه من السجن الذى هو الشدة عن ابى مسلم
والذى يدل على ان العرب كانت تعرفه هو قوله وما ادريك ما سجين اى ليس
ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك عن الزجاج ثم قال مفسرا له كتاب
مرقوم اى مكتوب معلوم كتب فيه ما يسوءهم ويسخن اعينهم وقيل مرقوم معناه
رقم لهم بشر كانه اعلم بعلامة يعرف بها انه للكافر والوجه الصحيح ان قوله
كتاب مرقوم ليس بتفسير السجين لانه ليس السجين من الكتاب المرقوم فى شئ
وانما هو تفسير الكتاب المذكور فى قوله ان كتاب الفجار على تقدير وهو كتاب
مرقوم اى مكتوب قد بينت حروفه ويل يومئذ للمكذبين وهذا تهديد
لمن كذب بالجزاء والبعث ولم يصدق وذكر صاحب النظم ان هذا منتظم بقوله
يوم يقوم الناس وان قوله كلا ان كتاب الفجار وما اتصل به اعتراض
بينهما ثم فسر سبحانه المكذبين فقال الذين يكذبون بيوم الدين اى يوم
الجزاء فان من كذب بالباطل لا يتوجه اليه الوعيد بل هو ممدوح ثم قال
وما يكذب به اى لا يكذب بيوم الجزاء الا كل معتد متجاوز للحق الى الباطل اثيم كثير
الاثم مبالغ فى ارتكابه ثم وصف المعتدى الاثيم بقوله اذا تتلى عليه اياتنا وهى
القرآن قال اساطير الاولين اى اباطيل الاولين والتقدير قال هذا اساطير
الاولين اى ما سطره الاولون وكتبوه مما لا اصل له كلا لا يومنون وقيل ليس الامر
على ما قالوه ثم استانف فقال بل ران على قلوبهم اى غلب عليها ما كانوا يكسبون
والمعنى غلبت ذنوبهم على قلوبهم وقيل ان معنى الرين هو الذنب على الذنب
حتى يموت القلب عن الحسن وقتاده وقال الفراء كثرت المعاصى منهم والذنوب
واحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها وعن عبد الله بن مسعود قال ان الرجل

يصير

ليذنب الذنب فينكت على قلبه نكتة سوداء ثم يذنب الذنب فينكت نكتة اخرى حتى
قلبه على لون الشاة الربداء وروى العياشي باسناده عن زرارة عن ابي جعفر
عليه السلم قال ما من عبد مؤمن الا وفي قلبه نكتة بيضاء فاذا اذنب ذنبا خرج
في تلك النكتة نكتة سوداء فاذا تاب ذهب ذلك السواد وان تمادى في الذنوب
زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فاذا غطى البياض لم يرجع صاحبه
الى خير ابدا وهو قول الله كلا بل ران على قلوبهم الاية وقال ابو عبد الله
عليه السلم يصدأ القلب فاذا ذكرته بالاء الله انجلى عنه وقال ابو مسلم ان اعتبارهم
الكفر والفتهم له وغفلتهم صار غطاء على قلوبهم فلا يعقلون ما ينفعهم
لان ترك النظر في العواقب وكثرة المعاصي والانهماك في الفسق يقوى
الدواعي في الاعراض عن التوبة والابلاغ بالذنوب فصار ذلك كالغالب
على القلوب الراين عليها وقال ابو القسم البلخي وفي الاية دلالة على صحة
ما نقوله اهل العدل في تفسير الطبع على القلوب والختم عليها والاضلال
لانه تعالى اخبر ان اعمالهم السيئة وما كانوا يكتسبونه من القبيح ران على قلوبهم
كلا ردع لا يصدقون عن ابن عباس ثم استانف انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
يعني ان هؤلاء الذين وصفهم بالكفر والفجور محجوبون يوم القيمة عن رحمة
ربهم واحسانه وكرامته عن الحسن وقتادة وقيل ممنوعون عن رحمته مدفوعون
عن ثوابه غير مقبولين ولا مرضيين عن ابي مسلم وقيل محرمون عن ثوابه
غير مقبولين ولا مرضيين عن ابي مسلم وقيل محرمون عن ثوابه وكرامته عن علي ع
انهم بعد ان منعوا عن الثواب والكرامة لصالوا الجحيم بكونهم فيها لا يغيبون
عنها وقال ابو مسلم لصايرون صلاها اي وقودها ثم يقال لهم توبيخا وتبكيتا
هذا الذي فعل بكم من العذاب والعقاب الذي كنتم به تكذبون في دار التكليف
ويسمى مثل هذا الخطاب تعريفا لانه اخبر بما يفرع بشدة الغم على وجه الذم
قوله عز وجل كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ

كتاب

كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ
تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ
مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا
يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا
فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ
حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ
هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تسع عشرة اية القراءة قرأ ابو جعفر
ويعقوب تعرف بضم التاء وفتح الراء نضرة بالرفع والباقون تعرف بضم
التاء وكسر الراء نضرة بالنصب وقرأ الكسائي وحده خاتمه وهي قراءة علي ع
وعلقمة والباقون ختامه وقرأ ابو جعفر وحفص فكهين بغير الف والباقون
فاكهين وقرأ حمزة والكسائي هثوب الكفار بادغام اللام في الثاء وقد روي
نحوه عن ابي عمرو والباقون بالاظهار الحجة تعرف في وجوههم على الخطاب والمعنى
في القراءتين سواء وقال ابو عبيدة ختامه اي عاقبته وقال ابن مقبل مما [illegible]
بالحانوت باطنها بالفلفل الجون والرمان مختوم قال ابو علي ختامه مسك
المراد به لذاذة المقطع وذكاء الرايحة وارجها مع طيب الطعم وهذا كقوله
كان مزاجها كافورا وكان مزاجها زنجبيلا اي يحذى اللسان واما قول
الكسائي خاتمه فان معناه اخره كما كان خاتم النبيين معناه اخرهم فالختام
المصدر والخاتم اسم الفاعل كالطابع والنامل والعرب يقول الخاتم والخاتم
والخاتام والخيتام قال سيبويه ادغم ابو عمرو هثوب الكفار وادغامها فيها
حسن وان كان دون ادغام اللام في الراء في الحسن لتقاربهما وجاز ادغامها
فيها لانه قد ادغم في الشين فيما قد انشده من قوله هشي بكيك لايق يريد
هل شيء اللغة عليون علو على علو مضاعف ولهذا جمع بالواو والنون تفخيما

لشانه وتشبيهاً بما عقل في عظم الشان وهي مراتب عالية محفوفة بالجلالة قال
شعر فاصبحت المذاهب قد اذاعت ۞ به الاعصار بعد الوابلينا يريد قطرا بعد قطر عن
قطر محدود العدد وكذلك تفخيم شان العدد الذي ليس على الواحد نحو ثلثون
واربعون الى التسعين وجرت العشرون عليه قال الزجاج عليون اسم لاعلى الامكنة
واعرابه كاعراب الجمع لانه على لفظ الجمع كما يقول هذه قنسرون ورايت قنسرين
والارائك الاسرة في الحجال والرحيق الشراب الذي لا غش فيه قال حسان شعر يسقون
من ورد البريص عليهم ۞ بردى تصفق بالرحيق السلسل قال الخليل هي افضل الخمر واجودها
والتنافس تمني كل واحد من النفسين مثل الشيء النفيس الذي يتنفس لاخر ان يكون
له تنافسوا في الشيء تنافساً ونافسه منافسة ونفس عليه بالشيء ينفس نفاسة اذا ضن
به لجلالة قدره عنده وذلك الشيء الذي ينفس به نفيس والمزج خلط مايع بمايع
على خلاف صفته كمزج الشراب بالماء والتسنيم عين ماء تجري من علو الى سفل تسنم
عليهم من الغرف اشتقاقه من السنام وسنمت العين تسنيماً اذا اجريتها عليهم
من فوقها والتغامز اشارة بعضهم الى بعض بالاعين استهزاءً وطلباً للعيب يقال
غمز بجفنه اذا اشار والفاكهون اللاهون والفكهون المرحون الاشرون والفكاهة
المزاج واصل الثواب من الرجوع كانه يرجع على العامل بعمله وثاب اليه عقله
اذا رجع الاعراب عيناً يشرب بها المقربون يجوز ان يكون منصوبا مفعولا له
للتسنيم اي يزاجه من ماء متسنم عينا كقوله او اطعام يتيماً ويجوز ان يكون منصوباً
على تقدير ويسقون من عين ويجوز ان يكون منصوبا على الحال ويكون تسنيم
معرفة وعينا نكرة المعنى لما تقدم ذكر حال الفجار عقبه سبحانه بذكر حال الابرار فقال
كلا اي لا يؤمنون بالعذاب الذي يصلونه فعلى هذا يتصل بما قبله وقيل معناه
حقا ويتصل بما بعده ان كتاب الابرار اي المطيعين لله لفي عليين اي مراتب
عالية محفوفة بالجلالة وقيل في السماء السابعة وفيها ارواح المؤمنين عن قتادة
ومجاهد والضحاك وكعب وقيل في سدرة المنتهى وهي التي اليها ينتهي كل شيء من امر الله تعالى

عن الضحاك في رواية اخرى وقيل عليون الجنة عن ابن عباس وقال الفراء في ارتفاع
بعد ارتفاع لا غاية له وقيل هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش
اعمالهم مكتوبة فيها عن ابن عباس في رواية اخرى وعن البراء بن عازب عن النبي
صلى الله عليه وآله قال في عليين في السماء السابعة تحت العرش وما ادريك ما عليون
وهذا تعظيم لشان هذه المنزلة وتفخيم لامرها وتنبيه على ان تفصيله
لا يمكن العلم به الا بالمشاهدة ثم قال كتاب مكتوب فيه جميع طاعاتهم وما تقر به
اعينهم ويوجب سرورهم بضد الكتاب الذي للفجار لان فيه ما يسرهم ويسوءهم
ويسخن عيونهم قال مقاتل مرقوم مكتوب لهم بالخير في ساق العرش ويدل
عليه قوله يشهده المقربون يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهدون
ويحضرون ذلك المكتوب او ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين والمقربون
هم الذين قربوا الى كرامة الله في اجل المراتب قال عبد الله بن عمر ان اهل
عليين لينظرون الى اهل الجنة من كذا فاذا اشرف رجل منهم اشرقت الجنة
وقالوا قد اطلع علينا رجل من اهل عليين ان الابرار لفي نعيم اي يجلسون
في ملاذ وانواع من النعمة في الجنة على الارائك قال الحسن ما كنا نعرف
ما الارائك حتى قدم الينا رجل من اليمن فزعم ان الاريكة عندهم الحجلة
اذا كان فيها سرير ينظرون الى ما اعطوا من النعيم والكرامة وقيل
ينظرون الى عدوهم حين يعذبون عن مقاتل تعرف في وجوههم نضرة
النعيم اي اذا رايتهم عرفت انهم من اهل النعمة مما ترى في وجوههم من النور
والحسن والبياض والبهجة قال عطا وذلك ان الله تعالى قد زاد في جمالهم
والوانهم ما لا يصفه واصف يسقون من رحيق اي خمر صافية خالصة من كل
غش مختوم وهو الذي له ختام اي عاقبة وقيل مختوم في الانية بالمسك
وهو غير الخمر التي تجري في الانهار وقيل مختوم اي ممنوع من ان تمسه
يد حتى يفك ختمه الابرار ثم فسر المختوم بقوله ختامه مسك اي اخر طعمه ريح المسك

اذا رفع الشارب فاه من اخر شرابه وجد ريحه كريح المسك عن ابن عباس
والحسن وقتاده وقيل ختم اناوه بالمسك بدلا من الطين الذى يختم به الشراب
فى الدنيا عن مجاهد وابن زيد قال لمجاهد طينه مسك وعن ابى الدرداء
قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو ان رجلا من اهل الدنيا
ادخل اصبعه فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيبها ثم رغب فيها
فقال و فى ذلك فليتنافس المتنافسون اى فليرغب الراغبون بالمبادرة
الى طاعة الله تعالى ومثله قوله سبحانه لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل
فليتنازع المتنازعون عن مقاتل وقيل فليتشاح المتشاحون عن زيد
بن اسلم وفى الحديث من صام لله فى يوم صايف سقاه الله من الظماء
من الرحيق المختوم وفى وصية النبى صلى الله عليه وآله لامير المؤمنين عليه السلام
يا على من ترك الخمر لله سقاه الله من الرحيق المختوم ومزاجه من تسنيم
اى مزاج ذلك الشراب الذى وصفناه وهو ما يمزج به من تسنيم وهو
عين فى الجنه وهو اشرف شراب فى الجنه وقال مسروق يشربها المقربون
صرفا ويمزج بها كاس اصحاب اليمين فيطيب وروى ميمون بن مهران
ان ابن عباس سئل عن تسنيم فقال هذا مما يقول الله عز وجل فلا يعلم
نفس ما اخفى لهم من قرة اعين ونحو هذا قول الحسن خفايا اخفاه الله
لاهل الجنه وقيل هو شراب يُصَبُّ عليهم من علو انصبابا عن مقاتل وقيل
هو نهر يجرى فى الهواء فيصب فى اوانى اهل الجنه بحسب الحاجة عن قتاده ثم فسره
سبحانه فقال عينا يشرب بها المقربون اى هى خالصة للمقربين يشربونها
صرفا ويمزج لساير اهل الجنه عن ابن مسعود وابن عباس ان الذين اجرموا
يعنى كفار قريش ومترفيهم كابى جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل
واصحابهم كانوا من الذين امنوا يعنى اصحاب النبى صلى الله عليه وآله مثل عمار وخباب
وبلال وغيرهم يضحكون على وجه السخرية بهم والاستهزاء فى دار الدنيا ويحتمل

ان يكونوا ضحكوا من جدهم فى عبادتهم وكثرة صيامهم وصلوتهم لانكارهم الجزاء
والبعث ويجوز ان يكون كان ضحكهم انكارا وتعجبا من قولهم بالاعادة واحياء
العظام الرميمة ويحتمل ان يكون ذلك لغلوهم فى كفرهم وجهلهم ولابهام
العوام انهم على حق وان المسلمين على باطل فكانوا يضحكون واذا مروا بهم
يعنى واذا مر المومنون بهولاء المشركين يتغامزون بان يشير بعضهم
الى البعض بالاعين وبالحواجب استهزاء بهم اى يقول هولاء انهم على حق وان محمدا
انزل اليه الوحى وانه رسول الله وانا نبعث ونحو ذلك وقيل نزلت فى على
بن ابى طالب عليه السلام وذلك انه كان فى نفر من المسلمين جاؤوا الى النبى صلعم
فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا
رأينا اليوم الاصلع فضحكنا منه فنزلت الاية قبل ان يصل على واصحابه
الى النبى صلى الله عليه وآله عن مقاتل والكلبى وذكر الحاكم ابو القاسم الحسكانى
رح فى كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل باسناده عن ابى صالح
عن ابن عباس قال ان الذين اجرموا منافقوا قريش والذين امنوا
على بن ابى طالب واصحابه واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين يعنى
واذا رجع هولاء الكفار الى اهلهم رجعوا معجبين بما هم فيه يتفكهون
بذكرهم واذا راوهم قالوا ان هولاء لضالون عن طريق الحق والصواب
تركوا التنعم رجاء ثواب لا حقيقة له خدعهم به محمد ثم قال سبحانه وما
ارسلوا عليهم حافظين اى ولم يرسل هولاء الكفار حافظين على المومنين
ما هم عليه وما كلفوا حفظ اعمالهم وكيف يطعنون عليهم ولو اشتغلوا
بما كلفوه لكان ذلك اولى بهم وقيل معناه وما ارسلوا عليهم شاهدين
لان شهادة الكفار لا تقبل على المومنين اى ليسوا شهداء عليهم بل المومنون
شهداء على الكفار يشهدون عليهم يوم القيمة عن ابى مسلم فاليوم
يعنى يوم القيمة الذى يجازى الله كل احد على عمله الذين امنوا من الكفار

يضحكون كما ضحك الكفار منهم في الدنيا وذلك انه يفتح للكفار باب الى الجنة ويقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليه غلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك منهم المؤمنون عن ابي صالح وقيل يضحكون من الكفار اذا راوهم في العذاب وانفسهم في النعيم وقيل ان الوجه في ضحك اهل الجنة من اهل النار انهم لما كانوا اعداء الله واعداء لهم جعل الله سبحانه لهم سرورا في تعذيبهم ولو كان العفو قد وقع عليهم لم يجز ان يجعل السرور في ذلك لانه مضر بالعداوة وقد زالت بالعفو على الارائك ينظرون يعني المؤمنين ينظرون الى عذاب اعدائهم الكفار على سرر في الحجال ثم قال سبحانه هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون اي هل جوزي الكفار اذا فعل بهم هذا الذي ذكر ما كانوا يفعلونه من السخرية بالمؤمنين في الدنيا وهو استفهام يراد به التقرير وثوب بمعنى اثيب وقيل معناه يتصل بما قبله ويكون التقدير ان الذين امنوا ينظرون هل جوزي الكفار باعمالهم ويكون الجملة معلقة بنظرون وعلى القول الاول يكون استينافا وكلاما لا موضع له من الاعراب وانما قال هل ثوب الكفار فاستعمل لفظ الثواب في العقوبة لان الثواب في اصل اللغة الجزاء الذي يرجع الى العامل بعمله وان كان في العرف اختص الجزاء بالنعيم على الاعمال الصالحة فاستعمل هنا على اصله وقيل لانه جاء في مقابلة ما فعل بالمؤمنين اي هل ثوب الكفار كما ثوب المؤمنون وهذا القول يكون من قبل الله تعالى او بقوله الملائكة للمؤمنين تنبيها لهم على ان الكفار جوزوا على كفرهم واستهزائهم بالمؤمنين ما استحقوا به من اليم العذاب ليزداد وبذلك سرورا الى سرورهم ويحتمل ان يكون ذلك بقوله المؤمنون بعضهم لبعض سرورا بما نزل بالكفار وكل هذه الوجوه انما يتجه على القول الاول اذا كانت الجملة كلاما مستانفا لا يعلق له بما قبله

سورة انشقت

وتسمى سورة الانشقاق

مكية

مكية عدد آيها ثلث وعشرون آية بصري شامي وخمس في الباقين اختلافها آيتان كتابه بيمينه وراء ظهره كلاهما حجازي كوفي فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال ومن قرا انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره تفسيرها ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر احوال القيمة وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فاتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ

القراءة قرا ابو جعفر واهل العراق غير الكسائي يصلى بالتخفيف وفتح الياء والباقون ويصلى بضم الياء والتشديد وقرا ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم لتركبن بفتح الباء والباقون بضم الباء الحجة قال ابو علي حجة يصلى ثم الجحيم صلوه وحجة يصلى وسيصلون سعيرا اصلوها اليوم وهذا كثير في التنزيل وحجة لتركبن قول ابن عباس لتركبن السماء حالا بعد حال مرة كالمهل ومرة كالدهان وابن مسعود لتركبن يا محمد طبقا عن طبق مجاهد لتركبن امرا بعد امر الحسن اي حالا عن حال ومنزلا عن منزل ابو عبيدة لتركبن سنة من كان قبلكم ابو علي من فتح الباء اراد النبي صلى الله عليه وآله

ا من ضم الباء اراد النبي وغيره والضم ياتي على معنى المفتوحة وفسر والطبقا
عن طبق حالا بعد حال و مثل ما فسروا من ان معنى عن معنى بعد قول الاعشى
شعر ساد والغى رهطه سادة ❊ وكابرا سادوك عن كابر المعنى كابرا
بعد كابر بغير متعلق بسادوك ولا يكون متعلقا بكابر وقد بين ذلك
في قول النابغة شعر بقية قدر من قدور تورثت ❊ لآل الجلاح كابرا بعد
كابر ❊ وقالوا عرق عن الحمى اى بعدها الآية الانشقاق افتراق امتداد
عن التيام فكل انشقاق افتراق وليس كل افتراق انشقاقا والاذن
الاستماع يقول العرب اذن لك هذا الامر اذنا بمعنى استمع لك قال عدى
بن زيد ❊ في سماع ياذن الشيخ له ❊ وحديث مثل ماذى مشار ❊ وقال
ايضا ❊ ايها القلب تعلل بددن ❊ ان همي في سماع واذن ❊ وقال اخر شعر
وان ذكرت بشر عندهم اذنوا ❊ والكدح السعي الشديد في الامر والدؤب
في العمل يقال كدح الانسان في امره يكدح ونفر فيه كدوح اى اثار من شدة
السعي قال ابن مقبل شعر وما الدهر الا تارتان فمنهما ❊ اموت واخرى تبتغى العيش
اكدح ❊ والحور الرجوع حار يحور اذا رجع وكلمته فما احار جوابا اى ما رد
جوابا ونعوذ بالله من الحور بعد الكور اى من الرجوع الى النقصان بعد
الزيادة والتمام وحوره اذا رده الى البياض والمحور البكرة تدور حتى ترجع
الى مكانها والشفق هو الحمرة بين المغرب والعشاء الاخرة وهو قول مالك
والشافعي والاوزاعي وابي يوسف ومحمد وهو قول الخليل وهو المروى عن ائمة
الهدى عليهم السلم قال ثعلب هو البياض وهو قول ابي حنيفة قال الفراء سمعت بعض
العرب يقول الثوب احمر كانه الشفق وقال الشاعر ❊ احمر اللون كمحمر الشفق
وقال اخر ❊ قم يا غلام اعني غير محتشم ❊ على الزمان بكاس حشوها شفق ❊ واصل
الشفق الرقة ومثله الشفيق في العمل وهو الرقة على ظلامة واشفق على كذا اذا رق
عليه وخاف هلاكه وثوب شفق رقيق فالشفق هو الحمرة الرقيقة في المغرب بعد مغيب الشمس

والوسق

والوسق الجمع وسقته اسقه اذا جمعته وطعام موسوق مجموع والوسق الطعام
المجتمع الكثير مما يكال او يوزن ومقداره ستون صاعا والاتساق الاجتماع
على تمام افتعال من الوسق واصل الطبق الحال والعرب تسمى الداهية ام طبق
وبنات طبق قال ❊ قد طرقت ببكرها ام طبق ❊ وقال في ان الطبق الحال
الصبر احمد والدنيا مفجعة ❊ من ذا الذى لم يذق من عيشه رنقا
اذا صفا لك من مسرورها طبقا ❊ وقال الآخر شعر ان امرء قد حلبت الدهر اشطره
وساقني طبق منه الى طبق ❊ فلست اصبوا الى خلق يفارقني ولا تقبض احشاى
من الفرق ❊ الاعراب قال الزجاج جواب اذا يدل عليه قوله فملاقيه والمعنى
اذا كان يوم القيمة لقى الانسان عمله والهاء في قوله فملاقيه يجوز ان يكون
تقديره فملاق ربك ويجوز ان يكون فملاق كدحك اى عملك وسعيك
وقوله كادح الى ربك كدحا قيل ان الى ههنا بمعنى اللام والوجه الصحيح فيه
ان يكون محمولا على المعنى لان معناه ساع الى ربك سعيا على انه يحتمل ان يكون
الى متعلقة بمحذوف ويكون التقدير انك كادح لنفسك صائرا الى ربك
كما ان قوله وتبتل اليه يكون على معنى تبتل من الخلق راجعا الى الله او راغبا
اليه وقوله يدعوا ثبورا معناه انه يقول يا ثبوراه فكانه يدعوه فيقول
يا ثبور تعال فهذا اوانك مثل ما قيل في يا حسرتا فعلى هذا يكون ثبورا مفعولا
به ان لن يحور تقديره انه لن يحور فهى مخففة من الثقيلة ولا يجوز ان يكون
ان الناصبة للفعل لانه لا يجوز ان يجتمع عاملان على كلمة واحدة وقوله
فما لهم مبتداء وخبر ولا يؤمنون جملة منصوبة الموضع على الحال والتقدير
اى شئ استقر لهم غير مؤمنين المعنى اذا السماء انشقت اى تصدعت و
انفرجت وانشقاقها من علامات القيمة وذكر ذلك في مواضع من القرآن
واذنت لربها اى سمعت واطاعت في الانشقاق عن ابن عباس وسعيد
بن جبير ومجاهد وقتاده وهذا توسع اى كانها سمعت وانقادت لتدبير الله

وحقت اى وحق لها ان تاذن بالانقياد لامر ربها الذى خلقها وتطيع له واذا الارض
مدت اى بسطت باندكاك جبالها واكامها حتى صارت كالصفيحة الملسا وقيل
انها تمد مد الاديم العكاظى ويزاد فى سعتها عن ابن عباس وقيل سويت فلا بناء
ولا جبل الا دخل فيها عن مقاتل والقت ما فيها من الموتى والكنوز نبذ واخرجت
الارض اثقالها عن قتاده ومجاهد وتخلت اى خلت فلم يبق فى بطنها شىء وقيل
معناه القت ما فى بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت مما على ظهرها
من جبالها وبحارها واذنت لربها وحقت ليس هذا بتكرار لان الاول فى صفة
السماء والثانى فى صفة الارض وهذا كله من اشراط الساعة وجلايل الامور
التى يكون فيها والتقدير اذا كانت هذه الاشياء التى ذكرناها وعددناها
راى الانسان ما قدم من خير وشر ويدل على هذا المحذوف قوله يا ايها
الانسان انك كادح الى ربك كدحا اى ساع اليه فى عملك وقوله يا ايها الانسان
خطاب لجميع المكلفين من ولد آدم يقول الله سبحانه لهم ولكل واحد منهم يا ايها
الانسان انك عامل عملا فى مشقة لتحمله الى الله وتوصله اليه فملاق اى ملاق
جزاء جعل لقاء جزاء العمل لقاء له تفخيما لشانه وقيل معناه ملاق ربك
اى صاير الى حكمه حيث لا حكم الا حكمه وقال ابن الانبارى والبلخى جواب اذا قوله
اذنت لربها وحقت والواو زايدة كقوله حتى اذا جاؤوها وفتحت
ابوابها وهذا ضعيف والاول هو الوجه ثم قسم سبحانه احوال الخلق يوم
القيمة فقال فاما من اوتى كتابه بيمينه اى من اعطى كتابه الذى فيه ثبت اعماله
من طاعة او معصية بيده اليمنى فسوف يحاسب حسابا يسيرا يريد انه لا يناقش
فى الحساب ويواقف على ما عمل من الحسنات وماله عليها من الثواب وما حط
عنه من الاوزار اما بالتوبة او بالعفو وقيل الحساب اليسير التجاوز عن السيئات
والاثابة على الحسنات ومن نوقش الحساب عذب فى خبر مرفوع وفى رواية اخرى
يعرف بعمله ثم يتجاوز عنه وفى حديث اخر ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا

وادخله الله الجنة برحمته قالوا وما هى يا رسول الله قال تعطى من
من قطعك وتعفو عمن ظلمك وينقلب بعد الفراغ من الحساب الى اهله مسرورا
بما اوتى من الخير والكرامة والمراد بالاهل هنا ما اعد الله له من حور العين
وقيل اهله ازواجه واولاده وعشايره وقد سبقوه الى الجنة والسرور
هو الاعتقاد او العلم بوصول نفع اليه او دفع ضرر عنه فى المستقبل وقال
قوم هو معنى فى القلب يلتذ لاجله بنيل المشتهى يقال سر بكذا من مال او ولد
او بلوغ امل فهو مسرور واما من اوتى كتابه وراء ظهره لان يمينه مغلولة
الى عنقه ويكون يده اليسرى خلف ظهره عن الكلبى وقيل تخلع يده اليسرى
خلف ظهره عن مقاتل والوجه فى ذلك ان يكون اعطاء الكتاب باليمين
امارة للملائكة والمومنين لكون صاحبه من اهل الجنة ولطفا للخلق
فى الاخبار به وكناية عن قبول اعماله واعطاؤه على الوجه الاخر امارة
لهم على ان صاحبه من اهل النار وعلامة المناقشة فى الحساب وسوء المآب
ثم حكى سبحانه ما يحل به فقال فسوف يدعوا ثبورا اى هلاكا اذا قرا
كتابه وهو ان يقول واثبوراه واهلاكاه ويصلى سعيرا ان يدخل النار
ويعذب بها عن الجبائى وقيل يصير صلاء للنار المسعرة وقيل يلزم
النار موزيا على وجه التابيد انه كان فى اهله مسرورا فى الدنيا ناعما
بهم امر الاخرة ولا يتحمل مشقة العبادة فابدله الله بسروره غما باقيا
لا ينقطع وكان المومن مهتما بامور الاخرة فابدله الله بهمه سرورا
لا يزول ولا يبيد وقيل كان مسرورا بمعاصى الله تعالى لا يندم عليها عن الجبائى
وقيل ان من عصى وسر بمعصيته فقد ظن انه لا يرجع الى البعث ولو كان
موقنا بالبعث والجزاء لكان بعيدا عن السرور بالمعاصى انه ظن فى الدار
دار التكليف انه لن يرجع الى حال الحيوة فى الاخرة للجزاء فارتكب المآثم
وانتهك المحارم وقال مقاتل حسب ان لا يرجع الى الله سبحانه بلى ليحورن وليبعثن

وليس الامر على ما ظنه ان ربه كان به بصيرا من يوم خلقه الى ان بعثه قال
الزجاج كان به بصيرا قبل ان يخلقه عالما بان مرجعه اليه ثم اقسم سبحانه
فقال فلا اقسم سبق بيانه فى سورة القيمة بالشفق اى بالحمرة التى تبقى عند
المغرب فى الافق وقيل البياض والليل وما وسق اى وما جمع وما ضم مما كان
منتشرا بالنهار فى تصرفه وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شى الى ماواه
عن عكرمة وغيره وقيل ما ساق لان ظلمة الليل تسوق كل شى الى مسكنه عن
الضحاك ومقاتل وقيل وما وسق اى طرد من الكواكب فانها تظهر بالليل
وتخفى بالنهار واضاف ذلك الى الليل لان ظهورها فيه مطرد عن ابى مسلم والقمر
اذا اتسق اى استوى واجتمع وتكامل وتم قال الفراء اتساقه امتلاؤه واجتماعه
واستواؤه لثلث عشرة الى ستة عشرة لتركبن طبقا عن طبق هذا جواب القسم
اى لتركبن يا محمد سماء بعد سماء تصعد فيها عن ابن عباس وابن مسعود
ومجاهد والشعبى والكلبى ويجوز ان يريد درجة بعد درجة ورتبة بعد
رتبة فى القربة من الله ورفعة المنزلة عنده وروى مجاهد عن ابن عباس
انه كان يقرأ لتركبن بفتح الباء طبقا عن طبق قال يعنى نبيكم صلى الله عليه
وآله حالا بعد حال رواه البخارى فى الصحيح ومن قرأ بالضم فالخطاب
للناس اى لتركبن حالا بعد حال ومنزلا بعد منزل وامرا بعد امر يعنى فى الآخرة
والمراد ان الاحوال تتقلب بهم فيصيرون على غير الحال التى كانوا عليها فى الدنيا
وعن بمعنى بعد كما قال سبحانه عما قليل ليصبحن نادمين اى بعد قليل وقال
الشاعر شعر قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال اى بعد حيال
وقيل معناه شدة بعد حيوة ثم موت ثم بعث ثم جزاء وروى ذلك مرفوعا
وقيل امرا بعد امر رخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء وفقرا بعد غنى وغنى
بعد فقر وصحة بعد سقم وسقم بعد صحة عن عطا وقيل حالا بعد حال
ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم خلقا آخر ثم جنينا ثم وليدا ثم رضيعا ثم فطيما

ثم يافعا ثم ناشيا ثم مترعرعا ثم حزورا ثم مراهقا ثم محتلما ثم بالغا
ثم امرد ثم طارا ثم باقلا ثم مستطرا ثم مطرخما ثم مختطا ثم صملا ثم
ملتحيا ثم مستويا ثم مصعدا ثم مجتمعا والشاب يجمع ذلك كله ثم ملهوزا
ثم كهلا ثم اشمط ثم شيخا ثم اشيب ثم حوقلا ثم صفتاتا ثم هما ثم هرما
ثم ميتا فيشتمل الانسان من كونه نطفة الى ان يموت سبعة وثلثين اسما
وقيل معناه لتحدثن امرا لم تكونوا عليه فى كل عشرين سنة عن مكحول وقيل معناه
لتركبن منزلة وطبقة عن طبقة وذلك من كان على صلاح دعاه ذلك الى
اصلاح فوقه ومن كان على فساد دعاه الى فساد فوقه لان كل شى يجر الى شكله
وقيل لتركبن سنن من كان قبلكم من الاولين واحوالهم عن ابى عبيدة و
روى ذلك عن الصادق عليه السلم والمعنى انه يكون فيكم ما كان فيهم ويجرى
عليكم ما جرى عليهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ثم قال سبحانه
على وجه التقريع لهم والتبكيت فما لهم يعنى كفار قريش لا يؤمنون بمحمد والقرآن
والمعنى اى شى لهم اذا لم يؤمنوا وهو استفهام انكار اى لا شى لهم من النعيم
والكرامة اذا لم يؤمنوا وقيل معناه فما وجه الارتياب الذى يصرفهم
عن الايمان وهو تعجيب منهم فى تركهم الايمان والمراد اى مانع لهم واى عذر لهم
فى ترك الايمان مع وضوح الدلايل واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون عطف
على قوله فما لهم لا يؤمنون اى ما الذى يصرفهم عن الايمان وعن السجود
لله تعالى اذا تلى عليهم القرآن وقيل معنى لا يسجدون لا يصلون لله عز وجل
عن عطا والكلبى وفى خبر مرفوع عن ابى هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله
عليه وآله اذا السماء انشقت فسجد ثم قال سبحانه بل الذين كفروا يكذبون
اى لم يتركوا الايمان لقصور فى البيان او الانقطاع من البرهان لكنهم
قلدوا اسلافهم ورؤساهم فى التكذيب بالرسول والقرآن والله اعلم
بما يوعون اى يجمعون فى صدورهم ويضمرون فى قلوبهم من التكذيب والشرك

عن ابن عباس وقتاده ومقاتل وقيل بما يجمعون من الاعمال الصالحة والسيئة
عن ابن زيد قال لعن اصل الايعاء جعل الشي في وعاء والقلوب اوعية
لخيرها او شرها ثم قال فبشرهم يا محمد بعذاب اليم اي اجعل ذلك لهم بدل
البشارة للمؤمنين بالرحمة ثم استثنى سبحانه المؤمنين من جملة المخاطبين فقال
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون اي غير منقوص
ولا مقطوع لان نعيم الاخرة غير منقطع عن ابن عباس وقيل غير منغص
ولا مكدر بالمن عن الجبائي وروي ذلك عن الحسن وانما قيل له من وصنه
لانه يقطع عن شكر النعمة واصل المن القطع يقال مننت الحبل اذا قطعته قال
لبيد . لمعفر قهد ينازع شلوه . غبس كواسب ما يمن طعامها . اي ما ينقص
وقيل ليس لاحد عليها منة فيما يكتسب في قوله سبحانه فما لهم لا يومنون ولا يسجدون
دلالة على ان الايمان والسجود فعلهم لان الحكيم لا يقول ما لك لا تومن ولا تسجد
لمن يعلم انه لا يقدر على الايمان والسجود ولو وجد ذلك لم يكن من فعله
ويدل عليه قوله لا يسجدون على ان الكفار مخاطبون بالعبادات النظم وجه
اتصال قوله ان ربه كان به بصيرا بما قبله انه سبحانه لما اخبر عن ظن
الكافر ان لن يحور عقبه بالاخبار بانه يحور والقطع عليه ذكر انه بصير به
وقيل ان تقديره بلى سيرجع الى الاخرة وربه بصير باحواله فيجازيه باعماله
[illegible] البروج مكية اثنتان وعشرون آية بالاجماع فضلها ابي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه وآله قال ومن قرأها اعطاه الله من الاجر بعدد كل يوم
جمعة وكل يوم عرفة يكون في دار الدنيا عشر حسنات يونس بن ظبيان عن ابي
عبد الله عليه السلم قال ومن قرأ والسماء ذات البروج في فرايضه فانه سورة
النبيين كان محشره وموقفه مع النبيين والمرسلين تفسيرها ختم سبحانه تلك
السورة بذكر المؤمنين وافتتح هذه السورة ايضا بذكر المؤمنين من اصحاب
الاخدود فقال بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ [illegible] الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ اَصْحَابُ
الْاُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ اِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ
بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ اِلَّا اَنْ يُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ اِنَّ الَّذِينَ
فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ الْحَرِيقِ اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ اِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ اِنَّهُ
هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ
لِمَا يُرِيدُ هَلْ اَتٰيكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ
وَاللّٰهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ بَلْ هُوَ قُرْاٰنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ القراءة قرأ
اهل الكوفة غير عاصم وقتيبة المجيد بالجر والباقون المجيد بالرفع وقرأ
نافع في لوح محفوظ بالرفع والباقون بالجر الحجة قال ابو علي من رفع المجيد
كان متبعا قوله ذو العرش ومن جر فمن النحويين من جعله وصفا لقوله
ربك في ان بطش ربك قال ولا اجعله وصفا للعرش ومنهم من قال صفة
للعرش قال ابو زيد يقال مجدت الابل تمجد مجودا اذا رعت في ارض مكلئة
وشبعت وامجدت الابل اذا اشبعتها وقالوا في كل شجر نار واستمجد المرخ
والعفار اي صارا ماجدا في ايراء النار وقيل استمجد العفار اذا اكثر ناره
وصفت وجه نافع في قرائته محفوظ ان القران وصف بالحفظ في قوله
وانا له لحافظون ومعنى حفظ القران انه يؤمن من تحريفه وتبديله
وتغييره فلا يلحقه شيء من ذلك وجه من جر محفوظا وجعله وصفا للوح
فلانهم يقولون للوح المحفوظ اللغة الاخدود الشق العظيم في الارض
ومنه ما روي معجز النبي صلى الله عليه وآله انه دعا الشجرة فجعلت تخد الارض
خدا حتى اتته ومنه الخد لمجاري الدموع وتخدد لحمه اذا صار فيه طرايق

كالشقوق والوقود ما تشتعل به النار من الحطب وغيره بفتح الواو والوقود بالضم
الايقاد يقال فتنت الشيء احرقته والفتين حجارة سوداء كانها محرقة واصله
الفتنة الامتحان ثم يستعمل في العذاب كالاعراب قتل لعن اصحاب الاخدود
جواب القسم محذوف وتقديره ان الامر حق في الجزاء على الاعمال وقيل جواب القسم
قوله ان الذين فتنوا المؤمنين الاية وقيل جواب القسم قوله ان بطش ربك
لشديد النار بدل من الاخدود وهو بدل الاشتمال لان الاخدود يشتمل
على ما فيه من النار اي النار منه ذات الوقود صفة للنار ويسال على هذا ما
كيف خصت هذه النار بذلك وكل نار لها وقود واجيب عنه بجوابين احدهما انه
قد يكون نار ليست بذات وقود كنار الحجر ونار الكبد والاخر ان الوقود
معروف فصار مخصوصاً كانه وقود بعينه كما قال وقودها الناس والحجارة
فكان الوقود هنا ابدان الناس اذ هم عليها قعود اذ مضاف الى الجملة
وهي ظرف لقوله قتل اصحاب الاخدود اذ كان اخبارا لا ادعاء وان يؤمنوا
في موضع نصب بقوله نقموا والتقدير وما نقموا الا ايمانهم فرعون وثمود
في موضع جر بدل من الجنود ويجوز ان يكون في موضع نصب باضمار فعل
كانه قال اعني فرعون وثمود قصة اصحاب الاخدود روى مسلم في الصحيح
عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن
صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال كان ملك فيمن كان قبلكم له
ساحر فلما مرض الساحر قال اني قد حضر اجلي فادفع الي غلاما اعلمه السحر فدفع
اليه غلاما وكان يختلف اليه وبين الساحر والملك راهب فمر الغلام بالراهب
فاعجبه امره فكان يطيل عنده القعود فاذا ابطأ عن الساحر ضربه واذا
ابطأ عن اهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال يا بني اذا استبطأك الساحر
فقل حبسني اهلي واذا استبطأك اهلك فقل حبسني الساحر فبينا هو ذات يوم
اذا بالناس قد غشيتهم دابة عظيمة فقال اليوم اعلم امر الساحر افضل

ام امر الراهب

ام امر الراهب فاخذ حجارة فقال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك فاقتل هذه
الدابة فرمى فقتلها ومضى الناس فاخبر بذلك الراهب فقال اي بني انك ستبتلى
فاذا ابتليت فلا تدل علي قال وجعل يداوي الناس فيبرئ الاكمه والابرص
فبينا هو كذلك اذ عمي جليس للملك فاتاه وحمل اليه مالا كثيرا فقال اشفني
ولك ما ههنا فقال اني لا اشفي احدا ولكن يشفي الله فان انت بالله دعوت
الله فشفاك قال فامن فدعا الله فشفاه فذهب فجلس الى الملك فقال يا فلان
من شفاك قال ربي قال انا قال لا ربي وربك الله قال او ان لك ربا غيري
قال نعم ربي وربك الله فاخذه فلم يزل به حتى دله على الغلام فبعث الى الغلام
فقال لقد بلغ من امرك ان تشفي الاكمه والابرص قال ما اشفي احدا ولكن الله
يشفي قال او ان لك ربا غيري قال نعم ربي وربك الله فاخذه فلم يزل به حتى
دله على الراهب فوضع المنشار عليه فنشره حتى وقع شقين وقال للغلام ارجع
عن دينك فابى فارسل معه نفرا قال اصعدوا به جبل كذا وكذا فان رجع عن دينه
والا فدهدهوه منه قال فعلوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت قال
فرجفت بهم الجبل فتدهدهوا اجمعون وجاء الى الملك فقال ما صنع اصحابك
قال كفانيهم الله فارسل به مرة اخرى قال انطلقوا به فلججوه في البحر فان رجع
والا فغرقوه فانطلقوا به في قرقور فلما توسطوا به البحر قال اللهم اكفنيهم بما شئت
فانكفأت بهم السفينة وجاء حتى قام بين يدي الملك فقال ما صنع اصحابك
قال كفانيهم الله ثم قال انك لست بقاتلي حتى تفعل ما امرك به اجمع الناس
ثم اصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضعه على كبد القوس ثم قل
باسم رب الغلام فانك ستقتلني فجمع الناس وصلبه ثم اخذ سهما فوضعه
على كبد القوس وقال باسم رب الغلام ورمى فوقع في صدغه ومات فقال
الناس امنا برب الغلام فقيل له ارايت ما كنت تحاذر قد نزل والله بك امن
الناس فامر بالاخدود فخددت على افواه السكك ثم اضرمها نارا فقال من رجع

عن دينه فدعوه ومن ابى قحموه فيها فجعلوا يقتحمون فيها وجاءت امراة بابن لها
يا امه اصبري فانك على الحق قال ابن المسيب كنا عند عمر بن الخطاب اذ ورد عليه
انهم احتفروا فوجدوا ذلك الغلام وهو واضع يده على صدغه فكلما مدت
يده عادت الى صدغه فكتب عمر واروه حيث وجدتموه وروى سعيد
بن جبير لما انهزم اهل اسفندهان قال عمر بن الخطاب ما هم يهود ولا نصارى
ولا لهم كتاب وكانوا مجوسا فقال علي بن ابي طالب عليه السلام بلى قد كان لهم كتاب ولكنه
رفع وذلك ان ملكا لهم سكر فوقع على ابنته او قال على اخته فلما افاق قال لها
كيف المخرج مما وقعت فيه قالت تجمع اهل مملكتك وتخبرهم انك ترى نكاح
البنات وتامرهم ان يحلوه فجمعهم فاخبرهم فابوا ان يتابعوه فخد لهم اخدودا
في الارض واوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن ابى قبول ذلك قذفه في النار
ومن اجاب خلى سبيله وقال الحسن كان النبي صلى الله عليه وآله اذا ذكر عنده اصحاب
الاخدود تعوذ بالله من جهد البلاء وروى العياشي باسناده عن جابر
عن ابي جعفر عليه السلام قال ارسل علي عليه السلام الى اسقف نجران يساله عن اصحاب
الاخدود فاخبره بشيء فقال عليه السلام ليس كما ذكرت ولكن ساخبرك عنهم
ان الله بعث رجلا حبشيا نبيا وهم حبشة فكذبوه فقاتلهم فقتلوا اصحابه واسروه
واسروا اصحابه ثم بنوا له جبا ثم ملأوه نارا ثم جمعوا الناس فقالوا من كان
على ديننا وامرنا فليعتزل ومن كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النار
معه فجعل اصحابه يتهافتون في النار فجاءت امراة معها صبي لها ابن شهر
فلما هجمت على النار هابت ورقت على ابنها فناداها الصبي لا تهابي وارمي بي
وبنفسك في النار فان هذا والله في الله قليل فرمت بنفسها في النار وصبيها
وكان ممن تكلم في المهد وباسناده عن ميثم التمار قال سمعت امير المؤمنين عليه السلام
وذكر اصحاب الاخدود فقال كانوا عشرة وعلى مثالهم عشرة يقتلون في هذا
السوق وقال مقاتل كانت اصحاب الاخدود ثلثة واحد بنجران والثاني بالشام

والاخرى بفارس حرقوا بالنار اما الذي بالشام فهو انطيانخوس الرومي
واما الذي بفارس فبخت نصر واما الذي بارض العرب فهو يوسف
بن ذي نواس فاما ما كان بفارس والشام فلم ينزل فيهما قرانا وانزل في التي
كانت بنجران وذلك ان رجلين مسلمين ممن يقرؤن الانجيل احدهما
بارض تهامة والاخرى بنجران اليمن اجر احدهما نفسه في عمل يعمله وجعل
يقرأ الانجيل فرات ابنة المستاجر النور يضيء من قراءة الانجيل فذكرت
ذلك لابيها فرمق حتى راه فساله فلم يخبره فلم يزل به حتى اخبره بالدين
والاسلام فتابعه مع سبعة وثمانين انسانا من رجل وامراة وهذا بعد ما
رفع عيسى الى السماء فسمع يوسف بن ذي نواس بن سراحيل بن تبع الحميري
فخد لهم في الارض واوقد فيها فعرضهم على الكفر فمن ابى قذفه في النار ومن رجع
عن دين عيسى لم يقذف فيها وان امراة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم
فلما قامت على شفير الخندق نظرت الى ابنها فرجعت فقال لها يا اماه اني ارى
امامك نارا لا تطفا فلما سمعت من ابنها ذلك قذفا في النار فجعلها الله وابنها
في الجنة وقذف في النار سبعة وسبعون انسانا قال ابن عباس من ابى ان يقع
في النار ضرب بالسياط فادخل ارواحهم الجنة قبل ان تصل اجسامهم الى النار
المعنى اقسم الله سبحانه بالسماء فقال والسماء ذات البروج فالبروج المنازل
العالية والمراد هنا منازل الشمس والقمر والكواكب وهي اثنا عشر برجا يسير
القمر في كل برج منها يومين وثلثا وتسير الشمس في كل برج شهرا واليوم الموعود
يعني يوم القيمة في قول جميع المفسرين وهو اليوم الذي يجازى فيه الخلايق
ويفصل فيه القضاء وشاهد ومشهود فيه اقوال احدها ان الشاهد يوم
الجمعة والمشهود يوم عرفة عن ابن عباس وقتادة وروي ذلك عن ابي جعفر
وابي عبد الله عليهما السلام وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وتسمى يوم
الجمعة شاهدا لانه يشهد على كل عامل بما عمل فيه وفي الحديث ما طلعت الشمس

على يوم ولا غربت على يوم افضل منه وفيه ساعة ولا يوافقها من يدعوا
فيها الله بخير الا استجاب له ولا استعاذ من شر الا اعاذه منه ويوم عرفه
مشهود يشهد الناس فيه موسم الحج وتشهده الملائكة وثانيها ان الشاهد
يوم النحر والمشهود يوم عرفه عن ابراهيم وثالثها ان الشاهد محمد
والمشهود يوم القيمة عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وهو المروى عن
الحسن بن على عليه السلم روى ان رجلا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه واله
فاذا رجل يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله فسألته عن ذلك فقال
اما الشاهد فيوم الجمعة والمشهود يوم النحر فجزتهما الى غلام كان وجهه
الدينار وهو يحدث عن رسول الله فقلت اخبرنى عن شاهد ومشهود
فقال اما الشاهد فمحمد واما المشهود يوم القيمة اما سمعت سبحانه
يقول يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وقال ذلك
يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فسألت عن الاول فقالوا
ابن عباس وسألت عن الثانى فقالوا ابن عمر وسألت عن الثالث فقالوا
الحسن بن على عليه السلم ورابعها ان الشاهد يوم عرفه والمشهود يوم
الجمعة عن ابى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وآله قال اكثروا الصلوة
على يوم الجمعة فانه يوم مشهود يشهده الملائكة وان احدا لا يصلى على
الا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها قال فقلت وبعد الموت فقال ان الله
حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء فنبى الله حى يرزق وخامسها ان
الشاهد الملك يشهد على ابن ادم والمشهود يوم القيمة عن عكرمه
وتلا هاتين الايتين وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وذلك يوم
مشهود وقد قيل فى ذلك اقوال اخر كقول الجبائى الشاهد هم الذين يشهدون
على الناس والمشهود هم الذين يشهد عليهم وقول الحسن بن الفضل
الشاهد هذه الامة والمشهود ساير الامم لقوله ليكونوا شهداء على الناس

وقيل الشاهد

وقيل الشاهد اعضاء بنى آدم والمشهود هم لقوله يوم تشهد عليهم السنتهم الاية
وقيل الشاهد الحجر الاسود والمشهود الحاج وقيل الشاهد الايام والليالى والمشهود
بنو آدم وينشد الحسين بن على عليه السلم شعر مضى امسك الماضى شهيدا معدلا
وخلفت فى يوم عليك شهيدا فان انت بالامس اقترفت اساءة فقيد باحسان
وانت حميد ولا يرجع فعل الخير يوما الى غد لعل غدا ياتى وانت فقيد وقيل
الشاهد الانبياء والمشهود محمد صلى الله عليه وآله وبيانه واذا اخذ الله
ميثاق النبيين الى قوله فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وقيل الشاهد
والمشهود لا اله الا الله بيانه قوله شهد الله انه لا اله الا هو الاية وقيل الشاهد
الخلق والمشهود الحق واليه اشار الشاعر بقوله شعر يا عجبا كيف تعصى الاله ام كيف
يجحده الجاحد ولله فى كل تحريكة وفى كل تسكينة شاهد وفى كل شىء له آية تدل
على انه واحد فهذه ثمانية اقوال اخر قتل اصحاب الاخدود اى لعنوا بتحريقهم الناس
فى الدنيا وقيل الاخرة والمراد به الكافرون الذين حفروا الاخدود وعذبوا المومنين
بالنار ويحتمل ان يكون اخبارا عن المسلمين الذين عذبوا بالنار فى الاخدود والمعنى
انهم قتلوا بالاحراق فى النار ذكرهم الله سبحانه واثنى عليهم بحسن بصيرتهم وصبرهم
على دينهم حتى احرقوا بالنار لا يعطون البقية بالرجوع عن الايمان النار ذات الوقود
اشارة الى كثرة حطب هذه النار وتعظيم لامرها فان النار لا تخلو عن وقود اذ هم
عليها قعود يعنى الكفار انهم على اطراف النار جلوس يعذبون المومنين عن ابن عباس
وقيل يعنى هم عندها قعود يعرضونهم على الكفر عن مقاتل قال مجاهد كانوا قعودا على
الكراسى عند الاخدود وهو قوله وهم يعنى الملك واصحابه الذين خدوا الاخدود
على ما يفعلون بالمومنين من عرضهم على النار وارادتهم ان يرجعوا الى دينهم شهود
اى حضور قال الزجاج اعلم الله قصة قوم بلغت بصيرتهم وحقيقة ايمانهم الى ان صبروا
على ان احرقوا بالنار فى الله وقال الربيع بن انس لما القوا فى النار نجى الله المومنين
بان اخذ الله ارواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود

من الكفار باحراقهم وقيل انهم كانوا فريقين فرقة تعذب المومنين وفرقة تشاهد الحال لم يتولوا التعذيب بهم لكنهم قعودا رضوا بفعل اوليائك وكانت الفرقة القاعدة مومنة لكنهم لم ينكروا على الكفار صنعهم فلعنهم الله جميعا عن ابي مسلم والقعود جمع القاعد وكذلك الشهود جمع الشاهد وكل حاضر على شاهده اما يسمع او يبصر وما نقموا منهم الا ان يومنوا بالله اى ما كرهوا منهم الا انهم امنوا عن ابن عباس وقيل ما انكروا عليهم ذنبا وما عابوا منهم شيئا الا ايمانهم وهذا كقوله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله عن الزجاج ومقاتل قال الجبائى ما فعلوا بهم ذلك العذاب الا لايمانهم بالله العزيز القادر الذى لا يمتنع عليه شئ القاهر الحميد المحمود فى جميع افعاله الذى له ملك السموات والارض اى له التصرف فى السموات والارض لا اعتراض لاحد عليه والله على كل شئ شهيد اى شاهد عليهم لم يخف عليه فعلهم بالمومنين فانه يجازيهم وينتصف للمومنين منهم ان الذين فتنوا المومنين والمومنات اى احرقوهم وعذبوهم بالنار عن ابن عباس وقتاده والضحاك ومثله يوم هم على النار يفتنون ثم لم يتوبوا من فعلهم ذلك ومن الشرك الذى كانوا عليه وانما شرط التوبة لانهم لو تابوا لما توجه اليهم الوعيد فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما احرقوا المومنين يسال فيقال كيف فصل بين عذاب جهنم وعذاب الحريق وهما واحد واجيب عن ذلك بان المراد لهم انواع العذاب فى جهنم سوى الاحراق مثل الزقوم والغسلين والمقامع ولهم ذلك الاحراق بالنار وقيل لهم عذاب جهنم فى الاخرة ولهم عذاب الحريق فى الدنيا وذلك ان النار ارتفعت من الاخدود فاحرقتهم عن الربيع بن انس وهو قول الكلبى وقال الفرا ارتفعت عليهم فاحرقتهم فوق الاخاديد ونجا المومنون ثم ذكر سبحانه ما اعده للمومنين الذين حرقوا بالنار فقال ان الذين امنوا اى صدقوا بتوحيد الله وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اى النجاة العظيمة والنفع الخالص وانما وصف بالكبير لان نعيم العالمين كبير باضافته الى نعيم من لا عمل له من داخل الجنة لما فى ذلك من الاجلال والاكرام

والتبجيل

والتبجيل والاعظام ثم قال سبحانه متوعدا للكفار والعصاة ان بطش ربك يا محمد لشديد يعنى ان ياخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة والجبابرة اليم شديد واذا وصف البطش وهو الاخذ عنفا بالشدة فقد تضاعف مكروهه وتزايد ايلامه انه هو يبدئ الخلق يخلقهم اولا فى الدنيا ويعيده فى الاخرة عن ابن عباس وذلك لان ما قبله يقتضيه وهو الغفور لذنوب المومنين من اهل طاعته ومعناه كثير الغفران عادته مغفرة الذنوب الودود لاوليائه ويحبهم عن مجاهد قال الازهرى فى تفسير اسماء الله يجوز ان يكون ودود فعولا بمعنى مفعول كركوب وحلوب ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لما عرفوا من فضله وكرمه ولما اسبغ عليهم من الائه ونعمه قال وكلتا الصفتين مدح لانه سبحانه ان احب عباده المطيعين فهو فضل منه وان احبوه فلما عرفوه من فضله واحسانه ذو العرش المجيد اكثر القراء فى المجيد الرفع لان الله سبحانه هو الموصوف بالمجد ولان المجيد لم يسمع فى غير صفة الله وان سمع الماجد ومن كسر المجيد جعله من صفة العرش وروى عن ابن عباس انه قال يريد العرش وحسنه ويويده ان العرش وصف بالكرم فى قوله رب العرش الكريم فجاز ايضا ان يوصف بالمجيد لان معناه الكمال والعلو والرفعة والعرش اكمل شئ واعلاه واجمع لصفات الحسن فعال لما يريد لا يعجزه شئ طلبه ولا يمتنع منه شئ اراده عن عطا وقيل لما يريد من الابداء والاعادة ثم ذكر سبحانه خبر الجموع الكافرة فقال هل اتيك حديث الجنود الذين تجندوا على انبياء الله اى هل بلغك اخبارهم وقيل اراد قد اتاك ثم بين سبحانه الجنود فقال فرعون وثمود والمعنى تذكر يا محمد حديثهم تذكر معتبر كيف كذبوا انبياءهم وكيف نزل بهم العذاب وكيف صبر الانبياء وكيف نصروا فاصبر كما صبروا وليتك ليناتيك النصر كما اتاهم وهذا من الايجاز البديع والتلويح الفصيح الذى لا يقوم

مقام التصريح بل الذين كفروا يعني مشركي قريش في تكذيب لك و القرآن قد اعرضوا
عما يوجب الاعتبار واقبلوا على ما يوجب الكفر والطغيان والله من ورائهم
محيط معناه انهم في قبضة الله وسلطانه لا يفوتونه كالمحاصر المحاط به من جوانبه
لا يمكنه الفوات والهرب هذا من بلاغة القرآن بل هو قرآن مجيد اي كريم
لانه كريم ولانه كلام الرب عز اسمه اي ليس هو كما يقولون من انه شعر وكهانة
وسحر بل هو قرآن شريف عظيم الكرم فيما يعطي من الخير جليل الخطر والقدر
وقيل قرآن كريم لما يعطي من المعاني الجليلة والدلايل النفيسة ولان جميعه
حكم والحكم على ثلثة اوجه لا رابع لها يعني يعمل عليه فيما يخشى ويتقى وموعظة
تلين القلب للعمل بالحق وحجة يؤدي الى تميز الحق من الباطل في علم دين او دنيا
وعلم الدين اشرفها وجميع ذلك موجود في القرآن في لوح محفوظ من التغير
والتبديل والنقصان والزيادة وهذا على قراءة من رفعه فجعله صفة
قرآن ومن جره فجعله صفة اللوح والمعنى انه محفوظ لا يطلع عليه
غير الملئكة وقيل محفوظ لا يطلع عليه غير الملائكة وقيل محفوظ عند الله
وهو ام الكتاب منه ينسخ القرآن والكتب وهو الذي يعرف باللوح المحفوظ
وهو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين
المشرق والمغرب عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان اللوح المحفوظ الذي
ذكره في جبهة اسرافيل عن انس وقيل اللوح المحفوظ عن يمين العرش عن مقاتل
سورة الطارق مكية ست عشرة آية فضلها عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله
من قرأها اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات المعلى بن خنيس
عن ابي عبد الله عليه السلم قال من كان قراءته في الفريضة بالسماء والطارق
كان له يوم القيمة عند الله جاه ومنزلة وكان من رفقاء النبيين
واصحابهم في الجنة تفسيرها ختم سبحانه تلك السورة بالوعيد وافتتح
هذه السورة بمثله واكد ذلك بان اعمال الخلق محفوظة فقال

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم
والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ان كل
نفس لما عليها حافظ فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق
يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى
السرائر فما له من قوة ولا ناصر والسماء ذات الرجع والارض
ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون
كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا القراءة قرأ ابو جعفر
وابن عامر وعاصم وحمزة لما عليها بتشديد الميم والباقون بالتخفيف
وفي الشواذ قراءة ابن عباس مهلهم رويدا بغير الف الحجة قال ابو علي
من خفف لما كانت ان عنده المخففة من الثقيلة واللام معها هي اللام التي
تدخل مع هذه المخففة لتخلصها من ان النافية وما مزيدة كالتي في قوله فبما رحمة
من الله وعما قليل ويكون ان متلقية للقسم كما يتلقاه مثقلة ومن ثقل
لما كانت ان عنده النافية كالتي في قوله فيما ان مكناكم فيه ولما في معنى
الا وهي متلقية للقسم كما يتلقاه ما قال ابو الحسن الثقيلة في معنى الا والعرب
لا يكاد يعرف زاد قال الكسائي لا اعرف وجه الثقيلة عن ابن عون قال
قراءة عند ابن سيرين ان كل نفس لما عليها بالتشديد فانكره قال الزجاج
استعملت لما في موضع الا في موضعين احدهما هذا والاخر في باب القسم سالتك
لما فعلت بمعنى الا فعلت اللغة طرقني فلان اذا اتى ليلا واصل الطرق الدق
ومنه المطرقة لانها تدق بها والطريق لان المارة تدقه والطارق الذي
ياتي ليلا يحتاج الى الدق للتنبه ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله ان يطرق
الرجل اهله حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة وقالت هند بنت عتبة نحن بنات
طارق نمشي على النمارق تريد ان ابانا نجم في شرفه وعلوه وقال الشاعر شعر
يا راقدا لليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا لا تامنن بليل

والنجم الكوكب الطالع في السماء يقال للكل
... اليب والنجم السن والقرن والثاقب المضي النير
طالع ناجم تشبيه ويقوم بوه باعتماده
... اقب العالى الشديد العلو والدافق صب الماء الكثير
... دفع فالماء الذى يكون منه الولد يكون دافقا وهو
... طفه التى يخلق الله منها الولد وقيل ماء دافق معناه
... وعيشة راضية والترايب نواحى الصدر واحدتها
... من التذليل حركتها كالتراب قال المثقب شعر ومن ذهب
يسن على تريب كلون العاج ليس بذى غضون وقال اخر والزعفران
على ترايبها شرقا به اللبات والصدر والرجع اصله من الرجوع وهو الماء
الكثير تردده الرياح التى تمر عليه قال المنخل فى صفة السيف شعر ابيض كالرجع
رسوب اذا ما ناخ فى محتفل يختلى قال الزجاج الرجع المطر لانه يجىء ويرجع ويتكرر
والصدع الشق فصدع الارض انشقاقها بالنبات وضروب الزروع
والاشجار الاعراب ما الطارق ما استفهام والجملة مبتداء وخبر وهى معلقة
بادريك فى موضع المفعول الثانى والثالث وقوله يوم تبلى السرائر العامل
فيه فعل مضمر يدل عليه قوله على رجعه والتقدير يرجعه يوم ابلاء السرائر
ولا يجوز ان يعمل فيه المصدر لانه يكون من صلة وقد فرق بينه وبينه بقوله
القادر ويجوز ان العامل فيه قوله لقادر ورويدا صفة لمصدر محذوف
تقديره امهالا رويدا المعنى اقسم الله سبحانه فقال والسماء اى بالسماء وقيل
برب السماء وقد بينا القول فى ذلك والطارق وهو يجىء ليلا وما ادريك ما الطارق
وذلك ان هذا الاسم يقع على كل طارق ولم يكن النبى صلى الله عليه وآله يدرى
ما المراد به لو لم يبينه ثم بينه لقوله النجم الثاقب اى هو الكوكب المضىء ويريد به العموم
وهو جماع النجوم عن الحسن وقيل هو زحل والثاقب العالى على النجوم عن ابن زيد
وقيل اراد به الثريا والعرب تسميه النجم وقيل هو القمر لانه يطلع بالليل عن وجواب القسم

قوله ان كل نفس

قوله ان كل نفس لما عليها حافظ اى ما كل نفس الا عليها [illegible]
عليها وقولها وفعلها ويحصى ما تكتسبه من خير وشر من قرا لما بالتخفيف
فالمعنى ان كل نفس لعليها حافظ يحفظها وقال قتاده حافظ من الملائكة كل
عملها واجلها ثم نبه سبحانه على البعث بقوله فلينظر الانسان يعنى المكذب
بالبعث عن مقاتل مم خلق اى فلينظر نظر التفكر والاستدلال من اى شىء خلقه
الله وكيف خلقه وانشاه حتى يعرف ان الذى ابتداه من نطفة قادر على اعادته
ثم ذكر من اى شىء خلقه فقال خلق من ماء دافق اى ماء مدفوق فى رحم المرأة يعنى
المنى الذى يكون منه الولد عن ابن عباس والفراء واهل الحجاز يجعلون
الفاعل بمعنى المفعول فى كثير من كلامهم نحو سر كاتم وهم ناصب وليل نايم وقد
ذكرنا قبل ثم وصف سبحانه ذكر الماء فقال يخرج من بين الصلب والترايب وهى موضع
القلادة من الصدر عن ابن عباس وعطاء يريد صلب الرجل وترايب المرأة
والولد لا يكون الا من المائين وقيل الترايب اليدان والرجلان والعينان
عن الضحاك وسئل عكرمة عن الترايب فقال هذه ووضع يده على صدره بين
ثدييه وقيل ما بين المنكبين والصدر عن مجاهد والمشهور فى كلام العرب
انها عظام الصدر والنحر انه على رجعه لقادر يعنى ان الذى خلقه الابتداء
من هذا الماء يقدر على ان يرجعه حيا بعد الموت عن الحسن وقتاده والجبائى وقيل
معناه انه تعالى على رد الماء فى الصلب لقادر عن عكرمة ومجاهد وقيل انه على رد
الانسان ماء كما كان قادر عن الضحاك قال مقاتل بن حيان يقول ان شئت
رددت من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبى ومن الصبى الى النطفة
والاصح القول الاول لقوله يوم تبلى السرائر اى انه قادر على بعثه يوم القيمة
ومعنى الرجع رد الشىء الى اول حاله والسرائر اعمال بنى آدم والفرائض التى اوجبت
عليه وهى سراير بين الله والعبد وتبلى اى تختبر تلك السراير يوم القيمة
حتى يظهر خيرها من شرها ومؤديها من مضيعها روى ذلك مرفوعا عن ابى

الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وآله ضمن الله خلقه اربع خصال الصلوة
والزكوة وصوم رمضان والغسل من الجنابة وهي السراير التي قال الله يوم
تبلى السراير وعن معاذ بن جبل قال سالت رسول الله صلى الله عليه وآله
ما هذه السراير التي بها العباد في الاخرة فقال سرائركم هي اعمالكم من
الصلوة والصيام والزكوة والوضوء والغسل من الجنابة وكل مفروض
لان الاعمال كلها سراير خفية فان شاء الله قال الرجل صليت ولم يصل
وان شاء قال توضأت ولم يتوض فذلك قوله يوم تبلى السراير وقيل
يظهر الله اعمال كل احد لاهل القيمة حتى يعلموا على اي شيء اثابه ويكون فيه
زيادة سرور له وان يكون من اهل العقوبة يظهر عمله ليعلموا على اي شيء
عاقبه ويكون ذلك زيادة غم له والسراير ما اسره من خير او شر وما اضمره
من ايمان او كفر وروي عن عبد الله بن عمر انه قال يبدي الله يوم القيمة
كل سر يكون زينا في الوجوه وشينا في الوجوه فما له اي فما لهذا الانسان
المنكر للبعث والحشر من قوة يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره
من الله والقوة هي القدرة ثم ذكر سبحانه قسما اخر بتاكيد الامر القيمة فقال
والسماء ذات الرجع اي ذات المطر عن اكثر المفسرين وقيل يعني بالرجع
شمسها وقمرها ونجومها يغيب ثم تطلع عن ابن زيد وقيل رجع السماء
اعطاها الخير الذي يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الازمان
فترجع بالغيوث وارزاق العباد وغير ذلك والارض ذات الصدع يتصدع
بالنبات اي تنشق فيخرج منها النبات والاشجار انه لقول فصل هذا
جواب القسم يعني ان القران يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد
منهما وروي ذلك عن الصادق عليه السلم وقيل معناه ان الوعد بالبعث
والاحيا بعد الموت قول فصل اي مقطوع لا خلاف ولا ريب فيه وما هو
بالهزل اي هو الجد وليس للعب وقيل ان القران لم ينزل باللعب ثم اخبر سبحانه

عن مشركي

عن مشركي قريش فقال انهم يكيدون كيدا اي يحتالون في الايقاع بك
وبمن معك ويريدون اطفاء نورك واكيد كيدا اي ادبر امرا على ضد
ما يريدون على ما ينقض تدابيرهم ومكايدهم فسمي ذلك كيدا من حيث
يخفى ذلك عليهم فمهل الكافرين اي انتظر بهم يا محمد ولا تعاجلهم وارض
بتدبير الله فيهم امهلهم رويدا اي امهالا قليلا عن قتادة وانما قلل
الامهال لان ما هو كائن لا محالة فهو قليل والمراد به يوم القيمة وقيل
اراد يوم بدر والمعنى لا تعجل علي في طلب هلاكهم بل اصبر عليهم قليلا فان
الله يجزيهم لا محالة اما بالقتل والذل في الدنيا او بالعذاب في الاخرة
قال ابن جني قوله فمهل الكافرين امهلهم غير اللفظ لانه اثر التاكيد
وكره التكرير فلما تجشم اعادة اللفظ انحرف عنه بعض الانحراف بتغيير
المثال وانتقل عن لفظ فعل الى لفظ افعل فقال امهلهم ولما تجشم
التثليث جاء بالمعنى وترك اللفظ البتة فقال رويدا

سورة الاعلى

مكية عن ابن عباس مدنية عن الضحاك وهي تسع عشرة آية بلا خلاف
فضلها ابي بن كعب قال النبي صلى الله عليه وآله ومن قراها اعطاه الله
من الاجر عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد
صلوات الله عليهم وعن علي بن ابي طالب عليه السلم قال كان رسول الله يحب
هذه السورة سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الاعلى وكذا روي
عن علي عليه السلم وابن عمر وابن الزبير انهم كانوا يفعلون ذلك وروى
جويبر عن الضحاك انه كان يقول ذلك وكان يقول من قراها فليفعل
ذلك وعن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلم قال من قرا سبح اسم
ربك الاعلى في فريضة او نافلة قيل له يوم القيمة ادخل من اي ابواب
الجنة شئت وروى العياشي باسناده عن ابن حميضة عن علي عليه السلم
قال صليت خلفه عشرين ليلة فليس يقرأ الا سبح اسم ربك الاعلى وقال

لو يعلمون ما فيها لقراها الرجل كل يوم عشرين مرة وان من قراها
فكانما قرا صحف موسى وابراهيم الذي وفى وعن عقبة عن عامر الجهنى
قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله اجعلوها في ركوعكم
ولما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم تفسيرها
لما ختم سبحانه تلك السورة بذكر الوعد والتهديد للكفار افتتح
هذه السورة بذكر صفاته العلى وقدرته على ما يشاء فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْاَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوّٰى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدٰى وَالَّذِي
اَخْرَجَ الْمَرْعٰى فَجَعَلَهُ غُثَاءً اَحْوٰى سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسٰى اِلَّا مَا شَاءَ اللّٰهُ
اِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفٰى وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرٰى فَذَكِّرْ اِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرٰى
سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشٰى وَيَتَجَنَّبُهَا الْاَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرٰى
ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيٰى قَدْ اَفْلَحَ مَنْ تَزَكّٰى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّٰى بَلْ تُؤْثِرُونَ
الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةُ خَيْرٌ وَاَبْقٰى اِنَّ هٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْاُولٰى صُحُفِ اِبْرٰهِيمَ
وَمُوسٰى تسع عشرة اية القراءة قرا الكسائي قدر بالتخفيف وقراءة علي
عليه السلم والباقون قدر بالتشديد وقرا ابو عمرو روح وزيد وقتيبه
يوثرون والباقون بالتاء الحجة قد تقدم ان قدر معنى قدر فكلا
الوجهين حسن وتوثرون بالتاء على الخطاب بل انتم توثرون والياء
على انه يريد الاشقين وروي ان ابن مسعود والحسن قراه اللغة الاعلى
نظير الاكبر ومعناه العالي بسلطانه وقدرته وكل من دونه في سلطانه
ولا يقتضي ذلك المكان قال الفرزدق شعر ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا
دعايمه اعز واطول والغثاء ما يقذف به السيل على جانب الوادي من
الحشيش والنبات واصله الاخلاط من اجناس شتى والعرب تسمي القوم
اذا اجتمعوا من قبايل شتى اخلاطا وغثاء والاحوى الاسود والحوة السواد

قال ذو الرمة شعر لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثات
شنب قال شعر قرطاء حواء اشراطية وكفت فيها الذباب وخدم
والاقرا اخذ القراءة على القاري بالاستماع لتقويم الزلل والقاري له
واصله الجمع لانه يجمع الحروف والنسيان ذهاب المعنى عن النفس ونظيره
السهو ونقيضه الذكر وهو ذهاب العلم الضروري بما جرت به العادة
ان يعلمه وليس بمعنى وقال ابو علي الجبائي هو معنى من فعل الله تعالى الاعراب
الاعلى يحتمل ان يكون جرا صفة لربك وان يكون نصبا صفة الاسم احوى نصب
على الحال من المرعى والتقدير اخرج المرعى احوى اي اسود لشدة خضرته فجعله
غثاء اي جففه حتى صار جافا كالغثاء ويجوز ان يكون نعتا للغثاء والتقدير
فجعله غثاء اي اسود والاول اوجه وهو قول الزجاج ما شاء الله
في موضع نصب على الاستثناء والتقدير سنقرئك القران فلا تنسى
الا ما شاء الله ان تنساه برفع حكمه وتلاوته وهو قول الحسن وقتاده
ان نفعت الذكرى شرط جزاؤه محذوف يدل عليه قوله فذكر و
التقدير ان نفعت الذكرى فذكرهم المعنى سبح اسم ربك اي قل سبحان
ربي الاعلى عن ابن عباس وقتاده وقيل معناه نزه ربك عن كل ما لا يليق
به من الصفات المذمومة والافعال القبيحة لان التسبيح هو التنزيه
لله عما لا يجوز عليه ونحو ان تقول لا اله الا هو فتنفي ما لا يجوز في صفته
من شريك في عبادته مع الاقرار بانه الواحد في الهيئة واراد بالاسم
المسمى وقيل انه ذكر الاسم والمراد به التعظيم للمسمى كما قال لبيد شعر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويحسن بالقاري اذا قرا هذه الاية
ان يقول سبحان ربي الاعلى فان كان في الصلاة قال الباقر عليه السلم
سبح اسم ربك الاعلى فقل سبحان ربي الاعلى فيما بينك وبين نفسك والاعلى
معناه القادر الذي لا قادر اقدر منه القاهر لكل احد وقيل الاعلى صفة

ج بذكر اسمه الاعلى واسماؤه سبحانه كلها اعلى وقيل معناه صلى
ب الاعلى عن ابن عباس الذي خلق الخلق فسوى بينهم في باب الاحكام
والاتقان وقيل خلق كل ذي روح فسوى يديه وعينيه ورجليه عن الكلبي وقيل
خلق الانسان فعدل قامته عن الزجاج يعني انه لم يجعله منكوسا كالبهايم
والدواب وقيل خلق الانسان على موجب ارادته وحكمته فسوى صنعها للتشهد
على وحدانيته والذي قدر فهدى اي قدر الخلق على ما خلقهم فيه من الصور
والهيات واجرى لهم اسباب معايشهم من الارزاق والاقوات ثم هداهم
الى دينه ومعرفة توحيده باظهار الدلالات والبينات وقيل معناه
قدر اقواتهم وهداهم بطلبها وقيل قدرهم على ما اقتضته حكمته فهدى
اي ارشد كل حيوان الى ما فيه منفعته ومضرته حتى انه سبحانه هدى الطفل
الى ثدي امه وهدى الفرخ حتى يطلب الزق من ابيه وامه والدواب
والطيور حتى فرغ كل منهم الى امه وطلب المعيشة من جهة سبحانه وتعالى
وقيل قدرهم ذكورا واناثا وهدى الذكر كيف ياتي الانثى عن مقاتل
والكلبي وقيل هدى لسبيل الخير والشر عن مجاهد وقيل قدر الولد
في البطن تسعة اشهر او اقل او اكثر وهدى للخروج منه للتمام عن السدي
وقيل قدر المنافع في الاشياء وهدى الانسان لاستخراجها منه فجعل
بعضها غذاء وبعضها دواء وبعضها سما وهدى الى ما يحتاج
في استخراجها من الجبال والمعادن كيف يستخرج وكيف يستعمل والذي
اخرج المرعى اي انبت الحشيش من الارض لمنافع جميع الحيوان واقواتهم
فجعله بعد الخضرة غثاء اي هشيما جافا كالغثاء الذي تراه فوق السيل
احوى اي اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلا اذا يبس اسود وقيل معناه
اخرج العشب وما ترعاه النعم احوى اي شديد الخضرة يضرب الى السواد
من شدة خضرته فجعله غثاء اي يابسا بعد ان كان رطبا وهو قوت البهايم

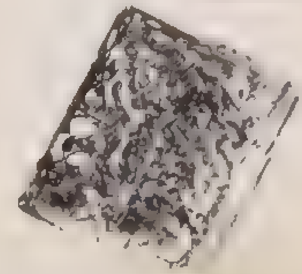
في الحالين

٣٤٧

في الحالين فسبحان من دبر هذا التدبير وقدر هذا التقدير وقيل
مثل ضربه الله تعالى لذهاب الدنيا بعد نضارتها سنقرئك
اي سناخذ عليك قراءة القران فلا تنسى ذلك وقيل معناه سيقرا
عليك جبرئيل القران بامرنا فتحفظه ولا تنساه قال ابن عباس كان
النبي صلى الله عليه وآله اذا انزل عليه جبرئيل بالوحي يقرا مخافة ان ينساه
فكان لا يفرغ جبرئيل من اخر الوحي حتى يتكلم هو باوله فلما نزلت هذه
الاية لم ينس بعد ذلك شيئا الا ما شاء الله ان ينسيكه بنسخه من رفع
حكمه وتلاوته عن الحسن وقتاده وعلى هذا فالانساء نوع من النسخ وقد مر بيانه
في سورة البقرة عند قوله ما ننسخ من اية او ننسها الاية وقيل ان معناه
الا ما شاء الله ان يوخر انزاله عليك فلا تقرا وقيل الا ما شاء الله
كالاستثناء في الايمان وان لم يقع منه النسيان قال الفراء لم يشاء الله
ان تنسى شي فهو كقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء ربك ولا يشا ويقول القايل لاعطينك كلما سالت الا ما شيت
والا ان شاء ان امنعك والنيه ان لا يمنعه مثله الاستثناء في الايمان
وفي الاية بيان لفضيلة النبي صلى الله عليه واله والاخبار مع كونه اميا كان
يحفظ القران وان جبرئيل كان يقرا عليه سورة طويله فيحفظه بمرة واحدة
ثم لا ينساه وهذه دلالة على الاعجاز الدال على نبوته انه يعلم الجهر وما يخفى
معناه ان الله سبحانه يعلم العلانية والسر والجهر رفع الصوت ونقيضه
الهمس والمعنى انه سبحانه يحفظ عليك ما جهرت به وما اخفيته مما يريد
ان يعيه ونيسرك لليسرى اليسرى هي الفعلى من اليسر وهو سهولة عمل الخير
والمعنى نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية ونهون عليك الوحي ونسهله
حتى تحفظه ولا تنساه وتعمل به ولا تخالفه وقيل معناه نسهل لك من الالطاف
والتاييد ما يثبتك على امرك ويسهل لك المستصعب من تبليغ الرساله

والضمير عليه عن ابي مسلم وهذا احسن ما قيل فيه فانه يتصل بقوله سنقرئك
فلا تنسى فكانه سبحانه امره بالتبليغ ووعده النصر وامره بالصبر وقيل ان
اليسرى عبارة عن الجنة فهي اليسرى الكبرى اى يسر لك دخول الجنة عن الجبائى
فذكر امر النبي ان يذكر الخلق ويعظهم ان نفعت الذكرى وانما قال ذلك وذكر
انه ينفع لا محالة في عمل الايمان او الامتناع من العصيان لانه ليس بشرط حقيقة
وانما هو اخبار عن انه ينفع لا محالة في زيادة الطاعة والانتهاء عن المعصية
كما يقال سله ان نفع السوال وقيل معناه عظهم ان نفعت الذكرى الموعظة
او لم تنفع لانه صلى الله عليه وآله بعث للاعذار والانذار فعليه التذكير في كل
حال نفع او لم ينفع ولم يذكر الحالة الثانية كقوله سرابيل تقيكم الحر وسرابيل
تقيكم باسكم وقد نبه الله سبحانه على تفضيل الحالين بقوله سيذكر من يخشى
اى سيتعظ بالقرآن من يخشى الله تعالى ويخاف عقابه ويتجنبها اى ويتجنب الذكرى
والموعظة الاشقى اى اشقى العصاة فان للعاصين درجات في الشقاوة
فاعظمهم درجة فيها الذى كفر بالله وبتوحيده وعبد غيره وقيل الاشقى
من الانس من يخشى ومن يتجنب عن ابي مسلم الذى يصلى النار الكبرى اى يلزم
اكبر النيران وهي نار جهنم والنار الصغرى نار الدنيا عن الحسن وقيل النار
الكبرى هي الطبقة السفلى من جهنم عن الفراء ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى
حيوة ينتفع بها بل صار رجوته وبالاعلية يتمنى زوال ما هو فيه معها
من فنون العقاب والوان العذاب وقيل ولا يحيى اى لا يجد روح الحياة قد افلح
من تزكى اى قد فاز من يطهر من الشرك وقال لا اله الا الله عن عطا وعكرمة
وقيل معناه قد ظفر بالبغية من صار زاكيا بالاعمال الصالحة والورع عن
ابن عباس والحسن وقتاده وقيل تزكى اى اعطى زكاة ماله عن ابن مسعود وكان
يقول رحم الله امرء تصدق ثم صلى ويقرء هذه الاية وقيل اراد صدقة
الفطرة وصلوة العيد عن ابن عمر وابن العالية وعكرمة وابن سيرين وروى ذلك

فرطانوا به وخاف عقابه فان الخشوع في الصلوة بحسب الخوف والرجاء وقيل ذكر
اسم ربه بلسانه عند دخول في الصلوة فصلى بذلك الاسم اى كان قال الله
الاكبر لان الصلوة لا تنعقد الا به وقيل هو ان يفتتح بسم الله الرحمن الرحيم
ويصلى الصلوة الخمس المكتوبة ثم قال سبحانه مخاطبا للكفار بل يؤثرون اى
يختارون الحيوة الدنيا على الاخرة فيعملون لها ويعمرونها ولا يتفكرون
في امر الاخرة وقيل هو عام في المومن والكافر بناء على الاعم الاغلب في امر الناس
قال عبد الله ابن مسعود ان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها
ونسائها ولذتها وبهجتها وان الاخرة نعتت لنا وزويت عنا فاخذنا
بالعاجل وتركنا الاجل ثم رغب سبحانه في الاخرة فقال والاخرة اى الدار الاخرة
وهي الجنة خيرا اى افضل وابقى وادوم من الدنيا وفي الحديث من احب اخرته
اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر باخرته ان هذا لفى الصحف الاولى يعني ان هذا
الذى ذكر من قوله قد افلح الى اربع ايات لفى الكتب الاولى التى نزلت قبل القرآن
ذكر فيها فلاح المصلى والمتزكى وايثار الخلق الاخرى على الاولى وان الاخرة
خير وقيل معناه ان من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فهو ممدوح في الصحف الاولى
كما هو ممدوح في القرآن ثم بين سبحانه ان الصحف الاولى ما هي فقال صحف ابراهيم
وموسى وفي هذا دلالة على ان ابراهيم قد انزل عليه الكتاب خلافا لمن يزعم
انه لم ينزل عليه كتاب وواحدة الصحف صحيفة وروى عن ابي ذر انه قال قلت يا رسول
الله كم الانبياء فقال مائة الف نبى واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله
كم المرسلون منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر وبقيتهم انبياء قلت كان ادم نبيا
قال نعم كلمه الله وخلقه بيده يا اباذر اربعة من الانبياء عرب هود وصالح



وه جيلون الزبور والفرقان وفي الحديث انه كان في صحف ابراهيم ينبغي
للعاقل ان يكون حافظا لاسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه وقيل ان كتب
الله تعالى كلها انزلت في شهر رمضان سورة الغاشيه مكيه ست وعشرون
اية بالاجماع فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله من قرا حاسبه الله
حسابا يسيرا ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلم قال من ادمن قراءة هل اتيك
حديث الغاشية في فرايضه ونوافله غشاه الله رحمته في الدنيا والاخرة
واعطاه الامن يوم القيمة من عذاب النار تفسيرها ختم الله سبحانه
بالترغيب في الاخرة وانها خير من الدنيا وافتتح هذه ايضا ببيان احوال
الاخرة فقال بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ أَتٰيكَ حَدِيثُ الْغٰاشِيَةِ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خٰاشِعَةٌ عٰامِلَةٌ نٰاصِبَةٌ
تَصْلىٰ نٰاراً حٰامِيَةً تُسْقىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعٰامٌ إِلاّٰ مِنْ ضَرِيعٍ
لاٰ يُسْمِنُ وَلاٰ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاعِمَةٌ لِسَعْيِهٰا رٰاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ
عٰالِيَةٍ لاٰ تَسْمَعُ فِيهٰا لاٰغِيَةً فِيهٰا عَيْنٌ جٰارِيَةٌ فِيهٰا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ
وَأَكْوٰابٌ مَوْضُوعَةٌ وَنَمٰارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرٰابِيُّ مَبْثُوثَةٌ أَفَلاٰ يَنْظُرُونَ
إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمٰاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبٰالِ كَيْفَ نُصِبَتْ
وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمٰا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ
إِلاّٰ مَنْ تَوَلّٰى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللّٰهُ الْعَذٰابَ الْأَكْبَرَ إِنَّ إِلَيْنٰا إِيٰابَهُمْ
ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنٰا حِسٰابَهُمْ ست وعشرون اية القراءة قرا اهل البصرة غير سهل
وابو بكر تصلى بضم التاء والباقون بفتحها وقرا ابن كثير واهل البصرة
غير سهل لا يسمع بضم الياء لاغية بالرفع وقرا نافع لا تسمع بضم التاء والباقون

بفتحها

بفتحها وقرا ابن كثير واهل البصرة غير سهل لا يسمع بضم الياء لاغية رفع
لا تسمع بضم التاء لاغية بالرفع وقرا الباقون لا تسمع بفتح التاء لاغية
بالنصب وقرا ابو جعفر ايابهم بتشديد الياء والباقون بالتخفيف وروي
عن علي عليه السلم افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت
والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت بفتح اوايل هذه الحروف كلها
وضم التاء وعن ابن عباس وقتاده وزيد بن اسلم وزيد بن علي الا من تولى
بالتخفيف الحجة حجة من قال يصلى قوله سيصلى نارا ذات لهب وقوله الا من هو
صال الجحيم وحجة من قال يصلى قوله ثم الجحيم صلوه وصلوه مثل اصلوه
واللاغية مصدر بمنزلة العاقبة ويجوز ان يكون صفة يجوز ان يقول
لا يسمع فيها كلمة لاغية والاول اوجه لقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا
ولا يسمع على بناء الفعل للمفعول حسن لان الخطاب ليس بمصروف الى واحد
بعينه وبناء الفعل للفاعل ايضا حسن على الشياع في الخطاب وان كان
لواحد وعلى هذا واذا رايت ثم رايت نعيما يجوز ان يكون الخطاب
النبي صلى الله عليه وآله وكل واحد من التاء والياء في تسمع ويسمع حسن
على اللفظ وعلى المعنى واما قوله ايابهم على التشديد فقال ابو الفتح انكر
ابو حاتم هذه القراءة لانه حملها على نحو كذبوا كذابا قال وهذا لا يجوز
لانه كان يجب اوابا لانه فقال فصحح لاحتمال التغيير وبالادغام لقولهم
اجلوذ اجلواذا قال ابو الفتح يجوز ان يكونوا قلبوا الواو ياء من اواب
وان كانت متحصنة بالادغام استحسانا للتخفيف لا وجوبا كما قالوا ديمت
السماء في دومت قال هو الجواد بن الجواد ابن سبل ان ديموا جاد وان جادوا
بل يريد داموا وقال يجوز ان يكون بني من اب فيعلت فاصله ايوبت
والمصدر ايوابا فقلبت الواو ياء لوقوع الياء ساكنة قبلها ويجوز ان يكون
اويت فوعلت والمصدر على الفيعال كالحيقال من حوقلت انشد الاصمعي شعر

يا قوم قد حوقلت ودانوت وبعد حيقال الرجال الموت فصارا بوابا فقلبت
الواو ياء فصار ايابا واما قراءة علي عليه السلام فالمفعول في جميعها محذوف
لدلالة المعنى عليه اي كيف خلقها وكيف رفعها ونصبها وسطحها ومن قرأ
الا من تولى فالا افتتاح كلام ومن شرط وجوابه فيعذبه الله اي فهو
يعذبه الله وقد تقدم القول فيه في مواضع اللغة الغاشية المجللة الجللة
غشيه يغشاه غشيانا واغشاه غيره اذا جعله يغشى وغشاه بمعناه و
نصب الرجل ينصب نصبا فهو ناصب وناصب اذا تعب في العمل والانية البالغة
النهاية في شدة الحر والضريع نبت تاكله الابل يضر ولا ينفع وانما سمي
ضريعا لانه يشتبه عليها امره فتظنه كغيره من النبت والاصل المضارعة
والنمارق واحدتها نمرقة ونمرقة والزرابي البسط الفاخرة واحدتها
زربية والمسيطر المتسلط على غيره بالقهر له يقال تسيطر فلان على
فلان وسيطر اذا تسلط قال ابو عبيدة مسيطر ومسطر لا ثالث لهما
في الكلام الاعراب كيف خلقت متعلق بينظرون لان النظر يؤول
الى العلم الا من تولى هو استثناء منقطع وسيبويه يقدر الاستثناء
بلكن والفراء يقدره بسوى المعنى هل اتيك حديث الغاشية خطاب النبي
صلى الله عليه وآله يريد قد اتاك حديث القيمة لانها تغشى الناس باهوالها
بغتة عن ابن عباس والحسن وقتاده وقيل الغاشية النار تغشى وجوه الكفار
بالعذاب وهذا كقوله تغشى وجوههم النار عن محمد بن كعب وسعيد بن جبير
وجوه يومئذ خاشعة اي ذليلة بالعذاب الذي يغشاها والشدائد التي
تشاهدها والمراد بذلك ارباب الوجوه وانما ذكر الوجوه لان الذل والخضوع
يظهر فيها وقيل المراد بالوجوه الكبراء تقول جاء في وجوه بني تميم وساداتهم
وقيل عني به وجوه الكفار كلهم لانها تكبرت عن عبادة الله عاملة
ناصبة فيه وجوه احدها ان المعنى عاملة في النار ناصبة فيها عن الحسن وقتاده

قالالم يعمل الله

قالالم يعمل الله سبحانه في الدنيا فاعملها وانصبها في النار بمعالجة السلاسل
والاغلال قال الضحاك يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار وقال
الكلبي يجرون على وجوههم في النار وثانيها ان المراد عاملة في الدنيا بالمعاصي
ناصبة في النار يوم القيمة عن عكرمة والسدي وثالثها انها عاملة ناصبة
في الدنيا يعملون وينصبون ويتعبون على خلاف ما امرهم الله تعالى به وهم
الرهبان واصحاب الصوامع واهل البدع والاراء الباطلة لا تقبل الله
اعمالهم في البدعة والضلالة وتصير هباء لا يثابون عليها عن سعيد
بن جبير وزيد بن اسلم وابي الضحى عن ابن عباس قال ابو عبد الله عليه السلام
كل ناصب وان تعبد واجتهد يصير الى هذه الاية عاملة ناصبة تصلى نارا
حامية قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على اعداء الله وقيل المعنى
ان هؤلاء يلزمون الاحتراق بالنار التي في غاية الحرارة تسقى من عين آنية
اي وتسقى ايضا من عين حارة قد بلغت اناها وانتهت حرارتها قال الحسن
قد اوقدت عليها جهنم مذ خلقت فدفعوا اليها وردا عطاشا هذا شرابهم
ثم ذكر طعامهم فقال ليس لهم طعام الا من ضريع وهو نوع من الشوك يقال
له الشبرق واهل الحجاز يسمونه الضريع اذا يبس وهو اخبث طعام واشبه
لا ترعاه دابة عن الضحاك عن ابن عباس وقال رسول الله صلى الله
عليه وآله الضريع شيء يكون في النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن
من الجيفة واشد حرا من النار سماه الله الضريع وقال ابو الدرداء
والحسن ان الله يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما فيه
من العذاب فيستغيثوا فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا
يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الله الف سنة
ثم يسقون من عين آنية شربة ولا مغنية ولا مريئة كلما ادنوه الى وجوههم سلخ
جلود وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله وسقوا

حتى ينقطع امعاوهم ولما نزلت هذه الاية قال المشركون ان ابلنا ليسمن على الضريع
وكذبوا في ذلك لان الابل لا ترعاه فقال الله سبحانه تكذيبا لهم لا يسمن ولا يغني من جوع
اي لا يدفع جوعها ولا يسمن احدا قال الا ادري ما الضريع لم اسمع من اصحاب محمد
شيا فيه وقيل هو سم عن مجاهد وقتاده وقيل ضريع بمعنى مضرع اي يضرهم
و يذلهم وقيل سمي ضريعا لان اكله يضرع في الاعضا منه لخشونته وشدة كراهية
عن ابن كيسان وقيل هو الحجارة عن سعيد بن جبير ثم وصف سبحانه اهل الجنة
فقال وجوه يوميذ ناعمة اي منعمة في انواع اللذات ظاهر عليها اثر النعمة
والسرور ومعيشة مشرقة لسعيها في الدنيا راضيه حين اعطيت الجنة بعملها
والمعنى لثواب سعيها وعملها من الطاعات راضيه يريد انه لما ظهر نفع اعمالهم وجزاء
عباداتهم رضوه وحمدوه وهذا كما يقال عند الصباح يحمد القوم السرى في جنة
عالية اي مرتفعة القصور والدرجات وقيل ان علوا الجنة على وجهين والشرف
والجلالة وعلوا المكان والمنزلة بمعنى انها مشرفة على غيرها وهي انزه ما يكون
والجنة درجات بعضها فوق بعض كما ان النار دركات لا يسمع فيها لاغية اي كلمة
ساقطة لا فايدة فيها وقيل لاغية ذات لغو كقولهم نابل ودارع اي ذو نبل ودرع
قال الحطيه شعر وغررتني وزعمت انك لابن بالصيف تامر فيها اي في تلك الجنة
عين جاريه قيل انه اسم جنس ولكل انسان في قصره من الجنة عين جارية من كل
شراب يشتهيه وفي العيون الجارية من الحسن واللذة والمنفعة ما لا يكون في الواقعة
ولذلك وصف بها عيون اهل الجنه وقيل ان عيون الجنة تجري في غير اخدود
تجري كما يريد صاحبها فيها اي في تلك الجنة سرر مرفوعة قال ابن عباس
الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة ما لم يجي
اهلها فاذا اراد ان يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع الى
موضعها والسرر جمع سرير وهو مجلس السرور وقيل انما رفعت ليشرف المومنين
بجلوسهم عليها جميع ما حولهم من الملك واكواب موضوعة على حافات العيون

الجارية

الجارية كلما اراد المومن شربها وجدها مملوه وهي الاباريق ليس لها خراطيم
ولا عرى تتخذ للشراب وقيل هي اواني الشراب من الذهب والفضة والجواهر
يتمتعون بالنظر اليها بين ايديهم ويشربون بها ما يشتهونه من الاشربة
و يتمتعون بالنظر اليها لحسنها ونمارق مصفوفة اي وسايد يتصل
بعضها ببعض على هيية مجالس الملوك في الدنيا وزرابي مبثوثة وهي البسط
الفاخرة والطنافس المخملة والمبثوثة المبسوطة المنثورة ويجوز ان يكون
المعنى مفرقة في المجالس وعن عاصم بن ضمرة عن علي عليه السلام انه ذكر اهل الجنة
فقال يجيون فيدخلون فاذا اساس بيوتهم من جندل اللولو وسرر
مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ولولا
ان الله تعالى قدرها لهم لالتمعت ابصارهم بما يرون ويعانقون الازواج
ويصعدون على السرر ويقولون الحمد لله الذي هدانا لهذا قال قتاده
ولما نعت الله الجنة وما فيها عجب من ذلك اهل الضلال فانزل الله سبحانه
افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وكانت الابل عيشا من عيشهم فيقول
افلا يتفكرون فيها وما يخرج الله من ضروعها من بين فرث ودم
لبنا خالصا سايغا للشاربين يقول فكما صنعت هذا لهم فكذلك
اصنع لاهل الجنة في الجنة وقيل معناه افلا يعتبرون ينظرون
الى الابل وما ركبه الله عليه من عجب الخلق فانه مع عظمه وقوته يذلله الصغير
فينقاد له بتسخير الله اياه لعباده فيبركه ويحمل عليه ثم يقوم وليس
ذلك في غيره من ذات الاربع فلا يحمل على شي منها الا وهو قايم فاراهم
الله سبحانه هذه الاية فيه ليستدلوا على توحيده بذلك عن ابي عمرو بن
العلا والزجاج وسيل الحسن عن هذه الاية وقيل له الفيل اعظم من
الابل في الاعجوبة فقال اما الفيل فالعرب بعيدا لعهد بها ثم هو خنزير
لا يركب ظهرها ولا يوكل لحمها ولا يحلب درها والابل من اعز مال العرب

وانفرد باكل النوى ويخرج الدبس وياخذ الصبى بزمامها فيذهب حيث شاء
مع عظمها فى نفسها ويحكى ان فارة اخذت تحركها وهى تتبعها حتى دخلت
الحجر فجرت الزمام فبركت فجرت فقربت من حجرها الغار والى السماء كيف
رفعت اى كيف رفعها الله فوق الارض وجعل بينهما هذا الفضاء الذى
به قوام الخلق وحيوتهم ثم الى ما خلق فيها من بدايع الخلق من الشمس
والقمر والكوكب علق بها منافع الخلق واسباب معايشهم والى الجبال
كيف نصبت اى ولا يتفكرون فى خلق الله سبحانه الجبال اوتادا للارض
ومسكنها وانه لولاها لمادت الارض باهلها والى الارض كيف سطحت
اى كيف بسطها والله ووسعها ولولا ذلك لما صح الاستقرار عليها
والانتفاع بها وهذه نعم من الله سبحانه على عباده لا يوازيها نعمة
منعم وفيها دلايل على توحيده ولو تفكروا فيها لعلموا ان لهم صانعا
صنعهم وموجدا اوجدهم ولما ذكر سبحانه الادله امر نبيه عليه السلام
بالتذكير بها فقال فذكر يا محمد والتذكير التعريف للذكر بالبيان
الذى به يقع الفهم والنفع بالتذكير عظيم لانه طريق المعلم بالامور التى
تحتاج اليها انما انت منذر لهم بنعم الله تعالى عندهم ولا يجب عليهم فى مقابلتها
من الشكر والعبادة وقد اوضح الله نعم طريقة الحج فى الدين واكده
غاية التاكيد بما لا يسمع فيه التقليد بقوله انما انت منذر وقوله ذكر
فان الذكرى تنفع المومنين وقوله ان فى ذلك لاية لقوم يعقلون ولقوم
يذكرون ويتفكرون وقيل ان المراد فذكرهم بهذه الادله وامرهم
بالاستدلال بها وبنهيهم عليها عن الجبائى وابى مسلم لست عليهم بمسيطر
معناه لست عليهم بمسلط تسليطا يمكنك ان يدخل الايمان فى قلوبهم وتجبرهم
عليه انما الواجب عليك الانذار والتبليغ والدعوة الى الحق وقيل معناه
لست عليهم بمسلط الان حتى تقابلوهم ان خالفوك وكان هذا قبل نزول اية

الجهاد

الجهاد ثم نسخ بالامر بالقتال والوجه الصحيح انه لا نسخ فيه لان الجهاد ليس
باكراه للقلوب والمراد انك انما بعثت للتذكير وليس عليك من ترك
قبولهم شئ الا من تولى وكفر اعرض عن الذكر ولم يقبل منك وكفر
بالله وبما جئت به فكل امره الى الله عن الحسن وقيل معناه الا من تولى
وكفر فلست له تذكر لا يقبل منك فكانك لست تذكره فيعذبه الله
العذاب الاكبر وهو الخلود فى النار ولا عذاب اعظم منها ثم ذكر سبحانه
ان مرجعهم اليه فقال ان الينا ايابهم اى مرجعهم ومصيرهم بعد
الموت ثم ان علينا حسابهم اى جزاؤهم على اعمالهم فهذا جامع بين
الوعد والوعيد ومعناه لا يهمك امرهم فانهم وان عاندوك
واذوك فمصير جميعهم الى حكمنا لا يعولوننا ونجازيهم علينا وعن
قريب فقر عينك بما نراه فى اعدائك يسال كيف يتصل ذكر الابل
وما بعدها بذكر وصف الجنان ونعيمها والجواب انه يتصل باول السورة
والضمير فى قوله ينظرون عايد الى الذين وصفهم بقوله عاملة
ناصبة وانما لما ذكر عقابهم وثواب المومنين عاد عليهم بالاحتجاج
بالابل والسماء والارض والجبال وكيفية دلالتها على وجود الصانع
الحكيم يريد هلا نظر هولاء فى صنايع الله فيعرفونه ويعبدونه
عن ابى مسلم وقيل انه لما ذكر سرر الجنة وارتفاعها تعجبوا من ذلك
وقالوا كيف يصعد عليها وارادهم الله سبحانه الابل وانه كيف يخرج
لبنى آدم مع عظمها حتى ابحت للحمل عليها ويقوم بعد ذلك وكيف
احكم الله خلق السماء والارض والجبال ردا على اولئك القوم
وانما خص سبحانه هذه الاشياء بالذكر لاستواء الناس كلهم
فى معرفتها سورة الفجر مكية اثنتان وثلثون اية حجازى ثلثون كوفى
شامى تسع وعشرون بصرى اختلافها اربع آيات ونعمة فقدر عليه

ربهم كلنا بها بجهنم حجازی شامی فی عباده کوفی فضلها ابی بن کعب عن النبی صلی الله علیه وآله قال ومن قراها فی لیال عشر غفر له ومن قراها سایر الایام کانت له نورا یوم القیمة وروی داود بن فرقد عن ابی عبد الله علیه السلم قال اقرؤا سورة الفجر فی فرایضکم ونوافلکم فانها سورة حسین بن علی علیه السلم من قراها کان مع الحسین بن علی یوم القیمة فی درجته من الجنة تفسیرها ختم تلك السورة بان ایاب الخلق الیه وحسابهم علیه وافتتح هذه السورة بتاکید ذلك المعنی حین اقسم انه بالمرصاد فقال

بسم الله الرحمن الرحیم

والفجر ولیال عشر والشفع والوتر واللیل اذا یسر هل فی ذلك قسم لذی حجر الم تر کیف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التی لم یخلق مثلها فی البلاد وثمود الذین جابوا الصخر بالواد وفرعون ذی الاوتاد الذین طغوا فی البلاد فاکثروا فیها الفساد فصب علیهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد فاما الانسان اذا ما ابتلیه ربه فاکرمه ونعمه فیقول ربی اکرمن واما اذا ما ابتلیه فقدر علیه رزقه فیقول ربی اهانن کلا بل لا تکرمون الیتیم ولا تحاضون علی طعام المسکین وتاکلون التراث اکلا لما وتحبون المال حبا جما کلا اذا دکت الارض دکا دکا وجاء ربك والملك صفا صفا وجیء یومئذ بجهنم یومئذ یتذکر الانسان وانی له الذکری یقول یا لیتنی قدمت لحیوتی فیومئذ لا یعذب عذابه احد ولا یوثق وثاقه احد یا ایتها النفس المطمئنة ارجعی الی ربك راضیة مرضیة فادخلی فی عبادی وادخلی جنتی القراءة قرا اهل الکوفة غیر عاصم والوتر بکسر الواو والباقون بالفتح وقرا ابو جعفر وابن عامر فقدر بالتشدید والباقون بالتخفیف وقرا لا یکرمون بالیاء وکذلك

مابعده

ما بعده اهل البصرة والباقون بالتاء وقرا لا یحاضون اهل الکوفة وابو جعفر وقرا لا یعذب ولا یوثق الکسائی ویعقوب وسهل والباقون لا یعذب ولا یوثق وقرا اهل المدینة وابو عمرو وقتیبة عن الکسائی واللیل اذا یسری باثبات الیاء فی الوصل والوقف والباقون بالحذف فیهما وقرا القواس والبزی ویعقوب بالواد باثبات الیاء فی الوصل والوقف وقرا اهل المدینة اکرمنی واهاننی باثبات الیاء فی الوصل وحذفها فی الوقف والقواس والبزی ویعقوب باثبات الیاء فی الوصل والوقف وابو عمرو لا یبالی کیف قرا بالیاء وغیر الیاء وروی العباسی عنه بحذف الیاء من غیر تخییر والباقون بحذف الیاء فی الحرفین فی الوصل وفی الشواذ قراءة ابن عباس بعاد ارم ذات العماد وروی ذلك عن الضحاك ایضا وقراءة ابن عباس وعکرمة والضحاك وابن السمیفع فادخلی فی عبادی [illegible] قال ابو علی حدثنا محمد بن السری عن الاصمعی قال لکل فرد وتر واهل الحجاز یفتحون فیقولون وتر فی الفرد ویکسرون الوتر فی الذحل وقیس وتمیم یسوونهما فی الکسر فیقولون فی الوتر الذی هو الافراد اوترت وانا اوتر ایتارا ای جعلته مرة وترا وفی الذحل وترته اتره وترا وترة قال ابو بکر وترته فی الذحل انما هو افردته من اهله وماله ومن قرا یکرمون وما بعده بالیاء فلما تقدم من ذکر الانسان والمراد بالجنس والکثرة وعلی لفظ الغیبة ولا یمتنع فی هذه الاشیاء الدالة علی الکثرة ان یحمل علی اللفظ مرة وعلی المعنی اخری ومن قرا بالتاء فعلی معنی قل لهم ذلك ومعنی لا یحضون علی طعام المسکین لا یامرون به ولا یبعثون علیه ولا یحاضون یتفاعلون منه وقوله ولا یعذب عذابه احد معناه لا یعذب احد تعذیبه فوضع العذاب موضع التعذیب کما وضع العطاء موضع العطا فی قوله وبعد عطائك المائة الرتاعا فالمصدر الذی هو عذاب مضاف الی المفعول

... يعنون به الانسان المقدم ذكره في قوله يوم يتذكر الانسان والوثاق ايضاً موضع الايثاق فاما من يقرا لا يعذب فقد قيل ان المعنى فيه انه لا يتولى عذاب الله تعالى يومئذ احد والامر يومئذ امره ولا امر لغيره هذا قول وقد قيل ايضاً لا يعذب احد في الدنيا مثل عذاب الله في الاخرة وكان الذي حمل قايل هذا القول على ان حمله على ظاهره كان المعنى لا يعذب احد في الاخرة مثل عذاب الله ومعلوم انه لا يعذب احد في الاخرة مثل انما العذاب لله تعالى فعدل عن الظاهر لذلك ولو قيل ان المعنى فيومئذ لا يعذب به احدا احد تعذيباً مثل تعذيب الكافر المتقدم ذكره فاضيف المصدر الى المفعول به كما اضيف اليه في القراءة الاولى ولم يذكر الفاعل كما يذكر في مثل قوله تعم من دعاء الخير لكان المعنى في القراتين سواء والذي يراد باحد الملائكة الذين يتولون تعذيب اهل النار ويكون ذلك كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقوله فلو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ولهم مقامع من حديد لا شبهة ان يكون هذا القول اولى لان الفاعلة لهم الملائكة فالوجه قول من قال يسري بالياء وصل او وقف لان الفعل لا يحذف من الاسماء نحو قاض وغاز في نحو قوله هو يقضي وانا اقضي فتثبت الياء ولا تحذف من الاسم نحو هذا قاض وليس اثبات الياء بالاحسن في الوقف من الحذف وذلك انها فاصلة وجميع ما لا يحذف اذا كان في قافية او فاصلة قال سيبويه والفاصلة نحو والليل اذا يسر ويوم التناد والكبير المتعال فاذا كان شيء من ذلك كلام تام شبهه بالفاصلة فحسن حذفها نحو قوله ذلك ما كنا نبغ فان قلت كيف كان الاختيار فيه ان يحذف اذا كان في فاصلة او قافية وهذه الحروف من النفس الكلم وهلا لم يستحسن حذفها كما اثبت ساير الحروف ولم يحذف

فالقول

فالقول في ذلك ان الفواصل والقوافي مواضع الوقف ... تغيره فلما كان الوقف لغيره فيه هذه الحروف المشابهة للزيادة بدل الا ترى ان النداء لما كان في موضع حذف بالترخيم والحذف في الحروف الصحيحة الزموا الحذف في اكثر الكلام للحرف المتغير وهو تاء التانيث وكذلك الزم الحذف للجزم نحو لم يغز ولم يرم ولم يخش واجرها مجرى الزايدة في الاطلاق نحو وبعض القوم يخلق ثم لا يفري وما يمر كما قالوا اقرين من حجر ... فلذلك اختير فيها الحذف في الفواصل والقوافي وكذلك قوله جابوا الصخر بالواد الاوجه فيه الحذف اذا كانت فاصلة وان كان الاحسن اذا لم يكن فاصلة الاثبات ومن قرا في الوصل يسري بالياء وفي الوقف بغير ياء فانه ذهب الى انه لم يقف عليها كما لم تحذف غيرها وحذفها اذا وقف فهو كمن قرا يسري في الوصل باثبات الياء ويحذفها في الوقف في رواية سيبويه عن ابي عمرو انه قرا ربي اكرمن وربي اهانن على الوقف في من قرا ارم ذات العماد فالمعنى جعلها رميما واسترمت وارمها غيرها قال ابن جني واما القراءة بعاد ارم فعلى انه اراد اهل ارم مكة والمدينة فحذف وهو يريد كقوله تعالى بزينة اي زينة الكواكب قال في قوله في عبدي لفظه الواحد ومعناه الجمع اي عبادي وذلك انه جعل عباده كالواحد اي لا خلاف بينهم في عبوديته كما لا يخالف الانسان فيصير كقول النبي صلى الله عليه واله وهم يد على من سواهم وقال غيره معناه فادخلي في جسم عبدي اللغة الفجر شق عمود الصبح فجره الله لعباده فجرا اذا اظهره في افق المشرق مبشرا بادبار الليل المظلم واقبال النهار المضيء وهما فجران المستطيل وهو الذي يصعد طولا كذنب السرحان ولا حكم له في الشرع والاخر المستطير في افق السماء وهو الذي يحرم عنده الاكل والشرب لمن اراد الصوم

[illegible] ضاء لهم [illegible] وقيل والحجر العقل واصله المنع يقال حجر القاضي على
[illegible] ماله اي منعه من التصرف فيه فالعقل يمنع من المقبحات ويزجر
عن فعلها [illegible] وهو ما ينبغي به لابنه ويستعمل في القوة والشر
[illegible] رفيع العماد [illegible] اذا عاد البيت خرت على الاحفاظ
تمنع ما يلينا [illegible] القطع قال النابغة شعر اتاك ابو ليلى يجوب به الدجى
دجى الليل جواب غشمشم والغشمشم الطويل والسوط خلط الشيء بعضه
عن بعض فكان السوط قسط عذاب يخالط اللحوم والدماء كما يخالطها
السوط قال الشاعر شعر احادث انا لو تساط دماءنا تزايلن حتى لا يمس
دم دما والمرصاد الطريق مفعال من رصده يرصده رصدا اذا راعى
ما يكون منه ليقابله بما نقتضيه واللم الجمع ولممت على الخوان المه لما اذا
اكلته اجمع كانه يأكل ما الم به ولا يميز شيئا من شيء والجم والجم الكثير العظيم
وجم الماء معظمه وجسم الماء في الحوض اذا اجتمع وكثر قال زهير
فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم والدك حط
المرتفع بالبسط يقال اندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره وناقة
وكان اذا كانت كذلك ومنه الدكان لاستوائه قال شعر ليت الجبال تداعت
عند مصرعها دكا فلم يبق من احجارها حجر والوثاق الشد واوثقته
شددته الاعراب جواب القسم قوله ان ربك لبالمرصاد وقيل جوابه
محذوف تقديره ليقبضن على كل ظالم او لينتصفن كل مظلوم من
ظالمه الم تر كيف فعلنا بعاد وفرعون وثمود لما ظلموا واجرى
ارم على عاد عطف بيان او على البدل ولا يجوز ان يكون صفة لانه
غير مشتق وانما لا ينصرف ارم للتعريف والتانيث الا ترى الى قوله
ذات العماد ومن اضاف فقال بعاد ارم في الشواذ فانه عنده بمنزلة
قولهم زيد بطه لانه لقب فيضاف اليه الاسم وثمود في موضع جر اي وبثمود

لاينصرف

لا ينصرف لانه اعجمي معرفة على طوا [illegible] سكين [illegible] [illegible]
فحذف ويجوز ان يكون طعاما [illegible] مقام الاطعام كقول لبيد
شعر باكرت حاجتها الدجاج بسحرة لاعل منها حين هب نيامها
لاحتياجي اليها فهو مفعول له التراث اصله الوراث من ورثت
التاء بدل من الواو ومثله تجاه اصله وجاه من واجه وجواب
اذا في قوله اذا دكت الارض قوله فيومئذ لا يعذب عذابه احد وقوله
صفا صفا مصدر وضع موضع الحال اي مصطفين المعنى والفجر اقسم
الله سبحانه بفجر النهار وهو انفجار الصبح كل يوم عن عكرمة والحسن
والجبائي ورواه ابو صالح عن ابن عباس وقيل هو فجر ذي الحجة
لان الله تعالى قرن الايام به فقال وليال عشر وهي عشر ذي الحجة عن مجاهد
والضحاك وقيل فجر اول المحرم لانه يتجدد عنده السنة عن قتادة وقيل
يريد فجر يوم النحر لانه يقع فيه القربان ويتصل بالليالي العشر عن
ابي مسلم وقيل اراد بالفجر النهار كله عن ابن عباس وليال عشر
يعني العشر من ذي الحجة عن ابن عباس والحسن وقتاده ومجاهد
والضحاك والسدي وروي ذلك مرفوعا شرفها الله ليسارع
الناس فيها الى عمل الخير وقيل هي العشر الاواخر من شهر رمضان
في رواية اخرى عن ابن عباس وقيل انها عشر موسى لثلثين
ليلة التي اتمها الله بها والشفع والوتر يعني الزوج والفرد
من العدد كله عن الحسن قال ابو مسلم هو تذكير بالحساب لعظيم
ما فيه من النفع والنعم بما يضبط به من المقادير وقيل الشفع
والوتر كل ما خلقه الله تعالى لان جميع الاشياء اما زوج واما فرد
عن ابن زيد والجبائي وقيل الشفع الخلق لانه قال وخلقناكم ازواجا
والوتر الله تعالى عن عطية العوفي وابي صالح وابن عباس ومجاهد

وهو رواية ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وقيل الشفع
والوتر الصلاة منها شفع ومنها وتر وهو رواية ابن حصين عن
النبي وقيل الشفع يوم النحر واليوم عرفة عن ابن عباس وعكرمة و
الضحاك وهي رواية جابر عن النبي والوجه فيه ان يوم النحر يشفع بيوم
نفر بعده وينفرد يوم عرفة بالموقف وقيل الشفع يوم التروية والوتر
عرفة وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل ان الشفع
والوتر في قول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اسم عليه ومن تاخر
فلا اسم عليه فالشفع النفر الاول والوتر يوم النفر الاخير وهو الثالث
والليالي العشر فالثماني من ذي الحجة وعرفة والنحر عن ابن الزبير وقيل الوتر
آدم شفع بزوجته عن ابن عباس وقيل الشفع الايام والليالي والوتر
يوم الذي لا ليل بعده وهو يوم القيمة عن مقاتل بن حيان وقيل الشفع
صفات المخلوقين ويضادها العز والذل والوجود والعدم والقدرة
والعجز والعلم والجهل والحيوة والموت والوتر صفة الله تع اذ هو
الموجود لا يجوز عليه العدم والقادر لا يجوز عليه العجز والعالم لا يجوز عليه
الجهل والحي لا يجوز عليه الموت وقيل علي وفاطمة عليهما السلم والوتر محمد صلى الله
عليه وآله وقيل الشفع والمروة والوتر البيت الحرام والليل اذا يسر اختلفوا
في المراد به على وجهين احدهما انه اراد جنس الليالي كما قال والليل اذا ادبر
اقسم بالليل اذا يمضي بظلامه فيذهب بنقصه بالضياء المبتدى ففي تيسره
في المقادير المرتبة ومجيه بالضيا عند نقصه اوله دلالة على ان فاعله
يختص بالعز والجلال ويتعالى عن الاشياء والامثال وقيل انه لما اضاف السير
الى الليل يسير بمسير الشمس في الفلك وانتقالها من افق الى افق وقيل
اذا يسري اذا جا واقبل الينا ويريد كل ليلة عن قتاده والجبائي والوجه
الاخر ان المراد به ليلة بعينها تميزا لها من بين الليالي ثم قيل انها ليله

المزدلفة لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله تعالى فيها يسري الحاج
من عرفة الى المزدلفة ثم يصلي الغداة بها ويغدو منها الى منى عن مجاهد
وعكرمة والكلبي هل في ذلك قسم لذي حجر اي هل فيما ذكرت من الاقسام مقنع
لذي عقل ولب يعقل القسم والمقسم به وهذا تعظيم وتاكيد لما وقع
القسم به والمعنى ان من كان ذا لب علم ان ما اقسم الله به من هذه الاشيا
فيه عجايب ودلايل على توحيد الله تع توضح عن عجايب صنعه وبدايع حكمته
ثم اعترض بين القسم وجوابه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات
العماد هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وتنبيه للكفار على ما فعله
سبحانه بالامم السالفة لما كفرت بالله وبانبيايه وكانت اطول اعمارا
واشد قوة وعاد قوم هود اواختلفوا في ارم على اقوال احدها
انه اسم لقبيلة قال ابو عبيدة هما عادان فالاولى هي ارم وهي التي قال
الله تعالى فيهم وانه اهلك عادا الاولى وقيل هو جد عاد وهو عاد بن عوض
بن ارم بن سام بن نوح عن محمد بن اسحق وقيل هو سام بن نوح نسب
عاد اليه عن الكلبي وقيل ارم قبيلة من قوم عاد كان فيهم الملك وكانوا
بمهرة وكان عاد اباهم عن مقاتل وقتاده وثانيها ان ارم اسم بلد
ثم قيل هو دمشق عن ابي سعيد المقبري وسعيد بن المسيب وعكرمة وقيل
هو مدينة الاسكندرية عن محمد بن كعب القرظي وقيل هي مدينة بناها
شداد بن عاد فلما اتمها واراد ان يدخلها اهلكها الله بصيحة نزلت من
السماء وثالثها انه لا قبيلة ولا بلد بل هو لقب لعاد وكان عاد يعرف به عن الجبائي
وروي عن الحسن انه قرا بعاد ارم على الاضافة وقال هو اسم اخر لعاد
وكان له اسما ومن جعله بلدا فالتقدير في الاية بعاد صاحب ارم
وقوله ذات العماد يعني انهم كانوا اهل عمود سيارة في الربيع فاذا هاج
النبت رجعوا الى منازلهم عن ابن عباس في رواية عطا والكلبي وعن قتاده

وقيل معناه ذات الطول والشدة عن ابن عباس ومجاهد من قول العرب
رجل معمد للطويل ورجل طويل العماد اى القامة ثم وصفهم فقال التى لم يخلق
مثلها فى البلاد اى لم يخلق فى البلاد مثل تلك القبيلة فى الطول والقوة
والاجسام وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وروى ان الرجل منهم كان
ياتى بالصخرة فيحملها على الحى فتهلكهم وقيل ذات العماد اى ذات الابنية العظام
المرتفعة عن الحسن وقال ابن زيد ذات العماد فى احكام البنيان التى لم يخلق
مثلها اى مثل ابنيتها فى البلاد **قصة** ارم ذات العماد قال وهب بن منبه
خرج عبد الله بن قلابة فى طلب ابل له شردت فبينا هو فى صحارى عدن اذ هو
قد وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة
واعلام طوال فلما دنى منها ظن ان فيها احدا يساله عن ابله فنزل عن دابته
وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فلما دخل الحصن اذا هو ببابين
عظيمين لم ير اعظم منهما والبابان مرصعان بالياقوت الابيض والاحمر
فلما راى ذلك دهش ففتح احد البابين واذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا
قصور كل قصر فوقه غرف وفوق الغرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت
ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع المدينة تقابل بعضها بعضا مفروشة
كلها باللآلئ وبنادق من مسك وزعفران فلما راى الرجل ما راى ولم يرد
فيها احدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا هو بشجرة كل ذلك قاعدة منها قد اثمرت
تلك الاشجار وتحت الاشجار انهار مطردة تجرى ماؤها من قنوات من فضة
كل قناة اشد بياضا من الشمس فقال الرجل والذى بعث محمدا بالحق ما خلق الله
مثل هذه فى الدنيا وان هذه هى الجنة التى وصفها فى كتابه فحمل معه من لؤلؤها
ومن بنادق المسك والزعفران ولم يستطع ان يقلع من زبرجدها
ولا من ياقوتها شيئا وخرج الى اليمن فاظهر ما كان وعلم الناس امره فلم يزل
هوا امره حتى بلغ معوية خبره فارسل فى طلبه حتى قدم عليه فقص عليه القصة فارسل

معوية الى كعب

معوية الى كعب الاحبار فلما اتاه قال له يا ابا اسحق هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة
قال نعم اخبرك بها وبمن بناها انما بناها شداد بن عاد فاما المدينة
فارم ذات العماد التى وصفها الله فى كتابه وهى التى لم يخلق مثلها فى البلاد
قال معوية فحدثنى حديثها فقال ان عاد الاولى ليس بعاد قوم هود وانما هو
وقوم هود ولده ذلك وكان عاد له ابنان شداد وشديد فهلك
عاد فبقيا ملكا وقهرا البلاد واخذواها عنوة ثم هلك شديد وبقى
شداد فملك وحده ودانت له ملوك الارض فدعت نفسه الى بناء مثل
الجنة عتوا على الله فامر بصنعة تلك المدينة ارم ذات العماد وامر على صنعتها
مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى كل ملك فى الدنيا
ان يجمع له ما فى بلاده من الجواهر وكان هؤلاء القهارمة اقاموا فى بنيانها
مدة طويلة فلما فرغوا منها جعلوا عليها حصنا وحول الحصن الف
قصر ثم سار الملك اليها فى جنده ووزرايه فلما كان منها على مسيرة يوم
وليلة بعث عز وجل عليه وعلى من معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا
ولم يبق منهم احد وسيدخلها فى زمانك رجل من المسلمين احمر اشقر
قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له فى تلك الصحارى
والرجل عند معوية فالتفت اليه كعب قال هذا والله ذلك الرجل ثم قال
سبحانه وثمود الذين جابوا الصخر اى وكيف فعل بثمود الذين قطعوا
الصخر ونقبوها بالوادى الذى كانوا ينزلونه يعنى وادى القرى قال ابن عباس
كانوا يجوبون الجبال فيجعلون منها بيوتا كما قال الله تعالى وينحتون من
الجبال بيوتا فرهين وفرعون اى وكيف فعل بفرعون الذى ارسل اليه
موسى ذى الجنود الذين كانوا يشدون امره عن ابن عباس وسماهم
اوتادا لانهم قواد عسكره الذين بهم قوام امرهم وقيل كان يشد الرجل
باربعة اوتاد على الارض اذا اراد تعذيبه ويتركه حتى يموت عن مجاهد

[illegible] من ثم باربعة اوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة
حتى تموت وقد مر بيانه في سورة ص الذين طغوا في البلاد يعني عادا وثمود
وفرعون طغوا اي تجبروا في البلاد على انبياء الله وعملوا فيها بمعصية الله
فاكثروا فيها اي في الارض او البلاد الفساد اي القتل والمعصية عن الكلبي
ثم بين سبحانه ما فعله بهم عاجلا بان قال فصب عليهم ربك سوط عذاب
اي جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب عن الزجاج وقيل معناه صب
عليهم قسط عذاب كالعذاب بالسوط الذي يعرف اراد ما عذبوا وقيل
ان كل شيء عذب الله به فهو سوط فاجرى على العذاب اسم السوط مجازا
حتى يهلكه ان ربك لبالمرصاد اي عليه طريق العباد فلا يفوته احد
عن الكلبي والحسن وعكرمة والمعنى انه لا يفوته شيء من اعمالهم لانه يسمع
ويرى جميع اقوالهم وافعالهم كما لا يفوت من هو بالمرصاد وروي عن علي
عليه السلام انه قال معناه ان ربك قادر على ان يجزي اهل المعاصي جزاهم وعن
الصادق عليه السلام انه قال المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد
بمظلمة عبد وقال عطا يعني يجازي كل واحد وينتصف من الظالم للمظلوم
وقيل لاعرابي اين ربك قال المرصاد وليس يريد به المكان فقد سئل علي عليه السلام
اين كان ربنا قبل ان خلق السموات والارض فقال ان سوال عن مكان
وكان الله ولا مكان وروي عن ابن عباس في هذه الاية قال ان جسر جهنم سبع
مجالس يسال العبد عند اولها عن شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها
تامة جاز الى الثاني فيسال عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز الى الثالث
فيسال عن الزكوة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسال عن الصوم فان جاء به
تامة جاز الى الخامس فيسال عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسال عن العمرة
فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسال عن المظالم فان خرج منها والا يقال
انظروا فان كان له تطوع اكمل به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة ثم قسم سبحانه

احوال البشر فقال فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه [illegible] بنعمة
فاكرمه بالمال ونعمه بما وسع عليه من انواع الافضال فيقول ربي اكرمن
اي فيفرح بذلك ويسر ويقول ربي اعطاني هذا لكرامتي عنده ومنزلتي
لديه اي يحسب انه كريم على ربه حيث وسع الدنيا عليه واما اذا ما ابتليه
بالفقر والفاقة فقدر اي فضيق وقتر عليه رزقه وجعله على قدر البلغة
فيقول ربي اهانني اي فيظن ان ذلك هوان من الله ويقول ربي
اذلني بالفقر ثم قال كلا اي ليس كما ظن فاني لا اغني المرء لكرامته علي ولا
افقره لهانته عندي ولكني اوسع على من اشاء واضيق على من اشاء
بحسب ما توجبه الحكمة ويقتضيه الصلاح ابتلاء بالشكر والصبر وانما الاكرام
على الحقيقة يكون بالطاعة والاهانة تكون بالمعصية ثم بين سبحانه
ما يستحق به الهوان بل انما اهنت من اهنت لانهم عصوني ثم
فصل العصيان فقال لا تكرمون اليتيم وهو الطفل الذي لا اب
له اي لا تعطفوا نهم مما اعطاكم الله حتى تغنوهم عن ذل السوال
وخص اليتيم لانهم لا كافل لهم يقوم بامرهم وقد قال عليه السلام انا وكا
فل اليتيم كهاتين واشار بالسبابة والوسطى قال مقاتل كان
قدامة بن مظعون في حجر امية بن خلف يتيما وكان يدفعه عن حقه
فعلى هذا فانه يحتمل معنيين احدهما انكم لا تحسنون والاخر انكم
لا تعطونه حقه من الميراث على ما جرت به عادة الكفار من حرمان
اليتيم ما كان له من الميراث ولا يحضون على طعام المسكين
اي يحثون على اطعامه ولا تامرون بالتصدق عليه ومن قرا ولا
تحاضون اراد لا يحض بعضكم بعضا على ذلك والمعنى ان الاهانة
ما فعلتموه من ترك اكرام اليتيم ومنع الصدقة من الفقير لا ما
توهمتموه وقيل ان المراد اني انما اعطيتكم المال لذلك فاذا لم تفعلوه

فذاك يوجب ايمانكم وتاكلون التراث اى الميراث وقيل اموال اليتامى
عن ابى مسلم قال ولم يرد الميراث الحلال لانه لا يلام اكله عليه قال الحسن
ياكل نصيبه ونصيب اليتيم وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان
وياكلون اموالهم وقيل ياكلون الميراث فيما يشتهون ولا يتفكرون
فى اخراج ما اوجب الله عليهم من الحقوق فيه اكلا لما شديدا يلمون جميعه
الاكل وقيل ان ياكل نصيبه ونصيب غيره عن الحسن وقيل هو ان ياكل
يجده ولا يفكره فيما ياكله من خبيث وطيب عن ابن زيد ويحبون المال
حبا جما اى كثيرا شديدا عن ابن عباس ومجاهد والمعنى تحبون جمع
المال ويولعون به فلا ينفقونه فى خير وقيل يحبون كثرة المال من فرط
حرصهم فيجمعونه من غير وجهه ويصرفونه فى غير وجهه ولا يتفكرون
فى عاقبته ثم قال سبحانه كلا اى لا ينبغى ان يكون الامر هكذا وقال مقاتل معناه
لا يفعلون ما امر الله به فى اليتيم والمسكين وقيل كلا زجر تقديره ولا
تفعلوا هكذا ثم خوفهم فقال اذا دكت الارض دكا دكا اى كسر كل شىء على ظهرها
من جبل او بناء او شجر حتى زلزلت فلم يبق عليها شىء يفعل ذلك مرة
وقيل دكت الارض مدت يوم القيمة مد الاديم عن ابن عباس وقيل
دقت جبالها وانشازها حتى استوت عن ابن قتيبة والمعنى استوت
فى انفراشها فذهبت دورها وقصورها وسائر ابنيتها حتى تصير
كالصحراء الملساء وجاء ربك اى امر ربك وقضاؤه ومحاسبته عن الحسن
والجبائى وقيل جاء امره الذى لا امر معه بخلاف حال الدنيا عن ابى مسلم
وقيل جاء جلائل اياته فجعل مجيها مجيه تفخيما للامر وقال بعض المحققين
المعنى وجاء ظهور ربك لضرورة المعرفة به لان ظهور المعرفة بالشىء
يقوم مقام ظهوره ورويته لما صارت المعارف بالله فى ذلك اليوم
ضرورية صار ذلك لظهوره وتجليه للخلق فقيل وجاء ربك اى زالت

الشبهة

الشبهة وارتفع الشك كما يرتفع عند مجى الشىء الذى كان يشك فيه
جل وتقدس عن المجى والذهاب لقيام البراهين القاهرة والدلايل
الباهرة على انه سبحانه ليس بجسم والملك اى وتجى الملائكة صفا صفا
يريد صفوف الملائكة واهل كل سماء صف على حدة عن عطا وقال الضحاك
اهل كل سماء اذا انزلوا يوم القيمة كانوا صفا محيطين بالارض ومن فيها
فتكون سبع صفوف فذلك قوله صفا صفا وقيل معناه مصطفين كصفوف
الناس فى الصلاة ياتى الصف الاول ثم الصف الثانى ثم الثالث ثم
هذا الترتيب لان ذلك اشبه بحال الاستواء من التشويش فالتعديل والتقديم
اولى فى الامور وجى يوميذ بجهنم اى واحضرت فى ذلك اليوم جهنم ليعاقب
بها المستحقون لها ويرى اهل الموقف هولها وعظم منظرها وروى
مرفوعا عن ابى سعيد الخدرى قال لما نزلت هذه الاية تغير وجه رسول
الله صلى الله عليه واله وعرف فى وجهه حتى اشتد على اصحابه ما راوا من حاله
وانطلق بعضهم الى على بن ابى طالب عليه السلم قالوا يا على لقد حدث قد رايناه
فى نبى الله فجاء على عليه السلم فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقيه ثم قال يا نبى
الله بابى انت وامى ما الذى حدث اليوم قال جاء جبرئيل فاقرانى وجى يوميذ
بجهنم قال فقلت كيف يجاء بها قال يجى بها سبعون الف ملك يقودونها
بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع ثم اتعرض لجهنم فتقول
مالى ولك يا محمد فقد حرم الله لحمك على فلا يبقى احد الا قال نفسى نفسى وان
محمدا يقول رب امتى ثم قال سبحانه يوميذ يعنى يوما يجاء بجهنم يتذكر
الانسان اى يتعظ ويتوب الكافر وانى له الذكرى اى ومن اين له التوبة
عن الزجاج وقيل معناه يتذكر الانسان ما قصر وفرط اذ علم يقينا
ما توعد به وكيف ينفعه التذكر اثبت له التذكر ثم نفاه بمعنى انه
لا ينتفع به فكانه لم يكن وكان ينبغى له ان يتذكر فى وقت ينفعه ذلك فيه

ثم ... سبحانه و... للكافر والمفرّط الجانى على نفسه بتمناه بقوله يا ليتنى
قدّمت لحيوتى اى يتمنى ان يكون قد كان عمل الطاعات و الحسنات لحيوته
بعد موته او عملها للحيوة التى تدوم له يقول يا ليتنى قدّمت العمل
الصالح الاخرتى التى لا موت فيها ثم قال سبحانه فيومئذ لا يعذب عذابه
احد اى لا يعذب عذاب الله احد من الخلق ولا يوثق وثاقه احد اى
وثاق الله احد من الخلق فالمعنى لا يعذب احد فى الدنيا مثل عذاب
الله الكافر يومئذ ولا يوثق احد فى الدنيا مثل وثاق الله الكافر
يومئذ واما القراءة بفتح العين فى يعذب و يوثق فقد وردت
الرواية عن ابى قلابة قال اقرأنى من اقراءة رسول الله صلى الله عليه وآله
فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد والمعنى لا يعذب احد
تعذيب هذا الكافر ان قلنا انه كافر بعينه او تعذيب هذا الصنف من الكفار
وهم الذين ذكروا فى قوله لا يكرمون اليتيم الايات وهذا وان اطلق
فالاولى ان يكون المراد به التقييد لان التعلم ان ابليس اشد عذابا ووثاقا
منه وقيل معناه لا يواخذ بذنبه غيره والتقدير لا يعذب احد بعذابه
لانه المستحق لعذابه ولا يواخذ الله احدا بجرم غيره يا ايتها النفس المطمئنة
بالايمان المؤمنة الموقنة المصدقة بالثواب و البعث والطمانينة حقيقة
الايمان عن الحسن و مجاهد وقيل المطمئنة الامنة بالبشارة بالجنة عند الموت
ويوم البعث عن ابن زيد وقيل النفس المطمئنة التى يبيض وجهها ويعطى
كتابها بيمينها فحينئذ تطمئن عن الكلبى و ابى روق ارجعى الى ربك
اى يقال لها عند الموت عن ابى صالح وقيل عند البعث عن عكرمه
والضحاك ارجعى الى ثواب ربك وما اعد لك من النعيم عن الحسن
وقيل ارجعى الى الموضع الذى يختص الله سبحانه بالامر والنهى فيه دون
خلقه وقيل ان المراد ارجعى الى صاحبك وجسدك فتكون الخطاب للروح

ان ترجع الى الجسد عن ابن عباس ... ... الله ... عما...
وقيل راضية عن الله بما اعد الله لها ... رضى عنها ربها بما عملت من...
وقيل راضية بقضاء الله فى الدنيا حتى رضى الله عنها و رضى بافعالها
واعتقادها فادخلى فى عبادى اى فى زمرة عبادى الصالحين المصطفين
الذين رضيت عنهم وهذه نسبة تشريف و تعظيم وادخلى جنتى التى وعدتكم
بها واعددت نعيمكم فيها النظم وجه اتصال قوله فاما الانسان الاية
بما قبله فيه قولان احدهما انه يتصل بقوله ان ربك لبالمرصاد لاعمالهم
لا يخفى عليه شىء من مصالحهم فاذا اكرم احدا منهم بنوع من النعم التى هى
الصحة والسلامة والمال والبنون امتحانا واختبارا ظن ذلك واجبا
واذا قتر عليه رزقه ظن ذلك اهانة وانما يفعل سبحانه جميع ذلك للمصالح
عن ابى مسلم والثانى ان المعنى بالمرصاد يتعبدهم بما هو اصلح وانهم يظنون
انه يبتدى عباده بالاكرام والاهانة وليس كذلك بل هما مستحقان ولا يدخل
العباد تحت الاستحقاق الابعد التكليف واما قوله بل لا يكرمون اليتيم
فوجه اتصاله بما قبله انه رد عليهم ظنهم انه ضيق عليهم ارزاقهم الاهانة
فبين سبحانه ان الاهانة لما ذكره لا لما قالوه سورة البلد مكية عشرون
اية بالاجماع فضلها ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأها
اعطاه الله الامن غضبه يوم القيمة ابو بصير عن ابى عبد الله قال من كان قراءة
فى الفريضة لا اقسم بهذا البلد كان فى الدنيا معروفا انه كان من الصالحين
وكان فى الاخرة معروفا ان له من الله مكانا وكان من رفقاء النبيين
والشهداء والصالحين تفسيرها لما ختم تلك السورة بذكر النفس المطمئنة
بين فى هذه السورة وجه الاطمينان وانه النظر فى الطريق معرفة الله
واكد ذلك بالقسم فقال بسم الله الرحمن الرحيم
لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا

الانسان في كبد ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا
لبدا ايحسب ان لم يره احد الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين
وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما ادريك ما العقبة
فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا
متربة ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب
المشامة عليهم نار موصدة القراءة قرا ابو جعفر البلد بالتشديد
والباقون بالتخفيف وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة
او اطعم والباقون فك رقبة بالرفع والاضافة او اطعام بالتنوين
وقرا ابو عمرو واهل الكوفة غير عاصم موصدة بالهمزة والباقون
بغير همز ويعقوب مختلف عنه وفي الشواذ قراءة الحسن في يوم ذا مسغبة
الحجة لبدا يجوز ان يكون واحدا على وزن زمل وجباء ويجوز ان يكون
جمعا فيكون جمع لابد واما قوله فك رقبة او اطعام فقد قال ابو علي
المعنى فيه وما ادريك ما اقتحام العقبة فك رقبة اي اطعام اي
اقتحامها احد هذين او هذا الضرب من فعل القرب فلو لم يقدر
وتركت الكلام على ظاهره كان المعنى فك رقبة ولا يكون العقبة
الفك لانه عين والفك حدث والخبر ينبغي ان يكون المبتدا في المعنى
ومثل هذه قوله وما ادريك ما الحطمة نار الله ومثله وما ادريك
ما هيه نار حامية كذلك قوله وما ادريك ما القارعة يوم
يكون الناس كالفراش المبثوث والمعنى القارعة يوم يكون الناس
لان القارعة مصدر فيكون اسم الزمان خبرا عنه فهذه الجمل
من الابتداء والخبر تفسير لهذه الاشياء المتقدم ذكرها من اقتحام
العقبة والحطمة والقارعة كما ان قوله تعالى لهم مغفرة واجر عظيم تفسيرا

للوعد

للوعد وقوله فلا اقتحم العقبة معناه فلا يقتحم واذا كانت لا بمعنى
لم لم يلزم تكريرها كما لا يلزم التكرير مع لم فان تكررت في موضع
نحو فلا صدق ولا صلى فهو كتكريرها في قوله لم يسرفوا ولم يقتروا
وقوله ثم كان من الذين امنوا اي كان مقتحم العقبة وفاك الرقبة
من الذين امنوا فانه اذا لم يكن منهم لم ينفعه قربة وجاز وصف
اليوم بقوله ذي مسغبة كما جاز ان يقال ليله نائم ونهاره صائم
ونحو ذلك ومن قرا فك رقبة او اطعم فانه يجوز ان يكون ذكر من الفعل
تفسير الاقتحام والعقبة فان قلت ان هذا الضرب لم يفسره بالفعل
وانما فسر بالابتداء والخبر كقوله نار الله الموقدة وقوله نار حامية
فهلا رجحت القراءة الاخرى قيل انه قد يمكن ان يكون كذبت ثمود
وعاد بالقارعة تفسيرا لقوله وما ادريك ما القارعة على المعنى
وقد جاء ان مثل عيسى كمثل آدم وفسر المثل بقوله خلقه من تراب
وزعموا ان ابا عمرو احتج بقوله ثم كان من الذين امنوا القراءة
فك رقبة كانه لما كان فعلا وجب ان يكون المعطوف عليه مثله وقد
يجوز ان يكون ذلك لقطع من الاول والاستيناف كانه اعلم ان
فكاك الرقبة من الرق بان كان من الذين امنوا الاية بالايمان
يجوز ثواب ذلك ويجوز فاذا لم ينضم الايمان الى الفعل القرب
التي تقدم ذكرها لم ينفع ذلك والتقدير ثم كونه من الذين امنوا
فجاء هذا مجيء قوله سبحانه كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم
وشهدوا اريد فان شهدوا واوصدت الباب وآصدته لغتان
فمن لم يهمز موصدة احتمل امرين احدهما ان يكون على لغة من قال
اوصدت والوجه الآخر ان يكون على لغة من قال اوصدت والوجه
الآخر ان يكون من آصدت ثم خففت الهمزة فقلبت واوا كما جاء في جونة

وموقع من همز موصدة فهو من اصدت وابو عمرو يترك الهمزة الساكنة
ويبدلها واوا اذا انضم ما قبلها وياء اذا انكسر ما قبلها ولا يبدلها
في نحو قوله موصدة بل يهمزها لان موصدة بالهمز في لغة من قال اصدت
الباب والباب موصد وابو عمرو على هذه اللغة فلا يترك الهمز اذا
احتاج ان يترك لغة وينتقل عنها الى لغة اخرى وكذلك لا يترك الهمز
في نحو قوله تؤوى اليك من تشاء لانه لو ابدلها واوا وبعدها واو
اجتمع واوان واجتماعهما اثقل من الهمزة وكذلك اذا كان العقل مجزوما
ولامها همزة بقاها على حالها ولا يبدلها تبه نحو قوله ان تمسسكم حسنة
تسوهم لانه لو ابدلها واوا ولوجب حذفها بالجزم كما يقول في يغزو وكذلك
ان يشأ يذهبكم لا يبدلها الفا لهذا المعنى ايضا وكذلك قوله
اثاثا ورئيا لا يقلبها ياء لانه نسبه بالري من روى من الماء فهذه ان
احوال لا يترك الهمز فيها اذا احتاج الى ترك اللغة والانتقال الى لغة
اخرى واذا كان الهمز في موضع الجزم واذا اشتبه المعنى في الكلمة بكلمة اخرى
واذا كان ترك الهمز يؤدي الى اجتماع الواوين فافهم ذلك في من قرأ مسغبة
جعله مفعول طعام ويتيما بدل منه ويجوز ان يكون يتيما وصفا لذا مسغبة
كقوله رايت كريما عاقلا وجاز وصف الصفة الذي هو كريم لانه لما يجري
على الموصوف اشبه الاسم اللغة الحل والحال وهو الساكن والحل الحلال
ورجل حل وحلال اي محل واللبد في اللغة شدة الامر ومنه تلبد اللبن اذا غلظ
واشتد ومنه اللبد لانه دم يغلظ ويشتد وتلبد الدم اذا صار كاللبد
قال لبيد شعر عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في لبد واللبد
الكثير ماخوذ من تلبد الشيء اذا تراكب بعضه على بعض ومنه اللبد
يقال ما له سبد ولا لبد واصل النجد العلو وسمي نجد نجد العلوه
عن انخفاض تهامة وكل عال من الارض نجد والجمع نجود قال امرؤ القيس

شعر

شعر غداة غدوا فسالك بطن نخلة واخر منهم جازع نجد كبكب اراد طريقه في ارتفاع
فكبكب جبل وفي المثل انجد من راى حضنا انجد يعني النجدة اذا كان جلدا
قويا لاستعلائه على قرنه واستنجدت فلانا فانجد لي اي استعنته للاستعلاء
على قرني فاعانني وشبه طريقاه الخير والشر بالطريقين العاليين لظهور
ما فيهما فالاقتحام الدخول على الشدة اقتحم وتقحم واقحم وقحمه غيره والعقبة
الطريقة التي ترتقى على صعوبة ويحتاج فيها الى معاقبة الشدة بالضيق
والمخاطرة وقيل العقبة الثنية الضيقة في راس الجبل يتعاقبها الناس
فشبهت النفقة في وجوب البر بها وعاقب الرجل صاحبه اذا صار في موضعه
بدلا منه والفك فريق يزيل المنع ويمكن معه امر لم يكن ممكنا كفك
القيد والغل لانه يزول به المنع ويمكن به تصرف لم يكن قبل ففك
الرقبة فرق بينها وبين حال الرق بايجاب الحرية وابطال العبودية والمسغبة
المجاعة سغب يسغب فهو ساغب اذا جاع قال جرير شعر تعلل وهي ساغبة
بنيها بانفاس من الشم القراح والمقربة القرابة ولا يقال فلان قرابتي
وانما يقال ذو قرابتي لانه مصدر كما قال الشاعر شعر يبكي الغريب عليه
ليس يعرفه وذو قرابته في الحي مسرور والمتربة الحاجة الشديدة من قولهم
ترب الرجل اذا افتقر المعنى لا اقسم بهذا البلد اجمع المفسرون على ان هذا
قسم بالبلد الحرام وهو مكة وقد تقدم بيان قوله لا اقسم في سورة القيمة
وانت حل بهذا البلد تشريف من حل به من الرسول الداعي الى توحيده واخلاص
عبادته وبيان ان تعظيمه وقسم به لاجله عليه السلم ولكونه حالا فيه كما سميت
المدينة طيبة لانها طابت به حيا وميتا وقيل معناه وانت محل بهذا البلد
وهو ضد المحرم والمراد وانت حلال لك قتل من رايت به من الكفار
وذلك حين امر بالقتال يوم فتح مكة فاحلها الله له عليه السلم حتى قاتل
وقتل وقد قال عم لم يحل لاحد قبلي ولا يحل لاحد بعدي ولم يحل لي الا ساعة

من نهار عن ابن عباس ومجاهد وقتاده وعطاء وهذا وعد من الله
لنبيه ان يحل له مكة حتى يقاتل فيها ويفتحها على يديه ويكون بها حلالا
يصنع بها ما يريد من القتل والاسر وقد فعل سبحانه ذلك فدخل اهلها غلبة
كرها وقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما
وقيل معناه لا اقسم بهذا البلد وانت حلال فيه منتهك الحرمة مستباح العرض
لا تحترم فلم يبق للبلد حرمة حيث هتكت حرمتك عن ابي مسلم وهو المروي
عن ابي عبد الله عليه السلم قال كانت قريش تعظم البلد وتستحل محمدا فيه
فقال لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد يريد انهم استحلوك فيه
وكذبوك وشتموك وكانوا لا ياخذ منهم فيه ما تدابيه ويتقلدون
لحاء شجر الحرم فيامنون بتقليدهم اياه فاستحلوا من رسول الله ما لم يستحلوا
من غيره فعاب الله ذلك عليهم ثم عطف على القسم فقال ووالد وما ولد
يعني ادم وذريته عن الحسن ومجاهد وقتاده وذلك انه خليفة اعجب من هذه
الخليفة وهم عمار الدنيا وقيل ادم وما ولد من الانبياء والاوصياء واتباعهم
عن ابي عبد الله وقيل يريد ابراهيم عليه السلم وولده عن ابي عمران الجوني
لما اقسم بالبلد اقسم بابراهيم فانه بانيه وباولاده العرب اذ هم المخصوصون
بالبلد وقيل يعني كل والد وولده عن ابن عباس والجبائي وقيل ووالد
من يولد له وما ولد يعني عاقر عن ابن جبير فيكون ما نفيا وهذا بعيد
لانه يكون تقديره وما ولد نحذف ما الاولى التي تكون موصولة او موصوفة
لقد خلقنا الانسان في كبد اي في نصب وشدة عن ابن عباس وسعيد بن جبير
والحسن قال يكابد مصائب الدنيا وشدائد الاخرة وقال ابن ادم لا يزال
يكابد امرا حتى يفارق الدنيا وقيل في شدة خلق من حمله وولادته ورضاعه
وفطامه ومعاشه وحياته وموته ثم انه سبحانه لم يخلق خلقا مكابدا ما يكابد
بن آدم وهو مع ذلك اضعف الخلق وقيل في كبد اي قائما على قدميه منتصبا

وكل شيء

وكل شيء خلق فانه يمشي مكبا الا الانسان فانه خلق منتصبا والكبد الاستواء
والاستقامة وهو رواية مقسم بن عباس وهو قول مجاهد وابي صالح
وعكرمة وقيل يريد شدة الامر والنهي اي خلقناه ليعبد تابا لعبادات
الشاقة مثل الاغتسال من الجنابة في البرد والقيام الى الصلوة من النوم
فينبغي له ان يعلم ان الدنيا دار كبد ومشقة والجنة دار الراحة والنعمة
ايحسب ان لن يقدر عليه احد معناه ايظن هذا الانسان انه لا يقدر على
عقابه احد اذا عصى الله تعالى وركب القبائح فبئس الظن ذلك وهذا استفهام
انكار اي لا يظنن ذلك وقيل معناه ايحسب هذا المغرور بماله ان لا يقدر
عليه احد ياخذ ماله عن الحسن وقيل ايحسب ان لا يسال عن هذا المال من اين اكتسبه
وفيما ذا انفقه عن قتاده وقيل انه يعني ابا الاشدين وهو رجل من جمح
كان قويا شديد الخلق بحيث يجلس على اديم عكاظي فيجره العشرة من تحته
فيقطع ولا يبرح من مكانه عن الكلبي ثم اخبر سبحانه عن مقالة هذا الانسان
فقال يقول اهلكت مالا لبدا اي انفقت مالا كثيرا في عداوة النبي صلى الله
عليه وآله يفتخر بذلك وقيل هو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وذلك
انه اذنب ذنبا فاستفتى رسول الله صلى الله عليه وآله فامره ان يكفر فقال
لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد عن مقاتل
ايحسب ان لن يره احد فيطالبه من اين اكتسبه وفيما ذا انفقه عن قتاده وسعيد
بن جبير وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال لا يزول قدما
العبد حتى يسال عن اربع عن عمره فيما افناه وعن ماله من اين جمعه وفيما
انفقه وعن عمله ماذا عمل به وعن حبنا اهل البيت وقيل انه كان كاذبا لم ينفق
ما قاله فقال الله سبحانه انظن ان الله لم يره ذلك فعل او لم يفعل انفق
او لم ينفق عن الكلبي ثم ذكر سبحانه النعم التي انعم بها عليه ليستدل بها على توحيده
فقال الم نجعل له عينين ليبصر بهما آثار حكمه ولسانا وشفتين لينطق بهما

تبين باللسان وتسعين بالشفتين على البيان قال قتاده نعم الله عليك ظاهر فقرزك بها كما تشكر وروى عبد الحميد المدينى عن ابى حازم ان رسول الله قال ان الله تعالى قال يا ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وهديناه النجدين اى سبيل الخير وسبيل الشر عن على عليه السلام وابن مسعود وابن عباس و الحسن ومجاهد وقتاده وقيل معناه ارشدناه للثديين عن سعيد بن المسيب والضحاك وفى رواية اخرى عن ابن عباس وروى انه لامير المؤمنين عليه السلام ان ناسا يقولون فى قوله وهديناه النجدين انهما الثديان فقال لا هما الخير والشر وقال الحسن بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ايها الناس هما نجدان نجد الخير ونجد الشر فاجعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير ولو قيل كيف يكون نجد الشر مرتفعا كنجد الخير ومعلوم انه لا رفعة فى الشر فى الجواب ان الطريقين جميعا ظاهران باديان للمكلفين فسمى سبحانه كلاهما نجدا لظهوره وبروزه ويجوز ان يكون سمى طريق الشر نجدا لما يحصل فى اجتناب سلوكه الرفعة والشرف كما يحصل ذلك فى سلوك طريق الخير وقيل ايضا انه على عادة العرب فى تنبيه الامرين اذا اتفقا على بعض الوجوه فيجرى لفظ احدهما على الاخر كقولهم القمران فى الشمس والقمر قال الفرزدق اخذنا بافاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع ونظايره كثيرة فلا اقتحم العقبة فيه اقوال احدها ان المعنى فلم يقتحم هذا الانسان العقبة ولا جاوزها واكثر ما يستعمل هذا اللفظ بتكرير لا كما قال سبحانه فلا صدق ولا صلى اى لم يصدق ولم يصل وكما قال الحطيئة شعر وان كانت النعماء فيهم جزوا بها وان انعموا لا كدروها ولا كدوا وقد جاء فى غير تكرار نحو قوله ان تغفر اللهم تغفر جما واى عبد لك

لا الما اى لم يذنب والاخر ان يكون على وجه الدعا عليه بان لا يقتحم العقبة كما يقال لا غفر الله له ولا نجا ولا سلم والمعنى لا نجا من العقبة ولا جاوزها والثالث ان المعنى فهلا اقتحم العقبة او فلا اقتحم العقبة عن ابن زيد والجبائى وابى مسلم قالوا ويدل على ذلك قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ولو كان اراد النفى لم يتصل الكلام قال المرتضى قدس الله روحه هذا الوجه ضعيف جدا لان الكلام خال من لفظ الاستفهام وقبيح حذف حرف الاستفهام فى مثل هذا الموضع وقد عيب على عمر بن ابى ربيعة قوله شعر ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب واما قولهم لو اريد النفى لم يتصل الكلام فليس بشىء لان المعنى فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين امنوا اى لم يقتحم ولم يؤمن واما المراد بالعقبة ففيه وجوه احدها انه مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى اعمال الخير والشر فجعل ذلك كتكليف صعود العقبة الشاقة الكؤدة فكانه قال لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وهو قوله وما ادريك ما العقبة اى اقتحام العقبة ثم ذكر فقال فك رقبة وهو تخليصها من اسار الرق الى اخره وثانيها انها عقبة حقيقة قال قتاده هى عقبة شديدة فى النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله عز وجل وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال ان امامكم عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون وانا اريد ان اخفف عنكم لتلك العقبة عن ابن عباس انه قال هى النار وروى عنه ايضا انها عقبة فى النار وثالثها ما روى عن مجاهد والضحاك والكلبى انها الصراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سهلا وصعودا وهبوطا وان بجنبيه كلاليب وخطاطيف كانها شوك السعدان

فمن بين مسلم وناج ومخدوش في النار ومنكوس فمن الناس من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر عليه كالفارس ومنهم من يمر عليه كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون والزالات ومنهم من يكردس في النار واقتحامه على المؤمن كما بين صلوة العصر الى العشاء وقال سفين بن عيينه كل شئ قاله سبحانه وما ادريك فانه اخبره به وكل شئ قال فيه وما يدريك فانه لم يخبره به وروى مرفوعا عن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال ان كنت اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسئلة اعتق النسمة وفك الرقبة فقال اوليسا واحدا قال لا عتق النسمة ان ينفرد بعتقها وفك الرقبة ان يعين في ثمنها والفئ على ذي الرحم الظالم فان لم يكن ذلك فاطعم الجايع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من خير وقيل ان معنى فك رقبة ان يفك رقبته من الذنوب بالتوبة عن عكرمه وقيل اراد فك نفسه من العقاب بتحمل الطاعات عن الجبائي او اطعام في يوم ذي مسغبة اي ذي مجاعة قال ابن عباس يريد بالمسغبة الجوع وفي الحديث عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من اشبع جايعا في يوم سغب ادخله الله يوم القيمة من باب من ابواب الجنة لا يدخلها الا من فعل مثل ما فعل وعن جابر بن عبد الله قال قال عم من موجبات المغفرة اطعام المسلم السغبان وروى محمد بن عمر بن يزيد قال قلت لابي الحسن الرضا عليه السلم ان لي ابنا شديد العلة قال مره يتصدق بالقبضة من الطعام بعد القبضة فان الله تعالى يقول فلا اقتحم العقبة وقرأ الايات يتيما ذا مقربة اي ذا قربى من قرابة النسب والرحم وهذا حث على تقديم ذوي القرابة المحتاجين على الاجانب في الاطعام والانعام او مسكينا اي فقيرا ذا متربة قد لصق بالتراب من شدة فقره وضره وروى مجاهد عن ابن عباس

انه قال

انه قال هو المطروح في التراب لا يقيه شئ وهذا مثل قولهم فقير مدقع فانه ماخوذ من الدقعاء وهو التراب ثم بين سبحانه ان هذه القربة انما تنفع مع الايمان فقال ثم كان من الذين امنوا اي ثم كان مع هذا من جملة المؤمنين الذين استقاموا على ايمانهم وتواصوا بالصبر على فرايض الله والصبر عن معصية الله اي وصى بعضهم بعضا بذلك وتواصوا بالمرحمة اي واوصى بعضهم بعضا بالمرحمة على اهل الفقر وذوي المسكنة والفاقة وقيل تواصوا بالمرحمة فيما بينهم فرحموا الناس كلهم اولئك اصحاب الميمنة يوخذ بهم ناحية اليمين وياخذون كتبهم بايمانهم عن الجبائي وقيل هم اصحاب اليمين والبركة على انفسهم عن الحسن وابي مسلم والذين كفروا باياتنا اي بحججنا ودلالاتنا وكذبوا انبياءنا هم اصحاب المشامة ياخذون كتبهم بشمائلهم ويوخذ بهم ذات الشمال وقيل انهم اصحاب الشوم على انفسهم عليهم نار موصدة اي مطبقة عن ابن عباس ومجاهد وقيل يعني ان ابوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج منه غم ولا يدخل فيها روح اخر الابد عن مقاتل المعنى وجه اتصال قوله سبحانه الم نجعل له عينين بما قبله ان المعنى كيف يحسب هذا الانسان ان الله سبحانه لا يراه وهو الذي خلقه وجعل له عينين كذا وكذا وقيل انه اتصل بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد اي اختبرناه حيث كلفناه ثم ازحنا علته بان جعلنا له عينين وقيل انه يتصل بقوله ايحسب ان لن يقدر عليه احد والمعنى كيف يظن ذلك وقد خلقناه وخلقنا اعضاءه التي يبصر الدلايل بها ويتكلم بها

سورة الشمس مكية ست عشرة اية مكي والمدني الاول وخمس عشرة في الباقين اختلافها اية فعقروها مكي والمدني الاول فضلها ابي بن كعب عنه ع قال من قراها فكانما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر معوية بن عمار عن ابي عبد الله عليه السلم قال من اكثر قراءة والشمس وضحاها والليل اذا يغشى

ر الضحى والم نشرح في يومه او ليلة لم يبق شي بحضرته الا شهد له يوم القيمة
حتى شعره وبشره ولحمه ودمه وعروقه وعظامه وجميع ما اقلت الارض منه
ويقول الرب تبارك وتعالى قبلت شهادتكم لعبدي واجزتها له انطلقوا
به الى الجنان حتى يتخير منها حيث ما احب فاعطوه اياها غير من مني ولكن رحمة
وفضلا مني عليه فهنيئا هنيئا لعبدي تفسيرها لما ختم سبحانه تلك السورة
بذكر النار الموصدة بين في هذه السورة ان النجاة منها لمن زكى نفسه واكده
بان اقسم عليه فقال بسم الله الرحمن الرحيم
وَالشَّمْسِ وَضُحَيهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَيهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّيهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَيهَا
وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَيهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَيهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيهَا فَأَلْهَمَهَا
فُجُورَهَا وَتَقْوَيهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّيهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيهَا كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَيهَا إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَيهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا
فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّيهَا وَلَا يَخَافُ
عُقْبَيهَا القراءة قرأ اهل المدينة وابن عامر فلا يخاف بالفاء وكذلك في مصاحف
اهل المدينة والشام وروى ذلك عن ابي عبد الله عليه السلم والباقون ولا يخاف
بالواو وكذلك هو في مصاحفهم الحجة قال ابو علي الواو يجوز ان يكون
في موضع حال اي فسواها غير خايف عقباها اي غير خايف ان يتعقب عليه
في شي مما فعله وفاعل يخاف الضمير العايد الى قوله ربهم وقيل ان الضمير
يعود الى صالح النبي الذي ارسل اليهم وقيل اذ انبعث اشقاها وهو لا يخاف
عقباها اي لا يخاف من اقدامه على ما اتاه مما نهي عنه ففاعل يخاف العاقر
على هذا والفاء للعطف على قوله فكذبوه فعقروها فلا يخاف كانه منع
تكذيبهم وعقرهم ان لن تخافوا اللغة ضحى الشمس صدر وقت طلوعها وضحى
النهار صدر وقت كونه واضحى يفعل كذا اذا فعله في وقت الضحى وضحى بكبش
او غيره اذا ذبحه في وقت الضحى من ايام الاضحى ثم كثر ذلك حتى لو ذبح في غير ذلك

الوقت

الوقت لقيل ضحى والطحو والدحو بمعنى يقال طحى بك همك يطحو طحوا اذا انبسط
بك الى مذهب بعيد قال علقمة طحا بك قلب في الحسان طروب ويقال طحى القوم بعضهم
بعضا عن الشي اذا دفعوا دفعا شديدا والانبساط والطحو احي النسور
تنبسط حول القتلى واصل الطحو البسط الواسع يقال دسا فلان يدسو دسوا
فهو داس ذكا يزكو زكا فهو زاك وقيل ان اصل دس دسس فابدل من احدى
السينين ياء كما قالوا تظنيت بمعنى تظننت ومنه تقضي البازي اذا البازي
كر بمعنى تقضض وانما يفعلون ذلك كراهية التضعيف والطغوى والطغيان
مجاوزة الحد في الفساد وبلوغ غايته في قراءة الحسن وحماد بن سلمه بطغواها
بضم الطاء وعلى هذا فيكون مصدرا على فعلى كالرجعى والحسنى وانبعث
مطاوع بعث يقال بعثته على الامر فانبعث له والسقيا الحظ من الماء و
النصيب منه والعقر قطع اللحم بما يسيل الدم وهو من عقر الحوض اي اصله
والعقر نقض شي من اصل بنيه الحيوان والدمدمة ترديد الحال المستكرهه
وهي مضاعفة ما فيه المشقة وقال المورج الدمدمة هلاك باستيصال
قال ابن الاعرابي دمدم اي عذب عذابا تاما الاعراب والشمس هذه
الواو الاولى هي التي للقسم وساير الواوات بعدها عطف عليها
الى قوله قد افلح من زكاها وهو جواب القسم والتقدير لقد افلح
وقوله وما بناها وما طحاها وما سواها ما ههنا مصدرية وتقديره
والسماء وبنائها والارض وطحوها ونفس وتسويتها وقيل ان ما في
هذه المواضع بمعنى من اي والذي بناها ويحكى عن اهل الحجاز انهم
يقولون اذا سمعوا صوت الرعد سبحان ما سبحت له اي سبحان
الذي سبحت له ومن سبحت له وقوله ناقة الله وسقياها منصوب
بفعل مضمر اي احذروا ناقة الله وذروا سقياها المعنى والشمس
وضحيها قد تقدم ان الله سبحانه ان يقسم بما يشاء من خلقه تنبيها

على عظم قدرته وكثرة الانتفاع ولما كان قوام العالم من الحيوان والنبات بطلوع الشمس وغروبها اقسم الله سبحانه بها وبضحاها وهو امتداد ضوها وانبساطه عن مجاهد والكلبي وقيل هو النهار كله عن قتادة وقيل حرها عن مقاتل كقوله في طه ولا تضحى اي ولا يؤذيك حرها والقمر اذا تلاها اي تبعها فاخذ من ضوءها وسار خلفها قالوا وذلك في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر في الاضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها ليلة الهلال وهي اول ليلة من الشهر اذا سقطت الشمس روى القمر عند غيبوبتها عن الحسن وقيل في الخامس عشر يطلع القمر مع غروب الشمس وقيل في الشهر كله فهو في النصف الاول يتلوها ويكون امامه وهو وراها وفي النصف الاخر يتلو غروبها بالطلوع والنهار اذا جلاها اي جلى الظلمة وكشفها وجازت الكناية عن الظلمة ولم يذكر لان المعنى معروف غير ملتبس وقيل ان معناه والنهار اذا اظهر الشمس وابرز سمى النهار مجليا لها لظهور جرمها فيه والليل اذا يغشاها اي يغشى الشمس حتى تغيب فتظلم الافاق ويلبسها سواده والسماء وما بناها عن مجاهد والكلبي وقيل والذي بناها عن عطا وقيل معناه والسماء وما بنانها مع احكامها واتساقها وانتظامها والارض وما طحاها فيها وجهان كما ذكرناه اي وطحوها وتسطيحها او بسطها لتمكن الخلق التصرف عليها ونفس وما سواها وهو كما ذكرناه اي وسواها عدل خلقها وسوى اعضاها وقيل سواها بالعقل الذي فضل به ساير الحيوان ثم قالوا يريد جميع ما خلق من الانس والجن عن عطا وقيل تريد بالنفس آدم ومن سواها الله تعالى عن الحسن فالهمها فجورها وتقواها اي عرفها طريق الفجور والتقوى وزهدها في الفجور ورغبها في التقوى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل علمها الطاعة والمعصية لتفعل الطاعة

وتذر المعصية وتجتنبي الخير وتجتنب قد افلح من زكاها على هذا وقع القسم اي قد افلح من زكى نفسه عن الحسن وقتادة اي طهرها واصلحها بطاعة الله وصالح الاعمال وقد خاب من دساها بالعمل الصالح اي اخملها واخفى محلها وقيل اظلها واهلكها عن ابن عباس وقيل اخرجها عن قتادة وقيل معناه قد افلحت نفس زكاها الله وخابت نفس دساها الله اي جعلها قليلة خسيسة وجاءت الرواية عن سعيد بن ابي هلال قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا قرأ هذه الاية قد افلح من زكاها وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقواها انت وليها ومولاها وزكها انت خير من زكاها وروى زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام في قوله فالهمها فجورها وتقواها قال بين لها ما تاتي وما تترك وفي قوله قد افلح من زكاها قال قد افلح من اطاع وقد خاب من دساها قال قد خاب من عصى وقال الثعلبي قد افلح من زكى نفسه بالصدقة والخير وخاب من دس نفسه في اهل الخير وليس منهم ثم اخبر سبحانه عن ثمود قوم صالح فقال كذبت ثمود بطغواها اي بطغيانها ومعصيتها عن مجاهد وابن زيد يعني ان الطغيان حملهم على التكذيب فالطغوى اسم من الطغيان كما ان الدعوى من الدعا وقيل الطغوى اسم العذاب الذي نزل بهم فالمعنى كذبت ثمود بعذابها عن ابن عباس وهذا كما قال فاهلكوا بالطاغية فالمراد كذبت بعذابها الطاغية فاتاها ما كذبت به اذ انبعث اشقاها اي كان تكذيبها حين انبعث اشقى ثمود للعقر ومعنى انبعث انتدب وقام والاشقى عاقر الناقة وهو اشقى الاولين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله واسمه قدار بن سالف قال الشاعر وهو عدي بن زيد
فمن يهدي اخا لذباب لوق فارشوه فان الله جار ولكن اهلكت لوق
كثيرا وقيل اليوم عالجها قدار يعني نزل به العذاب فقال لو فعلت وقد

الرواية بالاسناد عن عثمان بن صهيب عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن ابي طالب عليه السلم من اشقى الاولين قال عاقر الناقة قال صدقت فمن اشقى الاخرين قال قلت لا اعلم يا رسول الله قال الذي يضربك على هذه واشار الى   خه وعن عمار بن ياسر قال كنت انا وعلي بن ابي طالب في غزوة العشيرة نائمين في صور من النخل ودقعاء من التراب فوالله ما اهبنا الا رسول الله يحركنا برجله وقد تتربنا من تلك الدقعاء فقال الا احدثكما باشقى الناس رجلين قلنا بلى يا رسول الله قال احيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه ووضع يده على قرنه حتى تبل منها هذه واخذ بلحيته وقيل ان عاقر الناقة كان اشقر ازرق قصيرا ملتزق الخلق فقال لهم رسول الله صالح ناقة الله فالقراء حذرهم اياها وكل تحذير فهو نصب والتقدير احذروا ناقة الله فلا تعقروها عن الكلبي ومقاتل كما يقال الاسد الاسد اي احذروه وسقياها وهي شربها من الماء وما سقاها اي فلا تزاحموها فيه كما قال سبحانه لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكذبوه اي فكذب قوم صالح صالحا ولم يلتفتوا الى قوله وتحذيره اياهم العذاب بعقرها فعقروها اي فقتلوا الناقة فدمدم عليهم ربهم اي فدمر عليهم ربهم عن عطاء ومقاتل وقيل اطبق عليهم بالعذاب واهلكهم بذنبهم لانهم رضوا جميعا به وحثوا عليه وكانوا قد اقترحوا تلك الاية فاستحقوا بما ارتكبوه من العصيان والطغيان عذاب الاستيصال فسواها اي فسوى الدمدمة عليهم وعمهم فاستوت على صغيرهم وكبيرهم ولم يفلت منها احد منهم وقيل معناه سوى الامة اي انزل العذاب بصغيرها وكبيرها فسوى بينهما فيه عن الفراء وقيل جعل بعضها على مقدار بعض في الاندكاك واللصوق بالارض فالتسوية تصيير الشيء

على مقدار

على مقدار غيره وقيل سوى ارضهم عليهم ولا يخاف عقباها اي لا يخاف الله من احد تبعة في اهلاكهم عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والجبائي والمعنى لا يخاف وان يتعقب عليه في شيء من فعله فلا يخاف عقبى ما فعله بهم من الدمدمة عليهم لان احدا لا يقدر على معارضته والانتقام منه وهذا كقوله لا يسئل عما يفعل وقيل معناه لا يخاف الذي عقرها عقباها عن الضحاك والسدي والكلبي اي لا يخاف عقبى ما صنع بها لانه كان مكذبا بالصالح وقيل معناه ولا يخاف صالح عاقبة ما خوفهم به من العقوبات لانه كان على ثقة من نجاته سورة الليل مكية احدى وعشرون اية بالاجماع فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قراها اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر تفسيرها لما تقدم في تلك السورة بيان حال المؤمن والكافر عقبه سبحانه بمثل ذلك في هذه السورة فاتصلت بها اتصال النظير فقال بسم الله الرحمن الرحيم

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى

القراءة في الشواذ قراءة النبي صلى الله عليه وآله وقراءة علي بن ابي طالب عليه السلم وابن مسعود وابي الدرداء وابن عباس والنهار اذا تجلى وخلق الذكر والانثى بغير ما وروي ذلك عن ابي عبد الله عليه السلم   قال ابن جني في هذه القراءة شاهد لما اخبرنا به ابو بكر عن ابي العباس احمد بن يحيى قراءة بعضهم وما خلق الذكر والانثى بالجر

وذلك ابتجرة لكونه بدلا من انا فقراه النبي صلى الله عليه وآله شاهده لصحة
ذلك اللغز شتى اى متفرق على تباعد ما بين الشيئين جدا ومنه شتان
اى بعد ما بينهما جدا كبعد ما بين الثرى والثريا وتشتت امر القوم
وشتتهم الزمان واليسرى تانيث الايسر والعسرى تانيث الاعسر من اليسر
والعسر والتلظى تلهب النار بشدة الايقاد تلظت النار تتلظى فحذف
احدى التاءين تخفيفا وقراء ابن كثير تلظى بتشديد التاء ادغم
احدى التاءين في الاخرى والتجنب تصيير الشيء في جانب من غيره
الاعراب وما خلق الذكر والانثى ان ما مصدرية فهو في موضع الجر
والتقدير وخلق الذكر اى وخلقه الذكر والانثى وان جعلتها بمعنى
فكذلك و الحسنى حذف موصوفها اى وصدق بالخصلة الحسنى
وكذا اليسرى والعسرى التقدير فيهما للطريقة اليسرى والطريقة
العسرى و يتزكى في موضع نصب على الحال و يجوز ان يكون منصوب
الموضع او مرفوعا على تقدير حذف ان اى لان يتزكى فحذف اللام ثم
فصار ان يتزكى ثم حذف ان ايضا كما في قول طرفة شعر الا ايهذا الزاجري احضر
اى احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي وى احضر بالرفع
والنصب وما لاحد عنده من نعمة تجزى من نعمة الجار والمجرور في موضع
رفع ومن مزيدة لتاكيد النفي وافادة العموم وتجزى جملة مجرورة
الموضع لكونها صفة لنعمة والتقدير من نعمة مجزية وابتغاء منصوب
لانه مفعول له والعامل فيه نوتي اى وما يوتي ماله الا ابتغاء وجه
ربه اى لطلب ثواب ربه ولم يفعل ذلك مجازاة لبيد قد اسديت عليه
المعنى والليل اذا يغشى اقسم الله سبحانه بالليل اذا يغشى بظلمة النهار
وقيل اذا يغشى بظلمته الافق وجميع ما بين السماء والارض والمعنى اذا
اظلم وادلهم وغشى الانام بالظلام لما في ذلك من الهول المحرك للنفس بالاستعظام

والنهار اذا تجلى

والنهار اذا تجلى اى بان وظهر من بين الظلمة وفيه اعظم النعم اذ لو كان
الدهر كله ظلاما لما امكن الخلق طلب معايشهم ولو كان ذلك كله
ضياء لما انتفعوا بسكونهم وراحتهم فلذلك كرر سبحانه ذكر الليل
والنهار في السورتين لعظم قدرهما في باب الدلالة على مواقع حكمته وما
خلق الذكر والانثى اى والذى خلق عن الحسن والكلبي وعلى هذا يكون
ما بمعنى من وقيل معناه خلق الذكر والانثى مقاتل قال مقاتل والكلبي
والذكر والانثى عن مقاتل آدم وحوى وقيل اراد كل ذكر وانثى من الادميين
وغيرهم ان سعيكم لشتى هذا جواب القسم والمعنى ان اعمالكم المختلفة فعمل
للجنة وعمل للنار عن ابن عباس وقيل ان سعيكم لمتعرض ساع في فكاك
رقبته وساع في هلاكه وساع للدنيا وساع للعقبى وروى الواحدي
بالاسناد المتصل المرفوع عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا كانت له نخلة
فرعها في دار رجل فقير ذى عيال وكان الرجل اذا جاء فدخل الدار وصعد
النخلة لياخذ منها التمر فربما سقطت الثمرة فياخذها صبيان الفقير
فينزل الرجل من النخلة حتى ياخذ التمر من ايديهم فان وجدها في فم
احدهم ادخل اصبعه حتى ياخذ الثمرة من فيه فشكا ذلك الرجل الى النبي صلعم
واخبره بما يلقى من صاحب النخلة فقال له النبي صلى الله عليه وآله اذهب
ولقى رسول الله صلعم صاحب النخلة فقال تعطيني نخلتك المايلة التي
فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال له الرجل ان لي نخلا
كثيرا وما فيه نخلة اعجب الى ثمرة منها ثم ذهب الرجل فقال رجل يسمع
الكلام من رسول الله يا رسول الله تعطيني ما اعطيت الرجل نخلة
في الجنة ان انا اخذتها قال نعم فذهب الرجل ولقي صاحب النخلة فساومها
منه فقال له اشعرت ان محمدا اعطاني بها نخلة في الجنة فقلت يعجبني ثمرها
وان لي نخلا كثيرا فما فيه نخلة اعجب الى ثمرة منها فقال له الاخر تريد بيعها

فقال لا الا ان اعطى ما لا اظنه اعطى قال فما هناك قال اربعون نخلة
فقال الرجل جئت بعظيم تطلب نخلتك المايلة اربعين نخلة ثم سكت
عنه فقال له انا اعطيك اربعين نخلة فقال له اشهد ان كنت صادقا
فمر الى ناس قد عاهم فاشهد له باربعين نخلة ثم ذهب الى النبي صلى الله
عليه وآله فقال يا رسول الله ان النخلة قد صارت في ملكي فهي لك
فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله الى صاحب الدار فقال له النخلة
لك ولعيالك فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى السورة وعن عطا
اسم الرجل ابو الدحداح فاما من اعطى واتقى وهو ابو الدحداح
واما من كذب واستغنى هو صاحب النخلة وقوله لا يصلاها الا الا
شقى هو صاحب النخلة وسيجنبها الاتقى ابو الدحداح ولسوف يرضى
اذا ادخله الجنة قال فكان النبي صلى الله عليه وآله يمر بذلك الحش
وعذوقه دانية فيقول عذوق وعذوق لابي الدحداح في الجنة وعن
ابن الزبير قال ان الاية نزلت في ابي بكر لانه اشترى المماليك الذين
اسلموا مثل بلال وعامر بن فهيرة وغيرهما واعتقهم والاولى ان تكون
الايات محمولة على عمومها في كل من يعطي حق الله من ماله وكل من يمنع
حقه سبحانه وروى العياشي ذلك باسناده عن سعد الاسكاف عن
ابي جعفر عليه السلم قال فاما من اعطى مما اتاه الله واتقى وصدق بالحسنى
اي بان الله يعطي بالواحد عشرا الى اكثر من ذلك وفي رواية اخرى
الى ماية الف فما زاد فسنيسره لليسرى قال لا يريد شيئا من الخير
الا يسره الله واما من بخل بما اتاه واستغنى وكذب بالحسنى فان الله
يعطي بالواحد عشرا الى اكثر من ذلك واخرى الى ماية الف فما زاد
فسنيسره للعسرى قال لا يريد شيئا من الشر الا يسره له قال ثم قال ابو جعفر ع
وما يغني عنه ماله اذا تردى في نار جهنم فعلى هذا يكون قوله وصدق

بالحسنى

بالحسنى معناه بالعدة الحسنى وهو قول ابن عباس وعكرمة وقتادة وقيل
بالجنة التي هي ثواب المحسنين عن الحسن ومجاهد والجبائي وقوله فسنيسره
لليسرى معناه فسنهون عليه الطاعة مرة بعد مرة وقيل معناه سنهيئه
ونوفقه للطريقة اليسرى اي سنسهل عليه فعل الطاعة حتى يقوم اليها
بجد وطيب نفس وقيل معناه نيسره للخصلة اليسرى والحالة اليسرى
وهو دخول الجنة واستقبال الملائكة اياه بالتحية والبشرى وقوله
واما من بخل اي ضن بماله الذي لا يبقى له وبخل بحق الله فيه واستغنى
اي التمس معنى بذلك المنع لنفسه وقيل معناه انه عمل عمل من هو مستغن
عن الله وعن رحمته وكذب بالحسنى اي بالخير والثواب والوعد بالخلف
فسنيسره للعسرى هو على من وجه الكلام والمراد به التمكين اي نخلي
بينه وبين الاعمال الموجبة للعذاب والعقوبة وما يغني عنه ماله اذا
تردى اي سقط في النار عن قتاده وابي صالح وقيل اذا مات وهلك
عن مجاهد وقيل للحسن ان فلان جمع مالا فقال هل جمع ذلك عمرا قالوا لا قال
فما تصنع الموتى بالاموال ان علينا للهدى معناه ان علينا البيان الهدى
بالدلالة عليه فاما الاهتداء فاليكم اخبر سبحانه ان الهدى واجب عليه ولو جاز
الاضلال عليه لما وجبت الهداية قال قتاده معناه ان علينا بيان الطاعة
والمعصية وان لنا للآخرة والاولى وان لنا ملك الآخرة وملك
الاولى فلا يزيد ملكنا اهتداء من اهتدى ولا ينقص منه عصيان من عصى
ولو نشاء لمنعناهم عن ذلك قسرا وجبرا ولكن التكليف اقتضى ان نعمهم
بيانا وامرا ونهيا ثم خوف سبحانه العادل عن الهدى فقال فانذرتكم
نارا تلظى اي خوفتكم نارا تتلهب وتتوهج وتتوقد لا يصلاها اي لا يدخل
تلك النار ولا يلزمها الا الاشقى وهو الكافر بالله الذي كذب بايات الله
ورسله وتولى اي اعرض عن الايمان وسيجنبها اي سيجنب النار ويجعل منها

على جانب الاتقى المبالغ فى التقوى الذى يؤتى ماله ينفقه فى سبيل الله يتزكى
يطلب ان يكون عند الله زكيا لا يطلب بذلك رياء ولا سمعة قال القاضى
قوله لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى لا يدل على انه تعالى لا يدخل
النار الا الكافر على ما تقوله الخوارج وبعض المرجئة وذلك لانه نكر النار
المذكورة ولم يعرفها والمراد بذلك ان نارا من النيران لا يصليها
الا من هذه حاله والنيران دركات على ما بينه سبحانه فى سورة النساء
فى شان المنافقين فمن اين عرف ان هذه النار لا يصلاها قوم آخرون
وبعد فان الظاهر من الاية يوجب انه لا يدخل النار الا من كذب وتولى
وجمع بين الامرين ولا بد للقوم من القول بخلافه لانهم يوجبون النار
لمن يتورع عن كثير من الواجبات وان لم يكذب وقيل ان الاتقى والا
شقى المراد بهما التقى والشقى كما قال طرفة المعنى تمنى رجال ان اموت
وان امت فتلك سبيل لست فيها باوحد واراد بواحد ثم وصف سبحانه
الاتقى فقال وما لاحد عنده من نعمة تجزى اى لم يفعل الاتقى ما فعله
من ايتاء المال وانفاقه فى سبيل الله ابتداء سديت اليه يكافى عليها
ولا ليد يتخذها عند احد من الخلق الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اى ولا
كنه فعل ما فعل يبتغى به وجه الله ورضاه وثوابه وانما ذكر الوجه
طلبا لشرف الذكر والمعنى الا الله ولا ابتغاء ثواب الله ولسوف يعطيه
الله من الجزاء والثواب ما يرضى به فانه يعطيه كل ما تمنى ولم يخطر
باله فيرضى به لا محالة سورة الضحى مكية احدى عشرة آية بالاجماع
فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال ومن قرأها
كان ممن يرضاه الله ولمحمد ان يشفع له وله عشر حسنات بعدد
كل يتيم وسائل تفسيرها ختم الله سبحانه تلك السورة بالاتقى يعطيه
من الثواب بانه يرضى وافتتح هذه السورة بانه يرضى نبيه بما يؤتيه

يوم القيمة من الكرامة والزلفى فقال بسم الله الرحمن الرحيم
والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير
لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى الم يجدك يتيما
فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى فاما
اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربك فحدث
القراءة فى الشواذ عن النبى صلى الله عليه وآله وعروة بن الزبير ما ودعك
بالتخفيف والقراءة المشهورة بالتشديد وعن اشهب العقيلى فاوى
بغير مد وعن ابى السميع عيلا بالتشديد وعن النخعى والشعبى
فلا تكهر وكذلك فى مصحف عبد الله الحجة قال ابن جنى ودع بالتخفيف
قل استعماله قال سيبويه استغنوا عن وذر وودع بقولهم ترك
وانشد ابو على فى شعر ابى الاسود قوله شعر ليت شعرى عن خليلى ما
الذى غاله فى الحب حتى ودعه واما قوله فاوى فانه من اويته
اى رحمته واما عيل فانه فعيل من العيلة وهى الفقر وهو مثل
العائل ومعناهما ذو العيلة من غير حاجة يقال عال الرجل يعيل
عيلة اذا كثر عياله وافتقر قال الشاعر وما يدرى الفقير متى
غناه وما يدرى الغنى متى يعيل اى متى يفتقر واما الكهر فهو
مثل القهر والعرب قد تعاقب بين القاف والكاف وفى حديث معوية
بن الحكم الذى تكلم فى الصلوة ما كهرنى ولا ضربنى اللغة السجو السكون
وطرف ساج وبحر ساج قال الاعشى شعر فما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم
وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا وقال آخر شعر يا حبذا القمراء و
الليل الساج وطرق مثل ملاء النساج والقلى البغض اذا كسرت
القاف قصرت واذا فتحت مددت قال عليك السلام لا مللت قربه وما لك
عندى ان نايت قلاء ونهره وانتهره بمعنى وهو ان يصيح فى وجه السائل

الطالب للرقد الاعراب ماقلى اى وماقلاك وكذلك قوله فاوى فاغنى
تقديره فاواك فاغناك والمفعول فى هذه الاى محذوف قال ولسوف
يعطيك ولم يقل يعطيك وان كان جواب لان النوى انما يدخل للتوذن
بان اللام لام القسم لالام الابتداء وقد حصل العلم بان هذه اللام
القسم لالابتداء لدخوله على سوف لان لام الابتداء لا يدخل على سوف لان
سوف يختص بالافعال ولام الابتداء انما تدخل على الاسماء فاما اليتيم
فلا تقهر تقديره فيهما من شئ فلا تقهر اليتيم ثم اقيم اما مقام فصل
اما فلا تقهر اليتيم ثم قدموا المفعول على الفا كراهة لان تكون الفاء التى
من شانها ان يكون متبعة شيئا شيئا اول الكلام وان يجتمع فى اللفظ
مع اما فيكون على خلاف اصول كلامهم وكذلك واما بنعمة ربك فحدث
النزول قال ابن عباس احتبس الوحى عنه عليه السلام خمسة عشر يوما فقال
المشركون ان محمدا قد ودعه ربه وقلاه ولو كان امره من الله تعالى
لتتابع عليه فنزلت السورة وقيل انما احتبس الوحى اثنا عشر يوما عن ابن
جريج وقيل اربعين يوما عن مقاتل وقيل ان المسلمين قالوا اما ينزل
عليك الوحى يا رسول الله فقال وكيف ينزل على الوحى وانتم لا تنقون
رواجبكم ولا تقلمون اظفاركم ولما نزلت السورة قال النبى صلى الله عليه وآله
لجبرئيل عليه السلام ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبرئيل وانا كنت اشد
اليك شوقا ولكنى عبد مامور وما نتنزل الا بامر ربك وقيل سالت اليهود
رسول الله عن ذى القرنين واصحاب الكهف وعن الروح فقال ساخبركم
غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه هذه الايام فاغتم لشماتة الاعداء فنزلت
السورة تسلية لقلبه وقيل ان النبى صلى الله عليه وآله رمى بحجر فى اصبعه فقال
هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت فمكث ليلتين او ثلاثا لا يوحى
اليه فقالت له ام جميل بنت حرب امراة ابى لهب يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك

لم اره قربك

٣٦٣

لم اره قربك منذ ليلتين او ثلث فنزلت السورة المعنى والضحى اقسم سبحانه بضوء
النهار كله من قولهم ضحى فلان للشمس اذا ظهر لها وبدا عليه قوله فى مقابلة
والليل اذا سجى اى سكن واستقر ظلامه وقيل ان المراد بالضحى اول ساعة
من النهار وقيل صدر النهار وهى الساعة التى فيها ارتفاع الشمس
واعتدال النهار فى الحر والبرد فى الشتاء والصيف وقيل معناه رب
الضحى ورب الليل اذا سجى عن الجبائى وقيل اذا سجى اى غطى بالظلمة كل شئ
عن عطا والضحاك وقيل اذا اقبل ظلامه عن الحسن ما ودعك ربك وما قلى
هذا جواب عن القسم ومعناه ما تركك يا محمد ربك وما قطع الوحى عنك
توديعا لك وما قلاك اى ما ابغضك منذ اصطفاك وللاخرة خير
لك من الاولى يعنى ان ثواب الاخرة والنعيم الدائم فيها خير لك من الدنيا
الفانية والكون فيها وقيل ان له فى الجنة الف الف قصر من اللؤلؤ ترابه
من المسك فى كل قصر ما ينبغى له من الازواج والخدم وما يشتهى على اتم الوصف
عن ابن عباس وقيل معناه وللاخرة عمرك الذى بقى خير لك من اوله لما يكون
لك فيه من الفتوح والنصرة ولسوف يعطيك ربك فترضى معناه ولسوف يعطيك
ربك فى الاخرة من الشفاعة والحوض وساير انواع الكرامة فيك وفى امتك
ما ترضى به وروى الحرث بن شريح عن محمد بن على بن الحنفية انه قال يا اهل
العراق تزعمون ان ارجى اية فى كتاب الله عز وجل يا عبادى الذين اسرفوا
على انفسهم الاية وانا اهل البيت نقول ارجى فى كتاب الله ولسوف يعطيك ربك
فترضى وهى والله الشفاعة ليعطينها فى اهل لا اله الا الله حتى يقول رب
رضيت وعن الصادق عليه السلام قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآله
على فاطمة عليها السلام وعليها كساء من ملة الابل وهى تطحن بيدها وترضع
ولدها فدمعت عينا رسول الله لما ابصرها فقال يا بنتاه تعجلى مرارة
الدنيا بحلاوة الاخرة فقد انزل الله على ولسوف يعطيك ربك فترضى

وقال يزيد بن علي ان من رضا رسول الله ان يدخل اهل بيته الجنة وقال الصادق
عليه السلام رضى جدى ان لا يبقى فى النار موحد ثم عدد سبحانه عليه نعمه فى دار
الدنيا فقال الم يجدك يتيما فاوى قيل معناه قولان احدهما انه تقرير لنعمه
الله عليه حين مات ابوه وبقى يتيما فاواه الله بان سخرله اولا عبد المطلب
ثم لما مات عبد المطلب قيض له ابا طالب فسخره للاشفاق عليه وحببه اليه حتى كان
احب اليه من اولاده وكفله ورباه واليتيم من لا اب له وكان النبى صلى الله
عليه وآله مات ابوه وهو فى بطن امه وقيل انه مات بعد ولادته بمدة قليلة
وماتت امه وهو ابن سنتين ومات جده وهو ابن ثمانى سنين فسلمه الى ابى طالب
لانه كان اخا عبد الله لامه فاحسن تربيته وسئل الصادق عليه السلام لم اوتم النبى
عن ابويه فقال لئلا يكون لمخلوق عليه حق والاخران يكون المعنى الم يجدك
واحدا لا مثل لك فى شرفك وفضلك فاواك الى نفسه واختصك برسالته
من قولهم درة يتيمة اذا لم يكن لها مثل قال شعر ولا درة يتيمة بحر تلالا فى جونة
البياع وقيل فاواك اى جعلك ماوى للايتام بعد ان كنت يتيما وكفيلا
للانام بعد ان كنت مكفولا عن الماوردى ثم ذكر نعمة اخرى فقال ووجدك
ضالا فهدى قيل فى معناه اقوال احدها وجدك ضالا عما انت عليه الآن
من النبوة والشريعة اى كنت غافلا عنهما فهداك عن الحسن والضحاك والجبائى
ونظيره ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وقوله وان كنت من قبله
لمن الغافلين فمعنى الضلال على هذا هو الذهاب عن العلم بمثل قوله ان تضل
احديهما فتذكر احديهما الاخرى وثانيها ان المعنى وجدك متحيرا لا تعرف
وجوه معاشك فهداك الى وجوه معاشك فان الرجل اذا لم يهتد طريق
مكسبه ووجه معيشته يقال انه ضال لا يدرى الى ابن يذهب ومن اى وجه يكتسب
عن ابى مسلم وفى الحديث نصرت بالرعب وجعل رزقى فى ظل رمحى يعنى الجهاد وثالثها
ان المعنى وجدك لا تعرف الحق فهداك اليه باتمام العقل ونصب الادلة والالطاف

حتى عرفت الله

٣٧٣

حتى عرفت الله بصفاته بين قوم ضلال مشركين وذلك نعم الله سبحانه عليك
ورابعها وجدك ضالا فى شعاب مكة فهداك الى جدك عبد المطلب
فروى انه ضل فى شعاب مكة وهو صغير فرآه ابو جهل ورده الى جده عبد المطلب
فمن الله سبحانه بذلك عليه اذ رده الى جده على يد عدوه عن ابن عباس وخامسها
ما روى ان حليمة بنت ابى ذويب لما ارضعته مدة وقضت حق الرضاع ثم
ارادت رده على جده جاءت به حتى قربت من مكة فضل فى الطريق فطلبته
جزعة وكانت تقول لئن لم اره لارمين نفسى من شاهق وجعلت تصيح
وامحمداه قالت فدخلت مكة على تلك الحال فرايت شيخا متوكيا على عصا
فسالنى عن حالى فاخبرته فقال لا تبكى وانا ادلك على من يرده عليك فاشار
الى هبل صنمهم الاعظم ودخل البيت وطاف بهبل وقبل راسه وقال يا سيداه
لم تزل منتك جسيمة رد محمدا على هذه السعدية قال فتساقطت الاصنام
لما تفوه باسم محمد وسمع صوت ان هلاكنا على يدى محمد فخرج واسنانه تصطك
وخرجت الى عبد المطلب واخبرته بالحال فخرج وطاف بالبيت ودعا الله سبحانه
فنودى واشعر بمكانه فاقبل عبد المطلب يتلقاه وورقة بن نوفل فى الطريق
فبينما يسيران اذ النبى صلى الله عليه وآله قايم تحت شجرة يجذب الاغصان
ويعبث بالورق فقال عبد المطلب فداك نفسى وحمله ورده الى مكة عن كعب
وسادسها ما روى انه عليه السلام خرج مع عمه ابى طالب فى قافلة ميسرة غلام
فبينا هو راكب ذات ليلة ظلماء جاء ابليس فاخذ بزمام ناقته فعدل به عن
الطريق فجاء جبرئيل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة دفع منها الى الحبشة ورده الله
الى القافلة فمن الله عليه بذلك عن سعيد بن المسيب وسابعها ان المعنى
وجدك مضلولا عنك فى قوم لا يعرفون حقك فهداهم الى معرفتك
وارشدهم الى فضلك والاعتراف بصدقك والمراد انك كنت خاملا لا تذكر
ولا تعرف فعرفك الله الناس حتى عرفوك وعظموك ووجدك عايلا اى فقيرا

الا مال لك فاغناك بمال خديجة وبالغنايم وقيل فاغناك بالقناعة ورضاك بما اعطاك
واختاره الفراء قال لم يكن غنى عن كثرة لكن الله سبحانه ارضاه بما اتاه من الرزق
وذلك حقيقة الغنى وروى العياشي باسناده عن ابي الحسن الرضا عليه السلام في قوله
الم يجدك يتيما فاوى قال فرد الا مثل لك في المخلوقين فاوى الناس اليك ووجدك
ضالا اى في ضالة في قوم لا يعرفون فضلك فهداهم اليك ووجدك عائلا
يقول اقواما بالعلم فاغناهم بك وروى ان النبي صلى الله عليه وآله قال المن على ربي
وهو اهل المن وقد طعن بعض الملحدين فقال كيف يحسن الامتنان بالانعام وهل
يكون هذا من فعل الكرام والجواب ان المن انما يقبح من المنعم اذا اراد به
الغض من المنعم عليه الذي له فاما من اراد التذكير لشكر نعمته والترغيب فيه
ليستحق الشاكر المزيد فانه في غاية الحسن ولان من كمال الجود وتمام الكرم تعريف
المنعم عليه انه انما نعم عليه ليسال جميع ما يحتاج اليه فيعطى ثم اوصاه سبحانه باليتامى
والفقراء فقال فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه
كما كانت تفعل العرب في امر اليتامى عن الفراء والزجاج وقيل معناه لا تحتقر
اليتيم فقد كنت يتيما عن مجاهد وكان النبي صلى الله عليه وآله يحسن الى اليتامى
ويبرهم ويوصي بهم وجاء في الحديث عن ابن اوفى قال كنا جلوسا عند رسول
الله صلى الله عليه وآله فاتاه غلام يتيم واخت لي يتيمة وام لي ارملة اطعمنا
مما اطعمك الله واعطاك الله مما عنده حتى ترضى قال ما احسن ما قلت
يا غلام اذهب يا بلال فاتنا بما كان عندنا فجاء بواحدة وعشرين تمرة
فقال سبع لك وسبع لاختك وسبع لامك فقام اليه معاذ بن جبل فمسح راسه
وقال جبر الله يتمك وجعلك خلفا من ابيك وكان من ابناء المهاجرين
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله رايتك يا معاذ وما صنعت قال رحمته
قال لا يلي احد منكم يتيما فيحسن ولايته ويضع يده على راسه الا كتب الله له بكل شعرة
حسنة ومحى عنه بكل شعرة سيئة ورفع له بكل شعرة درجة عن عبد الله بن مسعود

قال قال رسول الله

قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من مسح على راس يتيم كان له بكل شعرة
تمر على يده نور يوم القيمة وقال عليه السلام انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة
اذا اتقى الله عز وجل واشار بالسبابة والوسطى وعن عمر بن الخطاب
عن النبي صلى الله عليه وآله قال ان اليتيم اذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن
فيقول الله تعالى لملايكته يا ملايكتي من ابكى هذا اليتيم الذي غيب ابوه
في التراب فيقول الملايكة انت اعلم فيقول الله تعالى يا ملايكتي فاني اشهدكم
ان لمن اسكته وارضاه ان ارضيه يوم القيمة فكان عمر اذا راى يتيما مسح راسه
واعطاه شيئا فاما السايل فلا تنهر اي لا تنهر السايل ولا ترده اذا اتاك يسالك
فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا وفي الحديث عن انس
بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا اتاك سايل على فرس باسط
كفه فقد وجب له الحق ولو بشق تمرة قال ابو مسلم يريد كما اعطاك الله
ورحمك وانت عايل فاعط سايلك وارحمه وقال الجبائي المراد بها جميع
المكلفين وان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وقيل ان المراد بالسايل
طالب العلم وهو متصل بقوله ووجدك ضالا فهدى عن الحسن والمعنى علم
من يسالك كما علمك الله الشرايع وكنت بها غير عالم واما بنعمة ربك
فحدث معناه اذكر نعمة الله تعالى واظهرها وحدث بها وفي الحديث
من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير
والتحدث بنعم الله شكر وتركه كفر وقيل يريد بالنعمة القران عن الكلبي
قال وكان القران اعظم ما انعم الله عليه به فامره ان يقرء به وقيل يريد
بالنبوة التي اتاكها الله وهي اجل النعم وقيل معناه اشكر لما ذكر من النعمة
عليك في هذه السورة قال الصادق عليه السلام معناه فحدث بما اعطاك الله
وفضلك ورزقك واحسن اليك وهداك النظم وجه اتصال قوله وللآخرة
خير لك من الاولى بما قبله ان قوله ما ودعك ربك وما قلى انبانا المحبة

سبحانه اياه وانعامه عليه فاتصل هذا ايضا به والتقدير ليس الامر كما قالوا
بل الوحي ياتيك ما عمرت وتدوم مجيك وما اعطيتك في الاخرة من الشرف
ورفعة المنزلة خير مما اعطيتك اليوم فاذا حسدوك على ذلك فكيف
بهم اذا راوا ذلك واما اتصال قوله الم يجدك بما قبله ووجهه
اتصال ذكر النعمة بذكر النعم والتقدير انه سبحانه سينعم عليك مستقبل
امرك كما انعم عليك في الماضي من امرك سورة الم نشرح مكية وهي ثماني ايات
بالاجماع فضلها ابي بن كعب عنه قال من قراها اعطي من الاجر كمن لقي محمدا
مغتما ففرج عنه وروى اصحابنا ان الضحى والم نشرح سورة واحدة لتعلق
احديهما بالاخرى ولم يفصلوا بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وجمعوا بينهما
في ركعة الواحدة في الفريضة وكذلك القول في سورة الم تر كيف ولايلاف
قريش والسياق يدل على ذلك لانه قال الم يجدك يتيما فاوى الى اخرها
ثم قال

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت
فانصب والى ربك فارغب اللغة الشرح فتح الشيء باذهاب ما يصد
عن ادراكه واصل الشرح التوسعة ويعبر عن السرور بسعة القلب وشرحه
وعن الهم بضيق القلب لانه يورث ذلك والوزر الثقل في اللغة ومنه اشتق
اسم الوزير لتحمله اثقال الملك وانما سميت الذنوب اوزارا لما يستحق
عليها من العقاب العظيم والانقاض الاثقال الذي كان ينتقض به
ما حمل عليه والنقض والهدم واحد ونقض المذهب ابطاله بما يفسده
وبعير نقض سفر اذا اثقله السفر والنصب التعب والنصب الهم فهو منصب
قال الشاعر شعر تغشاك هم من اميمة منصب هم ناصب ذو النصب التعب والنصبه
الهم فهو منصب قال الشاعر تغشاك هم من اميمة منصب هم ناصب ذو النصب

قال النابغة

قال النابغة كليني لهم يا اميمة ناصب المعنى ثم اقسم سبحانه تعداد نعمه على نبيه
عليه السلام فقال الم نشرح لك صدرك روى سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لقد سالت ربي مسئلة وددت
اني لم اساله قلت اي رب انه قد كانت انبياء قبلي منهم من سخرت له الريح
ومنهم من كان يحيي الموتى ومنهم قال فقال الم اجدك يتيما فاويتك
قال قلت بلى قال الم اجدك ضالا فهديتك قال قلت بلى اي رب قال
الم نشرح صدرك ووضعت عنك وزرك قال قلت بلى اي رب
والمعنى الم نفتح لك صدرك ونوسع قلبك بالنبوة والعلم حتى قمت
باداء الرسالة وصبرت على المكاره واحتمال الاذى واطمانت الى الايمان
فلم تضق به ذرعا ومنه تشريح اللحم لانه فتحه بترقيقه فشرح سبحانه صدره
بان ملاه علما وحكمة ورزقه حفظ القرآن وشرائع الاسلام
ووعى عليه بالصبر والاحتمال وقيل انه عليه السلام قد كان ضاق صدره
بمعادات الجن والانس له ومناصبتهم له فاتاه الله من الايات
ما اتسع به صدره بكل ما حمله الله اياه وامره به وذلك من اعظم
النعم عن البلخي وقيل معناه الم نشرح صدرك باذهاب الشواغل
التي تصد عن ادراك الحق وعن ابن عباس قال سئل النبي ع
فقيل يا رسول الله اينشرح الصدر قال نعم قالوا يا رسول الله وهل
لذلك علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار
الخلود والاعداد للموت قبل نزول الموت ومعنى الاستفهام في
الاية التقرير اي قد فعلنا ذلك ويدل عليه قوله في العطف عليه
ووضعنا عنك وحططنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك اي اثقله
حتى تسمع له نقيضا اي صوتا عن الزجاج قال وهذا مثل معناه انه
لو كان حملا لسمع نقيض ظهره وقيل ان المراد به تخفيف اعباء النبوة

التي تثقل الظهر من القيام بامرها سهل الله ذلك عليه حتى تيسر له ومن عليه
بذلك عن ابي عبيد وعبد العزيز بن يحيى وقيل معناه وازلنا عنك
همومك التي تثقلك من اذى الكفار فشبه الهموم بالحمل والعرب تجعل
الهم ثقلا عن ابي مسلم وقيل معناه وعصمناك عن احتمال الوزر قال في العصم
من الوضع ان لا يكون ثقل فانا عصم كان ابلغ في ان لا يكون قال المرتضى
قدس الله روحه انما سميت الذنوب بانها اوزار الا انها تثقل كاسبها
وحاملها فكل شيء اثقل الانسان وغمه وكده جاز ان يسمى وزرا فلا يمتنع
ان يكون الوزر في الاية انما اراد به غمه عليه السلم بما كان عليه قومه من الشرك
وانه واصحابه بينهم مقهور ومستضعف فلما اعلى الله كلمته وشرح صدره
وبسط يده خاطبه بهذا الخطاب تذكيرا له بموقع النعمة عليه ليقابله بالشكر
ويؤيده ما بعده من الايات فان اليسر بازالة الهموم اشبه والعسر بالشدائد
والغموم اشبه فان قيل ان السورة مكية نزلت قبل ان يعلي الله كلمة اهل
الاسلام فلا وجه لقولكم قلنا انه سبحانه لما بشره بانه يعلي دينه على الدين
كله ويظهر على اعاديه كان بذلك واضعا عنه ثقل غمه بما كان يلحقه من اذى
قومه ومبدله عسره يسرا فانه يثق بان وعد الله حق ويجوز ايضا ان يكون
اللفظ وان كان ماضيا فالمراد به الاستقبال كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب
النار ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ولهذا نظاير كثيرة ورفعنا
لك ذكرك اي قرنا ذكرك بذكرنا حتى لا اذكر الا وتذكر معي يعني في الاذان
والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر عن الحسن وغيره قال قتاده رفع الله
ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة الا ينادي به
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وفي الحديث عن ابي
سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله في هذه الاية قال قال لي جبرئيل قال
الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي وفي هذا يقول حسان بن ثابت يمدح النبي صلى الله عليه وآله

شعر

شعر اغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد وضم الاله اسم النبي
الى اسمه اذا قال في الخمس المؤذن اشهد وشق له من اسمه ليجله فذو العرش
محمود وهذا محمد ثم وعد سبحانه اليسر والرخا بعد الشدة وذلك انه كان بمكة
في شدة قال فان مع العسر يسرا اي مع الفقر سعة عن الكلبي وقيل معناه ان مع
الشدة التي انت فيها من اقوال المشركين يسرا ورخاء بان يظهرك الله عليهم
حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به طوعا او كرها ثم كرر ذلك فقال ان مع العسر يسرا
روى عطا عن ابن عباس قال يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين
فلن يغلب عسر يسرين وعن الحسن قال خرج النبي صلى الله عليه وآله مسرورا فرحا
وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا
قال الفراء ان العرب يقول اذا ذكرت نكرة ثم اعدتها نكرة مثلها صارتا
اثنتين كقولك اذا كسبت درهما فانفق درهما فالثاني غير الاول واذا اعدتها
معرفة فهي هي كقولك اذا اكتسبت درهما فانفق الدرهم فالثاني هو الاول
ونحو هذا ما قال الزجاج انه ذكر العسر مع الالف واللام ثم ثنى ذكره فصار
المعنى ان مع العسر يسرين وقال صاحب كتاب النظم في تفسير هذه الاية ان الله
بعث نبيه وهو مقل مخف وكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا له ان كان بك
من هذا القول الذي تدعيه طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كايسر اهل مكة
فكره النبي صلى الله عليه وآله ذلك فظن ان قومه انما يكذبونه لفقره فوعده
الله سبحانه الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الهم فقال فان مع العسر يسرا وتاويله
لا يحزنك ما يقولون وما كنت فيه من الاقلال فان مع ذلك يسرا في الدنيا
عاجلا ثم انجز ما وعده فلم يمت حتى عليه الحجاز وما والاها من القرى العربية
وعامة بلاد اليمن فكان يعطي المائتين من الابل ويهب الهبات السنية ويعد
لاهله قوت سنة ثم ابتدا فضلا اخر فقال ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه
تعريه من فاء او واو وهو وعد لجميع المومنين لانه يعني بذلك ان مع العسر في الدنيا

للمؤمن يسرًا في الاخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهوما ذكر في الاية
الاولى ويسر الاخرى وهوما ذكر في الاية الثانية فقوله صلى الله عليه وآله لن يغلب
عسر يسرين اي يسر الدنيا والاخرة فالعسر بين يسرين اما فرج الدنيا واما
ثواب الاخرة وهذا ذكره الجرجاني يويد ما ذهب اليه المرتضى قدس الله روحه
من ان القايل اذا قال شيئا ثم كرره فان الظاهر من تغاير الكلامين
تغاير مقتضاهما حتى يكون كل واحد منهما مفيد الاخر فيجب مع الاطلاق حمل
الثاني غير مقتضى الاول الا اذا كان بين المتخاطبين عهد ودلالة يعلم المخاطب
بذلك ان المخاطب اراد بكلامه الثاني الاول فيحمله على ذلك وانشد ابو بكر
الانباري شعر اذا بلغ العسر مجهوده فثق عند ذلك بيسر سريع الم تر نحس الشتاء
القطيع يتلوه سعد الربيع البديع وانشد اسحق بن بهلول القاضي شعر
فلا تياس وان اعسرت يومًا فقد ايسرت في دهر طويل ولا تظنن بربك
ظن سوء فان الله اولى بالجميل وان العسر يتبعه يسار وقول الله اصدق كل
قيل فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب معناه فاذا فرغت من الصلاة
المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسئلة يعطك عن مجاهد
وقتاده والضحاك ومقاتل والكلبي وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلام ومعناه انصب من النصب وهو التعب اي لا يشتغل بالراحة وقال
الزهري اذا فرغت من الفرايض فادع بعد التشهد بكل حاجتك وقال الصادق
هو الدعا في دبر الصلوة وانت جالس وقيل معناه فان افرغت من الفرايض
فانصب في قيام الليل عن ابن مسعود وقيل معناه فاذا فرغت من دنياك
فانصب في عبادة ربك وصل عن مجاهد والجبائي وقيل فاذا فرغت من الفرايض
فانصب فيما رغبك الله فيه من الاعمال عن ابن عباس وقيل فاذا فرغت
من جهاد اعدايك فانصب بالعبادة لله عن وابن زيد وقيل فاذا فرغت
من جهاد الاعداء فانصب بجهاد نفسك وقيل اذا فرغت من اداء الرسالة

فانصب لطلب

فانصب لطلب الشفاعته وسئل علي بن طلحه من هذه الاية فقال القول فيه
كثير وقد سمعنا انه يقال انا صححت فاجعل صحتك وفراغك نصبا في العبادة
ويدل على هذا ما روى ان شريحا مر برجلين يصطرعان فقال ليس بهذا
امر الفارغ انما قال الله سبحانه فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب
اي فرفع حوايجك الى ربك ولا ترفعها الى احد من خلقه وقال عطا يريد
تضرع اليه راهبا من النار راغبا الى الجنة سوره والتين مكيه العدد
عن ابن عباس مدنيه ثماني آيات بالاجماع فضلها ابي بن كعب عن النبي
صلى الله عليه وآله من قراها اعطاه الله خصلتين العافية واليقين
ما دام في دار الدنيا فاذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قراها
في السوره صيام يوم وعن البراء بن عازب قال سمعت النبي صلى الله
عليه وآله يقرا في المغرب التين والزيتون فما رايت انسانا احسن قراءة
منه رواه ابو مسلم في الصحيح وروى شعيب العقرقوفي عن ابي عبد الله
عليه السلام قال من قرا والتين في فرايضه ونوافله اعطي من الجنة حيث
يرضى تفسيرها امر الله سبحانه بالرغبة في خاتمة تلك السورة وافتتح هذه
السورة بذكر انه الخالق المستحق للعبادة بعد اذ اقسم عليه فقال
بسم الله الرحمن الرحيم
وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ لَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ
أَلَيْسَ اللّٰهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ اللغة والتقويم تصير الشيء على ما ينبغي ان يكون
عليه من التاليف والتعديل يقال قومه فاستقام وتقوم المعنى والتين
والزيتون وما اقسم الله سبحانه بالتين الذي يوكل والزيتون الذي
يعصر منه الزيت عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمه وقتاده وعطا

وهو الظاهر وانما اقسم بالتين لانه فاكهة مخلصة من شايب التنغيص وفيه
اعظم العبرة لانه عز اسمه جعلها على مقدار اللقمة وهيأها على تلك الصفة
انعاما على عباده بها وقد روى ابو ذر ان النبي قال في التين لو قلت ان فاكهة
نزلت من الجنة لقلت هذه هي لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع
البواسير وتنفع من النقرس واما الزيتون فانه يعتصر من الزيت الذي
يدور في اكثر الاطعمة وهو ادام والتين طعام وفيه منافع كثيرة وقيل
التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس عن
قتاده قال عكرمه هما جبلان وانما سميا بهما لانهما ينبتانهما وقيل التين
مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس عن كعب الاحبار وعبد الرحمن بن غنم
وابن زيد وقيل التين مسجد نوح الذي بني على الجودي والزيتون بيت
المقدس عن ابن عباس وقيل التين مسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى
عن الضحاك وطور سينين يعني الجبل الذي كلم الله عليه موسى عن الحسن وسينين
وسينا واحد وقيل ان سينين معناه المبارك الحسن كانه قيل جبل الخير
الكثير لانه اضافة تعريف عن مجاهد وقتاده وقيل معناه كثير النبات والشجر
عن عكرمه وقيل ان كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة القبطة
عن مقاتل قال عمرو بن ميمون سمعت عمر بن الخطاب يقرا بمكة في المغرب والتين و
والزيتون وطور سينا قال فظننت انما قراها ليعلم حرمة البلد وروى ذلك
عن موسى بن جعفر عليه السلم ايضا وهذا البلد الامين يعني مكة البلد الحرام
يامن فيه الخايف في الجاهلية والاسلام فالامين يعني المومن يومن من يدخله
وقيل هو بمعنى الامن ويويده قوله انا جعلنا حرما امنا قال الشاعر شعر
الم تعلمي يا اسم ويحك انني حلفت يمينا لا اخون اميني يريد امني لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم هذا جواب القسم واراد جنس الانسان وهو ادم وذريته
خلقهم الله في احسن صورة عن ابراهيم ومجاهد وقتاده وقيل في احسن تقويم اي منتصب

القامة

القامة وساير الحيوان مكب على وجهه الا الانسان عن ابن عباس وقيل انه اراد
انه خلقهم على كمال في انفسهم واعتدال جوارحهم وابانهم عن غيرهم بالنطق
والتمييز والتدبير الى غير ذلك مما يختص به الانسان وفي ذلك اشارة
ايضا الى حال الشباب ثم رددناه اسفل سافلين يريد الى الخرف وارذل
العمر والهرم والنقصان العقل والسافلون هم الضعفاء والزمنى والا
طفال والشيخ الكبير اسفل هولاء جميعا عن ابن عباس وابراهيم
وقتاده وقيل معناه ثم رددناه الى النار عن الحسن ومجاهد وابن زيد
والجبائي والمعنى الى اسفل السافلين لان جهنم بعضها اسفل من بعض
وعلى هذا فالمراد به الكفار اي خلقناهم في احسن خلقة احرارا عقلاء مكلفين
فكفروا فرددناهم الى النار في اقبح صورة ثم استثنى فقال الا الذين امنوا
اي صدقوا بالله وعملوا الصالحات اي اخلصوا العبادة لله واضافوا
الى ذلك الاعمال الصالحة فان هولاء لا يردون الى النار ومن قال بالقول
الاول قال ان المومن لا يرد الى الخرف وان عمر عمرا طويلا قال ابراهيم اذا بلغ
المومن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل وهو قوله
فلهم اجر غير ممنون وقال عكرمه من رد منهم الى ارذل العمر كتب له صالح
ما كان يعمل في شبابه وذلك اجر غير ممنون وعن ابن عباس قال من
قرا القران يرد الى ارذل العمر وذلك قوله ثم رددناه اسفل سافلين
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات قال الا الذين قروا القران
وفي الحديث عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله المولود
حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتب لوالديه فان عمل سيئة لم يكتب عليه
ولا على والديه فاذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم امر الله الملكين الذين
معه يحفظانه ويسددانه فاذا بلغ اربعين سنة في الاسلام امنه
الله من البلايا الثلاث الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين خفف الله

حساب فاذا بلغ ستين رزقه الله الانابة اليه فيما يحب فاذا بلغ سبعين احبه
اهل السماء فاذا بلغ ثمانين كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ
تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وشفعه في اهل بيته وكان
اسمه اسير الله في الارض فاذا بلغ ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا كتب
الله له بمثل ما كان يعمل في صحته من الخير وان عمل سيئة لم يكتب عليه واقول
لوجه الخير فانما لا يكتب عليه السيئة لزوال عقله ونقصان تمييزه في ذ
الوقت وقوله غير ممنون اي غير منقوص وقيل غير مقطوع عن ابي مسلم
وقيل غير محسوب عن مجاهد وقيل غير مكدر بما يؤذي وينغص عن الجبائي
فما يكذبك بعد بالدين معناه اي شيء يكذبك ايها الانسان بعد هذه
الحجج بالدين الذي هو الجزاء والحساب عن الحسن وعكرمه وابي مسلم والمراد
ما يحملك على ان لا تتفكر في صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر وتقول
ان الذي فعل ذلك قادر على ان يبعثني ويحاسبني ويجازيني بعملي فيكون
قوله فما يكذبك يعني به ما الذي يجعلك تكذب وقيل ان الخطاب للنبي صلى الله
عليه وآله اي فمن يكذبك ايها الرسول بعد هذه الحجج بالدين الذي هو
الاسلام عن مجاهد وقتاده اي لا شيء يكذبك اليس الله باحكم الحاكمين
هذا تقرير للانسان على الاعتراف بانه تعالى احكم الحاكمين في صنايعه وافعاله
وانه لا خلل في منها ولا اضطراب فكيف يترك هذه الخلايق ويهملهم
فلا يجازيهم وقيل معناه اليس الله باقضى القاضين فيحكم بينك يا محمد
وبين اهل التكذيب بك عن مقاتل قال قتاده وكان رسول الله
صلى الله عليه وآله اذا ختم هذه قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين
النظم اتصل قوله اليس الله باحكم الحاكمين بما قبله من ذكر الدين
والجزاء على سبيل التنبيه على الاعادة فان الحكيم اذا كلف وامر ونهى وخلى
بين الظالم والمظلوم فلا بد من المجازات والانتصاق والانتصاف

فاذا لم يكن

فاذا لم يكن ذلك في الدنيا فلا بد من البعث فان احكم الحاكمين لا يجوز
عليه الاخلال بما ذكرناه سورة العلق مكية عشرون آية حجازي وتسع
عشرة عراقي وثماني عشرة شامي اختلافها آيتان الذي ينهى غير الشامي
لئن لم ينته حجازي فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله من قراها
فكانما قرا المفصل كله محمد بن حسان عن ابي عبد الله عليه السلام قال من قرا
في يومه او ليلة اقرا باسم ربك ثم مات في يومه او في ليلة مات
شهيدا واحدا وكان كمن ضرب بسيفه في سبيل الله مع رسول الله ص
تفسيرها ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر اسمه وافتتح هذه السورة
باسمه ايضا فقال بسم الله الرحمن الرحيم
اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك
الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كلا ان الانسان ليطغى
ان رآه استغنى ان الى ربك الرجعى ارايت الذي ينهى عبدا
اذا صلى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت ان
كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية
ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه
واسجد واقترب اللغة العلق جمع علقة وهي القطعة الجامدة من
الدم التي تعلق لرطوبتها بما تمر به فاذا جفت لا تسمى علقة والعلق
ضرب من الدود اسود له يعلق على العضو فيمص منه الدم والرجعى
والمرجع واحد والسفع الجذب الشديد يقال سفعت بالشيء اذا قبضت
عليه وجذبته جذبا شديدا وسفعته النار والحمة والسموم اذا غيرت
وجهه الى حال تشويه ومنه الحديث ليصيبن اقواما سفع من النار
اي تشويه خلقه والناصية شعر مقدم الراس سميت بذلك لانها
متصلة بالراس من قولهم ناصى مناصاة اذا وصل قال الراجز في تناصيها

بلد في النادي مجلس اهل النادي ثم كسر فسمي كل مجلس نادي وواحد الزبانية
عن ابي عبيدة زبني وعن الكسائي زبني وعن الاخفش زابن عن الاخفش اخذ من الزبن
وهو الدفع والناقة تزبن الحالب اي تركضه برجلها قال الشاعر
شعر ومستعجب مما يرى من اناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم الاعراب
خلق الانسان من علق تخصيص بعد تعميم الا ترى ان قوله خلق الانسان
من قوله خلق خصوص بعد عموم فهو مثل قوله يومنون بالغيب
ثم قال وبالاخرة هم يوقنون فخص الاخرة بعد ذكر الغيب الذي هو عام
لكل ما غاب عنا وعليه قول لبيد شعر وهم العشيرة ان تبطي حاسد
او ان يلوم بحاجة لوامها الا ترى ان اللوام اعم من المبطية نسب
قوم الى البطوء فهذا بعض اللوم وقوله ان الانسان ليطغى ان راه
استغنى الضمير المستكن في راه عايدا الى الضمير المستكن فيه وانما جاز
ان يعود الضمير المنصوب الى ضمير الفاعل في باب علمت واخواتها من غير
ذكر النفس لدخول هذه الافعال على المبتدا والخبر هو نفس المبتدا
فتقول علمتني وحسبتني افعل كذا ولا يجوز في غيرها الا بواسطة النفس فيقول
ضربت نفسي ولا يقول ضربتني وان راه في محل نصب لانه مفعول له فاستغنى
جملة في موضع النصب لكونها مفعول ثانيه لراه والتقدير لان راه مستغنيا
ناصية بدل من الناصية اي بناصية كاذبة خاطئة ومعناه بناصية صاحبها
كاذب خاطئ ويقال فلان نهاره صايم وليلة قايم اي هو صايم في نهاره
وقايم في ليلة فليدع ناديه اي اهل ناديه فحذف المضاف والنون
في لنسفعن نون التاكيد الخفيفة والاختيار عند البصرة بين
ان يكتب بالالف لان الوقف عليها بالالف واختار الكوفيون ان يكتب بالنون
لانها نون في الحقيقة المعنى اقرا باسم ربك هذا امر من الله سبحانه
لنبيه صلى الله عليه وآله ان يقرا باسم ربه وان يدعوه باسمايه الحسنى

في تعظيم

٣٨٠

في تعظيم الاسم تعظيم المسمى لان الاسم ذكر المسمى بما يخصه فلا سبيل الى تعظيمه الا بمعناه
لا يعظم اسم الله حق تعظيمه الا من عارف به ومعتقد عبادته ولهذا
قال سبحانه قل ادعوا الله وادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى
وقال سبح اسم ربك الاعلى فالباء هنا زايدة والتقدير اقرا اسم ربك
واكثر المفسرين على ان هذه السورة اول ما نزل من القران واول يوم
نزل جبرئيل عليه السلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو قايم على حراء علمه
خمس ايات من اول هذه السورة وقيل اول ما نزل من القران قوله يا ايها
المدثر وقد مر ذكره وقيل اول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله
فاتحة الكتاب رواه الحاكم ابو عبد الله الحافظ باسناده عن ابي ميسرة عمرو بن
شرحبيل ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي
سمعت نداء فقالت ما يفعل الله بك الا خيرا فوالله انك لتودي الامانة
وتصل الرحم وتصدق الحديث قالت خديجة فانطلقنا الى ورقة بن نوفل بن اسد
بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة فاخبره رسول الله صلى الله عليه وآله بما راى
فقال له ورقة اذا اتاك فاثبت له حتى تسمع ما يقول ثم ايتني فاخبرني فلما خلا
ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ
ولا الضالين قل لا اله الا الله فاتى ورقة فذكر له ورقة ابشر ثم ابشر فانا اشهد
انك الذي بشر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وانك
سوف تومر بالجهاد بعد يومك هذا ولين ادركني ذلك لاجاهدن معك
فلما توفي ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وآله لقد رايت القس في الجنة
عليه ثياب الحرير لانه امن بي وصدقني يعني ورقة ودي ان ورقة قال في ذلك
شعر فان يك حقا يا خديجة فاعلمي حديثك ايانا فاحمد مرسل وجبرئيل ياتيه وميكال
معهما من الله وحي يشرح الصدر منزل يفوز به من فاز عز الدينه ويشقى به
الغادي الشقي المضلل فريقان منهم فرقة في جنانه واخرى باغلال الجحيم تغلغل ثم

وصف سبحانه ربه وبينه بفعل الدال عليه فقال الذى خلق اى خلق جميع المخلوقات
على مقتضى حكمته واخرجهم من العدم الى الوجود بكمال قدرته ثم خص الانسان
بالذكر تشريفا له وتنبيها على ابانته اياه من ساير الحيوان فقال خلق الانسان
من علق واراد به جنس بنى آدم اى خلقهم من دم جامد بعد النطفة وقيل
معناه خلق آدم من طين يعلق باليد والاول اصح وفى هذا اشارة الى بيان
النعمة بان خلقه هو من الاصل الذى هو فى غاية القصوى من المهانة ثم بلغ
به بلغ مبالغ الكمال حتى صار بشرا سويا مهيبا للنطق والتميز مفرغا فى قالب
الاعتدال كما يقل الانسان من حال الى حال حتى استكمل كذلك ينقلان من الجهالة
الى درجة النبوة والرسالة حتى يستكمل شرف محلها ثم اكد الامر بالاعادة فقال
اقراء وقيل امره فى اول بالقرأة لنفسه وفى الثانى بالقرأة للتبليغ فليس تكرارا عن
الجبائى ومعناه اقراء القرآن وربك الاكرم اى الاعظم كرما فلا يبلغه كرم كريم
لانه يعطى من النعم ما لا يقدر على مثله غيره فكل نعمة توجه من جهته تعالى اما بان
اخترعها واما بان سببها وسهل الطريق اليها وقيل معناه بلغ قومك وربك
الاكرم الذى يثيبك على عملك بما يقتضيه كرمه ويقويك ويعينك على حفظ
القرآن الذى علم بالقلم اى علم الكاتب ان يكتب بالقلم او علم الانسان البيان
بالقلم او علم الكتابة بالقلم امتن سبحانه على خلقه بما علمهم من كيفية الكتابة
بالقلم لما فى ذلك من كثرة الانتفاع فيما يتعلق بالدين والدنيا قال قتاده
القلم نعمة من الله عظيمة لولا لم يقم دين ولا يصلح عيش وقال بعضهم فى صفته
لعاب الافاعى القاتلات لعابه واذى الجنا اشتارته ايد عواسل وقيل
اراد سبحانه آدم عليه السلم لانه اول من كتب عن كعب وقيل اول من كتب ادريس
عليه السلم عن الضحاك وقيل كل نبى كتب بالقلم لانه الا بتعليم الله اياه علم الانسان
ما لم يعلم من انواع الهدى والبيان وامور الدين والشرايع والاحكام
لجميع ما يعلمه الانسان من جهته سبحانه اما بان اضطره اليه واما بان نصب

الدليل

الدليل عليه فى عقله واما بان بينه له على السنة ملايكته ورسله فكل العلوم
على هذا مضاف اليه وفى هذا دلالة على انه سبحانه علم الا العلم لا يقع الا من عالم
كلا اى حقا ان الانسان ليطغى اى يتجاوز حده ويستكبر على ربه ويبعد
وطوره ان راه استغنى اى لان راى نفسه مستغنية عن ربه بعشيرته وامواله
وقوته كانه قال انما يطغى من انه مستغن عن ربه لا من كان غنيا قال قتاده
كان اذا اصاب مالا زاد فى ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه فذلك طغيانه
وقيل انها نزلت فى ابى جهل بن هشام من هنا الى اخر السورة ان الى ربك
الرجعى اى الى الله مرجع كل احد اى فهذا الطاغى كيف يطغى بماله ويعصى ربه
ورجوعه اليه وهو قادر على اهلاكه وعلى مجازاته اذا رجع اليه ارايت الذى
ينهى عبدا اذا صلى هذا تقرير للنبى صلى الله عليه وآله واعلام له بما يفعله
بمن ينهاه عن الصلوة فقد جاء فى الحديث ان ابا جهل قال هل يعفر محمد
وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فبالذى يحلف به لئن رايته يفعل ذلك لاطان
على رقبته على رقبته فقيل له ها هو ذاك يصلى فانطلق ليطاء على رقبته فما فجئهم
الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقالوا ما لك يا ابا الحكم قال ان بينى وبينه
خندقا من نار وهولا واجنحة وقال نبى الله عليه السلم والذى نفسى بيده لو دنا
منى لاختطفته الملايكة عضوا فانزل الله سبحانه ارايت الذى ينهى
الى اخر السورة رواه مسلم فى الصحيح ومعنى الاية ارايت يا محمد من منع
من الصلوة ونهى من يصلى عنها ماذا يكون جزاوه وما يكون حاله
عند الله تعالى وما الذى يستحقه من العذاب فحذف لدلالة الكلام عليه
والاية عامة فى كل من ينهى عن الصلوة والخير وقد روى عن على عليه السلم
انه خرج فى يوم عيد فراى ناسا يصلون فقال يا ايها الناس قد شهدنا
نبى الله فى مثل هذا اليوم فلم يكن احد يصلى قبل العيد وقال النبى صلى الله
عليه وآله فقال رجل يا امير المومنين الا تنهى ان يصلوا قبل خروج الامام

قال
فقال الا ان يدان انهى عبدا اذا صلى وبكنا نتحدثهم بما شهدنا من النبى وكان
ومعنى ارايت ههنا تعجب للمخاطب ثم كرر هذه اللفظة للتاكيد فى التعجب فقال
ارايت ان كان على الهدى يعنى العبد المنهى وهو محمد صلى الله عليه وآله
او امر بالتقوى يعنى بالاخلاص والتوحيد ومخافة الله تعالى وههنا حذف
ايضا تقديره كيف يكون من ينهاه عن الصلوة ويزجره عنها ثم قال
ارايت ان كذب ابو جهل وتولى عن الايمان واعرض عن قبوله والاصغاء
الم يعلم بان الله تعالى يرى ما يفعله ويعلم ما يصنعه والتقدير ارايت الذى
فعل هذا الفعل ما الذى يستحق بذلك من الله تعالى من العقاب وقيل
ان تقدير نظم الاية ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى امر
بالتقوى والناهى مكذب متول عن الايمان فما اعجب هذا ثم هدده بقوله
الم يعلم اى هذا المكذب فانه لم يعلم فليعلم بان الله يرى هذا الصنع الشنيع
فيواخذه به وفى هذا اشارة الى انه سبحانه ينتقم للمحق من المبطل وفيه
ان علم العبد بان الله يعلم ما ياتيه ويراه يوجب الحياء بقدر الى فعل الطاعة وترك
المعصية ثم قال كلا اى لا يعلم ذلك لئن لم ينته يعنى ان لم يمتنع ابو جهل عن تكذيب
محمد وايذايه لنسفعن بالناصية اى لنجرن بناصيته الى النار وهذا كقوله
فيوخذ بالنواصى والاقدام ومعناه لنذلنه ونقيمه مقام الاذلة ففى
الاخذ بالناصية اهانة واستخفاف وقيل معناه لنغيرن وجهه ولنسودنه
بالنار يوم القيمة لان السفع اثر الاحراق بالنار ثم اخبر سبحانه عذرانه
فاجر خاطئ بان قال ناصية كاذبة خاطئة وصفها بالكذب والخطاء بمعنى
ان صاحبها كاذب فى اقواله خاطئ فى افعاله لما ذكر الجر بها اضاف الفعل
اليها قال ابن عباس لما اتى ابو جهل رسول الله صلى الله عليه وآله انتهره
رسول الله فقال ابو جهل اتنتهرنى يا محمد فوالله لقد علمت ما بها احد
اكثر ناديا منى فانزل الله سبحانه فليدع نادية وهذا وعيد اى فليدع اهل

اى اهل

اى اهل مجلسه فليستنصر بهم اذا حصل عقاب الله به والنادى الفنا قال وتاتون
فى ناديكم المنكر ثم قال سندع الزبانية يعنى الملائكة الموكلين بالنار وهم
الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس لو دعا لاخذته زبانية النار
من ساعته معاينة وقيل انه اخبار بانه يدعوا الزبانية دعا ناديه اولم
يدع وصدق سبحانه ذلك فقتل ابو جهل يوم بدر ثم قال كلا اى ليس الامر
على ما عليه ابو جهل لا تطعه فى النهى عن الصلوة واسجد لله عز اسمه
واقترب من ثوابه وقيل معناه وتقرب اليه بطاعته وقيل معناه اسجد
يا محمد لتقرب منه فان اقرب ما يكون العبد من الله اذا سجد له وقيل
واسجد اى صل لله واقترب من الله وفى الحديث عن عبد الله بن
مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال اقرب ما يكون العبد من الله
اذا كان ساجدا وقيل المراد به السجود لقراءة هذه السورة والسجود هنا
سجود وهو من العزايم روى عبد الله بن سنان عن ابى عبد الله قال
العزايم الم وحم السجدة والنجم اذا هوى واقرا باسم ربك وما عداها
فى جميع القران مسنون وليس بمفروض **سورة القدر** مكية وقيل مدنية
ست آيات مكى شامى خمس فى الباقين اختلافها اية ليلة القدر والثالث
مكى شامى **فضلها** ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله من قراها اعطى
من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر الحسين بن ابى العلاء عن ابى
عبد الله عليه السلام قال من قرا انا انزلناه فى فريضة من الفرايض نادى
منادى يا عبد الله قد غفر لك ما مضى فاستانف العمل سيف بن عميرة
عن رجل عن ابى جعفر عليه السلم قال من قرا انا انزلناه بجهر كان كشاهر
سيفه فى سبيل الله ومن قراها سرا كان كالمتشحط بدمه فى سبيل الله
ومن قراها عشر مرات على محو ذنب الف ذنوبه **تفسيرها** امر سبحانه
بالسجود والتقرب اليه فى خاتمة تلك السورة فافتتح هذه السورة بذكر

الليلة القدر وان التقرب فيها الى الله يربد على التقرب اليه من ساير
الليالى والايام فكانه قال التقرب اليه فى ساير الاوقات خصوصاً فى ليلة
القدر وقال ابو مسلم لما امر بقراءة القران فى تلك السورة بين فى هذه
السورة ان انزاله فى ليلة القدر فقال بسم الله الرحمن الرحيم
إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ
الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم
مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ القراءة قرأ الكسائى وخلف مطلع
بكسر اللام والباقون بفتح اللام وفى الشواذ قراءة ابن عباس وعكرمة
والكلبى من كل امرئ الحجة قال ابو على مطلع هنا مصدر بدلالة ان المعنى
سلام هى حتى وقت طلوعه فهو نحو مقدم الحاج وخفوق النجم يجعل
المصدر فيه زماناً على تقدير حذف المضاف فالقياس ان يفتح اللام
كما ان مصادر ساير ما كان من فعل يفعل مفتوح العين نحو مخرج
والمقتل واما الكسر فلان من المصادر التى ينبغى ان يكون على المفعل
ما قد كسر كقولهم علاه المكبر والمجزء وقوله من كل امرئ قال ابن جنى
انكر ابو حاتم هذه القراءة على انه حكى عن ابن عباس انه قال يعنى
الملائكة قال ولا ادرى ما هذا وانما هو تنزل الملائكة فيها من كل
امر لقوله فيها يفرق كل امر حكيم ومن كل امر فتم الكلام ثم استانف
فقال سلام اى هى سلام الى ان يطلع الفجر وقال قطرب معناه
هى سلام من كل امر او امرئ ويلزم على قول قطرب ان يقال فكيف
جاز تقديم معمول المصدر الذى هو سلام عليه وقد عرفنا امتناع
جواز تقديم صلة الموصول او شىء منها والجواب ان سلام فى
الاصل لعمرى مصدر فاما هنا فانه موضوع موضع اسم الفاعل
الذى هو سالم هى او مسلمة فكانه قال من كل امرئ سالمة هى اى هى سالمة

اومسلمة

او مسلمة منه اللغة القدر كون الشىء مساوياً لغيره من غير زيادة
ولا نقصان وقدر الله هذا الامر بقدره قدراً اذا جعله على
مقدار ما تدعوا اليه الحكمة والشهر فى الشرع عبارة عما بين هلالين
من الايام وانما سمى شهراً لاشتهاره بالهلال وقد يكون الشهر ثلثين
ويكون تسعة وعشرين اذا كان هلالياً فان لم يكن هلالياً فهو
ثلثون الاعراب خير من الف شهر تقديره خير من الف شهر لا ليلة
قدر فيه فحذف الصفة وقوله سلام هى هى مبتداء وسلام خبر مقدم
عليه هو بمعنى الفاعل الا انا حملنا على المصدر لم يجز تعليق حتى به لانه لا يفصل
بين الصلة والموصول مثله قول الشاعر شعر فهلا سعيتم سعى عصبة
مازن وهل كفلاى فى الوفاء سواء سواء بمعنى مستو والتقدير
وهل كفلاى مستويان فى الوفاء لا بد من هذا التقدير لان سواء
لو كان مصدراً لما تقدم عليه ما فى صلته ويجوز تعليق حتى بقوله تنزل
الملائكة ولا يجوز ان يكون هى مبتداء وتكون حتى فى موضع الخبر لانه
لا فائدة فيه اذ كل ليلة بهذه ومطلع مجرور بحتى وهو فى معنى الى المعنى
انا انزلناه الهاء كناية عن القران وان لم يجر له ذكر له لانه لا يشتبه
الحال فى ليلة القدر قال ابن عباس انزل الله القران جملة واحدة
من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فى ليلة القدر ثم كان ينزله
جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله نجوماً وكان من اوله الى اخره ثلث
وعشرون سنة وقال الشعبى معناه انا ابتدأنا انزاله فى ليلة القدر
من الوحى على ما قدر ما ينزل به جبرئيل على النبى صلى الله عليه وآله فى السنة
كلها الى مثلها من القابل والكلام فى ليلة القدر على فالاول اختلاف
العلماء فى معنى هذا الاسم وماخذه فقيل سميت ليلة القدر لانها الليلة
التى يحكم الله فيها ويقضى بما يكون فى السنة باجمعها من كل امر عن الحسن ومجاهد

وهي الليلة المباركة في قوله انا انزلناه في ليلة مباركة لان الله تعالى
ينزل فيها الخير والبركة والمغفرة وروى ابو الضحى عن ابن عباس انه قال
يقضي القضايا في ليلة النصف من شعبان ثم يسلمها الى اربابها في ليلة
القدر وقيل ليلة القدر اي ليلة الشرف والخطر وعظم الشان من قولهم
رجل له قدر عند الناس اي منزلة وشرف ومنه ما قدروا الله حق قدره
اي ما عظموه حق عظمته عن الزهري قال ابو بكر الوراق ولان من لم يكن
ذا قدر اذا احياها صار ذا قدر وقال غيره لان الطاعات فيها قدرا
عظيما وثوابا جزيلا وقيل سميت ليلة القدر لانه انزل فيها كتاب ذو قدر
الى رسول ذي قدر لاجل امة ذات قدر على يدي ملك ذي قدر وقيل
هي ليلة التقدير لان الله تعالى قدر فيها انزال القران وقد سميت بذلك
ان الارض تضيق فيها بالملائكة من قوله ومن قدر عليه رزقه عن الخليل
بن احمد والضرب الثاني اختلافهم في انها اية ليلة فذهب قوم الى انها
انما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم رفعت وجاءت
الرواية عن ابي ذر انه قال قلت يا رسول الله ليلة القدر هي شيء تكون
على عهد الانبياء ينزل فيها فاذا قبضوا رفعت قال لا بل هي الى يوم القيمة
وقيل انها في ليالي السنة كلها ومن علق طلاق امراته على ليلة القدر
لم يقع الا على مضي سنة وهو مذهب ابي حنيفة وفي بعض الروايات عن ابن
مسعود انه قال من يقم الحول كله يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر
فقال رحم الله ابا عبد الرحمن اما انه علم انها في شهر رمضان ولكنه اراد
ان لا يتكل الناس وجمهور العلماء على انها في شهر رمضان في كل سنة ثم
اختلفوا في اي ليلة هي منه فقيل هي اول ليلة منه عن ابي رزين العقيلي
وقيل هي ليلة سبع عشرة منه عن الحسن وروي انها ليلة الفرقان في
صبيحتها التقى الجمعان والصحيح انها في العشر الاواخر من شهر رمضان

وهومذهب

وهو مذهب الشافعي وروي مرفوعا انه قال صلى الله عليه وآله التمسوا في العشر
الاواخر وعن علي عليه السلم ان النبي صلى الله عليه وآله كان يوقظ اهله في العشر
الاواخر من رمضان قال وكان اذا دخل العشر الاواخر شد المئزر واجتنب
النساء واحيى الليل وتفرغ للعبادة ثم اختلفوا في انها اية ليلة من العشر
فقيل انها ليلة احدى وعشرين وهو مذهب ابي سعيد الخدري واختيار
الشافعي قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله رايت هذه
الليلة ثم انسيتها ورايتني اسجد في ماء وطين فالتمسوها في العشر الاواخر
والتمسوها في كل وتر قال فابصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وآله
انصرف وعلى جبهته وانفه اثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين اورده
البخاري في الصحيح وقيل هي ليلة ثلث وعشرين منه عن عبد الله بن عمر قال
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله اني رايت في النوم
كان الليلة القدر هي ليلة سابعة تبقى فقال صلى الله ارى رؤياكم قد
تواطت على ثلث وعشرين فمن كان منكم يريد ان يقوم من الشهر شيئا فليقم ليلة
ثلث وعشرين قال معمر وكان ايوب يغتسل ليلة ثلث وعشرين ويمس طيبا وسال
عمر بن الخطاب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال قد علمتم ان رسول الله
قال في ليلة القدر اطلبوها في العشر الاواخر وترا ففي اي الوتر ترون
فاكثر القوم في الوتر قال ابن عباس فقال لي ما لك لا تتكلم يا ابن عباس
فقلت رايت الله اكثر ذكر السبع في القران وذكر السموات سبعا والارضين
سبعا والطواف سبعا والجمار سبعا وما شاء الله من ذلك خلق الانسان
من سبعة وجعل رزقه في سبعة فقال كل ما ذكرت عرفت فما قولك خلق
الانسان من سبعة وجعل رزقه في سبعة فقال خلق الانسان من سلالة
من طين الى قوله خلقا اخر ثم قرأت انا صببنا الماء صبا الى قوله وفاكهة
وابا فما اراها الا ليلة ثلث وعشرين لسبع بقين فقال عمر عجزتم ان تاتوا بما جاء

بر هذا الغلام الذي لم يجتمع شوون راسه قال وقال عمر وافق رايي رايك ثم ضرب
منكبي فقال ما انت باقل القوم علما وروى العياشي باسناده عن زرارة عن عبد
الواحد بن المختار الانصاري قال سألت ابا جعفر عن ليلة القدر قال في ليلتين
ليلة ثلث وعشرين واحدى وعشرين فقلت فرد الى احديهما فقال وما عليك
ان تعمل في ليلتين هي احديهما وعن شهاب بن عبد ربه قال قلت لابي عبد الله ع
اخبرني بليلة القدر فقال ليلة احدى وعشرين وليلة وعشرين وعن حماد بن
عثمن عن حسان ابي علي قال سألت ابا عبد الله عليه السلم عن ليلة القدر قال اطلبها
في تسع عشر واحدى وعشرين وثلث وعشرين وفي كتاب من لا يحضره الفقيه
عن علي بن حمزة قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلم فقال له ابو بصير جعلت فداك
الليلة التي يرجى فيها ما يرجى اي ليلة هي فقال هي ليلة احدى وعشرين وثلث
وعشرين قال فان لم اقو على كليتهما فقال ما ايسر ليلتين فيما تطلب قال قلت فربما رأينا
الهلال عندنا وجاءنا من يخبرنا بخلاف ذلك في ارض اخرى فقال ما ايسر اربع
ليال فيما تطلب فيها قلت جعلت فداك ليلة ثلث وعشرين ليلة الجهني قال ان ذلك
ليقال قلت جعلت فداك ان سليمن بن خالد روى ان في تسع عشرة يكتب وفد الحاج
فقال لي يا ابا محمد وفد الحاج يكتب في ليلة القدر والمنايا والبلايا والارزاق وما يكون
الى مثلها في قابل فاطلبها في احدى وثلث وصل في كل واحدة منهما مائة ركعة واحيها
ان استطعت الى النور واغتسل فيهما قال قلت فان لم اقدر على ذلك وانا قائم قال فصل
وانت جالس قلت فان لم استطع قال فعلى فراشك قلت فان لم استطع
فقال عليك ان تكتحل اول الليل بشيء من النوم ان ابواب السماء تفتح
في شهر رمضان وتصفد الشياطين وتقبل اعمال المومنين نعم
الشهر شهر رمضان كان يسمى على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله المرزوق
وفي رواية عبد الله بن بكير عن زرارة عن احدهما قال سألته عن
الليالي التي يستحب فيها الغسل في شهر رمضان فقال ليلة تسع عشرة وليلة

ثلث وعشرين هي ليلة ثلث وعشرين هي ليلة الجهني وحديثه انه قال لرسول
الله صلى الله عليه وآله ان منزلي ناء عن المدينة فمرني بليلة ادخل
فيها فامره بليلة ثلث وعشرين قال الشيخ ابو جعفر رحمه واسم الجهني
عبد الله بن انيس الانصاري وقيل انها ليلة سبع وعشرين وعن زر
بن حبيش قال قلت لابي ابا المنذر من اين علمت انها ليلة سبع وعشرين
قال بالاية التي انبأنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله قال تطلع الشمس
غداتئذ كانها طست ليس لها شعاع وقال بعضهم ان الله قسم كلمات
هذه السورة على ليالي شهر رمضان فلما بلغ السابعة والعشرين اشار
اليها فقال هي وقيل انها ليلة تسع وعشرين وروى عن ابي بكرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول التمسوها في العشر الاواخر
في تسع بقين او سبع بقين او خمس بقين او ثلث بقين او اخر ليلة
والفائدة في اخفاء هذه الليلة ان يجتهد الناس في العبادة ويحيوا
جميع ليالي رمضان طمعا في ادراكها كما ان الله سبحانه اخفى الصلوة
الوسطى في الصلوة الخمس واسمه الاعظم في الاسماء وساعة الاجابة في ساعة
الجمعة والضرب الثالث ذكر بعض ما ورد في فضل هذه الليلة روى
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اذا كانت ليلة القدر
تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى ومنهم جبرئيل فينزل
جبرئيل ومعه الوية ينصب لواء منها على قبري ولواء على بيت المقدس
ولواء في المسجد الحرام ولواء على طور سينا ولا يدع فيها مومنا ولا مومنة
الا سلم عليه الا مدمن الخمر واكل لحم الخنزير والمتضمخ بالزعفران وعنه
عليه السلم قال ان الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها ولا يستطيع
فيها احد بخبل ولا داء او ضرب من ضروب الفساد ولا ينفذ فيه سحر
ساحر وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله قال في ليلة القدر انها ليلة

سبحانه لا حارة ولا باردة تطلع الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع ثم قال الله سبحانه تعظيماً لشأن هذه الليلة وتنبيهاً لعظم قدرها وشرفها ومحلها وما ادراك ما ليلة القدر فكأنه قال وما ادريك يا محمد ما خطر ليلة القدر وما حرمتها وهذا حث على العبادة فيها ثم فسر سبحانه تعظيمه وحرمته فقال ليلة القدر خير من الف شهر اي قيام ليلة القدر خير من الف شهر ليس فيه ليلة القدر وصيامه عن مقاتل وقتاده وذلك ان الاوقات انما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير والنفع فلما جعل الله الخير الكثير في ليلة القدر كانت خيراً من الف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما يكون في هذه الليلة ذكر عطا ابن عباس قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله رجل من بني اسرائيل انه حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله الف شهر فعجب من ذلك رسول الله ص عجباً شديداً وتمنى ان يكون ذلك في امته فقال يا رب جعلت امتي اقصر الناس اعماراً واقلها اعمالاً فاعطاه الله ليلة القدر خير من الف شهر الذي حمل الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولامتك من بعدك الى يوم القيمة في كل رمضان ثم اخبر سبحانه بما يكون في تلك الليلة فقال تنزل الملائكة والروح يعني جبرئيل فيها اي في ليلة القدر الى الارض ليسمعوا الثناء على الله وقراءة القرآن وغيرها من الاذكار وقيل ليسلموا على المسلمين اذن الله اي بامر الله وقيل ينزلون بكل امر الى السماء الدنيا حتى يعلم ذلك اهل السماء الدنيا فيكون لطفاً لهم وقال كعب ومقاتل بن حيان الروح طايفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل الروح هو الوحي كما قال وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا اي تنزل الملائكة ومعهم الوحي بتقدير الخيرات والمنافع باذن ربهم اي بامر ربهم كما قال وما نتنزل الا بامر ربك وقيل بعلم ربهم كما قال انزله بعلمه

من كل امر

من كل امر اي لكل امر من الخير والبركة كقوله يحفظونه من امر الله اي بامر الله وقيل لكل امر من رزق واجل الى مثلها من العام القابل فعلى هذا يكون الوقف هنا تاماً ثم قال سلام هي حتى مطلع الفجر اي هذه الليلة الى آخرها سلامة من الشرور والبلايا وآفات الشيطان وهو تأويل في قوله في ليلة مباركة عن قتاده وقال مجاهد يعني ان ليلة القدر سالمة عن ان يحدث فيها سوء ويستطيع شيطان ان يعمل فيها وقيل معناه سلام على اولياء الله واهل طاعته فكلما لقيهم الملائكة في هذه الليلة سلموا عليهم من الله تعالى عن عطا والكلبي وقيل ان تمام الكلام عند قوله باذن ربهم ثم ابتدأ فقال من كل امر سلام اي بكل امر فيه سلامة ومنفعة وخير وبركة لان الله يقدر في تلك الليلة كل ما فيه خير وبركة ثم قال هي حتى مطلع الفجر اي السلامة والبركة والفضيلة تمتد الى وقت طلوع الفجر ولا يكون في ساعة منها فحسب بل يكون في جميعها **سورة لم يكن** وتسمى سورة البرية وسورة القيمة مدنية وقيل مكية **عدد آيها** تسع آيات بصري ثمان في الباقين اختلافها آية مخلصين له الدين بصري **فضلها** ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال ومن قراها كان يوم القيمة مع خير البرية مسافراً ومقيماً وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو يعلم الناس ما في لم يكن الذين كفروا لعطلوا الاهل والمال وتعلموها فقال رجل من خزاعة ما فيها من الاجر يا رسول الله فقال لا يقرأها منافق ابداً ولا عبد في قلبه شك في الله عز وجل والله ان الملائكة المقربين ليقرؤنها منذ خلق الله السموات والارض لا يفترون من قراءتها وما من عبد يقرأها بليل الا بعث الله ملائكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له بالمغفرة والرحمة فان قراها نهاراً اعطي عليها من الثواب مثل ما اضاء عليه النهار واظلم عليه الليل فقال رجل من قيس عيلان زدنا يا رسول الله من هذا الحديث فداك

ابي ذر امي فقال صلى الله عليه وآله تعلموا عم يتساءلون وتعلموا ق والقرآن المجيد
وتعلموا والسماء ذات البروج وتعلموا والسماء والطارق فانكم لو تعلمون
ما فيهن لعطلتم ما انتم فيه وتعلمتوهم وتقربتم الى الله بهن وان الله
يغفر بهن كل ذنب الا الشرك بالله واعلموا ان تبارك الذي بيده الملك تجادل
عن صاحبها يوم القيمة وتستغفر له من الذنوب ابو بكر الحضرمي عن ابي جعفر
عليه السلم قال من قرا سورة لم يكن كان بريا من الشرك وادخل في دين محمد صلى الله
عليه وآله وبعثه الله مومنا وحاسبه حسابا يسيرا تفسيرها بين الله سبحانه
في سورة القدر ان القرآن حجة ثم بين في هذه السورة ان الكفار قبله لم يخلو
قط من حجة فقال بسم الله الرحمن الرحيم
لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتّى تَاْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ
رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ
اُوتُوا الْكِتَابَ اِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاۤءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ وَمَا اُمِرُوا اِلَّا لِيَعْبُدُوا
اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاۤءَ وَيُقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُوا الزَّكٰوةَ وَ
ذٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا اُولٰۤئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ اِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ اُولٰۤئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاۤؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا اَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ القراءة قرا نافع وابن ذكوان البريه مهموزة والباقون
بغير همز ابو علي البريه من برا الله الخلق فالقياس فيه الهمز الا انه مما ترك
همزه كقولهم النبي والذرية والخابية فالهمز فيه كالرد الى الاصل المتروك في
الاستعمال كما ان همز النبي لذلك وترك الهمز اجود لانه لما ترك فيه الهمز صار كرده
الى الاصول المرفوضة مثل صبوا وهمز من همز البرية يدل على فساد قول من قال
انه من البرى الذي هو التراب اللغة الانفكاك الانفصال عن شدة اتصال

قال ذو الرمة شعر قلائص ما تنفك الا مناخة على الخسف او نرمي بها بلدا قفرا
واكثر ما يستعمل ذلك في النفي مثل ما زال يقول ما انفك من هذا الامر اي ما
انفصل منه لشدة ملابسته له والبينة الحجة الظاهرة التي يتميز بها الحق
من الباطل واصلها من البينونة وفصل الشيء من غيره فالنبي صلى الله عليه وآله
حجة وبينة واقامة الشهادة العادلة بينة وكل برهان ودلالة بينة والقيمة
المستمرة في جهة الصواب والحنيف المائل الى الصواب الحق والحنيفية الشريعة
المائلة الى الحق واصله الميل ومن ذلك الاحنف المائل القدم الى الجهة القدم
الاخرى وقيل اصله الاستقامة وانما قيل للمائل القدم احنف على وجه التفاؤل
الاعراب رسول من الله يدل من البينة قبله وقال الفرا هو مستانف تقديره
هو رسول دين القيمة تقديره دين الملة القيمة لانه اذا لم يقدر ذلك كان اضافة
الشيء الى صفته وذلك غير جائز لانه بمنزلة الشيء الى نفسه جزاؤهم عند ربهم
جنات عدن اي دخول جنات عدن خالدين فيها حال من مضمر اي يجزونها
خالدين فيها المعنى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى
والمشركين ومن المشركين الذين هم عبدة الاوثان من العرب وغيرهم وهم الذين
ليس لهم كتاب منفكين اي منفصلين وزائلين وقيل لم يكونوا منتهين
عن كفرهم بالله وعبادتهم غير الله عن ابن عباس في رواية عطا والكلبي حتى
تاتيهم اللفظ الاستقبال ومعناه المضي كقوله ما تتلوا الشياطين اي ما
تليت وقوله البينة يريد محمدا صلى الله عليه وآله عن ابن عباس ومقاتل بين
سبحانه لهم ضلالهم وشركهم وهذا اخبار من الله تعالى عن الكفار انهم لم ينتهوا
عن كفرهم وشركهم بالله حتى اتاهم محمد صلى الله عليه وآله فبين لهم ضلالهم
عن الحق ودعاهم الى الايمان وقيل معناه لم يكونوا ليتركوا منفكين من حجج الله
حتى تاتيهم البينة التي يقوم بها الحجة عليهم وقوله رسول من الله بيان للبينة
وتفسير لها اي رسول الله من قبل الله يتلو عليهم صحفا مطهرة يعني مطهرة

في السماء لا يمسها الا الملائكة المطهرون من الانجاس عن الحسن والجبائي وهو محمد
صلى الله عليه وآله اتاهم بالقرآن ودعاهم الى التوحيد والايمان فيها اي في
تلك الصحف كتب قيمة اي مستقيمة عادلة غير ذات عوج تبين الحق من الباطل
وقيل مطهرة عن الباطل والكذب والزور يريد القرآن عن قتادة ومعنى
بالصحف ما يتضمنه الصحف من المكتوب فيها ويدل على ذلك ان النبي صلى الله
عليه وآله كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب وقيل معناه رسول من الملائكة
يتلو صحفا من اللوح المحفوظ عن ابي مسلم وقيل فيها كتب قيمة معناه في هذه
الصحف التي هي القرآن كتب قيمة اي من القرآن يشتمل على معاني الكتب المتقدمة
فتالبها تالي الكتب القيمة كما قال مصدقا لما بين يديه فاذا كان مصدقا
لها كان تاليا لها وقيل معناه في القرآن كتب قيمة بمعنى انه يشتمل على انواع
من العلوم كل نوع كتاب قال السدي فيها فرايض الله العادلة وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يعني وما اختلف هولاء
في امر محمد الا من بعد ما جاءتهم البشارة في كتبهم وعلى السنة رسلهم فكانت
الحجة قايمة عليهم فكذلك لا يترك المشركون من غير حجة تقوم عليهم وقيل
معناه ولم يزل اهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد حتى بعثه الله فلما
بعث تفرقوا في امره واختلفوا فامن به بعضهم وكفر اخرون ثم ذكر سبحانه
ما امروا به في كتبهم فقال وما امروا الا ليعبدوا الله اي لم يامرهم الله تع
الا لان يعبدوا الله وحده لا يشركون بعبادته فهذا ما لا يختلف فيه
ملة ولا يقع فيه تبدل مخلصين له الدين لا يخلطون بعبادته عبادة
ما سواه حنفاء مايلين عن جميع الاديان الى دين الاسلام مسلمين
مومنين بالرسل كلهم قال عطيه اذا اجتمع الحنيف والمسلم كان معنى الحنيف
الحاج واذا انفرد كان معناه المسلم وهو قول ابن عباس لانه قال حنفاء حجاجا
وقال ابن جبير لا يسمى العرب حنيفا الا من حج واختتن وقال قتادة الحنيفة

الختان

الختان وتحريم البنات والامهات والاخوات والعمات والخالات واقامة
المناسك ويقيموا الصلوة ويوتوا الزكوة اي ويديموا على اقامة الصلوة
ويخرجوا ما فرض عليهم في اموالهم من الزكوة وذلك الذي تقدم ذكره دين القيمة
اي دين الكتب القيمة التي تقدم ذكرها وقيل دين الملة القيمة والشريعة
القيمة وقال النضر بن شميل سالت الخليل عن هذا فقال القيمة جمع القيم و
القايم واحد فالمراد وذلك دين القايمين بالتوحيد وفي هذه الاية دلالة
على بطلان مذهب اهل الجبر لان فيها تصريحا بانه سبحانه انما خلق الخلق
ليعبدوه واستدل بهذه الاية ايضا على وجوب النية في الطهارة اذ
امر سبحانه بالعبادة على وجه الاخلاص ولا يمكن الاخلاص الا بالنية
والقربة والطهارة عبادة فلا تجزي بغير نية ثم ذكر سبحانه حال
الفريقين فقال ان الذين كفروا من اهل والمشركين يعني من جحد
توحيد الله وانكر نبوة نبيه ومن اشرك معه الها اخر في العبادة في نار
جهنم خالدين فيها لا يفنى عقابهم اولئك هم شر البرية اي شر الخليقة
جزاوهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار مر معناه
خالدين فيها ابدا اي مويدين فيها دايما رضي الله عنهم بالطاعات
ورضوا عنه بما جازاهم من الثواب وقيل رضي الله عنهم اذ وحدوه
ونزهوه عما لا يليق به واطاعوه ورضوا عنه اذ فعل بهم ما رجعوا
من رحمته وفضله ذلك الرضا والثواب لمن خشي ربه فترك
معاصيه وفعل طاعاته وفي كتاب شواهد التنزيل للحاكم ابي القسم
الحسكاني رحمه الله قال اخبرنا ابو عبد الله الحافظ بالاسناد المرفوع
الى يزيد بن شراحيل الانصاري كاتب علي قال سمعت عليا يقول قبض رسول
الله صلى الله عليه وآله وانا مسنده الى صدري فقال يا علي الم تسمع قول
الله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية

هم شيعتك وموعدى وموعدكم الحوض اذا اجتمعت الامم للحساب يدعون
غرا محجلين و فيه عن مقاتل بن سليمن عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله
اولئك هم خير البريه قال نزلت فى على واهل بيته **سورة الزلزلت** مدنيه
عن ابن عباس و قتاده مكية عن الضحاك وعطاء **عدد آيها** ثمانى آيات
كوفى و المدنى الاول تسع فى الباقين اختلافها اية اشتاتا غير الكوفى
والمدنى الاول **فضلها** ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال من قراها
فكانما قراء البقرة واعطى من الاجر كمن قراء ربع القران وعن انس بن مالك
سال النبى صلى الله عليه وآله رجلا من اصحابه فقال يا فلان هل تزوجت قال لا
وليس عندى ما اتزوج به قال اليس معك قل هو الله احد قال بلى قال ربع
القرآن قال اليس معك قل يا ايها الكافرون قال بلى ربع القران قال اليس
معك اذا زلزلت قال بلى ربع القرآن ثم قال ربع القران ثم قال تزوج تزوج
تزوج وعن ابى عبد الله عليه السلم قال لا تملوا من قراءة اذا زلزلت فان من كانت
قراته فى نوافله لم يصبه الله بزلزله ابدا ولم يمت بها ولا بصاعقة ولا بافة
من افات الدنيا واذا مات امر به الى الجنة فيقول الله سبحانه عبدى ابحتك
جنتى فاسكن منها حيث شئت وهويت لا ممنوع ولا مدفوع عنه **تفسيرها**
ختم سبحانه تلك السورة ببيان حال المؤمنين والكافرين وافتتح هذه
السورة ببيان وقت فقال بسم الله الرحمن الرحيم
إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ
مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ
النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ **القراءة** فى بعض الروايات عن الكسائى خيرا
يره وشرا يره بضم الياء فيهما وهو رواية ابان عن عاصم ايضا وهى قراءة
على عليه السلم والباقون يره بفتح الياء فى الموضعين الا ان ابا جعفر روحا

درويسا

ورويسا قروا بضم الهاء ضمه مختلسة غير مشبعة **الحجة** قال ابو على من قرا
يره جعل الفعل منقولا من رايت زيدا اذا ادركته ببصرك واريته
عمروا وبنى الفعل للمفعول ومن قراء يره فالتقدير جزاه واثبات
الواو بعد الهاء هو الوجه كما يقال اكرمهو لان هذه الهاء تتبعها
حرف اللين الواو والياء اذا كان قبلها كسرة او ياء والزلزال
بكسر الزاء المصدر وبفتحها الاسم وزلزلت ورجفت ورجت بمعنى
واحد والاثقال جمع الثقل وسمى سبحانه الموتى ثقالا شبهها بالحمل الذى
يكون فى البطن لان الحمل سمى ثقلا كما قال سبحانه فلما اثقلت ويقول العرب
للسيد الشجاع ثقلا على الارض فاذا مات سقط عنها بموته ثقل قالت
الخنساء **شعر** ترثى اخاها صخرا بعدا بن عمرو من ال الشريد حلت به الارض
اثقالها عنت بذلك انه حل عن الارض ثقل السوده وغيره وقيل معناه
زينت موتاها به من الحلية وقال الشمردل اليربوعى يرثى اخاه **شعر**
وحلت به اثقالها الارض وانتهى لمثواه منها وهو عف شمايله وذكر
ابن السايب ان زهير بن ابى سلمى قال ببيتا ثم اكدى فمر به النابغة الذبيانى
فقال له يا ابا امامه اجز قال ما ذا قال **شعر** تراك الارض اما مت خفا
وتحيا ما حييت به ثقيلا نزلت بمستقر الارض منها فماذا قال فاكدى
نفرى والله النابغة الذبيانى واقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له
ابوه اجز يا بنى فقال له ماذا فانشده فقال كعب **شعر** فتمنع جانبيها
ان تزولا فقال زهير انت والله ابنى وحى بمعنى واحد قال العجاج وحى لها
فاستقرت **الاعراب** العامل فى اذا قوله خبرا منصوب على التميز وقيل
ان العامل فى اذا قوله يحدث ويكون يومئذ تكرارا اى اذا زلزلت
الارض تحدث اخبارها وقيل ان التقدير وقال الانسان يومئذ
ما لها تحدث اخبارها فقيل ذلك بان ربك اوحى ويحدث يجوز ان يكون

على الخطاب اي تحدث انت ويجوز ان يكون على يحدث هي المعنى خوف الله
سبحانه عباده اهوال يوم القيمة فقال اذا زلزلت الارض زلزالها اي اذا حركت
الارض تحريكا شديدا لقيام الساعة زلزالها الذي كتب عليها ويمكن
ان يكون انما اضافها الى الارض لانها تعم جميع الارض بخلاف الزلازل المعهودة
التي تختص ببعض الارض فيكون في قوله زلزالها بينه على شدتها واخرجت
الارض اثقالها اي اخرجت موتاها المدفونة فيها تخرجها احياء للجزاء
عن ابن عباس و مجاهد والجبائي و قيل معناه لفظت ما فيها من كنوزها
ومعادنها فتلقى على ظهرها ليراها اهل الموقف و يكون الفائدة في ذلك
ان تحسر العصاة اذا نظروا اليها لانهم عصوا الله فيها ثم تركوها لا يغني
عنهم شيئا وايض فانه تكوى به جباههم وجنوبهم وظهورهم وقال الانسان
ما لها اي و يقول الانسان متعجبا ما للارض تتزلزل يعني ما لها حدث
فيها ما لم يعرف منها عن ابي مسلم وقيل ان المراد بالانسان الكافر لان
المؤمن معترف بها لا يسال عنها اي يقول الكافر الذي لم يؤمن بالبعث
اي شيء زلزلها واخبارها الى هذه الحال يومئذ تحدث اخبارها
اي تخبر بما عمل عليها وجاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه و آله قال
اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال اخبارها ان تشهد
على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها يقول عمل كذا وكذا فهذا اخبارها
وعلى هذا فيجوز ان يكون الله تعالى احدث الكلام فيها وانما نسبه
توسعا ومجازا ان يكون يقلبها حيوانا يقدر على النطق ويجوز ان يظهر
فيها ما يقوم مقام الكلام فعبر عنه بالكلام كما يقال عيناك تشهدان
بسهرك وكقول الشاعر   وقالت له العينان سمعا وطاعة وقد مر
امثالها وقوله بان ربك وحى لها اي الهمها وعرفها بان تحدث
اخبارها وقيل ان يلقي الكنوز والاموات على ظهرها يقال اوحى له واليه

اي القي اليه

اي القي اليه من جهة بخفي قال الفراء تحدث اخبارها بوحي الله واذنه لها
وقال ابن عباس اذن لها لتخبر بما عمل عليها وروى الواحدي باسناده
مرفوعا الى ربيعة الجرشي قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله حافظوا على
الوضوء وخير اعمالكم الصلوة وتحفظوا من الارض فانها امكم وليس فيها
احد يعمل خيرا او شرا الا وهي مخبرة به وقال ابو سعيد الخدري اذا كنت
بالبوادي فارفع صوتك بالاذان فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه
و آله يقول لا يسمعه جن ولا انس ولا حجر الا يشهد له يومئذ يصدر الناس
اشتاتا اي يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض متفرقين اهل الايمان
على حدة واهل كل دين على حدة وهذا كقوله يوم يقوم الساعة يومئذ
يتفرقون و قوله يومئذ يصدعون ليروا اعمالهم اي ليروا جزاء اعمالهم
عن ابن عباس و المعنى انهم يرجعون عن الموقف فرقا لينزلوا منازلهم من الجنة
والنار وقيل معنى الرؤية هنا المعرفة بالاعمال عند تلك الحال وهي رؤية القلب
ويجوز ان يكون التاويل على رؤية العين بمعنى ليروا صحايف اعمالهم يقرؤن
ما فيها لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
اي من يعمل وزن ذرة من الخير يرى ثوابه وجزاءه ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره اي يوما يستحق عليه من العقاب و يمكن ان يستدل بهذا على بطلان
الاحباط لان الظاهر يدل على انه لا يفعل احد شيئا من طاعة او معصية الا يجازى
عليها وما يقع محبطا لا يجازى عليها وما يقع محبطا لا يجازى عليها وليس لهم
ان يقولوا ان الظاهر بخلاف ما يذهبون اليه في جواز العفو عن مرتكب الكبيرة
وذلك لان الاية مخصوصة بالاجماع فان التائب معفو عنه بلا خلاف وعندهم
ان من شرط المعصية التي يواخذ بها ان لا يكون صغيرة فجاز لنا ايضا
ان نشرط فيها ان لا يكون مما يعفو الله عنه وقال محمد بن كعب معناه فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا وهو كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه واهله وماله وولده

حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا وهو مؤمن
ير عقوبته في الدنيا في نفسه واهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله
شر وقال مقاتل ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره يوم القيمة في كتابه فيفرح به وكذلك
من الشر يراه في كتابه فيسوءه ذلك قال وكان احدهم يستقل ان يعطي اليسير
ويقول انما نوجر على ما نعطي ونحن نحبه وليس اليسير مما نحب ويتهاون بالذنب
اليسير ويقول انما وعد الله النار على الكباير فانزل الله هذه الاية يرغبهم في
القليل من الخير ويحذرهم اليسير من الشر وعن ابي عثمن المازني عن ابي عبيدة
قال قدم صعصعة بن ناجية بن جدا الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه وآله
في وفد بني تميم فقال بابي انت يا رسول الله اوصني قال اوصيك بامك وابيك
وادانيك قال زدني يا رسول الله قد احفظ ما بين لحييك ورجليك ثم قال
يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما شيء بلغني عنك فعلته فقال يا رسول الله
رايت الناس يموجون على غير وجه ولم ادر اين الصواب غير اني علمت انهم ليسوا عليه
فرايتهم يئدون بناتهم فعرفت ان الله عز وجل لم يامرهم بذلك فلم اتركهم يئدون
وفديت ما قدرت وفي رواية اخرى انه سمع فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره فقال حسبي ما ابالي ان اسمع من القرآن غير هذا وقال
عبد الله بن مسعود احكم آية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الى اخر
السورة وكان صلى الله عليه وآله يسميها الجامعة وتصدق سعد بن ابي وقاص
بتمرتين فقبض السايل يده فقال سعد ويحك يقبل الله منا مثقال الذرة والخردلة
وكان فيها مثاقيل سورة العاديات مدنية عن ابن عباس وقتاده وقيل مكية
عدد آيها احدى عشرة آية بالاجماع فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله
قال من قراها اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا
سليمن بن خالد عن ابي عبد الله عليه السلم قال من قراء والعاديات وادمن قراتها
بعثه الله مع امير المؤمنين عليه السلم يوم القيمة خاصة وكان في حجره ورفقايه تفسيرها

اتصلت

اتصلت هذه السورة بما قبلها لما فيها من ذكر القيمة والجزاء اتصال النظير
فقال سبحانه بسم الله الرحمن الرحيم
وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا
فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ
لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ
إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ القراءة في الشواذ قراءة ابي حيوة فاثرن بتشديد
التاء وقراءة علي عليه السلم وقتاده وابن ابي ليلى فوسطن بالتشديد الحجة قال
ابن جني فاثرن مثل ابدين واثرن نقعا كما يؤثر الانسان النقش وغيره مما يبديه
للناظر وهو من التاثير فالهمزة فاء الفعل واثرن بالتخفيف من الاثارة بالهمزة
وقوله فوسطن به بالتشديد معناه مفرد به جمعا اي جعلته شطرين قسمين
شقين ومعنى وسطنه بالتخفيف صرن في وسطه اللغة الضبح في الخيل الحمحم عند
العدو وقيل هو شدة النفس عند العدو وضبحت الخيل تضبح ضبحا وضباحا وقيل
ضبح وضبع بمعنى وهو ان يمد ضبعه في السير حتى لا يجد من يدا او ورى القادح
النار يوري ايراء اذا قدح قدحا ويسمى تلك النار نار الحباحب لضعفها قال النابغة
شعر بعد السلوقي المضاعف نسجه ويوقدون بالصفاح نار الحباحب وهو اسم
رجل كان بخيلا وكانت ناره ضعيفة ليلا يراها الاضياف فضربوا المثل بها
وشبهوا نار الحوافر بها لقلتها والنقع الغبار يغوص فيه صاحبه كما يغوص
في الماء والكنود الكفور ومنه الارض الكنود وهي التي لا تنبت شيئا والاصل
فيه منع الحق والخير قال الاعشى شعر احدث لها تحدث بوصلك انها كند
لوصل الزاير المعتاد وقيل انما سميت كندة لقطعها اباها النزول قيل بعث
رسول الله صلى الله عليه وآله سرية الى حي من كنانة فاستعمل عليهم المنذر بن عمرو
الانصاري احد النقباء فتاخر رجوعهم فقال المنافقون قتلوا جميعا فاخبر
الله تعالى عنها بقوله والعاديات ضبحا عن مقاتل وقيل نزلت السورة لما بعث

النبي ص عليًا عليه السلام الى ذات السلاسل فاوقع بهم وذلك بعد ان بعث اليهم
مرارا غيره من الصحابة فرجع كل منهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو
المروي عن ابي عبد الله عليه السلام في حديث طويل قال وسميت هذه الغزوة
وذات السلاسل لانه اسر منهم وقيل وسبى وشد اسارا هم في الحبال مكتفين
كانهم في السلاسل ولما نزلت السورة خرج رسول الله صلى الله عليه وآله
الى الناس فصلى بهم الغداة وقرا فيها والعاديات فلما فرغ في صلوته
قال اصحابه هذه السورة لم نعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
نعم ان عليًا قد ظفر باعداء الله وبشرني بذلك جبرئيل في هذه الليلة
فقدم علي عليه السلام بعد ايام بالاسارى والغنايم المعنى والعاديات
ضبحًا قيل هي الخيل في الغزو تعدو في سبيل الله عن ابن عباس وعطا ومجاهد
وعكرمه والحسن وقتاده والربيع قالوا اقسم الله بالخيل العادية لغزو
الكفار وهي تضبح ضبحًا وضبحها صوت اجوافها اذا عدت وليس
بصهيل ولا حمحمة ولكنه صوت نفس وقيل هي الابل حين ذهبت الى غزوة بدر
تمد اعناقها في السير فهي تضبح اي تضبع روى ذلك عن علي عليه السلام وابن
مسعود والسدي وروى ايضا انها ابل الحاج تعدو من عرفة الى المزدلفة
من المزدلفة الى منى قالت صفية بنت عبد المطلب شعر فلا والعاديات
غداة جمع بايديها اذا سطع الغبار اختلف الروايات فيه فروى
عن ابي صالح انه قال قاولت فيه عكرمه فقال عكرمه قال ابن عباس هي
الخيل في القتال فقلت انا قال علي عليه السلام هي الابل في الحج قلت مولاي اعلم من مولاك
وفي رواية اخرى ان ابن عباس قال هي الخيل الا تراه يقول فاثرن به نقعًا
فهل تثيره الا بحوافرها وهل تضبح الابل انما تضبح الخيل فقال علي عليه السلام
ليس كما قلت لقد رايتنا يوم بدر وما معناه الا فرس ابلق للمقداد بن
الاسود وفي رواية اخرى لمرثد بن ابي مرثد الغنوي روى عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس

عن ابن عباس انه قال بينما انا في الحجر جالس اذ اتاني رجل فسال عن العاديات
ضبحًا فقلت له الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تاوي الى الليل فيصنعون
طعامهم ويورون نارهم فانفتل عني فذهب الى علي بن ابي طالب عليه السلام
وهو تحت سقاية زمزم فساله عن العاديات ضبحًا فقال سالت عنها
احدا قبلي قال نعم سالت عنها ابن عباس فقال الخيل حين تغير في سبيل الله قال
فاذهب فادعه لي فلما وقفت على راسه يعني ابن عباس وقف على راس امير
المومنين عليه السلام قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة
في الاسلام بدر وما كانت معناه الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد
بن الاسود فكيف يكون العاديات الخيل العاديات ضبحًا الابل من عرفة
الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى قال ابن عباس فنزعت عن قولي ورجعت
الى الذي قاله علي عليه السلام فالموريات قدحًا هي الخيل توري النار بحوافرها
اذا سارت في الحجارة والارض المحصبة عن عكرمه والضحاك وقال مقاتل
تقدح بحوافرها النار في الحجارة قال ابن عباس يريد ضرب الخيل
بحوافرها الجبل فاورت منه النار مثل الزناد اذا قدح وقال مجاهد
يريد مكر الرجال في الحروب تقول العرب اذا اراد الرجل ان يمكر بصاحبه
اما والله لاورين لك بزند وارى ولاقدحن لك وخالف المصدر فيها
صدر الكلام ومجاز فالقادحات قدحًا وقيل هي النيران تجمع عن ابن كعب
وقال هي السنة الرجال توري النار من عظيم ما تتكلم به عن عكرمه فالمغيرات
صبحًا يريد الخيل تغير بفرسانها على العدو وقت الصبح وانما ذكر الصبح لانهم
كانوا يسرون الى العدو ليلا فياتونهم صبحًا هذا قول الاكثرين وقيل
يريد الابل ترتفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا ترتفع
بركبانها حتى تصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير
عن محمد بن كعب فاثرن به نقعًا يقال ثار الغبار والدخان واثرته اي هيجته والهاء

فيه عايدا الى معلوم يعني بالمكان او بالوادي المعنى فهيجن غبرة وهن غبارا
فوسطن به جمعا اي صرن بعدوهن اي بذلك الكلام وسط جمع
العدو وهم الكتيبة وقال محمد بن كعب يريد جمع منى ان الانسان
لكنود هذا جواب القسم والكنود الكفور الجحود لنعم الله عن ابن عباس
وقتادة والحسن ومجاهد وقيل هو بلسان كندة وحضرموت العاصي
وبلسان مضر وربيعة وقضاعة الكفور عن الكلبي وقيل هو الذي
يعد المصايب وينسى النعم عن الحسن اخذه بعض الشعراء فقال شعر يا ايها
الظالم في فعله والظلم مردود على من ظلم الى متى انت وحتى متى تشكو
المصيبات وتنسى النعم وروى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال اتدرون من الكنود قالوا الله ورسوله اعلم قال الكنود الذي
ياكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وقيل الكنود الذي لا يعطي في
النايبة مع قومه عن عطا وقيل هو القليل الخير عن ابي عبيدة وانه على
ذلك لشهيد معناه وان الله على كفره لشهيد عن ابن عباس وقتاده
وعطا وقيل ان الهاء تعود الى الانسان والمعنى ان الانسان شاهد
على نفسه يوم القيمة بكنوده او في الدنيا فانك لو سالته عن النعمة
لم يذكر اكثرها ويذكر جميع مصايبه وهو معنى قول الحسن وانه يعني الانسان
لحب الخير لشديد اي لاجل حب الخير الذي هو المال اي من اجله لبخيل شحيح
يمنع منه الحق الله تعالى عن الحسن يقال للبخيل شديد ومتشدد قال طرفة
ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل
معناه لشديد الحب للخير اي المال عن الفرا قال ابن زيد سمى الله سبحانه
المال خيرا وعسى ان يكون خبيثا وحراما ولكن لان الناس يعدونه
خيرا فكذلك سمى الجهاد سوءا فقال لم يمسسهم سوء اي قتال وليس هو
عند الله بسوء لان الناس يسمونه سوءا وقال سبحانه على وجه التكبير

والوعيد

والوعيد افلا يعلم هذا الانسان الذي وصفناه اذا بعثر ما في القبور
اي بعث الموتى وانشروا واخرجوا ومثله بحثر وحصل ما في الصدور اي ميز
وبين ما فيها من الخير والشر وقيل معناه واظهر ما اخفته الصدور
ليجازى على السر كما يجازى على العلانية ان ربهم بهم يومئذ لخبير قال الزجاج
الله سبحانه خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى ان الله يجازيهم
على كفرهم في ذلك اليوم وليس يجازيهم الا بعلمه باحوالهم واعمالهم ومثله
قوله اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ومعناه اولئك الذين لا يترك
الله مجازاتهم وفي هذا اشارة الزجر والوعيد فان الانسان متى علم ان الله
يرى جميع اعماله ويعلم ساير افعاله وتحقق ذلك لا بد ان ينزجر عن المعاصي

سورة القارعة مكية عدد آيها احدى عشرة آية كوفي حجازي ثمان
بصري شامي اختلافها ثلاث آيات القارعة الاولى كوفي ثقلت موازينه و خفت
موازينه كلتاهما حجازي كوفي فضلها في حديث ابي من قراها ثقل الله بها
ميزانه يوم القيمة عمرو بن ثابت عن ابي جعفر عليه السلم قال من قرا القارعة امنه الله
من فتنة الدجال ان يومن به ومن فيح جهنم يوم القيمة تفسيرها اتصلت هذه
السورة بما قبلها اتصال النظير بالنظير فان كلتيهما في ذكر القيمة قال سبحانه

بسم الله الرحمن الرحيم

اَلْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا اَدْرٰيكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ
الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ فَاَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَاَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَاُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا
اَدْرٰيكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ القراءة روى عن ابي عمرو انه امال القارعة
وقرا حمزة ويعقوب ما هي في الوصل والباقون ماهيه باثبات الهاء ولم يختلفوا
في الوقف انها بالهاء الحجة قال ابو علي امالة القارعة وان كان المستعلي فيه
مفتوحا جايزة وذلك ان كسرة الراء غلبت عليها فامالتها وقد امالتها

عنها الحي قادر وزعم سيبويه ان ذلك لغة قوم يرتضون عربيتهم وكذلك طارد
وعارم وطاهر كله لك يجوز امالته اذا كانت الراء مكسورة قال سيبويه وقد انشد
اصحاب هذه اللغة شعر عسى الله يغني عن بلاد ابن قادر بمنهمر جون الرباب سكوب
واما قوله ما هيه فتوقف عندها لانها فاصلة والفواصل مواضع وقوف
كما ان اواخر الابيات كذلك وهذا مما يقوي حذف الياء من يسر وما اشبه
الا ترى انهم حذفوا الياء من نحو قوله شعر ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم
يخلق ثم لا يفري اللغة القارعة البلية التي تقرع القلب بشدة المخافة والقرع الضرب
بشدة الاعتماد قرع يقرع قرعا ومنه المقرعة وتقارع القوم وفي القتال اذا تضاربوا
بالسيوف والقرعة كالضرب بالفال وقوارع الدهر دواهيه والفراش الجرادي
الذي يتفرش ويركب بعضه بعضا وهو غوغاء الجراد عن الفراء والمبثوث
المتفرق في الجهات كانه محمول على الذهاب فيها والبث التفريق وابثته الحديث
اذا القيته اليه كانك فرقته بان جعلته عندا بنين والعهن الصوف ذو الالوان
يقال عهن وعهنة وعيشة راضية اي مرضية فاعل بمعنى المفعول وقيل معناه
ذات رضى كقولهم فلان تابل اي ذو تبل قال وغررتني وزعمت انك لابن بالصيف
تامر اي ذو لبن وتمر قال النابغة شعر كليني لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطي الكواكب
اي ذي نصب الهاوية من اسماء جهنم وهي المهواة لا يدرك قعرها الاعراب
القارعة مبتداء وما مبتدا ثان وما بعده خبره وكان حقه القارعة ما هي
لكنه سبحانه كرر تفخيما لشانها ومثله قوله لا اقسم بهذا البلد والجملة
خبر المبتداء الاول ويجوز ان يكون قوله القارعة مبتداء ويوم يكون الناس
خبره بمعنى ان القارعة تحدث في هذا اليوم ويكون قوله ما القارعة وما
ادريك ما القارعة اعتراضا ويجوز ان يكون التقدير هذا الامر يقع
يوم يكون الناس كالفراش المعنى القارعة اسم من اسماء القيمة لانها تقرع
القلوب بالفزع وبقيم اعداء الله بالعذاب ما القارعة هذا تعظيم لشانها

وتهويل

وتهويل لامرها ومعناه واي شيء القارعة ثم عجب نبيه صلى الله عليه وآله فقال وما
ادريك ما القارعة يقول انك يا محمد لا تعلم حقيقة امرها وكنه وصفها
على التفصيل وانما تعلمه على سبيل الاجمال ثم بين سبحانه انها متى تكون فقال
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبه الناس عند البعث بما يتهافت في
النار قال قتاده هذا هو الطاير الذي يتساقط في النار والسراج وقال
ابو عبيده هو طير يتفرش ليس بذباب ولا بعوض لانهم اذا بعثوا ماج
بعضهم في بعض قال الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة فدل ذلك على انهم
يفزعون عند البعث فيختلفون في المقاصد على جهات مختلفة وهذا مثل
قوله كانهم جراد منتشر وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهو الصوف المصبوغ
المندوف والمعنى ان الجبال تزول عن اماكنها وتصير حقيقه السير
ثم ذكر سبحانه احوال الناس فقال فاما من ثقلت موازينه اي رجحت حسناته
وكثرت خيراته فهو في عيشة راضية اي معيشة ذات رضى يرضاها صاحبها
واما من خفت موازينه اي خفت حسناته وقلت طاعاته والقول في حقيقة
الوزن والميزان والاختلاف في ذلك قد مضى ذكره فيما سبق من الكتاب
وقد ذكر سبحانه الحسنات في الموضعين ولم يذكر وزن السيات لان
الوزن عبارة عن القدر والخطر والسيئة لا خطر لها ولا قدر وانما الخطر والقدر
للحسنات فكان المعنى فاما من عظم قدره عند الله لكثرة حسناته ومن
خف قدره عند الله لخفة حسناته فامه هاوية اي فماواه جهنم ومسكنه
النار وانما سماها امه لانه ياوي اليها كما ياوي الولد الى امه ولان الاصل
السكون الى الامهات قال قتاده هي كلمة عربية لكان الرجل اذا وقع في امر شديد
قيل هوت امه وقيل انما قال فامه هاوية لان العاصي يهوي على ام راسه
في النار عن ابي صالح وقيل لانه يهوي فيها وهي المهواة لا يدرك قعرها
ثم قال سبحانه وما ادريك ما هيه هذا تعظيم وتفخيم لامرها يريد انك

لا تعلم تفصيلها وانواع ما فيها من العقاب وان كنت تعلمها على طريق الجملة و
في هبه للوقف ثم فسرها فقال نار حامية اي هي نار حارة شديدة الحرارة سورة
التكاثر مدنية وقيل مكية ثماني ايات بالاجماع فضلها في حديث ابي ومن قراها
لم يحاسبه الله بالنعيم الذي نعم عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر فكانما قرا
الف اية شعيب العقرقوفي عن ابي عبد الله عليه السلام قال من قرا سورة الهيكم
التكاثر في فريضة كتب له ثواب واجر مائة شهيد ومن قراها في نافلة
كان له ثواب خمسين شهيدا وصلى معه في فريضة اربعون صفا من الملائكة
وعن درست عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه
واله من قرا الهيكم التكاثر عند النوم وقي من فتنة القبر تفسيرها
سبحانه في تلك السورة عن صفة القيمة وذكر في هذه السورة عنها
التكاثر فقال بسم الله الرحمن الرحيم
الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون
كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين
ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم القراءة قرا ابن عامر والكسائي لترون
بضم التاء وروي ذلك عن علي عليه السلام والباقون لترون بالفتح الحجة
قال ابو علي من قال لترون بضم التاء فان راي فعل يتعدى الى مفعول واحد
تقول رايت الهلال كما تقول لبست ثوبك فاذا نقلت الفعل بالهمزة زاد
مفعول اخر تقول اريت زيدا الهلال فان بنيت هذا الفعل للمفعول قلت
اري زيد الهلال ولذلك لترون الجحيم اللغة الالهاء الصرف الى اللهو
واللهو الانصراف الى ما يدعو اليه الهوى يقال لها يلهو لهوا ولهي عن
الشيء يلهى ومنه قولهم فاذا استاثر الله بشيء فاله عنه والتكاثر التفاخر
بكثرة المناقب يقال كاثر القوم اذا تعادوا ما لهم من المناقب والزيارة اتيان
الموضع كاتيان الماوى لما لوف على غير اقامة فيه يزوره زيارة ومنه زور زورا

اذا اشبه

اذا اشبه الخط بما يوهم انه خط فلان وليس به والمزورة من ذلك استقت
والفرق بين النعيم والنعمة ان النعمة كالانعام والتضمين لمعنى منعم انعم
انعاما ونعمة وكلاهما موجب للشكر والنعيم ليس كذلك لانه من نعم نعيما
فلو عمل ذلك بنفسه لكان نعيما لا يوجب شكرا واما النعمة بفتح النون فمن نعم
بضم العين اذا لان الاعراب كلا حرف وليس باسم وتضمنه معنى ارتدع لا يدل
على انه كصه بمعنى اسكت ومه بمعنى اكفف الا ترى ان اما تتضمن معنى مهما
يكن من شيء وهو حرف فكذا كلا ينبغي ان يكون حرفا كلا لو تعلمون جواب
لو محذوف تقديره لما الهاكم التكاثر وعلم اليقين مصدر وقيل هو
قسم والتقدير وعلم اليقين لترون الجحيم اي عذاب الجحيم فحذف لان
رويتها ليس بوعيد انما الوعيد برؤية عذابها وتقديره في الاعراب
علم الخبر اليقين فحذف المضاف ومثله حب الحصيد ولا يجوز الهمزة في
لترون ولترونها على قياس اتوب في اثوب واعد في وعد لان الضمة هاهنا
عارضة لالتقاء الساكنين وليست بلازمة واما عين اليقين فانتصابه
انتصاب المصدر ايضا كما تقول رايته وتبينته يقينا والرؤية هنا بمعنى
المشاهدة كما قال سبحانه وان منكم الا واردها النزول قيل نزلت السورة
في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان الهاهم
ذلك حتى ماتوا ضلالا عن قتادة وقيل نزلت في فخذ من الانصار تفاخروا
عن ابي بريدة وقيل نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف بن قصي و
بني سهم بن عمرو تكاثروا وعدوا اشرافهم فكثرهم عبد مناف ثم قالوا
نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوهم وقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر
فلان فكثرهم بنو سهم لانهم كانوا اكثر في الجاهلية عن مقاتل والكلبي المعنى
الهيكم التكاثر اي شغلكم عن طاعة الله وعن ذكر الاخرة التكاثر بالاموال
والاولاد التفاخر بكثرتها حتى زرتم المقابر حتى ادرككم الموت على تلك الحال

عن الحسن وقتاده وقال الجبائي حتى متم على ذلك ولم تتوبوا وقيل الهاكم التباهي
بكثرة المال والعدد عن تدبر امر الله حتى عددتم الاموات في القبور
وروى عن قتاده عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال انتهيت
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول الهاكم التكاثر سوره قال
يقول ابن آدم مالي مالي ومالك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست
فابليت او تصدقت فامضيت اورده مسلم في الصحيح ثم رد الله تعالى عليهم
هذا فقال كلا اي ليس الامر الذي ينبغي ان يكونوا عليه التكاثر ثم اوعدهم فقال
سوف تعلمون ثم اكد ذلك وكرره فقال ثم كلا سوف تعلمون قال الحسن ومقاتل
هو وعيد بعد وعيد سوف تعلمون عاقبة تباهيكم وتكاثركم اذا نزل
بكم الموت وقيل معناه سوف تعلمون تعلمون في القبر ثم تعلمون في الحشر وروى
زر بن حبيش عن علي عليه السلام قال ما زلنا نشك حتى نزلت الهيكم التكاثر
الى قوله كلا سوف تعلمون يريد في القبر ثم كلا سوف تعلمون بعد البعث
وقيل ان المعنى كلا سوف تعلمون اذا رايتم دار الابرار ثم كلا سوف تعلمون
اذا رايتم دار الفجار والعرب تؤكد بكلا وحقا كلا لو تعلمون علم اليقين
هذا كلام اخر يقول لو تعلمون الامر علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التفاخر
والتباهي بالعز والكثرة علم اليقين هو العلم الذي يثلج به الصدر بعد
اضطراب الشك فيه ولهذا لا يوصف الله بانه متيقن ثم استانف سبحانه وعيدا
اخر فقال لترون الجحيم على نية القسم عن مقاتل يعني حين تبرز الجحيم في القيمة
قبل دخولهم اليها ثم لترونها بعد الدخول اليها عين اليقين كما يقال
حق اليقين ومحض اليقين ومعناه ثم لترونها بالمشاهدة اذا دخلتموها
وعذبتم بها ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال مقاتل يعني كفار مكة كانوا
في الدنيا في الخير والنعمة فيسالون يوم القيمة عن شكر ما كانوا فيه اذ لم
يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره واشركوا به ثم يعذبون على ترك الشكر

وهذا قول الحسن قال لا يسال عن النعيم الا اهل النار وقال الاكثرون المعنى ثم
لتسالن يا معاشر المكلفين عن النعيم قال قتاده ان الله سائل كل ذي نعمة عما انعم
عليه وقيل عن النعيم في المأكل والمشرب وغيرهما من الملاذ عن سعيد بن جبير
وقيل النعيم الصحة والفراغ عن عكرمه ويعضده ما رواه عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وآله قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة
والفراغ عن عكرمه ويعضده ما رواه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله
قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل هو الامن والصحة
عن عبد الله بن مسعود ومجاهد وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهم السلام وقيل يسال عن كل نعيم الا ما خصه الحديث وهو قوله ثلث لا يسال
عنها العبد خرقة يواري بها عورته او كسرة يسد بها جوعته او بيت
يكنه من الحر والبرد وروي ان بعض الصحابة اضاف النبي صلى الله عليه وآله
مع جماعة من اصحابه فوجدوا عنده تمرا وماء باردا فاكلوا فلما خرجوا
قال هذا من النعيم الذي تسالون عنه وروى العياشي باسناده في حديث
طويل قال سال ابو حنيفة ابا عبد الله عليه السلام عن هذه الاية فقال له ما النعيم
عندك يا نعمان قال القوت من الطعام والماء البارد فقال لئن اوقفك
الله بين يديه حتى يسالك عن كل اكلة اكلتها او شربة شربتها ليطولن
وقوفك بين يديه قال فما النعيم جعلت فداك قال نحن اهل البيت النعيم الذي
انعم الله بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد ان كانوا مختلفين وبنا الف الله
بين قلوبهم وجعلهم اخوانا بعد ان كانوا اعداء وبنا هداهم الله للاسلام
وهو النعمة التي لا ينقطع والله سائلهم عن حق النعيم الذي انعم به عليهم وهو
النبي وعترته **سورة والعصر** مكية **عدد آيها** ثلث ايات بالاجماع اختلافها
في ايتين والعصر غير المكي والمدني الاخير بالحق مكي والمدني الاخير **فضلها**
في حديث ابي من قراها ختم الله له بالصبر وكان مع اصحاب الحق يوم القيمة

الحسين بن العلا عن ابي عبد الله عليه السلم قال من قرا والعصر في نوافله بعثه الله
يوم القيمة مشرقا وجهه ضاحكا سنه قريرا عينه حتى يدخل الجنة **تفسيرها**
ختم الله سبحانه تلك السورة بوعيد من الهاه التكاثر وافتتح هذه ببيان ذلك
وهو ان الانسان لفي خسر الا المؤمن الصالح فقال سبحانه

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا
بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ **اللغة** اصل العصر عصر الثوب ونحو وهو فتله
لاخراج ما به ومنه العصر للدهر فانه الوقت الذي يمكن فيه فتل الامور كما يفتل
الثوب والعصر العشي قال **شعر** يروح بنا عمرو وقد قصر العصر وفي الروحة
الاولى الغنيمة والاجر والعصران الغداة والعشي والعصران الليل والنهار
وقال **شعر** ولن يلبث العصران يوم وليلة اذا طلبا ان يدركا ما تيمما **المعنى**
اراد بالانسان الجمع دون المفرد بدلالة انه استثنى منه الذين امنوا وروى
بعضهم وعن ابي عمرو وتواصوا بالصبر على لغة من قال مررت ببكر **سه**
والعصر اقسم الله سبحانه بالدهر لان فيه عبرة لذوي الابصار من جهة مرور
الليل والنهار على تقدير الادوار وهو قول ابن عباس والكلبي والجبائي وقيل
هو وقت العشاء عن الحسن وقتاده فعلى هذا اقسم سبحانه بالطرف الاخير من النهار
لما في ذلك من الدلالة على وحدانية الله تعالى بادبار النهار واقبال الليل
وذهاب سلطان الشمس كما اقسم بالضحى وهو الطرف الاول من النهار لما فيه من حدوث
سلطان الشمس واقبال النهار واهل الملتين يعظمون هذين الوقتين وقيل
اقسم بصلوة العصر وهي الصلوة الوسطى عن مقاتل وقيل هو الليل والنهار
ويقال لهما العصران عن ابن كيسان ان الانسان لفي خسر هذا جواب القسم والانسان
اسم الجنس والمعنى انه لفي نقصان لانه ينقص عمره كل يوم وهو راس ماله ولم
يكتسب به الطاعة يكون على نقصان طول دهره وخسران اذ لا خسران اعظم

من استحقاق العقاب الدايم وقيل لفي خسر اي في هلكه عن الاخفش الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات استثنى من جملة الناس المؤمنين المصدقين بتوحيد
الله العاملين بطاعة الله وتواصوا بالحق اي وصى بعضهم بعضا باتباع
الحق واجتناب الباطل وقيل الحق القران عن الحسن وقتاده وقيل هو الايمان
والتوحيد عن مقاتل وقيل هو ان يقولوا عند الموت لمخلفيهم لا تموتن
الا وانتم مسلمون وتواصوا بالصبر اي وصى بعضهم بعضا بالصبر على
المشاق في طاعة الله عن الحسن وقتاده وبالصبر عن معاصي الله اي فان هولاء
ليسوا في خسر بل هم في اعظم ربح وزياده يربحون الثواب باكتساب الطاعات
وانفاق العمر فيها وكان راس مالهم باق كما ان التاجر اذا خرج راس ماله
من يده وربح عليه لم يعد ذلك ذهابا وقيل لفي خسر وقيل معناه لفي عقوبة
وغبن من فوت اهله ومنزله في الجنة وقيل اراد بالانسان الكافر خاصة
وهو ابو جهل والوليد بن المغيره وفي هذه السورة اعظم دلالة على اعجاز
القران الا ترى انها مع قلة حروفها تدل على جميع ما يحتاج اليه في الدين
علما وعملا وفي وجوب التواصي بالحق والصبر اشارة الى الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر والدعا الى التوحيد والعدل واداء الواجبات والاجتناب
عن المقبحات وقيل ان في قراءة ابن مسعود والعصر ان الانسان لفي خسر
وانه فيه الى اخر الدهر وروى ذلك عن علي عليه السلم **سورة الهمزة** مكية وهي تسع
ايات بالاجماع **فضلها** وفي حديث ابي من قراها اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من استهزا بمحمد واصحابه ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلم قال
من قرا ويل لكل همزة في فريضة من فرايضه نفت عنه الفقر وجلبت عليه
الرزق ويدفع عنه ميتة السوء **تفسيرها** اجمل سبحانه في تلك السورة ان الانسان
لفي خسر وفصل في هذه السورة تلك الجملة فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ

فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهَا
عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ القراءة قرا اهل البصرة وابن كثير ونافع وعاصم
جمع بالتخفيف والباقون في عمد بفتح العين والميم الحجة قال ابو الحسن المثقله
اكثر يقول جمع المال من هنا ومن هنا وقال ابو عمرو جمع خفيفه اذا اكثر واذا ثقل
فانما هو شي بعد شي قال ابو علي قد يجوز ان يكون جمع لما يجمع فيما قرب
من الوقت لم يجمع شيئا بعد شي قال سبحانه ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وقال
الاعشى شعر ولمثل الذي جمعت لريب الدهر لا مسند ولا ن مال ولا شبابا يكون
اداة الحرب لا يجمع في وقت واحد وانما هو شي بعد شي فيجوز على هذا ان يكون
شيئا بعد شي من قول من خفف كما يكون من ذلك من قول من ثقل ومن قرا
عمد جعله جمعا لعمود مثل قدم وقدوم وزبور وزبر ومن قال عمد
فانه جمع عمود ايضا كما قالوا افق وادم واهب في جمع افيق واديم واهاب
وهذا اسم من اسماء الجمع غير مستمر وقد قالوا اطارس وحرس وغايب
وغيب وخادم وخدم وزايح ورواح وهو في انه غير مطرد مثل عمد اللغة
الهمزة الكثير الطعن على غيره بغير الحق الغايب له بما يعيب واصل الهمز الكسر فكان الغايب
بعيبه اياه وطعنه فيه يكسره وهمزه قيل لاعرابي الهمز القادة قال السنور تهمزها وكان
الهمز في الكلام بين كالطعن بقوة اعتمادها واللمز العيب ايضا والهمزة واللمزة
بمعنى وقيل بينهما فرق فان الهمزة بعكس يظهر العيب واللمزة الذي يعكس في وجهك
عن الليث وقيل الهمزة الذي يوذي جليسه بسوء لفظه واللمزة الذي يكسر عينه
عن جليسه ويشير براسه ويومي بعينه فقال الهمزة يلمز ويلمز بكسر الميم وضمها ورجل
لماز وهماز وهمزة قال زياد الاعجم تدلي يودي اذا لاقيتني كذبا وان تغيبت
كنت الهامز اللمزة والحطمة الكثير الحطم اي الاكل ورجل حطمة اكول وحطم الشي
اذا كسره واذهبه قال قد لفها الليل سواق حطم ليس براعي ابل ولا غنم وفعله
بنا المبالغة في صفة من يكثر منه الفعل ويصير عادة له يقول رجل نكحه كثير

النكاح

النكاح وضحكه كثير الضحك وكذا همزة ولمزة وفعله ساكنة العين يكون للمفعول
به الاعراب الذي جمع في موضع جر على البدل من همزة ولا يجوز ان يكون صفه
لانه معرفه ويجوز ان يكون في موضع نصب على اضمار اعني وفي موضع رفع على
اضمار هو وفي حرف عبد الله ويل للهمزة فعلى هذا الوجه يكون صفة لينبذن
يعني الجمع للمال وروي في الشواذ عن الحسن لينبذان يعني الجامع والمال
ونار الله تقديره على نار الله المعنى ويل لكل همزة لمزة هذا وعيد من الله سبحانه
لكل مغتاب عياب مشا بالنميمة مفرق بين الاحبه عن ابن عباس وعنه ايضا
قال الهمزة الطعان واللمزة المغتاب وقيل الهمزة المغتاب واللمزة الطعان
عن سعيد بن جبير وقتاده وقيل الهمزة الذي يطعن في الوجه بالعيب واللمزة
الذي يغتاب عند الغيب عن الحسن وابي العاليه وعطا بن ابي رباح وقيل
الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه وبعينه
عن ابن زيد الذي جمع مالا وعدده اي احصاه عن الفرا وقيل عدده للدهور
فيكون من العدة عن الزجاج يقال عددت الشي وعددته اذا امسكته
وقيل جمع مالا من غير حله ومنعه من حقه واعده لنوايب دهره عن الجبائي
وقيل ان الايات نزلت في الوليد بن المغيره وكان يغتاب النبي صلى الله عليه واله
من ورايه ويطعن عليه في وجهه عن مقاتل وقيل نزلت في الاخنس بن شريق
الثقفي وكان يلمز الناس ويغتابهم عن الكلبي ثم ذكر سبحانه طول امله فقال
يحسب ان ماله اخلده اي يظن ان ماله الذي جمعه يخلده في الدنيا ويمنعه من الموت
فاخلده في معنى يخلده لان قوله يحسب يدل عليه وانما قال ذلك وان كان الموت
معلوما عند جميع الناس لانه يعمل عمل من يتمنى ذلك وقيل اخلده بمعنى اوجب
اخلاده هذا كما يقال هلك فلان اذا احدث به سبب الهلاك وان لم يقع
هلاكه بعد ثم قال سبحانه كلا اي يخلده ماله ولا يبقى له وقيل معناه حقا
لينبذن في الحطمة اي ليقذفن ويطرحن من وصفناه في الحطمة وهو اسم من اسماء

جهنم قال مقاتل وهي تحطم العظام وتاكل اللحوم حتى تهجم على القلوب ثم قال سبحانه
وما ادريك ما الحطمة تفخيما لامرها ثم فسرها بقوله نار الله الموقدة اى الموججه
اضافها سبحانه الى نفسه ليعلم انها ليست كساير النيران ثم وصفها بالابقاد
على الدوام التي تطلع على الافيدة اى تشرف على القلوب فيبلغها المها وحريقها
وقيل معناه ان هذه النار تخرج من الباطن الى الظاهر بخلاف نيران الدنيا
انها عليهم موصدة يعنى انها على اهلها طبقة تطبق ابوابها عليهم تاكيدا للاياس
عن الخروج في عمد ممدده وهي جمع عمود وقال ابو عبيدة كلاهما جمع عماد قال
وهي اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار وقال مقاتل اطبقت الابواب عليهم
ثم شددت باوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح عليهم
باب ولا يدخل عليهم روح وقال الحسن يعني عمد السرادق في قوله احاط بهم سرادقها
فاذا مدت تلك العمد اطبقت جهنم على اهلها نعوذ بالله منها وقال الكلبي في عمد
مثل السواري ممدوده مطوله تمدد عليهم وقال ابن عباس هم في عمد اى في اغلال
في اعناقهم يعذبون بها وروى العياشي باسناده عن محمد بن النعمن الاحول عن حمران
بن اعين عن ابي جعفر عليه السلام قال ان الكفار والمشركين يعيرون اهل التوحيد
في النار ويقولون ما نرى توحيدكم اغنى عنكم شيئا وما نحن وانتم سواء قال فيانف
بهم الرب تعالى فيقول للملائكة اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ثم يقول للنبيين
اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ثم للمؤمنين فيشفعون لمن شاء الله ويقول
يا ارحم الراحمين اخرجوا برحمتي فيخرجون كما يخرج الفراش ثم قال ثم قال ابو جعفر
ثم مددت العمد واوصدت عليهم كان والله الخلود سورة الفيل مكية خمس آيات
بالاجماع فضلها في حديث ابي من قراها اعفاه الله ايام حيوته من المسخ والقذف
ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال من قراء في الفريضة الم تر كيف فعل ربك باصحاب
الفيل شهد له يوم القيمة كل سهل وجبل ومدر بانه كان من المصلين وينادى يوم القيمة
مناد صدقتم على عبدى قبلت شهادتكم له وعليه ادخلوا عبدى الجنة ولا تحاسبوه فانه

ممن احبه واحب عمله ومن اكثر قراءة لايلاف قريش بعثه الله يوم القيمة على مركب
من مراكب الجنة حتى يقعد على موايد النور يوم القيمة تفسيرها ذكر سبحانه
في تلك السورة ما اعده من العذاب لمن عاب الناس واغتابهم وركن الى
الدنيا وبين في هذه السورة ما فعله باصحاب الفيل فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ
عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ
القراءة في الشواذ قراءة ابي عبد الرحمن الم تر بسكون الراء الحجة قال
ابن جني ان هذا السكون بابه الشعر دون القران لما فيه من استهلاك
الحرف والحركة قبله يعني الالف والفتحة من ترى انشد ابو زيد شعر قالت سليمى اشتر لنا
سويقا يريد اشتر وانشد شعر قد ج في ذا العام من كان رجا فاكتر لنا
كرى صدق فالنجا واحذر فلا تكتر كريا اعوجا علجا اذا ساربنا عفنججا
فحذف وكسره اكثر في الموضعين اللغة ابابيل جماعة في تفرقة زمرة ولا
واحد لها في قول ابي عبيدة والفراء كعبابيد وقال الكسائي واحدها
ابول مثل عجول وزعم ابو جعفر الرواسي انه سمع في واحدها ابالة الاعراب
كيف فعل ربك منصوب بفعل على المصدر او على الحال من الرب والتقدير
الم تر اى فعل فعل ربك او منتقما فعل ربك بهم ام مجازيا ونحو ذلك
والجملة التي هي كيف فعل ربك سدت مسد مفعولي ترى قصة الفيل
اجمعت الرواة على ان ملك اليمن الذي قصد هدم الكعبة هو ابرهة بن الصباح
الاشرم وقيل ان كنيته ابو يكسوم قال الواقدي هو صاحب النجاشي الذي
كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وقال محمد بن اسحق بن يسار اقبل
تبع حتى نزل على المدينة فنزل بوادي قبا فحفر بئرا يدعى اليوم بئر الملك
قال وبالمدينة اذ ذاك يهود والاوس والخزرج فقاتلوه وجعلوا يقاتلونه

بالنهار فاذا امسى ارسلوا اليه بالضيافة فاستحيا واراد صلحهم فخرج اليه رجل
من الاوس يقال له احيحة بن الجلاح وخرج اليه من اليهود بنيامين القرظى
فقال احيحة ايها الملك نحن قومك وقال بنيامين هذه بلدة لا يقدر على
ان تدخلها لو جهدت قال ولم قال لانها منزل نبى من الانبيا يبعثه الله من قريش
قال ثم خرج يسير حتى اذا كان من مكة على ليلتين بعث الله عليه ريحا فقصفت
يديه ورجليه وشنجت جسده فارسل الى من معه من اليهود فقال ويحكم ما هذا
الذى اصابنى قالوا احدثت نفسك بشى قال نعم وذكر ما اجمع عليه من هدم
البيت واصابة ما فيه قالوا ذلك بيت الله الحرام ومن اراده هلك قال
ويحكم وما المخرج مما دخلت فيه قالوا تحدث نفسك بان تطوف به وتكسوه
وتهدى له فحدث نفسه بذلك فاطلقه الله ثم سار حتى دخل مكة فطاف
بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وكسا البيت وذكر الحديث فى نحره بمكة
واطعامه الناس ثم رجوعه الى اليمن وقتله وخروج ابنه الى قيصر واستغاثته
به فيما فعل قومه بابيه وان قيصر كتب الى النجاشى ملك الحبشة وان النجاشى
بعث معه ستين الفا واستعمل عليهم روزبه حتى قاتلوا حمير قبيلة ابيه ودخلوا
صنعا فملكوها وملك اليمن وكان فى اصحاب روزبه رجل يقال له ابرهة وهو ابو
يكسوم فقال انا اولى بهذا الامر منك وقتله مكرا وارضى النجاشى ثم انه
بنى كعبة باليمن وجعل فيها قبابا من ذهب وامر اهل مملكته بالحج اليها يضاهى
بذلك البيت الحرام وان رجلا من بنى كنانة خرج حتى قدم اليمن فنظر اليها
ثم قعد فيها يعنى لحاجة الانسان فدخلها ابرهة فوجد تلك العذرة
فيها فقال من اجترا على بهذا ونصرانيتى لاهدمن ذلك البيت حتى
لا يحجه حاج ابدا فدعى بالفيل واذن قومه بالخروج ومن اتبعه من اهل
اليمن وكان اكثر من اتبعه منهم عك والاشعرون وخثعم قال ثم خرج
يسير حتى اذا كان ببعض طريقه بعث رجلا من بنى سليم ليدعوا الناس

الحج بيته

الى حج بيته الذى بناه فتلقاه ايضا رجل من الحمس من بنى كنانة فقتله فازداد
بذلك حنقا واجد السير والانطلاق وطلب من اهل الطائف دليلا فبعثوا
معه رجلا من هذيل يقال له نفيل فخرج بهم يهديهم حتى اذا كانوا بالمغمس
نزلوا وهو من مكة على ستة اميال فبعثوا مقدماتهم الى مكة فخرجت قريش
عباديد فى رؤس الجبال وقالوا لا طاقة لنا اليوم بقتال هولاء القوم فلم يبق
بمكة غير عبد المطلب بن هاشم اقام على سقايته وغير شيبة بن عثمن بن عبد
الدار اقام على حجابة البيت فجعل عبد المطلب ياخذ بعضادتى الباب
شعر لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبوا بصليبهم ومحالهم عدوا
محالك لا يدخلوا البلد الحرام اذا ما فاس بذلك ثم ان مقدمات ابرهة
اصابت نعما لقريش فاصابت فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم فلما
بلغه ذلك خرج الى القوم وكان حاجب ابرهة رجلا من الاشعريين وكانت له
بعبد المطلب معرفة فاستاذن له على الملك وقال له ايها الملك جاءك
سيد قريش الذى يطعم انسيها فى الحى ووحشيها فى الجبل فقال ايذن له
وكان عبد المطلب رجلا جسيما جميلا فلما راه ابو يكسوم اعظمه ان يجلسه
تحته وكره ان يجلسه معه على سريره فنزل من سريره فجلس على الارض وجلس
عبد المطلب معه ثم قال وما حاجتك قال حاجتى مائتى بعير لى اصابتها مقدمتك
فقال ابو يكسوم والله لقد رايتك فاعجبتنى ثم تكلمت فزهدت فيك
فقال ولم ايها الملك قال لانى جئت الى بيت عزكم ومنعتكم من العرب وفضلكم
فى الناس وشرفكم عليهم ودينكم الذى تعبدون فجئت لاكسره واصيب
لك مائتا بعير فسالتك عن حاجتك فكلمتنى فى ابلك ولم تطلب الى بيتكم
فقال له عبد المطلب ايها الملك انا اكلمك فى مالى ولهذا البيت رب هو يمنعه
لست انا منه فى شى ففزع ذلك ابا يكسوم وامر برد ابل عبد المطلب عليه
ثم رجع وامست ليلتهم تلك الليلة كالحة نجومها كانها تكلمهم كلاما لاقترابها

منهم فاحسنت نفوسهم بالعذاب وخرج دليلهم حتى دخل الحرم وتركهم وقام
الاشعريون وخثعم فكسروا رماحهم وسيوفهم وبرئوا الى الله ان يعينوا
على هدم البيت فباتوا كذلك باخبث ليلة ثم ادلجوا بسحر فبعثوا فيلهم
يريدون ان يصبحوا بمكة فوجهوه الى مكة فربض فضربوه فتمرغ فلم يزالوا
كذلك حتى كادوا ان يصبحوا ثم انهم اقبلوا على الفيل فقالوا لك الله ان
توجهك الى مكة فانبعث فوجهوه الى اليمن راجعا فتوجه يهرول فعطفوه
حين رءوه منطلقا حتى اذا ردوه الى مكانه الاول ربض فلما راوا ذلك
عادوا الى القسم فلم يزالوا كذلك يعالجونه حتى اذا كان مع طلوع الشمس
طلعت عليهم الطير معها الحجارة فجعلت ترميهم وكل طائر في منقاره حجر
وفي رجليه حجران واذا رمت بتلك مضت وطلعت اخرى فلا يقع حجر
من حجارتهم تلك على بطن الا خرقه ولا عظم الا اوهاه ونقبه وثاب ابو يكسوم
راجعا قد اصابته بعض الحجارة فجعل كلما قدم ارضا انقطع له فيها ارب
حتى اذا انتهى الى اليمن لم يبق شيء الا باده فلما قدمها تصدع صدره وانشق
بطنه فهلك ولم يصب من خثعم والاشعريين احد قال وكان عبد المطلب
يرتجز ويدعوا على الحبشة يقول شعر يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع
منهم حماكا انهم لم يقهروا قواكا قال ولم تصب تلك الحجارة احدا اهلكه وليس
كل القوم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي منها جاؤا و
يسالون عن نفيل ليدلهم على الطريق وقال النفيل في ذلك شعر ردينة لو رايت
ولن تريه لدى جنب المحصب ما راينا حمدت الله اذ عاينت طيرا وخفت
حجارة تلقى علينا وكل القوم تسال عن نفيل كان على للحبشان دينا وقال مقاتل
بن سليمن السبب الذي جر اصحاب الفيل الى مكة هو ان فئة من قريش خرجوا تجارا
الى ارض النجاشي فصاروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي خفف من احقافها بيعة
النصارى تسميها قريش الهيكل وتسميها النجاشي واهل ارضه ماسرجان فنزل

القوم فجمعوا حطبا ثم اججوا نارا واشتووا لحما فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي
في يوم عاصف فذهبت الرياح بالنار فاضطرم الهيكل نارا فغضب النجاشي لذلك
فبعث ابرهة لهدم الكعبة وروى العياشي باسناده عن هشام بن سالم عن
ابي عبد الله عليه السلم قال ارسل الله على اصحاب الفيل طيرا مثل الخطاف او نحوه في
منقاره حجر مثل العدسة فكان يحاذي براس الرجل فيرميه بالحجر فيخرج من دبره
فلم تزل بهم حتى اتت عليهم قال وافلت رجل منهم فجعل يخبر الناس بالقصة
فبينا هو يخبرهم اذ ابصر طيرا منها فقال هذا هو منها قال فحاذى به فطرحه
على راسه فخرج من دبره وقال عبيد بن عمير الليثي لما اراد الله ان يهلك
اصحاب الفيل بعث عليهم طيرا نشات من البحر كانها الخطاطيف كل طير
منها معه ثلثة احجار ثم جاءت حتى صفت على رؤسهم ثم صاحت والقت
ما في رجلها ومنقارها فما من حجر وقع منها على رجل الا خرج من الجانب الاخر
وقع على راسه خرج من دبره وان وقع على شيء من جسده خرج من الجانب
الاخر وعن عكرمة عن ابن عباس قال دعا الطير الابابيل فاعطاها حجارة
سوداء عليها الطين فلما حاذت بهم رمتهم فما بقي احد منهم الا اخذته
الحكة فكان لا يحك انسان منهم جلده الا تساقط لحمه قال وكانت الطير
نشات من قبل البحر لها خراطيم الطير ورؤس السباع لم تر قبل ذلك ولا بعده
المعنى خاطب الله سبحانه نبيه عليه السلم ينبهها على عظم الاية التي اظهرها والمعجزة
التي فعلها فقال الم ترى الم تعلم يا محمد لانه صلى الله عليه وآله لم ير ذلك عن
الزجاج وقيل معناه الم تخبر عن القرآن كيف فعل ربك باصحاب الفيل الذين
قصدوا تخريب الكعبة وكان معهم فيل واحد اسمه محمود عن مقاتل وقيل ثمانية
افيال عن الضحاك وقيل اثنا عشر فيلا عن ابي الواقدي وانما وحد لانه اراد
الجنس وكان ذلك في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وآله
وعليه اكثر العلماء وقيل كان امر الفيل قبل مولد النبي صلى الله عليه وآله بثلاث وعشرين

سنة عن الكلبي وقيل كان قبل مولده باربعين سنة عن مقاتل والصحيح الاول
ويدل عليه ما ذكر ان عبد الملك بن مروان قال لعتاب بن اشيم الكناني
الليثي يا عتاب انت اكبر ام رسول الله فقال رسول الله اكبر مني وانا اسن منه
ان رسول الله صلى الله عليه وآله عام الفيل ووقفت على روث الفيل وقالت
عائشة رايت قائد الفيل وسائسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان الم يجعل
كيدهم في تضليل معناه الم يجعل ارادتهم السوء واحتيالهم في تخريب البيت
الحرام وقتل اهله وسبيهم واستباحتهم في تضليل عما قصدوا له ضل سعيهم
حتى لم يصلوا الى ما ارادوه بكيدهم وقيل في تضليل اي في ذهاب وبطلان
وارسل عليهم طيرا ابابيل اي اقاطيع يتبع بعضها بعضا كالابل المؤبلة قال الاعشى
طريق وجبار رواء اصوله عليه ابابيل من الطير تنقب وقال امرؤ القيس
شعر تراهم الى الداعي سراعا كانهم ابابيل طير تحت دجن مدجن وكانت
لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب عن ابن عباس وقيل لها
انياب كانياب السباع عن الربيع وقيل طير خضر لها مناقير صفر عن سعيد
بن جبير وقيل طير سود بحرية تحمل في مناقيرها واكفها الحجارة عن عبيد
بن عمير وقتادة ويمكن ان يكون كان بعضها خضرا وبعضها سودا
ترميهم بحجارة من سجيل اي تقذفهم تلك الطير بحجارة صلبة شديدة ليست
من جنس الحجارة وقد فسرنا السجيل في سورة هود وما جاء من الاقوال
فيه فلا معنى لاعادته وقال موسى بن ابي عائشة كانت الحجارة اكبر من العدسة
واصغر من الحمصة وقال عبد الله بن مسعود صاحت الطير فرمتهم بالحجارة
وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع منها حجر على رجل
الا خرج من الجانب الآخر فان وقع على راسه خرج من دبره فجعلهم كعصف
ماكول اي كزرع وتبن قد اكلته الدواب ثم راثته قد يبست وتفرقت
اجزاؤه شبه الله تقطع اوصالهم بتفرق اجزاء الروث قال الحسن كنا ونحن غلمان

بالمدينة ناكل الشعير اذا قصب وكان يسمى العصف وقال ابو عبيدة العصف
ورق الزرع قال الزجاج اي جعلهم كورق الزرع الذي جذ واكله اي وقع
فيه الاكال وكان هذا من اعظم المعجزات القاهرة والآيات الباهرة في ذلك
الزمان اظهره الله تعالى ليدل على وجوب معرفته وفيه ارهاص لنبوة نبينا
صلى الله عليه وآله لانه ولد في ذلك العام قال قوم من المعتزلة انه كان
معجزة لنبي من الانبياء في ذلك الزمان وربما قالوا هو خالد بن سنان
ونحن لا نحتاج الى ذلك لانا نجوز اظهار المعجزات على غير الانبياء من الائمة
والاولياء وفيه حجة لائحة قاصمة لظهور الفلاسفة والملحدين المنكرين
للآيات الخارقة للعادات فانه لا يمكن نسبة شيء مما ذكره الله تع من امر
اصحاب الفيل الى الطبع وغيره كما نسبوا الصيحة والريح العقيم والخسف وغيرها
مما اهلك به الامم الخالية الى ذلك اذ لا يمكنهم ان يروا في اسرار الطبيعة
ارسال جماعات من الطير معها احجار معدة مهياة لهلاك اقوام معينين
قاصدات اياهم دون من سواهم فترميهم بها حتى تهلكهم وتدمر عليهم
لا يتعدى ذلك الى غيرهم ولا يشك من له مسكة من عقل ولب ان هذا
لا يكون الا فعل الله تع مسبب الاسباب ومذلل الصعاب وليس لاحد
ان ينكر هذا لان نبينا صلى الله عليه وآله لما قرا هذه السورة على اهل
مكة لم ينكروا ذلك بل اقروا به وصدقوه مع شدة حرصهم على تكذيبه
واعتنائهم بالرد عليه وكانوا قريبي العهد باصحاب الفيل فلو لم يكن
لذلك عندهم حقيقة واصل لانكروه وجحدوه وكيف وانهم قد ارخوا
بذلك كما ارخوا ببناء الكعبة وموت قصي وغير ذلك وقد اكثر الشعراء
ذكر الفيل ونظموه ونقلته الرواة عنهم فمن ذلك ما قاله امية بن ابي
الصلت شعر ان آيات ربنا بينات ما يماري فيهن الا الكفور حبس
الفيل بالمغمس حتى ظل يحبو كانه معقور وقال عبد الله بن عمير بن مخزوم

شعرانت الجليل ربنا لم تدنوا نت حبست الفيل بالمغمس من بعد ما هم الشى
مبلس حبسته فى هيئة المكركسرا ى المنكر قال ابن الرقيات من قصيدة شعر
واسهلت عليهم الطير بالجندل حتى كانه مرجوم سورة ايلاف مكية خمس ايات
حجازى اربع عند غيرهم اختلافها اية موجوع حجازى فضلها فى حديث
ابى من قراءها اعطى من عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف
بها وروى العياشى باسناده عن المفضل بن صالح عن ابى عبد الله ع
قال سمعته يقول لا تجمع سورتين فى ركعة واحدة الا الضحى والم نشرح
والم تركيف وليلاف قريش وعن ابى العباس عن احدهما قال الم تركيف
فعل ربك ولايلاف سورة واحدة وروى ابى بن كعب لم يفصل بينهما فى مصحفه
وقال عمر بن ميمون الاودى صليت المغرب خلف عمر بن الخطاب فقرا فى
الاولى والتين وفى الثانية الم تركيف وليلاف قريش تفسيرها ولما ذكر
سبحانه عظيم نعمته على اهل مكة بما صنعه باصحاب الفيل قال عقيب ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

لِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا
الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ القراءة قرا ابو جعفر
ليلاف قريش بغير همز الافهم مختلسة الهمزة ليس بعدها ياء وقرا ابن عامر
لالاف قريش مختلسة الهمزة ليس بعدها ياء ايلافهم مشبعة الهمزة بعدها
ياء اللغة قال ابو على قال ابو عبيدة الفت والفت لغتان انشد ابو زيد
الحجة من المولفات الرمل اذماء حرة شعاع الضحى فى جيدها يتوضح
وانشد غيره الف الصفول فلا يزال كانه مما يقوم على الثلث كسيرا
وقال الاخر زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الالف والالاف و
والالف والايلاف مصدر الف للغة والايلاف ايجاب الالف بحسن التدبير
والتطلف يقال الف يالف الفا والفه يولفه ايلافا اذا جعله يالفه فالايلاف

نقيض الايجاب ونظيره الايناس والف الشىء لزومه على عادة فى سكون
النفس اليه والرحلة حال السير على الراحلة والرحل متاع السفر والارتحال
احتمال الرجل للسير فى السير الاعراب قال ابو الحسن الاخفش اللام فى قوله ليلاف
قريش يتعلق بقوله كعصف ماكول اى فعلنا ذلك لهم لتاليف قريش رحلتها
وقال الزجاج معناه اهلك الله اصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد الفوا
من رحلة الشتاء والصيف قال ابو على اعترض معترض فقالوا انما جعلوا
كعصف ماكول لكفرهم ولم يجعلوا كذلك لتاليف قريش قال وليس هذا
الاعتراض بشىء لانه يجوز ان يكون المعنى اهلكوا لكفرهم ولما ادى اهلاكهم
الى ان تايلف قريش جاز كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم
يلتقطوه لذلك فلما ال الامر اليه حسن ان يجعل علة الالتقاط وقال
الخليل وسيبويه فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش اى ليجعلوا
عبادتهم شكرا لهذه النعمة واعترافا بها وقيل هو على الم تركيف
فعل ربك ليلاف قريش عن الفراء لانه سبحانه ذكر اهل مكة عظيم
نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة ثم قال المعنى والقصة لايلاف قريش
اى فعلنا ذلك باصحاب الفيل نعمة منا على قريش مضافة الى نعمنا عليهم
فى رحلة الشتاء والصيف فكانه قال النعمة الى نعمة فيكون اللام مودية
معنى الى وهو قول الفراء وقيل معناه فعلنا ذلك لتالف بمكة ويمكنهم
المقام بها ولنولف قريشا فانهم هابوا من ابرهة لما قصدها و
هربوا منه فاهلكناه لترجع قريش الى مكة ويالفوا بها ويولد محمد
صلى الله عليه واله فيبعث الى الناس بشيرا ونذيرا وقوله ايلافهم
ترجمة عن الالاف بدل عنه ورحلة الشتاء والصيف منصوبة بوقوع
ايلافهم عليها وتحقيقه ان قريشا كانت بالحرم امنة من الاعداء ان يهجم
عليهم فيه ان يعرض لها احد بالسوء اذا خرجت منه لتجارتها والحرم واد

جذيب انما كانت تعيش قريش فيه بالتجارة وكانت لهم رحلتان في كل سنة رحلة
في الشتاء الى اليمن لانها بلاد حامية ورحلة في الصيف الى الشام لانها بلاد
باردة ولولا هاتان رحلتان لم يمكنهم به مقام ولولا الامن لم يقدروا
على التصرف فلما قصد اصحاب الفيل مكة اهلكهم الله لتألف قريش هاتين
الرحلتين اللتين بها معيشتهم ومقامهم بمكه وقيل ان كلتى الرحلتين
كانت الى الشام ولكن رحلة الشتاء في البحر وايلة طلبا للدفا ورحلة
الصيف الى بصرى واذرعات طلبا للهواء واما قريش فهو ولد النضر
بن كنانه فكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي واختلف
في تسميتهم بهذا الاسم فقيل سموا قريشا للتجارة وطلب المال وجمعه وكانوا اهل
تجارة ولم يكونوا اصحاب ضرع ولا زرع والقرش الكسب يقال هو يقرش لعياله
اى يكسب وذكر انه قيل لابن عباس لم سميت قريش فقال لدابة يكون في البحر من اعظم
دوابه يقال لها القريش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا اكلته قيل فانشد
في ذلك شيئا فانشد قول الجمحي شعر وقريش هي التي تسكن البحر به سميت قريش
قريشا تاكل الغث والسمين ولا تترك فيه الا الجناجر ديشا وكانت قريش
بتجاراتهم ورحلتهم وكان لا يتعرض لهم احد بسوء كانوا يقولون قريش سكان
حرم الله وولاة بيته وكان اول من حمل السمراء من الشام ورحل اليها
الابل هاشم بن عبد مناف وبصدق قول الشاعر شعر تحملها هاشم ما ضاق عنه
واعيا ان يقوم به ابن بيض اتاهم في الغرائر موسقات من ارض الشام بالبر
النقيض فوسع اهل مكة من هشيم وشاب البر باللحم الغريض وقال سعيد بن جبير
مر رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه ابو بكر بملاء وهم ينشدون شعر يا ذا الذي
طلب السماحة والندى هلا مررت بال عبد الدار لو ان مررت بهم تريد قراهم منعوك
من جهد ومن اقتار فقال لابي بكر هكذا قال الشاعر قال لا والذي بعثك بالحق
بل قال شعر يا ذا الذي طلب السماحة والندى هلا مررت بال عبد مناف لو ان مررت

بهم تريد قراهم منعوك من جهد ومن ايجاف الرايشين وليس يوجد رايش
القايلين هلم للاضياف والخالطين غنيهم بفقيرهم حتى يصير فقيرهم كالكاف
والكايلين بكل وعد صادق ورحال مكة سنين عجاف سفرين سنهما له وللقوم
سفر الشتاء ورحلة الاصياف فليعبدوا رب هذا البيت هذا امر من الله سبحانه
والله سبحانه الذى اطعمهم من جوع بما سبب لهم الارزاق في رحلة الشتاء
والصيف واعطاهم من الاموال وآمنهم من خوف فلا يتعرض لهم احد في سفرهم
اذا قالوا نحن حرم الله وقيل آمنهم من خوف الغارة بالحرم الذى جبلت قلوب
الناس على تعظيمه لانهم كانوا يقولون في الجاهلية نحن قطان حرم الله فلا يتعرض
لهم وان كان الرجل ليصاب في الحى من احياء العرب فيقال حرمى فيخلى عنه وعن ماله
تعظيما للحرم وكان غيرهم اذا خرج اغير عليه قيل اطعمهم من جوع اى بعد جوع
كما يقال كسوتك من عرى يعنى بعد ما كانوا فيه من الجوع قال ابن عباس
كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فلم يكن بنو اب اكثر مالا
ولا اعز من قريش سورة الماعون وتسمى سورة الماعون مكية وقال الضحاك
مدنية وقيل بعضها مكي وبعضها مدني عدد آيها سبع عراقي وست
في الباقين اختلاف فيها آية يراؤن عراقي فضلها في حديث ابي من قرأها
غفر الله له ان كان للزكوة موديا عمرو بن ثابت عن ابي جعفر عليه السلام قال من قرأ
ارايت الذى يكذب بالدين في فرايضه ونوافله قبل الله صلاته وصيامه ولم
يحاسبه بما كان منه في الحيوة الدنيا تفسيرها ذكر سبحانه نعمه على قريش
ثم عجب سبحانه في هذه السورة من تكذيبهم مع عظيم النعمة عليهم فقال
بسم الله الرحمن الرحيم
أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ
عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ القراءة في الشواذ قراءة ابن جا

العطاردی یدع الیتیم بفتح الدال خفیفة الحجة ومعناه یترکه و یعرض عنه فهو صایر الی معنی القراة المشهورة یدع الیتیم ای یدفعه ویجفو علیه اللغة
الدع الدفع بشدة ومنه الدعدعة تحریك المکیال لیستوعب الشیء کانك تدفعه والدعدعة ایضا زجر المعز والحضر والحث والتحریض بمعنی والماعون
کل ما فیه منفعة قال الاعشی شعر باجود منه بماعونه اذا ما سماؤهم لم تغم
وقال الراعی قوم علی الاسلام لما یمنعون ماعونهم ویضیعوا التهلیلا
وقال اعرابی فی نافة له کیما انها تعطیك الماعون ای تنقاد لك وتعطیك
واصله القلة من المعن وهو القلیل قال الشاعر شعر فان هلاك مالك غیر معن ای غیر قلیل ویقال ماله سعن ولا معن والماعون القلیل مما فیه
منفعة ویقال امعن الوادی اذا جرت میاهه قلیلا قلیلا الاعراب فویل
للمصلین الذین هم عن صلوتهم ساهون اعتمد هنا فی الخبر علی ما جری
فی صلة الموصول الذی هو وصف للمجرور باللام المتعلق بالخبر الا تری
ان قوله فویل للمصلین غیر محمول علی الظاهر والاعتماد علی السهو فی صلة
الذین وقوله هم یراؤن ویجوز ان یکون مجرورا علی انه صفة للمصلین
ویجوز ان یکون منصوبا علی اضمار اعنی وان یکون مرفوعا علی اضمار هم
المعنی خاطب الله تعالی نبیه علیه السلام فقال ارایت یا محمد الذی یکذب بالدین
ای هذا الکافر الذی یکذب بالجزاء والحساب وینکر البعث مع وضوح الامر
فی ذلك وقیام الحجج علی صحته وانما ذکره سبحانه بلفظ الاستفهام ارادة للمبالغة
فی الافهام والتکذیب بالجزاء من اضر شیئا علی صاحبه لانه یعدم بذلك
اکثر الدواعی الی الخیر والصوارف عن الشر فهو یتهالك فی الاسراع الی الشر الذی
یدعوه الیه طبعه اذ لا یخاف عواقب الضرر فیه قال الکلبی نزلت فی العاص بن وائل
السهمی وقیل نزلت فی الولید بن المغیرة عن السدی ومقاتل بن حیان وقیل
نزلت فی ابی سفین ابن حرب کان ینحر فی کل اسبوع جزورین فاتاه یتیم فساله

شیئا فقرعة

شیئا فقرعة بعصاه عن ابن جریج وقیل نزلت فی رجل من المنافقین
عن عطا عن ابن عباس فذلك الذی یدع الیتیم بین سبحانه ان من صفة
هذا الذی یکذب بالدین انه یدع الیتیم ای یدفعه عن حقه ویجفوه وعنف
ویقهره عن ابن عباس ومجاهد ولا یحض علی طعام المسکین ای لا یطعمه
ولا یامر باطعامه یعنی لا یفعله اذا قدر ولا یحض علیه اذا عجز لانه یکذب
بالجزاء فویل للمصلین الذین هم عن صلوتهم ساهون وهم الذین یؤخرون
الصلوات عن اوقاتها عن ابن عباس ومسروق وروی ذلك مرفوعا
وقیل یرید المنافقین الذین لا یرجون لها ثوابا ان صلوا ولا یخافون علیها
عقابا ان ترکوا فهم عنها غافلون حتی یذهب وقتها فاذا کانوا مع المؤمنین
صلوها ریاء واذا لم یکونوا معهم لم یصلوا وهو قوله الذین هم یراؤن عن
علی علیه السلام وابن عباس قال الحمد لله الذی قال عن صلوتهم ولم یقل فی
صلوتهم یرید بذلك ان السهو الذی یقع للانسان فی صلوته من غیر عمد
لا یعاقب علیه فیها ساهون عنها لا یبالون صلوا ام لم یصلوا عن قتاده
وقیل هم الذین یترکون الصلوة عن الضحاك وقیل الذین ان صلوها صلوها
ریاء وان فاتتهم لم یندمون عن الحسن وقیل هم الذین لا یصلونها لمواقیتها
ولا یتمون رکوعها ولا سجودها عن ابی العالیة وعنه ایضا قال هو الذی
اذا سجد قال براسه هکذا وهکذا ملتفتا وروی العیاشی بالاسناد عن
یونس بن عمار عن ابی عبد الله علیه السلام قال سالته عن قوله الذین هم عن صلوتهم
ساهون اهی وسوسة الشیطان فقال لا کل احد یصیبه هذا ولکن ان یغفلها
ویدع ان یصلی فی اول وقتها وعن ابی اسامه زید الشحام قال سالت ابا
عبد الله علیه السلام عن قول الله الذین هم عن صلوتهم ساهون قال هو الترك
لها والتوانی عنها وعن محمد بن الفضیل عن ابی الحسن علیه السلام قال هو التضییع لها
وقیل هم الذین یراؤن الناس فی جمیع اعمالهم لم یقصدوا بها الاخلاص لله تع

ويمنعون الماعون وروى ذلك عن ابي عبد الله عليه السلم وقيل هو ما يتعاوره
الناس بينهم من الدلو والفاس والقدر وما لا يمنع كالماء والملح عن ابن مسعود
وابن عباس وسعيد بن جبير وروى ذلك مرفوعا وروى ابو بصير عن
ابي عبد الله عليه السلم قال هو القرض يقرضه المعروف يصنعه ومتاع البيت
يعيره ومنه الزكوة قال فقلت ان لنا جيرانا اذا اعرناهم متاعا كسروه فهل
جناح يمنعهم فقال لا ليس عليك جناح ان تمنعهم اذا كانوا كذلك وقيل هو
المعروف كله عن الكلبي سورة الكوثر مكية عن ابن عباس والكلبي مدنية
عن عكرمة والضحاك وهي ثلث آيات بالاجماع فضلها في حديث ابي من قراها
سقاه الله من انهار الجنة واعطى من الاجر بعدد كل قربان قربه العباد
في يوم عيد ويقربون من اهل الكتاب المشركين ابو بصير عن ابي عبد
الله عليه السلم قال من قراء انا اعطيناك في فرايضه ونوافله سقاه الله
يوم القيمة من الكوثر وكان محدثه عند محمد صلى الله عليه وآله في اصل
طوبى تفسيرها ذم سبحانه في تلك السورة تارك الصلوة ومانع الزكوة
وذكر في هذه السورة انهم ان فعلوا ذلك وكذبوه فانه يعطيه الخير الكثير
وامره بالصلوة فقال بسم الله الرحمن الرحيم
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ
اللغة الكوثر فوعل من الكثرة وهو الشيء من شانه الكثرة والكوثر
الخير الكثير والاعطاء على وجهين اعطاء من غير تمليك واعطاء تمليك
كاعطاء الاجر واصله من عطا يعطو اذ تناوله الثاني البعض والابتر
اصله من الحمار الابتر وهو المقطوع الذنب في حديث زياد انه خطب
خطبة البتراء لانه لم يحمد الله فيها ولم يصل على النبي وآله الحجة والنحر
مفعوله محذوف ای وانحر ضحيتك كما حذف لبيد من قوله الاعراب
وهم العشيرة ان تبطلة حاسد ای نبطاهم حاسد ان ينسبهم الى البطو

وقوله

وقوله ان شانئك هو الابتر لا انت هذا تقديره ای ضبورا لا انت
لان ذكرك مرفوع مهما ذكرت معي وهو الابتر خبر ان النزول قيل نزلت
السورة في العاص بن وائل السهمي وذلك انه رای رسول الله صلى الله
عليه وآله يخرج من المسجد والتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس
من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا من ذا الذي
كنت تحدث معه قال ذاك الابتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله
ابن رسول الله وهو من خديجة وكانوا يسمون من ليس له ابن ابتر
فسمته قريش عند موت ابنه ابتر وصنبورا عن ابن عباس المعنى
خاطب سبحانه نبيه محمدا على وجه التعداد لنعمه عليه فقال انا اعطيناك
الكوثر فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فقراها على الناس
فلما نزل قالوا يا رسول الله ما هذا الذي اعطاكه الله قال نهر في الجنة
اشد بياضا من اللبن واشد استقامة من القدح حافتاه قباب
الدر والياقوت ترده طير خضر لها اعناق كاعناق البخت قالوا
يا رسول الله ما انعم تلك الطير قال افلا اخبركم بانعم منها قالوا
بلى من اكل الطاير وشرب الماء وفاز برضوان الله وروى عن ابي عبد
الله عليه السلم قال نهر في الجنة اعطاه الله نبيه عوضا من ابنه وقيل
هو حوض النبي الذي يكثر الناس عليه يوم القيمة عن عطا وقال انس بينا
رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة
ثم رفع راسه متبسما فقلت ما اضحك يا رسول الله قال انزلت علي
انفا سورة فقراء سورة الكوثر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله
ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي خيرا كثيرا هو حوضي ترد عليه امتي
يوم القيمة انيته عدد نجوم السماء فيختلج القرن منهم فاقول يا رب
انهم من امتي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك اورده مسلم في الصحيح

وقيل الكوثر الخير الكثير عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد وقيل هو النبوة
والكتاب عن عكرمة وقيل هو القرآن عن الحسن وقيل هو كثرة الاصحاب والاشياع
عن ابي بكر بن عياش وهو كثرة النسل والذرية وقد ظهرت الكثرة في نسله
من ولد فاطمة عليها السلام حتى لا يحصى عددهم واتصل الى يوم القيمة مددهم
هو الشفاعة رووه عن الصادق عليه السلام واللفظ محتمل للكل فيجب ان يحمل على جميع
ما ذكر من الاقوال فقد اعطاه الله سبحانه الخير الكثير في الدنيا ووعده
الخير الكثير في الاخرة وجميع هذه الاقوال تفصيل للجملة التي هي الخير الكثير
في الدارين فصل لربك وانحر امره سبحانه بالشكر على هذه النعمة العظيمة
بان قال فصل صلوة العيد لانها عقيبها النحر اي وانحر هديك واضحيتك
عن عطا وعكرمة وقتادة وقال انس بن مالك كان النبي صلى الله عليه وآله
ينحر قبل ان يصلي فامر ان يصلي ثم ينحر وقيل معناه فصل لربك صلوة الغداة
المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى عن سعيد بن جبير ومجاهد وقال
محمد بن كعب ان ناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون فامر الله تعالى
نبيه ان تكون صلوته ونحره للبدن تقربا اليه خالصا له وقيل معناه
صل لربك الصلوة المكتوبة واستقبل القبلة بنحرك وتقول العرب
منازلنا تتناحر اي هذا ينحر هذا يعني يستقبله وانشد ابا حكم هل انت عم
مجاهد وسيد اهل الابطح المتناحر اي ينحر بعضه بعضا وهذا قول الفراء واما
ما رووه عن علي عليه السلام ان معناه ضع يدك اليمنى على اليسرى حذاء النحر في
الصلوة فما لا يصح عنه لان جميع عترته الطاهرة عليهم السلام قد رووا عنه
بخلاف ذلك وهو ان معناه ارفع يديك الى النحر في الصلوة وعن عمر بن يزيد
قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول في قوله فصل لربك وانحر هو رفع يديك
حذاء وجهك وروى عنه عبد الله بن سنان مثله وعن جميل قال قلت لابي عبد الله
فصل لربك وانحر فقال بيده هكذا يعني استقبل بيديه حذو وجهه القبله

في افتتاح الصلوة وروى عن مقاتل بن حيان عن الاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين
علي عليه السلام قال لما نزلت هذه السورة قال النبي صلى الله عليه وآله لجبرئيل ما هذه
البحيرة التي امرني ربي قال ليست بحيرة ولكنه يامرك اذا تحرمت للصلوة
ان ترفع يديك اذا كبرت واذا ركعت واذا رفعت راسك من الركوع
واذا سجدت فانه صلوتنا وصلوة الملائكة في السموات السبع فان لكل شيء
زينة وان زينة الصلوة رفع الايدي عند كل تكبيرة قال النبي صلى الله عليه وآله رفع
الايدي من الاستكانة قلت وما الاستكانة قال الا تقرا هذه الاية فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون اورده الثعلبي والواحدي في تفسيريهما ان شانئك
هو الابتر معناه ان مبغضك هو المنقطع عن الخير وهو العاص بن وائل
وقيل معناه الاقل الاذل بانقطاعه عن كل خير عن قتادة وقيل معناه انه
لا ولد له على الحقيقة وان من ينسب اليه ليس بولد قال مجاهد الابتر الذي
لا عقب له وهو جواب لقريش ان محمدا لا عقب له يموت فنستريح منه ويدرس
دينه اذ لا يقوم مقامه من يدعو اليه فينقطع امره وفي هذه السورة دلالات
على صدق نبينا صلى الله عليه وآله وصحة نبوته احدها انه اخبر عما في نفوس
اعدائه وما اجرى على السنتهم ولم يكن بلغه ذلك فكان على ما اخبر وثانيها
انه قال اعطيناك الكوثر فانظر كيف انتشر دينه وعلا امره وكثرت
ذريته حتى صار نسبه اكثر من نسب ولم يكن شيء من ذلك في تلك الحال وثالثها
ان جميع فصحاء العرب والعجم قد عجزوا عن الاتيان بمثل هذه السورة على وجازة
الفاظها مع تحديه اياهم بذلك وحرصهم على ابطال امره منذ بعث
الى يوم الناس هذا وهذا غاية الاعجاز ورابعها انه سبحانه وعده النصر
على اعدائه واخبره بسقوط امرهم وانقطاع دينهم او عقبهم فكان المخبر
على ما اخبره هذا وفي هذه السورة الموجزة من تشاكل المقاطع للفواصل
وسهولة مخارج الحروف بحسن التاليف والتقابل لكل من معانيها بما هو

اوليه ما لا يخفى على من عرف مجاري كلام العرب سورة الكافرون مكية عن ابن عباس
وقتاده مدنية ست آيات بالاجماع فضلها في حديث ابي من قراها قل يا
ايها الكافرون كانما قراء ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين
وبرى من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر وعن جبير بن مطعم قال قال لي
رسول الله صلى الله عليه وآله اتحب يا جبير ان تكون اذا خرجت سفرا من امثل
اصحابك هيئة واكثرهم زادا قلت نعم بابي انت وامي يا رسول الله صلى الله
عليه وآله قال فاقرا هذه السورة الخمس قل يا ايها الكافرون واذا جاء نصر الله
والفتح وقل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس
وافتتح قراءتك ببسم الله الرحمن الرحيم قال جبير وكنت غير كثير المال
وكنت اخرج مع من شاء الله ان اخرج فاكون اكثرهم هيئة واكثرهم زادا حتى
ارجع من سفري ذلك وعن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابيه انه اتى النبي صلى الله
عليه وآله فقال جئت يا رسول الله لتعلمني شيئا اقوله عند منامي قال اذا اخذت
مضجعك فاقرا قل يا ايها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك
شعيب الحداد عن ابي عبد الله عليه السلام قال كان ابي يقول قل يا ايها الكافرون
ربع القران وكان اذا فرغ منها قال اعبد الله وحده اعبد الله وحده عن
هشام بن سالم عن ابي عبد الله عليه السلام قال اذا قلت لا اعبد ما تعبدون فقل
ولكني اعبد الله مخلصا له ديني فاذا فرغت منها قل ديني الاسلام ثلث مرات
وعن الحسين بن ابي العلا قال من قرا قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
في فريضة من الفرايض غفر الله له ولوالديه وما ولدا وان كان شقيا
محي من ديوان الاشقيا وكتب في ديوان السعداء واحياه الله سعيدا وامانه
شهيدا وبعثه شهيدا تفسيرها ذكر سبحانه في تلك السورة اعداءه اعابوه بانه
ابتر فرد عليهم وذكر في هذه انهم سالوه المداهنة فامره بالبراءة منهم فقال
بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها

قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد
ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين
القراءة قرا نافع وابن كثير وحفص عن عاصم لي دين بفتح الياء و
الباقون بسكون الياء الاعراب اسكان الياء من ولي وفتحها جميعا
حسنان سايغان اللغة ولا انتم عابدون ما اعبد كان الوجه من اعبد
ولكنه جاء بما ليطابق ما قبله وما بعده وقيل ان ما هنا بمعنى من والعايد
من الصلة الى الموصول في الجميع محذوف والتقدير ما تعبدونه
وما اعبده وما عبدتموه النزول نزلت السورة في نفر من قريش
منهم الحرث بن قيس السهمي والعاص بن وايل والوليد بن المغيرة والاسود
بن عبد يغوث الزهري والاسود بن المطلب بن اسد وامية بن خلف
قالوا هلم يا محمد فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في امرنا كله نعبد
الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذي جئت به خيرا مما بايد
ينا كنا قد شركناك فيه واخذنا بحظنا منه وان كان الذي بايدينا
خيرا مما في يديك كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فقال
معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك
ونعبد الهك فقال حتى انظر ما ياتي من عند ربي فنزل قل يا ايها الكافرون
السورة فعدل رسول الله صلى الله عليه وآله الى المسجد الحرام وفيه الملأ
من قريش فقام على رؤوسهم ثم قرا عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا
عند ذلك فآذوه وآذوا اصحابه قال ابن عباس وفيهم نزل قوله افغير الله
تامروني اعبد ايها الجاهلون المعنى خاطب سبحانه النبي صلى الله عليه وآله
فقال قل يا محمد يا ايها الكافرون يريد قوما معينين لان الالف واللام
للعهد لا اعبد ما تعبدون اي لا اعبد الهتكم التي تعبدونها اليوم وفي
هذه الحال ولا انتم عابدون ما اعبد اي الهي الذي اعبده اليوم وفي هذه

الحال ولا انا عابد ما عبدتم فيما بعد اليوم ولا انتم عابدون ما اعبد
فيما بعد اليوم من الاوقات المستقبلة عن ابن عباس و مقاتل قال الزجاج
نفى رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه السورة عبادة الهتهم عن نفسه
في الحال وفيما يستقبل و نفى عنهم عبادة الله في الحال وفيما يستقبل وهذا
في قوم اعلم الله سبحانه انهم لا يومنون كقوله سبحانه في قصة نوح لن يومن
من قومك الا من قد امن وقيل ايضا في وجه التكرار ان القران نزل
بلغة العرب ومن عادتهم تكرير الكلام للتاكيد والافهام فيقول المجيب
بلى بلى و يقول الممتنع لا لا عن الفرا قال و مثله قوله تعالى كلا سوف تعلمون
ثم كلا سوف تعلمون وانشد شعر وكاين وكم لي عندهم من صنيعة اناديب
شودها على وا وجبوا وانشد كم نعمة كانت لكم كم كم وكم وقال الاخر نعق الغرا
ب ببين ليلى غدوة كم كم وكم بفراق ليلى ينعق وقال الاخر هلا سالت جموع
كندة يوم ولوا اين اينا وقال الاخر رددت لنفسي بعض الامور فاولى
لنفسي اولى لها قال وهذا اولى المواضع بالتاكيد لان الكافرين
ابدا وفي ذلك ما عادوا فكرر سبحانه ليوكد باسهم وحسم اطماعهم بالتكرير
وقيل ايضا في ذلك ان المعنى لا اعبد الاصنام التي تعبدونها ولا انتم
عابدون الله الذي انا عابده اذا اشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها
تعبدونها من دونه وانما يعبد الله من اخلص العبادة له ولا انا
عابد ما عبدتم اي لا اعبد عبادتكم فتكون ما مصدرية ولا انتم
عابدون ما اعبد اي وما تعبدون عبادتي على نحو ما ذكرناه فاراد
في الاول المعبود وفي الثاني العبادة فان قيل اما اختلاف المعبودين
فمعلوم فما معنى اختلاف العبادة قلنا انه عليه السلام يعبد الله على وجه الاخلاص
وهم يشركون به في عبادة فاختلف العبادتان ولانه كان يتقرب الى المعبود
بالافعال المشروعة الواقعة على وجه العبادة وهم لا يفعلون ذلك وانما يتقربون

اليه

٤٠٩

اليه بافعال يعتقدونها قربة جهلا من غير شرع لكم دينكم ولي دين ذكر فيه وجوه
احدها ان معناه لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف المضاف واقام المضاف
اليه مقامه وثانيها ان المعنى لكم كفركم بالله ولي دين التوحيد والاخلاص
وهذا وان كان ظاهره اباحة فانه وعيد وتهديد ومبالغة في النهي والزجر
كقوله اعملوا ما شئتم وثالثها ان الدين الجزاء ومعناه لكم جزاؤكم ومعناه
لكم جزاؤكم ولي جزائي قال الشاعر شعر اذا ما لقونا لقيناهم ودناهم مثل ما يقرضونا
وقد تضمنت السورة معجزة لنبينا صلى الله عليه وآله من جهة الاخبار بما يكون
في الاوقات المستقبلة مما لا سبيل الى علمه الا بوحي من قبل الله سبحانه العالم
بالغيوب فكان ما اخبر به كما اخبر وفيها دلالة على ذم المداهنة في الدين ووجوب
مخالفة الكفار والمبطلين والبراءة منهم وروى داود ابن الحصين عن ابي عبد
الله عليه السلام قال اذا قرات قل يا ايها الكافرون فقل يا ايها الكافرون واذا قلت
لا اعبد ما تعبدون فقل اعبد الله وحده واذا قلت لكم دينكم ولي دين
فقل ربي الله وديني الاسلام سورة النصر مدنية وهي ثلث آيات بالاجماع
فضلها في حديث ابي من قراها فكانما شهد مع محمد صلى الله عليه وآله فتح مكة
وروى كرام الخثعمي عن ابي عبد الله عليه السلام قال من قرا اذا جاء نصر الله والفتح
في نافلة او فريضة نصره الله على جميع اعدائه وجاء يوم القيمة ومعه كتاب
ينطق قد اخرجه الله من جوف قبره وامان من حر جهنم ومن النار وزفير
جهنم يسمع باذنه فلا يمر على شيء يوم القيمة الا بشره واخبره بكل خير حتى يدخل
الجنة تفسيرها ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر الدين وافتتح هذه السورة
بظهور الدين فقال بسم الله الرحمن الرحيم
اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا الاعراب مفعول جاء محذوف
والتقدير اذا جاءك نصر الله وجواب اذا محذوف والتقدير اذا جاء نصر الله

حضر اهلك وقيل جواب الفا في قوله فسبح وافواجا منصوب على الحال المعنى
اذا جاءك يا محمد نصر الله على من عاداك وهم قريش والفتح يعني فتح مكة
وهذه بشارة من الله سبحانه لنبيه عليه السلام بالنصر والفتح قبل وقوع الامر
ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا اي جماعة بعد جماعة وزمرة
بعد زمرة والمراد بالدين الاسلام والتزام احكامه واعتقاد صحته وتوطين
النفس على العمل به قال الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة قالت
العرب اما اذا ظفر محمد باهل الحرم وقد اجارهم الله من اصحاب الفيل فليس لكم به
يدان فكانوا يدخلون في دين الله افواجا اي جماعات كثيرة بعد ان كانوا يدخلون
فيه واحدا واحدا اثنين اثنين فصارت القبيلة تدخل باسرها في الاسلام
وقيل في دين الله اي في طاعة الله وطاعتك واصل الدين الجزاء ثم يعبر به عن
الطاعة التي يستحق بها الجزاء كما قال سبحانه في دين الملك في طاعته فسبح بحمد
ربك واستغفره هذا امر من الله سبحانه بان ينزهه عما لا يليق به من صفات
النقص ويستغفره ووجه وجوب ذلك بالنصر والفتح ان النعمة تقتضي القيام
بحقها وهو شكر النعمة والتعظيم والايتمار باوامره والانتهاء عن معاصيه
فكانه قال قد حدث امر يقتضي الشكر والاستغفار وان لم يكن ثم ذنب فان
الاستغفار قد يكون عند ذكر المعصية بما ينافي الاصرار وقد يكون على
وجه التسبيح والانقطاع الى الله عز ذكره انه كان توابا يقبل توبة من بقي
كما قبل توبة من مضى قال مقاتل لما نزلت هذه السورة قراها على اصحابه
ففرحوا واستبشروا وسمعها العباس فبكى فقال صلى الله عليه وآله ما يبكيك
يا عم فقال اظن انه نعيت اليك نفسك يا رسول الله فقال انه لكما تقول
فعاش بعدها سنتين ما روي فيهما ضاحكا مستبشرا قال وهذه السورة
تسمى التوديع وقال ابن عباس لما نزلت اذا جاء نصر الله قال صلى الله عليه وآله
نعيت الى نفسي بانها مقبوضة في هذه السنة واختلفوا في انهم من اي وجه

علموا ذلك

علموا ذلك وليس في ظاهره نعي فقيل لان التقدير فسبح بحمد ربك فانك
حينئذ لاحق بالله وذائق الموت كما ذاق من قبلك من الرسل وعند
الكمال يرتقب الزوال كما قيل اذا تم امر دنا نقصه توقع زوالا اذا
قيل تم وقيل لانه سبحانه امره بتجديد التوحيد واستدراك الفائت
بالاستغفار وذلك مما يلزم عند الانتقال من هذه الدار الى دار
الابرار وعن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت السورة كان النبي
صلى الله عليه وآله يقول كثيرا سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي
انك انت التواب الرحيم وعن ام سلمة قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وآله باخره لا يقوم ولا يقعد ولا يجي ولا يذهب الا قال سبحان
الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فسالناه عن ذلك فقال اني
امرت بها ثم قرا اذا جاء نصر الله وفي رواية عايشة انه كان يقول
سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك حديث فتح مكة لما صالح
رسول الله قريشا عام الحديبية كان في اشتراطهم انه من احب ان يدخل
في عهد رسول الله دخل فيه فدخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله
عليه وآله ودخلت بنو بكر في عقد قريش وكان بين القبيلتين شر قديم
ثم وقعت فيما بعد بين بني بكر وخزاعة مقاتلة ورفدت قريش بني بكر
بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا وكان ممن اعان
بني بكر على خزاعة بنفسه عكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فركب عمرو بن سالم
الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة وكان ذلك
مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد بين ظهراني القوم فقال
لاهم اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيه الاتلدا ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك الموكدا وقتلونا ركعا وسجدا فقال رسول الله ص
حسبك يا عمرو ثم قام فدخل دار ميمونة وقال اسكبي لي ماء فجعل يغتسل وهو

يقول لا انصرفنا ان لم انصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن
ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله فاخبروه بما اصيب منهم
ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان قال
للناس كانكم بابي سفيان قد جاء ليشدد العقد ويزيد في المدة وسيلقى
بديل بن ورقاء فلقوا ابا سفيان بعسفان وقد بعثه قريش الى النبي ص
ليشدد العقد فلما لقي ابو سفيان بديلا قال من اين اقبلت يا بديل قال
سرت في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال وما اتيت محمدا قال لا
فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان لئن كان جاء من المدينة لقد علف
بها النوى فعمد الى مبرك ناقته واخذ من بعرها ففته فراى فيه النوى
فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول
الله صلى الله عليه وآله فقال يا محمد احقن دم قومك واجر بين قريش وزدنا
في المدة فقال اعذرتم يا ابا سفيان قال لا قال فنحن على ما كنا عليه فخرج فلقي ابا بكر
فقال اجر بين قريش قال ويحك تاحد يجير على رسول الله صلى الله عليه وآله
ثم لقي عمر بن الخطاب فقال له مثل ذلك ثم خرج فدخل على ام حبيبة فذهب
ليجلس على الفراش فاهوت الى الفراش فطوته فقال يا بنية ارغبة بهذا
الفراش عني فقالت نعم هذا فراش رسول الله ما كنت لتجلس عليه وانت
رجس مشرك ثم خرج فدخل على فاطمة فقال يا بنت سيد العرب تجيرين
بين قريش وتزيد في المدة فتكونين اكرم سيدة في الناس فقالت
جواري جوار رسول الله صلى الله عليه وآله فقال اتامرين ابنيك ان يجيرا
بين الناس قالت والله ما بلغ ابناي ان يجيرا بين الناس وما يجير على
رسول الله احد فقال يا ابا الحسن ان الامر قد اشتدت علي فانصحني فقال
انت شيخ قريش فقم على باب المسجد واجر بين قريش ثم الحق بارضك قال
وترى ذلك مغنيا عني شيئا قال لا والله ما اظن ذلك ولكن لا اجد لك غير ذلك

فقام

فقام ابو سفيان في باب المسجد فقال يا ايها الناس اني قد اجرت بين
قريش ثم ركب بعيره فانطلق فلما ان قدم على قريش قالوا ما وراءك فاخبرهم
بالقصة فقالوا والله ان اراد ابن ابي طالب على ان لعب بك فما يغني عنا
ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال فامر رسول الله صلى الله
عليه وآله بالجهاز لحرب مكة وامر الناس بالتهيؤ وقال اللهم خذ العيون
والاخبار عن حتى نبغتها في بلادها وكتب حاطب بن ابي بلتعة الى قريش فاتى رسول
الله صلى الله عليه وآله الخبر من السماء فبعث عليا والزبير حتى اخذا كتابه
من المراة وقد مضت هذه القصة في سورة الممتحنة ثم استخلف رسول الله
صلى الله عليه وآله ابا ذهم الغفاري وخرج عامدا الى مكة لعشر مضين من شهر
رمضان سنة ثمان في عشرة الف من المسلمين ونحو من اربعمائة فارس
ولم يتخلف من المهاجرين والانصار عنه احد وقد كان ابو سفيان بن الحرث
بن عبد المطلب وعبد الله بن امية بن المغيرة قد لقيا رسول الله صلى الله
عليه وآله بنيق العقاب فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه فلم ياذن
لهما فكلمته ام سلمة فيهما فقالت يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك
قال لا حاجة لي فيهما اما ابن عمي فهتك عرضي واما ابن عمتي وصهري فهو
الذي قال لي بمكة ما قال فلما خرج الخبر اليهما بذلك ومع ابي سفيان بني له
فقال والله ليأذن لي او لآخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الارض
حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله رق
لهما فاذن لهما فدخلا عليه فاسلما فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله
مر الظهران وقد غمت الاخبار عن قريش فلا ياتيهم عن رسول الله
خبر خرج في تلك الليلة ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل
بن ورقاء يتحسسون الاخبار وقد قال للبيد يا سوء صباح قريش والله
لئن بغتها رسول الله في بلادها فدخل مكة عنوة انه لهلاك قريش

الى اخر الدهر فخرج على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال اخرج للاراك
لعلى ارى حطابا او صاحب لبن او داخلا يدخل مكة فخبرهم بمكان رسول الله
فياتونه فيستامنونه قال العباس فوالله انى لا طوف فى الاراك التمس ما خرجت
له اذ سمعت صوت ابى سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وسمعت ابا سفيان
يقول والله ما رايت كاليوم قط نيرانا فقال بديل هذه نيران خزاعة
فقال ابو سفيان خزاعة الام من ذلك قال فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة يعنى
ابا سفيان فقال ابو الفضل قلت نعم قال لبيك فداك ابى وامى ما وراك فقلت
هذا رسول الله قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة الف من المسلمين قال فما تامرنى
فقلت تركب عجز هذه البغلة فاستامن لك رسول الله صلى الله عليه وآله فوالله
لئن ظفر بك ليضربن عنقك فردفنى فخرجت اركض به بغلة رسول الله
فكلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا هذا عم رسول الله على بغلة رسول الله
حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال يعنى عمر ابا سفيان الحمد لله الذى امكن
منك بغير عهد ولا عقد ثم اشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وركضت
البغلة حتى اقتحمت باب القبة وسبقت عمر بما تسبق به الدابة البطية الرجل البطى
فدخل عمر فقال يا رسول الله هذا ابو سفين عدو الله قد امكن الله منه بغير
عهد ولا عقد فدعنى اضرب عنقه فقلت يا رسول الله انى قد اجرته ثم جلست
الى رسول الله اخذت براسه وقلت لا يناجيه اليوم احد دونى فلما اكثر فيه عمر قلت
مهلا يا عمر ما يصنع هذا الرجل الا انه رجل من بنى عبد مناف لو كان من عدى
بن كعب ما قلت هذا قال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب
الى من اسلام الخطاب لو اسلم فقال صلى الله عليه وآله اذهب فقد آمناه حتى تغدوا
به على بالغداة قال فلما اصبح غدوت به على رسول الله صلى الله عليه وآله
فلما راه قال ويحك يا ابا سفين الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابى انت
وامى ما اوصلك واكرمك وارحمك واحلمك والله لقد ظننت ان لو كان معه اله

الاغنى يوم بدر ويوم احد فقال ويحك يا ابا سفين الم يان لك ان تعلم انى رسول الله
فقال بابى انت وامى اما هذه فان فى النفس منها شيئا قال العباس فقلت له ويلك
اشهد بشهادة الحق قبل ان تضرب عنقك فتشهد فقال صلى الله عليه وآله
للعباس انصرف يا عباس فاحبسه عند مضيق الوادى حتى تمر عليه جنود الله
قال فحبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادى ومر عليه القبايل قبيلة قبيلة وهو يقول
من هولاء واقول سليم وجهينة وفلان حتى مر رسول الله فى الكتيبة الخضراء
من المهاجرين والانصار فى الحديد لا يرى منهم الا الحدق فقال من هولاء يا ابا
الفضل قلت هذا رسول الله فى المهاجرين والانصار فقال يا ابا الفضل
لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما فقلت ويحك انها النبوة فقال نعم اذا وجاء
حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء رسول الله فاسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما
رسول الله صلى الله عليه وآله بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام وقال
من دخل دار ابى سفين وهى باعلى مكة فهو امن ومن دخل دار حكيم بن حزام
وهى باسفل مكة فهو امن ومن اغلق بابه وكف يده فهو امن ولما خرج
ابو سفيان وحكيم من عند رسول الله عامدين الى مكة بعث فى اثرهما
الزبير وامره على خيل المهاجرين وامره ان يغرز رايته باعلى مكة بالحجون
وقال لا تبرح حتى اتيك ثم ادخل مكة وضربت هناك خيمته وبعث
سعد بن عبادة فى كتيبة الانصار فى مقدمته وبعث خالد بن الوليد
فيمن كان اسلم من قضاعة وبنى سليم وامره ان يدخل من اسفل مكة ويغرز
رايته دون البيوت وامرهم رسول الله صلى الله عليه وآله جميعا ان يكفوا
ايديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم وامرهم بقتل اربعة نفر عبد الله بن سعد
بن ابى سرح والحويرث بن نقيل وابن خطل ومقيس بن صبابة وامرهم
بقتل قينتين كانتا يغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وقال اقتلوهم
وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة فقتل على عليه السلم الحويرث بن نقيل

واحدى لقينتين واقلت الاخرى وقتل مقيس بن صبابة في السوق وادرك
ابن خنطل وهو متعلق باستار الكعبة فاستبق اليه سعيد بن حريث وعمار
بن ياسر فسبق سعيد عمارا فقتله وسعى ابو سفيان الى رسول الله واخذ
غرزه فقبله ثم قال بابي انت وامي اما تسمع ما يقول سعد انه يقول اليوم
يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة فقال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلم ادركه
فخذ الراية منه وكن انت الذي يدخل بها وادخلها ادخالا رفيقا فاخذها
علي وادخلها كما امر ولما دخل رسول الله مكة دخل صناديد قريش الكعبة
وهم يظنون ان السيف لا يرفع عنهم واتى رسول الله صلى الله عليه وآله ووقف
قايما على باب الكعبة فقال لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده و
هزم الاحزاب وحده الا ان كل مال او ماثرة ودم يدعى تحت قدمي هاتين
الا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فانهما مردودتان الى اهليهما الا ان مكة
محرمة بتحريم الله لم تحل لاحد كان قبلي ولم تحل لي الا ساعة من نهار وهي
محرمة الى يوم تقوم الساعة لا يختلى خلاها ولا يقطع شجرها ولا ينفر صيدها
ولا تحل لقطتها الا لمنشد ثم قال الا لبئس جيران النبي كنتم لقد كذبتم
وطردتم واخرجتم واذيتم ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلوني
فاذهبوا فانتم الطلقا فخرج القوم وكانما انشروا من القبور ودخلوا في
الاسلام وكان الله سبحانه امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فياء فلذلك سمي اهل مكة
الطلقا وجاء ابن الزبعرى الى رسول الله صلى الله عليه وآله واسلم وقال
يا رسول الله الاله ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور اذ انا باري الشيطان
في سنن الغي ومن مال ميله مثبور امن اللحم والعظام لربي ثم نفسي الشهيد
انت النذير وعن ابن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وآله يوم الفتح
وحول البيت ثلثماية وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء
الحق وما يبدي الباطل وما يعيد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان

زهوقا وعن ابن عباس قال لما قدم النبي صلى الله عليه وآله مكة ابى ان يدخل البيت وفيه الالهة
فامر بها فاخرجت فاخرج صورة ابرهيم واسمعيل عليهما السلم وفي ايديهما الازلام فقال
صلى الله عليه وآله قاتلهم الله اما والله لقد علموا انهما لم يستقسما بها قط سورة تبت
وتسمى ايضا سورة ابي لهب وتسمى سورة المسد مكية عدد آيها خمس ايات بالاجماع
فضلها في حديث ابي من قراها رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة
وعن ابي عبد الله عليه السلم قال اذا قراتم تبت فادعوا على ابي لهب فانه كان من المكذبين
بالنبي صلى الله عليه وآله وبما جاء به من عند الله تفسيرها ذكر سبحانه في تلك
السورة وعده بالنصر والفتح ثم بين في هذه السورة ما كفاه الله في امر ابي لهب فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ
حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ القراءة قرا ابن كثير ابي لهب ساكنة
الهاء والباقون بفتحها واتفقوا في ذات لهب انها مفتوحة الهاء لوفاق الفواصل
وقرا عاصم حمالة الحطب بالنصب والباقون بالرفع وروي عن البرجمي سيصلى
بضم اليا وهي قراة اشهب العقيلي وابي الرجا وفي الشواذ قراءة ابن مسعود ومريئته
حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد الحجة قال ابو علي يشبه ان يكون لهب ولهب
لغتين كالسمع والسمع والنهر والنهر واتفاقهم في الثانية على الفتح يدل على انه اوجه
من الاسكان وكذلك قوله ولا يغني من اللهب واما حمالة الحطب فمن رفع
جعله وصفا لقوله وامرته ويدل على ان الفعل قد وقع كقولك مررت
برجل ضارب عمرو امس فهذا لا يكون الا معرفة ولا يقدر فيه الانفصال
كما يقدر في هذا النحو اذا لم يكن الفعل واقعا واما ارتفاع امراته فيحتمل
وجهين احدهما العطف على سيصلى التقدير سيصلى نارا هو وامراته الا
انه الاحسن الا يوكد لما جرى من الفصل بينهما ويكون حمالة الحطب على هذا وصفا
لها ويجوز في قوله في جيدها ان يكون في موضع حال وفيها ذكر منها ويتعلق

بجذ وفيه يجوز فيه وجه اخر وهو ان ترتفع امراته بالابتداء وحماله وصف لها وفي جيدها
خبر المبتدا، واما النصب في حماله فعلى الذم لها كانها اشتهرت بذلك فجرت
الصفة عليها للذم لا للتخصيص والتخليص من موصوف غيرها وقوله
حبل معناه غليظ رجل جبل الوجه وجبل الراس اللغة التب والتباب الخسر
ان المودي الى الهلاك والمسد الحبل من الليف وجمعه امساد قال ومسد
امر من ايانق ليس بانياب ولا حقايق النزول سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال قال سعيد رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم الصفا فقال يا صباحاه
فاقبلت اليه قريش فقالوا ما لك فقال ارايتم لو اخبرتكم ان العدو مصبحكم
او ممسيكم اما تصدقوني قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال
ابو لهب تبا لك لهذا دعوتنا جميعا فانزل الله هذه السورة اورده البخاري
في الصحيح المعنى تبت يدا ابي لهب وتب اي خسرت يداه وخسر هو عن مقاتل
وانما قال خسرت يداه لان اكثر العمل يكون باليد والمراد خسر عمله وخسر نفسه
بالوقوع في النار وقيل ان اليد هنا صلة لقولهم يد الدهر ويد المسند
قال وايدي الرزايا بالذخاير مولع وقيل معناه صفرت يداه من كل خير
قال الفراء الاول دعاء والثاني خبر فكانه قال اهلكه الله وقد هلك وفي
حرف عبد الله وابي وقد تب وقيل ان الاول ايضا خبر ومعناه انه لم تكتسب يداه
خيرا قط وخسر مع ذلك هو نفسه اي تب على كل حال وابو لهب هو ابن عبد المطلب
عم النبي صلى الله عليه وآله وكان شديد المعاداة والمناصبة له قال طارق
المحاربي بينا انا بسوق ذي المجاز اذا انا بشاب يقول ايها الناس قولوا
لا اله الا الله تفلحوا واذا رجل خلفه يرميه قد ادمى ساقيه وعرقوبيه ويقول
يا ايها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هو محمد يزعم
انه نبي وهذا عمه ابو لهب يزعم انه كذاب وانما ذكر سبحانه كنيته دون اسمه
لانها كانت اغلب عليه وقيل لان اسمه عبد العزى فكره الله سبحانه ان ينسبه الى العزى

فانه ليس

وانه ليس بعبد لها وانما هو عبد الله وقيل هو بلا اسم كنيته وانما سمي بذلك
لحسنه واشراق وجهه وكانت وجنتاه كانهما يلتهبان عن مقاتل
ما اغنى عنه ماله وما كسب اي ما نفعه ولا ادفع عنه عذاب الله ماله وما كسب
ويكون ما في قوله ما كسب موصوله والضمير العايد من الصلة محذوف
وقيل معناه اي شيء اغنى عنه ماله وما كسب يعني ولده لان ولد الرجل من كسبه
وذلك انه قال لما انذره النبي صلى الله عليه وآله بالنار ان كان ما تقول
حقا فاني افتدي بالخلم انذره سبحانه بالنار فقال سيصلى نارا ذات لهب
اي سيدخل نارا ذات قوة واشتعال تلتهب عليه وهي نار جهنم وفي هذا
دلالة على صدق النبي صلى الله عليه وآله وصحة نبوته لانه اخبر بان
ابا لهب يموت على كفره وكان كما قال وامراته وهي ام جميل بنت حرب اخت
ابي سفيان حمالة الحطب كانت تحمل الشوك والعضاء فتطرحه في طريق
رسول الله صلى الله عليه وآله اذا خرج الى الصلوة ليعقره عن ابن عباس
في رواية والضحاك والربيع بن انس كانت تبث وتنثر الشوك على طريق
الرسول فيطاه كما يطاء احدكم الحرير وقيل انها تمشي بالنميمة بين الناس
فتلقي بينهم العداوة وتوقد نارها بالتهييج كما توقد النار الحطب فسمي النميمة
حطبا عن ابن عباس في رواية اخرى وقتاده ومجاهد وعكرمه والسدي
قالت العرب فلان يحطب على فلان اذا كان يغري به قال ولم يمش بين الحي بالحطب
الرطب اي لم يمش بالنميمة وقيل حمالة الحطب معناه حمالة الخطايا عن سعيد
بن جبير وابي مسلم ونظيره قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم
وفي جيدها حبل من مسد اي في عنقها حبل من ليف وانما وصفها
بهذه الصفة تخسيسا لها وتحقيرا وقيل حبل يكون له خشونة الليف
وحرارة النار وثقل الحديد يجعل في عنقها زيادة في عذابها وقيل
في عنقها سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج

من دبرها وتدار على عنقها فى النار عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسميت السلسلة
مسدا يعنى انها ممسودة اى مفتوله وقيل انه كانت لها قلادة فاخرة من جوهر
فقالت لانفقتها فى عداوة محمد فتكون عذابا فى عنقها يوم القيمة عن شعيب
بن المسيب يروى عن اسما بنت ابى بكر قالت لما نزلت هذه السورة جاءت
العوراء ام جميل بنت حرب لها ولوله وفى يدها فهر وهى يقول
مذمما اتينا ودينه قلبنا وامره عصينا والنبى صلى الله عليه وآله جالس فى
المسجد ومعه ابو بكر فلما راها ابو بكر قال يا رسول الله قد اقبلت وانا
اخاف ان تراك قال رسول انها لن ترانى وقراء قرانا فاعتصم به كما قال
وقراء اذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة
حجابا مستورا فوقفت على ابى بكر ولم تر رسول الله فقالت يا ابا بكر اخبرت
ان صاحبك هجانى فقال لا ورب البيت ما هجاك فولت وهى يقول قريش
تعلم انى بنت سيدها وروى ان النبى صلى الله عليه وآله قال صرف الله
سبحانه عنى انهم يذمون مذمما وانا محمد ومتى قيل كيف يجوز ان لا ترى
النبى صلى الله عليه وآله وقد رات غيره فالجواب انه يجوز ان يكون لله
قد عكس شعاع عينها او صلب الهواء فلم ينفذ فيه الشعاع او فرق
الشعاع فلم يتصل بالنبى صلى الله عليه وآله وروى ان النبى صلى الله عليه
وآله قال ما زال ملك يسترنى عنها واذا قيل هل يلزم ابا لهب الايمان
بعد هذه السورة وهل كان يقدر على الايمان ولو امن لكان فيه تكذيب
خبر الله بانه سيصلى نارا ذات لهب فالجواب ان الايمان يلزمه لان التكليف
الايمان ثابت عليه انما توعده الله بشرط ان لا يومن الا ترى الى قوله
سبحانه فى قصة فرعون الان وقد عصيت قبل ففى هذا دلالت على انه
لو تاب قبل وقت الباس لكان يقبل منه ولهذا خص رد التوبة عليه
بذلك الوقت وايضا فلو قدرنا ان ابا لهب سال النبى صلى الله عليه وآله

فقال المومنت هل دخل النار لكان صلى الله عليه وآله يقول له لا وذلك
لعدم الشرط سورة الاخلاص مكيه وقيل مدنيه وسميت سورة التوحيد
لانه ليس فيها التوحيد وكلمة التوحيد تسمى كلمة الاخلاص وقيل
انما سميت بذلك لان من تمسك بما قبلها اعتقادا واقرارا كان
مؤمنا مخلصا وقيل لان من قراها على سبيل التعظيم اخلصه الله من
النار اى نجاه الله وتسمى ايضا سورة الصمد وتسمى ايضا بفاتحتها
وتسمى ايضا نسبة الرب وروى فى الحديث لكل شىء نسبة ونسبة الله
سورة الاخلاص وفى الحديث ايضا انه كان يقال لسورتى قل يا ايها
الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان سميت بذلك لانهما
يبريان من الشرك والنفاق يقال تقشقش المريض من علة اذا افاق
وبراء وقشقشه ابراه كما يقشقش الهناء الجرب عدد آيها خمس آيات
مكى شامى اربع فى الباقين اختلافها اية لم يلد مكى فضلها فى حديث
ابى من قراها فكانما قراء ثلث القران واعطى من الاجر عشر حسنات
بعدد من امن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وعن
ابى درداء عن النبى صلى الله عليه وآله قال من قراء قل هو الله احد
مرة بورك عليه ومن قراها مرتين بورك عليه وعلى اهله فان قراها
ثلث مرات بورك عليه وعلى اهله وعلى جميع جيرانه فان قراها اثنى عشرة
مرة بنى له اثنا عشر قصرا فى الجنة ويقول الحفظة انطلقوا بنا ننظر
الى قصر اخينا فان قراها مائة مرة كفر عنه ذنوب خمس وعشرين سنة
ما خلا الدماء والاموال فان قراها اربع مائة مرة كفرت عنه ذنوب
اربعمائة سنة فان قراها الف مرة لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة او يرى
له وعن سهل بن سعد الساعدى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وآله
فشكا اليه الفقر وضيق المعاش فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله اذا دخلت

بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم واقرا قل هو الله احد
مرة واحدة فيفعل الرجل فافاض الله عليه رزقا حتى افاض على جيرانه عن السكوني
عن ابي عبد الله عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله صلى على سعد بن معاذ
فلما صلى عليه قال عليه السلام لقد وافى من الملائكة سبعون الف ملك وفيهم جبرئيل
يصلون عليه فقلت يا جبرئيل ثم استحق صلوتكم عليه قال بقرائته قل هو الله
احد قائما وقاعدا وراكبا وذاهبا وجائيا منصور بن حازم عن ابي عبد الله
عليه السلام قال من مضى به يوم واحد يصلي فيه الخمس صلوات ولم يقراء فيها بقل
هو الله احد وقيل له يا عبد الله لست من المسلمين اسحق بن عمار عن ابي
عبد الله عليه السلام قال من مضت له جمعة ولم يقراء فيها بقل هو الله احد
ثم مات مات على دين ابي لهب هارون بن خارجة عنه عليه السلام قال من اصابه
مرض او شدة فلم يقراء في مرضه او شدته بقل هو الله احد ثم مات في مرضه
او في تلك الشدة التي نزلت به فهو من اهل النار ابو بكر الحضرمي عنه عليه السلام
قال من كان يومن بالله واليوم فلا يدع ان يقراء في دبر الفريضة بقل هو
الله احد فانه من قراها جمع له خير الدنيا والاخرة وغفر له ولوالديه
وما ولد عبد الله بن حجر قد سمعت امير المومنين عليه السلام يقول من قراء
قل هو الله احد احدى عشرة مرة في دبر الفجر لم يتبعه في ذلك اليوم ذنب
وان زعم انف الشيطان ابراهيم بن مهزم عمن سمع ابا الحسن عليه السلام يقول
من قدم قل هو الله احد بينه وبين جبار منعه الله منه بقراها بين يديه
ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاذا فعل ذلك رزقه الله خيره ومنعه شره
وقال اذا خفت امرا فاقراء بمائة اية من القران من حيث شئت ثم قل
اللهم اكشف عني البلاء ثلث مرات عيسى بن عبد الله عن ابيه عن جده
عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قراء قل هو الله
مائة مرة حين ياخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة تفسيرها

لمادم سبحانه

٤١٦

لمادم سبحانه اعداء اهل التوحيد في السورة المتقدمة ذكر هذه السورة
بيان التوحيد فقال بسم الله الرحمن الرحيم
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ
القراءة قراء ابو عمرو احد الله الصمد بغير تنوين الدال من احد وروى عنه
ايضا انه كان يقول قل هو الله احد ثم يقف فان وصل قال احد الله وزعم
ان العرب لم تكن تصل مثل هذا والباقون احد الله بالتنوين وقراء
اسمعيل عن نافع وحمزة وخلف ورويس كفوا ساكنة الفاء ومهموزة وقراء
حفص كفوا مضمومة الفاء مفتوحة الواو وقراء الباقون كفوا
بالهمزة وضم الفاء الحجة قال ابو علي من قراء احد الله فوجهه بين وذلك
ان التنوين من احد ساكن ولام المعرفة من الاسم ساكن فلما التقى ساكنان
حرك الاول منهما بالكسر كما تقول اذهب اذهب ومن قال احد الله فحذف
النون فان النون قد شابهت حروف اللين في الاخر تزاد كما يزدن وفي انها
تدغم فيهن كما يدغم فيهن كما يدغم كل واحد من الواو والياء في الاخر وفي انها
قد ابدلت منها الالف في الاسماء المنصوبة وفي الحقيقة فلما شابهت حروف
اللين اجريت مجراها في ان حذفت ساكنة لالتقاء الساكنين كما حذف
الالف والواو والياء لذلك في نحو رمى القوم ويغزو الجيش ويرمي القوم
ومن ثم حذفت ساكنة في الفعل في نحو لم يك ولانك في مرية فحذفت
في احد الله لالتقاء الساكنين كما حذف هذه الحروف وكما حذفت في نحو
هذا زيد بن عمرو وحتى استمر ذلك في الكلام وانشد ابو زيد فالفيته
غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا وقال الشاعر شعر كيف نومي على الفراش
ولما تشمل الشام غارة شعواء تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام
العقيلة العذراء واما كفوا اصله الضم فخفف مثل طنب وطنب وعنق
وعنق اللغة احد اصله وحد فقلبت الواو همزة ومثله اناة واصله وناة

وهو على ضربين احدهما ان يكون اسما والاخر ان يكون صفة فالاسم
نحو احد وعشرين تريد به الواحد والصفة كما في قوله النابغة
شعر كان رحلي وقد زال النهار بنا بذي الجليل على مستانس وحد
وكذلك قولهم واحد يكون اسما كالكاهل والغارب ومنه قولهم
واحد اثنان وثلثة ويكون صفة كما في قول الشاعر شعر فقد رجعوا
لحي واحدينا وقد جمعوا احد الذي هو صفة على احدان قالوا احد
واحدان شبهوه بسلق وسلقان في نحو قول الشاعر يحمي الصريمة
احدان الرجال له صيد ومجترئ بالليل هماس فهذا جمع لاحد
الذي يراد به الرفع من الموصوف والتعظيم له وانه منفرد عن الشبه
والمثل فقل قل هو الله احد لا احد اذا رفع منه وعظم وقالوا واحد
الاحدين وواحد الاحاد وحقيقة الواحدين بنفسه في نفسه او في معنى
صفة فاذا اطلق واحد من غير تقدم موصوف فهو واحد في نفسه
واذا اجرى على موصوف فهو واحد في معنى صفة فاذا قيل الجزء لا يتجزى
فاحدا اريد انه واحد في نفسه واذا قيل هذا الرجل انسان واحد فهو
واحد في معنى صفة واذا وصف الله تعالى بانه واحد فمعناه انه المختص
بصفات لا يشاركه فيها احد غيره نحو كونه قادرا لنفسه عالما حيا موجودا
كذلك الصمد السيد المعظم الذي يصمد اليه في الحوايج اي يقصد وقيل
هو السيد الذي ينتهي اليه السودد قال الاسدي شعر الا بكر الناعي بخيري
بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد وقال الزبرقان ولا رهينة
الا السيد الصمد وقالوا رجل مصمد اي مقصود وكذلك بيت مصمد
قال طرفة وان يلتقي الحي الجميع تلاقني الى ذروة البيت الرفيع المصمد والكفوء
والكفي والكفاء واحد وهو المثل والنظير قال النابغة شعر لا تقذفني
بركن لا كفاء له ولو تاثفك الاعداء بالرفد وقال حسان شعر وجبريل

رسول الله منا وروح القدس ليس له كفاء وقال اخر في الكفي اما كان
عباد كفيا لدارم بلى ولا بيان بها الحجرات الاعراب قال ابو علي قل هو الله
احد يجوز ان يكون في اعراب الله ضربان احدهما ان يكون خبر مبتدا
وذلك على قول من ذهب الى ان هو كناية عن اسم الله ثم يجوز في قوله
احد ما يجوز في ذلك زيد اخوك قايم والاخر على قول من ذهب الى ان هو
كناية عن القصة والحديث فيكون اسم الله عنده مرتفعا بالابتداء
واحد خبره ومثله قوله تعالى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا
الا ان هي جاءت على التانيث لان في التفسير اسما مونثا وعلى هذا جاء
فانها لا تعمى الابصار فاذا لم يكن في التفسير مونث لم مونث ضمير القصة
وقوله الله الصمد مبتدا والصمد خبره ويجوز ان يكون الصمد صفة
الله والله خبر مبتدا محذوف اي هو الله الصمد ويجوز ان يكون الله
الصمد خبرا بعد خبر على قول من جعل ضمير الامر والحديث ولم يكن له كفوا
احد قال ان له ظرف غير مستقر وهو متعلق بكان وكفوا منتصب بانه
خبر متقدم كما كان قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المومنين كذلك
وزعموا ان من البغداديين من يقول ان في يكن من قوله ولم يكن له
كفوا احد ضميرا مجملا لان قوله ينتصب على الحال والعامل فيها له
وهذا اذا افردته عن يكن كان معناه له احد كفوا واذا حمل على هذا لم
تسبع وجه ذلك انه محمول على معنى النفي فكانه لم يكن احد له كفوا احد
كما كان قولهم ليس الطيب الا المسك محمولا على معنى النفي ولولا حمله على المعنى
لم يجز الا ترى انك لو قلت زيد الا منطلق لم يكن كلاما فكما ان هذا محمول
على المعنى كذلك له كفوا احد محمول على المعنى وعلى هذا ان يكون احد
فيه الذي يقع لعموم النفي ولولا ذلك لم يجز ان يقع احد هذا في الايجاب
فان قلت يجوز ان يكون قوله تعالى له عند كم طالا على ان يكون المعنى

ولم يكن كفوا له احد فيكون له صفة للنكرة فلما قدم صار فى موضع حال كقوله
لعزة موحشا طلل قديم فان سيبويه قال ان ذلك يقل فى الكلام وان كثر
فى الشعر فان جملة على هذا على استكراه كان غيره ممتنع والعامل فى قولك
له اذا كان حالا يجوز ان يكون احد شيئين احدهما يكن والاخر يكون
ما فى معنى كفو من معنى المماثلة فان قلت ان العامل فى الحال اذا كان معنى
لم يتقدم الحال عليه فان له لما كان على لفظ الظرف يعمل فيه المعنى وان تقدم
عليه كقولك كل يوم لك ثوب كذلك يجوز فى هذا الظرف ذلك من حيث كان ظرفا
وفيه ضمير فى الوجهين يعود الى ذى الحال و هو كفو النزول قيل ان المشركين
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله نسب لنا ربك فنزلت السورة عن ابى بن كعب
وجابر و قيل حتى عامر بن الطفيل واربد بن ربيعه اخو لبيد النبى صلى الله
عليه وآله فقال عامر الى ما تدعونا يا محمد فقال الى الله فقال صفه لنا امن ذهب
هو ام من فضه ام من حديد ام من خشب فنزلت السورة وارسل الله
الصاعقة على اربد فاحرقته وطعن عامر فى خنصره فمات عن ابن عباس
وقيل جاء ناس من احبار اليهود الى النبى صلى الله عليه وآله فقالوا يا محمد
صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله انزل نعته فى التورية فنزلت
السورة وهى نسبة الله خاصة عن الضحاك و قتاده ومقاتل و روى محمد
بن مسلم عن ابى عبد الله عليه السلم قال ان اليهود سالوا النبى صلى الله عليه وآله
فقالوا انسب لنا ربك فمكث ثلاثا لا يجيبهم ثم نزلت السورة وقريب منه
ما ذكره القاضى فى تفسيره ان عبد الله بن سلام انطلق الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وهو بمكه فقال رسول الله انشدك بالله هل تجدنى فى التورية
رسول الله فقال انعت لنا ربك فنزلت هذه السورة فقراها النبى صلى الله
عليه وآله فكانت سبب اسلامه الا انه كان يكتم ذلك الى ان هاجر النبى صلى الله
عليه وآله الى المدينة ثم اظهر اسلامه المعنى قل هو الله احد هذا امر من الله

عن اسمه لنبيه صلى الله عليه وآله ان يقول لجميع المكلفين هو الله الذى تحق
له العبادة قال الزجاج هو كناية عن ذكر الله عز وجل ومعناه الذى سالتم
تبين نسبته هو الله هو احد اى واحد ويجوز ان يكون المعنى الامر الله احد اى
لا شريك له ولا نظيره وقيل معناه واحد ليس كمثله شئ عن ابن عباس
وقيل واحد فى الالهية والقدم وقيل واحد فى صفة ذاته لا يشركه فى وجوب
صفاته احد فانه يجب ان يكون موجودا عالما قادرا حيا ولا يكون ذلك
واجبا لغيره وقيل واحد فى افعاله لان افعاله كلها احسان لم يفعلها
لجر نفع ولا لدفع ضرر باختص بالوحدة من الوجه اذ لا يشركه فيه سواه واحد
فى انه لا يستحق العبادة سواه لانه القادر على اصول النعم من الحيوة والقدرة
والشهوة وغير ذلك مما لا يكون النعمة نعمة الا به ولا يقدر على شئ من ذلك غيره فهو
احد من هذه الوجه وقيل انما قال احد و لم يقل واحد لان الواحد يدخل فى
الحساب و يضم اليه اخر واما الاحد فهو الذى لا يتجزى و لا ينقسم فى ذاته ولا فى
معنى صفاته ويجوز ان يجعل للواحد ثانيا لان الواحد يستوعب جنسه بخلاف
الواحد الا ترى انك لو قلت فلان لا يقاومه واحد جاز ان يقاومه اثنان و لو قلت
لا يقاومه احد لم يجز ان يقاومه اثنان ولا اكثر فهو ابلغ وقال ابو جعفر الباقر
عليه السلم فى معنى قل هو الله احد قل اى اظهر ما اوحينا وما نباناك به بتاليف
الحروف التى قراناها عليك ليهتدى بها من القى السمع وهو شهيد وهو اسم
مكنى مشار الى غايب فالهاء تنبيه عن معنى ثابت والواو اشارة الى الغايب
عن الحواس كما ان قولك هذا اشارة الى الشاهد عند الحواس و ذلك ان
الكفار نبهوا على الهتهم بحرف اشارة الشاهد المدرك فقالوا هذه الهتنا
المحسوسة المدركة بالابصار فاشر انت يا محمد الى الهك الذى تدعوا اليه حتى
نراه وتدركه ولا ناله فيه فانزل الله سبحانه قل هو الله احد فالهاء تثبيت للثابت
والواو اشارة الى الغايب عن درك الابصار ولمس الحواس والمتعالى عن ذلك

بل هو مدرك الابصار ومبدع الحواس حدثني ابي عن ابيه عن امير المؤمنين عليه السلام
انه قال رايت الخضر في المنام قبل بدر بليلة فقلت علمني شيئا انتصر به على الاعداء
فقال قل يا هو يا من لا هو الا هو فلما اصبحت قصصت على رسول الله صلى الله
عليه وآله فقال يا علي علمت الاسم الاعظم فكان على لساني يوم بدر قال وقرا
يوم بدر قل هو الله احد فلما فرغ قال يا هو يا من لا هو الا هو اغفر لي وانصرني
على القوم الكافرين وكان يقول ذلك يوم صفين وهو يطارد فقال له
عمار بن ياسر يا امير المؤمنين ما هذه الكنايات قال اسم الله الاعظم وعماد
التوحيد لله لا اله الا هو شهد ان لا اله الا هو واخر الحشر ثم نزل فصلى
اربع ركعات قبل الزوال قال وقال امير المؤمنين عليه السلام الله معناه المعبود
الذي يأله فيه الخلق ويؤله اليه الله المستور عن درك الابصار المحجوب عن الاوهام
والخطرات قال الباقر عليه السلام الله معناه المعبود الذي اله الخلق عن درك
ماهيته والاحاطة بكيفيته وتقول العرب اله الرجل اذا تحير في الشيء فلم يحط به
علما ووله اذا فزع الى شيء قال واحد الفرد المتفرد والاحد والواحد بمعنى
واحد وهو المتفرد الذي لا نظير له والتوحيد الاقرار بالوحدة وهو الانفراد
والواحد المباين الذي لا ينبعث من شيء ولا يتحد بشيء ومن ثم قالوا ان بناء
العدد من الواحد وليس الواحد من العدد لان العدد لا يقع على الواحد
بل يقع على الاثنين فمعنى قوله الله احد اي المعبود الذي يأله الخلق عن ادراكه
والاحاطة بكيفيته فرد بالهيته متعال عن صفات خلقه الله الصمد قال الباقر
عليه السلام حدثني ابي زين العابدين عن ابيه الحسين بن علي عليهم السلام انه قال الصمد
الذي قد انتهى سودده والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال والصمد الذي
لا جوف له والصمد الذي لا ياكل ولا يشرب الصمد الذي لا ينام واقول ان المعنى
في هذه الثلثة انه سبحانه الحي الذي لا يحتاج الى الطعام والشراب والنوم قال
الباقر عليه السلام والصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه امر ولا ناه قال وكان محمد

بن الحنفية

بن الحنفية يقول الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره وقال غيره الصمد المتعالي عن
الكون والفساد والصمد الذي لا يوصف بالتغاير قال وسئل علي بن الحسين زين
العابدين عليه السلام عن الصمد فقال الصمد الذي لا شريك له ولا يؤوده حفظ
شيء ولا يعزب عنه شيء قال ابو البختري وهب بن وهب القرشي قال زيد بن علي الصمد
الذي اذا اراد شيئا قال له كن فيكون والصمد الذي ابدع الاشياء فخلقها
اضدادا واشكالا وازواجا وتفرد بالوحدة بلا ضد ولا شكل ولا مثل ولا ند
قال وهب بن وهب حدثني الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن ابيه الباقر عليه السلام
عن ابيه ان اهل البصرة كتبوا الى الحسين بن علي عليه السلام يسالونه عن الصمد فكتب
اليهم بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا
فيه ولا تتكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله
يقول من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وان الله سبحانه
فسر الصمد فقال لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد لم يلد لم يخرج منه شيء
كثيف كالولد وسائر الاشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ولا شيء لطيف
كالنفس ولا تنبعث منه البداوات كالسنة والنوم والخطرة والغم والحزن
والبهجة والضحك والبكا والخوف والرجا والرغبة والسامة والجوع والشبع
تعالى ان يخرج منه شيء وان يتولد منه شيء كثيف او لطيف ولم يولد اي
لم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما تخرج الاشياء الكثيفة من عناصرها
كالشيء من الشيء والدابة من الدابة والنبات من الارض والماء من الينابيع
والثمار من الاشجار ولا كما يخرج الاشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر
من العين والسمع من الاذن والشم من الانف والذوق من الفم والكلام
من اللسان والمعرفة والتمييز من القلب والنار من الحجر لا بل هو الله الصمد
الذي لا من شيء ولا في شيء مبتدع الاشياء وخالقها ومنشئ الاشياء بقدرته
يتلاشى ما خلق للفناء بمشيته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه فذلكم الله الصمد الذي

لم يلد ولم يولد عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ولم يكن له كفوا احد وهب بن وهب
قال سمعت الصادق عليه السلام يقول قدم وفد من فلسطين على الباقر عليه السلام
فسالوه عن مسايل فاجابهم ثم سالوه عن الصمد فقال تفسيره فيه الصمد
خمسة احرف فالالف دليل على انيته وهو قوله عز وجل شهد الله انه لا اله الا هو
وذلك تنبيه واشارة الى الغايب عن درك الحواس واللام دليل على الهيته
بانه هو الله والالف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع
ويظهران في الكتابة دليل على ان الهيته بلطفه خافية لا تدرك بالحواس
ولا تقع في لسان واصف ولا اذن سامع لان تفسير الاله هو الذي اله
الخلق عن درك ماهيته وكيفيته بحس او توهم لا بل هو مبدع الاوهام وخالق
الحواس وانما يظهر ذلك عند الكتابة فهو دليل على انه سبحانه اظهر ربوبيته
في ابداع الخلق وتركيب ارواحهم اللطيفة في اجسادهم الكثيفة فاذا نظر عبد
الى نفسه لم ير روحه كما ان لام الصمد لا يتبين ولا يدخل في حاسة من حواس
فلما نظر الى الكتابة ظهر له ما خفي ولطف فمتى تفكر العبد في ماهية الباري
وكيفيته اله وتحير ولم تحط فكرته بشيء يتصور له لانه تعالى خالق الصورة
واذا نظر الى خلقه ثبت انه عز وجل خالقهم ومركب ارواحهم في اجسادهم
فاما الصاد فدليل على انه سبحانه صادق وقوله صدق وكلامه صدق
ودعا عباده الى اتباع الصدق بالصدق ووعد بالصدق دار الصدق
واما الميم فدليل على ملكه وانه الملك الحق المبين لم يزل ولا يزال ولا
يزول ملكه واما الدال فدليل على دوام ملكه وانه دايم تعالى عن الكون
والزوال بل هو الله عز وجل مكون الكاينات الذي كان بتكوينه
كل كاين ثم قال عليه السلام لو وجدت لعلمي الذي اتاني الله حملة لنشرت التوحيد
والاسلام والايمان والدين والشرايع من الصمد وكيف لي بذلك
ولم يجد جدي امير المومنين حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ويقول

على المنبر

على المنبر سلوني قبل ان تفقدوني فان بين الجوانح مني علما جما هاه هاه الا لا احد
من يحمله الا وان عليكم من الله الحجة البالغة فلا تتولوا قوما غضب الله
عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وعن عبد
خير قال سال رجل عليا عليه السلام عن تفسير هذه السورة فقال هو الله احد
بلا تاويل عدد الصمد بلا تبعيض بدد لم يلد فيكون موروثا هالكا ولم
يولد فيكون الها مشاركا ولم يكن له من خلقه كفوا احد وقال ابن عباس
لم يلد فيكون والدا ولم يولد فيكون ولدا وقيل لم يلد ولدا يرث
عنه ملكه ولم يولد فيكون قد ورث الملك عن غيره وقيل لم يلد فيدل
على حاجته فان الانسان يشتهي الولد لحاجته اليه ولم يولد فيدل على حدوثه
وذلك من صفات الاجسام وفي هذا رد على القايلين بان عزيرا والمسيح
ابن الله تعالى وان الملايكة بنات الله ولم يكن له كفوا احد اي لم يكن
احد كفوا له اي عديلا ونظيرا يماثله وفي هذا رد على من اثبت له مثلا
في القوم وغيره من الصفات وقيل معناه ولم تكن له صاحبة وزوجة
فتلد منه لان الولد يكون من الزوجة فكنى عنها بالكفو لان الزوجة تكون
كفوا لزوجها وقيل انه سبحانه بين التوحيد لقوله الله احد وبين العدل
بقوله الله الصمد وبين ما يستحيل عليه من الوالد والولد بقوله لم يلد
ولم يولد وهو ما لا يجوز عليه من الصفات بقوله ولم يكن له كفوا احد
وفيه دلالة على انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا هو في مكان ولا جهة
وقال بعض ارباب اللسان وجدنا انواع الشرك ثمانية النقص والتقلب
والكثرة والعدد وكونه علة او معلولا والاشكال والاضداد فنفى الله
سبحانه عن صفته نوع الكثرة والعدد بقوله هو الله احد ونفى التقلب
والنقص بقوله الله الصمد ونفى العلة والمعلول بقوله لم يلد ولم يولد
ونفى الاشكال والاضداد بقوله ولم يكن له كفوا احد فخلصت الوحدانية

البحث وروى عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وآله بعث سرية واستعمل
عليها عليا فلما رجعوا سالهم عن علي فقالوا كل خير غير انه كان يقراء في اثناء
كل صلوة بقل هو الله احد فقال لم فعلت يا علي هذا فقال لحبي قل هو الله
احد فقال النبي صلى الله عليه وآله ما اجبتها حتى احبك الله عز وجل
ويروى ان النبي صلى الله عليه وآله كان يقف عند اخر كل اية من هذه السورة
وروى الفضل بن يسار قال امرنا ابو جعفر ان اقراء قل هو الله احد واقول
اذا فرغت منها كذلك الله ربي ثلثا **سورة الفلق** مدنية في اكثر الاقاويل
وقيل مكية **عدد آيها** خمس ايات بالاجماع **فضلها** في حديث ابي ومن قراء
قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فكانما قراء جميع الكتب التي انزلها
الله على الانبياء وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
انزلت علي ايات لم ينزل مثلهن المعوذتان اورده مسلم في الصحيح وعنه عن النبي
صلى الله عليه وآله قال يا عقبة الا اعلمك سورتين هما افضل القرآن او من افضل
القرآن قلت بلى يا رسول الله فعلمني المعوذتين ثم قراتهما في صلوة الغداة
وقال اقراهما كلما قمت ونمت ابو عبيدة الحذاء عن ابي جعفر عليه السلم قال من اوتر
بالمعوذتين وقل هو الله احد قيل له يا عبد الله ابشر فقد قبل الله وترك
تفسيرها ذم الله سبحانه اعداء الرسول في سورة تبت ثم ذكر التوحيد
في سورة الاخلاص ثم ذكر سبحانه الاستعاذة منهم في السورتين فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ اَعُوْذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ اِذَا وَقَبَ وَمِنْ
شَرِّ النَّفّٰثٰتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ اِذَا حَسَدَ **اللغة** اصل الفلق
الفرق الواسع من قولهم فلق راسه بالسيف يفلقه فلقا ويقال ابين من فلق
الصبح وفرق الصبح لان عموده ينفلق بالضياء عن الظلام والغاسق في اللغة
الهاجم في ضرره وهو هنا الليل لانه تخرج السباع من اجامها والهوام من مكانها

فيقال

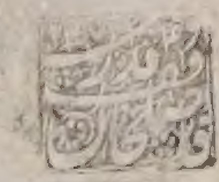
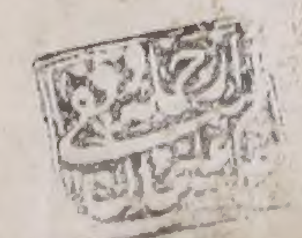
فيقال غسقت القرحة اذا اجرى صديدها والغساق صديد اهل النار
لسيلانه بالعذاب وغسقت عينه وسال دمعها الوقوب الدخول وقب يقب ومنه
الوقبة النقرة لانه يدخل فيها النقب شبيه بالنفخ وانما النفل فنفخ بريق فهذا
الفرق بين النفث والنفل قال الفرزدق **شعر** هما نفثا في فيّ من فويهما
على النافث الغاوي اشد رجام والحاسد الذي يتمنى زوال النعمة
عن صاحبها وان لم يردها لنفسه فالحسد مذموم والغبطة محمودة
وهي ان يريد من النعمة لنفسه مثلها لصاحبها ولم يرد زوالها عنه **النزول**
قالوا ان لبيد بن اعصم اليهودي سحر رسول الله صلى الله عليه وآله ثم دس
ذلك في بير لبني زريق فمرض رسول الله صلى الله عليه وآله فبينا هو نايم
اذ اتاه ملكان فقعد واحدهما عند راسه والاخر عند رجليه فاخبراه
بذلك وانه في بير ذروان في جف طلعة تحت راعوفة والجف قشر الطلع
والراعوفة حجر في اسفل البير يقوم عليها المايح فانتبه رسول الله
صلى الله عليه وآله وبعث عليا والزبير وعمارا فنزحوا ماء تلك البير
ثم رفعوا الصخرة اخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة راس واسنان من مشط
واذا فيه معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فنزلت هاتان
السورتان فجعل كلما يقراء آية انحلت عقدة ووجد رسول الله صلى الله
عليه وآله خفة فقام فكانما انشط من عقال وجعل جبرئيل يقول
بسم الله ارقيك من كل شيء يوذيك من حاسد وعين والله يشفيك
ورووا ذلك عن عايشة وابن عباس وهذا لا يجوز لان من وصف بانه
مسحور فكانه قد خبل عقله وقد ابى الله سبحانه ذلك في قوله فقال
الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك
الامثال فضلوا ولكن يمكن ان يكون اليهودي او بناته على ما روي
اجتهدوا على ذلك فلم يقدروا عليه واطلع الله نبيه على ما فعلوه

من التمويه حتى استخرج وكان ذلك سلامة له على صدقه صلى الله عليه وآله
وكيف يجوز ان يكون المرض من فعلهم ولو قدروا على ذلك لقتلوه وقتلوا
كثيرا من المؤمنين مع شدة عداوتهم لهم المعنى قل اعوذ برب الفلق هذا
امر من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله والمراد به جميع امته ومعناه
قل يا محمد اعتصم وامتنع برب الصبح وخالقه ومدبره ومطلعه متى شاء
على ما يرى من الصلاح فيه من شر ما خلق من الجن والانس وساير الحيوانات
وانما سمي الصبح فلقا لانفلاق عموده بالضياء عن الظلام كما قيل له فجر
لانفجاره بذهاب ظلامه وهذا قول ابن عباس وجابر والحسن وسعيد بن جبير
ومجاهد وقتاده وقيل الفلق المواليد لانهم ينفلقون بالخروج من اصلاب
الاباء وارحام الامهات كما ينفلق الحب عن النبات وقيل الفلق جب في جهنم
يتعوذ اهل جهنم من شدة حره عن السدى ورواه ابو حمزة الثمالى وعلى ابن
ابراهيم في تفسيريهما وقوله ما خلق عام في جميع ما خلقه الله تعالى ممن يجوز
ان يحصل منه الشر وتقديره من شر الاشياء التى خلقها الله تعالى مثل السباع
والهوام والشياطين وغيرها ومن شر غاسق اذا وقب اى ومن شر الليل اذا
دخل ظلامه عن ابن عباس ومجاهد وعلى هذا فيكون المراد من شر ما يحدث
في الليل من الشر والمكروه وكما يقال اعوذ من شر هذه البلدة وانما خص
الليل بالذكر لان الغالب ان الفساق يقدمون على الفساد بالليل وكذا
الهوام والسباع تؤذى فيه اكثر واصل الفسق الجريان بالضرر وقيل ان معنى
الفاسق كل هاجم بضرره كاينا ما كان ومن شر النفاثات في العقد
معناه ومن شر النساء الساحرات اللاتى ينفثن في العقد عن الحسن
وقتاده وانما امر بالتعوذ من السحرة لايهامهم انهم يمرضون ويصحون
ويفعلون اشياء من النفع والضرر والخير والشر وعامة اهل النار
يصدقونهم فيعظم بذلك الضرر في الدين ولانهم يوهمون انهم يخدمون

الجن ويعلمون

الاملك وجاء في فاتحة الكتاب ملك ومالك وذلك لان صفة ملك تدل
على تدبير من يشعر بالتدبير وليس كذلك مالك لانه يجوز ان يقال مالك الثوب
ولا يجوز ملك الثوب فجرت اللفظة في فاتحة الكتاب على معنى الملك في يوم
الجزاء وجرت في هذه السورة على ملك تدبير من يعقل التدبير فكان
لفظ الملك اولى ههنا واحسن ومعناه ملك الناس كلهم واليه مفزعهم
في الحوايج اله الناس معناه الذي يجب على الناس ان يعبدوه ولانه الذي
تحق له العبادة دون غيره وانما خص سبحانه الناس وان كان سبحانه
رب جميع الخلايق لان في الناس عظماء فاخبر بانه ربهم وان عظموا ولانه
سبحانه امر بالاستعاذة من شرهم فاخبر بذكرهم انه الذي يعيذ منهم
وفي الناس ملوك فذكر انه ملكهم وفي الناس من يعبد غيره فذكر انه
الههم ومعبودهم وانه هو المستحق للعبادة دون غيره قال جامع العلوم
النحوي وليس قوله الناس تكرارا لان المراد بالاول الاجنة ولهذا قال برب
الناس لانه يربهم والمراد بالثاني الاطفال ولذلك قال ملك الناس لانه
يملكهم والمراد بالثالث البالغون والمكلفون ولذلك قال اله الناس
لانه يعبدونه والمراد بالرابع العلماء لان الشيطان يوسوس ولا يريد
الجهال لان الجاهل يضل بجهله وانما تقع الوسوسة في قلب العالم كما قال فوسوس
اليه الشيطان وقوله من شر الوسواس فيه اقوال احدها ان معناه من شر
الوسوسة الواقعة من الجنة وقد مر بيانه وثانيها ان معناه من شر
ذي الوسواس وهو الشيطان كما جاء في الاثر انه يوسوس فاذا ذكر
العبد ربه خنس ثم وصفه الله تعالى بقوله الذي يوسوس في صدور
الناس اي بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى قلوبهم من غير سماع ثم ذكر
ان هذا الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة وهم الشياطين
كما قال سبحانه الا ابليس كان من الجن ثم عطف بقوله والناس على الوسواس

والمعنى من شر الوسواس ومن شر الناس كانه امر ان يستعيذ من شر الجن
والانس وثانيها ان معناه من شر ذي الوسواس الخناس ثم فسره بقوله
من الجنة والناس كما يقال نعوذ بالله من شر كل مارد من الجن والانس
وعلى هذا فيكون وسواس الجنة هو وسواس الشيطان على ما مضى وفي وسواس
الانس وجهان احدهما انه وسوسة الانسان من نفسه والثاني اغواء من يغويه
من الناس ويدل عليه قوله شياطين الانس يأتي علانية ويرى انه ينصح وقصده
الشر قال مجاهد الخناس الشيطان اذا ذكر الله سبحانه خنس وانقبض واذا
لم يذكر الله انبسط على القلب ويؤيده ما روي عن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الشيطان واضع خطمه على
قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس وان نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس
وقيل الخناس معناه الكثير الاختفاء بعد الظهور وهو المستتر المختفي
من اعين الناس لانه يوسوس من حيث لا يرى بالعين وقال ابراهيم
التيمي اول ما يبدأ الوسواس من قبل الوضوء وقيل ان معنى قوله
يوسوس في صدور الناس يلقي الشغل في قلوبهم بوسواسه والمراد له
رفقائه ويوصل الوسواس الى الصدور وهو اقرب من خلوصه بنفسه
الى الصدر وفي هذا اشارة الى ان الضرر يلحق من جهة هؤلاء وانهم
قادرون على ذلك ولولا ذلك لما حسن الامر بالاستعاذة منهم وفيه دلالة
على انه لا ضرر ممن يتعوذ وانما الضرر كله ممن يتعوذ منه ولو كان سبحانه
خالقا للقبائح لكان الضرر كله منه جل وعز وفيه اشارة ايضا
الى انه سبحانه يراعي حال من يتعوذ به فيكفيه شرورهم ولولا ذلك لما دعاه
الى التعوذ به من شرورهم ولما وصف نفسه بانه الرب الملك الاله الغني
عن الخلق فان من احتاج الى غيره لا يكون الها ومن كان غنيا عالما بالغنى
لا يختار فعل القبيح ولهذا حسنت الاستعاذة من شر غيره وروى عبد الله

بن سنان عن ابي عبد الله عليه السلام قال اذا قرأت قل اعوذ برب الفلق فقل في نفسك
اعوذ برب الناس وروى العياشي باسناده عن ابان بن تغلب عن جعفر
بن محمد عليهما السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من مؤمن الا
ولقلبه في صدره اذنان ينفث فيها الملك واذن ينفث فيها الوسواس
الخناس فيؤيد الله المؤمن بالملك وهو قوله سبحانه وايدهم بروح
منه تم الجزء العاشر وهو آخر كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن حكاية
خط المص رحمه الله وهي الحمد لله اولا وآخرا وباطنا وظاهرا على تسهيله
وتيسيره وتقدر الفراغ منه يوم الخميس منتصف ذي القعدة من سنة
ست وثلثين وخمسماية اللهم لك الحمد على توفيقك وتائيدك
وارشادك وتسديدك حمدا نستوجب به المزيد من نعمك ونستحق
به لطائف كرمك اللهم اجعل جدي واجتهادي في جميع ما شدت من تفسير
كتابك العزيز وكدي وانكماشي في ضم ما انتشر من معانيه باللفظ الوجيز
ذريعة الى ادراك رضوانك وصلة الى الاتصال باوليائك واصفيائك
في جناتك وقابل تقربي بذلك اليك وتوسلي الى الاطهار الاخيار
محمد وعترته الابرار بالقبول التام واعممني وولدي واهل خزانتي بالانعام
واتمم يا رب هذه النعمة الجسيمة التي انعمت بها علي وجعلتني اهلا لها بالمد
في العمر والامداد بالتوفيق والتيسر لافادة من يطلبه من اهل
الدين والخير والبث لما يتضمنه من العلوم
والانشراح لجميل الذكر وجزيل الذخر
والاجر واعتصاما بعروة الوثقى
واغتناما لشفاعة نبيك
صلواتك عليه وآله يوم الزلفى
انك ولي الانعام ذو الجلال


والاكرام حسبنا الله ونعم
الوكيل وصلى الله على محمد
نبينا وآله اجمعين